نهاية لحسابه والسمين والانها الابلاغ والنهاية الغاية وقراءة الجمهور يوفكون من افك ... واحد ان مثلين

للمفعول وقرئ يوفكون من افك على بنا الاول للمفعول والثانى للفاعل عكس ما تقدم اى يوفك ... هو ما فوجه

قوله اجرى مجرى اللعن اى استعمل بمعنى الكذابون تشبيها للمقتول الذى يفوته خير وسعادة بالمقتول الذى يفوته حياته

وكل نعت قوله فى جهل يغمرهم يقال غمره الماء يغمره اى علاه والغمر الشدة محمله على شدة الجهل بشهادة المقام ...

الاسلام الذى لا يجزم بامره ولا يثبت عليه بل هو شاك متحير لا يقول ما قال الاخرا فا و خرصا اى ظنا و تخمينا من غير تعيين

لما كانت اللام فيه للعهد والمعهود من اصحاب القول المختلف وكانوا كذابين فيما يقولونه كان المعنى لكن الكذابون فيما

يقولونه ثم وصفهم بانهم فى جهالة تغمرهم ساهون لاهون وكان المعنى لكن الكاذبون فيما يقولونه ولهم

عنه شئ قوله ساهون يحتمل ان يكون ساهون هو لخبر وفى غمرة ظرف له كقولك زيد فى بيته قاعد قوله فيقولون متى

القول المعطوف على يسالون لان قوله ايان يوم الدين جملة اسمية منقطعة التعلق عما قبلها الا بتقدير القول وايان

بمعنى يوم الجزاء الكان اين ظرف مكان وايان مركب اى التى للاستفهام وان بمعنى الزمان فكذلك كان بمعنى متى فلا ركنا

بنى على الفتح كبعلبك لما سمع المشركون قوله تعالى وان الدين لواقع سالوا فقالوا يا محمد ايان يوم الجزا اى يوم القيا...

منهم استهزاء فلذلك لم يذكر جواب هذا الاستفهام لانه ليس لطلب الجواب وقوله تعالى يوم هم على النار يفتنون ليس ...

حيث لم يتعين بان المسؤل عنه متى يقع لان جهلهم باليوم الثانى اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون ...

اخفى من القال بل جئ به على صورة الجواب تهديدا لهم وتحقيرا قوله اى وقوع لما كان ايان يوم الدين جملة ظ...

مبتدا وايان خبره ورد ان يقال لم وقع ايان لليوم والحين لا يقع ظرفا للزمان وانما يقع للحدث فلا يقر يوم ... زمان

فاشار الى الجواب بقوله اى وقوعه وتقديره انهم لا يسالون بان يقولوا انقضى زمان الجزاء فى اى زمان هو بل مرادهم زمان وقو...

الجزاء متى هو فجعل الزمان ظرفا للحدث الذى هو الوقوع لا لنفس الزمان حتى يترك كيف يستلزم العاقل ان يكون للزمان ...

عاد السائل وقال كما لا يجوز ان يكون الزمان ظرفا لنفس الزمان فكذا لا يجوز ان يكون ظرفا للوقوع ايضا فلا ...

جلوس زيد واقع فى يوم كذا او فى وقت كذا لما يقر يوم فى وقت كذا فاجاب عنه بان الزمان لما كان ظرفا للزمانيا...

وكانت الحقيقة ... من مطلق الزمان باضافتها الى الحدث للتجدد منزلة ما اضيف هى اليه كحدث فى ...

الزمان ظرفا لذلك حقيقة فيقال وقوع ظرف يوم الجزاء فى اى زمان هو كما يقال جلوس زيد اى وقت

العيد والنيروز واقع فى فصل كذا فى سنة كذا كما يقدر الجزء فى الكل قوله اى يقع يومهم اشارة الى ...

دل على كون السؤال عن زمان وقوعه وان حركته حركة اعراب قوله او هو يومهم اشارة ...

وان حركته حركة بناء وانما بنى لاضافته الى الجملة التى لا يظهر فيها الاعراب فان الكوفيـ...

المضارع والجملة الاسمية وعند البصريين لا يبنى الا ما اضيف الى فعل ماض كقو...

لانه يفتنونه بالنار اذا احرقه وعدى بعلى لتضمنه معنى يعرضون اشارة ...

يفتنون قوله جواب للسؤال اى جواب على مثوان سؤالهم فكانه ...

لان جهلهم باليوم الذى يحرقون فيه بالنار اقوى من جهلهم ...

فانهم لا قصد لها ذكروه بصورة الاستفهام الاستهزا...

الذي كنتم به تستعجلون يعني ان قوله فتنتكم بمعنى عذابكم وان قوله هذا اشارة الى الفتنة لكونها بمعنى العذاب وان قوله

هذا الذي كنتم به جملة ابتدائية ثم جوز ان يكون هذا في محل النصب على انه بدل من فتنتكم لكونها بمعنى عذابكم والمعنى ذوقوا هذا العذاب

الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيبا له وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقوله فأتنا بما تعدنا ونظائره وقوله هذا الى يوم الدين

من قبيل الاستعجال بصريح القول ويحتمل ان يكون المراد بالاستعجال الاستعجال بالفعل وهو اصرارهم على العناد واظهار الفساد فانه

يعجل العقوبة ثم انه لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال ان المتقين في جنات وعيون وقد مر ان المتقي في عرف

الشرع اسم لمن اتقى نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك والثاني

التجنب عن كل ما يؤثم والثالث ان يتنزه عما يشغله سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وما ستقى الاول فالجنة ويتنعم

بنعيمها قوله اخذين حال من المنوي في قوله في جنات ولما كان الاخذ عبارة عن التناول عن قصد ورغبة فسره بالقبول مع

الرضا قوله اي يهجعون في طائفة من الليل ولم يصرح بقيد القلة اكتفاء عنه بتنوين طائفة فانه للتقليل فعلى تقدير كون

زائدة قوله يهجعون خبر كانوا ويكون قليلا منصوبا على الظرفية كما في قولك كل الليل او بعضا وقليلا ويكون من الليل

قليلا اي يهجعون في طائفة قليلة كائنة من الليل وان جعلت ما مصدرية يكون المصدر الذي اول به الفعل مرفوعا

... اسم كان ... بدل الاشتمال ويكون قليلا منصوبا على الظرفية اي كان قليلا من الليل هجوعهم وان كانت موصولة يكون بدلا ايضا

... او ... ويكون من الليل حالا من الموصول مقدما عليه ويكون قليلا خبر كان اي كان المقدار الذي يهجعون فيه قليلا حال كون

ذلك المقدار من الليل ويجوز ان يكون الما الموصولة فاعل قليلا كانه قيل قل المقدار الذي يهجعون فيه كما شاد له المقدار من الليل

قوله ولا يجوز ان يكون نافية رد لمن جعل قليلا خبر كان واتم الكلام به على معنى كانوا من الناس قليلا كقوله وقليل ما هم وقليل

من عبادي الشكور ثم ابتدا بقوله ما يهجعون اي ما يهجعون من الليل ولا ينامون في الليل اصلا ووجه الرد ان ما النافية لها

صدر الكلام فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يبقى لقوله من الليل ما يتعلق به قوله والليل الذي هو وقت او وصف الليل به لاشارة

الى وجه المبالغة في ذكر الليل فانه اذا قلت استراحتهم في وقت الاستراحة تكون استراحتهم في غاية القلة لان النهار وقتا لها وفي

الصحاح الغرار النوم القليل والهجع النوم القليلة وكلمة ما تزاد لتاكيد مضمون الجملة التي زيدت هي فيها وهي هنا زائدة

... التي اخبر بها عن قلة هجوعهم فهي تؤكد تلك القلة وتحققها فزيادتها تكون من طرق المبالغة في تقليل نومهم قوله وفي بناء الفعل

... استعارة تقديم الفرع وجعل الفعل خبرا عنه يفيد الكلام اي هم الكاملون في الاستغفار دون غيرهم وذلك انما يكون لوفود

... منه واستغفارهم انا قولي او فعلي بان لا يقابعبادة توفر ... قوله يستوجبونه على انفسهم اي يعتقد

... ق عن يمنهم على ايصاله لهم كما يقال يستكثرونه بما تعدونه كثيرا والمقصود توصيفا لحق بذلك

... في ماله حق للفقرا اي نصيب جد انه علي فرمالة فان اغنيا المسلمين كلهم كذلك حيث

... الكافر ايضا ان قلنا انه مخاطب بفروع الشريعة فان ماله في ماله حق معلوم للفقرا

... فكيف يكون ذلك صفة مدح لهم ووجه الدفع ان المراد بالحق ما ادبه الله

واحتياجهم اليه شفقة على خلق الله ورغبة فيما عند الله من الاجر البالغ

المتعدي اي لطالب الجدوى وهو العطاء والمتعفف الفقير ... الذي

قوله اي في دلائل او وجوه دلالة يعني ان الآية يجوز ...
ان يكون الاية بمعنى ...

وان تكره

شرح جزء اخير از جلد ... معتبر

وان تكون بمعنى الدلالة فعلى الاول يكون المعنى ان الارض فيها دلائل دالة على قدرته تعالى وحكمه وتدبيره وصنائعه وهي المعادن والحيوانات

والجبال والانهار والبحار وانواع النبات وغير ذلك وعلى الثاني ان الارض دليل واحد فيها وجوه الدلالة على ما ذكر قوله آيات مبتدأ وفي الارض

خبره قدم عليه قوله وفي انفسكم عطف على في الارض والمبتدأ محذوف بناء على ان في انفسكم آيات فالضمير المنوي في انفسكم كالمنوي في خبر المبتدأ وان

رفعت آيات على انها فاعل قوله في الاول على ما ذهب اليه الاخفش فانه يجوز اعمال الظرف وان لم يعتمد كان الضمير في انفسكم كالضمير في الفعل

في نحو قولك قام زيد وقعدا وقاما وقام زيد وقعد الآيات الثابتة في الانفس ايضا اما بمعنى الدلائل او ما في العالم الذي الا في الانسان له

نظير يدل دلالته او بمعنى وجوه الدلالة من الهيئات النافعة والمناظر البهية قوله اسباب رزقكم من الشمس والقمر وسائر الكواكب واختلاف

المطالع والمغارب التي يترتب عليها اختلاف الفصول التي هي مبادي حصول الارزاق فعلى هذا تكون السماء بمعنى الفلك الاعظم قوله او تقديره

فان الارزاق كلها مقدرة من السماء ولولا السماء لما حصل في الارض حبة قوت ...

البعث وترتيب الايات الثلث ترتيبا حسنا فان الانسان لا بد له من امور يتعلق بالوجود ومن امور تلحقه

التي هي المكان لا بد من سبقها ليوجد الانسان فيها فبدأ بذكرها فقال وفي الارض آيات ثم ذكر من الايات ما يقارن

والاعراض فقال وفي انفسكم ثم ذكر ما يلحق بعد وجوده ويحتاج اليه في بقائه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون

فان الثواب والعقاب والخير والشر كل ذلك مكتوب في اللوح وهو في السماء وكتب فيه انه لمن الجنة ومن النار فالمعنى كلها ترى

وما توعدون في العقبى كل ذلك مقدر في اللوح وهو في السماء قوله اي مثل نطقكم يوهم ان ما في مثل ما انكم مصدرية وليست كذلك لانها

مصدرية اذا وقع بعدها فعل ليكون معها في تاويل المصدر ولا عمل لها هنا بل هي مزيدة للتاكيد وانكم تنطقون بعدها في محل الجر

مثل اليها وان مع ما في خبرها في تاويل المفرد لوقوعها موقع المفرد والمصنف اشار اليها بقوله اي مثل نطقكم تشبيها لتحقق ما اخبر عنه بتحقق

بتحقق نطق الآدمي ووجوده وهذا كما يقول انه لحق كما انك هاهنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحققه كالشيء الذي تعرفه

فان قيل الفاء تستدعي كون ما بعدها واقعا عقيب امر متقدم عليها كالامر المتقدم في قوله تعالى فورب السماء اجيب عنه اولا بان الامر المتقدم

هنا هي الآيات المذكورة كانه قيل انما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين وثانيها بان الامر المتقدم هو القسم المذكور بقوله

والذاريات فالفاء هنا هي الفاء العاطفة لوقوع الفصل بين القسمين اقسم اولا بالمخلوقات وهنا بربها ترقيا من الادنى الى الاعلى قوله

ونصبه على الحال يعني ان النصب يجيء واما على انه صفة مصدر محذوف وقيل ان حركته حركة بناء في محل الرفع على انه صفة لمصدر وبني على

الفتح لاضافته الى غير المتمكن كما بنيت غير لذلك في قوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال فان غير هنا

في محل الرفع على انه فاعل وبني على الفتح لاضافتها الى نطقت ونحوه لقد تقطع بينكم فيمن قرا بالفتح قيل سبب بنائه مثل تركيبه مع ما

في خبرها وردها عن كونه محل الاعراب بالتركيب فبني لذلك قوله وهو ما ان كانت بمعنى شيء جوز في ما امرين كونها زائدة للتاكيد وكونها نكرة

موصوفة وفي الثاني نظر لعدم كون الوصف مذكورا صاحبان قال هو محذوف والتقدير مثل شيء احق اعني انكم تنطقون على ان يكون

في موضع النصب او باعني في موضع الرفع على انه خبر مبتدا محذوف قلنا الاصل عدم الحذف فلا يصار اليه بغير ضرورة وايضا قد

نصوا على ان هذه الصفة لا تحذف على ان ابهام موصوفها فالوجه ان تكون ما زائدة للتاكيد ويكون انكم تنطقون في موضع الجر

بالاضافة قوله على انها صفة لحق فان قيل كيف يصح ان يجعل مثل صفة للنكرة مع انه معرفة بالاضافة الى المعرفة تقديرا اي مثل نطقكم

قلنا كلمة مثل لتوغلها في الابهام لا تتعرف بالاضافة الى المعرفة فصح وقوعها صفة للنكرة مع كونها مضافة الى المعرفة كما هو كذلك

في قراءة من قرا مثل ما انكم برفع مثل فانه لحق وما مزيدة ويجوز ان يكون ارتفاعه على انه خبر ثان مستقل كالاول او على انه مع ...

خبر واحد كقولهم هذا حلو حامض نقلها من ابو البقا عن الاصمعي انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني اصمع قال
من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات ذروا فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها
ووضعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف واذا انا بمن يهتف الي بصوت ضعيف رقيق
فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل
غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه حتى الجؤه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت
معها نفسه كذا في الكشاف قوله تفخيم لشان الحديث حيث ورد ابتداء الاجمال ثم فصل بقوله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما الى آخر القصة
فان هل اتيك الخ معناه التقرير والتعجيب التشويق الى سماع ما ذكره المصنف نظير قوله تعالى فهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب
وهذا الاسلوب انما اختاره اذا كان الحديث الاتي مما له فخامة وشان عجيب قوله وتنبيه على انه اوحي اليه انه عليه السلام يعلمه بنفسه بل انما عرفه بان
اوحي اليه لانه صادق في دعوى الرسالة حيث يخبر من الامور الماضية كما وقع من غير مطالعة كتب التواريخ ولا مصاحبة اصحابها فلا يستبعد
الا انه اوحي اليه ذلك فيكون كل ما اخبر به من امر البعث وغيره حقا مطابقا للواقع لان صاحب الوحي لا ينطق عن الهوى
فذكر هذا الحديث اليه واخباره به من جملة الآيات الدالة على حقيقة البعث فعلى هذا التقدير وجه ارتباط الآية بما قبلها كانه
قيل هذا القول المختلف الى ما يدل على صدق قدمه في دعوى الرسالة فيؤمن به وبحقية جميع ما جاء به من ربه وفيه تسلية لرسول الله
وايذان للمكذبين حيث بين فيه انه يهلك من خالف قوما من الانبياء وبين فيما بعد هلاك قوم لوط بسبب تكذيبهم اياه وقال
الامام النسفي وجه انتظام هذه الآية بما قبلها ان ايراد قصة الخليل ولوط لكونها توطئة لما ذكر آخر القصة وتركنا فيها آية كانه قيل
ومن الآيات الواقعة في الارض ما بقي اثار قوم لوط المهلكين بسبب كفرهم ومخالفتهم نبيهم قوله ظرف للحديث لما ذكره بعض الادباء من ان نحو
القصة والنبا والحديث ونحو يجوز اعمالها في الظرف خاصة وان لم يرد معنى مصدري كما في هذه الآية وفيه قوله تعالى وهل اتاك نبؤ
الخصم اذ تسوروا المحراب والتحقيق جواز اعمالها مع انها ليست بمعنى المصدر لتضمن معانيها الحدوث والكون او للضيف لانه في الاصل
مصدر ضاف اي انزله به ضيفا ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد او المكرمين اذ اكرمهم ابراهيم عليه السلام بان قيل اكرموا
اذ دخلوا عليه ولا يجوز انتصابه بأتاك لاختلاف الزمانين قوله اي نسلم سلاما عليكم يعني النصب كونه مصدرا موكدا للفعل المحذوف
ومعنى الرفع كونه مبتدا حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالمسلم والمسلم بكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام
قوله وقرئ منصوبا اي فقرئ فقالوا سلاما قال سلما كما قال سلاما قوله انتم قوم منكرون اي قوم لا نعرفكم يقال نكرت الرجل
بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا لم تعرفه فالكل بمعنى واحد وانما قال لهم ذلك لانه راى لهم حالا وشكلا على خلاف حال
الناس وشكلهم على انهم ليسوا من قومه فقال لهم ذلك وقال لانهم كانوا [illegible] لا يعرف بعضهم بعضا مما هو على الاسلام فلما سمع منهم
ما لم يسمعه من اهل زمانه نكرهم فقال لهم ذلك ويجوز ان تكون هذا تعرفا لحالهم كانه قال انتم قوم لا نعرفكم فمن انتم وعن ابن عباس انه قال في
هؤلاء قوم لا نعرفهم فان قيل قال تعالى في سورة هود فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل ذلك على ان انكاره انما حصل بعد تفويت العجل
وقالوا ههنا فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفاء التعقيب وذلك يدل على ان تفويت الطعام اليهم كان بعد حصول انكاره
فما وجه التوفيق فالجواب ان الانكار الذي كان قبل تقريب العجل اليهم غير الانكار الذي حصل بعده فان الانكار الحاصل قبله بمعنى عدم العلم بانهم
من اي بلدة ومن اي قوم والانكار الذي حصل بعده بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه بقصد الخير والشر وان امتنع من تناول طعام اهل
البيت يخاف من شره ولم يؤمن ضرره فان عادة من يريد الشر والضر ان لا يتناول من طعام اضراره قوله اي ذهب اليهم لان الروغ ليس بمعنى ...

الكلى وبحث عليه في المفصح وصار الحاجر مما قرنه اليهم فلما كان منه مقدار ما كان فيه سعار لكونه العجل حنيذا اي مشويا بالحجارة المحماة
آه فقال يعني حنيذ قوله فقام يعدو اي يشتد ويمضي لسبيله يقال درج درجا اي مشى ومضى لسبيله قوله الى بيتها لما كانت في زاوية
بولادتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال الى البيت ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة قوله في صرة
حال من فاعل اقبلت اي اقبلت كائنة في صرة وقيل لم يكن هناك اقبال من مكان الى مكان بل اقبلت ههنا بمعنى اخذت وجعلت يقال
اقبل يفعل كذلك بمعنى اخذ يفعل كذا فعلى هذا يكون في صرة في محل النصب على انه خبر افعال المقاربة وسماه المصنف مفعولا
تشبيها بالمفعول وقد مر في سورة الحجرات ان افعال المقاربة ترفع الاسم وتنصب الخبر مثل كان والصرة الصيحة الشديدة يقال
صر يصر صرا اذا صوت ومنه صرير الباب والقلم والصرة ايضا الجماعة صرها اقربها بعضهم اي فاقبلت في جماعة من النساء وكن عندها
وهي واقفة متهيئة للخدمة واختلف في قصة الصك فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل
المتعجب وهي عادة النساء اذا انكرن شيئا والصك في الاصل ضرب الشيء بالشيء العريض والعاقر المراة التي لا تحبل ويوصف به
الرجل ايضا اذا لم يولد له والعقيم بمعناه وكانت سارة لم تلد قط فلما لم تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم كبرت وبلغت
سن الياس استبعدت ذلك وتعجبت فقالت عجوز عقيم اي انا عجوز ومع ذلك كنت في الشباب عقيما فكيف الد وكانت
يومئذ بنت ثمان وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه السلام يومئذ ابن تسع وتسعين سنة وقيل لما تعجبت قال لها جبرئيل انظري الى سقف
بيتك فنظرت وكانت جذوعه من النخل اليابسة فاذا هي مورقة مثمرة فقال لها اتعجبين من امر الله ومثل هذا يكون
من امر الله تعالى قوله مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك يعني ان الكاف في كذلك في محل النصب على صفة لمصدر قال ربك ان لا تستبعدي
ما بشرنا به فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به وهو العليم القدير قوله سال عنه اي عن الامر العظيم كان سببا لنزولهم مجتمعين
قال فان الخطب انما يستعمل في الامر العظيم والفاء فيه للتعقيب اي بعد ما علمت انكم ملكة وان الملكة لا ينزلون الا
لامر عظيم لانهم عباد مكرمون عند الله تعالى فلا يرسلهم الا لامر عظيم فما ذلك الامر قوله تعالى لنرسل عليهم حجارة اشد آه
على وجه الرجم بالحجارة على اللائط وقوله مسومة منصوب على انه صفة حجارة او على انه حال من المنوي في قوله من طين او من
حجارة وحسن ذلك كون النكرة موصوفة بالجار والمجرور بعدها اي حال كونها مرسلة من خزانة الله تعالى او معلمة قيل
مكتوب على كل حجر اسم صاحبه وقوله عند ربك ظرف لمسومة واللام في المسرفين لتعريف العهد اي مسومة لهؤلاء
المسرفين لا لكل مسرف فيكون من وضع المظهر موضع الضمير للاشارة اي علة لاعدادها لهم واسرافهم فاحشتهم
التي قال تعالى في حقهم ما سبقكم بها من احد من العالمين قوله فاخرجنا من كان فيها الآية انما كنا سببا لخروجهم حيث قلنا
لوط فاسر باهلك بقطع من الليل وفيه دليل على انه ببركة المحسن ينجو المسيء فان القرية ما دام فيها المؤمنون لم تهلك
قوله غير اهل بيت يعني لوطا وبنيه ولما وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا استدل به على اتحادهما وهو ضعيف
لان صدق الناطق والضاحك مثلا على الانسان لا يدل على اتحاد مفهوميهما لكن يدل على انهما صفتا مدح والايمان
في اللغة عبارة عن التصديق مطلقا قال تعالى عن اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين اي بمصدق
فيما حدثنا وفي الشرع عبارة عن التصديق الخاص هو تصديق الرسول في جميع ما علم مجيئه به ضرورة اي في جميع
ما علم كونه من الدين وهو فعل القلب اما افعال الجوارح فهي فروع الايمان وعذابه اللازم له المتفرعة عليه
فالايمان يستتبع الاسلام الذي هو فعل الجوارح فكل مؤمن مسلم بغير عكس فان المنافق مسلم ليس بمؤمن

[illegible]

واطلاق العام على الخاص لا يدل على اتحاد مفهوميهما قوله تعالى وتركنا فيها اى في قرى قوم لوط نعطوف على قوله فاخرجنا من كان فيها
اى فاخرجنا من فيها ثم اهلكناها وابقينا منها الاية بعلامات تدل على انا اهلكناها واختلف في الآية ما هي فقيل هي ما اسود
منتن انشقت ارضهم وخبيث ترابها وقيل هي ما فيها من الحجارة الملقاة المنضودة التي رجموا بها وقيل الآية نفس القرية وجعلت
اعلاها اسفلها قال السدي ومقاتل كانوا اربعمائة الف فادخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفعها حتى سمع
اهل السماء اصواتهم ثم قلبها ثم ارسل عليهم الحجارة ثم تتبعت الحجارة شذاذهم ومسافرهم واصبح ابرهيم جالسا في مسجده فراى
الدخان ساطعا وبين ابرهيم ايرهيم وقرا ايج فلما راى الدخان علم ان العذاب نزل بهم فانهم المعتبر دل بها على التخصيص
للخائفين يكون تلك الآية عبرة لهم على انه تعالى اهلك اهلها بشؤم كفرهم ومعصيتهم فيخافون مثل عذابهم فيجتنبون عما هو
سبب هلاكهم قوله وتركنا فيها الظاهر ان يقرا وعلى قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور وقد تقرر في النحو انه
اذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت بك وبزيد الا ان عطف على ضمير فيها لما استلزم كون الجار الثاني متعلقا
بتركنا نبه عليه بزيادة تركنا فقال او وتركنا فيها الا ان المتعلق في الحقيقة هو الجعل المحذوف المدلول عليه بقوله تركنا
لان الترك بمعنى الجعل كقوله علفتها تبنا وماء باردا اوله لما حططت الرحل عنها وارادا قوله واراد حال من فاعل حططت
والمعنى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا فحذف المعطوف وابقى العاطف اعتمادا على دلالة ما يدل عليه وصل عليه الا ان الثاني
معلوف ان هو مشروب وكذا قوله وفي موسى لا يصح ان يتعلق بتركنا اذ لا يستقيم ان يقال تركنا في موسى كما يصح ان يقال تركنا في قرى
قوم لوط اية لان ترك الشيء في الشيء ينبئ عن ابقائه فيه وهو يستلزم بقاء الشيء الثاني فاذا لم يبق موسى فكيف يبقى ما ترك فيه
فيجب ان يكون المعنى وجعلنا في موسى اى قصته وارساله الى فرعون واتيانه بالحق فرعون وقومه من الغرق آية يدل على ان
من خالف الرسول لا يفلح فكيف تجترئون على مخالفة نبيكم وتدل ايضا على كمال علمه تعالى وقدرته وتدبيره في خلقه على ما تقتضيه
الحكمة فكيف لا تنظرون نظر من يعتبر فتعرفون قدرته تعالى على البعث وما فيه من الحكمة واذ ظرف لجعلنا المقدر على الوجه الثاني او للاية المقدرة
على الوجه الاول اى وفي موسى آيات كافية للاعتبار في وقت ارسالنا اياه قوله فاعرض عن الايمان به بيان لحاصل المعنى لان التولي بمعنى الاعراض والركن
بمعنى الطرف والجانب والمراد به نفسه فانه كثيرا ما يعبر بطرف الشيء وحاشيته عن نفسه والباء في قوله بركنه للتعدية كما في قوله تعالى ونا
بجانبه فانها متعدية نأى بمعنى بعد في الوجه الثاني يكون الركن مستعارا لجنوده تشبيها لهم بركن البناء من حيث ان كل واحد منهما
يعتمد عليه ويتقوى به فعلى هذا تكون الباء للسببية او للمصاحبة اى فاعرض بسبب من يتقوى بهم من جنوده في ملكه فاعرض
ومعه اركان ملكه قوله كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن مبني على ان يكون ما ظهر من يد الساحر ايضا من آثار الجن
وافعالهم كان ما ظهر من يد المجنون كذلك والفرق بينهما ان الساحر يقصد الجن ويأتيهم باختياره بخلاف المجنون فانه
يأتونه من غير سبب واختيار منه وقيل المراد هنا بمعنى الواو ... قال ... كما قال تعالى حكاية ان هذا لساحر عليم وقال في
موضع آخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قوله ... العقيم هي المراة التي لا تلد وسمى الريح التي
لا تنشئ سحابا ولا مطرا ولا تنبت نباتا ولا تلقح شجرا عقيما اما لكونها سببا في اهلاك من ارسلت عليهم فيكون تسميتها به
من قبيل وصف السبب بوصف المسبب او تشبيهها بالمراة العقيمة من حيث لا تنتج فائدة قوله وهي الدبور يعني
اختلف في الريح العقيم التي ارسلت عليهم فقال ابن عباس هي الدبور وقال علي هي النكباء وقال سعيد بن المسيب
هي الجنوب والاول اصح لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والرياح اربع الدبور والجنوب والشمال والدبور والصبا

ما تهب من جانب المغرب والصبا ما تهب من جانب المشرق والجنوب ما تهب من يمين من يستقبل المشرق والشمال ما تهب من يساره والنكباء اسم مشترك
يطلق على كل ريح تهب مما بين هذه الرياح الاربع سميت نكباء لكونها ناكبة اى عادلة عن مهاب اصول الرياح والنكباء ايضا ريح بين نكباء
الصبا والجنوب تسمى الازيب ونكباء الصبا والشمال تسمى الصابية وهي النكباء ايضا وهو من قبيل التصغير على قصد التكثير ...
دونها جدا ونكباء الشمال والدبور قرة اى باردة وتسمى الجربيا ونكباء الجنوب والدبور حارة وتسمى الهيف قال ابن عباس كانت الريح
تحمل البعير والشاة والعبد والامة فتلقيه في الوادي ولم تضر غيرها الى غيرهم وكانت العمالقة تجئ الماء يسطرون اليهم
فلا تضرهم شيئا قوله تعالى وفي عاد اى وفي قوم هود آيات ان كان معطوفا على قوله وفي الارض او وجعلنا آية ان كان
معطوفا على قوله وتركنا فيها آية وكذا قوله وفي ثمود وقوم صالح فانه ايضا على احد هذين الوجهين قوله تعالى تمتعوا في
داركم ثلاثة ايام يعني ان المراد من الحين المذكور في هذه الآية هذه المدة التي امهلهم بعد ما عقروا الناقة وهي
ثلاثة ايام وقد تغيرت الوانهم في تلك المدة فاصفرت في اليوم الاول واحمرت في الثاني واسودت في الثالث وهذا ضعيف
لان قوله فعتوا عن امر ربهم لحوق الفاء دليل على ان العتو كان بعدما قيل لهم تمتعوا حتى حين فلو كان معنى هذا
القول تمتعوا الى انقضاء مدة ثلاثة ايام وعندا نقضائها تاخذكم الصاعقة التي هي الهلاك بصيحة جبريل ام بسبب
استكبارهم عن امتثال امر ربكم وهو قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء
فان سنته تعالى قد جرت على ان لا يمهل قوما اصروا على الكفر بعد ظهور ما اقترحوه من المعجزة وقد خرجت الناقة بسبب
اقتراحهم اياها فلما لم يؤمنوا بعد ما عاينوا خروجها منها وجبت عليهم العقوبة العاجلة فقيل لهم تمتعوا
في داركم ثلاثة ايام فكيف يصح ان يحكى عنهم انهم عتوا عن امر ربهم بعدما قيل لهم ذلك بل الظاهر ان يفسر الحين بمنتهى الاجل
المقدر للنفس وان يكون المعنى تمتعوا حتى حين بشرط امتثالكم ما امركم الله تعالى به وهو لا تمسوها بسوء وان تتركوها
على حالها ولا تزاحموها في شربها ومرعاها فانكم ان امتثلتم هذا الامر تمتعوا قوله وعشتم زمانا ممدودا على حسب ما قدر
الله تعالى من الآجال والا يأخذكم عذاب اليم وعقاب عاجل فعقروها وعتوا عن امر ربهم فجعلت عقوبتهم قال
الامام ابو الليث في تفسير قوله تعالى اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني قال قال نبيكم صالح عيشوا الى منتهى آجالكم ولا
تعصوا امره ثم فعتوا عن امر ربهم يعني تركوا طاعة ربهم فاخذتهم صيحة العذاب وهذا التضعيف والاشكال
انما يرد ان لو جعل قوله تعالى فعتوا عن ربهم معطوفا على مجرد قوله تعالى قيل لهم تمتعوا واما اذا جعل تفسيرا وتفصيلا لما
اجمل في قوله وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين من قصة اهلاكهم فلا ضعف ولا اشكال فان تقدير قوله تعالى وفي ثمود وفي
اهلاك ثمود ايضا آية وقوله وعتوا عن امر ربهم تفسير لقصة اهلاكهم وتفصيل لها كالفاء التي في قوله تعالى ونادى نوح ربه
فقال رب ان ابني من اهلي فانه قد تقرر ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما
قبلها عقيب مضمون ما بعدها في الزمان فان ذكر تفصيل المجمل انما يصح بعد جري ذكره قوله فاستكبروا عن امتثاله
اشارة الى وجه تعدية فعل العتو بكلمة عن مع انه قد تعدى بكلمة على في قوله تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وحاصله
ان فيه معنى الاستكبار فعدى تعديته لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى يكون كقولك فلان يتكبر
علينا قوله اى العذاب الصاعقة في اللغة نار تسقط في السماء رعد شديد ثم يعبر منها بصيحة العذاب وللعذاب
المهلك من اى نوع كان والصعقة الغشية والموت يقال صعق الرجل صعقة اى غشي عليه قال الله تعالى فصعق من

السفرا اى مات قيل المراد بها ههنا الموت بصيحة جبريل عم ق وهم ينظرون حال من مفعول اخذتهم وفائدة التقييد بيان عدم قدرتهم على دفع
ودفع اى يكون النظر بمعنى الانتظار فالمعنى انه العذاب الاليم على غفلة بل انذروا من قبل ثلثة ايام وانتظروه ولم يؤخذوا على غفلة آخر الاجر
المختال ق كقوم العوج فاصبحوا في دارهم جاثمين اى لاصقين بمكانهم من الارض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب من العذاب
ومنه الآية التي في قصة ثمود ايضا فلذلك استدل بها على ان المراد بالقيام ضد الجثوم وهو التلبد بالمكان واللصوق به يقال جثم
الطائر الطائر بالارض اى تلبد بها ولصق وعلى الثاني يكون القيام من قولهم قام بالامر اذا قوى عليه وقام ولم يعجز عنه قال قتادة
وجماعة في تفسيرها قدروا ان ينهضوا بعذاب الله فيدفعوه عن انفسهم ق اى واهلكنا قوم نوح يعني ان قوم منصوب بالمضمر
يدل عليه ما قبله لان قبله يدل على الاهلاك ق ويؤيده ان يكون وجه انتصاب قوم كونه معطوفا على المحل في عاد قراءة من قرأ وقوم بالجر
عطفا على المجرور قبله من قبله وفي عاد وفي ثمود ذكر الله تعالى ست حكايات كل واحدة منها مشتملة على آية دالة على وجود الصانع
وكمال قدرته ثلثة منها تدل عليه من حيث دلالتها على سعة رحمته واحسانه لاوليائه وهي حكاية ابرهيم وبشارته بان يولد له
من عجوز عقيم وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى عم فان المذكور من حكايته ههنا وان كان اهلاك المعاندين
لكن المقصود انجاء المؤمنين كما قال تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون والثلث الاخيرة مما يدل عليه من حيث
كونها مسوقة لاهلاك المعاندين وهم عاد وثمود وقوم نوح فلذلك لم يقل وفي هود وفي صالح بل اقتصر على ذكر المهلكين ولما فرغ من هذه الحكايات
الست شرع في بيان سائر ما يدل على كمال قدرته من الآيات والسماء بنيناها بايد والعامة على نصب السماء على الاشتغال وكذلك قوله والارض
فرشناها والتقدير بنينا السماء بنيناها بايد والايد والآد يقال آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد وقوى فهو آيد اى قوة
وقوله وانا لموسعون معناه وانا القادرون على خلقها وخلق ما هو اعظم منها وارفع وخصت السماء بالذكر لانه لا شيء اعظم
منها مما يشاهده وقيل معناه وانا لموسعون ما اردنا اتساعه كما جعلنا السماء واسعة ولما استدل على وجوده وكمال
قدرته ببناء السماء وفرش الارض استدل عليها بما بينهما فقال ومن كل شيء خلقنا زوجين اى ومن كل جنس خلقنا نوعين
كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والموت والحيوة والذكر والانثى والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
الى غير ذلك من انواع الجواهر والاعراض وكل نوعين منها زوج لا يستغني احدهما عن الآخر ولا تتم المصلحة الا بالمجموع ثم قال فعلنا ذلك
كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تذكروا فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وانه تعالى فرد واحد بالذات
لا يقبل التعدد والانقسام فتعرفوه بالوحدانية وتخصصوه بالعبادة والفاء في قوله تعالى ففروا الى الله للسببية اى ما ذكر في الآيات السابقة
لما ذكره بعده اذا علمتم ان الله تعالى فرد لا نظير له ففروا اليه ووحدوه ولا تشركوا به شيئا في طاعته بعد اذ علمتم انه تعالى فرد وعبادته
وهو قوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر اى لا تجعلوا مع المعبود بالحق معبودا آخر ق او الاول من تتمة يعني انه لا تكرير فيه بناء على ان الاول
تعليل للامر والثاني تعليل للنهي فانه تعالى امر اولا بالفرار اليه بالايمان والطاعة وعقبه بقوله اني لكم منه نذير مبين تاكيدا للايمان بالامر
المذكور ثم نهى عن الشرك وعقبه ايضا كذلك تاكيدا للانتهاء عما نهى ق اى الامر مثل ذلك يعني ان محل الكاف الرفع من حيث ان المرسلين قبلك
كذبوا كما كذبوك وقيل الامر في حق المخلوقين كما قيل فيك فلا تأس على تكذيب قومك اياك ثم فسر ما اجمل بقوله كذلك فقال ما اتى الذين من قبلهم
ق ولا يجوز نصبه باتى بان يكون صفة لمصدر المحذوف اى ما اتيهم من رسول اتيانا مثل اتيانك قريشا الا قالوا ولما يفيده
وهو قوله الا قالوا ساحر بان يكون التقدير الا قالوا قولا مثل قولك لان المعنى حينئذ انه لم يأت من هؤلاء ان هناك مانعا لفظيا وهو ان ما
بعدها النافية لا يعمل ما قبلها والاستفهام في قوله تعالى اتواصوا به للتعجب والتوبيخ والضمير في به يرجع الى القول عليه بقالوا قال المفسر

لما رأت

لما رأت قد اشتد عليهم لما تولى عنهم رسول الله والمؤمنون بناء على ظن ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر
نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تنفع من علم الله تعالى انه يؤمن وقال الكلبي عظ بالقرآن
من آمن بك فان الذكرى تنفعهم من حيث يزدادون به بصيرة لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة جواب سؤال
حق اللام ان تدخل على الغرض المطلوب من الفعل وهو العلة الغائية الحاصلة للفاعل من الفعل كما في آية الدفع الجوع طلب في
لدفع الم البرد ولم تدخل ههنا على الغرض لما ثبت من انه تعالى لا يفعل فعلا لغرض والا لكان مستكملا بذلك الغرض وهو
في نفسه مستحيل ان يكون مستكملا بالغير او انه تدخل على الغاية المترتبة على الفعل من الحكم والمصالح تشبيها لها بالغرض الحاصل
للفاعل على الفعل من حيث كونها منفعة مترتبة على الفعل ومن حيث ان ذلك الفعل لا يوجد من غيره تعالى لكانت تلك الغاية غرضا مطلوبا على
كما في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان انتفاع الناس بما خلق في الارض لما كان غاية مترتبة على خلقه وكان حاملا للخلق في الجملة ادخل
كان الحق صادرا في يفعل لغرض شبه بالفاظ المطلوب من الفعل فادخل عليه لام العوض ودخلت عليه لام الغرض لذلك المطابق فاستعير اللام
الآية وتقرير الجواب نعم ان العبادة ليست غرضا مطلوبا من الخلق والغاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس لانهم بالعوائد
الموبقة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة وقابلة لها فانهما حيث يتاتى منهما العبادة وانهما هديا
اليها بخلق اسبابها ودواعيها من الادلة العقلية والنقلية فيهما فصار بذلك كانهما خلقا للعبادة وانها مترتبة على خلقهما فلذلك
اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة في خلقهما على تلك الصورة ووصف بكونها معلقة للعبادة بحيث تصدر عنهما
العبادة بسهولة لتحقق اسبابها وادلتها ودواعيها فصارت بذلك كانها جعلت غالبة عليها متمكنة فيها ولما وجه الكلام باخراج اللام
عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة في خلقهما بحيث تتاتى منهما العبادة بسهولة اشار الى وجه العدول عن الظاهر فقال ولو حمل على ظاهره
يعني ان المانع من حمل الكلام امران احدهما ان الدليل يمنع حمل الكلام على ظاهره وثانيهما ان حمله على ظاهره يعني يستلزم تعارض الآيتين
لان من خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة ولما صرف الكلام عن ظاهره بان جعلت العبادة شبيهة بالغاية ارتفع التعارض
ق وقيل معناه يعني ان لام الغاية وان دخلت على العبادة ظاهرا الا انها في الحقيقة داخلة على ما هو سبب للعبادة وهو الامر بها
فيكون من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب وروي عن علي بن ابي طالب انه قال في تفسير الآية الا لآمرهم بالعبادة وادعوهم الى عبادتي
ويؤيده قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقوله الا ليعبدوا الله ق او ليكونوا عبادا لنا فيراد ان عبد بمعنى صار عبدا
غير مستعمل ولا موجود في كتب اللغة ق انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم منهم من يحتاج الى كسب عبده في تحصيل الرزق
ومنهم من يكون له مال وافر ورزق واسع يستغني به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يستعين به في قضاء حوائجه بان يستعين
به في طبخ الطعام واحضاره بين يديه وغسل اوانيه وثيابه وكنس بيته والقيام على مصالح دوابه ونحو ذلك وهو تعالى
مستغن عن جميع ذلك فلم يخلق عباده لينتفع بهم وانما خلقهم وكلفهم بالاوامر والنواهي ليستحقوا الفضل ورحمته
ويجتنبوا عن سخطه وعقابه بالتذلل والعبادة وايثار طاعته على متابعة النفس والهوى وظهر بهذا التقرير فائدة تكرير
ما اريد فان ارادة الاولى متعلقة باكتساب الرزق والثانية متعلقة باصلاحه وخص الطعام بالذكر لكونه معظم
المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم بالارزاق ونفي الاخص يستلزم نفي ما دونه بطريق الاولى فكانه قيل ما اريد منهم
من عين ولا عمل قوله تعالى ان الله هو الرزاق تعليل لعدم ارادة الرزق منهم بالايماء الى استغنائه عنه وقوله ذو القوة
تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في مهماته من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك لان نستعين بغيره في امور

يكون عاجزا الا قوة او قوا المتين مرفوع في قراءة الجمهور على انه خبر بعد خبر لان او في جعله محذوف اى هو المتين
للقوة وتذكير وصفها لكون تانيثها غير حقيقي او لكونها في تاويل الايدا والاقتدار وقيل هو مخفوض على الجوار كقولهم
... في القوة ثم انتقل لما بين ان كفار قريش كذبوا رسوله كما كذب كفار الامم الماضية رسلهم بين جزائهم
فان للذين ظلموا والفا فيه ... اذا علمت حال اولئك الكفار المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان
نصيبا مثل نصيبهم ... عن النصيب بالذنوب تشبيها بالقسط لكل واحد من العذاب بذنوب السقات فانهم يقسمون
على النوبة ذنوبا قال شاعرهم لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب اى البئر فيه اشارة الى ان العذاب ينصب
الذنوب قال الله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر ثم نهاهم عن استعجال العذاب فقال لا يستعجلون والنون
نون الوقاية وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فيقول متى كان هذا الوعد فنهى عنه فقيل ان لكل واحد من المكذبين
... ذلك الى يوم القيمة ثم قال فويل للذين كفروا اى من عذاب يوم القيمة والويل الشدة من العذاب وقيل
في جهنم سورة الطور مكية قوله وهو جبل بمدين من الارض المقدسة اسمه زبير قال مقاتل هما طوران احدهما طور سينا والآخر طور
سينا التين والآخر طور الزيتون قوله وما طار فيكون الطور صفة بمعنى الطائر كالقل والكثر بمعنى القليل وبقال ما لم قل ولا كثر قوله
موسى بمكتبة الطور قوله الرق الجلد يعنى ان الرق في الاصل ما رق من الجلد ليكتب فيه ثم اطلق على سائر ما رق لاجل الكتابة تشبيها
والمنشور بسط ونشر للقراءة قوله او الضراح بضم الضاد المعجمة وبالحاء المهملة من الضرح وهو التنحية والابعاد والضراح
وقيل ... المضارحة وهي المقابلة لانه مقابل بالكعبة وروى عنه عليه السلام انه بيت في الرابعة بحيال الكعبة من الارض يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لم يدخلوه قط قبل ولا يدخلونه بعد ذلك الى قيام الساعة فهو معمور بكثرة زواره من الملائكة حرمته في السماء كحرمة الكعبة في
الارض وعن ابن عباس انه قال هو البيت الذي بناه آدم في الارض فرفع ايام الطوفان ووضع بحيال الكعبة وقيل انزل
من ياقوتة في زمن آدم ووضع بمكة فكان آدم يطوف به وذريته من بعده الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وهو بيت المعمور طواف
والارض قال صاحب الكشاف وما جاء في حديث انه في السماء السابعة لا ينافيه وقد ثبت انه في السماء بحيال الكعبة في الارض ثم لما
آدم فرفع بعد موته فهو في السماء الرابعة على ما نقل الازرقي في تاريخ مكة ويسمى ... ورفع الى السماء ...
الابعاد قوله السماء لقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ... فانها بمنزلة السقف ...
المملوء من قولك سجرت الاناء اى ملأتها او الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور يقال سجرت التنور اذا ... اى ...
يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا ويزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن كعب انه قال هو البحر يسجر فيكون جهنم وقيل
البحر فيكون شراب اهل النار قوله والمختلط فان المسجور في اللغة اللبن الذي ماؤه اكثر منه وقال عين سجرا اذا خالطت بياضها
قال الربيع بن انس البحر المسجور اى المختلط العذب بالملح فان البحار كلها تجمع يوم القيمة وتجعل بحرا واحدا والمختلط ...
وهذه الاقاويل كلها مبنية على ان يكون المراد بالبحر بحر الدنيا قال عكرمة هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين
فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم قوله ووجهه بانه هذه الامور
يعنى ان الايمان انما ذكرت في القرآن من حيث كون الامور المقسم بها دليلا على تحقق المقسم عليه فهو تم خص هذه الامور بكونها
مقسما بها لاختصاصها بدلالة الدلالة على تحقيق المقسم عليه ففي الاقسام بها تعظيم لشانها من حيث دلالتها على ثبوت المدعى
والمقصود في دلالتها باسرها على القدرة الكاملة والحكمة البالغة وما يدل عليها يدل على صدق اخباره جميعا فيكون صادقا في ...

بضبط

٩

بضبط اعمال العباد ومجازاتهم على حسب اعمالهم قوله ويوم ظرف لم يبين ان عامله ماهو اشارة الى جواز انه واقع او دافع
والظاهر ان العامل فيه واقع وان الجملة المعترضة منفية بين العامل ومعموله تاكيد لما سبق لان جملة لو كانت واقع يوم ان لا
يدفع عذابه في غير ذلك اليوم وهو باطل لان عذاب الله تعالى ليس له دافع في كل وقت فلا وجه لتقييده في ذلك اليوم ق اى اذا
وقع ذلك فويل لهم اشارة الى ان في الكلام معنى الشرط وان الفاء في قوله فويل جزائية جيئ بها لربط ... الشرط المحذوف
والجملة الشرطية لبيان العذاب الواقع لمن هو والمعنى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل يومئذ للمكذبين
وهو لا ينافي تعذيب غير المكذب من اهل الكبائر لان الويل وهو العذاب الشديد انما هو للمكذبين لا للعصاة المؤمنين
في قوله تعالى الذين هم في خوض يلعبون حال من المنوى فيه ويجوز ان يكون لغوا متعلقا بيلعبون مقدما عليه ويكون يلعبون هو
الخبر والموصول مع صلته صفة للمكذبين لم يقصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كما في قولك الشيطان الرجيم والخوض
في الاصل عام مطلق على الخوض في كل شيء الا انه في الخوض في الباطل والاندفاع فيه قوله يدعون اليها بعنف يعنى ان الدع هو الدفع
بعنف وشدة في عنقه ادعه دعا اى دفعته بعنف قال تعالى يدع اليتيم اى يدفعه قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم
الى اقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم حتى اذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا وقيل
قوله يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم في النار وهم بعداء عنها وقوله تعالى يسحبون في النار على وجوههم يدل
على انهم فيها على ... من وجوه الاول ان الملئكة يسحبونهم في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهي نار جهنم يقذفونهم فيها من
بعيد فيكون السحب في نار والدفع في نار اشد واقوى بدليل قوله تعالى يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون اى يكون لهم سحب
في حمة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال والثاني يجوز ان يكون في كل زمان يتولى ابرهيم ملك وهي النار يدفعهم ملك وفي النار
يسحبهم آخر والثالث يحتمل ان يكون الملئكة يدفعون اهل النار اهانة لهم واستخفافا بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها
ق فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين اى تكون حالا مقدرة من مدعوع يدعون والمعنى يوم يدعون اليها فيقال لهم هلموا
اليها فادخلوها مقدرا في حقهم ان يدعوا اليها فيجيبون فيدخلون اليها ق او ظرف لقول مقدر محكية هذه النار يعنى
ان قوله تعالى هذه النار بقول مقدر ويوم يدعون ظرف لذلك القول اى فيقال لهم تلك المقالة يوم ثم يدعون ثم يلقون فيها ما كانوا
يكذبون بها فيقال لهم افسحر هذا قوله هذا مبتداء وقوله افسحر خبره قدم الخبر لان الاستفهام يصدر الكلام ولان شان البلغاء تقديم ما
لهم به مزيد العناية وهم للاهتمام وهو في المقام توبيخ المشركين ... فيما جاء به من الآيات الى السحر التعظيمية على الايصال ولما كانت الفاء
العاطفة تقتضي معطوفا عليه يصح ترتب الجملة المعطوفة عليه قدره فقال اى كنتم تقولون للوحي هذا سحر فالاحوال التي شاهدتموها اليوم
مما يصدق ذلك الوحي اسحر هو ايضا ومصداق الشيء ما يصدق واحوال الآخرة وشاهدتها تصدق اقوال الانبياء في الاخبار عنها واشار
بقوله هذا المصداق اى وجه تذكير اسم الاشارة مع كونه اشارة الى النار وهو ان يكون النار في تاويل المصداق ونظير هذا الاسلوب
ان يستدل المدعى على مذهبه بحجة فيقول الخصم لها ذكرته تمويه باطل لا يثبت به المدعى فيأتي المستدل بحجة ادفع من الاولى ... الخصم
ويقول افتمويه هذا ايضا تعرض له بالالزام وحمله بنسبته الى المكابرة والعناد فيما قاله اولا كانه قيل انكم كنتم في الدنيا منكرين للبعث
وما يتفرع عليه من البعث والثواب والعقاب فان كنتم صادقين في ذلك الانكار لزم ان لا يكون ما اصابكم اليوم من عذاب النار
عذابا ولا شاهدتموه في صورة النار نارا ومن المعلوم ان من راى شيئا ولم يكن المرئي في نفس الامر ذلك الذي راه فخطاؤه يكون
لاحد هذين الامرين اما الامر عائد الى المرئي واما الامر عائد الى الرائي فاي من هذين الامرين كان سبب الخطا لكم فقال فهذا

لحيم

تقولون

اي هذا الامر تلبيس وتمويه حتى خيل لكم انه نار مع كونه ليس نارا في نفس الامر ام هل في بصركم خلل في كلمة ام منقطعة والاستفهام للانكار اي ليس
بنا ثبت انكم قد بعثتم وحوسبتم وجزيتم باعمالكم وان الذي تردونه حق وعذاب فهو تقريع شديد وتهكم فظيع وبعد هذا ان
يقال لهم اصلوها اي فاسقوا حرها وما فيها من العذاب الشديد اي اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق عندكم انه ليس بسحر وانه لا خلل في ابصار[كم]
فاصلوها ق اي الامر اشارة الى ان قوله سواء خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا او لا تصبروا اي الامر سواء عليكم اي صبركم و
مستويان في عدم النفع فان الصبر انما ينفع اذا تعلق بالشدة الواقعة ابتداء قيل فان الصابر عليها يثاب على صبره فينفعه لا محا[لة]
بخلاف الصبر الذي تعلق به بالشدة الواقعة جزاء فانه لا ينفع الصابر البتة لان الجزاء المؤبد واجبة الوقوع بمقتضى الوعيد فيه
مؤكدا وقوله ان المتقين في جنات يجوز ان يكون كلاما مستأنفا لبشارة المتقين بفوزهم بحسن العاقبة وان يكون من جملة
يقال للكفار زيادة في غمهم وتحسرهم ق في اية جنات واي نعيم يعني ان تنكير جنات ونعيم اما للتعظيم او للنوعية والخصوص و
منصوب على الحال من المنوي في الظرف فيدل كونهم في جنات ونعيم بحال كونهم ناعمين متلذذين للدلالة على كمال حضورهم و
فان الجنة مع كونها دار اهل السعادة قد يتوهم ان من يدخلها ربما يدخلها بحال فيها ويصلي كما هو شان النور الكريم اي
ودخلتها فلما قيل ونعيما افاد انهم فيها متنعمون كما هو شان المتفرج بالبستان لا كالناطور والعامل ثم بين زاد في بيان
ترفه خاطرهم وكمال حضورهم وسرورهم بقوله فاكهين فان التنعم قد يستغرق في النعم الظاهرة وقلبه مشغول
بامر ما فلما قال فاكهين بين استقرارهم في النعيم اللائق في حال كونهم متلذذين لا يشوب سرورهم وحضورهم شيء من الكدر
وقرئ فكهين بالقصر وفاكهون بالرفع على انه خبر ان وحينئذ يجوز ان يكون في جنات ظرفا لغوا متعلقا بالخبر وان يكون خبرا
عند من يجوز تعدد الخبر وقوله بما آتاهم متعلق بفاكهين وما موصولة حذف عائدها وهو المفعول الثاني لآتاهم اي متلذذين بسبب
ما آتيهم اي اعطاهم ربهم اياه او مصدرية اي متلذذين باتيانهم ربهم ما خصهم من الكرامات ق عطف على ما آتاهم ان جعل ما مص[درية]
والتقدير متلذذين باتيانهم ووقايتهم عذاب الجحيم ولا يجوز عطفه على آتاهم ان جعلت ما موصولة لان المعطوف على الصلة يكون
في حكم الصلة فيجب اشتماله على العائد ولا عائد لها في جملة المعطوفة لان التقدير فاكهين بالذي آتاهم ربهم اياه وبالذي
وقاهم ربهم عذاب الجحيم وليس في جملة الثانية ما يعود الى الموصول لان وقاهم قد اخذ كلا مفعوليه ولو قدر العائد لبقي العامل بلا
آتاهم فان مفعوله الثاني محذوف هو العائد الى الموصول قوله او في جنات اي او هو عطف على قوله في جنات لان التقدير ان
المتقين استقروا في جنات ووقاهم قوله او حال معطوف على قوله عطف اي ويجوز ان تكون الواو حالية لا عاطفة فتكون كل[مة]
قد مقدرة لما تقرر من ان الماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد من اقترانه بكلمة قد ظاهرة او مقدرة وذو الحال المستكن في الظرف
او في الحال وهو اما فاعل آتى او مفعوله وكلاهما وقوله تعالى كلوا واشربوا او على انه صفة لمفعول به المحذوف اي طعاما وشرابا
هنيئا فاذن ترك ذكرهما المأكول والمشروب للدلالة على تنوعها وكثرتها والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤه اذ[ا]
كان سائغا لا يغص به اي اذا كان بحيث لا يورث الكدر من نحو التخم والسقم يقال نغص الله عليه العيش تنغيصا اي كدره
وتنغصت عيشته اي تكدرت قوله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا فلا يكون هنيئا صفة مصدر محذوف بل تكون من المصا[در]
التي حذفت عاملها وجوبا بالكثرة الاستعمال واقيمت هي مقامه والتقدير هنيئا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون هنيئا
والمصدر على وزن فعيل كثيرا كالنسيب والنكير والزئير والصليل ونظيره هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا
ما استحلت فان هنيئا مصدر حذف عامله واقيم هو مقامه وما استحلت فاعل الفعل المحذوف اي هنؤ العزة ما استحلت

من اعراضنا

من اعراضنا هنيئا فان قيل على زيادة الباء في الفاعل لم تشع الا في فاعل كفى ولا هي قياسية فلا وجه للتخريج عليها قوله متكئين حال
من الضمير في كلوا واشربوا وعلى سرر متعلق بمتكئين مصفوفة اي منتظمة بعضها الى جنب بعض وتقييد الاكل والشرب بحال الاتكاء
الوارد للايماء الى ان اهل الجنة فارغون عن الكلفة بالكلية لان الاتكاء هيئة مخصوصة بالمتنعم الفارغ عن الكلفة والتعب
الباء في التزويج جواب عما يقال من ان فعل التزويج يتعدى الى مفعوله بلا واسطة حرف الجر يقال زوجته امرأة ولا يقال
زوجته بامرأة قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فما وجه تعديته بالباء ههنا اجاب عنه اولا بان اعاق بالباء
باعتبار ما في ضمنه من معنى الايصال والالصاق وثانيا بانها ليست للتعدية بل للسببية ثم استدل على اعتبار معنى الالصاق والقرن
في التزويج بعطف قوله تعالى والذين آمنوا على حور عين ولو لم يعتبر فيه معنى الوصل والقرن بل كان بمعنى عقد النكاح لما جاز العطف المذكور
لاستحالة تحقق عقد النكاح لان الجنة ليست بدار تكليف وهذا معنى قوله ولما في التزويج من معنى الالصاق عطف الذين آمنوا على حور عين
هكذا في بعض النسخ ولعلها هي النسخة الصحيحة وفي بعض النسخ ولما في التزويج من معنى الالصاق والقران ولذلك عطف والذين
على حور عين ولا وجه له بعد قوله لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق وهو ظاهر واختار المصنف ان يكون قوله والذين آمنوا عطفا
على قوله بحور عين والمعنى قرناهم بحور عين وبالذين آمنوا وانهم يتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين كما
قال اخوانا على سرر متقابلين فيكون قوله تعالى واتبعتهم ذريتهم معطوفا على قوله وزوجناهم اي ومن كرامة المتقين انه تعالى يجمع
بينهم وبين ذريتهم في الكرامة ويلحقها بهم لتقر بها اعينهم ثم بين ان ذكر تقدم ايمان الذرية يكفي في الحاقها بهم فقال الحقنا بهم
ذرياتهم اي اولادهم الصغار والكبار يلحقون بآبائهم بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا
لخير ابويه اي لمن آمن منهما فبسبب ايمانه تبعا يلحق بابيه كما ان الكفر يلحق به بايمانه نفسه ثم ذكر قول من قال قوله تعالى والذين
آمنوا مبتدأ خبره الحقنا بهم فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان جملة معترضة بين المبتدأ والخبر لتعليل الحاق الذرية
بالآباء فان تعليل الحاق الذرية بمتابعتهم الآباء في الايمان يخرج بعلية المتابعة للالحاق فان الباء في قوله بايمان يجوز ان يكون بمعنى في
فيتعلق بمتبع وان تكون على اصل معناها فيتعلق بمحذوف اي ملتبسين بايمان قوله للمبالغة في كثرتهم وللتصريح عما ذكره
فان الذرية لو لم تتبع على الواحد لا الجميع لان لفظ الجمع موضوع لان يطلق على آحاد مفردة ق وقيل بايمان حال عطف على قوله اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان يعني ان الباء للظرفية وقيل للملابسة فيكون حالا من المفعول الاول وهو الضمير او الثاني وهو الذرية او منهما
اي اتبعناهم ملتبسين بايمان ولم يرض به لان قوله تعالى واتبعناهم يكون معطوفا على زوجناهم به عبارة عن ضمهم اليهم والحاقهم فيكون
قوله بعد ذلك الحقنا بهم ذرياتهم تكرارا قوله وما نقصناهم اي ما نقصنا الآباء المتقين من ثواب عملهم من شيء من النقص لما كان الحاق
الذرية بالآباء يوهم ان يوزع ثواب عمل الاب بينه وبين ولده فينقص به حظه من اجر عمله ازيل ذلك الوهم بقوله تعالى وما ألتناهم
قوله ويحتمل ان يكون بالتفضيل اي على الاولاد بتبليغهم درجة الآباء بمحض التفضيل الالهي من غير عمل يؤدي اليها وعلى الآباء
بان يقرن بهم الاولاد وتقر بهم اعينهم من ان ينقص من اعمالهم شيئا وذلك تفضيل عظيم في حق الكل قوله من شيء مفعول ثان
لألتناهم ومن مزيدة فيه ومن عملهم في محل النصب على انه حال من شيء فانه في الاصل صفة فلما قدمت نصبت حالا كل نفس
بعمله رهون عند الله تمثيلا كان نفس العبد مرهون عند الله بعمله الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه
فان عمل صالحا على ما امر به فكها اي خلصها والا اوبقها فان العمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المدين المرهون عند المرتهن
فكما ان المرتهن ما لم يصل اليه الدين لا ينفك من الرهن شيء كذلك العمل الصالح ما لم يصل اليه تعالى لا يتخلص نفس المرء منه

قال لمعاذ حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق عباده عليه تعالى ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فانه صريح في ان التوحيد
والطاعة بمنزلة الدين الثابت لله تعالى على العبد ووجه مناسبة الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر حال المتقين ووفر عليهم ما افاض اليهم من الثواب
والتفضل انزل هذه الآية لتدل على انهم تكون ذرياتهم وكان موضعها بحسب النظم آخر ما ورد في تفصيل اجر المتقين وهو قوله هو البر الرحيم
ليكون كلاما راجعا الى بيان حال الفريقين وهما المدعون الى نار جهنم والمتقون الا انه نزل في خلال بيان اجزية المتقين لينبه
على ان قلب ذرياتهم من بعض اجزيتهم ثم ذكر ما يزيدهم على ما ذكر قبل من الكرامة فقال وامددناهم بفاكهة اي واتبعناهم ما اعطيناهم
من نوع انعامهم فانه تعالى لما قال ما ألتناهم اوهم ذلك انهم يجازون بما يساوي عملهم دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اي مع عدم
النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة والامداد وتتابعه وقت ما يشتهون وتنوين فاكهة للتنكير اي بفاكهة لا تنقطع
كلما اكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما في قوله مما يشتهون للعموم لانواع اللحمان وقوله تعالى يتنازعون وقوله لا لغو فيها ولا تأثيم في محل
النصب على انه صفة كأسا وفيها اي في شربها وقيل في الجنة وفسر التنازع بالتعاطي على طريق التجاذب الذي يقصد به الملاعبة
وفيه لذة اذ لا يتصور في الجنة التنازع بمعنى التخاصم والكأس قدح فيه خمر ولا يسمى كأسا ما لم يكن فيه شراب كما لا يسمى مائدة
ما لم يكن فيها طعام ق اي لا يتكلمون بلغو الحديث لان شربها لا يذهب عقولهم حتى يتكلموا باللغو وهو الباطل من الكلام وانما
يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام الذي يجري بين العلماء متلذذين بذلك يقال اثمه اذا جعله ذا اثم واشار بالتفسير الى ان اللغو
في الكلام والتأثيم في الفعل ق وذلك مثل قوله لا فيها غول في عدم اعمال لا لانه اذا وقع بينها وبين اسمها فاصل وجب الرفع
والتكرير نحو لا في الدار رجل ولا امرأة لانها يضعف عملها بالفصل فرجل مرفوع بالابتداء وامرأة عطف عليه وفي الدار خبره
وكذا غول مبتدأ وفيها خبره وقد تقرر في النحو انه يجوز في نحو لا حول ولا قوة رفع الاسمين على ان الاول منهما مبتدأ والثاني عطف
عليه وبالله خبره ويجوز الغاء لا لضعف عملها ومن هذا القبيل قوله تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم على قراءة الجمهور فانهم قرؤا
برفع الاسمين وتنوينهما وقرأ ابن كثير والبصريان بفتحهما من غير تنوين لان كل واحد منهما مبهم ليس بمضاف ولا مشابه
للمضاف فبني على ما ينصب به قوله تعالى كأنهم لؤلؤ صفة ثانية لغلمان او حال منها لانهم قد وصفوا من النكرة [illegible] يتساءلون
حال من فاعل اقبل اي اقبلوا متحادثين قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الدنيا من التعب والخوف وقيل يتساءلون عن اعمالهم في
الدنيا التي بها وصلوا الى دار النعيم بوعد الله تعالى [illegible] المسؤلين في جوابهم انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين والخوف
من العذاب اصل التقوى كلها لانه يحصل فيه خوف التقصير في الطاعة وخوف عاقبة المعصية فيجب عند ذلك عن كل واحد منهما باقصى ما
يمكن لما وصف الله تعالى اهل الجنة بانه يزوجهم بحور عين وباخوانهم المؤمنين وانه يلحق بهم ذرياتهم المشاركين لهم في اصل الايمان
وانه يجعلهم في كل وقت ما يشتهون وانهم يتناولون فيها كأسا يطوف بها الغلمان الموصوفون قال بعده واقبل بعضهم على بعض
على ما هو عادة اهل المجالس يشرعون في التحادث ليتم به استئناسهم كما قيل وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
اي الحم والسموم من اصل الريح الحارة التي تتخلل المسام اطلق على نار جهنم على سبيل الاستعارة تشبيها لها في نفوذ حرها ونفوذ
فوز المتقين بالسعادة لاجل التذكير والاتعاظ بالموعظة فذكر ولا تبال بما قالوا فما انت بكاهن او مجنون فلكنهم انتم
خير مما يقولون فان من كان ارجح عقلا واربا صدقا وامانة ووقارا ابعد حالا من الجنون والكهانة على ان الجنون والكهانة متنافيان
لا يجتمعان في شخص لان الكهانة تقتضي التدبير والفراسة فاين هي من الجنون والكاهن هو من يخبر عن المغيبات الآتية من غير وحي
قوله بنعمة ربك حال من المنوي في كاهن وقوله بكاهن منصوب المحل على انه خبر ما وقوله ولا مجنون عطف عليه التقدير ما انت كاهنا

ولا مجنونا

ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك اي بانعامه عليك بجميع الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة التي افضلها النبوة والوحي وبعده فهي حال
لازمة فانه عليه السلام لم يفارق هذه الحالة ويجوز ان يكون الباء في قوله تعالى بنعمة ربك للقسم المتوسط بين اسم ما وخبرها ويكون جواب
القسم محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه التقدير وبنعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون قوله تعالى ام يقولون قال المص في آخر الآيات
ام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ردا لما قولهم في حقه عليه السلام انه كاهن ومجنون فقال ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون
ثم اضرب عن انكار قولهم هذا الى انكار قولهم فيه انه شاعر فقال ام يقولون شاعر وقوله تعالى نتربص به في موضع الرفع على انه صفة شاعر
وصفوا الشاعر به لانهم كانوا يحترزون عن ايذاء الشعراء ويقولون الشعر يحفظ ويدون فلا نعارضه مخافة ان يغلبنا بقوة شعره
بل نصبر ونتربص موته ونهلكه كمن هلك قبله من الشعراء وعن يتفرق اصحابه واباه قد مات شابا ونحن نرجو ان يكون
موته كموت ابيه قوله تعالى قل تربصوا ليس من ايجاب او ندب او اباحة لان هلاكه حرام لا محالة فهو تهديد كما في قول السيد
لعبده المتمرد افعل ما شئت فاني غير غافل عنك ما يتعلق بالنفوس من حوادث الدهر ريب المنون الريب بمعنى النوائب [illegible] رابه
الدهر وارابه اي اقلقه وان المنون هو الدهر وهو قول الكسائي والفراء سمي به الدهر لانه يقطع به قوة الانفس فان المنون من المن
وهو القطع يقال منه اذا قطعه فريب المنون عبارة عن حوادث الدهر وتقلبات الزمان التي تورث قلقا واضطرابا للنفوس
وقيل سميت ريبا تشبيها لها بالريب الذي هو الشك في التزلزل وعدم النزول وقال الخليل المنون الموت سمي به لانه
لانه يقطع العمر ريبه وجاء ثم اضرب عن توبيخهم والانكار عليهم بنسبة المقالات المتناقضة اليهم في حقه الى نسبتهم الى السفه
والجهل الذي حملهم عليها فقال ام تأمرهم احلامهم بهذا التناقض في القول كانه قيل ولم تفوههم بهذه المقالات المتناقضة
وانظر الى ما فيهم مما هو اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز ثم اضرب عن انكار كونهم من العقلاء المتبصرين الى ما هو ادخل
في الذم بالنسبة الى نقصان العقل فقال ام هم قوم طاغون كانه قيل دع كونهم سفهاء عديمي العقل والتمييز [illegible] الى تلك
الاقوال المتناقضة سفههم وجهلهم وانظر الى طغيانهم ومجاوزتهم الحد في العناد فانه هو الحامل لهم على تلك المقالات ثم اضرب
عن الانكار عليهم بمجاوزتهم الحد في العناد الى توصيفهم بما هو ابلغ في الذم وهو انهم نسبوا اليه انه يختلق القرآن من تلقاء نفسه
ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه وهو اقبح من الطغيان الذي هو مجاوزة الحد في العناد لان الافتراء ابعد شيء من حال
من اشتهر بالصدق لا سيما ان يفتري على الله مع ان كون مفتري مع كونهم عاجزين عن اتيان اقصر سورة مثله متناهيا
والتقول تكلف القول لا يستعمل الا في الكذب ثم كذبهم في نسبتهم التقول اليه فقال لا يؤمنون اي ليس الامر كما زعموا من احتمال
تحقق شيء من المطاعن فيه بل انهم لا يؤمنون بنبوته وبالقرآن عنادا واستكبارا مع وضوحه لا لانه حقيقة منهم ثم الزمهم الحجة
وبين انهم طاغون معاندون في جميع ما ذكروه من المطاعن فقال فليأتوا بحديث مثله والفاء فيه للسببية اي ان كان الامر
كما زعموا من كاهن او مجنون او شاعر ادعى الرسالة ويتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بحديث مثله فانه من في حد نفسه
واحد منهم فيجب ان يقدروا على ما هو عليه بنفسه فاذا لم يقدروا على اتيان مثل ما اوتي به تعين ان ما اتى به كلام الهي واجب
القبول وانه رسول مبين من عند الله ق ام احدثوا من غير محدث على ان كلمة من لابتداء الغاية اي بل يقولون
انهم خلقوا من غير خالق خلقهم واوجدهم وعلى الثاني تكون من للسببية بمعنى خلقوا لغير شيء اي عبثا ام يدعون
انهم خلقوا انفسهم فلما لم يمكنهم ان يدعوا واحدا من هذين الامرين ضرورة استحالة الخلق بل كانوا مضطرين الى
الاقرار بان لهم صانعا غيرهم فما الذي يمنعهم عن افراده بالعبادة وعن اثبات القدرة على الاعادة وجه تعلق

الآية بما قبلها انهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر استبعادا لما يدعوهم اليه من الاعتقاد بوحدانية الصانع وحقية
امر البعث والجزاء ذكر ما يزيد استبعادهم وينبه على وحدانية المبدأ وحقية امر المعاد ويستلزم ذلك صدق من يدعو الى التوحيد
واخلاص العبادة لله فكانه قيل كيف يمكن ثبوتهم في خلق انفسهم بما يدل على صدقه في دعوى الرسالة وذلك لانهم مخلوقين لا محالة والمخلوق
لا بد له من خالق غير نفسه والوحدة من لوازم الخالق كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد والخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني
وامكانه فلا وجه لاستبعاده واذا ثبت حقية المبدا والمعاد ثبت حقية الرسالة بناء على ان رسول الله صادق في دعوى الرسالة بما اظهر
على يديه من المعجزات التي لا يقدر عليها احد الا الواحد القهار ثم اضرب عن انكار كونهم مخلوقين من غير خالق خلقهم وانكار انهم يخلقوا
انفسهم اي انكار انهم خلقوا السموات والارض الى قوله بل لا يوقنون كذلك لما لم يمكنهم ان يدعوا خلق شيء من ذلك واعترفوا بان خالقهم وخالق السموات
والارض وجب عليهم تصديقه ونفي الشركاء عنه وان يصدقوا من صدقه وان يؤمنوا بجميع ما جاء به من عنده ولما كان انكار كونهم خالقين
لانفسهم وللسموات والارض متضمنا لاقرارهم بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله فكان الظاهر من الاقرار ان يكون عن ايقان اضرب
عنه بقوله بل لا يوقنون والمعنى انهم وان اعترفوا بان الخالق هو الله تعالى لكنهم غير موقنين في ذلك الاعتراف اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن
عبادته وتصديق رسله واطاعته فيما كلفهم به فظهر بهذا التقرير انهم يقدمون بقولهم بل لا يوقنون مجموعا اي لا يوقنون بان الخالق الرازق
المحيي المميت القادر على كل شيء هو الله تعالى من شكه في شرح هذا المطلب الجلي لا يبعد منه ان يصف [illegible] المرسلين بالجنون والكهانة ولم يوجد
كل الولوف قولنا اذا استلوا او قالوا الله فلا وجه له ق [illegible] الاشياء اشارة الى عدم ذكر [illegible] مسيطرون يقصد العي والمسيطر المسلط القاهر
الذي لا يكون تحت امر احد ونهيه يفعل ما يشاء ويدبر امر الربوبية ويختار ما يشاء ثم انه تعالى لما ابطل من الاحتمالات العقلية ما يصلح ان يكون مبنى
لتكذيبهم اياه وطعنهم فيه بانه كاهن او مجنون او شاعر شرع في ابطال قولهم نتربص به ريب المنون فقال ام لهم سلم يستمعون فيه صاعدين
فيستمعون كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم عليه كما يزعمون قوله يستمعون فيه
صفة لسلم وفيه متعلق بحال محذوف وتقديره يستمعون صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف اشار اليه بقوله الى كلام الملائكة وما يوحى
ق فيه بيان لمناسبة هذا المقام فانه لما في الآية الانكار عليهم حين جعلوا لله تعالى ما يكرهون من الاناث ولانفسهم البنين ويجعلون
لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون والمقام مقام توبيخهم على اقوالهم المتناقضة ومقالاتهم الزائغة المتعلقة بتكذيبهم اياه ومن بلغ في السفاهة
الى ان جعل رب العالمين ادون حالا منه بان جعل له ما لا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم
لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمقاء ويستحيل ان يترقى روحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيب فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه قيل مقتضى طباعهم الفاسدة التشبث بالكلام الذي [illegible] فانهم كما طعنوا فيك طعنوا في خالقهم الغيب اللوح المحفوظ على ان يكون الغيب بمعنى الغائب
او يكون من قبيل تسمية محل الغيب غيبا قال قتادة قوله تعالى ام عندهم الغيب جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله تعالى اعندهم الغيب الذي
كتب في اللوح المحفوظ حتى علموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون بعد ما وقفوا عليه قيل هو رد لقولهم انا لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب
كانه تعالى خبرا عن البعض ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال لأوتين مالا وولدا واي كان قوله تعالى ام عندهم الغيب جوابا
لقولهم نتربص به ريب المنون قيل لهم تعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون به كيدا فيقولون نقتله فيموت فان كنتم تدعون علم الغيب
فانكم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانتم جاهلون محرومون بكيدكم من غير ان يتم لكم مرادكم ولا يعود ضرر مكركم الا عليكم
وان كان جوابا لانكارهم باحوال الآخرة يكون المعنى بل انتم تكتفوا بهذه المقالات الفاسدة وتريدون مع ذلك ان يكيدوا بركيدهم
[illegible] فهم المكيدون لا انت فانك انت المنصور المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا حجة وسيفا فان القهر لا يدل عليه بل هم المكيدون

اضافي

اضافي فان زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتحفظهم عن ان يصيبهم ضرر مكرهم فتعالى الله عن ان يكون له شريك يقاومه ويدفع ما اراده
وفي الصحاح الكسفة القطعة من شيء والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا
ومن قرا كسفا جعله جمعا انتهى وعلى القولين الكسف بفتح السين جمع والخلاف انما هو في الكسف بالسكون واختار المص نحو الاخفش وقرئ في
جميع القرآن كسفا وكسفا بالافراد والجمع الا في هذه الآية فانها على الافراد لا غير اي بسكون السين والمراد عنادهم بسقوط
كسف من السماء عليهم كما زعموا في قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطع من السحاب
اجتمع بعضه مع بعض وتراكم فسقط علينا وليس سماء [illegible] فذرهم جواب شرط محذوف اي اذا بلغوا في المكابرة والعناد
الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر حتى يموتوا على الكفر ق وقرئ يلقوا [illegible] من يلقى مبنيا للفاعل ووجه ظ
ويلقوا مبنيا للمفعول من صيغة الثلاثي او الرباعي وكلاهما بمعنى الاماتة فيصعقون على الاول مثل يفتحون وعلى الثاني مثل يكرمون
وقرا باقي السبعة يصعقون بفتح الياء على بناء الفاعل اي يموتون يعني ان صعق يتعدى ولا يتعدى كسعد وسعده اذ قال تعالى
واما الذين سعدوا ففي الجنة فهو سعود يقال صعق زيد اي مات وصعقه اي اماته ويصعقون على قراءة باقي السبعة صعق
اللازم ويصعقون بضم الياء يحتمل ان يكون من صعق المتعدي او من اصعق [illegible] يوم لا يغني بدل من يومهم الذي فيه
يلاقوا يومهم يوم موتهم الذي لا ينفعهم كيدهم فيه ق ولا هم ينصرون اي لا يمنعهم من العذاب مانع ق يحتمل العموم بان يراد بهم كفار مكة
ويراد بظلمهم كيدهم بينهم ويكذبهم اياه فيكون قوله الذين ظلموا من ايقاع الظاهر موقع المضمر للتسجيل على ظلمهم دون عذاب
الآخرة يعني ان ذلك اشارة الى اليوم الذي فيه يصعقون والمعنى لهم عذاب قبل ذلك اليوم وهو يوم النفخة الاولى وذلك العذاب هو عذاب
القبر ان حمل الذين ظلموا على العموم والمؤاخذة في الدنيا والقحط سبع سنين ان حمل الخصوص ق في حفظنا يعني انه [illegible] باعيننا شامل
في حفظ والكلاءة يعبر به عنه [illegible] الحفظ وكلاءة ومراقبة الحافظ ما يحفظه ق وجمع الاعين لجمع الضمير فانه تعالى لما عبر بذاته المقدسة
بنفس المتكلم مع غيره تعظيما جمع ما اضيف اليه ليطابق المضاف والمضاف اليه الا ترى انه افرد المضاف [illegible] ولتصنع على
عيني ق من اي مكان قمت متعلق بقوله تعالى يقوم اي قمت من مجلس [illegible] سبحان الله وبحمده اي اسبح الله ملتبسا بحمده عن سعيد
بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان
غير ذلك كان كفارة له وعن ابي هريرة من جلس مجلسا يكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله
الا انت استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما ويحتمل ان يكون المعنى وسبح بحمد ربك حين تقوم من منامك قيل ان المراد
ان يقول عند القيام من النوم الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث والنشور فانه روي انه كان يقول ذلك عند الانتباه
وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلوة ويحتمل ان يكون المعنى حين تقوم الى الصلوة
لما روي عن الضحاك والربيع انهما قالا معناه اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك بعد تكبيرة الافتتاح وعن عائشة انها قالت مثل ذلك ق واذا ادبرت النجوم من آخر الليل يعني ان الجمهور على
كسر الهمزة من ادبار السجود على انه مصدر ادبر اذا ذهب الظرف اقيم مقام الظرف وانتصب على الظرفية اي سبحه وقت ادبار
ادبار النجوم بظهور ضوء الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى الآخر واعقاب النجوم غيبتها بضوء الصبح وغروبها
سورة النجم مكية بسم الله الرحمن الرحيم ق اقسم بجنس النجوم سمي نجوم السماء كان نجما الطلوع فان طالع نجم يقال نجم
السن والقرن والنبت اذا طلع ويحتمل ان يكون المراد بالنجم المقسم به الثريا لان النجم صار علما بالغلبة قال قائلهم

اذا طلع عشا ابتغى الراعي كسا وقال ايضا طلع النجم عشية وابتغى الراعي كسية فانما يطلع عشا في قلب الشتاء واوان شدة البرد ويقال ان الثريا
سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد يخفى يمتحن الناس به ابصارهم وروى القاضي عياض في الشفا ان النبي كان يرى في الثريا احد عشر
نجما وعن ابي هريرة ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع واراد بالنجم الثريا وهوى النجم هو ما يريد به نجوم السماء
كلها او الثريا وهذا اما غروبه واما انتشاره يوم القيمة كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت واما انقضاضه لرجم الشياطين عند
استراقهم السمع ق واما طلوعه وعلى الاحتمالات الثلث الاول يقول فانه يقال هوى يهوي هويا بالفتح اذا سقط وغرب وعلى الاحتمال
الرابع تقول هوى هويا بالضم اذا صعد فان الهوي بفتح الهاء السقوط من اعلى الى اسفل والهوي بالضم الطلوع وفعلهما واحد والاختلاف
انما هو في المصدر وكل واحد من غروب النجم وانتشاره وانقضاضه لرجم الشياطين لكونه سقوطا من علو الى اسفل يصح ان
يطلق عليه الهوي بفتح الهاء كما يصح ان يطلق على طلوعه الهوي بضم الهاء وفائدة تقييد المقسم به بوقت هويه بفتح الهاء او ضمها
انه اذا كان النجم في وسط السماء يقل نفعه حيث لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم المشرق من المغرب والجنوب من الشمال ق
او بالنجم عطف على قوله بجنس النجوم اي اذا اقسم بالنجم من نجوم القران فان النجم في الاصل اسم للكوكب ثم يطلق على الوقت
المضروب لكونه استيتاره منوطا بتعيين طلوع الكوكب غروبه وسمي تفريق الفعل الى الاوقات تنجيما والفعل المفرق نجوما ثم يطلق
النجم على الفعل الواقع في وقت معين بطريق اطلاق اسم المحل على الحال فنجوم القران القطع النازلة في اوقات متفرقة
قال ابن عباس هو قسم بالقران اذا نزل نجوما متفرقة على رسول الله عم في عشرين سنة فالمراد بهويه نزوله ق او النبات عطف
ايضا على قوله بجنس النجوم فان النجم قد يطلق على النبت الذي لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه
سقوطه على الارض وطلوعه منها وارتفاعه ق على قوله متعلق بقوله اقسم بجنس النجوم يعني انه جواب القسم ما ضل صاحبكم هو
المقسم عليه وذكر انه قريش قالوا ضل محمد عن دين ابائه وغوى ما ضل صاحبكم وما غوى بل اهتدى ورشد فان
الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما يزعمون من انه قد ضل وغوى وذهب اكثر
المفسرين الى ان الغي والضلال واحد والمص اشار الى الفرق بينهما بقوله في تفسير ما ضل ما عدل عن الطريق المستقيم
وفي تفسير وما غوى وما اعتقد باطلا وحاصل ما ذكره من الفرق ان الغواية هي الخطاء في الاعتقاد خاصة والضلال
اعم منها يتناول الخطاء في الافعال والاقوال والعقائد فلذلك يقال ضل بعيري ولا يقال غوى فالضلال هو العدول
عن الطريق المستقيم الذي بينها الله تعالى لعباده سواء كان متعلقا بالافعال والاقوال والعقائد والاضلال والغواية
هي العدول عن الطريق المستقيم في باب العقائد فيكون قوله تعالى وما غوى من قبيل التخصيص بعد العموم لمزيد العناية
بنفي الخاص والمراد نفي ما نسبوه اليه من العدول عن سنن الصواب في كل واحد من باب الاعتقاد والعمل فانه تعالى لما حكى
قالوا انه فقال ما ضل صاحبكم وما غوى وما صاحبكم بمجنون وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن وما ينطق عن الهوى وسائر
الانبياء يجيبون بانفسهم فانه قوم نوح قالوا انا لنراك في ضلال اجاب بقوله يا قوم ليس بي ضلالة ولما قال عاد لهود
انا لنراك في سفاهة قال ليس بي سفاهة ولما قال فرعون لموسى اني لاظنك يا موسى مسحورا قال اني لاظنك يا فرعون مثبورا
ونحو ذلك ق وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى اي عن مشتهى نفسه يعني من غير ان يوحى اليه شيئا وهو اشارة الى ان تعدية
النطق بعن مبني على تضمنه معنى الصدور وقيل عن بمعنى الباء فان العرب يجعل عن بمعنى الباء يقال رميت عن القوس اي بالقوس
ثم قال اولا ما ضل وما غوى بصيغة الماضي ثم قال وما ينطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل النبوة وبعدها اي ما ضل وما غوى

ابداحيث

ابدا حيث لم تعرفوا فيه تستبدون قبل ان يبعث رسولا وما ينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم ايات ربه والوحي في الاصل مصدر
اطلق هنا على الكتاب الالهي الموحى فقوله يوحى صفة لوحي وفائدة المجيء بهذا الوصف دفع توهم المجاز اي هو وحي حقيقة لا بمجرد
تسمية وحيا والوحي بمعنى المصدر له معان وهي الارسال والالهام والكتابة والاشارة والكلام والافهام ق واحتج به من لم ير الاجتهاد
له صاحب الكشاف وجه الاحتجاج ان الله تعالى اخبر بان جميع ما ينطق به وحي وما كان عن اجتهاد فليس بوحي مما ينطق به ثم نقل جوابه صاحب الكشف
بقوله واجاب بان الله اذا سوغ له الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى ثم قال واعترض عليه بانه يستلزم ان يكون
الاحكام التي يستنبطها المجتهدون بالقياس وحيا والجواب انه ادعى البيان بجتهد بخلاف المجتهدين ثم اورد اعتراض المص تعالى وما قيل
من انه بالوحي لا وحي فغير تام لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لنبيه حيثما ظننت فهو حكمي قوله ملك شديد قواه اشارة الى ان شديد القوى من
اضافة صفة المشبهة الى فاعلها مثل حسن الوجه وان موصوفها محذوف هو الملك وقيل هو البارئ تعالى لقوله الرحمن علم القرآن وضمير
علمه يجوز ان يكون للرسول لقوله صاحبكم اي محمد عم وجبرئيل وحي الله تعالى وهو الظاهر فيكون المفعول الثاني محذوفا اي علم الرسول الوحي اي القرآن الموحى
ويجوز ان يكون للوحي وهو فيكون المفعول الاول محذوفا اي علمه الرسول بان انزل عليه وبينه له ولعل مراد المص بقوله فانه الواسطة
في ابداء الخوارق الاشارة الى ان ضمير علمه للرسول وان ثاني مفعوليه محذوف ليذهب ذهن السامع الى كل ما ظهر عليه من الخوارق فانه كالوحي
وانه طريق تعليم ذلك اياه كونه واسطة في ابداء تلك الخوارق وقوله تعالى ذو مرة نعت بعد نعت للموصوف المحذوف والمرة القوة وشدة العقل ايضا
ورجل مرير اي قوي ذو مرة كذا في الصحاح والحصافة العقل وصحة الرأي وفي الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل يقال حصف بضم العين
حصافة واحصاف الامر احكامه حمل قوله تعالى شديد القوى على قوته واستدل عليها بما روي من قلعه قرى لوط وصيحته بثمود وحمل قوله ذو مرة
على قوته في عقله وعلى هذا لا تكرار ويساعده اللغة ايضا قوله تعالى فاستوى معطوف على قوله علمه اي علمه على غير صورته الحقيقية ثم استوى على صورته
التي جبل عليها وكان يتمثل بصورة دحية حين ينزل ليتمكن النبي من ضبط الوحي وتلقيه فلما احب عليه السلام ان يراه في صورته التي جبل عليها
استوى له بتلك الصورة قيل ما رآه احد من الانبياء على حقيقته الاصلية غير محمد عم فانه رآه على صورته مرتين مرة في الارض اي جبل حراء وقيل
بالجياد وهو جبل بمكة طلع جبرئيل عليه من جانب المشرق وهو الافق الاعلى فملأ الافق وسد الارض وملأها فخر رسول الله مغشيا عليه فنزل جبرئيل
في صورة الآدمي فضمه الى نفسه فجعل يمسح الغبار عن وجهه ورآه اخرى بتلك الصورة وهو في السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى وهو
بالافق الاعلى لقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قوله تعالى وهو بالافق الاعلى جملة اسمية في موضع الحال من المستوي في استوى قوله فتعلق
دفع لما يقال كيف يقال ثم دنى اليه فاوحى قوله عند سدرة المنتهى فاجاب بان شجرة النبق لما كان لها ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية شبهت بها شجرة
المنتهى فاطلق عليها اسم السدرة على سبيل الاستعارة قوله تعالى ما زاغ البصر اي شيء رآه في تلك الليلة فلم يمل بصره عنه قيل انه يستيقن ويطلع على
حقيقته او قصر نظره على امر برؤيته ولم يلتفت يمينا وشمالا على انه وصفه بالتادب ق لقد رأى الكبرى على ان الكبرى مفعول رأى ومن
آيات ربه حال من المفعول قدمت عليه وحذف موصوف الكبرى والتقدير ولقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه اي رأى من آيات ربه آياته هي اكبر
الآيات ق وقد قيل انها المعنية بما رأى في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا عم لم ير الله عز وجل ليلة المعراج وانما
رأى آيات الله تعالى التي من جملتها رؤية جبرئيل على صورته وبيان وجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان عم رأى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن من الكرامات فكانه حقا ان يختم
به قصة المعراج ثم انه تعالى لما قرر امر الرسالة ذكر بعده ما ينبغي ان يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقال افرأيتم
اللات والعزى كلاهما عليه من البغي والهوان فكيف تشركونهما بالله العزيز العليم فلو رأيتم اياهما حق الرؤية لعلمتم انهما لا يصلحان شريكا

متقدم في استحقاق التعظيم ق هي فعلة من لوى الشيء يلوي اذا عكف عليها او من لوى الرجل راسه اذا اماله لانهم كانوا يعكفون عليها ويلوون
اعناقهم اليها اصلها لوية فاسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لات والعامة
على تخفيف تائها وقرئ بتشديد التاء ايضا على انه اسم فاعل من لت السويق اذا بله بالماء قيل كان رجل يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا
صورة حجر او سموه باسمه وعبدوه فلم يزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله عليا فكسرها وحرقها بالنار والعزى سمرة نوع من الشجر
روي ان خالدا كان يقول حين يقطعها كفرانك اليوم لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك فلما قطعها رجع الى النبي م فقال قد قطعتها فقال
هل رايت شيئا قال ما رايت شيئا فقال م ما بلغت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها وخرجت منها امراة عارية ناشرة شعرها داعية
ويلها واضعة يدها على راسها فقتلها خالد ورجع الى النبي م واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ق ومناة اذا قطع
وقيل من منى يمنى اذا صب سميت الصخرة مناة لان دماء النسائك كانت تصب عندها والفها عن ياء والتاء زائدة لتانيث الصخرة ووزنه فعلة
وميمها اصلية وقرا ابن كثير مناءة بالمد والهمزة من النوء اصلها منوأة نقلت حركة الواو الى النون قبلها فقلبت الفا ومعناه موضع الاستمطار من
الانواء والنوء سقوط النجم من المنازل الثمانية والعشرين في المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابلته ساقط من ساعته
سقوطه وذلك في ثلاثة عشر يوما ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط
منها وقال الاصمعي الى الطالع منها فيقولون مطرنا بنوء كذا ويجمع انواء فوزن الكلمة حينئذ مفعلة فالفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة
كما يستمطرون عندها الانواء اتيتكاها ق صفتان للتاكيد كون الثالثة للتاكيد فقط واما الاخرى فانها افادت معنى زائدا على ما
افاده الموصوف لانها تانيث الاخر بفتح الخاء بمعنى الغائب مع الاشتراك مع الموصوف فيما اثبت له فالاخرى تصلح مخصصة للثالثة
الا انه لا يصح ان تحمل الاخرى في الآية على هذا المعنى اذ لا مشارك للمناة في كونها ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فوجب ان
ان تكون بمعنى المغاير مطلقا فيكون صفة مؤكدة ضرورة ان مناة كما تكون ثالثة اللات والعزى في مغايرة لهما ق او الاخرى
من المتاخرة الرتبة اي يجوز ان تكون الاخرى صفة مسوقة للذم لكونها بمعنى المتاخرة في الرتبة الوضيعة في القدر كقوله تعالى
قالت اخراهم لاولاهم اي ضعفاؤهم لاشرافهم ووجه كون مناة وضيعة بالنسبة الى اللات والعزى ان اللات وان كانت صخرة الا انها
على صورة الآدمي والعزى شجرة وهي لكونها من اقسام النبات اشرف من المناة التي هي صخرة عظيمة فظهر ان مناة متاخرة عنهما رتبة
ق وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم اي سادة مسده فان افرايتم يستدعي مفعولين اما لكونها افعلمتم واللات وما عطف عليه
مفعول الاول والجملة الاستفهامية سادة مسد مفعول الثاني كانه قيل افعلمتم هذه الاصنام حالكم بان يكون لكم الذكر وله الانثى واما
لكونه بمعنى اخبروني والمعنى افتمارون بعد ما تبين لكم رفعة شانه وحقية رسالته فاخبروني ان هذه الاصنام هل هي بنات الله
مع ودادكم البنات وكراهتكم اياهن فان قيل كيف تكون الجملة الاستفهامية مفعولا ثانيا لافرايتم ولم يعد منها الضمير
على المفعول الاول قلنا استغني عن الضمير بتعريف الانثى فانه في قوة ان يقال وله هذه الاصنام وكان الظاهر ان يقال ولهن
هن اي تلك الاصنام الا انه وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لرعاية الفواصل والاشارة الى علة الانكار والتوبيخ والفاء في قوله
افرايتم للتعقيب كالتي في قوله افتمارونه فانه تم تصوير امر الوحي ولا تصوير تاما وحققه انما ينطق به وحي اوحي اليه بواسطة ملك
شديد قواه لا شبهة في انه الملك بصورته الملكية فعرفه حق المعرفة ثم قال فؤاده فيما يراه ببصره اي لم يقل فيه كذبا وانما يكون
الكذب فيه ان لو قال لا اعرفك ولا اعتقدتك لانه قد عرفه بقلبه واعتقده حقا كما رآه ببصره وجعله مرئيا فيكون قوله لا اعرفك
مكذبا فاذا لم يقل فؤاده ذلك القول صح ان يقال انه ما كذب فيما رآه ببصره من صورة المرئي ق وما كذب بصره بنصب البصر

بنزع

بنزع الخافض ايضا وما كذب الفؤاد في حق بصره بان قال له لم يحك صورة المرئي على الوجه المطابق له ق فان الامور
القدسية جواب عما يرد على قوله وما كذب بصره بما حكاه له من ان ادراك القلب لما يحس بالبصر يتفرع على استعمال آلة
البصر وارتسام الصورة في الحس المشترك فكيف يكون للفؤاد ان يكذب في حق البصر بان قال انه لم يحك صورة المحسوس على
الوجه المطابق له وهو يستلزم ان يدرك المحسوس من غير استعانة بالبصر وتقرير الجواب ان الامور القدسية بمنزلة المعقولات
الصرفة في ان الفؤاد يدركها بنفسه ولا يستعين بادراكها بالقوى الحسية من حيث انه تعالى لم يخلق في الحس قوة الاحساس
بها ثم انه تعالى خلق في حاسته قوة الاحساس بالصورة التي جبل عليها جبريل وقد عرفها قبل ذلك بالفؤاد فقد
عرفها من طريق البصر ايضا فيمكن له ان يصدق ويكذب في حق البصر يصدق ويكذب فيما حكاه له ق او ما رآه بقلبه عطف
على قوله ما رآه ببصره وهذا على قول من يقول انه م رأى ربه بفؤاده لا بعين راسه فالمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه الفؤاد بان
قال في حقه انه خارجي حقيقي وتخيل كاذب اذ ليس في وسع الانسان معرفة الرب تعالى ق واشتقاقه من مرى الناقة لجوهره
مريت الناقة الجوهري مريت الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر اللبن ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من
الجري بسوط او غيره والمراد الجدال بالباطل وكان حقه ان يتعدى بفي لانه لا يقال جادلته في كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدي تعديتها
عليهم جدالهم معه م حين اسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عير لنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به فان قيل الظاهر ان
يقال افتماروه على ما راى بصيغة الماضي لانه انما جادلوه بعد ما اسري به فما الحكمة في ايراده بصيغة المضارع فالجواب انه على حكاية
حال الماضية احضارا للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين وتعجيبا لهم ق وقرا حمزة افتمرونه بفتح التاء من غير الف بعد الميم
من انه فعله والمسند الى الغائب في باب المغالبة او من مريته حقه اذا علمته وجحدته اياه مرة اخرى ق مرة اخرى يعني ان نزلة لما
كان اسما للمرة من الفعل اقيمت مقامها فكانت في حكمها في كونها منصوبا على الظرفية وقيل انها منصوبة على انها مفعول مطلق واقع
موقع عامل المحذوف المنصوب على انه حال من مفعول راه اي راه نازلا نزلة اخرى والواو في ولقد راه يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل
ان تكون حالية اي كيف تجادلونه فيما راه ويقولون انه لم ير جبريل وانما يرى الشيطان كما يرى الكهنة الشياطين وهو قد راه على وجه لا شك
فيه راه مرتين مرة بالافق الاعلى بناحية من السماء التي هي اطراف الكون ومرة حين نزوله سدرة المنتهى ليلة المعراج فراه بها
على صورته التي خلقها الله عليها قال رايته عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح ينتثر منها الدر والياقوت وهي مقام جبريل ام
فيها رسول الله ملائكة السماء في الوقت فكان امام الانبياء في بيت المقدس امام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على اهل
السماء والارض قال المقاتل السدرة هي شجرة طوبى ولو ان رجلا ركب نجيبة وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لما وصل الى المكان
الذي ركب منه تحمل لاهل الجنة الحلي والحلل وجميع الوان الثمار وقيل هي شجرة غير طوبى ثابتة في عين العرش فوق السماء
السابعة تخرج انهار الجنة من اصل تلك الشجرة واضافة السدرة الى المنتهى يحتمل ان يكون من اضافة الشيء الى مكانه
كقولك شجرة بلدة كذا او مكان كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك ق والكلام في المرئي والدنو ما سبق من المرئي هل هو
جبريل او انه عز وجل فانه روي عن كعب الاحبار انه قال ان محمدا عليه السلام راى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين
وراه محمد م مرتين وذهب اكثر المفسرين الى ان الضمير البارز في راه لجبريل والمعنى انه م لما رجع من عنده ليلة الاسراء راى جبريل
على صورته عند سدرة المنتهى وقوله عند سدرة المنتهى يجوز ان يكون حالا من مفعول راه على تقدير ان يكون المرئي جبريل واما
ان كان المرئي هو الله تعالى فلا يجوز ذلك لان الله تعالى منزه عن تحيز في زمان او مكان ويجوز ان يكون ظرفا للرؤية على التقديرين

على ان يكون الظرف ظرفا للرأى ورؤيته لا للمرئى كما اذا قلت رأيت الهلال في بيتى قوله تعالى اذ يغشى السدرة في محل النصب على انه
بدل من نزلة اخرى وقد مر انه منصوب اى رأى محمد جبريل اذ يغشى ما يغشاها قيل يغشاها الملائكة حتى لعن على السدرة وروى
عنه انه قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا يسبح الله تعالى وفى ابهام ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها من الخلائق والغشيان يكون
بمعنى التغطية والستر ويكون بمعنى الاتيان ايضا وهو المناسب ههنا ق وقيل يغشاها الخ عطف على معنى قوله ما يغشاها بحيث
لا يكتنفها نعت واختلفوا فيما يغشى السدرة وقيل هو فراش من ذهب او هو الملائكة الذين يعبدون عندها وقيل يغشاها الزوار
الله تعالى لان النبى لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار الالهية عليها لكن السدرة كانت اقوى من الجبل وابقى فجعل
الجبل دكا ولم تحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد ق ولعله شبهت بالسدرة كانه جرى على مقال العالم العلوى ليس فيه شئ
مما في هذا العالم فلا يكون فيه شجرة النبوة وهى شجرة الصنوبر فدنى ثم لان التدلى سبب للدنو فلا يتفرع على الدنو بل الدنو يتفرع عليه قوله
الدنو ان التدلى هو الاسترسال مع التعلق وجعله ههنا بمعنى التعلق الذى هو متفرع على الدنو وروى ان الامام الواحدى انه قال تقديره
ثم تدلى فدنى من محمد حتى صار بعد ما بينهما قدر القوسين جاء على التقديم والتاخير وقيل دنى قصد القرب منه وتحول من المكان الذى
كان فيه فتدلى ثم اى فنزل اليه لان التدلى وان كان بمعنى الامتداد من علو الى سفل يستعمل ايضا فى النزول بالانتقال عنه قوله كقولك هو منى معقد
الازار المجمل اسم كان ضمير جبريل لزوم منه ان يحكم عليه بانه قاب قوسين اى قدرهما والشخص لا يكون مقدارا فأول بانه من قبيل قولك هو منى
معقد الازار في كونه عبارة عن غاية القرب فان اصل الكلام ان يقال فكان قرب جبريل من محمد مثل قرب احد القوسين بالآخر في المقدار
واداة التشبيه للمبالغة في بيان قربه منه كما يقال هو منى معقد الازار والاصل ان يقال قربه منى واتصاله بى كاتصال معقد الازار فعدل
عنه الى هذه العبارة لقصد المبالغة ق او المسافة بينهما عطف على قوله جبريل والقاب المقدار وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب
في التيسير كانت عظماء العرب اذا ارادوا تاكيد عهد وتوثيق عقد ولا يرفض احد المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما على انهما وقبضا
ونزعا هما جميعا ورميا عنهما سهما واحدا يشيران بذلك الى الاتحاد الكلى والاجتماع الاصلى فكان بعد ذلك رضى احدهما رضى الآخر
وسخط احدهما سخط الآخر فكانهما قالا اكدنا المحبة بيننا والتزمنا القربة فمقبولك مقبولى ومردودك مردودى وفي معالم التنزيل
معناه كان بين جبريل ومحمد مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كانه غلب الوتر على القوس وهذا اشارة الى تاكيد
القرب ق او ادنى على تقديركم يعنى ان كلمة او فيه للشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك في مواضع من القرآن اى لو رآهما راء منكم لقال
هو قدر قوسين في القرب او ادنى ولا التبس عليه مقدار القرب كما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فانه تعالى عالم
بمقادير الاشياء لكن خاطبنا على ما جرت بعادة المخاطبين بيننا ق وفيه تفخيم للموحى به اعنى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى على تقدير
ان يكون المنوى في كل واحد من الفعلين ضمير جبريل تفخيم لما تقرر من التعريف بالموصول قد يكون للتفخيم كما في قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم
اى الذى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره ق وانما لم يجعل ان يكون المنوى في الفعل الاول ضمير جبريل وفي الثانى ضمير البارى اى فاوحى
جبريل الى النبى ما اوحى الله تعالى اليه ق الضمائر كلها لله تعالى اى ثم دنى الله تعالى من محمد الى آخر الآية وكنا موصوفا شديد القوى هو الله تعالى
كقوله الرحمن علم القرآن والقوى جمع قوة فلذا فاستوى فظاهر ان معناه ثم فاستوى القرآن في صدره اى في صدر محمد حين علمه
ربه اى في صدر جبريل وقيل المعنى ثم دنى محمد من ربه دنو المرتبة والمنزلة واعطاه المنية النبوة واجابة الدعوة لا بالمكان والمسافة
كقوله تعالى فانى قريب اجيب فتدلى اى هوى للسجود فكان قاب قوسين وتمثيل لكمال دنوه من ربه على اصطلاح العرب فان الحبيبين
والخليلين في الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفا والمودة الصافية قوسيهما يريدان بذلك ان كل واحد منهما يحامى عن صاحبه فاوحى الله

الى عبده محمد ما كذب فؤاد محمد فيما رأى وروى انه قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى ق من صورة جبريل او الله تعالى اشارة الى اختلاف الواقع
بين ضلال الامة في انه هل رأى ربه ليلة الاسراء ام لا فانكرت عائشة وقالت من حدث ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قالت ان المرئى في قوله
ما كذب الفؤاد ما رأى هو صورة جبريل حيث قالت ولكن رأى جبريل في صورته مرتين ووافقها ابن مسعود في المرئى هو جبريل
وذهب جماعة كثيرة الى ان المرئى هو الله تعالى وانه رأى ربه ثم انهم اختلفوا في انه هل رآه بعين قلبه وبعين رأسه فقال بعضهم جعل
بصره في الفؤاد فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين وقال الحسن عن عكرمة رأى محمد ربه بعين رأسه وروى عكرمة
عن ابن عباس انه قال ان الله اصطفى ابرهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا على سائر الانبياء والمرسلين بالرؤية
واعلم ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة لان دليل الجواز غير مختص برؤيته في الآخرة لان مذهب اهل السنة انها بالارادة لا بقدرة
العبد فاذا حصل الله العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالارادة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى
قادر على ان يحصل مدرك المعلوم في البصر كما قدر على ان يحصل بخلق مدرك المعلوم في القلب المسئلة مختلف فيها بين الصحابة
والاختلاف في الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز قوله تعالى ما كذب الفؤاد قرأه هشام وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها
وما الاولى نافية والثانية موصولة والعائد محذوف ومحلها النصب على انها مفعول كذب المشددة وعلى نزع الخافض في قراءة
التخفيف ايما كذب الفؤاد في الذى رآه بالبصر فان قال الفؤاد ان الذى يراه بصرك ليس بصحيح وان الصورة المرتسمة باعمال
حاسة البصر ليس مطابقة لمنشأ الارتسام كما اذا ارتسمت صورة الآل في شبح الانسان المرئى من بعيد وقال الفؤاد في حق الصورة
المرتسمة في حس المشترك لا اعرفك حقا مطابقا للشبح المرئى لكان كاذبا لانه قد عرفها حقا واعتقد كونها مطابقة للشبح فالمكى
من خفف كذب جعل ما موضع النصب على نزع الخافض واسقاطا اى ما كذب فؤاده بما يكبر عقاب من الذنوب وجعل الفواحش
اخص منها وفسره بما فحش قبحه من الكبائر فيكون عطف الفواحش على الكبائر بالتغليظ والمبالغة على بابها وهو في النظم كعطف جبريل
وميكائيل على الملائكة في المدح كانه قيل والفواحش منها خاصة الا ما قل وصغر يعنى ان اللمم الصغير من الذنوب من الم بالمكان اذا
نزل لا من غير لبث طويل ويقال الم بالطعام اذا قل اكله منه وكان عليه السلام يقول ان تغفر اللهم اغفر جما واى عبد لك لا الما فيكون الاستثناء
منقطعا لان اللمم هو الصغير من الذنب لا يدخل تحت الكبائر والفواحش والمعنى لكن اللمم قد غفره الله تعالى فان الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر قال تعالى هو اعلم بكم يحتمل ان يكون متعلقا بقوله هو
اعلم بمن ضل وبمن اهتدى تقريرا للاحاطة علمه باحوال الفريقين فيكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم عليه ظاهرا
فانه تعالى لما قال نحن اعلم باحوال الفريقين ونجازيهم على حسب استحقاقهم كان ذلك مظنة ان يقول بعض الكفرة نحن نعلم امورا
نجوى في الليل المظلم في البيت الخالى فكيف يعلم الله فرداه الله تعالى وقرر احاطة علمه بها بقوله هو اعلم باحوالكم منكم حيث يعلم احوالكم ابتداء
خلقكم وحين صوركم في الارحام فكيف لا يعلم من احسن منكم ومن اساء ويحتمل ان يكون متعلقا ليجزى الذين اساؤا واحسنوا
وتاكيدا لامر الجزاء فانه تعالى لما قال ليجزى كلا من الفريقين كان مظنة ان يقول من انكر الحشر والجزاء لان امر الجزاء يقتضى ان يحشر
من في القبور ويجمع اجزاؤهم المتفرقة بحيث لا يختلط شئ من اجزاء البعض باجزاء الباقين وذلك غير ممكن فرداه الله تعالى وقرر
احاطة علمه بجميع احوالهم فيعلم تفاصيل اجزاء كل شخص فيعيدها الى بدنه فيكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم على ما قبله
كونه نتيجة لعلمه بتفاصيل الاجزاء والمعنى فلا تزكوا انفسكم من العذاب ولا تقولوا تفرقت الاجزاء بحيث امتنع جمعها

فلا خرو الاجزاء فانه العالم بكم عند الانشاء وعالم بكم عند الاعادة والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد ما دام
في بطن امه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن امه لا يسمى الا ولدا او سقطا فان قيل اذا كان الجنين
اسما للولد ما دام في بطن امه فما فائدة قوله في بطون امهاتكم قلنا فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فان بطون
الامهات في غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شيء من احواله واختار الحسن البصري كونه متعلقا بقوله
هو اعلم بمن ضل حيث قال علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم ولا تطهروها عن الآثام ولا تمدحوها
بحسن الاعمال لان كل واحد من التخلية والتحلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فلا حاجة
الى التزكية ق خلقكم من التراب بخلق آدم منه او بخلق كل واحد منكم من التراب فان اصل كل واحد منكم من التراب لانه
اصل كل واحد من بني آدم من حيث انه يصير غذاء ويصير الغذاء دما ويصير الدم نطفة والنطفة انسانا ثم انه تعالى امره
بالاعراض عمن تولى وعلل الامر المذكور باحاطة علمه بمن ضل واهتدى وانه يجازي كل واحد على حسبها ثم فرع قوله افرأيت
الذي تولى تعجيبا من حاله وانكارا عليه جهله وتخلفه عن اعطاء ما التزمه ق من قولهم اكدى الحافر يعني ان اصل الاكداء ان يحفر
الحافر فيبلغ الكدية فيمتنع عن الحفر لتعذره عليه ثم استعير لكل ما تعذر على الانسان وقيل ارايت بمعنى اخبرني ولعنده علم الغيب
مفعوله الثاني اي اخبرني ان هذا المعطي المكدي هل عنده علم ما غاب عنه من احوال الاخرة وهو ان صاحبه يحمل عنه اوزاره على ان
ذلك يعني يعلم حذف مفعوله لدلالة المقام عليه ما قوله تعالى ام لم ينبأ اي لم يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التوراة وفي الكواشي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه انزل على ابرهيم عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف قبل التوراة وام منقطعة اي بل الم ينبأ اضرب عن انكاره ان يكون عنده علم الغيب
الى تقرير انه جاهل لم يخبر بما في الصحف ق وابرهيم عطف على موسى اي وبما في صحف ابرهيم والجمهور على تشديد قوله وفى للتكثير والمبالغة
في الوفاء بما التزمه وبما عاهد الله تعالى عليه بالعزم بما امره الله على التمام او هو بمعنى وفى في الجوهري وفاه حقه ووفاه بمعنى اعطاه تاما وافيا ومن
جملة وفائه بما عاهد الله ان عهد ان لا يسأل مخلوقا فاتاه جبرئيل حين القاء في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا يوتا ضيفا اي يطلب
يقال ارتعاه ارتياه اي طلبه ق وتقديم موسى مع ان ابرهيم متقدم عليه في البعثة فلذلك تقدم في قوله صحف ابرهيم وموسى ثم انه بين ما
في صحفهما فقال الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ومعناه لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفيه ابطال قول من ضمن للوليد
ابن المغيرة ان يحمل عنه الاثم روي عن ابن عباس انه قال كانوا قبل ابرهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته
وعبده حتى جاءهم ابرهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وان في ان لا تزر هي المخففة واسمها محذوف وهو ضمير الشان
والتقدير انه الشان لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى فان قيل الآية مسوقة لبيان ان وزر الرجل لا يحمل عنه ونظم الآية لا يدل عليه لان النفس الوازرة
مثقلة بوزرها فكيف بالاخرة على الوجه الذي بينته الرسل فهم لا يؤمنون بحقيقة الآخرة بل بما يزعمونه الاخرة وقرئ بها اي وقرئ
ما لهم به من علم بدله به فيكون ضميرها اما للملائكة او للتسمية على حذف المضاف اي ما لهم باثرته الملائكة او بمطابقة التسمية لهم من علم
فانهم جاهلون بكل واحد من الامرين معتقدون اعتقادا لا يطابق الواقع فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم فسر
الحق بحقيقة الشيء وهو ما عليه الشيء في نفس الامر وحكم بانها لا تدرك الا باليقين اشارة الى ان المعارف قسمان حقيقية واعتبارية والحقيقية
هي الاحوال الثابتة للاشياء في انفسها مع قطع النظر عن جعل جاعل واعتبار معتبر وهي التي يخبر عنها اهل الحكمة والاعتبارية هي المباحث
المنوطة بالجعل والاعتبار كالمباحث الشرعية والعرفية والاولى لا يتوصل اليها الا بالعلم واليقين بخلاف الثانية فان الظن يغني فيها
عند عدم الوصول الى اليقين فان قيل كيف يصح ان يقال الظن لا يغني شيئا من المعارف الحقيقية مع انه قد يصيب ويتعلق بحقيقة الشيء

وما هو

١٨

وما هو عليه في نفس الامر فالجواب نعم ان الظن قد يتعلق بالحق الا ان الواجب على المكلف في المطالب الاعتقادية التيقن بما هو حق ولا يكفي الظن به فالظان
بالوحدانية مثلا لا يغني من الحق ولا يثاب مثابه ولا ينفع صاحبه ولا ينزل منزلة الحق لان المحق من تيقن بالحق وجزم به والظان بالوحدانية
لا يغني موحدا ثم انه تعالى لما ذكر انهم تركوا الهدى الذي جاءهم من ربهم واتبعوا الظن وما تهوى الانفس فرع عليه قوله فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا اي عن كتابنا ووعظنا فلم يصدقه ولم يقبله وقيل عن ذكرنا بالوحدانية وصفات العظمة والكبرياء ثم جهلهم وصغر رايهم فقال
ذلك مبلغهم من العلم فان امر الدنيا وما يتمتع به فيها اخس الحظوظ واوضعها لا يقصر احد من العقلاء عليه ذهنه الا اخلاق البهائم التي لا ترغب
الا في الحاضر الفاني قيل كلما في القرآن من قوله تعالى فاعرض منسوخ باية القتال ورد بان الامر بالقتال لا ينافي الامر بالاعراض عن الدعوة
وانما ينافيه ان لو كان المراد بالاعراض الاعراض عنهم بالكلية وليس كذلك بل المراد به الاعراض عن دعوتهم الى الايمان باقامة الدليل والبرهان
فانه تعالى امر رسوله اولا بدعوتهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امره بازالة شبهتهم والجواب عن اباطيلهم بان قال له
وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع ذلك قال له اعرض عنهم ولا تشتغل باقامة الدليل والبرهان اذ لم يبق سبيل الى معالجتهم بالغذاء الصالح وبالدواء
النافع ولم يبق في الاخر موضع الفساد ولم يسر فساده الى الموضع فقاتلهم واقطع دابرهم لئلا يتعدى داؤهم الى الصالحين ولا ينفع الفساد
في الامة فلما كان الاعراض عن دعوتهم الى الايمان شرطا لجواز المقاتلة حين لم يكن احدهما منافيا للآخر باستحالة وجملة اعتراض
حيث تخللت بين الامر بالاعراض وتعليله وهو علة لما دل عليه ما قبله بمعنى ان قوله تعالى ليجزي متعلق بمحذوف هو الذي خلق العالم دل عليه
قوله ولله ما في السموات وما في الارض فان اللام فيه للملك والملك انما يكون بالخلق ويجوز ان يكون المحذوف ليميز الضال من المهتدي
الذي هو مدلول قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فقوله ولله ما في السموات وما في الارض معترضة جيء بها للتاكيد
للجزاء وتقريره ميز احد الفريقين عن الآخر ليجازي كل احد من آحاد الفريقين بما يليق به من الجزاء او باحسن من اعمالهم مقابل
بقوله انها او بمثلها فان جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ومن جاء بالحسنة فله عشر امثالها والحسنى الاولى صفة المثوبة لان الحسنى على الاول
منها من قبيل زيد الافضل وعلى الثاني زيد افضل من عمرو والحسنى على الثاني صفة اعمالهم قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر يجوز ان يكون منصوب
المحل على انه بدل او نعت للذين احسنوا او بتقدير اعني ويجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين فان قلنا
للاشعار بان ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات او بترك الواجبات ينبغي ان يستمر عليها المؤمن ويجعل الاجتناب عنها
دابا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب مرة ثم انهمك عنها في باقي زمانه لا يستحقها بخلاف الحسنات المطوع بها
فان من اتى بها ولو مرة يوجر عليها فقوله الذين يجتنبون على جميع التقادير يدل على ان المحسن هو الذي لا يسيء ولا يرتكب
القبيح الذي فحش قبحه واتضح فالذين احسنوا هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى وبهذا تبين المسيء والمحسن لان من لا يجتنب الكبائر
يكون مسيئا والذي يجتنبها يكون محسنا فان قيل الكبائر جمع كبيرة وهي صفة فما موصوفها قلنا انها صفة الفعلة كانه قيل
الفعلات الكبائر من الاثم قيل لم اختصت الكبائر بالذنوب في الاستعمال وما المانع من ان يقال فعلات كبائر للحسنات قلنا الحسنة لا تكون
كبيرة لانها اذا قوبلت بما يجب له من العبادة مقابلة نعم الله تعالى يكون في غاية الصغر ولولا ان الله عز وجل يقبلها لكان هباء ضائعا
بخلاف السيئة فانها من عبد الذي انعم الله عليه بانواع النعم تكون كبيرة كبائر الاثم معناه الكبائر من الاثم فان الاثم اسم جنس
يدخل تحته الكبائر والصغائر وقد تعدان المضاف اليه كان جنسا للمضاف تكون الاضافة بمعنى من كخاتم فضة وقرا الكسائي كبير الاثم قال
لقد رأى من آيات ربه تنبيها على ما ذكر هنا من الآيات الكبرى فهو ايضا للصلة والفوايح وتحقيق للدراية والرواية
ثم عطف قوله افرايتم على افتمارونه وادخل عليه الهمزة لزيادة الانكار فانه اذا تبين عظمة الله في ملكوته وان رسول الله المرسل

سيد الآفاق بعقل جنحة ديها كل المداس بشدة وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته فقد تحقق وانتفى ان ما
ذهبوا اليه من ان هؤلاء الاصنام شركاء لله وبناته مع خستها وحقارة شأنها منكر غاية الانكار اى انكم مع ماراتكم فيما ليس عظمة من اخبرونى
هل هؤلاء الا خسا بنات الله تعالى والغرض التهكم بهم والتنبيه على انه نحن نجزيهم وان من بلغه في الضلال الى ان معتقده مثل هذا لا يبعد منه
ان ينسب نبوة الى درجة الرشاد والسداد الى الضلالة والغواية وانما عاره معه فيما اتضح كتاب عليهم ق فان فعلى بالكسر ليات وصفا فان
الصفات فالمؤنث الاتاتى الا فعلى بضم الفاء كحبلى بالكسر الا في بناء الاسماء كالشعرى والدفلى وفي الصدد كالذكرى فقط ولان اصل ضيزا بضم الفاء
من منازة فى الحكم يحيص ضيزا اى جاد وضائرة حقه اى بخسه نقصه ثم كسروا الضاد لتسلم الياء كالكسر والباء من بيض اصله بيض مثل اسود وسود
ولو بقيت الضمة على حالها او ابدلت الياء واوا لزم اختلاط الكسرة والياء اخف منه والواو مع عدم اللبس في ليس الصلا الصفات فعلى بالكسر
ق على انه مصدر نعت به كالذكرى ولا يجوز كونه نعتا اصليا للامر انه ليس في الصفات فعلى ق اى ما هى باعتبار الالوهية اى ما هى باعتبار ان يعبر عنها
باسم الالهة الا اسماء عارية عن مدلولاتها كما اذا اردت ان تحقر من هو يلقب بما يشعر مدحا تقول ما هو الا اسم وكذا اذا كان ضميرهى للصفة
او للاسماء يكون المعنى ما ذكر فان قيل الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قيل سميتموها قلنا اشار المص الى جوابه بقوله الا اسماء تطلقونها
عليها سميتموها بمعنى ذكرتموها واطلقتموها عليها يقال سميت زيدا بمعنى ذكرته بهذا الاسم فان الاصنام باعتبار الالهة وكذا الصفات التى
يصفون بها الاصنام والاسماء التى يسمونها اسماء يطلقونها على الاصنام اطلاقا عاريا عن مدلولاتها كانه قيل وما هذه الاسماء الفاظا الا
اطلقتموها عليها بهواكم وتخيلاتكم ليس لكم على صحة اطلاقها عليها برهان يتعلقون بها فى قوله تعالى سميتموها انتم بقوله سميتم بها
اشارة الى ان انتم تأكيد للضمير المرفوع المتصل وان قوله واباؤكم معطوف على ذلك الضمير ق وقرى بالتاء كما يقتضيه الظاهر لان المقام مقام
الخطاب الا ان العامة قرؤا بياء الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة تحقيرا لهم كانه قطع الكلام معهم وقال لنبيه انهم لا يتبعون
الا الظن فلا يلتفت الى قولهم لان من اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبينات الشافى لا يعد انسانا ولا يلتفت
وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى الظاهر انه حال من فاعل يتبعون الظن وهو النفس فحال ينافى ذكره هو مجى الهدى من عند
ربهم من الكتاب والرسل والبرهان الدال على بطلان ما اعتقدوه ق ام منقطعة ومعناها الاضراب عن اتباعهم التوهم الباطل
والهوى الى انكار ما هو اخص منه وهو ان يكون لهم ما يتمنونه من شفاعة آلهتهم وسائر متمنياتهم اى ليس للانسان كل ما يتمناه
والدليل عليه قوله تعالى وكم من ملك الى آخره ق وكثير من الملائكة اشارة الى ان كم خبرية للتكثير ومحلها الرفع على الابتداء وخبره
لا تغنى وجمع ضمير شفاعتهم مع افراد راجع الى الملك حملا على معنى كم دون لفظها وليس المعنى انهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه
انهم لا يشفعون لانه لا يؤذن لهم فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم واللام في قوله تعالى لمن يشاء متعلقة بالاذن وقول من قال
يجوز ان يراد به من يشفع من الملائكة ومن يشفع له من الناس والاظهر هو الظاهر لان الملائكة باجمعهم ماذونون بالشفاعة للمؤمنين
لانا الكل يستغفرون للمؤمنين فلا وجه للتخصيص ثم انه لما استدل على بطلان شفاعة الاصنام لعبدتهم بان اعظم اجناس
المخلوقات لا شفاعة لهم الا بالاذن فكيف يشفع اخص الموجودات من غير ان يؤذن لهم ان يقولوا نحن لا نعبد الاصنام لانها جمادات
وانما نعبد الملائكة لعبادتها فانها صور الملائكة فنضعها بين ايدينا لنذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملائكة لنتقرب الى الله تعالى
عليهم بقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع انكم تحقرون الاناث وتكرهونهن وقد علم الجواب
عن اصل اعتذارهم بقوله تعالى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يؤذن لهم ان يشفعوا لمن يشاء ان يشفع
لهم من المؤمنين ويراهم اهلا لان يشفعوا لهم ق تسمية الانثى منصوب بنزع الخافض اى كتسمية الانثى والجار والمجرور فى محل

النصب

14

النصب على انه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى اى ليذكرون الملائكة ذكر الذاكرين الاناث حيث يذكرونهم
بنات الله تعالى ق اى كل واحد منهم لما كان الظاهر ان يقال تسمية الاناث بدل الانثى لان المسمى الملائكة دون الملك اول الملك بكل واحد منهم
فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركب
الميت على قبره زعما منهم انه يحشر عليه اجيب عنهم بانهم كانوا يجزمون به بل ينكرون ويقولون لا حشر ثم يقولون فان كان فلنا شفعاء
بدليل انه تعالى حكى عنهم قولهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ايضا انهم لا يؤمنون بالآخرة فكل واحد يعلم
انها لا تحمل شيئا غير ذلك الذى عليها فلو قال لا تحمل فارغة وزر اخرى لكان اظهر واولى فالجواب ان المراد من الوازرة هى التى يتوقع
منها الحمل والوزر لا التى وزرت وحملت ثقلا وقوله تعالى وان ليس للانسان معطوف على ان لا تزر وازرة وان فيها هى المخففة من الثقيلة في
خبر ليس ق الا ما سعى اسمها اى الا سعيه يجوز ان يكون ما موصولة وقوله تعالى وان سعيه سوف يرى معطوف على ان لا تزر ايضا والمعنى ان
المذكورات كلها في الصحف وقوله تعالى يرى خبران وهو من رؤية العين والمراد بالنفى العمل كما في قوله تعالى ان سعيكم لشتى وعن ابن عباس
الحصر المستفاد من قوله تعالى ليس للانسان الا ما سعى وعلى منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فانه يدل على ان
الذريات يدخلون الجنة بعمل آبائهم وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابرهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ما سعوا اى عملوا وسعى لهم
غيرهم لما روى ان امرأة رفعت صبيا لها من المحفة فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال يا رسول الله ان امى افتلتت
نفسها اى ماتت فجاءة واظنها لو تكلمت لتصدقت فهل لى اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقى الدين ابو العباس
من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل فان الامة قد اجمعوا على ان الانسان ينتفع بدعاء الغير
وهو انتفاع بعمل الغير وايضا انه صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ثم لاهل الكبائر في الاخراج من النار
وهذا انتفاع بسعى الغير وكذا كل نبى وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير وايضا الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك
منفعة بعمل الغير وايضا انه تعالى يخرج طائفة من النار ممن لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع من غير سعيهم وايضا اولاد المؤمنين
يدخلون الجنة بعمل آبائهم وهذا انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت بالتصدق عنه وبالعتق عنه بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وانه
يسقط الحج المفروض عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرئة ذمة الانسان عن ديون الخلق اذا اقضاها قاض وذلك انتفاع
بعمل الغير وكذا الصلوة والدعاء فيهما ينتفع بها الميت وهو من عمل الغير ونظائر ذلك كثير لا تحصى والايات الدالة على اضعاف
الثواب ايضا كثيرة فلا بد من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فانه لاشتماله على النفى والاستثناء يدل على ان الانسان لا ينتفع
الا بعمل نفسه لا يجزى بها على عمل غيره الا على قدر سعيه ولا يزاد عليه وذلك يخالف الاقوال الواردة في انتفاعه بعمل غيره وفى
مضاعفة ثواب عمله في قوله تعالى وما جاء في الاخبارات جواب عن هذا الاشكال وتقرير الجواب ان معنى الآية ان الانسان لا ينتفع
بسعى غيره وعمله اذا عمل الغير لنفسه لم ينو ان يكون ثواب لغيره واما اذا عمل العامل ناويا ان يكون ثواب عمله لغيره فينتفع غيره
بثواب ذلك العمل لان العامل اذا نوى ان يعمل لغيره صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فلما كان العامل بمنزلة الوكيل
عن الغير صار سعيه وعمله بمنزلة عمل العامل بنفسه كما صار الغير منتفعا بعمل نفسه بهذا الاعتبار وكانه قيل وان ليس للانسان الا ما سعى
بنفسه حقيقة او حكما فان عمل الوكيل عمل الموكل حكما ق اى يجزى العبد سعيه بمعنى ان فعل الجزاء يتعدى الى مفعولين كما في قوله تعالى
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وقوله تعالى جزاء كما تقرر فاحد المفعولين في الآية هو المرفوع المستتر في يجزيه وثانيهما المتصل
البارز التقدير ثم يجزى الانسان سعيه اى جزاء سعيه فحذف المضاف وجزاء الاوفى منصوب بواسطة حرف الجر عدى اليه الفعل

بنزع الخافض ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا مبينا للنوع ويجوز ان يكون الهاء في جزاه ضمير الجزاء الاوفى ومفعولا مطلقا مبينا للنوع ويجوز ان
تكون الهاء في جزاه ضمير الجزاء المدلول عليه بيجزى فيكون منتصب المحل على انه مفعول مطلق ليجزى فلا يكون الجزاء الاوفى مفعولا مطلقا
ايضا لان الفعل الواحد لا ينصب مصدرين بل يكون بدلا عنه او عطف بيان او منصوبا بتقدير اعني قوله وقرئ بالكسر العاشر على فتح
الهمزة من ان وما عطف عليها بمعنى ان الجميع في صحف موسى وابراهيم وقرئ بكسر الهمزة في الجميع على انه ابتداء كلام لبيان ان انتهاء رجوعهم الى موقف
حساب الله تعالى فيجازيهم باعمالهم والمصدر بمعنى الانتهاء قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى قيل معناه ان ما يعمل الانسان فبقضائه وحكمه
وخلقه حتى الضحك والبكاء وقال الكلبي اضحك اهل الجنة بفضله وابكى اهل النار بعدله وسخطه وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى
السماء وقيل اضحك قوما عند الموت بالاء وابشروا وابكى قوما عنده باسماع لا بشرى لكم يدفق في الرحم منى المني وامناه اي انزله
داراق وصبه واختار الاخفش يقول يخلق انه منى المنا اى قدر المقدار ومما يدل على كمال قدرة الله تعالى ان النطفة مع كونها جسما متشابه
الاجزاء يخلق الله تعالى منها الذكر والانثى والاعضاء المختلفة والطبائع المتباينة ثم انشاه بعد ما خلقهم اولا من نطفة كما يخلقهم ثانيا
من تراب وان عليه النشاة الاخرى وانما قال عليه لانه فاعل الاحياء على ما يقتضيه حكمه ثم قال هو اغنى اى اعطى ما يغنيه عن الغير واقنى
اى اعطى القنية وهي اسم لما يقتنى اى يدخر ويتخذ رأس مال زيادة على الكفاية والتاصيل التاصيل وما لحصول اى يتخذ اصل
مال يحفظ ويدخر بقصد الاستثمار على الكفاية وفي الصحاح اقتناء المال وغيره اتخاذه وفي المثل لا تقتن من كلب سوء جروا او
اقناه الله اى اعطاه ما يقتنى من القنية والشيء قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيتها قنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة واقناه الله ايضا
ارضاه تقول العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى الغنى ومن اعطى مائة من الضان فقد اعطى القنى ومن اعطى مائة من الابل فقد اعطى المنى قوله يعني العبور
اشارة الى ان الشعرى شعريان احدهما الشعرى الشامية ويسمى ايضا الشعرى العبور وثانيهما الشعرى الشامية ويسمى ايضا الشعرى الغميصاء فصلت
المجرة بينهما تزعم العرب ان المجرة ولقيت سهيلا واقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور والغمص
في العين ما سال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا قوله ولذلك كانوا يسمونه ابن ابي كبشة لا يريدون به ذلك تشبيهه به اليه
وان كان الامر كذلك بل يريدون به موافقته اياه في ترك عبادة الاصنام واحداث دين جديد وكان ابو كبشة الخزاعي جد رسول الله من قبل امه
لانه عبدها وقال لا ارى شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها وليس شيء مثلها فعبدها وعبدتها خزاعة ولم يزل ان القوم
مربة فاعبد داربه ثم انه لما خالف العرب واظهر بينهم دينا جديدا شبهوه في خلافه اياهم بابي كبشة وسموه بذلك وسموه بذلك
بخلافه اياهم كخلاف ابي كبشة العرب في عبادة الشعرى قوله لانهم اول امم هلاكا بعد الطوفان اشارة الى انه ليس هناك عادان احدهما اقدم من
الآخر حتى يكون وصف احدهما بالاولى للاحتراز عن عاد الاخيرة بل ليس هناك الا عاد واحدة وهم اعقاب عاد ابن عوص بن ارم بن سام
بن نوح وهم قوم هود اهلكهم الله بريح صرصر عاتية والمراد باوليتهم تقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك من هلك بعد قوم نوح
وقيل كان بعدهم عاد اخرى سواهم فلهذا سماهم الله تعالى عادا الاولى وهو قول المص وقيل عاد الاولى هم قوم هود وعاد الاخرى ارم قال
الكشاف في تفسير سورة الفجر قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم
تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرة فارم في قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة انتهى كلامه وهو
وان كان موافقا لما نقله المص من ان العاد عاد الاولى والاخرة الا انه مخالف له من حيث ان ارم هي الاولى على هذا القول وهي اخرى على ما نقله
المص قوله وقرئ عادا لولى اعلم انه قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بكسر التنوين وسكون لام التعريف وتحقيق الهمزة بعدها
على الاصل فان التنوين ان وقع بعدها ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد وقد يحذف التنوين تشبيها له بحرف العلة كما في

في قراءة

في قراءة من قرأ احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا هذا في الوصل فاذا وقفوا على عاد وابتدأوا بالاولى
فقياسهم ان يقولوا الاولى بفتح همزة الوصل وسكون وتحقيق الهمزة وهم صرفوا عادا لانه اسم للحي والاب ... وامالة
وان كان مؤنثا اسما للقبيلة الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه وقرأ قالون عاد لولى بادغام التنوين في لام التعريف
بعد نقل همزة اولى الى لام التعريف بعد حذف الهمزة للتخفيف وابدال واو اولى همزة فانه لما قصد التخفيف بالادغام نقل حركة
الهمزة الى اللام وان لم يكن النقل من صلته ولما نقل الحركة الى اللام اعتد بتلك الحركة الى لا يمكن الادغام في ساكن ولا فيما هو في حكم الساكن
وقرأ ورش وابو عمرو عادا لولى بادغام التنوين في اللام بعد طرح الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف كقالون الا انهما ابقيا الواو
على حالها غير مبدلة همزة وروى المص قراءة اخرى وهي ان يحذف همزة اولى بعد نقل حركتها الى اللام ويحذف همزة الوصل استغناء
عنها بحركة اللام وان لا يدغم التنوين في لام التعريف لعدم الاعتداد بحركتها فان العرب اذا نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها كلام
التعريف مثلا يجعله في حكم الساكن ولا يعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين وان كان قبلها همزة
وصل لا يستغنى عنها فتقول لم يذهب لحمر ورايت زيادا لعجم من غير ادغام التنوين في اللام والحمر والعجم بهمزة الوصل لكون اللام في حكم
الساكن يتراه عاد الاولى مبنية على الاصل عطف على عاد فيكون منصوبا باهلك ولا يجوز كونه منصوبا بقوله فما ابقى لما تقرر من ان ما
بعد النفي لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى والمؤتفكة اهوى ايضا معطوف على عادا اى واهلك المؤتفكة وهي قريات قوم لوط ومفعول
اهوى محذوف وهو ضمير المؤتفكة اى اسقطها من السماء بعدما رفعها اليه على جناح جبرئيل يقال افكه وانفك اى قلبه انقلب يجوز
ان يكون المؤتفكة منصوبا باهوى والمنوى به في قوله تعالى فغشاها ضمير البارى عز وجل الى ما المؤتفكة ما البس من العذاب
من جملة ما امطر عليهم من الحجارة المنضودة المسومة فمفعولاه مذكوران احدهما ضمير المؤتفكة وثانيهما قوله ما غشى والمنوية
قوله ما غشى ايضا ضمير البارى ومفعولاه محذوفان احدهما ضميرها والثاني ضمير المؤتفكة فغشاها الله ما غشاه اياها قوله نذير من جنس
الانذار ان جعل النذير مصدرا بمعنى الانذار على تقدير كون هذا اشارة الى القرآن لان القرآن انما يتعلق به الانذار باعتبار
اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذبين ولا شك ان اقتصاصها ليس بنذير بل هو انذار وتخويف بخلاف الرسول فانه منذر للمرسل الاول وتانيث
الاول على تقدير كونه صفة للنذير بمعنى منذرين لكون النذر بمعنى الجماعة اذ لا وجه ان يقال من جنس المرسلين الاولى لا بد من
التاويل قوله دنت الساعة الموصوفة بالدنو يعني ان الازفة صفة المحذوف هو الساعة او القيامة وان اللام فيها للعهد
فلذلك صح الاخبار عنها بالدنو اذ لو كانت للجنس لما صح اذ لا فائدة في ان يقال قرب جنس القريب فان قلت الاخبار بقرب
الازفة المعهودة لا فائدة فيه ايضا قلت لا نسلم ذلك لانه انما لا يفيد واذا كان الكلام مخرجا على مقتضى الظاهر وليس كذلك بل هو
مبني على تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم ويجوز ان يكون المعنى القيامة التي لك بالازفة فهي ازفة
في نفس الامر فكيف لا تستعد لها ليس لها نفس قادرة على كشفها اى على ازالتها الكلية وعلى الثاني يكون الكشف بمعنى الازالة ايضا
الا انه لا يكون بمعنى الازالة بالكلية بل يكون بمعنى التاخير الى امد بعيد وعلى الثالث يكون بمعنى التبيين والاعلام اى ليس
لها نفس مبينة تبين انها متى تقوم فتر السمود بثلثة اوجه الاول كون الانسان لا يعبأ به قال الشاعر الا ايها
الانسان انك سامد كانك لا تفنى ولا انت هالك والثاني الاستكبار والثالث الغناء قال عكرمة السمود هو الغناء
بلغة اهل اليمن وكان الكفار اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا ليشغلوا الناس عن استماعه سورة القمر بسم الله الرحمن

الرحيم

قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت
ليلة البدر فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان اشهدوا وحديث انشقاق القمر رواه جماعة كثيرة
من الصحابة وقول من قال سينشق يوم القيمة الا انه قيل انشق بلفظ الماضي لتحقق وقوعه قول مخالف للاجماع روي عن عبد الله بن
مسعود انه قال ما وعدنا رسول الله من اشتراط الساعة كلها قد مضى الا اربعة طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض وخروج
الدجال وخروج ياجوج وماجوج وقال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر وهذا صريح في ان كل واحد من النصفين ذهب
من موضع القمر روي عن ابن عباس انه قال ذهب احد النصفين عن موضع الآخر وبقي النصف الآخر في موضعه واول هذه السورة
مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الآزفة فكانه تعالى اعاد ذلك مع الدليل فان انشقاق القمر من علامات نبوته ونبوته
وزمانه من اشتراط الساعة وايضا من ينكر خراب العالم يقول ان الافلاك وما فيها من الكواكب لا يقبل الخرق والالتيام فاذا
انشق بعضها ثبت بطلان ما قالوه فعلى هذا يجوز ان يراد باقتراب الساعة استبعاد الاذهان والعقول لوقوعها
لاقتراب وقوعها قوله وان يروا مرفوع بالعطف على قوله ويؤيد الاول اي ويؤيد وقوع الانشقاق في عهده قوله تعالى
وان يروا آية يعرضوا وجه كونه مؤيدا انه كلام مسوق لزمهم بان حالهم فيما يستقبل كحالهم فيما مضى وهو الاعراض عن اذا او
تامل الآيات والاهتداء بها الى الحق الصحيح والنظم بهذا الطريق انما يحسن اذا قبل آية عظيمة واعرضوا عنها ولم يرفعوا
اليها راسا والتنكير في قوله آية للتعظيم اي وان يروا آية عظيمة وعلامة قوية كانشقاق القمر يعرضوا انتهى قوله مطردا
اي دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد اخرى يريدون بترادف المعجزات التي نسبوها الى السحر فانه كان لم ياتي
في كل زمان بمعجزة قولية او فعلية ارضية او سماوية فقالوا هذا سحر مستمر اي دائم لا يختص تعلقه بشيء دون شيء
ولا زمان دون زمان بخلاف سائر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلثة ويعجز عن غيرها وهو قادر
على جميع الامور في جميع الازمان قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد فقال بعضهم ان كان سحرنا فانه لا
فاصبروا حتى تنظروا الى السفار والقادمين فلما قدموا سألوهم ذلك فاخبروا انه قوله او محكم معطوف على مطرد والمرة القوة والشدة فالسحر الذي يؤثر في الاجرام العلوية كما
يؤثر في الاجرام الغلية يكون قويا مستحكما يقال حبل مرير الفتل اذا اشتد فتله ويحتمل ان يكون قوله مستمر من المرارة بمعنى سحر
مستبشع وان يكون المرور يقال مر يمر مرا ومرورا اي ذهب استمر مثله ويقال امر الشيء اذا صار مرا وكذلك مر الشيء يمر بالفتح مرارة
فهو مر واستمر مثله على ان استفعل بمعنى فعل كما هو استطان وتروم مستقر فقولهم انه سحر مستمر اي مار ذاهب معنى عن منهم لانفسهم وتعليل
لها واطماع في غير مطمع قوله وذكرها بلفظ الماضي مع ان الظم ان يقال وكذبوا ويتبعوا لكونها معطوفين على قوله يعرضوا ويقولوا قوله تعالى
كل امر مستقر الجمهور على كسر القاف مستقر ورفعه على انه خبر كل الواقع مبتدا وفيه المص بقوله منتهاه غاية اشارة الى ان الاستقرار
كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان لكل امر غاية في الدنيا وكذا في الآخرة ينتهي اليها لا محالة فاذا انتهى اليها يستقر ويتم
امره ويتبين حاله فامر رسول الله سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته وكذا كل امر تكذيبهم فالآية وعيد للمشركين
ووعد للرسول والمؤمنين ونظيره قوله تعالى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ان كل نبأ وان طالت مدته فلا بد ان ينتهي غايته وينكشف حقيقة
من الحقية والبطلان قوله وقرئ بالفتح اي بفتح القاف على انه مصدر ميمي بمعنى الاستقرار فلا بد من تقدير المضاف
وقرئ بكسر القاف وجر الكلمة ايضا فيكون كل امر مرفوعا بالعطف على فاعل اقتربت وهو الساعة ثم انتهى بعدما اوعد كفار مكة

بخذلانهم

19

بخذلانهم في الدنيا وشقاوتهم في الآخرة ووعد الرسول والمؤمنين بالنصرة في الدنيا والسعادة في الآخرة امر رسوله بان يتولى عن دعوتهم
ومناظرتهم بالحجة والبرهان وفرع الامر بالاعراض على قولهم جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر فما تغني النذر تعليلا للامر المذكور
والانباء هي الاخبار العظام فان النبأ والانباء لم يرد في القرآن الا لما وقع وشان عظيم والزجر المنع والنهي وازدجر افتعل اصله
ازتجر وقد تقرر ان تاء الافتعال اذا وقعت بعد الزاء والذال والدال تقلب دالا لان الزاء حرف مجهور والتاء حرف مهموس فتقلب
حرفا يناسب الزاء في الجهر ويناسب التاء في المخرج وهو الدال فيصير ازدجر والمزدجر في الآية مصدر ميمي بمعنى الازدجار بمعنى الزجر فانه
بناء افتعل وان شاع كونه لمطاوعة فعل نحو جمعته فاجتمع الا انه قد يكون بمعنى فعل نحو مدحته وامتدحته وهذا هو المناسب في هذا المقام
فقولنا زجره وازدجره بمعنى واحد اي نهاه ومنعه عن السوء وارتفاع مزدجر يجوز ان يكون على الابتداء وفيه خبره وان يكون على انه
فاعل الظرف فيه لاعتماده على الموصول والموصوف فانه يجوز كونها موصولة وموصوفة فالجملة بعدها صلتها او صفتها قوله نفي او استفهام
اي يجوز ان يكون ما نافية فيكون معنى تغني مفعولا محذوفا اي فما تغني النذر شيئا وان تكون ما استفهامية بمعنى الانكار فيكون في
موضع النصب على انه مفعول مقدم تغني اي اي شيء تغني النذر اذا خالفهم اهل مكة وكذبوهم قوله ويجوز ان يكون الدعاء اي في البعث
والاعادة مثل كذا في التكوين ابتداء بان لا يكون ثم داعيا من اسرافيل وغيره بل يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية
بان تشبه سادسته وعدم تخلف مراده عن ارادته بترتب اجابة المدعو المطيع لدعاء الداعي المطاع من غير توقف وتردد كما قيل ان
امركن في الابداء والتكوين كذلك ومن قال ان الدعاء والنداء على حقيقته منهم من يقول ان اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت
المقدس ويدعو وينادي ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يامركن ان يجتمعوا لفصل القضاء
ومنهم من يقول ان اسرافيل ينفخ وجبريل عليه السلام يدعو وينادي بذلك وانما حذفت الواو من يدعو في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت
في الخط ايضا تبعا للفظ وحذفت ياء الداعي اكتفاء بالكسرة والنكر بضمتين صفة على فعل وقرئ بسكون الكاف كما في قوله تعالى شيئا نكرا
وكلاهما بمعنى المنكر والشيء الشديد الفظيع يسمى نكرا لان النفوس من تنكره وقرئ نكر بضم النون وكسر الكاف وفتح الراء على انه فعل مبني
للمفعول في موضع الجر على انه صفة لشيء وخاشعا حال من فاعل يخرجون قدمت على عاملها لكونه فعلا متصرفا في العمل قرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائي خاشعا ابصارهم وباقي السبعة خشعا والقراءة الاولى جارية على اللغة الفصيحة من حيث ان الفعل وما يجري مجراه اذا قدم
على فاعله الظاهر يفرد ويذكر والفعل اذا اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي جاز الحاق علامة التانيث بالفعل وتركها نحو طلع الشمس وقوله تعالى
فمن جاءه موعظة فكذا اذا اسند الى ظاهر الجمع مطلقا اي سواء كان جمع سلامة او جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقي التذكير والتانيث
كرجال ونسوة او مجازي التانيث كايام ودور وكذا واحد الجموع بالالف والتاء وتنقسم هذه الاقسام الاربعة نحو الظلمات
والزينبات قوله فالحكم والفرق بين الحكم المسند الى ظاهر هذه الجموع حكم المسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي في جواز الحاق التانيث وتركه
واما الحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندا الى الظاهر فغير فصيح الا على لغة اكلوني البراغيث فقراءة خشعا ابصارهم جارت على تلك اللغة فكذا اسماء
الفاعلين اذا اسندت الى جماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو خاشعا ابصارهم قوله وقرئ خاشعة على الاصل وهو ان لا يجمع مسند
الى ظاهر جمع وان يؤنث لكونه مسندا الى المؤنث وان كان تانيثها غير حقيقي ولم يجعل المص قراءة خشعا ابصارهم مبنية على لغة اكلوني البراغيث
لعدم الاحتياج الى حملها على تلك اللغة لانه انما يحتاج الى الحمل اليها فيما اذا كان المسند فعلا او ما اشبه الفعل ويجري مجراه وهو جمع السلامة
مثل قائمين غلمانهم وكريمين اباؤهم واما اذا كان المسند مما لا يشبه الفعل كجمع التكسير في مثل هذا المسند اولى من افراده ما لا يطابق
فاعله ولا محذور في كونه مخالفا للفعل في الحكم لانه لا يشبه الفعل فكذا خشعا ابصارهم وفتح قاعدين غلمانهم ولم يصح تعود غلمانهم الظ

ان لو تمنه تخرجون من الاجداث استيناف بيان عاقبة المتولي عنهم ان كان يوم منصوب بيخرجون ولبيان ما يكون في ذلك اليوم ان كان
منصوبا باذكر وقوله تعالى كانهم جراد في موضع الحال من فاعل يخرجون اي يخرجون مشبهين بالجراد وكذا مهطعين والاهطاع الاسراع
اي مسرعين الى جهة الداعي منقادين اذلا وقيل هو الاسراع مع مد العنق وقيل هو النظر الجوهري هطع الرجل اذا اقبل ببصره على
الشي لا يقلع عنه يهطع هطوعا واهطع اذا مد عنقه وصوب راسه واهطع في عدوه اي اسرع ثم انه تعالى ذكر بعض الانبياء فقال
كذبت قوم نوح قوله وهو تفصيل بعد اجمال يعني ان قوله تعالى كذبت قبلهم لا يقدر به مفعول بل ينزل منزلة اللازم اي فعلوا فعل التكذيب لا بد
من تعلق الاثنا اجمل ثم فصل بقوله كذبوا عبدنا فتكون الفا فيه للتعقيب الذكري كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب قوله وقيل معناه قيل ان الفا
ليس لعطف تفصيل الجملة على المجمل بل هي لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها في التحقيق والوجود وذلك بان يقصد تعلق قوله كذبت قبلهم
بالمفعول الان ذلك المفعول لم يذكر اما لقصد التعميم واما لكونه متعينا لدلالة القرينة عليه والمعنى كذبوا نوحا تكذيبا عقيب تكذيب او كذبوه
بعد ما كذبوا جميع الرسل فان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الصنم يكذب كل رسول وينكر الرسالة راسا ويقول
لا تعلق للباري تعالى بالعالم السفلي وانما امره الى الكواكب والاوضاع الفلكية فكان مذهبه تكذيب الرسل فلما بعث اليهم نوح كذبوه
ايضا على مقتضى ما ذهبوا اليه فتكذيبهم اياه تكذيب لعقيب تكذيبهم وقولهم في حقه هو مجنون مبالغة في تكذيبهم اياه حيث نسبوه
بالجنون زاعمين انه يقول ما لا يقبله العقل ويأباه وليس مرادهم انه مجنون حقيقة فانه مكابرة محضة قوله وزجر يعني ان قوله تعالى وازدجر افتعل
بمعنى فعل كما في قوله تعالى ما فيه مزدجر فيكون قوله وازدجر من كلام الله تعالى اخبر عنه بانه انتهروه وزجروه بالسب وانواع الاذية حيث قالوا لئن لم تنته
يا نوح لتكونن من المرجومين ويؤيد هذا المعنى ترتب قوله فدعا ربه عليه بالفاء اي لما زجروه عن دعوته وعن تبليغ رسالته اليهم دعا
ربه باني مغلوب وقوي كذبوني بانواع التكذيب وانواع الاذية على طول الزمان فانتقم لي ممن كذبني قوله وهو مبالغة وتمثيل
يعني جعل الماء آلة لفتح ابواب السماء مبالغة في كثرة الماء هذا على ان يكون الباء في قوله تعالى بماء منهمر للاستعانة كما تقول فتحت بالمفتاح
ويحتمل ان تكون للحال اي فتحناها ملتبسة بهذا الماء المنهمر الكثير النازل بقوة وتتابع حيث قيل انه لم ينقطع اربعين يوما وجعل الكلام
استعارة تمثيلية لان الظاهر ان السماء ليست لها ابواب تفتح وتغلق حتى تنزل الامطار من تلك الابواب بل هي انما تنزل من السماء الا انه
شبه نزولها من السحاب بكثرة وشدة نزولها من السماء والابواب فتحها حقيقة اذ لا بعد في ان يكون للسماء ابواب تفتح وتغلق
حتى روي عن علي ان ابواب السماء هي المجرة ولا بعد ايضا ان ينزل المطر من تلك الابواب قوله تغيير للمبالغة اي تغيير العيون عن المفعولية الى التميز
للمبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض معناه وجعلنا ما فيها من العيون والمبالغة فيه بخلاف قولنا فجرنا الارض عيونا فان معناه
فجرنا اجزاء الارض كلها بجعلها عيون الماء ولا شك في انه ابلغ ولما كان الماء اسم جنس صح ان يقال فالتقى مياه السماء والارض كائنة
على المقدار الذي قدره الله تعالى في الازل ان يكون عليه والتقيا كان كل واحد منهما على مقدار الآخر متساويا لكما قال مقاتل قدر الله
ان يكون الماءان سواء وكانا على ما قدرا او فالتقى الماء مستويا على ما قدره الله تعالى من هلاك قوم نوح انتهى قوله جمع دسار مثل كتاب
وكتب وكما ان الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فان المسمار يدفع دفعا شديدا قوله اقيمت مقامها من حيث انها
كالشرح يعني ان ذات الواح ودسر لما كانت صفة كاشفة للسفينة مبينة لماهيتها لكونها مركبة من الالواح والدسر حسن اقامتها مقام
السفينة فان تقدير الكلام وحملناه على ذات الواح ودسر فحذف الموصوف وقوله تجري في محل الجر على انه صفة ذات الواح وباعيننا
في موضع النصب على انه حال من المنوية في تجري اي محفوظة بحفظنا قوله فعلنا ذلك اشارة الى الافعال المذكورة بقوله ففتحنا وفجرنا وحملنا اي
فعلنا كل ذلك جزاء للمكفور وهو نوح فان انجاءه واهلاك مكذبيه جزاء له على تحمله من اذيتهم على ان يكون المراد بالكفر هو ضد الشكر

بجحد.

بجحود النعم فان الكفر بهذا المعنى يتعدى بنفسه يقال كفر كفورا وكفرانا ويجوز ان يراد به ما هو ضد الايمان ويكون التقدير لمن كفر به فحذف الجار
واوصل الفعل الى الضمير فان الكفر الذي هو ضد الايمان يتعدى بالباء قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وعلى هو على ان كفر
بضم الكاف وكسر الفاء على بناء المفعول وقرئ كفر على بناء الفاعل والمراد من كفر قوم نوح قوله اي السفينة الموصوفة بانها ذات الواح ودسر
ثم قيل المراد تركه عينها على الجودي من ارض الجزيرة وقيل بارض الهند وقيل المراد تركه مثلها في الناس كانهم لم يعرفوا قبل المراد اتخاذ السفن
فلما راوا تلك السفن صنعوا مثلها فكانت انها باقية وعبرة باهرة تدل على قدرة الله تعالى وحكمته وعظم فضله بعباده عن قتادة انه
ابقى الله سفينة نوح على الجودي حتى ادركها اوائل هذه الامة وعن ابن عباس قال الامام ابو الليث قوله تعالى ولقد تركناها آية يعني سفينة
نوح ابقيناها عبرة للخلق قال بعضهم بقيت تلك السفينة بعينها كانت باقية على الجبل الى قرب خروج النبي عليه السلام وقال بعضهم يعني
جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة فاتخذ الناس بعد ذلك في البحر فلذلك كانت آية للناس الى هنا كلامه قوله
او الفعلة وهي انجاء نوح ومن آمن به من اصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب اليم من حيث يعتبر بما صنع الله تعالى
بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة والانابة ثم انه تعالى لما بين انه اجاب دعوة نوح بان فتح ابواب السماء بماء منهمر وفجر الارض
عيونا وانه حمل من عباده على السفينة علم منه انه تعالى عذب قومه باسرهم بان اغرقهم اجمعين فقال استعظاما لذلك العذاب وابعادا
لمشركي مكة فكيف كان عذابي الذي عذبتهم به وكيف كان عاقبة انذاري وعنادهم والنذر يحتمل ان يكون مصدرا كالانذار
كما حكي عن الفراء انه قال يقول العرب انذرت انذارا ونذرا كقولهم انفقت انفاقا ونفقة وايقنت ايقانا ويقينا ويحتمل ان يكون
جمع نذير اي الذي بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار فالمعنى كيف كان عاقبة انذاري اياهم بالعذاب الم اعذبهم مرة واحدة بعد
ما تتابعت وتواترت عليهم انذاراتي التي هي آثار رحمتي قوله باردا على ان يكون الصرصر ماخوذا من الصر بكسر الصاد وهو برد يضر
بالنبات والحرث وفي الصحاح صرصر اي باردة يقال اصلها صرر من الصر فابدل او مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا و
تجفجف اصله تجفف وعن المبرد ان الصرصر الريح الشديد الصوت من صر الباب او القلم اذا صوت وقيل الصرصر الذي له هبوب من اصر
على الشي اذا دام وثبت قوله تعالى في يوم نحس العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء وهو عند الكوفيين من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة
فانهم يجوزون ذلك خلافا للبصريين فانهم لا يجوزونها الا بتاويل حذف الموصوف من المضاف اليه فيقولون في مسجد الجامع مثلا تاويله
مسجد الوقت الجامع وتاويل الآية في يوم عذاب ويجعلون المضاف اليه صفة لموصوف محذوف وقرئ بتنوين يوم ووصفه بنحس كقوله تعالى في ايام
نحسات جعل الاستمرار اولا بمعنى الدوام وجعل الدوام صفة لنحس اي لا معنى لاستمرار اليوم بخلاف نحوسة اليوم فانه يجوز استمرار ايام
ثم اشار الى جواز كون الدوام صفة لليوم بان يكون اليوم بمعنى الوقت مطلقا كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام على يوم ولدت
ويوم اموت حيث قال او استمر عليهم حتى اهلكهم ويجوز ان يكون المراد به ان ذلك اليوم استحكم عليهم واشتد حتى اهلكهم على ان
يكون الاستمرار من المرة او على جميعهم على ان يكون من المرور قال تعالى في سورة الحاقة واما ثمود فاهلكوا بريح صرصر عاتية
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعة وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى غروب الشمس في الاربعاء
الآخر وتشام بعض الناس بالاربعاء التي تكون في آخر الشهر بناء على انه تعالى قال في حقها يوم نحس مستمر ولا وجه له بان المراد انه نحس على
المفسدين بمشية الله تعالى اذ لم تظهر نحوستها في حق هود ومن آمن به ولا في حق سائر المفسدين والشعاب جمع شعب وهو ما انفرج
بين الجبلين وقوله تعالى تنزع الناس صفة لقوله ريحا صرصرا ويجوز كونه حالا منها لكونها موصوفة وقوله كانهم حال من الناس
اي نازعة للناس مشبهين باعجاز نخل وهي اصولها التي قلعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم عن اجسادهم فتبقى اجسادهم

بالارض والمنقعر المنقطع عن اصله وقوله نخل اصله يقال قعرت النخلة اى قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت والنخل جمع نخلة وتذكيره
حيث قيل في صفته منقعر باعتبار لفظه والتانيث في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية باعتبار معناه وقيل لرعاية الفواصل والمعنى تنزعهم
الريح نزعا بعنف كانهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعرون وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم في الارض بجسامتهم اذ كانهم لعظم اجسامهم
وكمال قوتهم يقصدون المقاومة على الريح ثم ان الريح لما صرعتهم والقتهم على الاذقان فكانها قلعت اعجاز نخل قوله بالانذار
والمواعظ الاول على ان يكون النذر مصدرا كالانذار والثاني على ان يكون جمع نذير بمعنى المنذر وجعلهم مكذبين للرسل مع
انهم كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام لان تكذيبه فيما جاء به تكذيب للرسل جميعا في الحقيقة لانهم متفقون في اصول الدين قوله والاول
اوجه للاستفهام اى كونه منصوبا على الاشتغال بمعنى انتبع بشرا نتبعه اوجه لان تكون اداة الاستفهام داخلة على الفعل على الاصل كانهم عكسوه
اى ان صالحا يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال في الدنيا ونيران هائلة في العقبى وهي المراد بالسعر الذي هو جمع السعير وهو النار فعكسوا
عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا لفي ضلال وسعر قوله من بيننا حال منها عليه اى اخص بالرسالة والوحي منفردا من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر
مالا واحسن حالا والاستفهام للانكار والاشر هو صفة مشبهة مثل فرح وفعله اشر يأشر اشرا فهو اشر من باب علم قوله وقرأ ابن عامر
وحمزة ستعلمون بتاء الخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول صالح لقومه والثاني انه خطاب الله تعالى وكلام لهم على سبيل الالتفات
من الغيبة الى قوله فقالوا وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله فقالوا والجمهور على كسر الشين وتخفيف الراء وفي قراءة الكتاب الاشر
وقرئ الاشر بضم الشين وتخفيف الراء وهما لغتان مثل لفظ ولفظ وحذر وحذر وقرئ ايضا بفتح الشين وتشديد الراء وهو
افعل التفضيل من الشر واصله اشرر كما ان اصل خير اخير حذفت همزة افعل منهما لكثرة دورانهما في الكلام ثم ان ثمود لما كذبوه
تعنتوا عليه فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء وهي الناقة التي اتت عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها
اسم المخاض ثم لا تزال كذلك اسمها حتى تضع فدعا صالح ربه فاوحى الله تعالى اليه فقال تعالى انا مرسلوا الناقة اى باعثوها ومخرجوها من
الهضبة لما اقترحوا وقوله فتنة لهم مفعول له فان تحقق ما اقترحه القوم شبه الامتحان حيث يظهر به الحق ويتميز من يتبع الهدى والبينة
ممن اصر على الضلال بعدما شهد ما اقترحه يحل عليه عذاب عظيم فان سنة الله جرت كذلك كما قال فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين قوله قسمة بينهم اى مقسوم لو ذو قسمة بين ثمود والناقة غلب العقلاء على غيرهم في القسمة قوله لها يوم ولهم يوم اشارة الى
ان كون الماء الذي يشربونه مقسوما بين القوم والناقة ليس معناه ان الماء قسمين قسم لها وقسم لهم بل المراد ان يجعل الشرب بينهم على طريق المناوبة
بان يحضر القوم يوما وتحضره الناقة يوما قوله يحضره صاحبه اشارة الى ان محضر واحضره بمعنى والظاهر ان قوله او يحضر عنه بمعنى او يمنع عنه الا ان
استعمال الحضر بالضاد في معنى المنع ليس بمعهود والذي بمعنى المنع هو الحظر بالظاء والظاء في قوله تعالى فنادوا صاحبهم فصيحة
تفصح لان في الكلام محذوفا تقديره فتبعوا على ذلك زمانا ثم تاملوا وتحرجوا من طلق الماء واثره عليهم وعلى مواشيهم فان
الناقة مع فصيلها ترعى في الصيف في مضيق بواشيهم فتهرب المواشي عنها فتبقى في موضعها الذي تخرج بها اوان الشتاء فكانا يعيشان
وقت الشتاء في مثل الموضع فتهرب المواشي منها فيقعا في المضيق فغلب عليهم الشقاوة فاجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض مكن للناقة
حيث تمر اذا صدرت عن الماء فتحاماها القوم ومكن لها قدار بن سالف ليقتلها وصاح به بقية الرهط اى فنهوه على صدورها ومجيئها
وقد هاس بمكنه ودعوه الى قتلها وشجعوه عليه فتعاطى اى فاجترى على تعاطي قتلها والاقدام عليه فان التعاطي عبارة عن الاقدام
على فعل المعظم وتحقيقه ان الفعل المعظم تعبيرا منهم كل احد ويعطيه صاحبه اى فتعاطى آلة العقر فعقر بها قيل مكن لها في اصل الشجرة
على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها والذي سمي الجزار

قدرا اشقى القبيلة قدار بن سالف سورة الى ثمود والعقر الجرح ثم استعير للقتل واشتهر بعيبه احمر صفر تحقير الوكان قدار احمر اشقر ازرق
ولما استعظم الله تعالى عذابهم بين ذلك العذاب بقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح فيهم جبريل والعامة على كسر الظاء من المحتظر على انه
اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من حطب وغيره والهشيم حطام الشجر والنبات اليابس من اتخذ لغنمه حظيرة تقيها برد الريح يجذها من ثان
الشجر وضعيف النبات فاذا طال عليه الزمان بلى وتكسر وصار هشيما وقرئ كهشيم المحتظر بفتح الظاء اما انه اسم مفعول بمعنى المتخذ حظيرة هو نفس الحظيرة فالمعنى
كهشيم الحظيرة التي تمنع بها المواشي عن البرد والريح او على انه مصدر ميمي بمعنى الاحتظار سمي الشجر المتخذ للحظيرة احتظارا لكونها مادة للاحتظار
او هو مكان اطلق على مادة الاحتظار باعتبار توهم المكانية فيها قوله ريحا تحصبهم اشارة الى ان الحاصب اسم فاعل حذف موصوفه وهو الريح وتذكيره
مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهو مؤنث سماعي لكونه في تاويل العذاب ودل قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قوله تعالى لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الله
ارسل نفس الحجارة لا التي يحصبها الا انه قيل ههنا وارسلنا عليهم ريحا صرصرا فالدال على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح
الحاصبة بالحجارة والاستثناء في قوله الا آل لوط منقطع لانه مستثنى من الضمير في عليهم وهو ضمير القوم المذكور في قوله كذبت قوم لوط ولا يدخل فيهم الا لوط لان
المراد بمن شبع على دينه دون سحرا لان المراد بيان وقت التنجية سحر من الاسحار ولو اريد سحر يوم بعينه لقيل نجيناهم بالسحر واسناد التنجية اليه تعالى باعتبار
كونه سببا لامره بان يخرج بهم بقطع من الليل بخروج في نجا العذاب قوله وقت السحر والسحر هو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار وهو قبيل انصداع الفجر الآخر عند انصداع الليل
في قوله تعالى يسحر يجوز ان يكون بمعنى في وان تكون الحال اى ملتبسين بسحر او مسحرين اى داخلين وقت السحر قوله فتماروا اى تفاعلوا من المرية اى تشاركوا في
التكذيب فيما انذرهم به وكذبوه وقالوا كيف يقدر على اهلاكنا وحده وعدى فتماروا بالباء واصله ان يتعدى بفي لتضمنه معنى التكذيب فكانه قيل
تكذبوا بالنذر متشاركين والمراودة الطلب الارادة اى اطلبوا منه واراد ان يسلم اليهم ضيفانهم فيخلي بينه وبينهم فطمسنا اعينهم وذلك
انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوها قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار
فصفقهم جبريل بجناحه باذن الله تعالى فتركهم عميا بحيث صارت اعينهم كساير الوجه لا يرى لها شق هذا قول اكثر المفسرين وقيل طمس الاعين عبارة
عن مجرد انهم لم يروا الرسل وقالوا قد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا قرأ العامة بكرة بالتنوين لكونها
نكرة فلا وجه لمنع الصرف وقرئ غير منون على ان يراد بها بكرة نهار معين لا بكرة من البكر فامتنع صرفه للتانيث والتعريف
قرأ العامة ام يقولون بياء الغيبة على الالتفات قوله وهو من دلائل النبوة لان الآية نزلت بمكة واخبر بها انهم سيهزمون في حرب
وكان كما قال ولا طريق الى علم الغيب الا الوحي فعلم ان الآية وحي الهي قوله لم اعلم ما هو اى لم اعلم اى جمع يهزم اجمعنا ام جمع الكفار روى
عن ابن عباس انه قال كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين قوله لا تزام اى لا تزال عن موضعها يقال رام تريم ريما اى برح
وزال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر روى ان ابا جهل كان يحلف كل يوم فرسا له فرقا من ذرة وكان
يحلف باللات والعزى ليقتلن عليه محمدا فركبه يوم بدر وجعل يطارد مطاردة الاقران في الحرب حمل بعضهم على بعض يقولون نحن
اليوم جمع منتصر على اعادانا فقتل على يد ابن مسعود رضي قوله تعالى بل الساعة اى فرغ ذكر هزيمتهم في الدنيا قوله تعالى يوم يسحبون يجوز
ان يكون ظرفا للقول في ضلال وسعر وان يكون ظرفا للمقدر المقدر بعده اى يقال لهم في ذلك اليوم ذوقوا مس سقر قوله فان مسها
سبب للتالم بها على التفسير من مس بحر النار والتالم بغيان مس النار لما كان سببا للتالم بها صح ان يعبر بها عن المس على التالم
والاحتراق بنار ملك روى عنه م انه قال لهم تعالى ان المجرمين في ضلال الى قوله من سقر انا كل شيء خلقناه بقدر اى نقضي ونقدر ثم يعذبنا
هذا ما لا يكون ابدا وعنه م انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر وكثر في
الاحاديث في حق القدرية وهم الذين ينكرون القدر وينسبون الحوادث كلها الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب يدل عليه

ما روى عن ابي هريرة انه قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله في القدر فانزل الله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله خلقناه بقدر
رواه مسلم في صحيحه فان مذهبهم ذلك اعلم ان المسلمين في مسئلة القدر طوائف طائفة يقولون كل ما يجرى في العالم من الخير والشر والاقوال
والافعال بقضاء الله وقدره لا اختيار للعبد فيها وتسمى هذه الطائفة الجبرية بسكون الباء وفتحها ومعنى الجبر القهر والاكراه
ويقولون اجبر الله تعالى عباده على افعالهم واقوالهم فلا اختيار لهم فيها واضافة الفعل اليهم كما يقال جرى النهر ودارت الرحى
ومن ذهب الى هذا القول لاسقاط التكليف عن نفسه فقد كفر بهذا القول لانه يفضى الى بطلان الكتب والرسل اذا لم يكن للعبد
اختيار لم يكونوا مكلفين فلم يبق لانزال الكتب وبعثة الرسل فائدة وان قالوا بهذا القول لا عن اعتقاد بل قالوا التعظيم لله تعالى
وتحقير انفسهم اظهارا لعجزهم عن دفع قضاء الله تعالى لا يكفرون بل لكن يصيرون مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع في الاعتقاد
والطائفة الثانية القدرية بفتح الدال وسكونها وهم يقولون كل ما يصدر من العباد عقيب قصدهم على وفق ارادتهم يكون واقعا بارادتهم
ودواعيهم ولا يتعلق بها بخصوصها قدرة الله تعالى وارادته وانما نسبوا الى القدرية لان بدعتهم نشأت من قولهم في القدر لنفيه لا لاثباته
وهذه الطائفة قد نفوا هذه التسمية عنهم وقالوا ان مذهب القدر هو مذهب الجبرية لانهم قالوا افعال العباد بتقدير الله تعالى وخلقه مسندا
الفعل الى التقدير وقيل ان هذا المذهب باطل ايضا لانهم قالوا بهذا القول عن اعتقاد جريان الظلم وجوازه على الله تعالى صاروا بهذا القول كافرين
وان قالوه لا عن اعتقاد ذلك بل عن خطاء ظنونهم واجتهادهم ولتنزيه الله عن افعالهم القبيحة وليسوا كافرين بهذا القول ولكن كانوا
مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع وفيه مذهب آخر وهو ان المؤثر مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وهذا المذهب وسط بين مذهب
الجبر والقدر وقيل هو اقرب الى الحق منهما لكونه مطابقا للعقل وموافقا لكتاب الله تعالى وكلام رسوله ولما نقل عن الراسخين في العلم انه لا جبر
ولا تفويض ولكن امر بين امرين وهذا القول منقول عن جعفر الصادق في شرح المصابيح للامام الخلخالي قال الامام لا فرقة في خلق الاعمال اقرب
الى القدرى من الجبرى يقول القدرى ما يقع من الطاعة والمعصية ليسا بخلق الله تعالى وقضائه وقدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلة يقولون
القدر هو الجبرى الذى يقول حين يزنى العبد ويسرق الله تعالى قدر ذلك فهو قدرى لاثباته القدر حيث قال كل واحد من الخير والشر بقدرة
الله تعالى لا اختيار للعبد فيه والفريقان متفقان على ان الشيخ القائل بان الافعال بخلق الله وكسب العبد ليس بقدرى والحق ان القدرى هو
الذى ينكر القدر ويسند الحوادث الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب كما ذهب اليه كفار قريش فانهم كانوا يقولون مثل ما يقول المعتزلة
من ان الله تعالى خلق لى سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكنني من الطاعة والمعصية وهو قادر على ان يخلق في الطاعة الجاء وكذا المعصية الجاء
وعلى ان يطعم الفقير الذى اطعمه بفضل الله تعالى واقداره ايماء عليه بل كانوا يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام
انتهى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر اشارة الى ان الحق تعالى بقدر حال من كل شيء والقدر بمعنى التقدير ثم ان التقدير اما ان يحمل على تسوية صوره وشكله
وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه كما في قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا
بان جعل جميع ما فيه من الاوضاع والاشكال موافقا لمقتضى الحكمة واما ان يحمل على تقديره في علمه الازلى في اللوح المحفوظ وهو القدر الذى
يذكر في جنب القضاء قال المصنف في شرح المصابيح القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص
والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها انتهى كلامه فالحق تعالى بقدر اى بتقدير وقضاء سبق من الله تعالى قوله فعلى هذا فالاولى ان يجعل
خلقناه خبرا الا انه يقتضى ان لا يجرى على نصب كل على الاشتغال وح يتعين ان يكون خلقناه تاكيدا وتفسيرا لخلقنا المقدر الناصب لكل والتقدير
انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر ولا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشيء لان الصفة كما لا تعمل فيما قبل الموصوف لا يكون تفسيرا لما يعمل فيما قبلها
ايضا فاذا لم يجز كون خلقناه صفة تعين كونه تاكيدا وتفسيرا للفعل الناصب بخلاف ما اذا وقع كل شيء على الابتداء الا انه يجوز ان يكون

خلقناه

19

خلقناه صفة لكل شيء وبقدر خبرا فيكون المعنى كل شيء موصوف بكونه مخلوقا لنا فهو بقدر وقضاء سابق من الله تعالى والمفهوم منه ان من الموجودات ما هو
مخلوق لغير الله تعالى وان لم يقدر كما هو قول المعتزلة ويجوز ان يكون خلقناه خبرا لا صفة وح يكون قراءة الرفع موافقة لقراءة النصب في الدلالة على ان
الاشياء كلها مخلوقة لله تعالى بقدر كما هو مذهب السنة قوله ولعل اختيار النصب هنا جواب عما يقال كيف اختيار الجمهور قراءة النصب مع ان التركيب
من قبيل قولك زيد ضربته والمختار فيه الرفع لان النصب يحتاج الى حذف العامل او اضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه بعامل معنوى
لا يتلفظ به حتى يقال حذف او اضمر وتقرير الجواب انه على قراءة النصب يكون كل شيء باقيا على عمومه حيث لم يوصف ولم يخصص بالصفة فيكون
الكلام نصا في الدلالة على المقصود وهو كون الاشياء باسرها مخلوقة لله تعالى بقدر بخلاف قراءة الرفع فانه لو جعل خلقناه صفة وان جاز كونه خبرا
فيكون الكلام دليلا على ما هو المقصود الا انه يجوز كونه نصا للاخبار ولا يفيد الكلام ما هو المقصود فاختير قراءة النصب لما فيها من النصوصية
على المقصود والمشهور ان قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر متعلق بما قبله كانه قيل ذوقوا مس سقر فانا كل شيء خلقناه بقدر ويجوز ان يتعلق بجميع
ما ذكر في السورة من اهلاك الاشرار وانجاء الاخيار ووعيد اهل مكة من المشركين ووعد المؤمنين ثم بين ان خلق الكائنات اهون شيء عليه
وايسر فقال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر اللمح النظر بسرعة واختلاس يعنى ان قضائي وخلقى ايسر واسرع من لمح البصر والمقصود تهديد
المشركين بالاهلاك فلذلك عقبه بقوله ولقد اهلكنا اشياعكم ثم بين ان عقوبة اشياع المهلكين لم تتم بهلاك الدنيا بل ينضم اليها عقاب
الآخرة فقال وكل شيء فعلوه في الزبر يعنى الاشياع قبلكم في الزبر اى مكتوب في دواوين الحفظة على الزبر جمع زبور وهو فعول بمعنى مفعول من زبره اذا
كتب وتنكير جنات للتعظيم اى جنات لا يوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها وقرا الجمهور ونهر بفتحتين على الاصل وقرئ بسكون الهاء لايوصفه
للتخفيف وكلاهما واحد الانهار بمعنى الواحد لكونه اسم جنس يتناول الانهار وهو المراد ههنا بدليل ذكره بقرب جنات كانه قيل في جنات
وانهار من الماء والخمر واللبن والعسل والظاهر ان يقال في جنات عندنا نهار لان الانهار انما تلبس الانهار بان يكون عندنا نهار بان يكون
فيها فالمعنى في خلال الانهار وما بينها من الامكنة وكذا قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون معناه في خلال العيون قوله او سعة عطف
على قوله انهار بمعنى ان النهر قد يستعمل في نهر الماء ويستعمل ايضا بمعنى السعة يقال انهرت الطعنة اى وسعتها واستنهر الشيء اذا اتسع
وتسمى النهار نهارا لسعة ضيائه قال الضحاك ليس المراد بالنهر ههنا نهر الماء وانما المراد سعة الارزاق لان المادة تساعد هذا
المعنى ويجوز ان يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على انه من النهار ومن قرأ نهر بفتحتين جعله جمع نهر بفتحتين كاسد واسد او جمع نهر
بالفتح والسكون كرهن ورهن وسقف وسقف في مكان مرضى اشارة الى ان مقعد صدق من باب رجل صدق في انه من اضافة
الموصوف الى الصفة وان الصدق بمعنى الجودة والخيرية وقوله تعالى في مقعد صدق يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا
من المنوى في قوله في جنات لو وقع خبرا وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله في جنات بدل بعض لان المقعد بعضها او بدل اشتمال
لانها مشتملة عليه والاول اظهر والمراد بالعندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمليك من المالكة التنكير فيه وفي مقتدر
للتعظيم اشار اليه بقوله عند من تعالى امره انتهى قوله في كل غب اى من اعتاد ان يقرأها يوما ويتركها يوما

سورة الرحمن

هي مكية عند ابن عباس والضحاك مدنية عن مقاتل وابن حيان والواقدى وقيل مكية الا قوله يسأله من في السموات والارض فانها
مدنية قوله تعالى الرحمن مبتدا والجمل الثلاث بعده اخبار مترتبة اذ فيه وعلم يتعدى الى مفعولين وحذف مفعوله الاول في الآية والتقدير
علم جبرئيل القرآن وقيل علم محمدا وقيل علم الانسان القرآن وهذا اولى لان المقصود تعداد ما انعم على نوع الانسان مطلقا حتى على منكرها
وتنبيها على تقصيرهم فيه لان قوله عقيبه خلق الانسان علمه البيان يدل عليه قوله مصدقا لنفسه باعجازه ومصدقا لسائر الكتب
السماوية لاشتماله على خلاصتها قوله صدرها بالرحمن جواب لما توجب ان يكون سببا لما قبلها فان الرحمن لما كان ابلغ من الرحيم

باعتبار الكيفية اي باعتبار الرحمة الدالة عليها بلفظ الرحمن هي جلائل النعم فلذلك قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم
الاخروية كلها جسام فلا يقال انه باعتبار تلك النعم رحيم لان النعم الدنيوية فان منها ما هي جليلة ومنها ما دون ذلك فيوصف تعالى
باعتبار تلك النعم رحمن لما يوصف به باعتبار النعم الاخروية فهو ان يجعل قوله صدرها بالرحمن مرتبا على كون السورة مقصورة
على تعداد النعم الدنيوية والاخروية قوله وقدم ما هو اصل النعم ليس معطوفا على قوله صدرها بل جواب عما يقال كيف قدم تعليم
القرآن للانسان على خلقه مع انه متاخر عن خلقه بحسب الوجود فاجاب بانه قدم تعليم القرآن ثم اتبع قوله خلق الانسان علمه البيان
ايماء بان خلق البشر الى آخره معناه ان تعليم القرآن وان كان متاخرا عن خلق الانسان الا انه قدم عليه ايماء الى ان خلق الانسان
ليس مقصودا لذاته بل المقصد الاصلي من خلقه وحكمة الداعية التي هي استكمال النفس بحسب قوة النظرية العلمية بمعرفة مبدئه ومعاده
وان يتحلى بعبادة ربه وذلك انما يكون بتلقي الوحي وتعرف ما يستنبط من علومه فلما كان تعليم القرآن وتعرف احكامه هو المقصد
الاصلي والحكمة الداعية الى خلق الانسان استحق ان يقدم لان الاهم اقدم فلذلك قدم تعليم القرآن على خلق الانسان وقدم خلقه
على تعليم البيان لكون تعليمه متفرعا على الخلق ضرورة اذ الكمالات كلها من توابع اصل الوجود ثم ذكر بعده تعليم البيان لكون التعليم
ضرورة في حكم اصل الخلق من حيث ان المقصد منه ايضا تعليم القرآن واحكام الشرع لانه لولا البيان لما كان من تعليم القرآن وتعلمه
قوله الجملة على نهج التعداد مقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه على تقصير الانسان فيه فذلك يقتضي ايرادها على نهج التعداد اذ به يظهر ان كل واحدة
منها مستقلة في الاعتداد بها لاقتضاء بشانها منفردة عن النعم الباقية ولو جيء بالعاطف صارت الكل كالنعمة الواحدة وكانت هذه الفائدة
بحسبان بحسبان اشارة الى خبر الشمس مبتدأ والقمر عطف عليه والخبر محذوف يتعلق به قوله بحسبان وان الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالشكران
والغفران والرجحان وقيل الحسبان جمع حساب كشهاب وشهبان وكل واحد منهما يجريان بحساب في منازلها لا يعدوانها فالشمس تقطع بروج السماء
في ثلثمائة وخمسة وستين يوما والقمر يقطعها في ثمانية وعشرين يوما ثم انه لما ذكر نعمة ايجاد الانسان الذي هو اصل جميع النعم وانعامه عليه بتعليم
البيان ذكر نعمتين عظيمتين سماويتين يترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب معلوم وقانون مقرر فوائد لا تحصى ثم في مقابلتها
نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر كلاهما من قبيل النبات وهو اصل الرزق والحب والثمار قوله ما ينبسط ... الدواب والنجم كل نبات لا ينجم من
الارض ولا يبقى له ساق في الشتاء والشجر نبات يبقى له ساق قوله تعالى يسجدان من قبيل الاستعارة التبعية شبه انقيادهما
طبعا بانقياد المكلفين طوعا اي قصدا واختيارا وهو المسمى عند اهل اللغة فسمي المشبه باسم المشبه به قوله وكان حق النظم
في الجملتين يعني ان هاتين الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة في انها اخبار مترادفة للرحمن مثل تلك الجمل ومن حق الخبر اذا
كان جملة ان يشتمل على الضمير الراجع الى المبتدأ كما في تلك الجمل الا انهما جردتا عن الضمير الرابط اعتمادا على وضوح المراد فانه
من المعلوم ان الحسبان حسبانه الذي قدره لها وان السجود له هو الرحمن ولا يذهب الوهم الى احتمال خلقهما مرفوعة محلا
يعني ان المراد برفع السماء خلقها رفيعة القدر والمرتبة وقيل رفعها على الارض وعطف المرتبة على المحل بالواو دليل
على انه لم يرد بالمحل مكان الحلول بل اراد به القدر والمنزلة المعنوية ولا يوجب ان يعطف المرتبة عليها باو احترازا عن الجمع
بين الحقيقتين والمجاز فان لفظ الرفع حقيقة في رفع الشيء مكانا وعليا مجاز في رفع مرتبته وقدمه الا ان يقال الجمع بين الحقيقة
والمجاز جائز عند الائمة الشافعية والمصنف يعطف بالواو على مذهبه قوله وادخال العاطف بينهما المانين ان الجمل الثلث الاول اخليت
عن العاطف لكون المقصود منها تبكيت من انكر الرحمن والاءه بتعديد نعمه عليه واحدا بعد واحد وذلك يقتضي الاخلاء عن العاطف
حتى يعلم ان كل واحدة نعمة مستقلة مع قطع النظر عن النعم الباقية بين انه ادخل العاطف بين الجمل الرابعة والخامسة جريا على ما يقتضيه

ظاهر الحال فانه قد تقرر في علم المعاني ان الجملة اذا اتت بعد جملة اخرى كان للاولى محل من الاعراب وقصد تشريك الثانية للاولى في حكم الاعراب الاولى
عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك المذكور ثم كان العطف بالواو وجب ان يكون بين الجملتين جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر
او يعطي ويمنع لما بين الاعطاء والمنع من التضاد والجهة الجامعة بين الجملتين في الآية ان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى
فهو مناسب لسجود الشمس والقمر وانقيادهما طبعا لكون الجميع من قبيل الانقياد لامر الله تعالى وحاصلا بتقديره وتدبيره في ملكه قوله العدل او
ما يوفي به مقادير الاشياء اي يجوز الايراد بالميزان العدل الموجب لاستقامة الامور العباد فان اذا وفرها على كل حق حقه ووفى كل ما استعد ما يستحقه
استواء الخلق وانتظم امور العالم فيكون وضع الميزان عبارة عن الامر بالعدل وجملة الخبرية موضوعة موضع الطلبية وكذا ان اريد الميزان
آلة الوزن اي وامرنا باستعمال ما يوفي به مقادير الاشياء عند الاخذ والاعطاء لئلا يبخس الناس اشياءهم قوله كانه لما وصف السماء اشارة
الى بيان التناسب بين قوله والسماء رفعها وبين قوله ووضع الميزان والمصنف جعل جملة الخبرية باقية على حالها حيث فسر وضع الميزان بمعنى
العدل فقدر بان وفي كل مستعد حقه اي كان عادلا مجانبا عن الجور والظلم وجميع ما ابدع من اجزاء العالم ولم يغفل شيئا من المصنوعات
الا على وجه ما يقتضيه الحكمة فانظر الى اجزاء وجودك كيف عدله سبحانه وتعالى وترتيبها فانه تعالى ركبك من العظم واللحم والجلد وجعل العظم
عمادا مستبطنا وجعل اللحم مكتنفا اياه وجعل الجلد حافظا له محيطا به فلو عكس هذا الترتيب وجعل ما بطن ظاهرا لبطل النظام ووضع كل واحد
من اعضائك في مواضعها الخاصة عدلا وحكمة حتى يظهر وجه حسن تخلل العاطف بينهما وذلك ان السماء والارض متناسبان من جهة التقابل
وكذا وضع الميزان في الارض باي نوع كان مناسبا لخلق السماء رفيعة القدر والرتبة من حيث ان كل واحد من الوصفين يوجب ترقي الحال
لما وصف السماء بما هو صفة مدح لها ووصف الارض بما فيها بما يتنوط بها مصالح اهلها قوله لان لا تطغوا يعني ان كلمة ان هي الناصبة
ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان ولام العلة مقدرة قبلها يعني ووضع الميزان والطغيان مجاوزة الحد والتقدير وضع الميزان لئلا تجاوزوا
في العدل او في آلة التسوية وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على اضمار القول اي قال لكم لا تطغوا فمن قال الميزان هو العدل قال الطغيان هو الجور
ومن قال انه آلة العدل قال الطغيان البخس عن ابن عباس انه قال معناه لا تخونوا من وزنتم له ثم قال تعالى واقيموا الوزن اي قوموا وزنكم
واجعلوه مستقيما متلبسين بالعدل فان القسط العدل وقيل معناه اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل هو امر بالمعاملة بالوزن
متلبسا بالعدل وعدم تركه في المعاوضات وقوله ولا تخسروا الجمهور على رفع التاء وكسر السين من اخسر بمعنى نقص كقوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون اي لا تنقصوا ما تزنون به من الحقوق وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب يضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل
بمعنى يقال خسرت الشيء واخسرته اي نقصته على انهما لغتان بمعنى وقرئ بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى وقرئ بفتح السين ايضا من باب علم وهذا
البناء لازم لا يتعدى بنفسه فيكون اصل لا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل قوله وتكريره مبالغة جعل اسمية يعني قوله تعالى ولا تخسروا الميزان
تكرير قوله لا تطغوا في الميزان من حيث المعنى فان من فسر الميزان بآلة التسوية يعني الطغيان في الوزن نقص الموزون فيكون قوله ولا تخسروا الميزان
تكريرا له قوله خفضها مدحوة يعني ان المراد ههنا بالوضع ما هو ضد الرفع اي الارض دحاها فوق الماء مخفوضة او خفضها مدحوة قوله
للانام يعني ان المراد بالوضع ما هو ضد الرفع اي الارض دحاها فوق الماء وخفضها مدحوة على ان الوضع واللام على الارض من جميع
الخلائق وقيل هم جميع الانس وقيل هم بنو آدم خاصة اي وضعها للاجل ما خلق فيها من الخلق او من الميزان ثم فصل ما ينتفع به الخلق مما فيها
من النعم فقال فيها فاكهة ثم خص من بينها النخل بالذكر للاشارة الى فضله ثمرها على سائر الفواكه لانه مما يقتات ويتفكه قبل ذكر الميزان
في هذا الموضع ثلث مرات والاول بمعنى الآلة وهو قوله ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر اي الا تطغوا في الوزن والثالث بمعنى المفعول اي
تخسروا الموزون قوله جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم والكفرى بضم الكاف وفتح الفاء وتشديد الراء وعاء الطلع النخل والطلع

في الميزان اي

ما يطلع من النخل قبل ان ينشق والسعف جمع سعفة وهي غصن النخلة ما دام عليه الخوص فهو ورق النخل واذا جردت عنه الخوص يسمى جريدا والعصف هو
التبن بالفارسي اذ المراد الكم والاسراد فالمذكور ثم جعلها ما لا كما يغطي من الليف الذي يغطي الجذع والسعف الذي يغطي الجمار والكم
الذي يغطي التمر فكلامه من قبيل اللف والنشر المرتب قوله فانه ينتفع به تعليل لقوله او كما يكم وجه التعليل ان توصف النخل المعدودة من جملة ما
في الارض من النعم بكونها ذات الاكمام انما يحسن لكون الاكمام من جملة النعم المنتفع بها فان المقام مقام تعداد الحب ايضا من النعم الجليلة لكونه
علف الدواب كما ان الحب مطعم الانسان ومن قرا الاسماء الثلاثة منصوبة قدر فعلا ينصبها او جعلها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وهو
يصلح ان يكون وجها لمن قرا برفع الريحان ومن قرا والريحان بالجر عطفا على العصف اي وفيها الحب والعصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي
هو رزق الانسان ومن قرا برفع الثلاث فوجهه ظاهر قوله وهو فيعلان اصله ريوحان فقلبت الواو لاجتماعهما وسبق احديهما بالسكون ثم ادغمت الياء في الياء
ثم خفف فصار ريحان على وزن فعلان قوله سنفرغ لكم ايها الثقلان مجرور بالعطف على اللفظ المذكور قبله كون الخطاب فيه للثقلين لا يستلزم كونه
لهما في قوله تكذبان لكنه يؤيده بناء على ان السورة بمنزلة كلام واحد فتوجه الخطاب اليهما في بعض الآيات يدل على توجهها اليهما في البواقي فلما
كان الجن مكلفين كالانس خوطب الجنان بهذه الآيات حثا لهما على شكر النعم بالايمان والطاعة وتجديدا لنشاطهما في اطاعة ولازم شكر الآية وتفريعها
على المشركين الذين اتخذوا مع الله آلهة اخرى والالاء جمع الى كمعى وامعاء روى عن جابر انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى ختمها ثم قال
ما اريكم سكوتا الجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فباي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وتكذيب
الرب هم عبارة عن الجحود لكونها من الله واسنادها الى غيره خاصة ومن اشرك بربه الذي رباه بهذه النعم الجليلة من لا يقدر على خلق شيء منها فكانه يزعم
ان من اتخذه شريكا له شركه في هذه النعم وهو جحود واسنادها اليه خاصة وترك شكرها وكذا التقصير فيه في قوة الجحود لا نعام بها قوله
الصلصال الطين يسمع اذا صار في غاية الصلابة سمي الصلصال اسم لهذا الطين ما لم يطبخ فاذا طبخ بالنار سمي فخارا وخزفا شبه الصلصال الذي خلق
منه الانسان بالفخار في غاية الصلابة اذا اصابه ادنى شيء صوت وقد خلق الله تعالى آدم الى آخره لوجه التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى في مواضع آخر
خلق من تراب ومن طين لازب ومن حمأ مسنون فانه تعالى اخذ من تراب الارض فعجنه فصار حما مسنونا اي غلاما ثم يبس فصار صلصالا كالفخار
قوله الجن او ابا الجن يعني ان الجان يحتمل ان يكون اسم جنس كالانس وان يكون اسما لاب الجن وعلى كونه اسم جنس يكون المراد به ابوهم كما ان المراد
من الانس ابونا آدم ثم انه تعالى خلقه من صلصال وخلق من بعده من صلبه كذلك الجن الاول خلقه من نار وخلق ذريته من صلبه ومن في قوله
من مارج لابتداء الغاية وقوله من نار الصيان كما اختاره المصنف يجوز ان يكون للتبعيض الهباء الخالي الذي لا يتصاعد شيء من الدخان
وقيل اللهب المضطرب من مرج اذا اضطرب واختلط قوله مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما والاول اشهر ذلك غاية ارتفاعهما وغاية
انحطاطهما اشارة الى الطرفين يتناول لما لا ما بينهما كما اذا قلت في وصف الملك عظيم المملكة المشرق والمغرب فانه يفهم ان ما بينهما ايضا
قوله تعالى رب المشرقين خبر مبتدا محذوف اي هو سبحانه رب المشرقين وقيل هو مبتدا خبره مرج البحرين واختلاف المشارق والمغارب يترتب
عليه منافع لا تحصى كما اشار اليه المصنف قوله تعالى يلتقيان في موضع الحال من البحرين اي متلاقيان لا حائل بينهما في راي العين وكذا قوله
لا يبغيان في موضع الحال من مفعول مرج او من فاعل يلتقيان اي غير باغيين وقوله بينهما برزخ يجوز ان يكون جملة مستانفة وان يكون حالا من
البحرين او من فاعل يلتقيان والخليج النهر ايضا ثم انه ان كان المراد بالبحرين الملح والعذب جعل التقاؤهما عبارة عن اتصال احدهما بالآخر
وتماس سطوحهما بانتهاء العذب الى الملح بجريانه اليه فانه يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فلا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة
وابطال الخاصية مع ان شانهما الممازجة وانفصال كل واحد منهما عن الآخر وان كان المراد بهما بحري فارس والروم يكون المراد
بالتقائهما في البحر المحيط وبالحاجز ما بينهما من الارض وبالبغي مجاوزة الحد فان كل واحد منهما لا يجاوز ما حد له ولا ينبسط على وجه الارض

الحاجز بينهما ولا يبقى التكون الارض تتخذها اهلها مسكنا ومهادا قوله وان صح ان الدر يخرج من الملح جواب
عما يقال ان اللؤلؤ لا يخرج الا من المالح فكيف قيل منهما قوله وان صح اشارة الى ان خروج الدر من الملح فقط ليس
بقطعي وظاهر كلام الله تعالى اولى بالاعتبار مما زعم بعض الناس فانه من المعلوم ان في البر اشياء تخفى على التجار
المترددين فيه فكيف بما في قعر البحر وعلى تقدير تسليم انه يخرج من الملح يحمل على الاول اعني ان يراد بالبحرين
الملح والعذب واما اذا اريد بهما بحري فارس والروم فلا سؤال ولا توجيه لان كلا منهما ملح يعني قوله تعالى يخرج منهما
انه يحصل ويتكون من اجتماع الملح والعذب والتقاؤهما بان يكون احدهما بمنزلة اللقاح للآخر فيصدق انه خارج
الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى فكذلك يخرج من مجتمعهما اي من اجتماعهما على ان يكون المجتمع مصدرا ميميا
فان الغواصين يقولون انها انما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب وقيل منهما على حذف المضاف
اي احدهما كقوله تعالى نسيا حوتهما اي نسي احدهما وقوله على رجل من القريتين اي احدى القريتين قوله وقرأ نافع وابو عمرو يخرج بضم
الياء وفتح الراء والباقون بفتح الياء وضم الراء وقرئ بضم النون ونخرج بضم النون اي يخرج الله تعالى واعلم ان اصول المركبات كانها
اربعة التراب والماء والهواء والنار فبين الله تعالى بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل المخلوق شريف مكرم وبين بقوله
خلق الجان من نار ان النار ايضا اصل المخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا اصل لمخلوق آخر له
قيمة ثم ذكر ان الهواء له تاثير عظيم في جري السفن الشابهة بالاعلام فقال وله الجوار المنشآت في البحر وخصها بالذكر لان جريها
في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك حيث يقولون لك الفلك لك الملك اذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة قال تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك
وان كانت واقفة في السواحل والمداين كما سميت المراة المملوكة ايضا جارية لكون شانها الجري والسعي في مصالح سيدها
والجمهور على كسر الراء في قوله تعالى الجوار لما تقرر في النحو ان كل جمع من المنقوص على وزن فواعل بالياء كان او بالواو كدواع فهو في حالتي
الرفع والجر كقاض في اسكان لام الفعل لثقل الضمة والكسرة على حرف العلة وحذفه للساكنين وهما التنوين وحرف العلة
ونقل التنوين الى عين الكلمة واما في حالة النصب فهو كضوارب لخفة الفتحة عليها ثم اذا اتصل الكلمة بالساكن بعدها كما في هذه الآية
يحذف التنوين ايضا ويبقى عين الكلمة مكسورة على حالها وقرئ برفع الراء بعد حذف الياء بناء على جعل الكلمة الاعرابية وجعل المحذوف في حكم المنسي
كثمان في قول لها اربع حشاوا اربع فكلها ثمان وقد تقدم هذا البحث في قوله ومن فوقهم غواش في سورة الاعراف قوله المرفوعات الشرع
وهو تضمين جمع شراع السفينة وهو قلعها فسر المنشآت اولا بالمرفوعات الشرع على انها اسم مفعول من انشاه الله تعالى اذا رفعه يقال انشأ السحاب
اذا ارتفعت وثانيا بقوله المصنوعات اي المخلوقات على ان الكلمة من انشاه الله تعالى اي خلقه ويؤيد الاول ما روي عن مجاهد انه قال المنشآت
هي السفن التي رفع قلعها والتي لم ترفع قلعها فليست من المنشآت قوله اي الرافعات الشرع اسند رفع الشرع الى السفن اسنادا مجازيا
على طريق اسناد الفعل الى مكانه وفي البحر متعلق بالمنشآت وامامن الجوار قوله ذاته والتعبير عن الذات الموجودة بالوجه سائغ خصوصا
اذا كان المعبر عنه معروفا مشهورا والعرب يخاطبون الكرام والرؤساء بقولهم يا وجه العرب شبهها لهم بالوجه الظاهر الذي هو
اشرف الاعضاء التي توجه اليها في الشرف والظهور وكونهم متوجها اليهم فانه تعالى ظاهر ولية ظهور للاشياء بوجه ثم اشار الى انه
لا حاجة الى جعل الوجه مستعارا من العضو المخصوص بل هو في الاصل بمعنى الجهة واصل لها كالوعد والعدة فمعنى الآية كل من عليها
فان ويبقى وجه ما سلكه تعالى اليه او توجهوا به اليه قال الامام النسفي قيل ويبقى وجه ربك اي على عمل يتقرب به الى الله ويبقى وجه

اى رضاه اى يسئله الجن والانس ولا يبقى لهم الا ما يتوجهوا به اليه قوله ذو الاستغناء المطلق تفسير لكونه تعالى ذا الجلال فان الجلال عبارة
عن العظمة والكبرياء والاستغناء من حيث الذات والصفات والافعال نهاية العظمة وكونه تعالى ذا الاكرام عبارة عن كونه ذا الفضل العام
وقيل فى تفسيره الذى يجل ويكرم على كل ما يتصور والذى يجله الموحدون ويكرمونه بالثناء كقولهم ما اجلك وما اكرمك او الذى يجل
عن اطلاع العقول والاوهام بصفة العزة والعلو ويكرم عباده المؤمنين بالتقريب والدنو وهذه الصفة من عظام صفات الله تعالى
روى عنه عم انه قال الظواهر فى الجلال والاكرام وعنه انه مر برجل وهو يصلى ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال له قد استجيب لك واشار
المصنف الى النعم المدلول عليها بهذه الآية بقوله اى مما ذكرنا وابقاء ما لا يحصر فان الآية تدل على الامتنان بابقاء ما هو بصدد الفناء
وفيها ايضا حث على المنجى وتحذير عن المهلك وايضا يترتب على افناء الكل الاعادة والحيوة الدائمة قوله والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة
الى تحصيل الشىء اى لا يستغنى عنه احد من اهلها وان نطق البعض منهم بحاجته لكونه تعالى يسأله من فى السموات ومن فى الارض يحتمل ان يكون
كلاما مستأنفا وان يكون حالا من وجه والعامل فيه يبقى اى يبقى مسؤلا من اهل السموات والارض وفيه اشكال وهو ان قوله ويبقى
وجه ربك اشارة الى بقائه تعالى بعد فناء من فى الارض فكيف يكون فى ذلك الوقت مسؤلا لمن فى الارض فلعل المص والمراد بالسؤال
جوابا عن هذا الاشكال بنى على كونه حالا من فاعل يبقى واجيب عنه بوجوه الاول انهم قالوا فى حد انفسهم وانما يتبعون بابقاء
الله تعالى اياهم فيصح كونه تعالى مسؤلا من قبلهم وان كانوا فى معرض الفناء بابقاء الله تعالى اياهم والثانى انه تعالى يكون مسؤلا لهم حقيقة
لانهم اذا افنوا فيهم يسألونه بلسان الحال وان تعذر عليهم ان يسألوه نطقا والثالث ان ذكره تعالى ويبقى يدل على الاستمرار
ويبقى ويسئله من كان على الارض فيكون مسؤلا والرابع ان السائلين هم الملئكة الذين يكونون فى الارض فانهم فيها وان لم
يكونوا عليها ولا يضرهم زلزالها فهذا ما يفنى من عليها ويبقى الله تعالى ولا يفنى الملئكة فى تلك الحال فيسألونه ماذا يفعل فيها وهم
بما يريد قوله كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه اشارة الى الجواب عما يقال كيف قال كل يوم هو
فى شأن وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وتقريره انه لا منافاة بينهما لانه تعالى قضى وقدر فى الازل وجف
القلم بما يكون فى كل يوم فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بتكوينه فيه فيوجد اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه
فى السؤال بينهما الاسئولون بيدى عن ابن عباس انه قال خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه
نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم الى آخره ذكر ان الحجاج بن يوسف ارسل الى محمد بن الحنفية يتوعده وقال لافعلن كذا وكذا فارسل
اليه محمد بن الحنفية ان الله تعالى ينظر فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى اللوح المحفوظ فى كل ذلك يعز ويذل ويعطى ويمنع وارجو
ان يرزقنى الله تعالى ببعض نظراته ان لا يجعل لك على سلطانا فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان فكتب عبد الملك بهذه
الكلمات ووضعها فى خزانته فكتب اليه ملك الروم لتوعده فى شىء فكتب اليه عبد الملك بهذه الكلمات الى صاحب الروم فكتب اليه
صاحب الروم انه والله ما هذا من كنزك ولا من كنز اهل بيتك ولكن من كنز اهل النبوة قوله اى نتجرد لحسابكم لما ورد ان يقال
ما وجه قوله تعالى سنفرغ لكم مع ان عدم الفراغ عبارة عن ان يكون الفاعل فى شغل لا يمكن معه فعل الآخر وهذا انما
يكون فى حق من يشغله شأن عن شأن والله تعالى منزه عن ذلك اشار الى الجواب بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة
التمثيلية لتشبيه انتهاء الدنيا وما يتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختيار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والمنع والاعطاء وتكوير
الليل على النهار وبالعكس وتجرده لكونه فى شأن واحد وهو مجازاة المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شأن عن شأن عن
اشتغاله وتجرده لمهم واحد فاستعمل العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهى الفراغ فى الهيئة الاولى وهى انتهاء الشؤون الى شأن

واحد

واحد ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلق ذلك الشخص لمهمه على فراغه عن سائر اشتغاله وان كان
بين الترتيبين فرق فاحش من حيث ان الترتب فى الثانى مبنى على ارتفاع المانع حيث كان سائر اشتغاله مانعا عن تعلقه لذلك المهم
ولا مانع فى حقه تعالى ومع ذلك اخر امر المجازاة الى قيام الساعة لحكمة اقتضته قال ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما
هو اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه تعالى فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء والآخر يوم القيمة فشأنه
فيه الحساب والجزاء والوجه الثانى للجواب انه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والانس بالمحاسبة والجزاء على الاعمال من غير ان
يشغله شأن عن شأن مستعارة من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه حتى لا يكون
فى شغل سواه يريد به التوفر على النكاية فيه والانتقام منه والاستقصاء فى مجازاته فهذه العبارة اذا صدرت عمن يشغله
شأن عن شأن تكون كناية عن التوفر على النكاية فان من فرغ عن كل شغل يعوقه والتعذيب تكون نكايته اشد واقوى واذا صدرت
عمن لا يشغله شأن عن شأن تعذر حملها على اصل معناها لان المفروغ عنه يجب ان يكون مانعا عن الملابسة للمفروغ له ولا يتصور الشىء فى حقه تعالى فتعين
كونها مستعملة فى التجرد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ عما يشغله عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر فى النكاية والانتقام فاستعير اسم الفراغ
لمجرد التجرد للجزاء ثم اشتق منه قوله تعالى سنفرغ لكم فهو استعارة تصريحية قوله لثقلهما على الارض الثقل ضد الخفة يقال الثقل فقال الاثقال ...
والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه شبه الارض بالحمولة التى تحمل الاثقال والجن والانس جعلا اثقالا محمولة عليها ثقلا ... وجعل ...
كالعلاوة فان النار وان كانت لطيفة فى الاصل الا انها بكثافة الخلق ويجوز ان يكون اطلاق الثقلان عليهما من قبيل اطلاق القمرين على
الشمس والقمر قوله او لرزانة رأيهم اى لما لهما من الثقل المعنوى فان الثقل ما له وزن وقدر ولهما زيادة وقدر على غيرهما لما اختصوا به العقل
والتميز وتحمل الامانة والتكليف ويجوز ان يكون الثقل بمعنى المثقل فانهما مثقلان بالتكليف قوله الا بالقوة يعنى ان السلطان القوة
التى يتسلط بها على الامر لما بين الله تعالى انه سيجئ وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بها كان مظنة
ان يقال لم اخر ذلك مع ما ذكر من كمال الاهتمام به اشار تعالى الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لا يقدر منهم احد فلم يتحقق
باعث يبعثه على الاستعجال لان ما يبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوات فاذا لم يخف ذلك قسم الدهر كله فى قسمين احدهما ايام
مدة الدنيا والآخر يوم القيمة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحد من الدارين
محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوائب لم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب مما قضاه فيهما قوله فانفذوا
امر تعجيز والمراد بيان انهم لا مهرب لهم من قضاء الله ولا خروج لهم عن ملكه وانهم لا يفوتونه ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم فظهر بهذا
التقرير ان قوله تعالى يا معشر الجن متعلق بقوله سنفرغ فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك فسر الآلاء فى قوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان
بعد قوله الا بسلطان بالتنبيه والايقاظ والتحذير المستفاد من قوله سنفرغ لكم بالمساهلة والعفو المستفاد من قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان
بعد قوله سنفرغ لكم فانه يشعر بان له موقفا للحساب الاستعلقة بالمساهلة فى الحساب والعفو عن جرائم كثيرة ونحوها وقوله مع كمال القدرة
مستفاد من قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فيكون المذكور ثانيا من قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان
بمنزلة التأكيد للاول والآلاء المذكورة فى الموضعين هى ما بينه بقوله من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو هذا على تقدير ان يكون
قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا بمعنى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها فارين من قضائه واما ان كان معناه ان قدرتم ان تخرجوا
من جوانبها لتعلموا ما فيها من عجائب صنع الله فحينئذ يكون المراد بالسلطان البينة المؤدية الى العلم وبالآلاء ما نصبه من المصاعد العقلية
والنقلية ويكون قوله يا معشر الجن والانس مسوقا لبيان علو شانه وسعة ملكه والامتنان بما نصبه من المصاعد العقلية والنقلية

تقريرا لكونه وجهه ذا الجلال والاكرام والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها غاية الكثرة فان المعشر هو العدد الكثير الكامل الذي لا تعدد بعده الا بتركيبه مما فيه من الآحاد فتقول احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلثون اي اثنا عشرات وثلث عشرات فان قيل معشر فكانه قيل محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة قوله يضيء كهو السراج السليط استشهادا لكون النحاس بمعنى الدخان والسليط هو الذهن عند عامة العرب وعند اهل اليمن هو دهن السمسم كذا في الصحاح وقيل النحاس دخان لا لهب فيه وانشد البيت وعن ابن عباس ان المراد به هو الصفر المذوب يذيبه الله تعالى ويصبه على روسهم قرا ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى قوله ونحاس بالجر عطف على نار وقرا ابن كثير بالجر عطفا على نار وضعيف لانه لا يكون شواظ من نحاس سواء كان النحاس بمعنى الدخان او الصفر المذاب قيل هو توجيه قراءة الجر تقدير الكلام شواظ من نار وشيء من نحاس فيكون شيء مرفوعا بالعطف على شواظ ويكون من نحاس صفة له كما ان من نار صفة لشواظ فحذف الموصوف وهي شيء لدلالة ما قبله عليه ثم حذف كلمة من لتقدم ذكرها في قوله من نار فبقي النحاس مجرورا بمن المحذوفة وقرا الباقون برفع نحاس عطفا على شواظ اي يرسل هذا مرة وهذا اخرى ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر وقرئ ونحاس بكسر النون وهو لغة فيه بمعنى نحاس بضم النون واما جمع نحس بمعنى العذاب بلحاف ونحو وصحاف وصحف ونحس بضم النون والحاء والسين مع التنوين عطفا على شواظ وهو اما جمع نحاس او جمع نحس جارية للخبر انه يحاط على الخلق بالملئكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسيره بان الخلائق اذا اخرجوا من القبور ساقهم شواظ الى المحشر فيهربون منها الى ان يجتمعوا في موضع واحد فيكون قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس متعلقا بقوله سنفرغ لكم وتفصيلا لما يكون يوم القيمة بعد التفصيل تحذيرا من هوله والتحذير نوع من الاثم زادوا نوعا آخر من التفصيل فقالوا فاذا انشقت السماء اي بنزول الملئكة اي اذا انفرجت فصارت ابوابا بنزول الملئكة او للسقوط والانتقاص والظاهر ان كلمة اذا فيه شرطية محذوفة الجزاء ليذهب ذهن السامع بعد تحقق انشقاق السماء وخرابها كل هائل اي رايت هولا عظيما او كان ما كان مما لا يخطر بالبال من الثواب والعقاب ويحتمل ان يكون للظرفية المجردة فان جعلت الفاء الداخلة عليها للسببية والتعقيب الذهني يكون المعنى يرسل عليكما شواظ من نار فيصير بسبب ذلك حمراء مثل الورد الاحمر وقيقا مثل الدهن بان تصل حرارة الشواظ فتجعلها كالاشرب الاحمر المذاب ويحتمل ان تكون الفاء للتعقيب الزماني بين فبين انه اذا بعثر ما في القبور وحشر لعلو شيء من الجن والانس يرسل عليكما شواظ يسوقهم الى المحشر فيهربون منها الى ان يجتمعوا موقف الحساب ثم بين ان هذه الحالة الثانية في الارض تؤدي الى انشقاق السماء ونزول من عليها من الملئكة الى الارض فقد روي ان الملئكة تنزل وتحيط بالخلائق فاذا رايتم الانس والجن هربوا فلا ياتوا وجها الا وجدوا الملئكة احاطت به قوله تعالى فكانت وردة من باب التشبيه البليغ وقوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من اسم كانت اي كانت مثل الورد الاحمر في حرارة النار ومثل الدهن في رقة القوام والميعان واشار المصنف بقوله مذابة كالدهن الى انه صفة لوردة واما الدهان انما اسم لما يعد للادهان به كالحزام فانه اسم لما يحزم به اي يشد او جمع دهن كرمح ورماح قوله من باب التجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة آخر مثله فيها كانها فيجرد من السماء سماء آخر وسمي بالوردة وهي كما جرد الشاعر من نفسه كريما آخر لكمال الصفة الكريم فيه واللام في قوله فلئن بقيت موطئة للقسم ولا يعده جوابه وقوله بحر الغنائم ظرف لقوله لارحلن ويروى بجر الغنائم صفة لغزوة او يموت بمعنى الا ان يموت ويموت منصوب بان مضمرة ويعني بالكريم نفسه لان في الكلام تدل على انه لا يريد كريما آخر والظاهر ان يقال الا ان اموت كريما لانه بصدد الاخبار عن حاله وبيان انه الموصوف بالكرم الا انه بنى الكلام على التجريد لكونه ابلغ

في وصف

في وصف نفسه بالكرم والتنوين في قوله تعالى فيومئذ عوض عن الجملة اي فيومئذ انشقت السماء لا يسال عن ذنبه هل هو مذنب ام لا ان اراد احد ان يطلع على حال اهل المحشر لان كل احد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم متميزين عن الطائفة الاخرى بسيماهم وهو سواد وجوه المجرمين وزرقة عيونهم قال تعالى وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة وقال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا يخفى تميز المذنب عن غيره والاطلاع على حال من اراد ذلك الى ان يسال عن ذنبه ويعلم حاله من جهته وهو لا ينافي ان يسال سؤال التوبيخ كما قال تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وايضا يوم القيمة لغاية طوله فيه مواطن كثيرة فيجوز ان يسال في بعض المواطن ولا يسال في غيره والجان اسم للجن في الاصل وان كان اسما لابي الجن فالمراد به ههنا فروعه كما يطلق اسم الجد العالي على القبيلة قوله تعالى بالنواصي قائم مقام الفاعل للقول فيؤخذ والتقدير بالنواصي او بنواصيهم وليس في قوله فيؤخذ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لان العرب تقول اخذت الناصية ولا تكاد تقول اخذت بالناصية بان تعدى اخذ الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر بواسطة الباء ولانه لو كان فيه ضمير يعود اليهم لوجب ان يقال فيؤخذون لاجل تقدمهم والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الراس اي تاخذ الملئكة بنواصيهم اي بشعور مقدم روسهم واقدامهم فيقذفون في النار قال الضحاك يحتمل ان الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ويلقون في النار وقيل تسحبهم الملئكة الى النار تارة تاخذ بالنواصي وتارة بالاقدام عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لقد خلقت ملئكة جهنم قبل ان تخلق النار فهم كل يوم يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والاقدام اجارنا الله تعالى منهم ومن جهنم بفضله وكرمه ثم يقال لهم على وجه التقريع هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون على ان قوله المجرمون ظاهر وضع موضع الضمير خطابا من الله تعالى لنبيه عليه السلام في الدنيا اي قل لهم من صفة جهنم على حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم انه تعالى اخبر عن حالهم فيها فقال يطوفون بينها وبين حميم آن على الذي انتهى حره من ان الحميم بان انيا فهو آن اي يدورون عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم ومن قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام الى ههنا مواضع وعظ وزجر وقد ذكرنا ان كل نعمة من الله تعالى للانزجار عن المعاصي فقد اكتفى المصنف بقوله آنفا فان التهديد والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء عن بيان كل ما ذكر من عقوبات الكفار من قبيل الآلاء ثم شرع في بيان ثواب المتقين الخائفين فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر المصنف ولا ان المقام اسم لمكان يقوم فيه العباد للحساب وان اضافة المقام اليه تعالى مع ان القيام فعل العباد لاجل الملابسة فانه تعالى مالك يوم الدين وانه الذي يبعث من في القبور وجهنم في هذا المقام لاجل الحساب والجزاء ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مصدرا مضافا الى فاعله بمعنى المراقبة والحفظ ولمن يعلم انه تعالى قائم عليه مراقب لاعماله فيخافه لذلك فيطيعه ويجتنب عن معصيته جنتان قيل جنة لخوفه من الله وجنة لتركه شهوته فالمقام بهذا المعنى صفة قائمة به تعالى لا بالخائف على الوجهين اي على تقدير كونه اسم مكان ومصدرا كما انه مضاف الى الرب لفظا فهو مضاف اليه في من حيث المعنى ايضا والمعنى من وقوف الرب او قيام الرب ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مضافا الى الخائف من حيث المعنى ويكون المعنى خاف موقفه عند ربه او وقوفه عنده للحساب الا انه اضيف الى الرب تهديدا او تقبيحا وتفخيما كما ان الاجل في الحقيقة للعبد الا انه قد اضيف اليه تعالى في قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر فان الاضافة يكفي فيها ادنى الملابسة ثم ذكر احتمال ان يكون لفظ مقام مقحما او يكون تقدير الكلام او لمن خاف ربه كما في قول الشاعر وما قد وردت لوصل اروى عليه الطير

كالورق اللجين زعرت به القطا ونفيت مقام الذيب كالرجل اللعين ؏ اللجين الخبط وهو ما سقط من الورق عند الخبط والخبط ضرب الشجر بالعصا
ليسقط ورقها واروى اسم حبيبة الشاعر ونفيت عنه اى طردت وابعدت عن ذلك انما خص القطا والذيب بالذكر لان القطا اهدى الطير
الى الماء والذيب اهدى السباع اليه فهما السابقان الى الماء والرجل اللعين شئ ينتصب فى وسط الزرع يستطرد به الوحش ومعنى البيت
ورب ماء قد وردت لاجل محبوبى اروى وقد جاءت اليه لتغسل راسها او ثيابها وروى ان رجلا استفتى سفيان الثورى فى رجل قال
لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق فافتى بانه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه استنباطا من هذه
الآية قوله كذلك ما جاء شئ بعد قوله تعالى فيهما عينان تجريان وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان فان تثنية النعم المذكورة بلفظ المثنى لها سبيل
التوزيع كانه قيل لكل خائفين منكما عينان وزوجان عين وزوج للخائف الانسى وعين وزوج للخائف الجنى او لكل خائف عين وزوج بفعل الطاعات
وعين وزوج بترك المعاصى لان مدار التكليف عليهما او لكل عين وزوج يثاب بهما واخرى يضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة او احدهما روحانية والاخرى جسمانية ثم انه تعالى وصف الجنتين بقوله ذواتا افنان قوله ذواتا تثنية ذات تانيث ذو والافنان
جمع فن وهو النوع او جمع فنن وهو الغصن المستقيم الممتد طولا وقال الله الافنان التى هى جمع الغصنة والغصنة بكسر الغين وفتح الضاد جمع غصين
كقرطة فى جمع قرط ولما كانت الغصنة التى تورق وتثمر وتمد الظل وصف الجنتين فى مقام المدح بقوله ذواتا افنان تذكيرا لهذه النعم كانه قيل ذواتا
اوراق وثمار وظلال قوله حيث شاؤا التنعيم يستفاد من عدم ذكر متعلق تجريان وقيل معناه تجريان دائما لا ينقطعان ابدا والتسليل اسم عين
فى الجنة قال تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا وكذا التسنيم سمى بذلك لانه يجرى فوق الغرف والقصور من تسنمه اذا علاه قيل فيهما عينان تجريان
لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله قوله تعالى متكئين حال من قوله ولمن خاف حملا على معنى من قوله ولمن خاف بعد الافراد حملا
على لفظها والعامل فيها الاستقرار اى استقر لهم جنتان فى هذه الحالة وقيل حال عاملها محذوف اى يتنعمون فيها متكئين والبطائن جمع بطانة
الثوب وهو ظهارته بطائنها من استبرق جمع اسية فى موضع الجر على انها صفة لفرش والاستبرق ما غلظ من الديباج اى الثخين منه قيل
هو معرب استبره والسندس هو الديباج الرقيق الناعم والجنى ما يجتنى من الشجر سواء كان مجتنيا بالفعل او كان بصدد الاجتناء ودان من
الدنو اصله دانو مثل غازو عن ابن عباس قال تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وعن قتادة لا ترد يده
بعد ولا شوك قوله لم يمس الانسيات يعنى ان الطمث فى كل شئ يقال للمرتع ما طمثه المرتفع قبلنا احد وما طمث هذه الناقة حبل قط
اى مسها عقال وقيل اصل الطمث الجماع والمؤدى الى خروج دم البكر بان الله عذرتها ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم
وقوله المص اشارة الى ان مؤمنى الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها بنعيمها التى من جملتها الجنيات كما يثاب مؤمنوا الانس بالحور العين
التى من الانسيات وتوقف ابو حنيفة فى هذه المسئلة بناء على ان الاثابة لا تجب عليه تعالى وانما هى تفضل الى يتبع فيها النقل ولم يرد فى حق من امن
من الجن الا سقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب من كفر منهم فى جهنم ويجعل من امن منهم ترابا قال تعالى
حكاية عنهم يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن قال بالحسن والقبح العقليين
وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فانه يقطع بان مؤمنى الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها ومن لا يقول بهما ذهب الى اثابتهم
بالجنة والحور العين من الجنيات انما يذهب اليها استدلالا بهذه الآية فانه تعالى لما خاطب بهذه الآية مؤمنى الجن والانس بقوله فباى
الاء ربكما تكذبان على وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف واخرى بمقصورات فى الخيام وبكونهن لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان فهم منه ان كل فريق منهم يدخلون الجنة ويثابون بنعيمها ويطمثون ما اعد لهم من الحور العين ثم قيل المراد بالقاصرات
الحور العين المخلوقة فى الجنة لم يمسسن اصلا وقيل هن المؤمنات من نساء الجنية والانسية بعد النشاة احد وقاصرات الطرف من اضافة

اسم الفاعل

اسم الفاعل الى المفعول للتخفيف اى قاصرات طرفهن على ازواجهن وقيل قاصرات طرف غيرهن عليهن اى اذا راهن لم يتجاوز طرفه الى غيرهن والاصل
نساء ازواج قاصرات حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وقوله لم يطمثهن صفة لقاصرات لان اضافتها لفظية لا تفيد تعريفا
او حال لتخصص النكرة بالاضافة وقوله كانهن الياقوت صفة اخرى لقاصرات او حال منهن لكونهن مختصص بالوصف اى مشبهات
الياقوت فى حمرة الوجنة وصفاء اللون والمرجان هو صغار اللؤلؤ اى بياض البشرة وصفاء لونها وصغار اللؤلؤ انصع بياضا قوله
ومن دونهما جنتان اى فى الفضل والقدر الاوليان للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان والاخريان لاصحاب
اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل الجنتان ومن دونهما وسواهما وغيرهما فعلى هذا تكون الجنات الاربع لكل اهل جنة قال ابن عباس انهما للمقربين
وهاتان لاصحاب اليمين ويدل على ان الاخريين ادنى من الاوليين فى الفضل والشرف ثم انه تعالى وصف الاوليين بكثرة الاشجار والفواكه حيث
قال ذواتا افنان ووصف الاخريين بكثرة البستان والرياحين المبسوطة على الارض حيث قال مدهامتان اى مائلتان الى السواد من الدهمة
وهى السواد يقال ادهم الزرع ادهيماما فهو مدهام اذا علاه السواد ريا وقال فى حق الاوليين فيهما عينان تجريان وفى الاخريين نضاختان
والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران بحيث كلما اخذ منه شئ فار اخر مكانه ولا يكفى هذا القدر فى الجريان وقال فيهما من كل فاكهة زوجان
وفى الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان فان فاكهة اقل من كل فاكهة زوجان وقال فى الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك
الظهائر لرفعة شانها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وقال فى الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان
وتظهر التفاوت بينهما بما يعلم مما ذكره المص فى تفسير الرفرف والعبقرى وفى هذا كله بيان للتفاوت ما بينهما وان الاوليين افضل من الاخريين
قوله عطفهما على الفاكهة جواب عما يقال لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من جملتها وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام
بيانا للفضل وتنبيها على شرفه فكانهما لمزيتهما جنس اخران كقوله تعالى بعد ذكر الملائكة وجبريل وميكال وايضا النخل ثمره فاكهة
وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه بها فصار باعتبار ما فيهما من التعدد الزائد كانهما لم يدخلا تحت مطلق الفاكهة ثم
ثم انه تعالى لما ذكر جنتى السابقين المقربين وجنتى اصحاب اليمين قال فيهن خيرات حسان اى فى جنان الاربع نساء ذوات خير
روى عن ام سلمة فسره بان فى الخيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل فى باطنهن الخير وفى ظاهرهن الحسن وقوله حور بدل من خيرات
وهو جمع احور وهى شدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات فى الخيام لسن بالطوافات فى الطرق
هذا هو المفهوم من المعالم والتيسير الا ان الظاهر ان ضمير فيهن راجع الى الجنان المدلول عليها بقوله ومن دونهما جنتان ويدل عليه قول المص
كحور الانس اذ فى حاجة الى وصف الجنان الاربع بان فيهن الحور بعد قوله فى حق الاوليين فيهن قاصرات الطرف قوله اى مخدرات اى
مستترة من الخدر وهو الستر قوله او مقصورات الطرف على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم قيل تقول لزوجها
وعزة ربنا ما ارى شيئا فى الجنة احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك والخيام جمع خيمة وهى اعواد تنصب وتظلل
بالثياب لاهل البوادى تكون ابرد من الاخبية واما خيام الجنة فروى قتادة عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ
فيها اربعة الاف مصراع من ذهب وعن عبد الله بن قيس الاشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة درة مجوفة طولها فى السماء ستون
ميلا فى كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الاخرون قوله وهم لاصحاب الجنتين اى الضمير فى قوله قبلهم لاصحاب الجنتين المدلول عليهم بقوله ومن دونهما
جنتان اى لمن دونهم وقوله تعالى متكئين فيها على رفرف والنمارق جمع نمرقة وهى وسادة وربما سموا الطنفسة التى فوق الرحل نمرقة قيل
الرفرف الخضر فراش اذا استقر عليه الولى طار به من فرصه وشوقه الى يمينا وشمالا احتياجا يريده الولى روى فى حديث المعراج ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند العرش فذكر انه قال طار بى يخفضنى ويرفعنى حتى

وقف به على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل فالرفرف خادم بين يدي الله تعالى من جملة الخدم
يختص بخواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان البراق يركبها الانبياء مخصوصة بركوبهم فهذا الرفرف الذي سخره الله لاهل الجنتين
هو متكأهم وفرشهم يرفرف بالولي ويطير به على حافات تلك الانهار حيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره قوله تعالى خضر نعت لرفرف
وعبقري عطف على رفرف وحسان نعت لعبقري قوله تعالى تبارك اسم ربك اي ارتفع شانه عن القرطبي انه قال لعل المراد بالاسم الاسم
الذي افتتح به السورة فانه افتتح السورة باسم الرحمن ثم ذكر خلق الانسان والجن وخلق السموات وصنعه وذكر انه كل يوم هو في شان ثم
وصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيمة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في آخر السورة تبارك اسم ربك الذي
افتتح به هذه السورة كانه تعالى يشير به الى ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض فلذلك اثنى على صفة
الرحمن

سورة الواقعة مكية

هي مكية غير قوله ثلة من الاولين وقوله افبهذا الحديث الى آخر الآيتين فانهما نزلتا في
سفره الى المدينة قوله وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر فيكون اذا بمعنى الوقت المجرد منصوبا على انه مفعول به قوله او كانت كيت كيت
فيكون اذا ظرفا لهذا المقدر ولم يجعل منصوبا بليس لوقعتها كاذبة لان ليس مثل ما النافية في انه لا حدث فيها وما ليس فيه الحدث
لا يكون عاملا في الظرف وتسميتها فعلا مجاز لعدم صدق حد الفعل عليها قوله اي لا يكون حين يقع نفس تكذب على الله تعالى
اي يفتري عليه بان يسند اليه ما لا يصح اسناده كنسبة الشريك والصاحبة والولد وان تقول انه تعالى لا يبعث الموتى
ولا يجازيهم ونحو ذلك من الاباطيل وفيه اشارة الى ان كاذبة اسم فاعل وانه صفة حذف موصوفها المرفوع على انه اسم
ليس واللام في قوله لوقعتها لام التاريخ كما في قوله تعالى قدمت لحياتي يعني انها بمعنى الوقت وهي مع عاملها المحذوف في محل
النصب على انها خبر ليس اي ليس نفس كاذبة حاصلة حين يقع بانكار شيء مما اخبر به الله تعالى مطلقا وانكار خصوص القيمة ونفيها
لان فيها كل نفس مؤمنة صادقة قال تعالى فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم وقال ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم قوله اوليس لاجل وقعتها كاذبة عطف على حرف واللام مثلها
في قدمت لحياتي كانه قيل بمعنى الوقت او على اصل معناه فالمعنى اذا قامت القيمة بان نفخ النفخة الثانية تعترف بها كل احد ولا يتمكن
احد من انكارها لاجل وقوعها ومشاهدتهم اياها واقتضى تكون اضطرارا يتعين لان يصدق ولا يمكن له ان يكذب بانكار
وقوعها كما انكره في الدنيا اما بلسان المقال او الحال فان من انهمك في اتباع الشهوات فقد كذب بالساعة وانكر وقوعها بلسان الحال
قوله اوليس لها في نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها عطف على قوله اي لا يكون حين يقع نفس تكذب فان الكذب بمعنى الاخبار
بما لا يطابق الواقع وهو في هذا الوجه بمعنى التشجيع على مباشرة ما لا يطيق تحمله لو قوعها حاج بجوزاء يكون متعلقا بالحق كاذبة كاذ
قيل اذا قامت لا يكون نفس تشجع صاحبها في حق وقعتها بان يقول له انك تطيقها وما هو اشد منها فلا تبال بها واثبتها ذلك
ولا يكون نفس تطيق زلزلة الساعة فاطلق نفس القيمة قوله في الخطب العظيم متعلق بالحق من قولهم فلان حق نفس ليس لوقعتها كاذبة في محل
النصب على انه حال من الواقعة اي انها اذا وقعت الواقعة مصدقة ومؤمنة جميع النفوس بامرهم وبجميع ما اخبر به قوله تخفض قوما الى النار
والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واسنادهما الى الواقعة من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والجمهور على رفع خافضة رافعة على انه خبر مبتدا
محذوف اي هي خافضة قوما الى النار ورافعة قوم آخرين الى مقر الكرامة وحذف المفعول للعلم به ويجوز ان ينزل الفعلان منزلة
اللازم والمعنى انها ذات وضع ورفع قوله وقرئتا بالنصب على الحال من الواقعة اي اذا وقعت الواقعة حال كونها خافضة رافعة
فهذه ثلث احوال متعاقبة الاولى قوله ليس لوقعتها كاذبة والثانية قوله خافضة والثالثة قوله رافعة وهو جاز كثرة الاحوال

لان الحال

لان الحال من الخبر فكما جاز تعدد الخبر عن مبتدا واحد فكذا جاز تعدد الحال قوله او بيان لما يكون في الفرق بين الوجهين ان الكلام
على الوجه الاول يكون كناية عن العظمة الملزومة لمضمون الكلام وعلى الثاني يكون المقصود مجرد بيان مضمونه من غير ان يقصد الانتقال
الى الملزوم قوله او ازالة الاجرام بالجر عطف على قوله خفض اعداء الله قوله والظرف متعلق بخافضة يشعر بانه متعين بها وذلك
لا يجوز لانه لا يتوارد عاملان على معمول واحد فالمراد ان كل واحد منهما متسلط عليه من جهة المعنى على سبيل التنازع اي برفع وخفض
وقت رج الارض وبس الجبال قوله فكانت بمعنى صارت وقوله تعالى وكنتم عطف على رجت والخطاب للخلائق باسرهم قسمهم ثلثة اصناف
اثنان منها في الجنة وواحدة في النار ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون قوله من يتيمنهم بالياس خبر
يعني اطلاق اصحاب الميمنة على اصحاب الرفعة والمنزلة السنية وكذا اطلاق اصحاب المشامة على اصحاب الهوان والذلة ناشئان من تيمنهم
بجانب اليمين وتشائمهم بجانب الشمال حتى انهم يتفائلون بالسانح من الصيد لاعطائه جنبه يمينه اياهم بان يطير ويمر من جانب
يسارهم الى جانب يمينهم ويتطيرون بالبارح وهو ضد السانح ويقولون فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا ارادوا
ان يصفوه بالرفعة والدناءة عندهم وفي الصحاح المشامة الميسرة وكذلك الشامة يقال قعد فلان شامة وصفهم شامة
اي ذات الشمال ونظرت يمينه وشامه والشوم نقيض اليمن واليمنة خلاف اليسرة والايمن والميمنة خلاف اليسرى والميسرة
الى هنا كلامه وقيل الميمنة والاشقيا باصحاب المشامة لانه يوصد باهل الجنة ذات اليمين ويوخذ باهل النار ذات الشمال
قوله والجملتان الى قبلهما بنواه قوله تعالى فاصحاب الميمنة وما استفهامية مبتدا ثان وقوله اصحاب الميمنة خبره والجملة خبر الاول وكذا
قوله واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة واكتفى عن الراجع الى المبتدا فيهما صريح اسمه والمعنى اصحاب الميمنة اتى شيء هم فوضع الظاهر
موضع المضمر للمبالغة في وصفهم بما دل على المدح كانه قيل ما تدري ما لهم من الخير والكرامة وما لاصحاب المشامة من الشر والعذاب
ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في موضع التعظيم والتعجب نحو زيد ما زيد وكذا قوله
والسابقون السابقون فانه جملة اسمية خبر عن السابقين بانهم السابقون مبالغة في مدحهم اي السابقون من عرفت حالهم
عن البسط والشرح كقول ابي النجم انا ابو النجم وشعري شعري كانه قيل وشعري كما انتهى اليك وعرفت فصاحته وبلاغته قوله
من غير تلعثم اي تمرد يقال تلعثم الرجل في الامر اذا تمكث فيه وتوانى والتواني من الونى وهو الضعف يقال ونى في الامر
يني ونيا اي ضعف فهو وان وتوانى في حاجته اي قصر وفتر فسر المصنف قوله تعالى ثلثة اوجه فسره اولا بقوله والذين سبقوا
الى الايمان والطاعة وثانيا بقوله او سبقوا في حيازة الفضائل وثالثا بقوله او لياء وفسر قوله والسابقون هم الذين
عرفت احوالهم ولم يعتبر التغاير بينهما بان يجعل متعلق السبق الاول ما ذكر من الاحتمالات ومتعلق السبق الثاني الجنة
حيث قال او الذين سبقوا الى الجنة وهو معطوف على قوله الذين عرفت احوالهم قيل السابقون اربعة منهم سابق امة
موسى عم وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى عم وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابق امة محمد عم
وهما ابو بكر وعمر رضه ويحتمل ان يكون السابقون الثاني تاكيدا للاول تاكيدا لفظيا واولئك المقربون جملة اسمية
ويحتمل ان يكون السابقون الثاني مرفوعة المحل على انها خبر الاول والرابط اسم الاشارة والاقرب ان يوقف
على السابقون الثاني لانه تمام الجملة ويجعل قوله في جنات النعيم جزءا ثانيا او حالا من المنوي من المقربين اي اولئك
الموصوفون بالسبق هم المقربون عند الله تعالى في جنات النعيم او كما تبين فيها قوله اي كثير من الاولين اشارة الى ان قوله
ثلة خبر مبتدا محذوف وان الثلة بمعنى الجماعة الكثيرة وقوله من الاولين في موضع الصفة للثلة اي السابقون المقربون جماعة

كثيرة من الامم السابقة ويجوز ان يكون خبرا ولذلك قوله عم ان امتي يكثرون سائر الامم وقال عليه السلام اهل الجنة مائة وعشرون صفا
هذه الامة منها ثمانون صفا وهذا لا ينافي كون سابقي الامم السالفة اكثر من سابقي هذه الامة لان الانبياء المتقدمين كثيرة جدا ومن ضرورته
ان يكثر السابقون الى الايمان والطاعة من اممهم بالنسبة الى سابقي هذه الامة ومن المعلوم ان تابعي هذه الامة اكثر من تابعي
الامم السالفة بحيث يكون مجموع الامم السالفة فان الرجال الذين عاينوا النبيين وسبقوا الى الايمان بهم ممن عاين نبينا
وسبق الى الايمان ولما ورد ان يقال كيف يكون تابعوا هذه الامة اكثر من تابعي الامم السابقة وقد قال تعالى في حق اصحاب اليمين ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين وكثرة اصحاب اليمين يستلزم كثرة تابعيهم اجاب عنه بقوله ولا يرده آه يعني ان اللازم كثرة تابعيهم في انفسهم وذلك لا يرد
قلتهم بالنسبة الى تابعي هذه الامة قوله وروي مرفوعا انه عم قال الثلثان جميعا من امتي فالمعنى ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وقليل من
الآخرين من آخر هذه الامة في آخر الزمان قوله واشتقاقها من الثل وهو القطع وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعون من جملة بني آدم قوله الموضونة
المنسوجة بالذهب الفقه قال ابن عباس وقال عكرمة الموضونة المشبكة بالدر والياقوت وقال الراغب الوضين نسج الدرع ويستعار لكل نسج
محكم وقيل اصله وضنت الشيء اي ركبت بعضه من بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركيب حلقها قوله حالان من الضمير في على سرر اي من الضمير
المنوي في الفعل الذي تعلق به الحال في على سرر كانه قيل استقروا على سرر متكئين قوله ولدان اي غلمان وهو جمع وليد وهو الذي لم يبلغ
بعد روي انه عم ان اطفال الدنيا خدم اهل الجنة وقال سلمان هم اطفال المشركين وقال الحسن لانه لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات
يعاقبون عليها وابوة توقف فيهم لان الفضل ثواب بفضل الله بوعده الا بالعمل والامر فيهم قيل انهم خدم خلقوا في الجنة على صور الغلمان
قوله من خمر يعني ان المعين فعيل بمعنى فاعل من معن الماء اذا جرى فالمعين بمعنى الجاري من الماء والخمر وقد موصوفة بشهادة الكاس وهو
القدح الذي فيه خمر قوله لا يصدعون عنها من التصديع وبناؤها ليس للتعدية لان الثلاثي متعد يقال صدع فهو مصدوع اذا اصيب
راسه بالوجع بل هو لكثرة الصداع او المصدوعين ومعنى قوله لا يصدعون عنها يجوز ان يكون مستانفا اخبر الله تعالى عنهم بانهم لا ينالهم
عليهم قوله ولا تنزف عقولهم اشارة الى ما ذكره في سورة الصافات من ان اصل النفاد في الآية اما للعقل والشراب فان نفاد الشراب يخل
نشاط اهل المجلس قوله وقرئ لا يصدعون بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اي يتفرقون فالمعنى لا يتفرقون كما يتفرق
اهل الشرب من مجلس الشراب لجهتين من مهمات الدنيا وذلك التفرق عنهم من الاستمرار على صفة الاجتماع في المجلس قوله تعالى وفاكهة مجرور
بالعطف على اكواب اي بفاكهة وتخير الشيء اختياره عنه خيرا ومن في قوله مما يتخيرون اما للتبيين الجنس لانه كل جنس اجناسها في
الفضل سواء او للتبعيض اي من جنس يتخيرونه من اجناس الفاكهة او من اجناس ما يستلذونه من نعيم الجنة وكذا قوله تعالى مما يشتهون
قال يخطر ببالهم لحم طير فيصير ممثلا بين ايديهم على ما يشتهونه فاذا اخذ وامنه حظهم يطير فيذهب وخص لحم الطير من بين اللحوم
لان توسع العرب بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير وكانوا يشتهونه عند الملوك واحتيج في توجيه عطف قوله وحور على اكواب الا اعتبار
المعنى لانه لو عطف عليه باعتبار اللفظ لكان المعنى يطوف عليهم الولدان باكواب وبحور عين وهو غير صحيح لان الولدان لا يطوف عليهم بالحور
قوله باطلا الباطل من الكلام ما يلغى ولا يلتفت اليه لعدم الفائدة في سماعه وخلوه عن معنى يعتد به وان لم يكن كذبا والتاثيم مصدر
اثمه اي قلت له اثمت اما لا يؤثم بعضهم بعضا وقوله الا قيلا مستثنى منقطع لانه لا يندرج تحت اللغو والتاثيم وسلاما سلاما بدل من قيلا
اي لا يسمعون فيها الا سلاما او صفة لقيلا اي ولكن يسمعون قولا ذا سلامة مما يكره اي قولا سارا وكلاما حسنا او مفعول قيلا والمعنى
لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما او اسلم مما تكره سلاما او سلم الله عليكم ومعنى التكرير في سلاما انهم يفشون السلام بينهم ويسلمون
سلاما بعد سلام قوله تعالى في سدر مخضود اي هم في ظلال ينق خضد شوكه اي قطع والخضد وان كان مقطع الشوك من الشجر نزعه الا ان المصـ

فسر الخضد

فسر المخضود بقوله لا شوك له على معنى انهم خلق بلا شوك لكانه نزع منه شوكه بعدما كان فيه وعن مجاهد من خضد الغصن اذا
ثناه وهو رطب قوله وشجر موضود اليه ذهب اكثر المفسرين وهو شجر له اوراق كبار وظل بارد كما ان اوراق السدر صغار وبينهما
من الاشجار ما هو متوسط الاوراق وذكر الطرفين يدل على اندراج ما بينهما وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان لها نور
طيب ان كان لا يؤكل منه شيء فيقصد منه التنزه والزينة دون الاكل قيل كان لاهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر فنظر
المسلمون اليه فقالوا يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقد قال الله ولكم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقرئ
وطلع منضود بالعين استند لا يعجز ثم لما طلع نضيد قيل اشجار الجنة ليس لها ساق بادية بل ثمارها منضود من عرقها الى
افنانها كلما اخذت منها ثمرة عاد مكانها ما هو احسن منها اشهى قوله لا يتقلص اي لا تنتقص يقال ظل قالص فانقص طرف منه
وهو شأن ظل الدنيا قوله يسكب لهم اي يصب لهم مكان ولهم ضرير وصفاء وهو على الماء في مرأى العين وقيل ينصب من
ساق العرش وقال سفيان يجري من غير اخدود وقيل دائم الجرية لا ينقطع وما اشار اليه التعميم تمكنوا اين شاؤوا وكيف
شاؤوا وهو مستفاد من عدم ذكر متعلق مسكوب لانه شبه حال السابقين الى المدن من الاستقرار على السرر الى قوله
فاصحاب اليمين وما يتمناه خلال السدر والطلح والظل والماء الموصوفة بالاوصاف المذكورة قوله لا ينقطع في وقت من الاوقات
حتى وقت الاخذ بل ينبت مكانها مثلها قوله لا تمنع اي لا يبعد متناولها وانعدام ثمن يشتريها به وشوك من الشجر يؤذي
من يقصد تناولها وحائط يمنع الوصول الى شجرها بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذ بلا تعب قال تعالى وذللت
قطوفها تذليلا قوله او منضدة اي مبسوطة بعضها فوق بعض يقال نضد متاعه ينضده من باب ضرب اذا وضع بعضه على
بعض قيل لو طرح فراش من اعلاها الى اسفلها لم يستقر الا بعد سبعين خريفا قوله ويدل عليه اي على ان المراد بالفرش
النساء وجه الدلالة ظاهر ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير انشاناهن راجعا الى قوله وحور عين او الى النساء المذكور
عليهن بذكر الفرش لانها تبسط لان يضطجع الرجل عليها مع اهله قوله ابدا واعادة الاول على ان يكون المراد بهن نساء
الدنيا ومما يدل على ان المراد بهن نساء الدنيا قوله تعالى فجعلناهن ابكارا لان المنشأة في الجنة لا شك في كونهن ابكارا او
يجعل بعين البصير بشيء ان يكون قبل ذلك بنات ويدل عليه ايضا ان ام سلمة سالت النبي عم قال يا ام سلمة هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا وفي رواية عمصا مكان شمطا جعلهن بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد الاتي
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك
وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله تعالى ان يدخلني الجنة فقال عم ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت تبكي فقال رسول الله
اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرا الآية عربا اترابا والشمط جمع شمطاء يقال رجل اشمط وامراة شمطاء
وجمعها شمط اذا خالط بياض شعر راسه سواده والعمص في العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها والرجل اعمص
والمراة عمصاء والرمص وسخ يجتمع في الموق والرجل ارمص والمراة رمصاء قوله جمع عروب كرسل ورسول من اعرب
اذا ابين والعرب تبين محبتها لزوجها بالغنج وحسن الشمائل وطيب النفس والملاعبة معه بما ينشطه في قولها انها
قوله او صفة لابكارا ولابكارا عربا اترابا وقد اشار اليه بقوله وكذا ازواجهن قوله او خبر لقوله ثلة من الاولين
فاللام سواء جعل لاصحاب اليمين صفة او خبرا متعلقا بمحذوف هو الصفة او الخبر والسموم في الاصل ريح حارة تدخل

في مسام البدن والمراد بها في الآية حر النار تشبيها له بالسموم في نفوذه في المسام ومسام البدن منافذه وثقبه والحميم الفحم وفي
بحيث لا تستبقي احدكم بالحميم اي بالفحم والمعنى ان الصنف الثالث من الازواج الثلثة وهم اصحاب الشمال في غاية حر نار جهنم
تحترق بها اكبادهم واجسادهم فيستغيثون بالماء فيغاثون بماء حميم شديد الحرارة فيزدادوا دون عذابا فوق عذابهم
بحر النار فيستغيثون بالظل من يحموم فاذا اتوه لم يجدوه باردا ولا كريما بل يكونوا بما القوا فيه من العذاب اشد مما كانوا
فيه قبل ذلك قوله ولا نافع فان الكريم صفة لكل ما يرضي ويحمد في بابه والكريم ما كرم خيره لانتفاعه به وما لا ينتفع به غيره لا يكون كريما
والظل يقصد لفائدتين احدهما برودته التي يستريح بها من يأوي اليه من غير ان يقصد به دفع الحر وثانيهما دفع اذى الحر عمن يأوي اليه
مع قطع النظر عن ان يعقده روح البرد او من غير ان يفيده البرد اصلا كالبيوت التي لا يتحرك فيها الهوى فان من يأوي اليها تخلص بها عن اذى
حر الشمس وان لم يستروح ببردها وظل اليحموم ليس فيه شيء من هاتين الفائدتين ونظير هذه الآية انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني
من اللهب قوله نفي بذلك اي بقوله لا بارد ولا كريم ما اوهم الظل من الاستروح يعني مقتضى الظاهر ان يقال ويحموم حار ضار الا انه عدل
عن ذلك الى قوله وظل للتهكم من حيث ان الظل يوهم الروح والبرد ثم لا يفي عنه ما هو المطلق من الظل وهو البرد الكريم تهكما بهم ازدياد
تحسرهم وتأسفهم ثم انه تعالى ذكر اعمالهم التي اوجبت لهم هذا الغذاء فقال انهم كانوا قبل ذلك اي قبل ان يصيروا الى هذه العذاب في الدنيا مترفين
اي رفهة النعمة اذ اطغاته ومن لم يتوسل بانعام الله تعالى عليه من النعم الى رعاية مقتضى العبودية بل صرفه الى ما يشتهيه فقد اترف وطغى فعلى
هذا المترف صفة ذم كالاصرار على الحنث وقيل المترف المنعم والمترف المنعم فهو في حد نفسه ليس للذم وانما حصل بقوله وكانوا يصرون على
الحنث فان المعاصي كثرة النعم على افحش القبائح فكانه قيل انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا متنعمين لم يشكروا انعم الله عليهم
بل اصروا على الذنب العظيم والحكمة في ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مطيعين
التنبيه على ان الثواب منه تعالى فضل لا يستحقه المطيع بطاعته بخلاف العقاب فانه منه تعالى عدل فيبين سبب جزاء المعصية فبين سبب عقابهم لئلا يتوهم ان
هناك ظلما قوله كررت الهمزة يعني ان الهمزة الاولى دخلت لانكار البعث مطلقا والثانية لانكاره وقت كونهم لحومهم ترابا وعظامهم رفاتا والتي دخلت
العاطف لانكار بعث آبائهم الذين هم اقدم موتا وانهم الحلال وكل واحد من هذه الامور اشد انكارا مما قبله فانهم اشاروا في استبعادهم للبعث
وتكذيبهم اياه الى امور اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم له الاول الموت اشاروا اليه بقولهم أئذا متنا والثاني طول مدة موتهم حيث صارت لحومهم
ترابا ولم يبق منهم الا العظام البالية ثم ازدادوا وقالوا في هذه الحالة يقال لنا انكم لمبعوثون بتأكيد الكلام بطرق ثلثة احدها تصدير الكلام بان وثانيها
زيادة اللام في خبرها وثالثها العدول عن صيغة المستقبل الى صيغة اسم المفعول كان البعث امر كائن في الحال ثم ازدادوا وقالوا او آباؤنا الاولون
بادخال همزة الانكار على الواو العاطفة للدلالة على ان ذلك اشد انكارا من حيث ان الاباء اقدم موتا واشد تلاشيا واضمحلالا وقوله آباؤنا معطوف
على الضمير المرفوع المتصل في لمبعوثون وجاز ذلك لقيام الهمزة الفاصلة مقام التاكيد كما قامت كلمة لا المؤكدة للنفي مقامه في قوله تعالى ما اشركنا
ولا آباؤنا وقرئ باسكان الواو على انها او القاسمة التي هي لاحد الشيئين او الاشياء اي ايبعث نحن او آباؤنا انكارا لان يبعث كل واحد منهم ومن
آبائهم قوله لا هو لما تقرر ان ما بعد كل ان ولا ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل بما قبلهن قوله لمجموعون بتكرير المفسر كانه قوله تعالى
وغلقت الابواب قال الحسن لمجموعون في القبور الى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيمة فتكون كلمة الى لبيان غاية اجتماعهم فيها وميقات الشيء
ما وقت به ذلك الشيء اي حد وعين قوله من يوم معين بيان ما في قوله ما وقت به اشار به الى ان اضافة الميقات الى اليوم بيانية بمعنى من
كما جاء في خاتم فضة اي الى الميقات الذي هو يوم المعلوم وهو يوم القيمة وهو ميقات منتهى الدنيا عند اول جزء منه فان بقاء الدنيا موقوف بحدود
بتحقق اول جزء من ذلك اليوم يقال وقت الفعل بالتخفيف اذا بين له وقتا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت قال تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين

كتابا

كتابا موقوتا اي مكتوبا مبين الوقت وقيل في قوله معناه لمحشورون فكلمة الى على هذا بمعنى في قوله من الاولى لابتداء الغاية اي مبتدؤ الاكل من شجر
والمراد ثمرة والثانية لبيان جنس تلك الشجر قيل اختلفوا في الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى ان ذلك في الفم مرة وفي الحلق حارة وفي الرائحة
منتن وفي النظر اسود لا يكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصة كريه من جميع الوجوه اعاذنا الله منه برحمته والفاء في قوله فمالئون
المتوسط بين الصيغتين المختلفتين لبيان ترتبهما في الوجود والعجب من جمعهم اياها وكذا الفاء في فشاربون الاول
وكذا فشاربون شرب الهيم فان مجرد اكلهم من ذلك الشجر امر عجيب واعجب منه ان يغلب عليهم الجوع بحيث يضطرون ان يأكل كل
واحد منهم الى ان يملأ منه بطنه مع ما فيه من وجوه العذاب هذا على ان يكون ذكر البطون لمقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد
الى الاحاد ويحتمل ان يكون المراد بالبطون ما في بطن الانسان من الامعاء السبعة ويكون المعنى فمالئون بطون الامعاء
والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب اعجب منه ان يحملهم عليه العطش على ان يشربوا عليه الحميم المتناهي الحر المقطع للامعاء واعجب من
ذلك كله كونهم شاربين اياه بالحرص كما يشرب الهيم الماء الطيب قوله جمع اهيم وهيماء فاصل هيم بضم الهاء كحمر في جمع احمر وحمراء
فابدلت الضمة كسرة لتسليم الياء كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض وبيضاء والصدا العطش قوله ولا يقضي عليها هيامها اي عطشها
قوله قيل الرمال عطف على قوله الابل التي بها الهيام والرمل اذا لم يتماسك برودي من الماء اصلا وهيام يجمع على هيم بضمتين على وزن
سحب في جمع سحاب كما في بيض قوله وكل من المعطوفين الاخر جواب عما يقال كيف صح عطف الشاربين على الشاربين مع انه ليس من عطف
الذوات على الذوات لاتحاد الذوات في الطرفين ولا من قبيل عطف الصفات لانهما صفتان متفقتان فكان من عطف الشيء على نفسه وهو لا يجوز
وتقرير الجواب منع اتحاد الصفتين بناء على ان بينهما عموما من وجه لان الشرب من الحميم اعم من ان يكون كشرب الهيم او غيره وكذا الشرب
كشرب الهيم اعم من شرب الحميم ومادة الاجتماع ظاهرة وفيه تهكم اي في قوله تعالى هذا نزلهم من قبيل استعارة التهكمية وهي عبارة عن
تنزيل احد الضدين بالآخر من حيث التضاد ثم اطلاق اسم المشبه به على المشبه شبه في الآية ما قدم للتعذيب بالتكبير وهو النزل
ثم اطلق اسم النزل على المشبه قوله بالخلق او بالبعث يعني انه تعالى قال نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض على التصديق يعني فهلا تصدقون
والتصديق لا بد له من مصدق ولم يذكر ذلك فيحمل على ان يكون المراد التحضيض على التصديق بالخلق الاول فانهم وان كانوا
مصدقين به كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله الا انهم نزلوا منزلة الكذب من حيث انهم يرون على ما تقتضيه
ذلك التصديق وهو الايمان والطاعة وقد تقرر ان العالم بالشيء ينزل منزلة الجاهل به اذا لم يجر على مقتضى علمه فهم لما اصروا على
الكفر واتباع الشهوات صاروا بمنزلة من يكذب بالخلق الاول فحض تحضيضهم على التصديق به ويحتمل ان يكون المراد تحضيضهم
على التصديق بالبعث استدلالا بقوله تعالى افرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون فانه الزام لهم على الاعتراف بان
الخالق في الابتداء هو الله فان المني امر ممكن والممكن لا بد له من موجد غيره وان يوجده لا يكون مخلوقا آخر والا لزم الدور
والتسلسل فتعين ان خالقه هو الله الواحد القهار كانه قال نحن خلقناكم قال المشركون خلقنا من النطفة فرد عليهم بقوله
افرأيتم ما تمنون اي انتم زعمتم ذلك فاخبروني ومفعولها الاول ما تمنون سواء وقرئ بفتح التاء او بضمها معناه ما تصبونها
في الارحام النساء قال القرطبي يحتمل عندي ان يختلف معناها فيكون امنى بمعنى انزل من جماع ومنى بمعنى انزل احتلاما وقوله تعالى
الم يك نطفة من مني يمنى يحتمل ان يكون من الثاني قوله قسمناه الى الكل يعني ان تقدير الموت بين القوم يقتضي معنيين الاول جعله مقسوما
عليهم والثاني جعل ما اصاب كل واحد منهم مخالفا لما اصاب الباقين منه فاختلفت اعمارهم بذلك كما اختلفت الارزاق المقسومة بينهم منهم
من يعيش الى ان يبلغ الهرم ومنهم من يموت شابا وصبيا صغيرا ولما كان تقدير الموت متضمنا لهما كان قوله وما نحن بمسبوقين

نفيا لان يعجزه احد عن كل واحد منهما وتفوت عن تنفيذ مشيئته فيه بان يتخلص من الموت او يغير وقته المقدر ويجوز ان لا يكون السبق
بمعنى الفوت يكون بمعنى الغلبة كما يقال سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته ولم يمكنه منه قوله على الاول حال يعني على تقدير ان يفسر قوله
على ان نبدل متصلا بقوله نحن قدرنا بينكم الموت اما يكون حالا من فاعل قدرنا بينكم الموت عازمين ان نبدل منكم اشباهكم بان
نهلككم ونأتي باشباهكم كانكم قرنا بعد قرن الى وقت انقضاء الدنيا وعلى ان ننشئكم بعد فناء الدنيا فيما لا تعلمون من الصور
والصفات فالسعداء يبعثون على احسن الصور والاشقياء على اقبحها وهم لا يعلمون ذلك اليوم واما ان يكون علة لقدرنا بان يكون
كلمة على بمعنى اللام وعلى هذا اي على تقدير كونه متصلا به يكون حالا او علة يكون قوله تعالى وما نحن بمسبوقين اعتراضا هذا التقدير وقدمه
على ما يشاء قوله وعلى الثاني صلة اي تفسير قوله وما نحن بمسبوقين فلا يغلبنا احد يكون قوله على ان نبدل صلة اي متعلقا بمسبوقين فان السبق
بمعنى الغلبة يتعدى بعلى كما اشار بقوله سبقته على كذا اذا غلبته عليه لان نفي المغلوبية في اثبات القدرة وهو يتعدى بعلى فكذا ما بمعناها قوله
والمعنى على ان نبدل اه اشارة الى انه احد المفعولين وهو المتعدي اليه بحرف الجر بحذف واو الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء ثم
اشار الى جواز ان يكون الامثال جمع مثل بفتحتين وهو الصفة العجيبة الشأن اطلق عليها لفظ المثل تشبيها لها بالمثل السائر المثل بضربه
بمورده الذي هو المعنى الوضعي للفظ المثل والمعنى على ان نبدل صفاتكم وتغيرها وننشئكم في صفات وخلق وهيئات لا تعلمونها وما رأيتم نظائرها
قوله تعالى وننشئكم عطف على ان نبدل اي وعلى ان ننشئكم ثم انه تعالى قرر امكان النشأة الثانية وحض على التذكر والاستدلال من القدرة بالنشأة
الاولى على النشأة الثانية اي هلا تذكرون ان من قدر على النشأة الاولى بلا سبق مثال ومواد آخر فهو على النشأة الثانية اقدر فقال ولقد علمتم النشأة
الاولى اي الخلقة الاولى قوله وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى بقوله فلولا تذكرون فانه
فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قياسا على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكلما كان من قبيل العلم فهو صحيح
وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور
واعلم انه تعالى احتج على المشركين الذين انكروا البعث بقوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده في خلق
النطفة التي هي مادة تكونهم فقال افرأيتم ما تمنون ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده في خلق ما به يعيشون ويكون سببا لبقائهم
في المأكول والمشروب وما هو سبب لاصلاح المأكول غالبا وهو النار فذكر من كل نوع ما هو الاصل فيه فذكر من المأكول الحب لانه الاصل
فيه ومن المشروب الماء كذلك ومن المصلحات النار لكونها سببا لاصلاح اكثر الاغذية ودخل في كل واحد منها ما هو دونه فقال افرأيتم
ما تحرثون اي اخبروني ما تحرثون اضيف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث الذي هو القاء البذر في الارض فعلهم من حيث ان
اختيارهم له مدخل فيه بخلاف الزرع فانه خالص فعل الله تعالى فان انبات الحب واخراج الاوراق والساق والسنبلة لا مدخل
العبد للاختيار فيه اصلا وروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت فان الزارع
هو الله تعالى وحده ثم قال ابو هريرة اما سمعتم قول الله تعالى أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي المستحب لكل من يحرث
شيئا ان يستعيذ من الشيطان الرجيم ثم يقرأ افرأيتم ما تحرثون الآية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين يقال ان ذلك القول امان لذلك الزرع من جميع الآفات
الدود والجراد وغير ذلك ثم قال سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك والهشيم كالنبت اليابس من النبات والهشيم من
النبات اليابس المتكسر قوله هذه الآية تتضمن امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على ما انعم الله عليهم والثاني
البرهان الموجب للاعتبار لانه تعالى لما انبت زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله الى استحالة تحت التراب حتى صار مزرعا اخضر ثم قوى

واشتد

واشتد وانبتت سنابل ذوات حبوب كثيرة فمن قدر عليه فهو باعادة الموتى احق واقدر وفي هذا البرهان قناعة للناظرين والجمهور على فتح
الظاء وكسر اللام في قوله تعالى فظلتم اصله ظللتم بكسر اللام الاولى فحذفت اللام الاولى هربا من ثقل التكرار وقرئ فظلتم بكسر الظاء بان
نقلت حركة الاولى اليها بعد سلب حركتها وتفكهون اي فظلتم النهار كله تتعجبون من يبسه بعد خضرته يقال ظلت اعمل كذا بالكسر
ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل وتفكه بمعنى تعجب ويقال بمعنى ندم اي تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه وعلى ما اقترفتم من المعاصي
التي اصبتم بالحرمان من اجلها قوله لمغرمون غرامة ما انفقنا من البذر والمؤنة على ان المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل المغرم المهلك
من قوله تعالى ان عذابها كان غراما اي هلاكا والجملة محكية بقول مقدر في موضع الحال اي قائلين هذا القول قوله او محدودون من الحد
بمعنى المنع اي ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع قوله فعلقه بالاستفهام الداخل على المفعول الثاني عن العمل فيه ولا يمنع عن
العمل في المفعول الاول ذكره في شرح الرضي اذا صدر المفعول الثاني بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول
الاول نحو علمت زيدا من هو وجوز بعضهم تعلقه عن المفعولين لان معنى الاستفهام يعم الجملة التي بعد علمت كانه قيل علمت زيد من هو وليس بقوي
قوله ملحا اي شديد الملوحة بحيث لا يقدر على شربه والملح صفة مشبهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو مالح فلا يقال مالح الا في لغة
رديئة والاجاج بمعنى تلهب النار يقال اججت النار تأجيجا قوله وحذف اللام الفاصل جواب عما يقال لم التزمت البلغاء ادخال اللام في جواب
لو للفصل بينها بمحض الشرط وعوامل ان وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنا لمعنى الشرط وشبيها باداة الشرط وهي كلمة لو فلذلك دخلت اللام
في جواب لو في قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فلم تدخل في قوله لو نشاء جعلناه اجاجا وانما قلنا ان لو ليست متمحضة للشرط لان الشرط عبارة
عن تعليق حصول شيء على حصول غيره وذلك يقتضي ان يكون المعلق امرا مستقبلا اثباتا ولو للمضي فلا تكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين
تعلق احداهما بالاخرى بان يكون امتناع الثانية منهما منوطا بامتناع مضمون الاولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة باداة الشرط
وليس لها عمل في شيء منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق فاحتيج الى ان ينصب ما يدل عليه فزيدت في جوابها لتكون علامة ودليلا على التعليق
المذكور وتقرير الجواب انها حذفت في جواب لو الثانية اعتمادا على علم السامع بمكانها فان السامع لما علم انها جعلت علامة لكون الجملة التي تليه
مرتبطة بالاولى وانها لا بد منها في جواب لو علمها المشهورين الناس موقعها ومكانها جاز حذفها لان الشيء اذا علم موضعه واشتهر ابتذل
منه لا يبالي باسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت ههنا قرينة اللفظية وهي تقدم ذكرها مع
الى تحقق القرينة المعنوية وقوله وتخصيص ما يقصد لذاته جواب عما يقال القرينة الحالية قائمة في كل واحد من المطعوم والمشروب فلم اختصت
آية المطعوم بذكر اللام فيها وآية المشروب بحذفها اعتمادا على القرينة الحالية ولم يعكس الامر وتقرير الجواب ان الطعام مقصود بذاته والمشروب
انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم فكان الاول اهم وفقده اصعب اشد فكان ههنا احرى بالاختصاص بمزيد التأكيد للارتباط وعدم الاكتفاء
بالقرينة قوله يقدحون اي يقدحونها ويستخرجونها من الزناد وهو جمع زند يقال ورى الزند وريا اي خرجت ناره واوريته انا
والزند العود الذي يقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان والجمع زناد والقداح الحجر
الذي يوري النار والعرب تقدح بعودين يحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى منهما الزند والاسفل الزندة تشبيها لهما بالفحل والطروقة
عن ابن عباس انه قال ما من شجر ولا عود الا فيه نار سوى العناب فان عوده لا نار فيه ولهذا تدق اهل القصارة ثيابهم به قوله
كما مر في سورة يس عند قوله فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة
فيما كان غضا فيبس وبلي والتبصير والتبصرة التعريف والايضاح كان التبصر الناظر والناقد فهو تذكرة جعل النار مبصرة لامر البعث
او مبصرة في ظلام الليالي وتذكرة وانموذجا لنار جهنم حيث علق بها معظم معاش الانام لتكون حاضرة عندهم في غالب الاوقات ليتذكروا به

نار جهنم وقد روى عنه عم ناركم هذه التي توقدونها يا بني آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قوله للذين ينزلون القواء من المسافرين
واهل البادية فانهم اشد احتياجا الى النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويصطلون من البرد ويخففون ثيابهم ويطبخون
طعامهم اذ لا يوجد الحاضرة في البوادي الخالية من السكان فلذلك خص المقوين بالذكر مع ان المقيمين واهل المدن يتمتعون بها ايضا
يقال اقوى الرجل اذا نزل في الارض القواء كما يقال اصحر اذا نزل في الصحراء ويقال ايضا اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها قال النابغة
يا دارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد قدم كونها تذكرة على كونها متاعا لانه امر ديني قد غفل الناس عنه فكان
اهم واولى بالتقديم قوله فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره كان قائلا قال الظاهر انه يقال فسبح ربك العظيم اي فنزهه عما لا يليق بشانه الاعلى من
النقائص فانه تعم لما رد على من انكر البعث بان قال ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون بان ذكر ما يدل على صحة البعث وقدم عليه
وبدا بذكر خلق الانسان لكونه اصل النعم كلها ثم ذكر تفرده بخلق ما به بقاء الانسان فبدا بذكر ما هو اصل المطعوم وهو الحب ثم ذكر ما هو اصل المشروب
وهو الماء الذي يعجن به الخبز ويشرب ثم ذكر النار التي يطبخ بها معظم المطعومات وبين بهذا كله ان من انعم بهذه النعم عليكم وتفرد بخلقها ابتداء قادر على ان
يعيدكم للحشر والجزاء فرع عليه الامر بتسبيحه وتنزيهه عما زعم منكروا البعث في حقه تعم فانهم منكرون لقدرته الكاملة وعلمه الشامل
لتفاصيل اجزاء الموتى فثبت ان الظاهر انه يقال فسبح باسم ربك العظيم عما يقولون الجاهلون فلم قال فسبح باسم ربك العظيم وتقرير الجواب
ان كون الامر بالتسبيح متفرعا على ذكر دلائل صحة البعث لا يستدعي ان يكون تعلق التسبيح بالحق مرادا لان المقصود حاصل بتنزيله منزلة اللازم
وجعل الباء في قوله باسم ربك متعلقا بتقدير الذكر المضاف الى الاسم وجعل الاسم بمعنى الذكر مجازا فيكون المعنى فاحدث التسبيح بواسطة اسمه تعم
او بواسطة ذكر اسمه وجاز كون الاسم مجازا عن الذكر لما اشار اليه المصنف بقوله فان اطلاق اسم الشيء ذكره فاراد به بيان العلاقة بين الاسم
والذكر يعني ان اطلاق اسم الشيء لما كان سببا لذكره صح اطلاق الاسم وارادة الذكر مجازا قيل ويجوز ان يجري النظم على ظاهره من غير تقدير
المضاف ولا ارتكاب المجاز بان يكون المعنى فسبح اسم ربك فانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص كذلك يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
للدلالة عليه عن سوء الادب وهذا ابلغ في الدلالة على تسبيح ذاته لانه يلزم منه ذلك بطريق الاولى على ما مر في الباء ان يتعدى اليه بنفسه كما في قوله
سبح اسم ربك الاعلى ولا محذور فيه لانه اذا كان تعلق الفعل بالمفعول الابعدي يجري صيغ التسبيح في كلام المجيد اشارة الى ان المكونات لدن اخراجها
من العدم الى الوجود مسبحة في كل الاوقات لا يخص تسبيحها وقتا دون وقت بل هي مسبحة ابدا في الماضي والمستقبل ووجه الشارح انه تعم لما اخبر
عن تسبيح جميع المكونات السماوية والارضية من العقلاء وغيرهم تارة بصيغة الماضي واخرى بصيغة المضارع دل ذلك على ان كل واحدة من
الصيغتين بقيت ولا نسبها على مطلق الزمان ولا اولوية لبعض الاجزاء على بعض فان كل واحدة منهما الاستمرار الازمنة مع ان التسبيح لما اسند
الى جميع المكونات كان المراد به ما يعم التسبيح بالمقال وما يكون بدلالة الحال لانه الذي يمكن تحققه من الجميع هو الدلالة الجلية على تنزه الخالق عن جميع
النقائص فان كل موجود ممكن ينزه خالقه عن الامكان وقبول العدم بحسب وجوده الظلي المستفاد من المؤثر وعن العجز بحدوثه وتغير احواله
وعن سائر النقائص تنزهه وتبليغه الى الكمالات الممكنة بالاسباب السماوية والارضية وبالجملة كل موجود ممكن مفتقر لامكانه الذاتي
الجلي الى مؤثر واجب الوجود لذاته ضرورة استحالة الدور والتسلسل ووجوب الوجود كمال مبعد عن كل نقصان فثبت
ان كل موجود ممكن يسبح ويبعد مؤثره عن كل نقصان في ذاته وصفاته فان الامكان الذاتي لما كان محوجا الى مؤثر واجب الوجود لذاته
وكان وجود وجوبه مستلزما لتنزهه عن كل نقصان كان كل ممكن مسبحا له عن جميع النقائص لاجل امكانه الذاتي اللازم له في جميع الازمنة
فكان التسبيح المسبب عنه ايضا مستمرا في جميع الازمنة فوجب ان يحمل كل واحدة من الصيغتين على الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة

ويحمل كل

ويحمل كل واحد منهما على استمرار الازمنة وجيء المصدر مطلقا عن الدلالة عن الزمان والفاعل وهو معدى بنفسه كما في قوله تعم وسبحوه بكرة
واصيلا وسبح اسم ربك وسبحوه وله يسجدون وذلك لان سبح بالتشديد منقول من سبح الثلاثي وهو لازم بمعنى ذهب وبعد فعدي بالتضعيف
فمعنى سبحه بعدته عن السوء ولما كان متعديا بنفسه كان اللام فيه لام الاجل والاختصاص فيكون الفعل منزلا منزلة اللازم ويكون
معنى سبح لله احدث التسبيح واوقعه لاجل الله تعم وخالصا له من غير توقع ثواب وعوض كما يقال نصحت لك للدلالة على امحاض
النصح للمنصوح من غير غرض للناصح فيه حال مشعر بما هو المبدئ للتسبيح فان العزيز هو الغالب على كل شيء بحيث لا يتصور
منازعة فيكون اشارة الى كمال القدرة كما ان الحكيم يعتبر في مفهوم الحكمة كل واحدة من اتقان العلم والعمل ولا شك ان من جمع بين كمال القدرة
وكمال العلم يكون مسبحا منزها عن جميع النقائص قوله تعم له ملك السموات جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وكون الملك عبارة
عن استغناء الذات في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه واحتياج كل ما عداه اليه في ذواتهم وصفاتهم والملك والخلق ليس الا لله تعالى
الواحد القهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو يحيي ويميت كانه قيل كيف يتصرف فيها فاجيب بانه يحيي الموات للبعث ويميت
الاحياء في الدنيا وهو على كل شيء قدير ولو بالنظر الى ذواتها ولا يلزم ان يكون فناؤها بطريان العدم على وجوداتها المستفادة من مؤثرها
بل يكفي في فنائها كونها بحيث اذا نظر اليها في حد ذاتها وقطع النظر عما سواها وجدها العقل فانية عارية عن صفة الوجود بخلاف الباري تعم
فانه اذا نظر اليه في حد ذاته وقطع النظر عن جميع ما عداه يجده العقل موجودا باقيا ويحكم بان وجوده وجميع كمال صفاته مقتضى ذاته
عارية عن الوجود وكون وجودها مستفادا من الغير قوله او هو الذي يبتدا منه الاسباب ويجوز ان يكون اوليته تعم عبارة عن كونه بحيث اذا
نظر الى سلسلة الموجودات المترتبة في الوجود كان تعم مبدأ سلسلة الاسباب ويكون اخريته عبارة عن كونه بحيث ينتهي اليه سلسلة المسببات
فان الوجود يبتدئ منه تعم ولا يزال ينزل ويتنزل حتى ينتهي الى الوجود الذي هو سبب لكل ما عداه ولا يكون سببا لشيء آخر فبهذا الاعتبار
يكون الحق سبحانه اولا ثم اذا اخذت تترقى من هذا الوجود الاخير درجة درجة حتى ينتهي في اخر الترقي اليه تعم فهو تعم اول في نزول الوجود منه
الى الممكنات اخر عند الصعود من الممكنات اليه الصعود قال القرطبي اختلف في معاني هذه الاسماء وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني
عن قول كل قائل فانه روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر
فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر عني بالظاهر الغالب وبالباطن العالم ببواطن الاشياء قيل القول
بان الباطن العالم ضعيف لانه يلزم منه التكرار في قوله والله على كل شيء عليم قوله او الاول خارجا والاخر ذهنا فانك اذا نظرت الى ترتيب السلوك
ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعم فهي مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله تعم فهو اخر بالاضافة الى السلوك في درجات
الارتقاء في باب المعارف واول بالاضافة الى الوجود الخارجي فمنه المبدأ اولا واليه المرجع آخرا قوله الباطن حقيقة ذاته غير مدركة
لا عقلا ولا حسا باتفاق المحققين من اهل السنة والمعتزلة ولما تعاضدت الادلة على انه تعم يدرك بالحاسة في الآخرة لم يفسر الحكم كونه
باطنا بكونه غير مدرك بالحواس بل هو الظاهر وجوده لان الموجودات باسرها باطنة وظاهره ظاهرة بظهوره وباطنة بحقيقته وبطونه
بهذا المعنى لا ينافي كونه مرئيا في الآخرة وفسره صاحب الكشاف بانه غير مدرك بالحواس وهو تفسير بحسب تشهيه تاييدا لما ذهب اليه من استحالة الرؤية
والحق انه تعم ظاهر بوجوده باطن بكنهه وانه تعم جامع بين الصفتين ازلا وابدا والبطون بهذا المعنى لا ينافي الرؤية في الآخرة لان الرؤية
بالحاسة لا يقتضي معرفة الحقيقة وعلى هذا يكون التذييل بقوله وهو بكل شيء عليم للتاييد فان بطونه عن الاشياء يستلزم بطونها عنه تعم
كما في الشاهد قوله او الغالب على كل شيء على ان يكون الظاهر من قولهم ظهر عليه اذا علاه وغلب عليه فالمعنى هو الغالب الذي يغلب كل شيء ولا يغلب عليه

فيتصرف في الكائنات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذ ليس فوقه احد يمنعه وانه الباطن الذي يعلم بواطن الاشياء ولا يتحرك شيء حتى لا يصل اليه
علمك قوله والواو الاولى والآخرة يعني ان الواو المتوسط بين الاول والآخر لعطف المفرد وكذا المتوسط بين الظاهر والباطن ،
واما الواو الثانية بين الآخر والظاهر فهو لعطف مجموع الثاني على مجموع الاول ولو جعلت لعطف لفظ احد الوصفين الاولين لفات
التناسب بخلاف ما اذا عطف احد الوصفين المتقابلين المذكورين اولا على الآخر احد المتقابلين المذكورين ثانيا على الآخر ثم جمعت بين
المجموع الاول ومجموع الثاني الاخيرين بالواو المتوسط فان الكلام ح يفيد انه تعالى كما انه متصف بكل واحد من الوصفين الاخيرين ازلا
وابدا فهو ايضا متصف بكل واحد من الوصفين الاخيرين ازلا وابدا فهو ايضا متصف بكل مجموعين ابدا واذ لا فاس وقت يصح اتصافه تعالى
بالاولية والآخرية الا ويصح فيه اتصافه بالظاهرية والباطنية معا فان قيل باطنيته تعالى بكونه غير مدرك بالحواس يجعل الآية دليلا على
انتفاء الرؤية في الآخرة فلذلك جعل هذه الآية حجة على من جوز ادراكه تعالى بالحاسة في الاخرة قوله تعالى وهو الذي خلق السموات
تحقيق لعزته وكمال قدرته كما ان قوله تعالى يعلم ما يلج تحقيق لحكمته وكمال علمه قوله لا ينفك علمه وقدرته عنكم اشارة الى انه تعالى
ليس معنا بالمكانة والحيز والجهة بل المعية مجاز عن القدرة والعلم على طريق ذكر السبب ارادة المسبب قوله ولعل تقديم الخلق
على العلم مع انه متأخر عن العلم تابع له ذاتيا لان خلق العالم على هذا النظام الانيق مما يستدل به على علمه وقدرته تعالى آمنوا
بالله خطاب لكفار قريش اي قد وضح لكم الدلائل الدالة على انه لا يصح العبادة الا لي فاعبدوني وآمنوا بي وبرسولي وصدقوه
فيما يخبر به عني قوله ونحث على الانفاق من ماله من غير تعليل مبين اذ الذي فيه ماله ولا سيما اذا اثاب عليه بالجنة واما
ان كان معناه في يدكم من الاموال كان لمن قبلكم ثم انه تعالى نقل اموالهم اليكم على سبيل الارث ومن المعلوم انه ما انتقل عن قبلهم
اليهم لا بتداء ينتقل منهم الى غيرهم وايضا فلان الانفاق مما يوجد والانتقال سهل هين على النفس تغتنم النفس فيه الفرصة
ينفقه اما كسبا بالمرضاة الله وثواب الآخرة قبل ان يخرجه من يده ثم انه تعالى ذكر ثواب من انفق في سبيل الله وضمن له في ذلك
اجرا كبيرا فقال فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كريم فهو في موضع جواب الامر والفاء للدلالة على سببية الايمان والانفاق
لما ذكر من الاجر الكبير واعيد ذكرهما صريحا للمبالغة في الدلالة على سببيتهما قوله وبناء الحكم على الضمير لا على الاسم الظاهر بان قال فالذين آمنوا
وانفقوا لهم اجر كبير بل جعل الموصول مبتدأ وجعل الاكرم مبتدأ ثانيا ولهم خبر الثاني وجعل الجملة خبر المبتدأ الاول للمبالغة المذكورة قوله
اي ما تصنعون غير مؤمنين يريد ان قوله تعالى لا تؤمنون بالله في موضع النصب على انه حال من الفاعل المعنوي للفعل المستنبط من ما لكم فانه
وقد تقرر في النحو ان عامل الحال قد يكون معنى الفعل والمراد به ما يستنبط منه معنى الفعل كحرف التنبيه واسماء الاشارة وحروف التمني ،
والتمني والترجي والتنبيه وحرف الاستفهام فان فيها معنى الفعل نحو ازيد قائما وايا زيد عالما وليتك عندنا قائما ولعله في الدار قائما وكانه
اسد صائلا وما لك قائما فان كلمة ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ذلك خبرها والاستفهام يطلب الفعل فليستنبط معنى الفعل من اداة
الاستفهام وحرف الجر في لكم وان كان يتعلق بالفعل المحذوف فلذلك يعمل في الحال نحو زيد في الدار قائما الا ان المصنف اختار ان الحال في الآية معمول
بالاستفهام لا بالجر حيث قال اي ما تصنعون غير مؤمنين بالله مدعوين الى الايمان بالحجج والآيات فهما حالان متداخلان حيث كانت الحال
الاولى عاملة في الثانية واختلف ذو الحال فيهما وفي الاحوال المترادفة يتحد العامل وذو الحال قوله قبل ذلك قبل دعوة الرسول اياكم الى الايمان
وكون الميثاق المأخوذ قبل الدعوة يستفاد من كون الماضي المصدر بعد حالا من ضمير يدعوكم قوله بنصب الادلة والتمكين من النظر لم يحمل الميثاق
على الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم وقال لهم الست بربكم لان الكلام مسوق لبيان انهم لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ان

دلائل العقول وصحة لكم غير مؤمنين وللعطف في ذلك يختار حالا من ضمير تؤمنون اي مالكم

دعاهم

دعاهم الرسول اليه بالدلائل الواضحة واخذ الله الميثاق وما اخذ منهم وقت اخراجهم من ظهر آدم غير معلوم لهم الا بقول الرسول فلم يكونوا
صدقوا الرسول لم يكون ذلك سالوجب اجابتهم الرسول فيما دعاهم اليه فذكر اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهره لا مدخل له في توبيخهم وتبكيتهم
بترك الايمان بخلاف الميثاق الماخوذ بنصب الادلة والتمكين من النظر وقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون الى آخر الآية كلام خرج مخرج الاستبطاء واخبار
بارتفاع موانع الايمان وتحقيق ما يوجبه الكل وجود اتمه اي اي عذر لكم في ترك الايمان باعدائه وقد اقيمت البراهين على حقيته ما نوع
سمعا وعقلا فان قوله والرسول يدعوكم في قوة ان يقال وقد قامت البراهين السمعية قوله وقد اخذ ميثاقكم بمنزلة ان يقال وقد نصبت
الادلة من احاط قوة دلالتها عليه وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين شرط حذف جوابه وهو ما اشار المصنف اليه بقوله فهذا موجب لا مزيد عليه لا شرا
على نظائر الادلة والعقلية وبهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين بعد قوله وما لكم لا تؤمنون واندفع ما يتوهم بينهما من المنافاة
كانه قيل ان كنتم مؤمنين لشيء لاجل دليل فما لكم لا تؤمنون الان وقد طابقت الادلة النقلية والعقلية وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها
ثم انه تعالى ذكر بعض تلك الادلة الدالة على وجوب الايمان فقال هو الذي ينزل على عبده آيات وهي المعجزات التي اعظمها القرآن ثم حرص على
الانفاق في سبيله من وجه آخر فقال وما لكم ان لا تنفقوا اي في ان لا تنفقوا فحذف الجار قوله تعالى ولله ميراث السموات حال من فاعل
الاستقرار الذي تعلق به قوله لكم والمعنى كيف تبخلون بانفاق اموالكم والحال انكم تعلمون انكم مهلككم ووارث اموالكم وهذه حال
منافية للبخل بها لان انفاقها بحيث يستخلف عوضا يبقى خير من هلاكها بغير شيء ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله تعالى فقال
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقسيم من انفق من قبل محذوف اي ومن انفق من بعد الفتح حذف للعلم به ولدلالة قوله تعالى اولئك اعظم
درجة من الذين انفقوا من بعد عليه قال عم والذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وذلك لان ما قبل
كان حال مساس الحاجة الى الجهاد والنفقة ثم اعز الله الاسلام بعد الفتح وكثر ناصريه ودخل الناس في دين الله افواجا قوله تعالى وكلا
منصوب على انه مفعول مقدم ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ وجعل الجملة التي بعده خبره بحذف العائد اي وعده الله ومثل قول الشاعر
قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع برفع كله اي لم اصنعه الا ان حذف العائد من الخبر الواقع جملة قليل نادر حتى
ان البصريين لا يجوزونه الا في ضرورة الشعر بخلاف حذفه في الصفة والصلة نحو اهذا الذي بعث الله رسولا وقوله واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تجزي فيه نفس قوله فانه ادل من آمن وانفق روي عن ابن عمر رض قال كنت عند النبي وعنده
ابو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبرئيل فقال يا محمد ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها
في صدره فقال يا جبرئيل انفق ماله قبل الفتح على الفقراء فقال فاقرأه من الله عز وجل السلام وقل له يقول لك ربك اراض
انت في فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبي الى ابي بكر فقال يا ابا بكر هذا جبرئيل يقرؤك من الله عز وجل السلام ويقول
لك ربك اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر وقال على ربي اغضب انا عن ربي راض ونزول الآية في شأن
ابي بكر لا ينافي دلالتها على تفضيل الصحابة من المهاجرين والانصار الذين انفقوا وقاتلوا من قبل الفتح من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا معه ويؤيد هذا التفضيل لجميع الصحابة ويؤيده ما روى سفيان عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله عليه السلام
سيأتي قوم بعدكم يحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يا رسول الله نحن افضل ام هم قال لو ان احدهم انفق مثل احد ذهبا
هذه الآية بينكم وبين الناس لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح اولئك اعظم درجة هكذا في تفسير فقيه ابي الليث
ثم انه حض على الانفاق في سبيله بطريق آخر فقال من ذا الذي يقرض الله قوله وحمل الانفاق مبتدأ وقوله بالاخلاص ضرب
ولا يكون الانفاق حسنا الا بان يبتغي وجه الله تعالى خاصة لقوله تعالى الا الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى به وبان يكون ما انفق

احب الاموال اليه واكرمه عنده لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ولقوله
افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها ولقوله افضل الصدقة ان تعطيه صحيحا شحيحا تامل العيش ولا تمهل حتى
اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا او بان يتحرى بها افضل الجهات وتصرف صدقته الى الاصلح فالاحوج وان جمع
بين جهتي سد حاجة الفقير وصلة الرحم فهو افضل قوله وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه يرضى في بابه فهو اشارة الى ان
قوله تعالى وله اجر كريم جملة حالية من مفعول يضاعفه واطلاق التضعيف يدل على ان الاضعاف المنضمة الى الاجر زائد على ما انفق من المال
كمية وكيفية قوله وقرأ عاصم قال صاحب التيسير في سورة البقرة قرأ عاصم وابن عامر فيضاعفه هنا وفي الحديد بنصب الفاء والباقون
برفعها ووجه النصب اضمار ان بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام كما في قولك هل تزورنا فنحسن اليك وقوله باعتبار المعنى جواب عما يقال النصب
بان المضمرة لا بد ان يكون مترتبا على الفعل المستفهم عنه كما في المثال المذكور فان الاحسان مترتب على زيارة المخاطب اياه وههنا
لم يقع الاستفهام عن اصل القرض وانما وقع عن فاعله حيث قيل من ذا الذي يقرض الله فكيف ينصب الفعل بعده باضمار ان وتقرير الجواب
ظاهر ومن قرأ فيضاعفه مرفوعا جعله معطوفا على يقرض قوله ظرف لقوله وله او ظرف للاستقرار الذي تعلق به قوله وله استقر له اجر
في ذلك اليوم وان كان معمولا لاذكر يكون مفعولا به لا ظرفا وقوله يسعى حال من المؤمنين لان قوله ترى من رؤية العين ومن بين ايديهم
ظرف للسعي ويجوز ان يكون حالا من نورهم وكذا من ايمانهم وهو بفتح الهمزة جمع يمين قوله ما يوجب نجاتهم وهدايتهم يعني ان النور
مستعار لصحائف الاعمال تشبيها بالنور في كونها سببا للنجاة من النار والاهتداء الى طريق الجنة فالسعداء يؤتون صحائف اعمالهم
من اتاهم في جهة ايمانهم فيكون دليلا لهم الى الجنة ويستضيئون الى الصراط المستقيم وهم يسعون لانهم لو مشوا الهوينا لما
سعى النور بين ايديهم وبايمانهم لانهم لو سعوا وهم يمشون الهوينا لزم ان يفارق عنهم ولا يكون بين ايديهم ولا بايمانهم اختلفوا
في النور المذكور في هذه الآية فقال قوم المراد نفس النور على ما روي عنه [illegible] قال لكل مثاب يحصل له نور على قدر عمله وثوابه في العظم والصغر
فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن وصنعاء ومنهم من نوره كالجبل ومنهم من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه
ينطفئ مرة ويتقد اخرى والمنافقون ايضا يؤتون نورا خديعة لهم تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ثم يسلب نور النفاق فذلك قول
المؤمنين ربنا اتمم لنا نورنا خشية ان يسلب نورهم كما يسلب نور المنافق فاذا بقي المنافقون في الظلمة يتحيرون في مواضع اقدامهم قالوا
للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقد روي ان بعض الصحابة استضاؤوا في الدنيا بما حصل لهم من النور فكيف يستبعد ان يستضيء
اهل السعادة بما ظهر لهم من النور في العقبى فقد ذكر في المصابيح برواية انس رضي ان اسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبي ثم انقلبا
اي يرجعان الى بيتيهما وبيد كل واحد منهما عصية فاضاءت احداهما لهما فمشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت عصا الآخر
فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى اذا بلغ اهله ذكر الامام ان النور الحقيقي هو الله تعالى وان العلم الذي هو نور البصيرة اولى بكونه نورا
من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هي النور في القيمة فمقادير الانوار يوم القيمة على حسب مقادير المعارف في الدنيا وقال
آخرون المراد من النور ما يكون سببا للنجاة وهو ما اختاره المصنف قوله تعالى بشراكم مبتداء اليوم ظرف وجنات خبره ولما كان البشرى
مصدرا بمعنى البشارة والجنة عينا من الاعيان علم ان العين لا يكون خبرا عن الحدث فالمعنى ذكر المص لصحة الاخبار وجهين الاول ان يكون
البشرى بمعنى المبشر به والثاني تقدير المضاف في الخبر وعلى تقدير كون الجملة الاسمية في محل النصب على انها مقول قول مقدر والقول المقدر
مع معموله حال من المؤمنين اي يوم ترى ساعيا نورهم يقول لهم بشريكم اليوم دخول جنات وقوله خالدين نصب على الحال بحذف
يدل عليه المصدر المقدر اذ التقدير بشراكم اليوم دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر

الى

الى المفعول فصار دخول جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان يجعل تقدير الكلام بشراكم اليوم دخول
جنات يدخلونها خالدين وان اول المبتداء بالمبشر به يكون ذو الحال ما دل عليه بشراكم اي تبشرون بها خالدين فيها ولا يجوز
ان يكون العامل فيها بشرى لان البشرى مصدر وقد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل بينه وبين معموله باجنبي قوله انظرونا وانظرنا
الينا معنى انظرونا في قراءة العامة امر من النظر ثم ان النظر يجوز ان يكون بمعنى الانتظار وبمعنى التوجه وتقليب الحدقة الى جانب المرئي والنظر بمعنى
الثاني لا يتعدى بنفسه في غير الشعر وانما يتعدى بالى فلهذا اخره المص عن الاحتمال الاول عن ابي امامة رضه قال يغشى الناس يوم القيمة ظلمة
شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمنون نورا ويترك الكافر والمنافق ولا يعطيان شيئا فيمضي المؤمنون ويقول المنافقون للمؤمنين انظرونا
نقتبس من نوركم اي انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة ركبانا وهؤلاء مشاة فلا يدركونهم قوله وقراءة حمزة انظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء
من الانظار بمعنى الامهال اضيقا التضييق والحمل على العجلة فيكون قولهم انظرونا كناية عن طلب المودة في مشيهم يقال اتئد في مشيك اذا
مشا مشيا [illegible] على التودد والوقار والاناة والانتقال من التودد لما رضي ان يقال الذي طلبه المنافقون من المؤمنين ان يتئدوا
في مشيهم ولا يسرعوا فيه لان يمهلوا المنافقين فما معنى قولهم انظرونا بفتح الهمزة اجاب عنه بان امهلونا كناية عما يستلزمه وهو
اتئاد المؤمنين في مشيهم والظاهر ان قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب معطوف على قوله قيل ارجعوا متفرع عليه فان المؤمنين او الملائكة لما منعوا
المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بانوارهم كما يمنع الاعمى عن الاستضاءة بنور البصيرة فصاروا بذلك كانهم ضرب بينهم وبين المؤمنين
بالسور حائل باطن ذلك السور وهو الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة التي هي النور الذي يؤديهم الى الجنة وظاهره اي الذي يلي المنافقين من قبله
العذاب اي عذاب الظلمة التي تؤدي الى السقوط في حفر النيران فعلى هذا يكون قوله فضرب بينهم بسور من قبيل الاستعارة التمثيلية وقيل
يضرب بين الجنة والنار حائط موصوف بما ذكر وهو حجاب الاعراف وقوله فضرب على بناء الفاعل وهو الباري تعالى اي الملك الا ان الجمهور على بنائه
للمفعول والقائم مقام الفاعل قوله بسور والباء صلة والتقدير ضرب بينهم سور وقوله له باب جملة اسمية مجرورة المحل على انها صفة سور وقوله
باطنه مبتداء وقوله الرحمة مبتداء ثان وفيه خبره والجملة خبر المبتداء الاول والمبتداء الاول مع خبره مرفوع المحل على انه صفة لباب وقوله ينادونهم
مستأنف اي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين الم نكن معكم في الدنيا نصلي مثل ما تصلون ونغزو مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون من الافعال
الظاهرة فاجابهم المؤمنون بقولهم بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق واصل الفتن الاحراق وغركم بالله اي بحكم الله تعالى وتأخير
العذاب عنكم والغرور بفتح الغين صفة على وزن فعول كصبور وقوله بضم الغين وهو مصدر بمعنى الاغترار والفعل قد يسند الى فعله [illegible]
والفدية ما يفتدى به مطلقا فيتناول الايمان والتوبة والمال وسببه انكم عليه في الدنيا ايها المنافقون لا يقبل منكم يوم القيمة لارتفاع
وقت التكليف بمجيء يوم الجزاء وعطف الكافر على المنافق لما اوهم ان يكون المنافق كافرا لوجوب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه
اشار الى دفعه بان الكافر مطلقا وان كان اعم من المنافق الا ان المراد بالذين كفروا في هذه الآية الكافر المجاهر المظهر لكفره وهو مباين للمنافق
الذي يبطن الكفر قوله كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها يصف بقرة وحشية اكل السبع ولدها فصارت
مذعورة وقيل انفرت من صوت الصائد وكلابه ولم يقف لتنتظر ان قاصدها خلفها ام امامها فغدت فزعة مذعورة لا تعرف نجاتها
من مهلكها والفرجان الجانبان وهما الخلف والقدام سميا فرجين لكون كل منهما مفروجا مكشوفا على ان الفرج في الاصل بمعنى الشق
اي غدت من غلبة الخوف عليها بحيث تحسب ان كلا جانبيها وهما خلفها وقدامها مولى المخافة اي اولى موضع لان يكون فيه الخوف
قوله فغدت يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة وقوله كلا الفرجين مبتداء وتحسب مع ما في خبره خبره والجملة خبر غدت والضمير انه للمبتداء
وهو كلا لانه مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى ومولى المخافة خبران وقوله خلفها وامامها التابدل من كلا واما خبر مبتداء محذوف اي هما خلفها

واما بها فالمولى ههنا اسم لمكان يقال فيه هو اولى لكم وكذا المجرى اسم لمكان لان الخبر مفعل من اه التي للتاكيد والتحقيق غير مشتق من
لفظها لان الحروف لا يشتق منها بل ركبا تيض الكلام حروف فهاد لالة على تحقق معناها فيها عن ابن مسعود قال ان طول الصلوة
وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل اى ان هذا مما يعرف به فقه الرجل ومكان يقول القائل انه عالم وانه فقيه ويجوز ان يكون مفعلا
من الولى اى هي مكانكم عن قريب ويجوز ان يكون المولى ناصركم لا ناصر لكم غيرها فالمراد نفي الناصر على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع
والمراد نفي التحية فيما بينهم قطعا ضرورة ان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم ان لا تحية بينهم البتة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الولاية
بتقدير المضاف اى ذات ولايتكم بمعنى توليتكم من قولهم ولى الوالي البلد وولى الرجل البيع ولاية فيهما قوله ولما اصلها
لم زيدت عليها ما وادغم فصار لما وكلمة لم لنفي الفعل ولما لنفي الفعل لنا يقال انى يانى انيا مثل رمى يرمى رميا وآن يئين
اينا مثل باع يبيع بيعا وكلاهما بمعنى حان وقرب اناه اى وقته قال الشاعر الم يان لي ان تجلى عمايتي واقصر عن ليلى بلى قد
انا لي الجمع بين اللغتين واختلف فيمن نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت في المنافقين الذين اظهروا الايمان وفي قلوبهم
النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزلت في الذين آمنوا على الحقيقة قال المؤمن قد يكون له خشوع وخشية وقد لا يكون له ذلك
فلعل طائفة من المؤمنين ما كان فيهم مزيد خشوع ولا رقة قلب فحثوا عليهم بهذه الآية ويحتمل ان يكون قوم من المؤمنين كان فيهم
مزيد خشوعهم ثم زال عنهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة اليها روي عن الاعمش انه قال ان الصحابة لما قدموا المدينة
اصابوا لينا في العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية وعن ابي بكر ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده
قوم من اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب قوله عطف احد الوصفين على الآخر فان القرآن كما
انه ذكر من الله تعالى وموعظة فهو حق نازل من السماء فيكون العطف هنا كما في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان اى الجامع
بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ويجوز ان يراد بالاول ذكر الله مطلقا وبالثاني القرآن كما في قوله تعالى اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قوله وقرا نافع وحفص ويعقوب ومعض نزل بالتخفيف على بناء الفاعل وباقي السبعة
الذي كما الا انهم شددوا الزاي وقرئ نزل مشددا مبنيا للمفعول وانزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرا الجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة جريا على
نسق ما قبله وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات على ان يكون لا ناهية ويكون الفعل مجزوما بها او لا يكون نافية ويكون الفعل منصوبا عطفا نهم
على تخشع كما في قراءة الغيبة قوله وما بينهم وبين انبيائهم ظرف على الاجل وقسوة القلب غلظته وصلابته وفي الآية اشارة الى ان عدم الخشوع في
اول الامر يفضي الى قسوة القلب المؤدية الى الكفر نعوذ بالله من ذلك قوله تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر يعني قوله يحيي الارض بعد موتها
استعارة تمثيلية والمعنى يلين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه احياء القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر وتلاوة القرآن باحياء
الارض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الى كمال الموقع بعد خلوه عنه ثم اطلق اسم المشبه به ترغيبا
في الخشوع المذكور فان الترغيب المذكور لتضمنه تشبيه قساوة القلوب بموت الارض وشبه طريان خشوعها المتفرع على الذكر والتلاوة في التمثيل
بحياة الارض الميتة ترغيب لا محالة في تحصيل الخشوع وترك القسوة والآية تمثيل لاثر الذكر في القلوب بعد قسوتها وبيان انه
يحييها كما يحيي الغيث الارض ويحتمل ان يكون تمثيلا لاحياء الاموات بان شبه احياؤها باحياء الارض الميتة فمن قدر على الثاني
فهو قادر على الاول فحقه ان يخشع القلوب لذكره ولما نزل من آياته وانما حمل على التمثيل لترتب هذه الآية بما قبلها فان تحصيل
ترغيب الحمل الآية على التمثيل دون الحقيقة قوله عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لا على لفظ المحلى لان عطف الفعل على الاسم قبيح
قوله وهو على الاول اى على القراءة بتشديد الصاد والدال وهو جواب عما يقال عطف قوله واقرضوا على المصدقين بتشديد

الصاد والدال عطف الشيء على نفسه بحسب الظاهر لان المراد بالاقراض هو التصدق والانفاق لا غير اجاب عنه بان المعطوف تصدقا مقيد
بكونه حسنا مقرونا بالاخلاص فتغايرا وحسن العطف وعلى قراءة تشديد الصاد فقط وجه العطف ظاهر لانه في معنى الذين آمنوا
وانفقوا قوله معناه والقراءة في تضاعف ما مر في سورة الفرقان في تفسير قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب
قال فيه تضاعف بدل من يلق لانه في معناه وقرا ابو بكر بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك ويخلد وابن كثير ويعقوب يضعف
بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ نضعف له العذاب مضاعف العذاب اما الجار المجرور
بعده او ضمير التصدق والتصديق على حذف المضاف اى يضاعف لهم ثواب التصديق قوله اى اولئك عند الله بمنزلة الصديقين جواب عما يقال
كيف حكم على كل من آمن بالله ورسله بانه هو الصديق والشهيد مع ان الظاهر كل واحد منهما اخص من المؤمن لان الصديق هو السابق
الى التصديق والشهيد من استشهد في سبيل الله اجاب عنه اولا بان قوله اولئك هم الصديقون والشهداء ثم بين الله تعالى وجه الشبه
بقوله لهم اجرهم ونورهم اى لهم اجر مثل اجر الصديقين والشهداء ولهم نور مثل نورهم ولما رد بيانا كيف يسوى بينهم في الاجر
ولا بد من التفاوت اجاب عنه بقوله لكن من غير تضعيف يعني الله تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفهم حتى يساوي اجرهم مع اضعافهم اجر اولئك
واجاب عنه ثانيا بان المراد بالصديق والشهيد ليس المعنى المتعارف الذي ذكره بل الصديق صيغة المبالغة بمعنى كثير الصدق والشهيد من شهد لله
بالوحدانية وباتصافه بجميع صفات العظمة والكبرياء وللرسل تعبيا منهم بمقتضى الرسالة من الدعوة والتبليغ او من شهد على الامم
كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس والمراد انهم عدول يوم القيمة تقبل شهادتهم على الخلائق وعليهم فيما عملوه وكل مؤمن كذلك
ثم نقل جوابا آخر وهو ان قوله تعالى والشهداء عند ربهم جملة اسمية والمراد منهم الانبياء او الذين استشهدوا في سبيل الله فلا يلزم ان
يكون كل مؤمن شهيدا قوله والاجر والتوابع اى ويجوز ان يكون الضمائر في قوله لهم اجرهم ونورهم راجعة الى قوله الذين آمنوا بالله ورسله
ويكون المعنى لهم الاجر والنور الموعود لهم ح الى تقدير المثل ولا يرد ايضا ان يقال كيف يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت حتى يحتاج
الى دفعه قوله ثم قرا ذلك فان محل الكاف في قوله كمثل غيث النصب على انه حال من الضمير في لعب لانه بمعنى الوصف او من معنى ما ذكر اى ثابتة
شبيهة عينا او نعت لهذه الصفات مشبهة غيثا واما الرفع على انه خبر بعد خبر الحياة او خبر مبتدا محذوف اى مثلها وصفتها العجيبة
مثل صفة الغيث ونبات الغيث ما ينبت بسببه والمراد بالكفار ههنا الحراث لانهم يكفرون البذر اى يغطونه ويسترونه بتراب
الارض واما الكفار بالله تعالى قوله يهيج اى ييبس بعد زمان قريب يقال هاج النبت هياجا اى يبس قوله ثم عظم امور الآخرة معطوف
على قوله حقر امور الدنيا قوله تعالى في الآخرة خبر مقدم وما بعده مبتدا والجملة معطوفة على جملة قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
داخلة في حيز قوله اعلموا اخبر الله تعالى بعد بيان ان الحياة العاجلة لا يتوصل بها الى الفوز الآجل ان في الآخرة عذابا شديدا
ومغفرة منه ورضوانا وفيه اشارة الى سبق رحمته تعالى غضبه من حيث انه قابل العذاب بنوعي المغفرة والرضوان الذي هو
اعظم السعادة ولن يغلب عسر يسرين ثم اكد ما ذكره لتحقير امور الدنيا بقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهو المتاع
الذي يميل اليه الطبع اول ما راه اغترارا بما لاح في ظاهره من جهة الحسن كالاواني المتخذة من الزجاج والحلي المملوة بماء الذهب
فان اخذه احد اغترارا بما ظهر من ظاهره واراد ان ينتفع به يتسارع الى الهلاك ويتبين انه زخرف لا قيمة ولا رواج فكذلك
الدنيا في حق من آثرها اتقن ذاتها واراد ان يتمتع بها فان افضل ما فيها من النعيم هي الحياة فمن اصرفها الى متابعة الهوى
او بحظوظ العاجلة صارت بمنزلة الذي يفعله الصبيان فانهم يتعبون انفسهم بذلك غاية التعب ثم ينقضي تلك المتاعب عن
قريب من غير فائدة وبمنزلة اللهو الذي يفعله الشباب فان من اشتغل به لا يبقى له بعد انقضائه الا الحسرة والندامة من حيث

يرى المال ذاهبا والعمر خائبا واللذة منقضية والنفس زادت شوقا وتعطشا اليها مع فقدانها فيتولى عليه حسرات متضاعفة ومضار مجتمعة
عن سعيد بن جبير قال الدنيا الزهرة اذا الهتك عن طلب الآخرة واما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى وسعادة الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة ثم
انه تعالى لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم الآخرة وفخم شانها حث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد فيها من المغفرة المنجية من العذاب الشديد
والفوز بدخول الجنة وحسن المآب فقال سابقوا الى مغفرة والمراد بالمسابقة المسارعة اللازمة لها لان موجبات المغفرة لا يسابق اليها
حقيقة والمضار ما يضمر فيه الخيل وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك يكون في اربعين يوما وهذه تسمى مضارا
ويسمى به الموضع الذي يضمر فيه الخيل ايضا قوله وقيل المراد به البسطة لا العرض الذي هو في مقابلة الطول فيتناول الطول والعرض جميعا فيه دليل
على ان الجنة مخلوقة لان ما لم يخلق بعد لا يوصف بانه اعدت وهيئت قوله وان الايمان وحده كاف في استحقاقها وذكر الجنة اعدت لمن آمن ولم يذكر
مع الايمان شيء آخر وقالت المعتزلة هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دائم وظلها يدل على ان من صفتها
بعد وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت موجودة الآن لفنيت بدليل قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والثاني لو كانت موجودة الآن لكانت
في احدى السموات السبع وما كانت في واحدة منها كيف يجوز ان يكون عرضها كعرض السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل
وذلك بان يقال انه تعالى لما كان قادرا لا يعجز عن شيء وحكيما لا يصح الخلف في وعده وقد وعد بالجنة لكل مؤمن آمن واطاع كانت الجنة كالمعدة المهيئة
لهم بناء على ان ما سيقع قطعا كالواقع بالفعل كما يقول الرجل لصاحبه اعددت لك كذا اذا عزم عليه وان لم يخرج بعد والجواب ان قوله كل شيء
هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دائم خاص اذا وقع التعارض بين الخاص والعام فالحق ان يخص العام مطلقا اي سواء علم
تاريخ نزولهما وانهما نزل اولا او لم يعلم هذا عند الشافعية وذهب الحنفية الى ان المتاخر في النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا
تاريخ نزولهما ولا يحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية واما قولهم ان الجنة لو كانت مخلوقة الآن لكانت في احدى السموات وما
يكون في واحدة منها لا يكون عرضه كعرض السموات والارض فالجواب مخلوقة الآن فوق السماء السابعة كما قال عم سقف الجنة عرش الرحمن
ولا يبعد في كون المخلوق فوق الشيء اعظم منه الا ترى ان العرش اعظم المخلوقات مع انه فوق السماء السابعة قوله تعالى ما اصاب من مصيبة
وان كان حثا على مكارم الاخلاق من الصبر على الضر والشكر على السراء وتجنبا للرذيلتين اللتين هما الفرح بالنعم بحيث يؤدي الى الاشر
والبطر والخروج عن حد الشكر والتحزن على ما فات منها حزنا مضيفا مخرجا عن حد الصبر والرضا بالقضاء الا ان المقصود الاهم منه الحث على
كما هو المقصود مما سبق مع قوله وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله وقوله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح آه ونقل عن الزجاج انه قال انه تعالى
لما قال سابقوا الى مغفرة بين ان المؤدي الى الجنة او النار ما صدر من بني آدم لا يكون الا بقضاء الله تعالى وقدره فان جميع الموجودات مثبتة
في اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تعالى يفصل قضاءه السابق بايجاده الى المواد الخارجية واحد بعد واحد فالاول هو المسمى بالقضاء والثاني هو المسمى بالقدر
قال الامام ان هذا لم يقل ان جميع الحوادث مكتوبة في الكتاب لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية واثباتها في الكتاب محال وخص من الحوادث ما يتعلق
بالارض وبالانفس ولم يدخل فيها احوال السموات وما يتعلق بها ما يكون من قبيل المصائب لم يذكر السعادات الارضية والانفسية وفي ذلك
اشارات واسرار وهذه الآية دالة على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ قال المتكلمون انما كتب كل ذلك
ليستدل الملائكة بذلك على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وقوعها لان اثباتها فيه فرع علمه بها وليعرفوا بذلك انه حكيم فانه تعالى لما خلقهم ورزقهم
مع علمه بما يقدمون عليه من المعاصي علم منه انه لم يفعل ذلك الا لحكمة قوله اي اثبت وكتب كيلا تحزنوا يعني ان اللام في قوله لكيلا متعلقة بقوله الا في كتاب
قوله ليعلم ما فاتكم فان اتاكم ذكر في مقابلة فاتكم والفهية قوله فاتكم للغاية فينبغي ان يكون في مقابلته ايضا لما اتاكم وجه من قرأ اتاكم
بالمد ما ذكره المصنف الاشعار بان حصول نعم الدنيا وبقاءها لا يدليه من سبب بخلاف فواتها والمراد به اي بقوله لكيلا تاسوا ولا تفرحوا الى ليس

المراد به

المراد به الا النهي عن الفرح على الاطلاق فان ما من احد الا وهو يفرح بنعم الله تعالى ويحزن على فواتها وليس مجرد الفرح والحزن بمذموم وانما المذموم
ما يؤدي الى ما لا يجوز من البطر والاختيال والافتخار بالزخارف الفانية على الناس وينظر اليهم بعين الاحتقار ومن عدم الرضاء بالقضاء والتسليم
لامر الله تعالى واستشهد على ان المراد ذلك بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اي فرح بطر فرحا خارجا عن حد الشكر الى الخيلاء والبطر فخور بما اوتي من
من النعم على الناس قيل لبزرجمهر ايها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لا يتلاقى بالعبرة والآتي لا يستدام
بالحيرة ويؤيده هذا قول من عرف سر الله هانت عليه المصائب كيف لا يهون عليه ذلك وقد علم ان وقوع كل ما وقع واجب وعدم كل ما لم يقع
واجب ايضا من حيث انه تعالى علم كل ممكن على الوجه الذي يكون عليه من الوقوع وعدم الوقوع واثبت كذلك في اللوح المحفوظ فلو لم يكن على الوجه يتعلق
به العلم والقضاء الازلي لانقلب العلم جهلا فمن علم ان الامر كذلك هانت عليه المحن والمصائب ولا يشتد عليه فرحه بحدوث المآرب حيث علم ان الامر
منوط بمجرد المشية الالهية فان شاء ابقاها وان شاء سلبها قوله فان المختال بالمال يصير به غالبا على لكونه بدلا من كل مختال على معنى لا يحب الذين
يبخلون فان فرحه بالمال فرحا مطغيا واختياله وافتخاره على الناس انما يفعل لحبه اياه وعزته عنده فالغالب عليه انه يبخل به عن الصرف الى حقوق
الله تعالى قوله خبره محذوف وتقدير الكلام الذين يبخلون فالله غني عنهم قوله قرأ نافع وابن عامر فان الله الغني باسقاط لفظ هو لسقوطه في مصاحف
ثم انه تعالى لما حث على المسارعة الى ما يوجب المغفرة والجنة ولم يفصل ان موجباتها ما هو قال لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان اي ليتم بهما مصالح الدين والدنيا فمن اتبع كتاب الله في باب العقائد والاخلاق والجوارح واستعمل الميزان في معاملة الخلق فقد سارع
الى ما يوجب المغفرة والجنة قوله اي الملائكة قدم هذا الاحتمال لان قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان يدل على ان الرسل منزلون وانهم يصحبون
الكتاب حال النزول والانبياء ليسوا بمنزلين فضلا ان ينزل معهم الكتاب وان اريد بالرسل الانبياء يكون معهم حالا مقدرة من الكتاب
اي انزلناه صائرا معهم قوله تعالى ليقوم متعلق بانزلنا والقسط العدل اي انزلناهما لتحقق الناس ما امروا به من العدل باتباع الكتاب
واستعمال الميزان فينتظم امر دينهم ودنياهم بسلوك الصراط المستقيم الموصل الى المغفرة والرضوان ودرجات الجنان قوله وانزاله
انزال اسبابه يعني ان الميزان بمعنى ما يوزن به ليس بمنزل من السماء بل هو من مصنوعات البشر فالمراد بانزاله انزال اسبابه وقيل الانزال ههنا
بمعنى الانشاء والتهيئة كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقيل علفتها تبنا وماء باردا وتقدير الكلام انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان ويدل
على صحة هذا التوجيه قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان والمراد بوضعه الامر باستعماله روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح فقال مر قومك
يزنوا به وقيل اراد بالميزان العدل وبانزاله الامر به قوله تعالى فيه باس شديد جملة حالية من الحديد قيل منافعه خشية القتل خوف شديد قال
في السنة فيه قوة شديدة في الحرب وفي الصحاح الباس العذاب والشدة في الحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح والمعنى انه يتخذ منه آلات الحرب
آلة الدفع وآلة الضرب قال اهل المعاني انزلنا الحديد احدثناه وانشأناه كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا عليكم
لباسا وذلك ان اوامره تعالى واحكامه تنزل من السماء وروي عنه قال ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل النار والحديد
والماء والملح وعن ابن عباس انه قال نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة والسندان بروزن
بفتح السين وكسرها يقال له بالتركي اورس والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد والميقعة المبرد وهو ما يحدد به الحديد والمطرقة آلة يضرب بها
دون الحديد المحمى يقال له بالتركي چكوچ فعلى هذا الانزال على حقيقته وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد معطوف على وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط اشارة الى ان تحقيق قوانين الكتاب واستعمال ما يوزن به توافقا فقال علي والصاحب لشيع يقيم به امر السياسة
ويقهر به من يجاوز القسط ويتعدى ويظلم فان الظلم من شيم النفوس الامارة والسيف حجة الله على من يتعدى ويظلم ثم قال ومنافع للناس اشارة
ان القيام بالقسط كما يحتاج الى القيام بالسيف يحتاج ايضا الى ما يتوقف عليه النقاش من الصانع وآلات المحترفة قوله والعطف على محذوف يعني

قوله تعالى وليعلم الله معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى فيه بأس شديد ومنافع للناس فانه حال فيه معنى التعليل اى ليقاتلوا و ينتفعوا به وليعلم الله حذف ما حذف اعتمادا على قيام ما يدل عليه للدلالة على ان المقصد الاصلى من انزال الحديد هو المذكور فعلى هذا تكون اللام متعلقة بقوله وانزلنا الحديد ويحتمل ان تكون متعلقة بمحذوف معطوف على انزلنا قوله بالغيب حال من المستكن فى ينصره اى ينصرون دين الله ورسله وهو لم يرا عنه ولا احكام الاخرة ولا احد من رسله فان المعتبر فى الطاعة ما وقعت حال الغيبة عن المطاع على ان يكون المراد بالغيبة عن التصور ويجوز ان المراد بها الغيبة عن الناس دين الله وينصر رسله موجود انه يستحق الثواب بقيامه بالقسط كما علم ازلا بانه سيوجد ثم انه تعالى لما اجمل فى ذكر الرسل المنقلبين بالبينات وبين انه انزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالعدل وانزل الحديد ذا البأس الشديد يستعين به الخلق فى نصرة الدين وتقوية المرسلين فصل ههنا ما اجمل من ارسال الرسل وبالكتب فقال ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وقدم قوله فى ذريتهما وهو ثانى مفعولى جعلنا بمعنى صيرنا ليفيد الاختصاص فانه ما جاء احد ممن احد بالنبوة الا كان من اولادهما قوله بان استنبأنا استنبأنا بعضا من ذريتهما بان جعل الذرية ظرفا للنبوة يدل على كونها فى بعض منهم والكتاب هو الوحى المتلو الذى من شانه ان يكتب وقيل هو مصدر بمعنى الكتابة يقال كتب كتابا وهو الخط بالقلم والفاء فى قوله فمنهم للتعقيب فى الذكر لان تفصيل المجمل حقه ان يذكر بعد ذكر الاجمال وعدل عن سنن المقابلة حيث لم يقل ومنهم فاسق لما ذكره من الامرين ثم قفينا على آثارهم ذلك برسلنا موسى والياس وداود وسليمان وغيرهم وعيسى من ذرية ابرهيم من جهة آدم كما انه من نوح ايضا يقال قفيت اثره قفوا وقفوا اى تبعته وقفيت اثره بفلان اى اتبعته اياه قوله وامراهو ان امر فتح همزة الانجيل اعرب من فتح نازل قيل ان الانجيل لفظ اعجمى فلا محذور فى كونه مخالفا لاوزان العرب بخلاف برطيل فانه لفظ عربى ينفتح الباء فيه صار بحيث لم يوجد له نظير فى الاوزان العربية فكان شاذا بخلاف ما لو كسر الباء فيه فان له نظائر كثيرة فى الالفاظ العربية كالقنديل والحليل والابريج والاكسير والبرطيل حجر مستطيل يدخله فى الحلق لاجل التداوى به شبهت الرشوة فسميت برطيلا على طريق الاستعارة واللغة الشائعة برطيل بكسر الباء ويستعمل بفتح الباء ايضا بطريق الشذوذ والمراد بمن اتبع عيسى عليه السلام الحواريون واتباعهم قيل الرأفة اللين والرحمة الشفقة والمراد بها فى الآية المودة فكان بعضهم يودى بعضا كما وصف الله تعالى هذه الامة بقوله رحماء قوله اى ابتدعوها رهبانية على ان يكون انتصاب رهبانية على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير ورهبانية مبتدعة على ان تكون معطوفة على قوله رأفة ورحمة مجعولة له تعالى ويكون ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير ويرد على هذا ان يقال كيف يكون الرهبانية حاصلة لهم بجعل الله تعالى ومبتدعة لهم حاصلة من جهتهم متنافيان بحسب الظاهر والجواب عنه مع التنافى بناء على ان الرهبانية وهو الفعلات المنسوبة الى الرهبان كتكثير العبادات وترك العادات ولزوم الخلوات من الافعال التى تكون الكسب والاكتساب بيخل فيها بخلاف الرأفة والرحمة فانهما من الامور الغريزية فلا مدخل لكسب الانسان فيهما فصح توصف الكل بكونها مجعولة مخلوقة له تعالى وتوصيف ما يكون بكسب الانسان واختياره بانه مبتدع له فان جميع الافعال الاختيارية منسوبة اليه تعالى بالخلق والايجاد والى العبد بالكسب والاختيار ويرد على الاعراب الاول ان يقال كيف يجوز ان يكون رهبانية منصوبة بابتدعوا المقدر المفسر بالظاهر مع ان جعل الرهبانية مبتدعة فيهم فى مقابلة كون الرأفة والرحمة مجعولتين لله تعالى يدل على ان الرهبانية فعل العبد بحيث يستقل العبد بفعلها وهو [مذهب٢] الاعتزال والجواب عنه ما مر ان اسنادا ابتداعها اليهم يستلزم استقلالهم فيها عليها كما هو مذهب المعتزلة فلا محذور والرهبان بفتح الراء صفة مشبهة كالعطشان الملمح من الراهب بمعنى الخائف يقال رهب بالكسر يرهب بالفتح رهبة ورهبا بالضم ورهبا بالضم بالفتحات الثلث اى خاف فهو راهب ورهبان والرهبانية الفعلة المنسوبة الى الراهب المبالغة فى العبادة قوله كانها منسوبة الى الرهبان بضم الراء لم يجعل منسوبا حقيقة بل جعل مصدرا كالرهبانية لانه لا ينسب

الى الجمع وهو باق على صيغته بل يرد الجمع الى واحده فينسب اليه فيقال فى النسبة الى المساجد مسجدى ولا يقال مساجدى نعم قد يكون لفظ الجمع لكونه اسم الطائفة مخصوصة بمنزلة العلم لها ان كان جماعة فينسب اليه وهو باق على صيغته فيقال فى النسبة الى الانصار والاعراب والفرائض انصارى واعرابى وفرائضى قيل وجه ابتداع النصارى الرهبانية واخذها من عند انفسهم ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق الا القليل فقالوا ان قاتلناهم مرة اخرى والا افنونا ولم يبق للدين احد يدعوا اليه فقالوا حتى يفرق فى الارض نتجرد للعبادة فاختاروا الرهبانية فارتحلوا الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة وحملوا المشاق على انفسهم بالامتناع عن المطعم والمشرب والنكاح والتعبد فى الجبال والغيران والكهوف والديارات والصوامع عن ابن عباس قال ان فى ايام الفترة بين عيسى غير الملوك التورية والانجيل فساح قوم فى الارض متعبدين قوله استثناء منقطع لان المستثنى هو الابتداع المعلق بالابتغاء ووجه الاتصال كون الكتبة بمعنى الاستعباد والتذليل المتناول للايجاب والندب وكون الابتغاء مستثنى من اعم العلل كانه قيل ما تعبدناهم بالرهبانية لشئ من الاشياء متصل بكونه من اعم العلل بل اعتبر معه كون الكتبة متناولا للايجاب والتذليل يصح حصر العلة فى الابتغاء فان كتبنا لو كان بمعنى فرضنا لما صح الحصر لان من فعل الواجب لا يفعل لمجرد ابتغاء الرضوان بل يفعل لدفع العقاب المترتب على تركه ايضا وبهذا التوجيه ان صح الاتصال والحط الا انه بقى ان يقال كون الرهبانية مندوبة لهم من قبله تعالى ينافى ابتداعهم اياها فاجاب عنه باله يجوز ان يكون الندب تعبدا لابتداع وثانيا بجوازه ان يكون تعالى حث على التهاون او الامر وان يكون معنى الابتداع [١] فى الانتداب اليها او لا قوله فارعوها جميعا جعل الضمير المرفوع فى قوله فما رعوها للذين اتبعوه مقيدين بقيد الجميع لان بعضهم قد رعاها بدليل قوله فآتينا الذين آمنوا فان معناه فاتينا الذين رعوها حق رعايتها وتشبثوا بما التزموه ولم يصنعوا ليستلس حقوقها الى ان جعلنها الايمان بنبى آخر الزمان ام لم يوم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون موفكرة فى الآية دليل على ان من شرع فى طاعة لم يكتب عليه من وجوه العبادات لزم عليه تمامه ورعايته وان شرع فيما لم يفرض لزمه حتى لزمه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد روى عن ابى امامة الباهلى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم صيام رمضان ولم يكتب عليكم قيامه وانما كتب عليكم صيامه فدوموا على القيام اذا فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بنى اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الآية ثم انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهو وعد لمن آمن من قوم موسى ايمانا صحيحا باعطاء الاجر اللائق الا انه عبر بلفظ آتينا على تحقق وقوعه ولم يبين مقدار ذلك الاجر خاطب عقيبها جميع من آمن بالرسل المتقدمة من اليهود والنصارى فامرهم بتقوى الله والايمان بسيد المرسلين ووعدهم ايتاء كفلين من رحمته بمقابلة ايمانهم به وبمن قبله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية بين بذلك المعد لمن آمن من قوم عيسى غير مختص بهم بل يعم جميع اقوام الرسل المتقدمة بشرط ان آمنوا بسيد المرسلين وبين ايضا ان الاجر الموعود كفلين ولما ورد ان يقال هذا متحقق فى حق من آمن بعيسى راعى دينه الى ان بعث نبينا لانه قد استمر على الدين الحق الى ان نسخ وتبين عنده حقيقة الدين الناسخ وحين تبين له ذلك اتبع الحق الثانى فيستحق بذلك لان يعطى له كفلين من الرحمة بخلاف اليهود فان اليهودية قد انتسخت ببعثة عيسى فليس اليهود على دين الحق عند من آمنوا بنبينا فكيف يثابون على دينهم السابق اجاب عنه بقوله ولا يبعد ان لم يرض المصنف بقوله قال الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره عليه السلام لما ثبت ان قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزلت فيمن آمن بنبينا من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه فانهم لم يؤمنوا بعيسى الى ان جاء الاسلام وقد ضوعف اجرهم قوله يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم وهو النور الذى يمشون فى الآخرة على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وهذا النور هو علامة المؤمنين يوم القيمة برز لهم من صحائف اعمالهم وقيل المراد به الهدى والبيان الذى يتبع المؤمن ويسلك سلوكا معنويا الى جنات القدس وهو سبيل واضح يؤدى سالكه الى مرضات الرحمن قوله ولا مزيدة فانها تزاد كثيرا كما فى قوله تعالى لئلا يعلم متعلقة

بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ليعلم اهل الكتاب الذين ادركوا عصره ولم يؤمنوا به
ان الشان لا يقدرون اي ليعلموا عدم قدرتهم على شيء مما ذكر من فضله وهو كفلان من رحمته والنور والمغفرة ويعلموا ان الفضل بيد الله يتفضل به على
من يشاء من عباده يؤتي المؤمنين منهم اجرين ونورا ومغفرة قوله وهو مشروط بان قوله تعالى يؤتكم كفلين مجزوم على انه جواب الامر وقد تقرر
ان المضارع انما يجزم بعد الامر لتضمن الامر معنى الشرط وكون المضارع المجزوم في موضع الجزاء له يتوقفا على حصوله وذلك لان الفعل المطلوب
بصيغة الامر مطلوبا لغيره فيذكر ذلك الغير بعده مجزوما لكونه في معنى الجزاء المقابل ومعنى كون الفعل المطلوب بصيغة الامر مطلوبا لغيره كون ذلك متوقفا
على حصوله وتوقف غيره عليه هو معنى كونه شرطا له روي ان اهل الكتاب وهم بنو اسرائيل كانوا يفضلون انفسهم على سائر اهل الاديان بسبب كونهم اهل
الكتاب ويقولون الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع لنا وان الله تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين فانزل الله تعالى هذه الآية
فخاطب فيها من آمن بالرسل المتقدمة فقال لهم انكم ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم الله تعالى في الآخرة كفلين من رحمته ثم قال فعلنا ذلك وبيناه لكم
ليعلم اهل الكتاب ان الشان لا اجر لهم ولا نصيب من فضل الله وان كانوا مجتهدين في التدين بدين من بعث قبل لانه كفر بما فرض الله عليه في ذلك الوقت
فاحبط اعماله والمقصود من انزالها ان يزول عن قلوب من لم يؤمن بعد من اهل الكتاب اعتقاد انهم مفضلون على سائر اهل الاديان من حيث
كونهم اصحاب كتاب الحق فان مجرد كون الكتاب منزلا من عنده تعالى لا يوجب بقاء حكمه ابدا وكون من تمسك به وفضلا على غيره له لحكمة الالهية قد تقتضي كون بعض
احكامه موقتا بوقت معين فينتهي ذلك الحكم بمجيء ذلك الوقت ويكون منسوخا فيه ويظهر بعد ذلك حكم جديد والفضل للمرء اتباع الحكم المشروع وانما
الفضل بتقوى الله وطاعته فيما كلف به في كل وقت ولذلك كان اجر من اتبع دينه ضعفا اجر من مات قبله واما من ادرك عصره ولم يؤمن به فليس له شيء
من الاجر لكون اعماله محبوطا بالكفر به قوله ولا يقدرون على شيء من فضل الله فانهم كانوا لا يعدون انفسهم اهلا لان يبعث رسولا وينزل عليه الكتاب ويقولون
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فبين تعالى بهذه الآية ان من آمن بعد وهو الذي يضاعف اجره ويجعل له النور والمغفرة ثم قال فعلنا
ذلك ليعلموا ان ليس لهم التصرف في امر النبوة وقيل كلمة لا ليست مزيدة وان الضمير في يقدرون ليست لاهل الكتاب بل هو للنبي والمؤمنين والمعنى فعلنا ذلك
وبيناه لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشان لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الوجه مع انه يستلزم ان يكون
ان يكون المعنى ولئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله ومن المعلوم ان انتفاء علمهم به ليس مما يصح ان يقصد بفعل ما ذكر وتبيينه وجه الملازمة ان قوله
وان الفضل بيد الله معطوف على متعلق العلم معنى البتة فيلزم ان يكون المعنى ما ذكر اشار الى دفعه بقوله فيكون ان الفضل عطفا على ان لا يعلموا اي لا نسلم كونه
معطوفا على متعلق العلم المنفي بل هو علة معطوفة على العلة السابقة اي فعلنا ذلك لئلا يعلم اهل الكتاب ان المؤمنين لا يقدرون على شيء ويعتقدوا و
وليعلموا ان الفضل بيد الله ولا يخفى ان هذا الوجه الاضمار زيادة في قوله وان الفضل بيد الله بان يكون تقدير الكلام ويعتقدون ان الفضل بيد الله وان القول
الاول فقد انتفى فيه لاجل اللفظ الموجود صلة والاضمار اولى من الحذف

قد يكون مطلوبا في نفسه فلا يجزم بعده الفعل وقد يكون

سورة المجادلة مدنية

مدنية في قول الجميع الا في رواية عن عطاء انه قال العشر الاول مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزلت جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
رابعهم نزلت بمكة قوله ظاهر عنها اي قال لها زوجها اوس انت علي كظهر امي وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فقال ذلك ثم ندم وكان الظهار طلاقا
في الجاهلية فقال لها ما اراك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذكرت طلاقا وكان ذلك اول ظهار وقع في الاسلام ولم يتبين بعد حكمه فاتت رسول الله
وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت ابو ولدي وابن عمي واحب الناس الي ظاهر مني وما ذكر طلاقا وقد
ندم على فعله فهل من شيء يجمعني واياه فقال ما اراك الا وقد حرمت عليه فهتفت وشكت فاقتها ووحدتها وذكرت ان اهلها منقرضة ولم يبق
منهم احد وقالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فاعاد النبي قوله الاول فقال ما اراك الا وقد حرمت عليه فهتفت
وجعلت ولم تؤمر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله واذا قال لها حرمت عليه هتفت وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو

اليك

الى

اشكو اليك ما صنع بي زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه مدتي وصحبتي ونفضت له بطني يعني بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا الد
وكانت في ذلك ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من راسه ام هي في مراجعة الكلام
وبث الشكوى الى الله تعالى فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اي في قولك وجها او في شانه ومجادلتها اياه انه كلما قال لها حرمت
عليه قالت والله ما ذكر طلاقا قالت عائشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة ويخفى علي بعضه وهي تجادل رسول الله تخاطبه
فما برحت حتى جاء جبريل من الوحي ولم يوجد في صحيحة سوى رتبة كفاه الله ذلك الهم روي ان عمر بن الخطاب مر بهذه المرأة في خلافته وهي على حمار والناس معه
فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت
ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل فقال والله لو حبستني من
اول النهار الى آخره لما زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات السبع رب العالمين
قولها ولا يسمعه عمر وقد تشعر بان الرسول والمجادلة متوقع كلاهما قد لا بد ان يفيد معنى التحقيق ثم انه قد يضاف اليه في بعض المواضع اذا دخل على الماضي
الى الحال مع الوقع فيدل على ان مصدر مدخولها متوقع لمن خاطبه واقع عن قريب كما يقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب اي حصل عن قريب ما كنت
تتوقعه دل على ثلاثة معان التحقيق والتوقع والتقريب وفي الصحاح قد حرف لا تدخل الا على الافعال وهو جواب لقولك لما يفعل وزعم الخليل ان هذا لمن
ينتظر الخبر تقول قد مات فلان وقد تكون قد بمعنى ربما انتهى آثر الماضي في قوله والمجادلة ايماء بان التوقع احدهما يكفي لمجيء قد فيه يكون اولمنع لحلو
دون مجيء قوله والله يسمع تحاوركما اي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام والتكلم الخطاب فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك المرأة التي ذكرت بلفظ الغيبة
تغليبا للخطاب على الغيبة روي انه لما نزلت هذه الآية ارسل رسول الله الى زوجها وقرا عليه اربع آيات فقال له هل تستطيع العتق قال لا والله قال
هل تستطيع الصوم قال لا والله اني اخطا ان اكل في كل يوم مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان
تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا قيل الظهار ليس مشتق من
الظهر الذي هو العضو المخصوص من الجسد لانه ليس الظهر اولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الاعضاء التي هي مواضع المباشرة والتلذذ بل الظهر ههنا ماخوذ من العلو ومنه
قوله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكل من علا شيئا فقد ظهره ومنه سمي المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امرأة الرجل ظهره لانه يعلوها
بملك البضع وان لم يكن علوه عليها من ناحية الظهر فكان امرأة الرجل مركبا للرجل وظهرا له ويدل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق
نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي او ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما ان علوي على امي
وملكي عليها حرام فذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والآدمية انما يركب بطنها ولكن كني به بالظهر لان ما يركب من غير الآدمي انما يركب ظهره فكني
بالظهر عن الركوب الاستعلاء قوله وفي منكم تهجين لعادتهم فيه جواب عما يقال قوله منكم لا يخلو اما ان يكون خطابا للعرب مطلقا او للمسلمين منهم
وعلى كل من التقديرين يلزم ان يكون حكم الظهار مختصا بالعرب او بالمسلمين منهم كما هو مقتضى مفهوم منكم ولا اختصاص له بالعرب ولا بالمسلم عند الشافعي
فانه يصح ظهار الذمي عنده كما يصح طلاقه وتقرير الجواب ان المفهوم انما يثبت اذا لم يكن للتخصيص فائدة اخرى وذكر منكم له فائدة اخرى في هذا الموضع وهي
تهجين عادتهم وتوبيخهم بها فليس في الآية دليل صحة ظهار الذمي ونحن نقول انه تعالى خص المظاهرين بكونهم من المؤمنين وخص المظاهر منهن بكونهن من نساء
المؤمنين فلا يصح ظهار الذمي ولا ظهار المؤمن من امته فانه قد صرح في كتب الائمة الحنفية بان شرط الظهار ان تكون المرأة منكوحة ويكون الرجل من اهل الكفارة
حتى لا يصح ظهار الذمي وحكمه حرمة الوطء ودواعيه الى وجود الكفارة وكان الظهار في الجاهلية طلاقا فقرر الشرع اصله ونقل حكمه الى تحريم موقت بالكفارة
قال صاحب الكشاف في سورة الاحزاب كان الظهار طلاقا في الجاهلية وقال في هذه السورة انه من ايمان اهل جاهليتهم ووجه التوفيق كانوا يعدونه
طلاقا موكدا باليمين على الاجتناب قوله واصل يظهرون يتظهرون من اظهر بمعنى تظهر ادغمت التاء في الظاء واتي بهمزة الوصل للابتداء فصار اظهر

وادغمت التاء الثانية من يتظهرون في الظاء فصار يظهرون فهو من باب التفعل واصل اظاهر تظاهر ادغمت الثانية في الظاء واتى بهمزة الوصل
للابتداء فصار اظاهر واصل تظاهرون تتظاهرون ادغمت التاء الثانية في الظاء فصار تظاهرون فهو من باب التفاعل قوله ومن يعلم امهاتهم بالرفع على
لغة تميم فانهم لا يعملون ما بمعنى ليس شيئا اصلا لان اصل العامل ان يختص بالقبيل الذي عمل فيه الاسم او الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها وكلمة ما
تدخل على القبيلين غير مختصة باحدهما فلا تعمل عندهم وتعمل عند الحجازيين مع عدم اختصاصها بقوة مشابهتها لليس وهي اللغة الفصيحة التي
ورد عليها القرآن الكريم قال تعم ما هذا بشرا وعليها قراءة الجمهور ههنا حيث قرؤا امهاتهم بالنصب بكسر التاء قوله بامهاتهم بزيادة الباء في خبرها
عنده وهذه ايضا كقراءة امهاتهم بكسر التاء مبنية على لغة اهل الحجاز فان الباء لا تزاد في خبر ما الا اذا كانت عاملة فلا تزاد على لغة بني تميم قوله اذ الشرع انكره
انما انكر مثل الظاهر منها وهي تشبيه زوجته بامه فان زوجته ليست بامه حقيقة ولا هي الحق امه بها فكان تشبيها لها بالاحد المتناسبين
بالآخر فكان منكرا شرعا فالمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب البهتان فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي احتمال
لتحريم الاستمتاع بها فان حكم الظهار في الشرع التحريم على الزوج وطيها بعد الظهار ما لم يكفر والكلام الانشائي لا يوصف بالكذب قلنا ان قوله
ان كان خبرا فهو كذب لا محالة وان كان انشاء فهو متضمن لكلام فيه كذب وهو الزوجة الحلال الملحقة بالام المحرمة ابدا ولا شك انه كلام كاذب
قوله مطلقا او اذا تاب عنه فان مغفرة ما دون الشرك من الكبائر بالتوبة عند المعتزلة خلافا لاهل السنة فانهم يقولون انها غير مشروطة بالتوبة بل هي
موكلة الى مشية الله تعالى ان شاء يغفره ابتداء وان شاء يعذبه على حسب ذنبه ثم يدخله الجنة برحمته قوله الى القول يعني ان اللام في قوله تعالى لما قالوا بمعنى
الى لانها يتعاقبان كثيرا في يهدي للحق الى الحق واوحى لها واوحى اليها او لا كلام ذاته مصدرية كانه قيل ثم يعودون الى قولهم ومعنى العود الى القول
تدارك ما فات منهم بسببه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليهم جميع ما يتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع بهن ونقضه التشبيه منكر
من القول وزور وكبيرة محضة فلا يصح سببا لوجوب الكفارة التي هي دائرة بين العبادة والعقوبة فعلق وجوبها بالظهار والعود جميعا فان العود
لا فيه معنى الامساك بالموصوف وتدارك ما فات عليه الحق المنكر يصح سببا لوجوب الكفارة والتدارك والادراك معناه اللحوق والوصول يقال استدرك
ما فات وتداركه اذا لحقه ووصل اليه المظاهر تدارك الظاهر ما فات بسبب الظهار بقوله هو نقض ما يقتضيه قوله المنكر فان حكمه ومقتضاه هو التحريم
وفوات محل الاستمتاع حتى فات عنه بسببه محل الاستمتاع بالمنكوحة ينقض حكم ذلك القول وابطاله وعود الغيث على ما افسده بابطال اثره وتدارك ما فات
بسببه ثم العود بالمعنى المذكور الموجب للكفارة عند الشافعي هو امساكها عقيب الظهار وعدم تطليقها بطلاق بائن متصلا بالظهار فان امسكها
على وجه الزوجية زمانا يمكن تطليقها فيه عاد الى القول بعض ما يقتضيه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليه جميع ما يتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع
بها والامساك على الزوجية في ذلك القدر من الزمان اقل ما يستمتع بها اذ به يحصل دفع الوحشة والاستئناس في تلك المدة فيكون الامساك المذكور
نقضا لما يقتضيه قوله المنكر وتداركا لما فات بسببه هو المراد بالعود فتجب الكفارة به وكون التدارك المذكور مستلزما لنقض التشبيه كما هو مقتضى كلامه ثم
من حيث الامساك المذكور لا يكون عودا او نقضا لمقتضى التشبيه الا بعد مضي زمان يمكن ان يطلقها فيه فلا توقف كونه عودا على مضي ذلك الزمان
كان مترا خيا عن التشبيه بذلك القدر من الزمان وعند ابي حنيفة العود المذكور عبارة عن استباحة شيء مما حرم عليه بالظهار من نفس الجماع ودواعيه والعزم
عليه عند مالك هو عبارة عن اباحة نفس الجماع والعزم عليه وعند الحسن نفس الجماع لان الاصل المهم عقد الزوجية وما عداه من التوابع والمقدمات
فيكون حكم الظهار ومقتضاه بالذات هو تحريم هذه المنفعة والامتناع عنها ونقض هذا الحكم انما يكون باتيانه فيه الذي هو مباشرة نفس الجماع
قوله او بالظهار في الاسلام عطف على قوله بالتدارك يعني انه فسر العود الى القول هو الحكم بالتشبيه المنكر في الاسلام بعد ما حكم به في الجاهلية والتعبير عما سبق
في الجاهلية بلفظ المضارع للدلالة على اعتبارهم واستمرارهم عليه فيما مضى وقتا فوقتا فانهم كانوا يعتادونه في الجاهلية وكلمة ثم لاستبعاده في حال
الاسلام وهذا القول يستلزم ان يجب الكفارة بمجرد التكلم بالظهار في الاسلام حتى لو طلقها عقيب الظهار او ماتت المظاهر منها لزمته الكفارة لتحقق موجبها

وهو مجموع الظهار والعود بالمعنى المذكور وهو التكلم بلفظ الظهار في الاسلام عودا وهو خلاف ما عليه علماء الامصار قوله او بتكراره وهو ايضا معطوف على قوله
بالتدارك يعني ان الظاهرية قالوا العود عادة لفظ الظهار وتكراره حتى لو لم يكرر لا كفارة عليه ثم لان التكرار لا يلزم ان يكون باعادة لفظ
الظهار بل يكفي فيه اعادة معناه بان يحلف على ما قال حتى لو لم يحلف عليه لم يلزمه الكفارة لفقدان شرط الكفارة وهو العود الى الظهار لفظا او معنى
ولو قال امرأته علي كظهر امي ان فعلت كذا فمتى فعل ذلك صار مظاهرا فيكون مباشرته لذلك الفعل تكرارا للظهار معنى حيث صار مظاهرا بمباشرته
بالسبب الصادر منه سابقا فيجب عليه الكفارة حين حنث لان شرط وجوبها وهو مجموع الظهار والعود تحقق حينئذ وانما قلنا بمجموع الظهار والعود
شرط لوجوب الكفارة لما تقرر في النحو ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل او ظرف يتضمن معنى الشرط وقد وقع المبتدأ في الآية اسما موصولا
صلته فعل وعطف عليه فعل اخر بكلمة ثم فلزم ان يكون مجموع الفعلين شرطا لوجوب الكفارة قوله اوالى القول فيها عطف على قوله الى القول لم نفي
الوجوه السابقة او الفعل المصدر بما المصدرية ثم النساء المذكورة في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وحذف لفظ فيها كما قالوا اشترك بمعنى
مشترك فيه ثم العود الى النساء بتدارك ما فات في حقهن ونقض حكم قوله فيهن يكون على وجوه مختلفة على حسب اختلاف المذاهب فعلى قول الشافعي يكون
بامساكهن مدة يمكن للمظاهر ان يطلقهن فيها وعلى قول ابي حنيفة ومالك بالعزم على الاستمتاع به وعلى قول الحسن بوطيهن وعن الفراء ان اللام
في قوله تعالى لما قالوا بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوه ويريدون الوطي قوله فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة فعلى الاول يكون قوله
فتحرير رقبة مبتدأ خبره محذوف اي فعليهم تحرير رقبة ويكون المبتدأ مع خبره في محل الرفع على انه جملة خبر المبتدأ الاول وهو قوله
والذين يظاهرون دخل الفاء على خبره لتضمنه معنى الشرط وعلى الثاني يكون قوله فتحرير رقبة خبر مبتدأ محذوف والتحرير جعل الشيء
الرقيق حرا قوله ومن فوائدها الدلالة وجه الدلالة ان الفاء لما دلت على سببية مجموع الظهار والعود لوجوب الكفارة دلت على عدم
تكرار الكفارة بتكرار المجموع ضرورة ان تكرار السبب يوجب تكرار المسبب الا عند اتحاد المجلس كقراءة آية السجدة في موضعين قوله
قياسا على كفارة القتل كان الرقبة مقيدة بالايمان في كفارة القتل قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة فتكون مقيدة به في كفارة الظهار
وان ذكر فيها من غير تقييد قال الشافعي يحمل المطلق على المقيد وان ورد كل واحد منهما في حادثة غير الاخرى وابو حنيفة لا يحمله عليه الا عند
اتحاد الحكم والحادثة قوله اعم اللفظ ومقتضى التشبيه فان الآية تدل وجوب الكفارة قبل التماس فلزم ان يحرم التماس قبلها ولفظ التماس عام
يتناول كل واحد منهما الاخر وكذا مقتضى وحكمه ان يحرم استمتاع كل واحد منهما بالآخر فتكون الآية دليلا على حرمة التماس مطلقا
وكذا المس كما يتناول المس بالوطي يتناول سائر ضروب المسيس فيحرم جميع وجوه الاستمتاع انتهى قوله وان يجامعها الشارح الى
ان الشافعي له قولان في ان المحرم بالظهار ما هو قال الامام اختلفوا فيما يحرم بالظهار فللشافعي قولا اصحهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني
وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة قوله تعم توعظون به الوعظ النصح والتذكر بالعواقب كان موعظة رادعة
عن ارتكابه قوله والذي غاب ماله واجد والعاجز هو الذي لا يملك الرقبة ولا قيمتها قوله وان جامع المظاهر منها لم ينقطع التتابع ولا يلزمه
استيناف الشهرين عند الشافعي لان التكفير بالصوم مشروط بالتتابع وقد وجد لان الليل ليس محلا للامساك عن المفطرات خلافا لابي حنيفة
ومالك فانه يجب استيناف الشهرين عندهما لانه وان لم ينقطع التتابع بالجماع ليلا الا انه قد فقد كون الكفارة قبل المسيس فيشترط ذلك
في الكفارة بالصوم ايضا ومن لم يوجب الاستيناف فيقول نعم ان تقديم صوم شهرين على التماس شرط الا انه على تقدير عدم الاستيناف تحقق تقديم
البعض عليه وعلى تقدير الاستيناف يتاخر الكل فالاول اولى قوله ستين مدا المد ربع الصاع بالاتفاق بين اهل الحجاز واهل العراق
الا ان اهل الحجاز فسروا المد بانه مكيال يسع فيه رطل وثلث رطل وفسره اهل العراق بما يسع فيه رطلان فالصاع الحجازي خمسة
ارطال وثلث رطل والعراقي ثمانية ارطال والرطل مائة وثلثون درهما عن ابن عباس كان يتوضأ بالمد رطلين ويغتسل بالصاع

او مرض هرم من احاد ممتد لا يرجى برؤه فانه يطعم العاجز بسبب الكبر السن ويجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام والشبق شدة اشتهاء الضراب

فانه امر سلمة بن صخر بان يعدل عن الصوم الى الاطعام بسبب عجزه التحرير والصيام لاجل شبقه ويحتمل ان يكون الشبق شبقا وما لشدة اشتهاء الطعام

قال لا والله ان اخطاني ان اكل في اليوم مرة او مرتين لكلّ الى اموت فامره بان يطعم ستين مسكينا قوله وهو نظير قوله اي في كونه من باب التغليظ

فتلك حدود الله اي الاحكام التي بيناها لكم فاصلة بين الحق والباطل من تخطاها فقد تعدى وظلم نفسه والحد النهاية الحاجزة بين الشيئين

وتحديد الدار تعيين نهاياتها فلان حديدا ذا كان ارضه الى جنب ارضه شبه شرعه تعالى من الاحكام بالحدود الحاجزة بين الشيئين فاطلق عليه

اسم الحد والحداد المنع ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع الدخول بغير اذن ويقال للسجان ايضا حداد لانه يمنع من الخروج فالمحادة مفاعلة

من الحد بمعنى النهاية الحاجزة كما نقل عن الزجاج انه قال المحادة في حد غير حد صاحبك فتكون المحادة كناية عن المعاداة وقوله كبتوا

اي خذلوا من قولهم كبت الله فلانا اي اذله وخذله وقيل اهلكوا وقيل اخزوا كما اخزى الله الذين من قبلهم من اعداء الرسل والكبت القاء الشخص

على وجهه يقال كبه لوجهه اي صرعه فاكب هو على وجهه وهذا من النوادر يقال افعلت انا وفعلت غيري وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم بذلك وان

يكون اخبارا عما سيكون بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فيكون وعيدا للكفار بكذا وقد انجز الله تعالى ذلك يوم بدر وقيل يوم الخندق والظاهر ان قوله تعالى

للكافرين عذاب مهين صفة ثانية لآيات فانها كما انها واضحة الدلالة فانها ايضا عذاب للكافرين تهينهم وتذهب عزهم قوله

كلهم لم يجتمعهم يعني قوله جميعا منصوب اما على انه تاكيد للضمير المنصوب في يبعثهم وعلى انه حال منه بمعنى مجتمعين في حال واحدة وقوله تعالى الم تر

ان الله يعلم الآية استفهام تقرير والمعنى انك قد علمت انه لا يغيب عن علمه شيء فيها ولا يخفى عليه نجوى المتناجين وهو تاكيد لكونه تعالى

شهيدا عليهم وعلى كل شيء مطلعا عالما بكل المعلومات بحيث لا يخفى عليه سر وعلانية قوله ما يقع من تناجي ثلثة اشارة الى ان كان تامة وان

النجوى مصدر بمعنى التناجي وهو المكالمة سرا وان ثلثة مجرور باضافة نجوى اليه اضافة المصدر الى فاعله وهو من نجوى فاعل كان ومن زائدة

اي ما يحدث وما يقع من نجوى ثلثة او اهل نجوى ثلثة وان يؤول المصدر وهو النجوى بالمتناجين على طريق التوصيف بالمصدر مبالغة

وعلى التقديرين يكون ثلثة مجرورا اما على الاول فعلى انه صفة للمضاف المقدر واما على الثاني فلانه صفة للنجوى بمعنى متناجين والنجوة

والنجاة ما ارتفع من المكان الذي تظن انه نجا وكمن حيث انه يعلق التسيل اشتق منها النجوى لما ذكره من ان السر امر مرفوع الى

الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه قوله الا الله يجعلهم اربعة الواحد من المتعدد يعتبر على وجهين الاول ان يصير ذلك الواحد العدد

الناقص من عدد ملتزم ذلك الواحد باعتبار حاله ومرتبته في التعدد يقول فيه الثاني والثالث بمعنى واحد من اثنين وواحد من الثلثة

وان اضفته تضيفه الى عدد هو ماخذ هذا الواحد لا الى عدد ناقص منه بواحد فتقول ثاني اثنين وثالث ثلثة ورابع اربعة وتضيف

باعتبار التصيير الى العدد الناقص من ماخذه فيقول ثالث اثنين ورابع ثلثة ويريد مصيرا اثنين ثلثة اربعة كما في صحيح قوله تعالى

الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم من قبل الواحد من المتعدد باعتبار تصييره لا اضافته الى العدد الذي هو انقص من العدد

الذي اشتق منه هذا المصير بدرجة وهو الثلثة والخمسة فمعنى رابع ثلثة تصيير ثلثة اربعة ومعنى سادس خمسة ستة والمفرد المتعدد

باعتبار حاله ومرتبته في التعدد لا يضاف الا الى عدد يساوي العدد الذي اشتق منه ما يدل على هذا اللفظ فيقال رابع اربعة وثالث ثلثة وثاني اثنين اي احدهما

قوله والاستثناء من اعم الاحوال يعني ان قوله الا هو رابعهم والا هو سادسهم والا هو معهم كل واحد منها جملة بعد الا في موضع النصب على الحال لما تقرر

ان المستثنى المفرغ يعرب على حسب العوامل فالمستثنى منه المقدر الاحوال العامة اي ما يوجد شيء من هذه الاشياء في حال من الاحوال الا في حال من هذه

الاحوال قوله وتخصيص العددين جواب عما يقال انه تعالى ذكر الثلثة والخمسة واهمل الاعداد الاربعة في البين فالحكمة فيه اجاب عنه اولا بان الآية نزلت في قوم من المنافقين

اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين ثلثة وخمسة فلما كان اصحاب التناجي معدودين بهذين العددين المخصوصين قال تعالى

ما يناجي منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من ذينك العددين ولا اكثر الا والله معهم يسمع ويعلم ما يقولون وثانيا بانه تعالى

لم يذكر الا الثنين والاربعة لانه تعالى وتر يحب الوتر فخص بالذكر الا الاعداد المفردة وثانيا واكتفى بذكرهما عن ذكر الباقي تنبيها على افراده

الله تعالى وثالثا ان الشاورة لا بد فيها من عدد وثالثا بان اقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلثة حتى يكون الاثنان

منهم كالمتنازعين في النفي والاثبات ويكون الثالث كالمتوسط الحكم بينهما في تكامل تلك المشورة ويتم المقصود منها وهكذا في كل جمع اجتمعوا للتشاور

فلا بد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول فلهذا السبب لا بد ان يكون عدد ارباب المشاورة فردا فذكر تعالى الفردين الاولين واكتفى بذكرهما

عن الباقين قوله وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال وذو الحال محذوف والتقدير ما يكون من اهل نجوى يتناجون ثلثة وحذف

لدلالة نجوى عليه وان اول نجوى بالمتناجين يكون ذو الحال المستكن فيه وقرئ بتاء التانيث لتانيث النجوى والعامة على التذكير لوقوع الفاصل بين

الفعل والفاعل وهو كلمة من ولان تانيث النجوى غير حقيقي قوله ولا اقل مما ذكر من العددين كالواحد دخل الواحد في الادنى لان الواحد قد يحدث

نفسه فهو تناجيه نفسه ومسادته اياه قوله تعالى في قراءة الجمهور ولا ادنى في موضع الجر بالعطف على ثلثة على طريق الجر ارحمة وكذا قوله ولا اكثر

او ما يكون من متناجين ادنى ولا اكثر الا وهو معهم فتكون كلمة لا في الموضعين زائدة لتاكيد النفي المعتبرة المعطوف عليه وقره ولا اكثر بالرفع

اما على كونه معطوفا على محل من نجوى فانه فاعل كان التامة ومن زائدة كما تعتبر وما يكون ادنى ولا اكثر فكلمة لا فيهما ايضا للتاكيد واما كونه معطوفا

على محل لا ادنى ان جعلت كلمة لا فيه لنفي الجنس فتفتح ادنى انه اسم لا اذا كان نكرة مفردة يبنى على ما يرفع به وتقرر ايضا انه يجوز في المعطوف على المنفي بلا الرفع

عطفا على محل البنية والنصب عطفا على اللفظ فيقال فيه لا اب ولا ابنا بوفع الابن ونصبه فلهذا جاز في الاصل ولا قوة رفع قوة ونصبها مع التنوين

فيهما وبناء حول على الفتح اما الرفع فعلى ان يكون لا الثانية زائدة لتاكيد نفي الاول وبعطف قوة على محل الحول واما النصب فبالعطف على اللفظ وكونه

لا زائدة ايضا قوله ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين ويوهمونهم بذلك انهم يتناجون فيما يسوؤهم فيحزنون لذلك فلما كثر ذلك شكى المسلمون

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بان لا يتناجوا عند المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية قوله فيقولون السام عليك السام الموت وهم يوهمونه

انهم يقولون السلام عليك وكان يرد عليهم عليكم اي عليكم ما تقولون بدون الواو وروي عن عائشة لما سمعت قولهم السام عليك قالت لهم السام

واللعنة والغضب لعنة الله وغضبه فقال مه يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا اولم تسمعي ما

رددت عليهم ليستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في فقالت اليهود فيما بينهم لو كان رسولا كما يقول لم لا يستجاب دعاؤه علينا فنزل قوله تعالى

فاذا جاؤك الآية وقولهم انعم صباحا من النعومة اي لنصر صباحكم ناعما لينا لا بؤس فيه ولا شدة قوله وقرئ فلا تنتجوا بمعنى فلا تتناجوا

في الصحاح النجو السر بين اثنين يقال نجوته نجوا اي ساررته وكذلك ناجيته وانتجى القوم وتناجوا اي تساروا والنجي على فعيل هو الذي يساره قوله ان النجوى

بالاثم يعني ان تعريف النجوى للعهد الخارجي من جهة الشيطان وتسويله لهم ذلك قوله توسعوا فيه الفسحة الوسعة والفسح الواسع وفسح له في المجلس

يفسح وسع له ومنه باب منع يمنع وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اي صار واسعا قال القرطبي لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله ذمهم

على ذلك وصلى به الامر بتحسين الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بان يفسح بعضهم لبعض ويطلب نفسه لذلك

ولا يترد بوضع بالمزاحمة حتى يتمكنوا من الاستماع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الصحيح في الآية انها عامة في كل مجلس يجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء

كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة ولا يختص بمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كل احد احق بمكانه الذي سبق اليه قال عليه السلام من سبق الى ما لم يسبق اليه

فهو احق به ولكن ليوسع لاخيه ما لم يتاذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه وعنه صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه

ولكن يقول افسحوا قوله تعالى انشزوا اي ارتفعوا وقوموا قال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلوة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا

عن الصلوة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا اذا نهضوا الى الحرب وقال ابن زيد والزجاج في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان رجال منهم يحبان

يكون انوجهم عهدا بالنبي فيقالته واذا قيل انشزوا عن مجلسه م فانجزوا فان لهوائج ولا تمكثوا وقال مجاهد واكثر المفسرين معناه اذا قيل لكم
انهضوا الى الصلوة والجهاد وكل خير فقوموا لها ولا تقصروا ولما المص انهضوا للتوسعة لمن جاء بعدكم يحتمل ان يكون المراد انه اذا كثرت
المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحي احد الشخصين مع الآخر حال قعود الجماعة وقيل لهم جميعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تثاقلوا
عن القيام ويحتمل ان يراد انه اذا قيل لكم قوموا عن مواضعكم وانتقلوا عنها الى موضع آخر اطيعوا من امركم به وقوموا من مجالسكم
وتوسعوا لاخوانكم بذلك يؤيده ما روي عن مقاتل بن حيان انه م كان في الساعة الصفة وكان في المجلس ضيق وكان م في المجلس
فقاموا حيال النبي فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق
ذلك على رسول الله م فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان قم يا فلان فاقام من المجلس بعدد القائمين من اهل البدر فشق ذلك على من
اقيم من مجلسه وعرف رسول الله الكراهية في وجوههم فانزل الله تعالى يا ايها الذين اذا قيل لكم تفسحوا الآية قوله تعالى يرفع الله
الذين آمنوا على طريق عطف الخاص على العام وقد اختاره المص وقيل يجوز ان من قبيل عطف الصفات بان تكون الصفات لذات واحدة كانه
قيل يرفع الله الذين آمنوا العلماء وعن ابن عباس انه قال تم الكلام عند قوله منكم وينتصب قوله والذين اوتوا العلم بفعل مضمر
اي ويخص الذين اوتوا العلم بدرجات او يرفع درجات وانتصاب درجات على انه مفعول ثان ليرفع ويحتمل ان يكون حالا بمعنى ذوي درجات
او ظرفا او منصوبا على اسقاط الخافض اي الى درجات بين الله تعالى في هذه الآية برفع المؤمنين على غير المؤمن وانه يرفع علماء المؤمنين
على غير العلماء منهم فثبت ان الرفعة عند الله انما تكون بالعلم والعمل لا بالسبق على صدور المجالس مستعار ممن له يدان يعني
ان النجوى لها يداه حتى يضاف اليه لفظ بين ويجعل مدلوله ظرفا لتقديم الصدقة فلما تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وقد
تقرر ان لفظ يدين في نحو قولك جلست بين يدي فلان مجاز اريد به الجهتان الواقعتان في سمت يديه وما بينهما هو جهة الامام
اطلق لفظ اليدين عليها على طريق اطلاق اسم الشيء على ما يجاوره ويتصل به وانما حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لان ما بين
حقيقة هو نفس جثة الشخص هي ليست ظرفا للجلوس بل الظرف هو جهة الامام الواقعة بين الجهتين المسامتتين لليدين فاذا اضيف
لفظ بين الى من له يدان فضلا عن ان يكون ليديه جهتان كما في نحو بين يدي الله وبين يدي نجواكم يكون لفظ بين يدي مستعارا
من بين جهتي يدي من له يدان بان ينزل ما بين تينك الجهتين منزلة المعنى الاصلي للفظ بين اليدين ثم يطلق لفظ بين اليدين على ما
ما بين تينك الجهتين فلفظ بين يدي في قوله تعالى فقدموا بين يدي نجواكم صدقة مستعار من جهتي يدي من له يدان وهو جهة الامام نحو بها
ما قبل زمان النجوى من حيث ملاحظة معنى التقديم في كل واحد منهما فهي استعارة متفرعة على المجاز المرسل فلذلك قال المص تصدقوا قدامها
فيه مسامحة والظاهر ان يقال تصدقوا قبلها لان القدام من ظروف المكان والنجوى لا قدام لها لان الجهة انما تكون للمتمكنين الا انها تقع
في زمان فيكون لها قبل وبعد وان لم يكن لها قدام وخلف وقال صاحب الكشاف مستعار ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر افضل
ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته قوله وفي هذا الامر يعني
ان هذا التكليف يشتمل على فوائد اولها تعظيم الرسول وتعظيم مناجاته فان الانسان اذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه وان وجده
من السهولة استحقره وثانيها ان تقديم الصدقة قبل المناجاة يستلزم انتفاع كثير من الفقراء وثالثها ما يدل عليها ما روي عن
ابن عباس ان المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله م حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف عن نبيه فانزل الله هذه الآية فلما
نزلت شح كثير من الناس فكفوا عن المسئلة فصار انزال هذه بمنزلة النهي عن الافراط في السؤال ومن فوائد انزالها الميز المذكور
قوله وهو وان اتصل به تلاوة على ايقاع كيف يكون قوله تعالى ااشفقتم ناسخا لوجوبه وهو متصل به والحكم لا ينسخ بكلام متصل به

واختلف

واختلف القائلون بوجوبها في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من النهار
ثم نسخ وقال مقاتل بن حيان بقي ذلك التكليف عشرة ايام قوله وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره اي ما روي عن علي رضي
من قوله ما عمل بها احد غيري لا يوجب قدح غيره بنسبة ترك الواجب اليهم بوجوبها لان ترك الواجب انما يجب ان لو تحقق
منهم المناجاة في مدة بقائه من غير تقديم الصدقة وذلك غير معلوم فاصله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه
عن القرطبي انه قال وما روي عن علي ضعيف لانه تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشيء قوله وهو يشعر
بالمندوبية لان نحو قوله تعالى ذلك خير لكم انما يستعمل في التطوع لا في الواجب الا انه قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
ادل على الوجوب لان ما كان مغفورا انما على بناء على تعذره يكون واجبا عند فقدان العذر قوله اخفتم الفقر من تقديم الصدقة
على ان يكون مفعول اشفقتم محذوفا ويكون قوله ان تقدموا في محل النصب على انه مفعول اشفقتم وعلى الاول بحذف
اشار اليه بقوله لما يعدكم الشيطان قوله بان رخص لكم ان لا تفعلوه فان التوبة اذا اسند اليه تعالى تكون بمعنى الرجوع عقوبة
الذنب بناء على رجوعه عن الذنب فان اشفاقهم لكونه بمنزلة الاعتذار والاسترحام قام مقام توبتهم اليه تعالى فقام
ترخيصه تعالى لهم عدم التقديم مقام توبته عليهم فلذلك قال وتاب الله عليكم قوله وان على بابها انها للمضي والمعنى انكم تركتم
ذلك فيما مضى فتداركوا باقامة الصلوة وقيل بمعنى اذا في كونها للاستقبال كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل
انها بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله لان اذا من الظروف وفيها معنى الشرط وان من حروف الشرط معنى الآية فاذا
لم تفعلوا ما امرتم به عجزا او شحا وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان نسخ ذلك الحكم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فلا
تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات فان قيل قوله تعالى ااشفقتم وقوله فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم يدل على تقصير المؤمنين
في ذلك التكليف في حق اناس من الصحابة ذلك اجيب بمنع دلالته عليه وذلك لان القوم لم يكلفوا بان يقدموا الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل
امروا بانهم ان ارادوا المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة وما توقف هي عليه تقديم الصدقة لعدم عروض مهم
يقتضيها في مدة بقاء التكليف لا يكون مقصرا الا هذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة لذاتها بل شانها
ان يقع عند اقتضاء الحاجة اياها ولا سيما قد ذكر انهم انما كلفوا بتقديم الصدقة ليتركوا الافراط في السؤال ويقتصروا على السؤال
عند طريان الحاجة اليه فلا يكون ترك المناجاة مطلقا تقصيرا في التكليف وانما يكون مقصرين فيه لو ناجوا في مدة بقاء التكليف
به من غير تقديم الصدقة ولا يمكنهم ذلك لانهم لا يمكنهم من ذلك فليس في الآية ما يدل على صدور التقصير منهم والاستفهام التقريري في قوله تعالى
ااشفقتم يجوز ان يكون مبنيا على انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من بقاء هذا التكليف بدا لكثرة ما يقتضي المناجاة وعدم بكر تقديم
الصدقة في كل مرة فقال هذا القول واما قوله تعالى فتاب الله عليكم فليس معه ما يدل على انه تاب عليهم من هذا التقصير بخصوصه بل يحتمل ان
يكون المراد انكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة فقد كفاكم هذا التكليف هذا كلام الامام ولا
حاجة الى هذا التكليف بما اشار اليه المصنف بقوله بان رخص لكم ان لا تفعلوه فتأمل ثم انه تعالى لما وبخ اليهود والمنافقين وهددهم بقوله تعالى
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى الى قوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ثم ساق الكلام الى ههنا عاد الى ذم المنافقين بموالاتهم
اليهود فقال الم تر الى الذين تولوا قوما الآية التولي قعد العدو ويقال منه اتولاه قوله كمن يحلف بالغموس فان المحلوف عليه فيه
كذب والغموس ان يحلف على امر قد مضى بانه قد وقع او لم يقع وهو يعلم انه كاذب وان حلف على امر قد مضى وهو يظن ان الامر كما
يظن وهو ليس كذلك في نفس الامر فهو لغو وروى عن عائشة رضي ان اللغو ما يجري على اللسان من قصد اليمين سواء كان في الامر قد مضى

اوفي امر سيكون مثل ان يحلف لا والله او بلى والله ويروى يمين ابي شلة وسميت الا ولى غموسا لانها تغمس صاحبها في الذنب ثم في النار قال الم
الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل نفس بغير حق واليمين الغموس ولم يجعل حلف المنافقين على الكذب غموسا بل يشبهه به
في كونه الحالف متعمدا للكذب لان الغموس هو الحلف على الماضي متعمدا للكذب وحلفهم ليس كذلك بل هو حلف على الحال قوله وفي هذا التقييد
دليل اه اعلم انه لا واسطة بين الصدق والكذب عند الجمهور فان صدق الخبر عندهم عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عن عدم
مطابقته وقال النظام صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ فقول من السماء تحتنا معتقدا ذلك صدق
وقوله السماء فوقنا غير معتقد كذب عنده وعند الجمهور بالعكس قال الجاحظ صدق الخبر مطابقته للواقع مع الاعتقاد بانه مطابق
وكذب الخبر عدم مطابقة حكمه للواقع مع اعتقاد انه غير مطابق له فالخبر انما يكون كاذبا بمجموع الامرين عنده وهما مطابقة حكمه
للواقع وعلم المخبر بعدم مطابقته له فاستدل المص على فساد قول الجاحظ بهذه الآية فقال لو اعتبر في كذب الخبر علم المخبر بعدم
مطابقة حكمه للواقع لكان تقييد قوله ويحلفون على الكذب بالجملة الحالية وهي قوله وهم يعلمون خاليا عن الفائدة لان كذب
المحلوف عليه اذا استلزم علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لزم ان يكون قوله وهم يعلمون ضائعا بلا فائدة بخلاف ما اذا كان
كذب الخبر عبارة عن مطابقة حكمه للواقع فقط كقول الدهري انبت الربيع البقل معتقدا ذلك فانه خبر كاذب مع ان المخبر
لا يعلم مطابقته للواقع قوله وروي عطف على قوله وهو ادعاء الاسلام فان الكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو قولهم
ما شتمنا وما فعلنا شيئا يوجب هتك حرمتك فانهم قد فعلوا ذلك الا انهم لما خافوا من القتل حلفوا انهم ما فعلوه وهم
يعلمون انهم كاذبون في هذا الانكار قوله متفاقما اي عظيما يقال تفاقم الامر اي عظم والنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظم
من توصيفه بالشدة فقوله فتمرنوا اي تعودوا من قولهم مرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة اي تعوده واستمر عليه تمرنهم على سوء
العمل مستفاد من كان الدال على الزمان الماضي هذا العمل الشيء دابهم القديم والتحريش الاغراء بين القوم وهو من لوازم النفاق
وكانوا يثبطون عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم قوله وعذاب الآخرة كما في قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما ثم انه تعالى لما بين انما يحلفون على الكذب
لتكون ايمانهم الكاذبة جنة لهم يدفعون بها القتل عن انفسهم واولادهم والاستغناء عن اموالهم بين انه لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم التي كانوا يحمونها بالنفاق والايمان الكاذبة من عذاب الله تعالى في الآخرة شيئا قليلا وقوله يوم يبعثهم الله منصوب بقوله
لن تغني عنهم اموالهم واولادهم التي كانوا يحمونها بالنفاق زائدة او اصحاب النار وبالاستقرار المدلول عليه بقوله فلهم عذاب مهين او
باضمار اذكر قوله ويقولون كما يحلفون لكم والظاهر ان يقال كما يحلفون لكم في الدنيا ويقولون انهم لمنكم بين ان المحلوف عليه في الدنيا قولهم
للمؤمنين انهم لمنكم وان المحلوف عليه في الآخرة ما كنا مشركين والمعنى انهم لشدة توغلهم في الكذب والنفاق في الدنيا بقوا في الآخرة
على هذا الخلق الردي مع معاونتهم ما اوعدوا من الاهوال وانكشف الاحوال وانقلاب خفيا الامور ظواهر فظنوا انه يمكنهم ترويج
كذبهم على عدم الغيوب بالايمان الكاذبة كما اشتروا بها واتخذوها جنة في الدنيا قوله من حذت الابل وحزتها اللبن يقال
حاز الابل يحوزها ويحيزها اي يسوقها كذا في الصحاح وليس المراد ان استحوذ بالذال مشتق من الحوذ بالزاي الا ان يراد بالاشتقاق
الاشتقاق الاكبر وهو ان يكون بين اللفظين تناسب في المخرج لا في جوهر الحروف قوله وهو مما جاء على الاصل يعني استحوذ بقلب الواو
الفا بعد نقل حركتها الى الحاء وكان استيلاء الشيطان وغلبته عليهم وسوقه حيث شاء سببا لارتكابهم المعاصي غير ذاكرين الله تعالى
ومقامهم بين يدي الله ومجازاتهم بما صنعوا في جملة من هو اذل خلق الله لان ذل احد الخصمين على حسب عز الآخر فلهذا كانت

عزة

عزة الله تعالى غير متناهية قوله اي بالحجة لم يذكر الغلبة بالسيف مع ان من بعث بالحرب من الرسل غالبون بالسيف كما انهم غالبون بالحجة
والبرهان لان الغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل بخلاف الغلبة بالسيف فانها انما ثبت لمن امر منهم بالحرب عن الزجاج انه قال غلبة الرسل
على نوعين من بعثتهم بالحرب فهو غالب في الحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة قيل في سبب نزول هذه الآية ان المؤمنين
لما قالوا لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن لرجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي
اتظنون ان الروم وفارس كبعض القرى التي ظللتم غلبتم عليها والله انهم اكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك
فنزلت لاغلبن انا ورسلي ثم انه تعالى لما ذم المنافقين وعجبهم موالاتهم قوما غضب الله عليهم بين انه لا يجتمع الايمان بالله واليوم الآخر
مع توادّ اعداء الله وموالاتهم لان شرط الايمان بالله محبته وطاعته وهما يقتضيان معاداة اعدائه قال بعض العارفين تود عدوي
ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بكاذب قوله فقال لا تجد قوما صفة لقوم بعد صفة او حال منه قوله لا ينبغي ان تجدهم اي انه لا ينبغي
ان المؤمن لا يوجد منافقا خارجا عن الايمان بان حصل في القلب وداد اعداء الله تعالى وان اي قلب حصل فيه مودة عدو الله يصير صاحبه
منافقا خارجا عن الايمان ولا يخفى انه نهي وزجر عن موالاتهم بابلغ الوجوه وحمل على التصلب ومجانبتهم والمباعدة عنهم ثم زاده
توكيدا بقوله ولو كانوا آباءهم الى قوله وعشيرتهم ثم بقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان ثم عقابه بقوله اولئك حزب الله بحق في حق
اضدادهم اولئك حزب الشيطان روي عن رسول الله انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما
اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية فعلم منه ان الفاسق واهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله اي خالفهما
وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قوله اي من عند الله يعني ان ضمير منه لله ومن لابتداء الغاية
والروح مستعار لنور القلب فانه تعالى لما نور قلوبهم بحيث ميزوا به ما ينجيهم عما يرديهم ورغبوا بذلك في الارتقاء الى المدارج الرفيعة
والتخلص عن دركات عالم الطبيعة الدنية صار نور القلب لهم سببا للحياة الابدية فاطلق عليه اسم الروح على سبيل الاستعارة واما
للقرآن والنصر على العدو فان ذلك واحد منهما سبب للحياة المعنوية فكان سببها للروح الذي هو سبب للحياة الجسدية قوله وقيل الضمير
في منه للايمان اي بروح من الايمان فان في نفسه روح للقلب من حيث كونها سببا للحياة كما قال تعالى ايدهم وقواهم على كثير ممن يحاربهم

سورة الحشر مدنية

بنو النضير من اليهود من ذرية هرون ومن نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا
لبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كعب الاشرف سيدهم قوله ظاهرا اي لما غلب تم على المشركين يوم بدر استحكم ظنهم في حقيقة امره فلما
كانت وقعة احد ارتابوا واظهروا العداوة له ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله وركب مع كعب اصحابه الى
مكة واتوا قريشا وحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل
فاخبر النبي بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان فامر محمد بن مسلمة الانصاري وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة فقتل كعب غيلة والقتل
بطريق الاغتيال ان يخدع المقتول فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله قيل خرج محمد بن مسلمة وابو نائلة ورجلان اخران فاتوه بالليل
وقالوا اتيناك لنستقرض منك شيئا من التمر فخرج اليهم فقتلوه قيل كان جلاء بني النضير مرجع النبي من احد وكان فتح بني قريظة مرجعه من
الاحزاب في شوال سنة خمس فاجلاهم رسول الله على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير واحد ما شاؤا من غير سلاح وما تركوه فلرسول الله
ولاصحابه في جلا اكثرهم الى الشام الى اريحا واذرعات الاهل بيتين منهم ال ابي الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم
بالحيرة وهو مدينة بقرب الكوفة والجلاء الخروج من البلد وقد جلوا عن اوطانهم وجلوتهم انا يتعدى ولا يتعدى ويقال ايضا اجلوا عن
البلد واجليتهم انا كلاهما بالالف كذا في الصحاح ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الآن وانما كان ذلك في اول

الاسلام

ثم نسخ والآن لا ينة فنالهم بسبيهم او ضرب الجزية عليهم في اول حشرهم من جزيرة العرب اشارة الى ان اللام في قوله تعالى لِأَوَّلِ الْحَشْرِ صلة بأخرج
وانها اللام المفيدة لمعنى الظرفية كلام في قوله أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ويا ليتني قدمت لحياتي سميت جزيرة العرب بها لاحاطتها بالماء
بالجزيرة الواقعة خلالا البحر فان بحر الحبشة وبحر فارس والفرات ودجلة قد احاطت بها وقوله انهم لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك اشارة
الى ان اولية الاخراج لا تستدعي اخراجا ثانيا يكون هذا الاخراج اولا بالاضافة اليه بل اوليته عبارة عن كون الشيء غير مسبوق بآخر مثله
واخراج بني النضير اول اخراج اصابهم من حيث انه غير مسبوق بمثله واخراج آخرهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب يعني
ان اخراجهم في هذه المرة اول اخراج اصابهم فان اهل الكتاب لكونهم اهل عز ومنعة لم يصبهم الاخراج قبل هذه المرة ثم اشار
الى جواز ان يكون اولية هذا الاخراج بالنسبة الى الاخراج الثاني الذي اصاب اهل الكتاب وهو اخراج عمر اياهم من خيبر الى الشام فقال
او في اول حشرهم للقتال قوله وان نارا تخرج من المشرق على الشام اي آخر حشرهم اماحشر الناس الى الشام باني ماحشر كان اول العرب بان يحشر
النار اليه قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معه حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف منهم
وذكروان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار قوله تعالى مَا ظَنَنْتُمْ وظنوا الظن الاول فيه على بابه والثاني بمعنى العلم واليقين
بشهادة وقوع ان المشددة بعده فانه قد تقرر في النحو انه لا يعمل في ان المشددة الا فعل التحقيق منها الا فعل علم او يقين
الآن يقال سلط فعل الظن على المشددة هنا اجراء له مجرى اليقين وشدته وقوته حتى صار بمنزلة العلم قوله وتغيير النظم يعني
ان الظاهر ان يقال ظنوا ان حصونهم تمنعهم او ما نعتهم من باس الله لان متعلق ظنهم انما هو ان تمنعهم في ثاقة الحصون من
ان يظفر عليهم احد والعبارة الظاهرة في تادية هذا المعنى ما ذكر في العبارة والذي عليه النظم مخالف له في وجهين الاول تقديم الخبر على
المبتدا والثاني ايراد لفظ لا حاجة اليه وهو الضمير الذي جعل اسم ان الا انه غيرت العبارة الظاهرة الى ما عليه نظم التنزيل
لما ذكر المص من الدلالة وتوضيح المقام ان البلاغة وان كانت كناية عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال الا ان مقتضى الحال
ليس منحصرا فيما يقتضيه الحال بحسب الظاهر فان البلغاء كثيرا ما يخرجون الكلام على خلاف الظاهر لاقتضاء الحال بحسب غير الظاهر ذلك الاخراج
فان شانهم النظر الى جانب المعنى ووضع الكلام على وجه يؤدي ما قصد من الاغراض وان ادى ذلك الى ما يورده النحوي خلاف
الظاهر كما في هذه الآية فانه قدم فيها الخبر على المبتدا ليفيد قصر الموصوف على الصفة على معنى ان حصونهم لا يتجاوزها صفة غير المانعية
فتقديم الخبر مع كونه خلاف الظاهر دل على فرط وثوقهم بكونها حصينة بحيث ظنوا انه لا يخرجهم منها احد وكذا اسناد الجملة الى ضميرهم
فان اصل المعنى وان ادى بان يجعل حصونهم اسم ان وما نعتهم خبرها الا انه لما جعل اسم ان ضميرهم وجعلت الجملة خبرها حصل
تقوي الحكم بتكرار الاسناد كما حصل بكلمة ان المشددة فدل الكلام على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز
ان تكون حصونهم فاعلا بمانعتهم لان اسم الفاعل يعمل عمل فعله بشرط الاعتماد وقد اعتمد ههنا على اسم ان الا ان الكلام
حينئذ يخلو عن الفائدتين المذكورتين قوله وهو الرعب فانه لما سار اليهم بالكتائب قال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا
من ذلك فتنادوا بالحرب والقتال فارسل اليهم المنافقون عبد الله واصحابه ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولئن
اخرجتم لنخرجن معكم فغلقوا الابواب على الازقة حصونهم وحصونها متربصين فرصة القتال في امرهم رسول الله احدى وعشرين
ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب وقل شوكتهم بقتل رئيسهم كعب بن الاشرف غيلة ويئسهم من نصر المنافقين اياهم فاضطروا الى ان
تطلبوا منه ان يصالحهم فلم يرض الا بان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به فقبلوا ذلك فاضطروا اذا وكانوا اهل سلاح وقصور
منيعة فلم يمنعهم شيء منها قوله وقرئ فاتاهم بالمد وهو في المعنى وهو العذاب اذ كان الضمير لبني النضير والثمر ان كان الضمير للمؤمنين

قوله الذي يرعبها اشارة الى ان الرعب عند اهل اللغة هو الخوف الذي يرعب اي يملأ الصدر قال الجوهري رعبت الحوض ملاته وسيل راعب
يملأ الوادي وسنام رعيب اي ممتلئ على بعض الافعال بالجلال فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية مؤكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون
الا من الله تعالى ولا شك ان نفس الخلق ليس الا منه تعالى فكانت الافعال باسرها مستندة اليه تعالى بهذا الطريق وقد اشار الشريف
الجرجاني المحقق نور الله قبره الى بيت مفرد وهو قوله طغوه فقال وحالي يقتضي نسبتهم للمكتسب اشعري ومن المعلوم ان القدوس بالجبر
المحض لا وجه له الا مناط الامر هو الطهارة والنجاسة الفطريين وان الخاتمة مبنية على الفاتحة ولا يكتب الا ما تابعه علم سعادته
الفطري آه منه ثم آه قوله نكاية اي غيظا وقهرا قال الجوهري نكيت في العدو نكاية اذا قتلت فيهم وجرحت عن ابن عباس قال لما ظهر المسلمون
على ادبارهم دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل والمتسع كيف شاؤوا وجعل اعداء الله ينقبون دورهم في ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها
فيتحصنون فيها فبين بهذا وجه اخرابها بايدي الفريقين وذكر المص وجه اخرابها بايديهم انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان
يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل لئلا يحل بعد جلائهم عليها لها المسلمين ولينقلوا ما استحسنوا منها من الخشب الجيدة والساج النفيس
قوله وعطفها يعني ان اسناد الاخراب بايدي المؤمنين اليهم لانهم اسناد مجازي من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل قوله وقيل الاخراب التعطيل عطف
على ما يفهم من قوله وهو ابلغ لما فيه التكثير اي وقيل الفرق بين الاخراب والتخريب اوفى ظلوا وترك الشيء مبني على اختلاف العبارة لان ترك خرابا بعني
ترك بلا ساكن وهو معنى التعطيل وبني ابو عمرو قراءة التشديد على هذا الفرق لان بني النضير لم يتركوا منازلهم بغير ساكن مع بقائها على حالها بل
خربوها بالهدم والنقض كما يدل عليه قوله تعالى يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ قوله فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا والغدر ترك الوفاء بالعهد كما غدر كعب بن الاشرف
واصحابه بمعاداتهم الرسول والمؤمنين بعد المصالحة وحالفوا ابا سفيان على المسلمين واعتمدوا على وثاقة حصونهم وكثرة عددهم والاعتبار
ماخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء الى شيء ومعناه النظر الى الامور ليعرف بها شيئا آخر من جنسها كانه قيل تدبروا وانظروا فيما نزل بهم بشؤم غدرهم
واعتمادهم على غير الله تعالى وقيسوا عليه جميع ما فيه غدر واعتماد على غيره تعالى وايقنوا بسوء عاقبته قوله تعالى وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ اي لولا ان قضى الله عليهم
الخروج وان فيه مخففة من الثقيلة واسمها مقدر وهو ضمير الشان وان مع ما في خبرها في محل الرفع على الابتداء لان لولا اذا كانت بمعنى الامتناع لا يليها
الا المبتدا ولذا فتحت ان بعدها لكون ما بعدها موقع المفرد لوجوب كون مفردا وخبره محذوف فقوله لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا
انطلاقك حاصل انطلقت قوله تعالى لَعَذَّبَهُمْ لو كان معطوفا على قوله لعذبهم في الدنيا للزم ان ينجوا عذاب الآخرة ايضا لان لولا تقتضي انتفاء الجزاء لحصول
الشرط قوله والا الاخير فالمعنى على الاول ذلكم الاخراج والجلاء واخراب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وما اعد لهم في الآخرة على الثاني ذلك العذاب المعد لهم
في الآخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله اي عادوه وخالفوا امره ويجوز ان يكون منصوبا بالفعل المقدر اي فعلنا بهم بسبب كذا وكذا قوله اي شيء قطعتم اشارة
الى ان ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول قطعتم ومن لينة بيان له باذن الله خبر مبتدأ محذوف اي قطعها وتركها باذن الله والجملة جواب الشرط والمصدر
فسر اللينة بالنخلة مطلقا من اي نوع كانت كما ذهب اليه مجاهد وعطية قال الامام محيي السنة في تفسيره اختلفوا في اللينة فقال قوم هي النخلة كلها ما خلا العجوة
واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من النخل الالوان واحدها لون ولينة اصلها لونة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وقال الازهري اللينة هي الفرع
النخل الا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هي النخل كلها من غير استثناء وقال مقاتل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهي شديدة الصفرة يرى نواه
من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم كانت النخلة الواحدة منها احب عندهم من وصيف قال الامام فان قيل خصت اللينة
بالقطع قلنا ان كانت من الالوان فيبتغوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد قوله وقرئ على اصلها وفيه وجهان
الاول انه جمع اصل كرهن ورهن وسقف وسقف والثاني انه تخفيف اصولها اكتفاء بالضمة كما في قول الشاعر فلولا ان الاطباء كان
حولي اصله كانوا اجل فحذفت الواو ولما ذكر على المحذوف وقيل انه معطوف على قوله باذن الله لان التعليل والسببية من واد واحد قوله فمنزلت نصا

بالسوية كل واحدة من قطعها اخزا للكافرين وتحييرا لهم ومن امسك عن قطعها وندم على ما فعلوه من القطع لتبقى غنيمة للمسلمين لحسن نيته كل واحد منهم
ممن قطعها فلن تابه غيظ على الكافرين بسبب كفرهم ونقضهم العهد وتحالفهم مشركي مكة على معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته ومن
تركها فانه تبقى غنيمة للمسلمين قد ندم بعض من قطعها قبل نزول الآية على ما فعل خشية ان يكون ذلك منه افسادا في الارض وقد قال الله تعالى واذا
تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ولم يندم آخرون وقالوا لغيظهم بقطعها قال تعالى لا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم
به عمل صالح واستدل بعضهم بفعل الفريقين على جواز الاجتهاد وبحضرة النبي وعلى ان كل مجتهد مصيب لان كل فريق اتبع اجتهاده وانه تعالى
استصوب رأي كل واحد منهما وقيل لا يجوز الاجتهاد مع وجود النبي بين اظهرهم وانما فعلوا ذلك بامره اياهم بذلك انما يدل على اجتهاد النبي
فيما لم ينزل عليه وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان في موضع القتال وما افاء الله على رسوله منهم افاء افعل من الفيء بمعنى الرجوع يقال فاء يفيء فيئة
اي رجع وافاء غيره ويقال للخراج والاموال المقسومة من الكفار فيئا لرجوعها الى المسلمين من الكفرة واشار بقوله بعد صيرورته الى العود له
معنيان احدهما ان تحول الشيء الى ما فارق عنه وثانيهما مجرد ان تحول اليه وان لم يكن ذلك الشيء مسبوقا بان يحصل له قبل ذلك حتى فانه كان
حقيقا بان يكون له فهو بهذا الاعتبار صار كانه كان في يده ثم فارق عنه ووقع في ايدي الكفرة غصبا منه فاعاده الله عز وجل عليه بعد ما ذهب منه
وكلمة ما في قوله تعالى وما افاء الله شرطية في محل النصب على انه مفعول افاء وقوله فما اوجفتم جواب الشرط او موصولة مرفوعة المحل على الابتداء او ما
بعده خبره والايجاف من الوجف وهو السير السريع يقال وجف الفرس يجف وجفا ووجيفا اذا اسرع وكذا البعير واوجفته انا اذا حركته
وحملته على الاسراع ومن في قوله من خيل صلة اي فما اوجفتم خيلا ولا ركابا والركاب الابل خاصة غلب على الابل كما ان الراكب غلب على
راكب الابل فانه يقال لراكب الفرس فارس والمراد ركاب وابل راحلة ولا واحد لها من لفظها قال المفسرون ان بني النضير لما جلوا عن اوطانهم
وتركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله عليه السلام ان يخمسها كما فعل بغنائم بدر فانزل الله تعالى هذه الآية وبين انها فيء لم يوجف المسلمون
عليه خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليه مسافة لان ديار بني النضير كانت من المدينة على ميلين فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا اليها خيلا ولا ركابا
الا النبي فانه ركب جملا وقيل ركب حمارا مخطوما بليف ثم قال ولكن الله يسلط رسله عليهم وعلى ملة ايديهم بان القى رهبته في قلوبهم
فهابوا ورضوا بالجلاء وتركوا الاموال فجرى سلطان رسول الله عليهم تسليط الله عز وجل وذكر سنته في رسله الماضين وهو قوله ولكن الله يسلط
رسله على من يشاء بانشاء وما نزلت هذه الآية لم يقسم عليه السلام اموال بني النضير كما قسم غنائم بدر وانما قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار
منها شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة وعن عمر انه علم انه كان ينفق مما يحصل من غلة اراضي بني النضير على اهله نفقة سنة ويجعل ما بقي منها في الكراع
والسلاح عدة في سبيل الله قال الامام ومعنى الآية ان الصحابة طلبوا من الرسول ان يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة فقال الغنيمة ما اتعبتم
على انفسكم في تحصيله واوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيء فانكم ما تحملتم في تحصيله تعبا فكان الامر فيه مفوضا الى الرسول يضعه كيف
شاء ثم قال وههنا سؤال وهو ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان تكون تلك
الاموال من جملة الغنائم لا من جملة الفيء لاجل هذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الآية ما نزلت في قرى بني النضير لانهم
اوجفوا عليهم بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هو في فدك وذلك لان اهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك الاموال
والقرى في يد رسول الله عليه السلام من غير حرب فكان عليه السلام يأخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعول ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات
ادعت فاطمة انه كان نحلها فدكا فقال ابو بكر انت اكرم الناس علي فقرا واحبهم الي غنا لكني لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي ان احكم
فشهد لها ام ايمن ومولى رسول الله عليه السلام فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن واجرى ابو بكر ذلك
على ما كان يجريه الرسول ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر جعله وعثمان يجريه كذلك ثم صار

الى علي

الى علي فكان يجريه هذا المجرى فالائمة الاربعة اتفقوا على ذلك والقول الثاني ان هذه الآية نزلت في بني النضير وقراهم وليس
يومئذ كثرة خيل ولا ركاب لم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله
فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله بتلك الاموال فقسمها
بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر وكذلك الحكم في كل ما فتح على الائمة مما لم يوجف عليه المسلمون خيلا ولا ركابا سواء
حصل في ايدي المسلمين بان يجلوا اصحابه عن اوطانهم ويخلوه للمسلمين او يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم او مال غير جزية يفتدون به
من سفك دمائهم كما فعل بنو النضير حين صالحوا رسول الله عليه السلام على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤوا سوى السلاح وتركوا الباقي فهذا المال
هو الفيء ويصرف الى ما يصرف اليه الجزية والخراج بخلاف ما يفتح عنوة وقهرا فانه غنيمة يقسم بين الفقراء بعد التخميس والمص اشار الى القولين
الذين نقلهما الامام عن المفسرين بقوله من بني النضير من الكفرة ونحوه وذلك لانه ان كان المراد بني النضير اي عدم الايجاف على هذا التقدير بشرط
قرب منازلهم من المدينة بحيث مشوا اليها رجالا واما ان كان المراد وما خول الله تعالى رسوله من الكفرة من غير معاونة المسلمين وقهرهم كاموال
فدك فالامر ظاهر قال الامام ابو الليث روى عن الزهري انه قال كانت اموال بني النضير للنبي عليه السلام خالصا لم يفتحوها عنوة ولكن فتحوها على صلح فقسمها
بين المهاجرين بيان للاول غير اجنبي عنه بل هو متصل به فكانه لم يدخل العاطف بينهما لتخلل اجنبي بين المعطوف والمعطوف عليه بين الله تعالى
اولا ما حوله ورسوله ليس من قبيل الغنائم المأخوذة قهرا فلا يقسم قسمتها ثم بين له عليه السلام ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع
الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة فان الاموال المقسومة تقسم على خمسة اسهم اربعة اخماسها للغانمين ويجعل خمسها خمسة
اسهم سهم منها لرسول الله وسهم لذوي القربى والمراد بهم بنو هاشم وبنو المطلب فانهم لما منعوا من الزكوة لكونها غسالة اموال
الناس جعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل فكذا الفيء فانه ايضا يخمس ويصرف كل خمس الى مصارف خمس
الغنيمة بناء ان ذكر الله تعالى في قوله فلله انما هو للتبرك بذكر اسمه ولتعظيم رسوله وقيل انه يسدس ويصرف سهم الله تعالى في عمارة الكعبة
والمساجد ويصرف ما بقي وهو خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التي يصرف اليها خمس الغنيمة والقول الثالث في قسمة الفيء انه يخمس
ويجعل اربعة اخماسه لرسول الله عليه السلام خاصة يصرفها كما يشاء ثم يقسم الخمس الباقي ايضا على خمسة اسهم سهم لذوي القربى وسهم لليتامى
وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل فعلى هذا القول يكون جميع مال الفيء مقسوما على خمسة وعشرين سهما بان يخمس كل خمس منها وما
للصحيح احد وعشرون سهما منها للنبي واربعة اسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين وابناء السبيل وبعد انتقاله الى دار الكرامة
والبقاء يصرف ما كان له من الفيء الى الامام في قول والى المهاجرين المجاهدين والمترصدين للقتال في الثغور لانهم القائمون مقامه
في قول آخر والى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم في قول ثالث وهذا في اربعة
اخماس الفيء واما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته بلا خلاف لقوله عليه السلام ليس لي من غنائمكم الا
الخمس والخمس مردود فيكم وكانت الغنائم في شرع من قبلنا لله تعالى لا يحل لاحد شيء منها واذا غنمت الانبياء شيئا جمعوها فتنزل
نار من السماء فتأخذها فخص نبينا عليه السلام من بينهم على حسب قوتهم دون الفقراء والضعفاء كما كان في الجاهلية فان اهل الجاهلية
كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد المرباع ما شاء كما قال شاعرهم لك المرباع فيها
والصفايا فبين الله تعالى مصارفه وكيفية قسمته ثم قال وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكم من الفيء والغنيمة فخذوه او جميع ما آتيكم به من الشرائع
والاحكام فاقبلوه فان الآية وان نزلت في اموال الفيء فانه عام في جميع ما امر به النبي ونهى عنه والدولة بالضم اسم لما يتداوله
القوم بينهم والمعنى كيلا يكون الفيء متداولا بين الاغنياء يكون مرة لهذا ومرة لذاك وبالفتح مصدر بمعنى التداول والمعنى كيلا يكون

ذا تداول بينهم كالغرفة والغرفة فانه بالضم اسم لما يوجد بالاغتراف وبالفتح مصدر بمعنى الاغتراف مرة وقيل الدولة
بالفتح انتقال السارة الى قوم عن قوم ويستعمل في نفس الحالة السارة التي تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان قوله
اذا اخذه عليه يكون بينهم عطف على الفيء في قوله يعني كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم فيكون توجيها ثانيا لقراءة دولة بالفتح
وقد وجهها اولا بان جعل اسم كان ضمير الفيء وجعل دولة بمعنى التداول وقد تم قبلها ما يضاف اليه اذ جعل بينهم ظرفا للتداول
وجعل اسم كان في هذا الوجه الاخذ المقابل للفيء وجعل الدولة بمعنى الاستيلاء والغلبة الجاهلية منصوبا على التميز وجعل
بين الاغنياء ظرفا لكان التامة قوله لئلا يكون وذكره متأخرا تصريحا بكون بين ظرفا لان المعنى على هذا الوجه كيلا يعني بين الاغنياء
منكم اخذه دولة اي اخذه لجهة الاستيلاء والغلبة كما كان في الجاهلية فان اهلها كانوا يقولون من عز بز اي من غلب سلب يجعلون
استحقاق مال الغنيمة مبسوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شيء كان يستعمله كما في زماننا هذا وفي القراءتين بل يكون بيانا الوجه
التعليل بقوله كيلا دولة بين الاغنياء على القراءتين كما قيل منع كون الفيء مبتدأ وبين بين الاغنياء ماخوذ بطريق الغلبة والاستيلاء لان اخذه
لهذا الطريق يكون بين اهل الجاهلية فلا ينبغي لاهل الاسلام ان يستنوا سنتهم ويسلكوا سبيلهم قوله لانه خلاف لكم آه من قبيل اللف والنشر
المرتب على قوله في الفيء اي الامر كذا قوله اخذه او اتيانه قوله فان الرسول لا يسمى فقيرا جواب عما يقال لم لا يجعل قوله تعالى للفقراء بدلا من مجموع المصارف
المذكورة بقوله تعالى فلله وللرسول الى قوله وابن السبيل بل جعله بدلا من قوله لذي القربى وما عطف عليه خاصة مع ان الجمل المتعددة اذا عقبها قيد
لا يكون ذكر القيد مختصا ببعضها بل تكون كلها سواء في ذكر القيد الا ان يقوم الدليل على اختصاصها ببعضها فالدليل عليه فيما نحن فيه تقرير
الجواب انه تعالى ليس من المصارف وانما ذكر اسمه للتبرك وتعظيم رسوله فلا يصح ادخاله في جملة من ابدل منهم المصارف المذكورة من فقراء المهاجرين
والانصار والتابعين لهم الى يوم القيمة والرسول وان كان من المصارف المذكورة الا انه لا يصح ادخاله في جملة المبدل منه لان ادخاله فيهم يستلزم تسميته
فقيرا لانه يوهم الذم والنقصان من جهة ان اصل الفقر فقار الظهر يقال فقرته اذا كسرت فقاره كما يقال كبدته اذا اصبت كبده وسميت الحاجة
فاقرة لانها تفلق الانسان وتكسر فقار ظهره واذا لم يصح تسميته فقيرا امتنع تسميته فقيرا اولى ولانه تعالى اخرج رسوله من الفقراء حيث وصفهم
بالهجرة ولينصرة الله ورسوله فانه ينافي دخوله في جملة المبدل منه والا لكان المعنى اعني باولئك المذكورين الذين هم الرسول وذو القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل هؤلاء الفقراء المهاجرين الذين من جملة صفاتهم انهم ينصرون الله ورسوله وبوصف المهاجرين بالفقراء
دليل لنا على ان الكفار يملكون اموال المسلمين بالاستيلاء عليها فانه كانت لهم ديار واموال بمكة قبل استيلاء الكفار عليها فلو لم يملك الكفار
بالاستيلاء عليها لما سموا فقراء قوله من اعطى اغنياءه ذوي القربى بناء على ان ذكرهم بهذا اللفظ يشعر ان علة استحقاقهم للفيء انما هو القرابة
نفسها من غير اعتبار شيء آخر معها فيكون اشتراط الفقر فيهم زيادة على الكتاب فهم لا يجعلون قوله للفقراء المهاجرين بدلا من قوله لذي القربى بل يجعلونه
لما بعده من الاصناف الثلثة وان جعلوه بدلا من مجموع الاصناف الاربعة يجعلونه باعتبار الفقر في ذوي القربى مختصا باستحقاقهم لفيء بني النضير فانهم
لم يعتبر في قسمته غير الفقر والاحتياج حتى لم يعط الانصار شيئا منه الا الثلاثة نفر بهم حاجة ومن جعل استحقاق ذوي القربى مشروطا بالفقر
نظر الى انهم استحقوه عوضا عن الصدقة التي هي غسالة اموال المسلمين فوجب ان يكون استحقاقهم له مشروطا بما هو شرط في استحقاق الصدقة
فلذلك يجعل قوله للفقراء بدلا من ذوي القربى وما عطف عليه بدل الكل قوله حال مقيدة لاخراجهم يعني انه حال من واو اخرجوا توصيفا لهم بما
يفيد هم فخامة الشان فانهم لزموا المدينة والايمان يعني ان المراد بالدار المدينة التي هي دار الهجرة تبوءوها الانصار قبل المهاجرين اي نزلوا
فيها واتخذوها مباءة اي منزلا واستقروا فيها يقال تبوأت منزلا اي نزلته وبوأته منزلا اي هيأت له منزلا وانزلته فيه ما شأنه اثبات
[illegible] يكون عطف الايمان على الدار مع ان الايمان ليس من قبيل المنازل التي تتبوء فيها وتقرير ان المعنى لزموا الايمان لزوم الانسان منزله ومستقره وتبيه

الايمان في النفس بمنزلة الانسان ومستقره وجعل نسبة التبوء اليه تخييلا للتشبيه المضمر واجاب عنه ثانيا بان المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان لان اهلها
نصروا الايمان واهله فحذف المضاف من دار الايمان واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه كما حذف المضاف اليه الاول وعوض عنه اللام وثالثا
بان انتصاب الايمان ليس لعطفه على الدار حتى يلزم كون الايمان من قبيل المنازل حتى يتبوء فيه بل هو منصوب بفعل مضمر معطوف على الفعل السابق حذف المعطوف
وابقى المعطوف عليه كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا وقوله علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء باردا ورابعا ان المراد بالدار
شيء واحد هو المدينة وسميت بالايمان على طريقة تسمية المحل باسم الحال فيه تسمية المظهر والمصدر بما ظهر فيه وصار اليه قوله من قبل هجرة المهاجرين
فانه قد روي انه قد كانت دار الايمان الا ان الاسلام قد دخلها قبل هجرة النبي عليه السلام فقد صلوا صلوة الجمعة قبل الهجرة
واشار بهذا التفسير الى جواب ما يقال كيف يصح ان يقال ان الانصار لزموا الايمان قبل المهاجرين وليس الامر كذلك وتقرير الجواب انه ليس المعنى
انهم لزموا الايمان قبل المهاجرين ليرد ما ذكر بل المعنى انهم لزموه قبل هجرتهم فلا محذور حيث جعلت القبلية قيدا للتبوء في الدار فقط
وهذا السؤال والجواب انما يتوجهان على ان يوجه قوله والايمان بالوجه الاول والثالث ولا يتوجه شيء على الوجه الثاني والرابع لان المراد بالايمان
فيهما هي المدينة اما بتقدير المضاف او بتسمية المدينة ايمانا مجازا قوله كالطلب ما اوتي المهاجرين مما يحتاجون اليه الانصار قال الجوهري
الحزازة ايضا وجع في القلب من غيظ ونحوه اطلق اسم الحاجة على ما سببها من الحزازة والحسد ونحوهما على طريق اطلاق اسم الملزوم على اللازم لان
جميع ذلك ناشئ عن الحاجة روي انه عليه السلام لما غنم بني النضير دعا ثابت بن قيس فقال ادع لي قومك قال الخزرج يا رسول الله قال الانصار كلها فدعا له الاوس
والخزرج فتكلم رسول الله فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم واموالهم ثم قال ان رضيتم
بينكم وبين المهاجرين ما افاء الله على بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم
فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل نقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا فنادت الانصار جميعا رضينا وسلمنا
يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فاعطى رسول الله المهاجرين ولم يعط الانصار الا ما اعطى ابا دجانة وسهل
بن حنيف وسعد بن معاذ [illegible] حتى ان من كان آه اشارة الى ان قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم وان نزله بسبب ايثارهم المهاجرين على انفسهم بالفيء
الا انه يتناول سائر ايثاراتهم منها ما روي عن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي عليه السلام وقد اصابه الجهد اي شدة الجوع فقال يا رسول الله اني جائع
فاطعمني فبعث الى ازواجه هل عندكن فاجبن والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف
هذا هذه الليلة فقام رجل فقال انا يا رسول الله فاتى به منزله فقال لاهله ضيف رسول الله فاكرميه فلا تدخري عنه شيئا فقالت ما عندي
الا قوت الصبيان فقال قومي فعلليهم عن قوتهم ونوميهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئا ثم اسرجي وابردي فاذا اخذ الضيف ليأكل قومي
كانك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي قوله [illegible] الضيف انا نأكل معه فيأكل حتى يشبع ففعلت فباتا تلك الليلة طاويين فلما اصبحا
غدوا الى رسول الله عليه السلام فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة وعن انس اهدي لرجل من الانصار رأس شاة مشوي وكان مجهودا فقال لعل جاري احوج اليه مني فبعثه الى جاره فتداولته تسعة انفس ثم عاد الى
الاول فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم الآية فان قيل كيف استحقوا المدح بايثار الغير على انفسهم عند حاجتهم وقد نطقت الاخبار ان افضل
دينار ينفقه الرجل على نفسه وعياله وبه امر من سأله عن التصدق قلنا الاحاديث فيمن لم يثق بالصبر على الفقر لانه يخشى عليه التعرض للمسئلة
والآية وردت في الانصار فانهم لم يكونوا بهذه الصفة بل كما وصفهم الله تعالى في قوله والصابرين في البأساء والضراء واينما مثلهم افضل والا يثار
تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في الحظوظ الاخروية حكي ان ابا الحسين الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون من قرية قرى
الري ومعهم ارغفة معدودة لا تكفي الا قليلا ثم قدوا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله كان لم يأكل

احد منه شيئا ايثار الصاحب على نفسه قوله وهي فرجة مشبه حالة الفقر والحاجة بفرجة البناء في اشتمال كل واحد عنهما معنى النقصان والاحتياج
الى المصلح حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق اشارة الى ان الشح اشد من البخل كما اشار اليه الجوهري بقوله الشح البخل مع
حرص فان البخيل يبغض الانفاق والحريص يحب المال فمن جمعهما صار شحيحا قيل ليس الشح ان يمنع الرجل ماله عن مستحقه انما الشح ان يطمع عين الرجل
فيما ليس له وروي انه عم قال اتقوا الشح فان اهلكه من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال كسرى لاصحابه اي شيء اضر
بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا وكل ذلك يدل على ان الحرص معتبر
في مفهوم الشح وانما اضيف الى النفس لانه غريزة فيها قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين لم يصرح بذلك فيه اكتفاء بذكره
فيما سبق فيكون تحبون حالا من فاعل تبوؤا ويقولون حالا من فاعل جاؤا فلما كانت الآيات معطوفة بعضها على بعض وكان المراد بقوله
والذين جاؤا من بعدهم التابعين لهم باحسان استوعبت الآية جميع المؤمنين ان كانوا شركاء في الفيء كانه قيل هذا المال للرسول ولذي القربى والاصناف
الاربعة الفقراء من المهاجرين والانصار والتابعين لهم قيل ويجوز ان يكون للذين تبوؤا والذين تبوؤا الدار في محل الرفع على الابتداء والخبر
يحبون او محذوف اي افلحوا وفازوا وكذا قوله والذين جاؤا يجوز ان يكون مرفوع المحل على الابتداء ويقولون خبره عن مالك بن اوس
قال قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرأوا واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه فقال هذه لهؤلاء
ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار والذين من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو
يسير حمير نصيبه لم يعرق منها جبينه وهذا يدل على انه جعل هذه الآيات متعلقة وعن عمر رضي ما يدل على ان المراد بهذه الآيات الاراضي
التي افتتحت عنوة دون اموال اهلها فانه روي عنه لما فتح سواد العراق سأله قوم من الصحابة قسمة الاراضي بين الغانمين منهم الزبير
وبلال وغيرهما فاحتج عليه بهذه الآية الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم شاور فيه عليا وجماعة من الصحابة فاشاروا بترك القسمة وان
يقر اهلها عليها ويضع على رؤوسهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج ففعل وجعل اراضيهم خراجية ليصل نفعها الى جميع المسلمين قرنا بعد قرن
وهو مذهبنا في الاراضي الماخوذة من الكفار عنوة ان للامام ان يقسمها بين الغانمين ان راى ذلك اصلح والا اقر اهلها عليها ويضع
عليهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج وحملوا قوله تعالى انما غنمتم من شيء فان لله خمسه على غير الاراضي والرقاب من الاموال ولو كانت هذه الآية
وهي قوله تعالى ما افاء الله منسوخة لنكرت الصحابة ذلك لعمر واخبروه بنسخها فظهر بذلك انها محكمة فان قيل لم قالوا ربنا اغفر لنا
ولاخواننا بتقديم الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لاخوانهم في الدين قلنا رجاء بذلك ان يغفر لهم فيكونون بذلك اقرب الى الاجابة
في حق غيرهم قوله وان هذه الآيات قد استوعبت جميع المؤمنين لانهم المهاجرون والانصار والذين جاؤا من بعدهم وقد بين الله تعالى ان من
شان من جاء من بعد المهاجرين والانصار بالرحمة والدعاء فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فقد كان خارجا من جملة اقسام المؤمنين
بمقتضى هذه الآيات روي ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن علي الحسين فسبوا ابا بكر ثم عثمان فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين
انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال لقد تبرأتم من هذين الفريقين وانا اشهد انكم لستم من الذين
قال الله فيهم والذين جاؤا الى قوله بالايمان الآية لانه امر من تبعهم ان يستغفر لهم لا بان يسبهم فمن كان يسب هؤلاء كيف يدخل فيمن تبعهم
قوموا عني فعل الله بكم وفعل قال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا
اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد امروا
بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيمة قال المفسرون في معنى الآية علم الله تعالى انه سيقع من الصحابة اشياء ثم
يكره لمن بعدهم ان يذكر فيها قدح بعضهم كراهية ان يقع ذلك في قلوبهم فامروا بالاستغفار وان لا يجعل الله في قلوبهم غلا للمؤمنين تنبيها

ثم انه تعالى عجب السامعين من شان المنافقين مع يهود بني النضير فذكر ان عبد الله ابن ابي وعبد الله بن نبتل ورفاعة ابن زيد وغيرهم قالوا
لليهود الذين بينهم وبينهم اخوة واشتراك في الكفر بسيد المرسلين او اخوة الصداقة والموالاة وكانوا يدا واحدة على المؤمنين في السر
واللام في لئن اخرجتم لام موطئة للقسم وفي لنخرجن لام جواب القسم فان القسم مقدر قبل حرف الشرط حذف للعلم بوجوده اجيب
القسم دون الشرط لسبق القسم عليه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وكذا الكلام في قوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم فان لا
يخرجون جواب القسم فلذلك رفع الفعل ولم يجزم اخبر الله تعالى انهم قالوا لليهود هذه المقالة ثم شهد على انهم كاذبون فيها فقال والله يشهد
انهم لكاذبون ولما شهد على كذبهم على سبيل الاجمال اتبعه بالتفصيل فقال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم اي لئن اخرج اليهود
من المدينة لا يخرجون المنافقون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم المنافقون كما وعدوهم وكان الامر كما ذكره الله لان اليهود اخرجوا
من ديارهم فلم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم فبان بهذا كذبهم فيما قالوه وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبر
بالغيب كان كما اخبر وقيل وجه دلالته عليها ان المنافقين انما ارسلوا اليهود خفية بحيث لم يطلع عليه احد غير اليهود وظاهر انهم لم يخبروا
بذلك للنبي عم فلما تلى رسول الله عم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا الآية علم ان الله اطلع رسوله على ما اخفوه عنه قوله على الفرض والتقدير
جواب عما يقال ان الله تعالى نفى ان يتحقق نصرهم للمنافقين لليهود وما نفى الله تعالى وجوده لا يجوز وجوده فما وجه قوله تعالى ولئن نصروهم بكلمة
ان التي من حقها ان تستعمل فيما يحتمل وجوده وتقرير الجواب ان ما نفى الله تعالى وجوده لا يمتنع فرضه وتقديره فكلمة ان ههنا لم تدخل
على نصرهم بل دخلت على فرض نصرهم وهو مما يحتمل وجوده قوله اذ ضمير الفعلين وهما قوله تعالى ليولن وثم لا ينصرون ابدا هل
يخذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بمعاداتهم المؤمنين ونصرهم اليهود ثم انه تعالى بين ان خوف المنافقين من المؤمنين اشد
من خوفهم من الله لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية جعله مصدرا من المبني للمفعول لان انتم خطاب للمؤمنين ولانه ليس من حالهم بل هو
حال المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير راهبين فالرهبة امر بالحقيقة قائم بالفاعل متعلق بالمفعول فباعتبار تعلقه بالفاعل يكون سببا
لان يحدث فيه رهبة الراهبية وباعتبار تعلقه بالمفعول يكون سببا لان يحدث فيه هيبة المرهوبية فلفظ المصدر قد يستعمل في اصل
معناه وهو امر النسبي وقد يستعمل في الهيبة الحاصلة للفاعل بسبب تعلق المعنى المصدري به فيقال انه مصدر مبني للفاعل وقد يستعمل
في الهيبة الحاصلة للمفعول بسبب تعلقه به فيقال مصدر من المبني للمفعول كما ورد في هذه الآية والمعنى انهم يظهرون لكم انهم يخافون الله وانتم
اهيب في صدورهم من خوف المؤمنين فانه اشد واقوى مما يظهرونه من خوف الله تعالى فانه تعالى ما اخرج قلوبهم خلوا عن خوفه تعالى قوله تعالى
ذلك اي شدة خوفهم منكم بانهم قوم لا يفقهون عظمة الله تعالى وشدة نقمته حتى يخشونه حق خشيته ثم اخبر عن جبنهم ورخاوة قلوبهم
فقال لا يقاتلونكم الآية كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدور وهذا تشجيع من الله للمؤمنين وربط على قلوبهم حيث بين ان
بينهم باس شديد بالاعداء والقوي ويوعدونكم بانهم يفعلون بكم كذا وكذا لو قاتلوكم لم يبق لكم ذلك الباس قوله تعالى ذلك تشتت قلوبهم بانهم
قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ولا يعقلون ايضا ان تشتت القلوب يوهن القوى الجسدية فان صلاح القلب يوجب صلاح
الجسد وقساوة القلب تؤدي الى فساد الجسد قوله اي مثل اليهود على ان قوله كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدا محذوف اي ما اصابهم من الحال
العجيبة كما اصاب من قبلهم من زمان قريب قريبا نعت لظرف محذوف اي وقتا وزمانا قريبا والمهجد مثلا باعتبار قيامه مقام المضاف
المحذوف عن ابن عباس قال المراد بالذين من قبلهم بني قينقاع امكن الله منهم قبل بني النضير وقيل هم على كل من انتقم الله منهم على كفرهم
قبل بني النضير من لدن نوح الى سيد المرسلين مثل حال اليهود بحال اصابت من قبلهم قريبا في ان كل واحد من الفريقين ذاقوا وبال امرهم
ثم حال المنافقين في اغراء اليهود على القتال بان قالوا لهم انا معكم ولا نخذلكم فاغتر اليهود بقولهم تدربوا الازقة وتهيئوا للحرب فخذلهم

قوله لانهم لم يكونوا ... الاستدلال ... (margin note, partly legible)

منهم

المنافقين وتبرؤهم كحال الشيطان حين اغرى الانسان على الكفر فاغتر الانسان باغوائه فكفر والعياذ بالله فلما كفر تبرا منه وليس المراد ان
الشيطان امر للانسان بل تسلط عليه بحيث يلجئه الى المعصية لان شانه ليس الا الاغواء للانسان على المعصية بالوسوسة وتزيين المعصية اليه فقوله
اكفر استعارة تبعية شبه اغواءه على الكفر بالوسوسة باغراء الامر المامور فاطلق الامر على اغوائه وقد اغوى ابليس كفار قريش يوم بدر
وقد تمثل لهم بصورة سراقة بن مالك الكناني وشجعهم على حرب رسول الله بقوله لا غالب لكم اليوم واني جار لكم اي مجير لكم من بني كنانة وكان
قريش يخافون من بني كنانة لما بينهم من الحقد فلما تراءت الفئتان وراى الشيطان جبرئيل ومن معه من الملائكة خاف ونكص على عقبيه
وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال الى اين اتخذلنا في مثل هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان يمثل
بصورة الشيطان قوله وقيل راهب اسمه برصيصا روي عن ابن عباس قال كان في بني اسرائيل راهب عبد الله فيه زمانا من الدهر
حتى كان يؤتى بكونه مستجاب الدعوة فيؤتى بالمجانين فيعوذهم ويداويهم فيبرؤون على يده واتي بامراة قد جنت وكانت لها اخوة
فاتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان لحملها لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له قتلها
حتى قتلها ودفنها ثم ذهب الشيطان في صورة رجل الى اخوتها واخبرهم بالذي فعل الراهب وانه دفنها في مكان كذا فبلغ ذلك الى ملكهم
فسار الملك في الناس فاتوه فاستنزلوه من صومعته وهددوه ليصدق لهم فاقر بالذي فعل بها فامر الملك بصلبه
فصلبه فلما رفع على خشبة تمثل له الشيطان فقال انا الذي زينت لك هذا كله والقيتك فيه فهل لك ان تطيعني فيما اقول لك فاخلصك
مما انت فيه قال نعم اسجد لي سجدة واحدة فسجد له فقتل كافرا والعياذ بالله فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
اي اسجد لغير الله فلما كفر اي سجد قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين قوله وقرئ عاقبتهما بالرفع على انها
اسم كان وخبرها انهما في النار وقرا العامة بنصب عاقبتهما على انها خبر كان واسمها قوله انهما في النار لان ان مع ما
في حيزها اعرف من عاقبتهما فهو اولى بالاسمية وايضا قراءة العامة خالدين على انه حال من المنوية في قوله في النار اي فكان عاقبة الشيطان
وذلك الانسان انهما ثابتان في النار خالدين فيها وقرئ خالدان بالرفع على انه خبر ان وفي النار لغو متعلق بالخبر مقدم عليه فيكون
قوله تاكيد لقوله في النار عند المبرد انه قال انصب خالدين على الحال اولى لئلا يلغو الظرف مرتين في النار وفيها ثم انه تعالى لما ذم اليهود
والمنافقين بانهم قوم لا يفقهون عظمة الله تعالى حتى يخشونه حق خشيته ولا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ويتمسكوا به حتى
عاد الى موعظة المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله قوله نسوا حقه وهو طاعته في جميع ما كلف به ترك التاسيس له
قال يريد بالفاسقين قريظة والنضير وبني قينقاع والفاء في قوله تعالى فانساهم انفسهم للسببية وذكر للانساء وجهين فالمعنى على الاول بسبب
انهم نسوا حق الله تعالى خذلهم في الدنيا وجعلهم ناسين انفسهم بحيث لم يسعوا في عمل صالح ينجيها ولم يجتنبوا عن عمل سيئ يرديها ولم يخلق
فيها داعية الاهتمام لاستكمالها وعلى الثاني بسبب انهم نسوا حق الله اراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كما قال تعالى لا يرتد اليهم
طرفهم وافئدتهم هواء وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ثم انه تعالى لما حض المؤمنين على تقديم ما ينفعهم في الآخرة
ونعى الذين نسوا حق الله وطاعته بين تباعد ما بين الفريقين فقال لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة واشار المصنف الى
ان المراد باصحاب الجنة من استاهل بملازمة طاعة الله تعالى والاجتناب عن معصيته وباصحاب النار من استحق النار بان نسي حق الله
وطاعته فانساهم انفسهم بان خذلهم ومنع عنهم توفيقه وعونه وعبر عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار زيادة في تصوير
عدم استوائهم بحسب الفضائل الاخروية فان تباعد ما بين الجنة والنار وعدم استوائهما يوم الدين وعدم استوائهما وان كان امرا

معلوما

معلوما بالضرورة الا انه تعالى تعرض لبيان التفاوت بينهما تنبيها على عظم ذلك الفرق وترغيبا للمؤمنين في استكمال نفوسهم بملازمة التقوى والطاعة
بتنزيلهم منزلة من لا يعرف الفرق بين الجنة والنار والبعد البعيد بين اصحابهما لعدم جريهم على ما يوجب العلم بايثار العاجلة واتباع
الشهوة فان العالم بالشيء اذا لم يعمل على مقتضى علمه يتنزل منزلة الجاهل فيلقى اليه الكلام الخبري كما يقال تعريضا لمن يعق اباه هو ابوك تنزيلا له منزلة
من لا يعرف انه ابوه وترغيبا في رعاية حقه قوله واحتج به اصحابنا احتج الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالذمي او لو قتل المسلم
به والحال ان الذمي يقتل بالمسلم لكرم ان يستوي اصحاب الجنة واصحاب النار في ان كل واحد منهما يقتل بالآخر وهو خلاف ما دل عليه العموم المستفاد
من قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة فانه يدل دلالة ظاهرة على انهما لا يستويان في شيء من الاحكام والحنفية يقولون انه وان كان
عاما يجب تخصيصه بالاستواء في منازل الآخرة ويجوز استواؤهما في احكام الدنيوية فيقتل كل واحد منهما بالآخر
وكذا يملك الكفار اموال المسلمين باستيلائهم عليها كما يملك المسلمون اموال الكفار بالقهر والاستيلاء حتى اذا غلب الكافرون عليهم قد
اخذوا اموال المسلمين قهرا ووجد اصحاب تلك الاموال اموالهم باعيانها في جملة مال الغنيمة فعند الشافعي يرد مال المسلم الى المسلم لعدم
خروجه عن ملك المسلم بين الغانمين كسائر الغنائم لتملك الكفار اياه بالاستيلاء على مذهبه ثم انه لما بين بانزال القرآن هذه المواعظ المرغبة
في اكتساب اسباب الفوز والفلاح والمنفرة عن الانهماك في اتباع الحظوظ العاجلة عظم شان القرآن فقال لو انزلنا هذا القرآن الآية وكلفناه بما فيه تشقق
من خشية الله مع كمال قساوته وصلابته حذرا من ان لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن فيا عجبا من قساوة الكافر لم يكن قلبه لمواعظ القرآن وقوة
تاثيره وانه يجب لو خوطب به جبل مع شدته واعرض عن ما فيه من العبر وتحقق كان لم يسمعها قوله تمثيل وتخييل والظاهر انه اراد بالتمثيل التصوير والتبيين
وقوله وتخييل عطف تفسير له والمعنى ان هذه الآية تصوير بالعظمة لقدر القرآن وقوله تاثيره وانه يجب لو خوطب به جبل مع شدته وصلابته لرايته
ذليلا متصدعا من خشية الله خوفا من ان لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن واقامة ما فيه من التكاليف والاحكام والمراد منه توبيخ الانسان بانه مع
ضعف بنيته ووهن قواه لا يتخشع عند تلاوة القرآن بل يعرض عما فيه من عجائب الوعد وعظائم الوعيد وما جرى على الامم الماضية بمقابلة معاصيهم
كان لم يسمع شيئا منها فهذه الآية مثل اي قول غريب في بيان عظمة القرآن ودناءة حال الانسان وبيان لصفتها العجيبة فهي من جملة الامثال الواقعة في
مواضع من التنزيل فقوله تعالى وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى غيره من الامثال الواقعة في التنزيل وقد مر مرارا ان لفظ المثل حقيقة عرفية
في القول السائر ثم يستعار منه لكل امر غريب وصفة عجيبة الشان تشبيها له بالقول السائر في الغرابة لانه لا يخلو عن غرابة قوله تعالى خاشعا
متصدعا حال من المفعول المتصل في لرايته لانه من رؤية البصر والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق اي ذليلا متشققا لما كلف الله من طاعته متشققا من
خشية الله ان يعصيه فيعاقبه ثم انه تعالى لما وصف القرآن بالعظيم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم قدر الموصوف اتبع ذلك شرح عظمة الله
فقال هو الله الذي لا اله الا هو قوله وتعلق العلم مجرور معطوف على الوجود وقوله او المعدوم والموجود مرفوع ومعطوف على قوله ما غاب
وما حضر كذا قوله او السر والعلانية من الافعال قوله وهو لغة فيه يعني ان القدوس ان القدوس بفتح القاف وضمها كلاهما من القدس بمعنى الطهارة
ومعناها البليغ في النزاهة عن سمات الحدوثات وعوارض الممكنات ونظيره الشبوح بالضم والفتح في البناء والمعنى وفعول بالفتح قليل
في الصفات واكثر ما ياتي به في الاسماء نحو تنور وسمور وهبود لجبل في اليمامة ذو السلامة يعني ان السلام في الاصل مصدر بمعنى السلامة
وتخوات السلام من قبيل رجل عدل ويدل على كونه مصدرا في الاصل قولهم دار السلام وسلام عليكم ومنك السلام اي انت الذي تعطي
السلامة وقيل انت الذي تعطي السلامة يسلم على عباده في الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقوله واليك يرجع السلام اشارة
الى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه تعالى ما دام حيا قوله واهب
الامن على ان المؤمن بكسر الميم الثانية اسم فاعل من امنه بمعنى اعطاه الامن من كل خوف كما في قوله تعالى وآمنهم من خوف ويجوز ان

يكون من آمن به مصدق فالله تعالى كان يؤمن من الناس ان يظلمهم ويعاقبهم من غير ذنب فهو ايضا يصدق على عباده المؤمنين في توحيدهم وطاعتهم
له ومن قوله النجم اليم الثانية الاداية تعالى يؤمن ويصدق به المؤمنون فهو مؤمن به فلا بد من تقدير الحال والا امتنع اطلاقه وهو معنى باطل تعالى
عن ذلك عن ابن عباس انه قال اذا كان يوم اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق من يوافق اسمه اسم نبي
قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين كذا في اللباب قوله مفيعل من الامن
فيكون بمعنى المؤمن اصله مأمن بفتح الهمزة الثانية بقلبها ياء فصار مويمن قلبت همزة افعل هاء كما يقال في ارقت هرقت ولما قلبت هاء ابقيت
ولم تحذف مع ان همزة الافعال تحذف من المضارع واسم الفاعل نحو يكرم ومكرم لان حذفها انما كان لاجتماع الهمزتين في المتكلم من المضارع وحمل
الباقي عليه لثقلهما ولم يتوجه للحمل عليه فثبت وهذا مثل قولهم يهريق بفتح الهاء في المضارع هراق اصله اراق يريق فلما قلبت همزة الافعال هاء
في المضارع ابقيت على حالها قوله الذي جبر خلقه على ما اراده اي اكرههم عليه وقهرهم قيل اللغة الشائعة في هذا المعنى اجبره بهمزة الافعال وجبره على كذا
لغة تميم وكثير من الحجازيين ومن عد هذين الفريقين جعلوا الجبار فعالا من اجبره على كذا اي قهره واستدلوا به على مجيء صيغة المبالغة من
المزيد على الثلاثي قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك فانهما من اجبر وادرك قوله او جبر حالهم بمعنى اصلحها فان جبر اصلح فهو تعالى
يغني الفقير ويجبر الكبير وعن ابن عباس قال الجبار يعني الملك العظيم وجبروت الله عظمته وسمع على جبار الوب تسمى الجبار لكونه اعظم الاشياء قوله الذي
يكبر عن كل ما يوجب يعني ان صيغة التفعيل للتكليف باظهار ما يحصل باصله او باظهار الزيادة على ما كان منه ولما كان التكلف مستحيلا في حقه تعالى
جعل صيغة التكليف في حقه للدلالة على ان ما قام به من الفعل على اتم ما يكون والحامل على ان يكون هناك تكليف واحتمال حقيقة ومنه ما يقال
ترحمت على ابراهيم بمعنى رددت الرحمة في حقه ورحمت باحق ما يتصور من الرحمة فهو تعالى متكبر بمعنى انه البالغ في الكبرياء اقصى المراتب
قوله اذ لا يشركه في ذلك علة لتنزهه عن الشريك والمنوي في يشركه راجع الى ما هو الموصوف في قوله عما يشركون اي كيف يشركون يكون له شريك
في الالوهية والا لزم ان يكون موصوفا بما ذكر من الصفات ونفي عما سواه لا يشاركه في شيء منها ويجوز ان تكون ما مصدرية قوله الموجد لها
اثنا من العيب الخلل وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومفهوم الباري العادل لما يوجده بريئا من التفاوت
فكان الايجاد معتبرا في مفهومه فلذلك فسره كثير من المفسرين بالموجد قال الامام الخلق هو التقدير وهو تعالى خالق بمعنى انه يقدر افعاله على
وجوه مخصوصة والخالقية راجعة الى صفة الارادة والباري بمنزلة قولنا صانع وموجد الا انه يستعمل في اختراع الاجسام دون الاعراض
واما المصور فمعناه انه يخلق صورة الخلق على ما يريده وقدم ذكر الخالق لان ترجيح الارادة مقدم على تاثير القدرة وقدم الباري على
المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد الصفات وقال الامام في المقصد الاقصى قد تظن ان هذه الاسماء يعني الخالق الباري المصور مترادفة
وان الكل يرجع الى الخالق والاختراع ولا ينبغي ان يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود فيفتقر الى تقديره اولا والى الايجاد على وفق
التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا فالله تعالى خالق من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات
احسن ترتيب

سورة الممتحنة مكية

الممتحنة بكسر الحاء المختبرة اضيف السورة الى الجماعة الممتحنة حيث انه ذكر فيها امر
جماعة المؤمنين بالامتحان وان فتح الحاء يكون المعنى سورة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان والظعينة المرأة ما دامت في
الهودج واذا لم تكن فيه فهي المرأة والهودج شيء يحمل عليه النساء على ظهر البعير والعقيقة الصغيرة وقيل هي التي تتخذ من شعر المرأة
مثل الرمانة واصل العقص اللي وادخال اطراف الشعر في اصوله وسارة اسم تلك المرأة التي هي مولاة بني المطلب قوله ما غششتكم منذ نصحتكم
النصح الخلوص وصفا القلب والغش ضده يقال غشه يغشه اذا اظهر له خلاف ما اضمره في قلبه ونصح رسول الله عبارة عن التصديق والاذعان
لنبوته والانقياد لاوامره ونواهيه لما اعتذر حاطب بما ذكره من العذر عذره النبي م اي قبل عذره فقال اما انه قد صدقكم فقال له عمر

دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت اي لعل الله تعالى رضي عنهم بما فعلوا مع قلة عددهم وعدد عدوهم فغفر لهم جميع
ما وجد منهم وما سيوجد من الذنوب لان ذلك قطب امر الدين واول نصرة المؤمنين روي ان حاطبا لما سمع نداء يا ايها الذين
آمنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان قوله او اخبار عطف على قوله المودة فيكون مفعول تلقون محذوفا ويكون الباء سببية لا مزيدة
كما اذا كانت المودة مفعولا به فانها قد تزاد في المفعول به لتقوية التعدية قوله والجملة حال اي لا تتخذوا ملقين اليهم المودة او ملقين
اليهم اسراره صلعم بسبب ما بينكم من المودة او صفة لاولياء والتقييد بالحال او الوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال
او الوصف بل الظاهر انها استيناف فلا محل لها من الاعراب كانه لما قيل لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء توجه ان يقال كيف نتخذهم
اولياء فقيل يلقون اليهم المودة واجيب بان قولك التقييد بالحال او الوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف
غير لازم لان عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال ولا للصفة قوله جرت على غير من هي له فان القاء المودة
وان كانت صفة للاولياء لفظا الا انه جار على المخاطبين قائم بهم من حيث المعنى ومثل هذه الصفة اذا عبر عنها بلفظ الفعل لا يجب ابراز
ضمير الغير الذي جرت هي عليه من حيث المعنى بان يقال انتم تلقون اليهم انتم بالمودة فان قيل كيف لا تتخذوا عدوكم اولياء والعداوة والصداقة
كونهما متنافيتين لا يجتمعان في محل واحد والنهي عن الجمع بينهما فرع امكان اجتماعهما قلنا انما يتنافيان عند اتحاد النسبة ولا اتحاد
هاهنا لان الكفار اعداء المؤمنين من حيث انهم حاربوا الله ورسوله وتركوا طاعتهما ومحبتهما وقد احبهما المؤمنون واطاعوهما وكون
الكفار اعداء المؤمنين من هذه الحيثية لا ينافي كونهم اولياء المؤمنين من حيثية اخرى كمظاهرتهم في الامور الدنيوية والاعراض النفسانية
فنهى الله تعالى عن ذلك قوله حال من فاعل احد الفعلين اي من ضمير لا تتخذوا او من ضمير تلقون اي لا تتخذوهم اولياء وهذه حالكم وتلقون اليهم مودتهم وهذه
حالتهم وقوله تعالى يخرجون حال من فاعل كفروا ويخرجون الرسول واياكم من مكة عن ابن عباس قال كان حاطب ممن اخرج مع النبي صلعم او استيناف
لبيان كفرهم وعتوهم كان قائلا يقول كيف كفروا فقيل يخرجون الرسول والمؤمنين من ديارهم فان قيل لم لم يذكر مما اخرجوا قلنا لتناوله اخراجهم
من ديارهم واموالهم وعشائرهم وما حبوه مما يتمتعون به قوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم في محل النصب على انه مفعول له لقوله يخرجون اي يخرجونكم لاجل
ايمانكم او كراهة ايمانكم وقوله ان تؤمنوا خطاب للرسول والمؤمنين بطريق تغليبهم عليهم وقوله بالله ربكم التفات من التكلم في قوله عدوي الى الغيبة
للدلالة على ما يوجب الايمان وهو الالوهية والربوبية قوله علة للخروج يعني ان انتصاب جهادا او ابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اي ان كنتم
لاجل وطلب مرضاتي لا تتولوا اعدائي فقد علق النهي عن موالاة الكفار على خروجهم المقيد بكونه للجهاد وابتغاء المرضاة فيكون هذا الامر
عمدة من التعليق لما تقرر من التقييد هو مدار الفائدة ويعتمد عليه الحكم المقيد كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم مجاهدين في سبيلي وطالبين
مرضاتي وان كان المعلق عليه صورة هو الخروج قوله وجواب الشرط محذوف لان نحو لا تتخذوا لا يصلح جوابا لان جواب الشرط لا يتقدم عليه
عند البصريين بل المتقدم دليل الجواب المحذوف ويحذف الجواب اعتمادا عليه والكوفيون يجيزون تقدمه عليه قوله بدل من تلقون
فيكون معربا باعرابه ويشبه ان يكون من قبيل بدل الاشتمال لان القاء المودة والقاء اسراره اليهم بسبب المودة يكون سرا وجهرا فابدل
تسرون لبيان انه باي نوع وقع الالقاء ويجوز ابدال الفعل من الفعل كما في قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف وقول الشاعر
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا او استيناف بمعنى انه كلام منقطع التعلق عما قبله لفظا يتضمن الاستفهام الانكاري كانه
قيل اي نفع لكم في الاسرار والحال انه لا فرق بين الاسرار والاعلان بالنسبة الي وهما سيان في علمي انا مطلع رسولي على ما تسرون قوله
ايكم على ان اعلم افعل التفضيل اي انا اعلم منكم بما تخفون وما تعلنون قيل هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصاحته

لو نسوا الله ورسوله وصدقتم في ايمانه لان المعاتبة لا تكون الا من المحب لحبيبه كما قيل اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب ثم انه تعالى
اخبر المؤمنين بمعاداة اهل مكة لهم وشدة شكيمتهم فيها وانه لا ينفعهم القاء المودة اليهم فقال ان يثقفوكم اي يظفروا بكم قوله
وودوا لو تكفرون يعني انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا وهو مضارع وكذا الشرط وهو يثقفوكم ولما كانت هذه الافعال
الثلثة مضارعة كان الظاهر ان يكون وودوا مضارعا ايضا ليكون الشرط والجزاء وما عطف عليه على سنن واحد الا انه جاء وودوا بلفظ الماضي
للاشعار بان ارتداد المؤمنين اهم الاشياء عندهم حتى كانوا يتمنونه قبل اظهار العداوة وبسط الايدي والالسن قبل ان يثقفوكم ايضا
وذلك لان العدو اهم الشيء عنده ان يضيع اعز شيء عند من يعاديه وهم يعلمون ان الدين اعز عندكم في الدنيا وما يتعلق بها فلما كان
ارتداد المؤمنين اعز المطالب عندهم وكانوا يتمنونه قبل كل شيء جاء وودوا بلفظ الماضي للاشعار بذلك بان ودادهم حاصلة وان لم يثقفوكم
ويجوز ان لا يكون وودوا معطوفا على جواب الشرط بل يكون معطوفا على قوله وقد كفروا اي وقد كفروا واحبوا كفركم ثم انه تعالى اخبر ان القرابات
والاولاد التي توالون الكفار من اجلها وتحامون عنها لا ينفعهم فقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة على ان يكون الظرف متعلقا
بلن تنفعكم ثم يستانف بقوله يفصل ويكون الفصل بمعنى التفريق بين الارحام بادخال المؤمن منهم الجنة والكافر النار وبان تفر بعضهم
من بعض بسبب ما عراهم من الهول اي غشيهم لما اعتذر حاطب في افشائه سر رسول الله واظهاره موالاة الكفار بان له ارحاما واولادا فيما بينهم
وليس لهم من يحميهن من قبيل فاردت ان اتخذ عندهم يدا الى اخره بين الله تعالى خطاه في رواية بان اخبر لا اولا من اولادهم وتوقع حماية
ارحامه واولاده تعالى ان يثقفوكم ثم اخبر لنا ثانيا ان ارحامكم واولادكم الذين توالى الكفار لاجلهم سيفرون منكم عن قريب فما لن تنفعكم اه
قوله وقرا حمزة والكسائي يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة على بناء الفاعل من التفصيل وقرا عاصم بضم الياء وسكون الفاء وفتح
الصاد مخففة على بناء المفعول من الفصل وهو التفريق وكذا التفصيل الا ان بناء التفصيل فيه للتكثير والتكرر والفاعل فيما بني له هو الله تعالى والقائم
مقامه فيما بني للمفعول هو الظرف بعده وهو بينكم وبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم في احد الاوجه وهذه اربع قراآت
للقراء السبعة وهناك قراآت اخر من الشواذ ثم قال تعالى والله بما تعملون بصير من اخفى سره من الى اهل مكة واتخاذهم اولياء ونحو ذلك
بصيرا اي عالم ولم يقل خبير مع انه ابلغ من العليم بناء على ان الخبر بالضم وهو العلم بالشيء مع طمانينة القلب لان الخبير وان كان ابلغ من ذلك
الوجه الا ان البصير فيه مبالغة من وجه اخر لدلالته على كون المعلوم في انكشافه للعالم به بمنزلة المشاهد بحس البصر ثم انه تعالى لما نهى عن
موالاة الكفار ذكر قصة ابرهيم وضربه مثلا لهم حين تبرا من قومه ليتاسوا به تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة قرا عاصم بضم الهمزة في الموضعين
من هذه السورة وفي سورة الاحزاب ايضا والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى القدوة نقل عن صاحب الكشاف انه قال القدوة والاسوة
لكل واحد منهما معنيان احدهما الاقتداء والاتباع وهو الاصل والثاني المقتدى به والموتسى به الجوهري الاسوة اي اقتدى به واختار المص
ان يكون الاسوة اسما لما يؤتسى به من الخصلة الحميدة والمراد به هاهنا تبرؤه من اهل الشرك وما يعبدونه من الاصنام قوله حسنة ثانية الاسوة
فان اسوة اسم كانت ولكم خبرها وفي ابرهيم صفة ثانية لاسوة او خبر كان ولكم لغو متعلق بعامل مقدر من الافعال الخاصة بناء على ان اللام فيه
للبيان فلما قيل كانت اسوة حسنة حاصلة في ابرهيم كانه قيل لمن يحصل هذا الكلام فاجيب لكم اي افعل لكم قوله او حال عطف على قوله صفة ثانية وكذا
قوله او صلة لها ويجوز ان يكون في ابرهيم متعلقا بحسنة تعلق الظرف بعامله ولا يجوز ان يكون متعلقا باسوة لانها مصدر موصوف بحسنة
ووصف المصدر اجنبي عنه ولا يجوز الفصل بينه وبين معموله باجنبي الا ان يقال انه ظرف وقد تقرر انه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر
في غيره فلا يبالي بالفصل بالمصدر ومعموله اذا كان ظرفا قوله او ظرف بخبر كان وهو ما تعلق به لكم او في ابرهيم ولا يجوز كونه ظرفا
لاسوة لما ذكر انفا قوله وحده مصدر في موضع الحال اي واحدا منزها عن الشريك قوله مستثنى من اسوة حسنة فانه تعالى لما قال قد كانت

في اقوالهم

في اقوالهم وافعالهم اسوة تاسون بهم فيها الا مستثنى قول لابيه لاستغفرن لك فانها وبين انه لا اسوة لكم فيها كما قال تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى وكان استغفار ابرهيم ظنا منه انه قد انجز ما فلما تبين انه مصر على الشرك تبرا منه فلا يحل لكم ان تستغفروا
للمشركين من بعد ما تبين لكم انهم اصحاب النار ولا يغفر لهم ابدا وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من جملة قول ابرهيم لابيه الذي استثني الله تعالى مما يؤتسى به
من اقواله وافعاله فلما اورد ان يقال كيف يصح كونه من تمام قول المستثنى وهو في نفسه كلام حسن ان يؤتسى به غير حقيق بالاستثناء اشار الى دفعه بقوله لا
يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه يعني انما ذكر ليدل على عدم صحة كونه مقصودا بالاستثناء ومستثنى بانفراده ولا يلزم من عدم صحة
عدم صحة كون مجموع مقالته مستثنى لانه في قوة ان يقال لاستغفرن لك ولا يغني ... وطاقتي الا الاستغفار فهو مبتدا ولكن تحكى الله تعالى هذا المجموع
منه مستثناه مما ثبت فيه الاسوة والمقصود بالاستثناء من هذا المجموع هو وعد الاستغفار لابيه الكافر بقوله لاستغفرن لك لما كان ما بعده
مذكورا لتحقيق الوعد المذكور وبيانا لوجه دخله في المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه مع ان قوله وما املك لك من الله
من شيء يدل على انه لو ملكه ما هو اكثر من الاستغفار لفعل فكان ملحقا بما قبله في معناه فكان حقيقا بالاستثناء قوله متصل بما قبل الاستثناء
اي هو داخل في جملة ما اثبت الله تعالى في ابرهيم ومن معه مما يؤتسى به من الاقوال والافعال كقوله وما املك لك وفصل بينه وبين ما قبل الاستثناء بالاستثناء قوله
او امر من الله اي ويجوز ان لا يكون من جملة مقالة ابرهيم بل يكون امرا من الله سبحانه للمؤمنين باضمار قولوا اي اظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم
كثرة عددهم وعددهم وقولوا ربنا عليك توكلنا قوله بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله فعلى هذا تكون الصفة مصدرا بمعنى المفتون
وعن الزجاج انه قال لا تظهرهم علينا فيظنون انهم على حق فيفتنوا بذلك وعن مجاهد قال لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا
لو كان هؤلاء على الحق لما اصابهم هذا قوله وابدل قوله لمن كان يرجو الله من لكم دليل على قبيل بدل الكل من الكل لما تقرر في النحو انه لا يبدل الظاهر من ضمير المتكلم
والمخاطب بدل الكل من الكل فلا يقال المسكين كان الامر ولا عليك الكريم المحق لئلا ينتقض المقصود بالنسبة عن غيره في الدلالة على ان الذات المزادة مع
اتحاد الذات والظاهر ان في الاية من قبيل بدل الاشتمال لان التابع لكونه اعم من المتبوع يشمله وغيره قوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي
مخافة يخاف عقابه في الاخرة او يرجو ثواب الله بالاثابة بهم فان الرجاء كما يكون بمعنى التوقع فالامل يكون بمعنى الخوف ايضا قال تعالى ما لكم لا
ترجون لله وقارا اي لا تخافون عظمة الله وقال الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخف ولم يبال قوله فانه يدل على انه لا ينبغي للمؤمن
ان يترك التاسي بهم تعليل لقوله مزيد الحث على التاسي بابرهيم من البدل قوله تعالى ومن يتول اي ومن يعرض عن الايتساء بالانبياء وسنة المؤمنين
ووالى الكفار فان هو الغني المستحق للحمد في ذاته وفي جميع افعاله وهو وعيد بليغ عن التاسي بهم اشار اليه المص بقوله فانه جدير بان يوعد به
الكفرة قوله وعدهم الله بذلك فان عسى من الله تعالى وعد ولا يخلف الله وعده وهو معنى قولهم عسى من الله واجبة قوله تعالى لا ينهيكم الله عن
الذين لم يقاتلوكم في الدين واختلفوا في المراد من الذين لم يقاتلوكم فالاكثرون على انهم اهل العهد الذين عاهدوا رسول الله على ترك
القتال والمظاهرة في العداوة وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول على ان لا يقاتلوه ولا يخرجوه فامر الرسول بالبر والوفاء الى مدة اجلهم
وقال مجاهد هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وعن عبد الله بن الزبير انها نزلت في اسماء بنت ابي بكر وكان
ابو بكر زوج امها قتيلة ثم طلقها في الجاهلية ثم قدمت مشركة على بنتها اسماء في المدة التي كانت فيها المصالحة بينه وبين كفار
قريش قوله بدل من الذين بدل اشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فالمنهي عنه قصدا هو برهم بالقول وحسن المعاشرة
والصلة بالمال وانفسهم انما ذكرت توطئة للمقصود والقسط العدل اي المعادلة بما يعادل معاملتهم معكم فاذا لم يخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم
فهذا ابر منهم فالعدل معهم ان تبروهم ايضا ولهذا استدل ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله في دفع ما سوى الزكوة من الصدقات الى اهل الذمة و
مستثنى الزكوة من جملتها لحديث معاذ خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم قوله فامتحنوهن بما يغلب على ظنكم قبل انه كان من

ارادت منهن اضرار زوجها قالت سماحي الحمد لله فلذلك امرهم بامتحان من هاجرت اليهم مظهرة للايمان واختلفوا في انه بم كان يمتحنهن
فقال ابن عباس كان يمتحنهن بان يستحلفهن بالله ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا
عشقا لرجل من المسلمين ولا بحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو
على ذلك اعطى النبي زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يرد نفسها لقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وروي عن
ابن عباس قال انه كان امتحانهن ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا شهدن بذلك به مع طيب
النفس لا يرجعن الى الكفار وعن عائشة انها قالت ما كان النبي يمتحن الا بقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا
يشركن بالله شيئا اي بمجموع هذه الشرائط سماهن مؤمنات قبل الامتحان بحسب ظاهر الايمان بالامتحان وبمجموع الشرائط المذكورة وكانت المهاجرات اذا قدمن
قعد عنده فيحق لهن ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا ويتلو عليهن الآية فاذا اقررن بذلك قال قد بايعتكن فارتفعن قالت عائشة والله ما
مست يده يد امرأة في المبايعة ما بايعهن الا بالكلام والآية التي في هذه السورة نزلت عام الحديبية فانه صلى الله عليه وسلم صالح اهل مكة بالحديبية على ان من لحق بالكفار
من المسلمين لم يردوه ومن لحق بالمسلمين مسلما منهم ردوه عليهم وكانت المصلحة في ذلك الوقت فلما ختم كتاب الصلح جاءت سبيعة مسلمة فاقبل زوجها
فقال اردد علي امرأتي كما هو الشرط وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت فنسخ ذلك الحكم في حق النساء حيث قضى الله فيهن ان لا يرددن
اليهم وفي الرجال ان يردوا اليهم وذلك لضعف النساء عن الدفع من انفسهن والعجز عن الصبر على الفتنة ثم انه تعالى نفى حل كل واحد
من الزوجين للآخر اذا اسلمت المرأة والزوج كافر ثم الايمان قد ذكر في هذه الآية على ثلثة اوجه اول الايمان المدلول عليه بمجرد الاقرار
بالله والهجرة الينا وهو قوله اذا جاءكم المؤمنات وصفهن بالايمان بناء على انهن اظهرن ذلك والثاني الايمان المدلول عليه بالامارات التي
تفيد غلبة الظن بموافقة قلوبهن السنتهن فان علمتموهن اي فان غلب على ظنكم اخلاصهن في الايمان فان غلبة الظن حجة في الشرع قائمة مقام
العلم والثالث الايمان الحقيقي الذي هو طمأنينة القلب في الاعتقاد الحق وهو قوله الله اعلم بايمانهن وفائدة ايراد هذه الجملة معترضة معلوم الآية
فيه بيان انه لا سبيل لنا الى الاحاطة بحقيقة الحال وليس لنا في وسعنا الا الاكتفاء بالظن الغالب الذي يحصل بالامتحان قوله لزم رد مهورهن الى
ازواجهن من الوجهين الزوجة وما دفع اليها من المال والحكم برد الصداق انما هو في نساء اهل العهد الذين بينه وبين المسلمين
فلا يرد عليهم شيء من المهر قال الامام ابو الليث في تفسير قوله تعالى وآتوهم ما انفقوا يعني اعطوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر ثم نقل عن مقاتل
انه قال ان تزوجها احد من المسلمين يدفع المهر الى الزوج فان لم يتزوجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء واعلم انه تعالى علق رفع الجناح في تزوج
هؤلاء المهاجرات بايتاء اجورهن … بتقديم ايتاء الاجور على عقد النكاح حتى على النكاح ويرتفع الجناح ثم ان فسرت بالمهور الاجور التي تكون من
جانب المسلمين يجب على المسلمين ان يستوفوا لهن اجورهن قبل العقد ليدفعوا الى ازواجهن من الكفار وان فسرت بالمهور التي انفقها ازواجهن الكفار فلا بد
ان يدفعها المسلمون اليهن على سبيل القرض ليدفعنه الى ازواجهن الاول ثم يتزوجهن المسلمون على ما ادينهم من الدين لم ليكون ما وجب عليهم
بالعقد والدخول قصاصا عما وجب عليهن بالقرض رجع يتعدى ولا يتعدى سناه رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره وان دفع المسلمون اليهن مهور
ازواجهن الاول بطريق الهبة وجب عليهن بعد العقد مهورهن هذا هو المفهوم من الكشاف والظاهر ان قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار نهي للائمة عن
ردهن الى الكفار بعد ان علموهن مؤمنات وكذا قوله وآتوهم ما انفقوا امر لهم بان يعطوا ازواجهن الكفرة ما دفعوا اليهن من المهور من بيت
المال الذي لا يتعين لتصرف اذا طالبت الزوج الكافر ردها فانه لما امتنع من ردها الى زوجها الكافر لحرمة الاسلام امر الامام برد المال وفاء بالعهد
بقدر الامكان واذا لم يطالبها زوجها الكافر او ماتت الزوجة المهاجرة قبل حضور الزوج لا يغرم الامام شيئا لعدم تحقق المنع من قبله فان قوله ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن المراد بالاجور فيه مهورهن الواجبة لهن على من تزوجهن من المسلمين والمراد بايتائها بعد

الذي هو

الذي هو شرط انتفاء الجناح هو التزام الايتاء كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية فان استحلال البضع بعقد النكاح لا ينفك عن لزوم
ايتاء المال وان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر في نكاحهن واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن على ان احد الزوجين
اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة بمجرد تباين الدارين ولا يرى العقد على المهاجرة وتبيح نكاحها بدون
العدة الا ان تكون حاملا وقال ابو يوسف ومحمد يجب عليها العدة ووجه احتجاج ابي حنيفة انه تعالى نفى الجناح من كل وجه في نكاحهن بعد ايتاء المهر
ولم يقيد بمضي العدة فلولا ان الفرقة تقع بمجرد الوصول الى دار الاسلام لكان الجناح ثابتا في نكاحهن وعند الشافعي لا تقع الفرقة بمجرد
تباين الدارين وانما يقع باسلامها او بالسبي وان سبيا معا اما الاول فلانه تعالى حرم المسلمة على الكافر واما الثاني فلان السبي يقتضي صفاء الملك للسابي
ولا يتحقق صفاؤه مع بقاء النكاح بينها وبين زوجها فقول المص فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار يشعر بان الحائل هو الاسلام
دون الهجرة وتباين الدارين وذلك مبني على مذهبه قوله ما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب يعني ان العصمة في الاصل وان كان مصدرا
بمعنى الحفظ والمنع الا ان المراد بهذه الآية ما يكون سببا للاعتصام بهن كما ان الفتنة في قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بمعنى سبب
الافتتان والامساك والتمسك والتمسيك كلها بمعنى واحد وهو التعلق والمعنى لا تتعلقوا بعقد الكوافر نكاحهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة
ولا علقة زوجية بعد ان اسلمتم وهاجرتم من دار الكفر وبقيت ازواجكم فيها كافرات وهذا معنى قول المص والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح
المشركات عن ابن عباس قال من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدي بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وقيل المراد بالكوافر
المرتدات اي اذا ارتدت فلا تتعلقوا بما كان بينكما من العقد فانه قد زال بارتدادها وانقطعت عصمتها عنكم ولا وجه للتخصيص فان الكوافر
في المشركات والمرتدات بين الله تعالى بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات الآية حكم النساء اللاتي اسلمن وخرجن من دار الكفر وبين بقوله
ولا تمسكوا بعصم الكوافر حكم اللاتي ارتددن على ما قيل قوله تعالى واسألوا ما انفقتم ان ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها
ممن تزوجها وكذا اسأل كل حربي اسلمت امرأته وهاجرت الينا مهرها ممن تزوجها منا ولا منعهم وظاهر قوله وليسألوا يدل على ان الكفار مخاطبون
بالاحكام الا ان المراد امر المؤمنين بالاداء بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما في قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة قوله تعالى يحكم بينكم يحتمل ان يكون
كلاما مستأنفا لا محل له كانه قيل من يحكم الله تعالى فاجيب بانه قيل يحكم بينكم وان يكون حالا من حكم الله وجملة اذا وقعت موقع الحال لا بد ان تكون مشتملة على ضمير
يرتبط به فلا بد من … حالا وذلك الضمير اما مستتر في يحكم عائد الى الحكم على جعل حكم الله بينكم ردي انه لما نزل قوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ادى المؤمنون
مهور المهاجرات المؤمنات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فانزل الله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار وقال الزهري يعني خرجت امرأة من
المسلمين الى المشركين واتت امرأة من المشركين الى المسلمين فقال القوم عقبكم اي نوبتكم قد اتتكم فنزلت اي ان تعدت واحدة من ازواجكم الى الكفار مرتدة وسألتم
منهم ان يؤدوا المهر بان هاجرت امرأة منهم اليكم مسلمة فاتوا من فرت امرأته الى الكفار مرتدة وسألتم منهم ان يؤدوا المهر بان هاجرت امرأة منهم
مثل مهرها من مهر مهاجرة جاءتكم ولا تؤتوه زوجها الكافر ليكون قصاصا قوله تعالى فعاقبتم من العقبة بمعنى النوبة فان المعاقبة المناوبة
يقال لا يلزم ان يعقبا داء الآخر لجواز ان يتوجه الاداء الى احد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم الفريق الآخر شيء وبالعكس فلا يتعاقبون
اي لا يتناوبون من الاداء الا انه شبه ما حكم به على الفريقين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر
يتعاقبون فيه فاطلق على الاداء المذكور معناه اسم العقبة بمعنى المتعاقب فيه ثم اشتق منه فعاقبتم على طريق الاستعارة التبعية وقيل معناه
قوله تعالى وان فاتكم شيء انه ان فلتت واحدة من ازواجكم الى الكفار وامتنعوا ان يغرموها فانبذوا اليهم عهدهم وقاتلوهم حتى اذا ظفرتم
وغلبتم عليهم وغنمتم شيئا فاعطوا من فاتت زوجته اليهم من تلك الغنيمة مثل ما انفق عليها ولعل وجه تفسير قوله تعالى فعاقبتم بان يقال
وجئتم من الكفار عقبى وهو الغنيمة اي فغنمتم ان معاقبة الكفار اي عقاب المسلمين اياهم بانواع العقوبات من الطعن بالرمح والضرب بالسيف

والرمي بالتهم ونحو ذلك سبب للاغتمام فاطلق اسم المعاقبة واريد المسبب مجازا مرسلا قوله نزلت يوم الفتح لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءه
النساء يبايعنه فنزلت شرط الله في مبايعتهن ان ياخذ عليهن هذه الشروط حتى يقبل بيعتهن ولما نزلت صعد رسول الله الصفا وعمر بن الخطاب
اسفل منه وهند بنت عتبة منتقبة متنكرة مع النساء خوفا ان يعرفها رسول الله فقال ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فقالت انك لتاخذ
علينا عهدا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال على الجهاد والاسلام ثم قالت عبدنا الاصنام فما اغنت عنا ثم قال ولا يسرقن
فقالت هند ان ابا سفيان رجل مسيك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري اتحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو
لك حلال فضحك رسول الله وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة فقالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفى الله عنك فقال ام خذي ما يكفيك
وولدك بالمعروف ثم قال ولا تزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال عمر لو كان قلب نساء العرب مثل قلب هند ما زنت امراة فقال ام ولا يقتلن
اولادهن فقالت ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا يوم بدر وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم
النبي ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن تلتقط المولود فتلحق لزوجها هذا ولدي منك فالمراد بالبهتان
الولد المبهوت به وليس المعنى على نهيهن من ان ياتين بولد الزنا فينسبنه الى ازواجهن لان ذلك قد نهي بقوله ولا يزنين ووصف الولد
الملتقط الذي تلحق المراة بزوجها بكونه مفترى بين يديه وارجلها لانها اذا قالت هذا ولدي منك حملته في بطني الذي هو بين يدي ووضعته
من فرجي الذي هو بين رجلي وغيره مبهوت والذي بهت به مبهوت واذا قالت لزوجها هذا ولدي منك فقد بهتته به حيث قال عليه بالم يفعل
جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة في وصفهن بالكذب فلما سمعت هند هذا قالت والله البهتان لقبيح ما تامرنا الا بالرشد
ومكارم الاخلاق ثم قال ام ولا يعصينك في معروف فقالت ما جلسنا هنا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فبايعهن ام بهذه الخصال
فقبلنها وما مست يده ام يد امراة قط الا امراة تملكها عن اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله في نسوة فقالت يا رسول الله صافحنا
فقال اني لا اصافح النساء انما قولي لامراة كقولي لمائة امراة وما بايعهن الا بالكلام بهذه الاية وقيل بايعهن على يده ثوب وقيل ام
عمر ان يبايعهن عنه ففعل وعلى يده ثوب ذكر الله تعالى في صفة بيعتهن خصالا ستا هي في الاية اركان ما نهي عنه في الدين وكان يكثر من تركها
في النساء وكان حرمتها دائمة في كل زمان وفي كل حال بخلاف اركان ما امر به في الصلوة والزكوة فانها منوطة باوقات مخصوصة وشرائط معينة
فكان التنبيه على اشتراط ما دام امره مستمرا في كل وقت اهم واكد ثم بان قدم من هذه المنهيات ما هو اقبح على ما هو ادنى منه في القبح ثم الى امر ها وكذا قدم
ما هو اكثر وقوعا فيما بينهم قوله تعالى يبايعنك في موضع الحال من المؤمنات اي مبايعات وقوله يفترينه اما في موضع الجر على انه صفة بهتان او في موضع النصب
على انه حال من فاعل ياتين وقوله بين ايديهن ظرف محذوف هو حال من الضمير المنصوب في يفترينه اي مختلقا وجوده بين ايديهن على ان يكون المراد
بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين قوله تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق ووجه التنبيه انه لم ينبه على معصيته ام
مطلقا بل قيد النهي عنها بقيد كونها في المعروف اشعر بذلك بان معصيته في المنكر غير منهي عنه مع العلم بانه ام لا يامر بالمنكر وانما لم يجز طاعته في
المنكر مع انه سيد الكاينات علم انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها فان الامة اذا التزموا بقبول ما شرح
عليهم من تكاليف الشارع طمعا في ثواب الرحمن وهو بالوعد به وضمن ام بذلك بمقابلته وفا بهم بالعهد المذكور صار كان كل واحد منهم باع
ما عنده بما عند الاخر يعني عامة الكفار او اليهود نهى الله المؤمنين في اول السورة عن موالاة المشركين الذين اخرجوا الرسول واياهم
بسبب ايمانهم بالله ربهم ونهاهم في اخرها عن موالاة الكفار مطلقا وعن موالاة اليهود خاصة وقوله تعالى غضب الله تعالى عليهم صفة لقوما وكذا
قوله قد يئسوا وقوله من الاخرة متعلق بيئسوا اي يئسوا من البعث والجزاء لان المشركين لا يؤمنون بالاخرة واليهود وان كانوا مؤمنين بها
الا انهم لما كذبوا خاتم النبيين حسدا وعنادا مع علمهم بانه رسول صادق يئسوا من ان يكون لهم في الاخرة ثواب الجنة ونعيمها وقوله من اصحاب القبور

يحتمل ان يكون متعلقا بيئس الثاني فيكون الكفار من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على علية ما اسم فيكون المعنى لا تتولوا عامة الكفار الذين
يئسوا من الاخرة يأسا مثل ياسهم من اصحاب القبور من ان يبعثوا ويحتمل ان يكون من لبيان الجنس لا لابتداء الغاية فيكون المعنى لا تتولوا اليهود
الذين يئسوا من ثواب الاخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الاخرة وثوابها وذلك لان الكافر اذا وضع في قبره اتاه
ملك من النار فينظر اليه فيدعو بالويل والثبور فيقول هذا لك يا عدو الله فيفتح له باب من الجنة فينظر اليها فيقول هذا لمن آمن بالله
فلو كنت آمنت بربك لنزلت الجنة فتكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه من خير الاخرة فذلك قوله تعالى للاحياء من الكفار يئسوا من الاخرة
اي خيرها كما يئس الاموات من الكفار من خيرها حين عاينوا منازلهم من النار سورة الصف مكية قوله
والاكثرون على حذف الفها مع حرف الجر اي حرف كان نحو لم وبم وفيم وعم فلما اتصلا صارا كلفظ واحد وضع للدلالة على المستفهم عنه وكثر
استعمالها فاقتضى ذلك تخفيف اللفظ فحذفت الالف وليس المراد منها حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله تعالى محال لانه تعالى
عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان شيئا لا يفعله لانه ان اخبر انه فعل في الماضي او في الحال ولم يفعله كان كذبا
وان وعد ان يفعل في المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم منكر وفيه دلالة على ان كل من التزم نفعا على نفسه قربة وطاعة لله تعالى
يجب عليه الوفاء به يجوز ان ينذر نذرا مطلقا كلله علي صوم او صلوة او صدقة او مقيدا بالشرط كقوله ان قدم غائبي وان
كفاني الله شر كذا فعلي صدقة قوله ونصبه على التمييز للدلالة على ان قوله هذا مقت خالص عنده تعالى يعني ان الكلام من قبيل طاب
زيد نفسا من حيث ان كبر مسند الى قوله ان تقولوا ما لا تفعلون ومقتا تمييز يرفع الابهام المستقر في نسبة المقت اليه قولهم هذا
محول من الفاعلية والاصل كبر مقت قولكم هذا حول الكلام عن هذا الاصل واسند الكبر الى ان تقولوا وجعل مقتا تمييزا رافعا للابهام
عن الذات المقدرة في نسبة الكبر الى قولهم هذا فانه لا ابهام في مفهوم الكبر ولا في قولهم هذا بل الابهام في الذات التي اسند اليها الكبر
حقيقة كان التقدير كبر شيء شيئا من نسبة الكبر الى قولهم هذا وقوله مقتا فسر ذلك الشيء ورفع الابهام عنه وحكمه في اختيار هذا الاسلوب
الدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير ووجه الدلالة انه لو قيل كبر مقت ان يقولوا لم يفهم منه كون قولهم مقتا محضا وانما
يفهم كونه ذا مقت يمقته الله تعالى لان الاضافة انما تدل على نوع من الملابسة بين المضاف والمضاف اليه لا على اتحادهما بالذات بخلاف ما
اذا جعل المقت تمييزا عن ذات نشات عن النسبة الى الفاعل فانه يدل على ان المنسوب اليه في الاصل هو المقت الذي عبر عنه بقوله ان تقولوا
ثم فسر ذلك الشيء بالمقت بناء على ان الا وعادا ان ذلك الشيء هو نفس المقت في المقابلة للمبالغة في تعلق المقت به وفي المنع عنه كما في قولك
عدل قوله مبالغة في المنع منه مفعول له والعامل ونصبه على التمييز يكون بعد تقييده بقوله للدلالة قوله والمقت اشد البغض اشارة الى ان هذا
النظم فيه مبالغة من وجوه ايثار طريق التمييز وعدم الاقتصار على ان يجعل قولهم هذا بغضا كبيرا بل جعله اشد البغض الخ ولم يقتصر
على جعله اشد البغض مطلقا بل جعل اشد البغض عند الله تعالى فان ما كبر عنده مع انه يصغر عنده كل كبير يكون اكبر الكبائر ثم انه تعالى لما
انكر على عدم ثبات المجاهدين في موضع القتال يوم احد بعد ما تبين لهم اشارة الاعمال عند الله بين لهم ما يحبه الله تعالى ويرضاه هو ثبات
المجاهدين كثبوت البنيان المرصوص فقال ان الله يحب الذين يقاتلون الاية والمحبة لكونها كيفية انفعالية لا يسند اليه تعالى
الا تاويل وهو ان يراد بها الرضاء عن الخلق او عن الثناء عليهم والمعنى انه تعالى يرضى عمن ثبت في مكانه عند مجاهدة الكفار
كثبوت البناء والتراص التضام والتلاصق عن سعيد بن جبير قال هذا تعليم من الله للمؤمنين ان يكونوا عند قتال العدو
فلا يجوز الخروج عن الصف الا عند الحاجة تعرض للانسان او لرسالة يرسلها الامام او منفعة تظهر في الانتقال عن المقام
كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه لا باس اذا كان ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا

وبالعكس
يعني ان يتساوى كون مدلول حكم او تخيير او شرط لا على الدرك بالحسن بحقيقته الا الله اعلم

على القتال وقيل لا يبعد أن يحفظ بالذكر لأن فيه رياء الآن يطلب الكافر من يبارزه كما كان يوم بدر وفي غزوة خيبر قوله حال
من المتكلم في الحال الأولى لأن صفا بمعنى مصطفين ففيه ضمير وقوله كأنهم بنيان مرصوص حال منه على التداخل وهو أن يعمل الحال في الثانية ويكون
حالا لشيئين مختلفين وترادف الحالين أن يكونا لشيء واحد والبنيان واحد كالبناء ولذلك وصف بالمرصوص ولم يقل مرصوصة
ثم اشتقوا للمعتزعين لم يثبت في موضع القتال وحث المؤمنين على الثبات فيه وعلمهم بلسان الرسول كيف ينبغي أن يكونوا حال القتال
ذكر بعده قصة موسى وأنهما أمرا قومهما باتباع دين الله تعالى وطاعة رسوله فيما دعاهم إليه إنهما زاغوا عن الحق واتبعوا أهواءهم
فخذلهم الله ولم يوفقهم للاهتداء وطبع على قلوبهم جزاء على اختيارهم الباطل وعدم سعيهم في إصابة الحق بالنظر في الدلائل المنصوبة
تعالى وإذ قال موسى لقومه الآية واذكر إذ قال أو حين قال لهم ما قال كذا وكذا فيكون منصوبا بما دل عليه ما بعده كأنه قيل حين
قال لهم زاغوا قوله وقد لتحقق العلم كأنه قيل تؤذونني عالمين أني رسول الله إليكم علما يقينا لا شبهة فيه وطريق إيذائهم نسبوا إليه الأدرة
وأن قارون حمل امرأة أن تدعي على موسى أنه زنى بها وقولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وقولهم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا
قاعدون وقولهم أنت قتلت هرون وغير ذلك والزيغ الميل يقال زاغه عن الطريق أي أماله عنه والمعنى فلما عدلوا عن الحق أمال
الله قلوبهم عن قبول الحق جزاء ما ارتكبوا من إيذاء نبيهم ودل ذلك على أنه تعالى خالق لأفعال عباده كلها حسنها وقبيحها وأنه تعالى يضل
من علم منه اختيار الضلالة ويهدي من علم منه اختيار الاهتداء قوله لأنه لا نسب له عنهم لأن النسب المعتبر ما يكون من قبل الأب قوله لأنه
لغو يعني أن قوله إليكم متعلق برسول لأنه بمعنى مرسل أو أرسلت والظرف اللغو لا يعمل لأن حروف الجر لا تنصب بنفسها بل بما فيها من معنى
الفعل فإذا كانت متعلقة بالمذكور قبلها لا يتضمن معنى الفعل فلا تعمل وأحمد من جملة أسماء نبينا المشتق من الوصفية بناء على أنه في الأصل
اسم تفضيل بمعنى أحمد الحامدين لربه فإن الأنبياء كلهم حامدون لربهم ونبينا أحمدهم أي أكثرهم حمدا وكذا محمد فإنه منقول من الوصفية
لكونه في معنى محمود لكن فيه معنى المبالغة والكثرة فإنه محمود في الدنيا بكونه سيد المرسلين وجامع فضل الأنبياء أجمعين وانسب إلى ذاته
ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم فإن فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم ومحمود في الآخرة
بما اختص به فيها من الشفاعة الكبرى والحوض المورود والمقام المحمود وهو الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم روي عنه أنه
قال إن لي أسماء أنا أحمد وأنا محمود وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده
نبي رواه البخاري قوله تعالى فلما جاءهم أي لما جاءهم عيسى بالبينات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك من المعجزات الدالة على صدقه
في دعوى الرسالة وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء
يرضون من الله باليسير والقليل من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل قوله ممن يدعى إلى الإسلام أي ممن يدعوه إلى الإسلام على لسان
نبيه عليه السلام فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بتسمية نبيه ساحرا فإن السحر كذب وتمويه فقيل في حقه إنه ساحر فقد كذب ووصف
بأنه كذاب كذب من صدقه الله في دعوى الرسالة بإظهار المعجزات الباهرة على يديه وثبت حقية رسالته بالآيات فيكون تسمية ما على يديه
من الآيات والمعجزات سحرا إثبات للمعنى وكلاهما افتراء على الله تعالى قوله وقرئ يدعى بفتح الياء والدال المشددة وكسر العين على بناء الفاعل بمعنى يدعو
فإن فعل وافتعل قد يكون بمعنى واحد نحو لمس والتمس فالضمير وعلى قوله وهو المفترى قوله يدعى بضم الياء وسكون الدال مخففة وفتح العين يعود إلى
المفترى والضمير في هذه القراءة يرجعان إلى من قوله واللام مزيدة أي في مفعول الإرادة فإن أصله أن يطفئوا زيدت اللام مع فعل الإرادة تأكيدا لما في اللام
من معنى الإرادة فصار مؤكدة لمضمون فعل الإرادة فإنك إذا قلت جئتك لأكرمك يفهم منه معنى الإرادة كما أن اللام فيها من الدلالة على الاختصاص
زيدت تأكيدا للإضافة المقتضية للاختصاص في نحو لا أبا لك فإن أصله لا أباك قوله يريدون الافتراء ليطفئوا على أن اللام للعلة والمفعول محذوف وهو

افترا

افتراء الكذب على الله تعالى والإطفاء الإخفاء شبهت حالهم في إطفاء نور الإسلام بمجرد التفوه بالفم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه قوله
قرأ ابن كثير وحمزة منهم أن الباقين قرؤا بتنوين متم ونصب نوره فالإضافة تحقيق والتنوين بها الأصل والجملة في محل النصب على الحالية من فاعل
يريدون قوله مبلغ غايته إشارة إلى جواب ما يقال إن الإتمام لا يكون إلا عند النقصان فما معنى نقصان نور الله الذي هو دينه
أو كتابه أو حجته وتقديره حاشا نور الله تعالى عن النقصان في ذاته بل المراد نقصان أثره الذي هو ظهوره في الآفاق وعلوه على ظلمة
الجهالات لعدم في البلاد وكذا المراد بالإكمال في قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يريد به إظهاره ونشره بتكثير أهله بحيث يتمكنون من قهر
أعداء الدين وعن أبي هريرة أن ذلك يكون عند نزول عيسى من السماء قيل سبب نزول هذه الآية أنه لما أبطأ عليه الوحي أربعين يوما
فقال كعب بن الأشرف يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن لذلك فأنزل الله تعالى
وتلا هذه الآية واتصل الوحي بعده ولو في قوله تعالى ولو كره الكافرون شرطية بمعنى إن وجوابه محذوف مدلول عليه بما قبله أي
وإن كرهوا ذلك فإن الله تعالى يفعله لا محالة وهذه الجملة حال من الحال المتقدمة وهي قوله تعالى والله متم نوره على طريق التداخل
ولعل الحكمة في ذكر لفظ الكافرين ههنا وذكر لفظ المشركين فيما بعده أن هذا المقام مقام إرغام الكافرين بنوع إتمام فإن
إتمام النور ونشره في الآفاق من النعم فلا جرم يكون كراهته ذلك غاية في كفران النعم مقتضيا لتجهيلهم وإرغامهم فأوثر لفظ الكافرين
لكونه أليق لهذا المقام وأما قوله ولو كره المشركون فإنه قد ورد في مقابلة إظهار الدين الحق الذي أول أركانها التوحيد والتبري عن
الشرك وكان كفار مكة إنما يكرهون هذا الدين الحق من أجل توغلهم في الشرك وإصرارهم عليه فكان المناسب لهذا المقام إذلالهم
وإرغامهم بإظهار ما يكرهونه من دين الحق وليس المراد بإظهاره أن لا يبقى في العالم من يكفر به بل المراد أن يكون أهله عالين غالبين على أهل سائر
الأديان بالحجة والبرهان بالسيف والسنان إلى أن لا يبقى دين آخر في آخر الزمان لما روي أنه لما نزل عيسى لم يبق دين في الأرض سوى دين
الإسلام ثم إنه تعالى لما قال يقاتلون في سبيل الله تعالى مصطفين مشبهين بالبنيان المرصوص بين أن العمل المذكور هو التجارة الرابحة بين العبد ومولاه
فقال يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة الآية جعل الإيمان والجهاد المذكورين تجارة تشبيها لهما بها فإنها عبارة عن مبادلة المال بالمال طلبا
للربح ومن آمن وجاهد بماله ونفسه فقد بذل ما عنده وما في وسعه لنيل ما عند الله من جزيل ثوابه والنجاة من أليم عقابه مع طلب زيادة
عليه بحكم الوعد قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فسميناه تجارة فإن الاستفهام في قوله تعالى هل أدلكم عرض الدلالة على التجارة تشويقا لطالبها
واستعلام أنهم ماذا فكأنهم قالوا يا ربنا دلنا عليها حتى نفعلها وننجو بسببها من العذاب الأليم فأجيبوا بأن قيل لهم تؤمنون بالله وفي التيسير لما
نزل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ينزل معه ما بعده فكان نواة شوق إلى معرفته ليعلموا به فبقوا على ذلك
ستة عشر شهرا ثم نزل قوله تؤمنون بالله ورسوله فهو تفسير للتجارة فلا محل له ويجوز أن يكون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي تلك
التجارة تؤمنون والخبر لما كان نفس المبتدأ لم يحتج إلى الرابط كخبر أن الخ وأن يكون في محل النصب بتقدير أعني تؤمنون وعن الأخفش أن قوله
تؤمنون عطف بيان لتجارة على أن أصل الكلام أن تؤمنوا فلما حذف أن ارتفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى أصله أن أحضر
فلما حذف أن بطل عملها فارتفع الفعل لتجرده عن العوامل اللفظية وكذا في الآية فكأنه قيل هل أدلكم على تجارة منجية إيمان وجهاد وهو
معنى حسن لولا الاحتياج إلى التأويل قوله والمراد به الأمر يعني أن قوله تعالى تؤمنون في معنى آمنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على أنه جواب الأمر وقيل
إنه مجزوم على أنه جواب الاستفهام لمكان المعنى أي دلكم على التجارة يغفر لكم وفيه أن المعلوم أن مجرد دلالته لا يوجب مغفرتهم فإنها إنما تترتب على
الإجابة والامتثال والوجه في انفهام معنى الأمر من لفظ الخبر إلى الاستفهام عن الدلالة المتعلقة بالتجارة إنما هو التشويق والإغراء
على طلبها والإغراء على الشيء يستلزم أن يكون ذلك الشيء مطلوبا للمغري فيفهم من الاستفهام كون التجارة مطلوبة للمستفهم ولما فهمت التجارة

بالايمان والجهاد لزم ان يكونا مطلوبين للمستفهم مامورا بهما من قبل هذا وجه قوله والمراد بالامر الا انه عبر عن الامر بلفظ الخبر ايذانا بان المامور به مما
لا يترك بل حقه ان يسارع اليه المكلف مع قطع النظر عن الايجاب والتكليف وان يخبر الله تعالى عن ايمان وجهاد موجودين الآن يباشره بالايجاب
والتكليف كما قيل في نحو غفر الله له **قوله** ان كنتم من اهل العلم نزول منزلة اللازم وجعل كونهم من اهل العلم شرطا لكون الايمان والجهاد خيرا لهم
لان عمل الجاهل لا يعتد به ولا يثاب عليه لان الاعمال بالنيات **قوله** او بشرط او استفهام دل عليه الكلام اى على كل واحد منهما فان ما قبله يدل
على ان تقدير الكلام ان تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم ويدل ايضا على ان تقدير الكلام هل يقتلون ان ادلكم يغفر لكم على معنى ان تقبلوا
وتفعلوا ما ادللتكم عليه يغفر لكم **قوله** ذلكم اى هذه النعم المذكورة نعم اخرى اشارة الى ان اخرى صفة لمحذوف وهو مبتدا محذوف الخبر
وهو لكم والموصوف المحذوف نحو قوله لكم المثوبة او العدة او خصلة او النعم اى لكم الى هذه المثوبة او الى هذه العدة مثوبة اخرى
او عدة اخرى وقوله تحبونها نابتة لذلك المحذوف **قوله** وتحبونها اى منصوبة باضمار تحبونه الذي يفسره قوله تحبونها على انه من
قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فلا يكون تحبونها نعتا لاخرى لانه مفسر للعامل المقدر قبلها **قوله** وهو على الاول اى على قول النصر على ان
يكون واخرى في موضع الرفع على الابتداء مرفوع على انه بدل من اخرى او عطف بيان لم يجز ان يكون اخرى مبتدا محذوف اى نصر ويكون اخبر به
الجملة تفسيرا للمثوبة الاخرى لم يلتفت اليه المصنف لان التقدير لا يصار اليه من غير ضرورة بخلاف ما اذا كانت اخرى منصوبة فانه يحتاج الى تقدير المبتدا
قوله وقد قرى بما عطف بالنصب وقد قرى نصرا من الله وفتحا قريبا بالنصب على البدل من اخرى المنصوبة بفعل مقدر كما مر اى يغفر لكم ويدخلكم جنات
ويعطكم نعما اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا او على الاختصاص اى بتقدير اعني او على انه مصدر فعل محذوف اى تنصرون نصرا او يفتح
لكم فتحا قريبا **قوله** عطف على محذوف هو قل مقدر قبل يا ايها الذين آمنوا كما ذهب اليه صاحب المفتاح **قوله** او على تؤمنون فيه بحث وهو ان المص
صرح بان تؤمنون استيناف مبين للتجارة التي امر بها المؤمنون معنى وهو الصحيح لان ايمان المؤمنين وجهادهم يصلح بيانا وتفسيرا
للتجارة فلو جعل قوله بشر المؤمنين معطوفا على تؤمنون لكونه في معنى الامر للزم ان يكون بيانا للتجارة الذين آمنوا وهو بعيد
لان المخاطب بقوله وبشر هو النبي وتفسيره وهو كيف يصلح بيانا للتجارة المؤمنين الا ان يقال قوله يا ايها الذين يتناول النبي وامته لانه اول
المؤمنين ايمانا واكملهم فلما خوطب الجميع بقوله يا ايها الذين آمنوا وقيل لهم هل ادلكم على تجارة بين تجارة الامة بقوله تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله وبين تجارته بتبشير المؤمنين وعدهم الله بمقابلة تجارتهم المبينة بما ذكر ولا شك ان تبليغ الرسالة ابلغ الرسالة التي
وانفعها لان يترتب عليه من الثواب اجل واعظم مما يترتب على تجارة الامة فلما كان قوله وبشر صالحا لان يفسر به التجارة صح عطفه على تؤمنون فان
قيل كيف يكون قوله تؤمنون بالله امرا بالايمان وهو في معنى تحصيل الحاصل لان المخاطبين بهذا المعنى هم المخاطبون بقوله يا ايها الذين آمنوا اجيب عنه
بانه يمكن ان يكون المراد بقوله يا ايها الذين آمنوا المنافقين من حيث انهم في الظاهر ويمكن ايضا ان يكون المراد بهم اليهود والنصارى لانهم آمنوا بكتبهم
ورسلهم كما قيل يا ايها الذين آمنوا بالرسل السابقة والكتب المتقدمة آمنوا بالله ومحمد والظاهر ان يكون المراد من آمن من هذه الامة ويكون المامور به
في حقهم الثبات على الايمان كما ان المامور به في كونوا انصار الله الثبات على نصرة دين الله تعالى والمداومة عليها **قوله** لان المعنى كونوا بعض انصار الله وهذا
المعنى مستفاد من تنكير انصار الله اذ القصد الى افراد البعضية ولذلك قرا نافع وابن كثير انصارا لله بتنوين انصارا وباللام الجارة داخلا على القطعة
وقرا الباقون باضافته الى الجلالة والرسم يحتمل القراءتين معا واللام يحتمل ان يكون مزيدة في اللفظ لتقوية العمل ليكون العامل فرعا في العمل
ان الاصل كونوا انصار الله وان يكون غير مزيدة في اللفظ ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاولى اظهر والقراءة بالاضافة فرع للقراءة بالتنوين
محققة بها ويؤيد القراءة بالاضافة الاجماع على الاضافة في نحو انصار الله فانه لا يتصور جريان التنكير ههنا لكونه موسوما بالالف ليطابق علمه
لتعريف الانصار بالجند وتضمين الكلام معنى التوجه لانه لو ابقى الانصار على اصل معناه وكان المعنى من ينصرون الله لما طابق جواب الحواريين سؤال عيسى عم

بسال

وقيل او في موضع نصب اى يغفر لكم ويدخلكم ... تحبونها صفة لمعطوف محذوف (marginal note, partly legible)

سأل عمن ينصره وهم اجابوا بانهم ينصرون الله ولو لم يعتبر معنى التوجه في الكلام حصلت المطابقة بين السؤال والجواب لان الجند
يتبع امير العسكر في تحصيل مقصد السلطان وظهر وجه تعدية النصرة بالى وهو كونها متضمنة معنى التوجه فكان المقتبس في كل واحد من السؤال
والجواب هو الله فكانه قيل من جندي متوجها الى الله تعالى واظهار دينه فاجاب الحواريون بقولهم نحن انصار دين الله متبعين اياك فيكون
اضافة انصاري على خلاف اضافة انصار الله لان الاضافة في انصاري معنوية حيث لم يضف اسم الفاعل الى معموله لان فاعل انصاري ضمير
يرجع الى من ومفعوله دين الله والمعنى من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله واظهار دينه فالاضافة لمجرد الدلالة على
اختصاص المضاف اليه بخلاف الاضافة في انصار الله فانها لفظية من قبيل اضافة الناصرين الى المنصور فيحصل المطابقة بين القولين لان
محصل قول عيسى من ينصر دين الله مختصا بي وكالتابع لي فاجابوه بانا نلتزم ذلك وننصر دينه ونعين رسوله **قوله** والتشبيه باعتبار المعنى فان
ظاهر اللفظ يدل على تشبيه كونهم انصار الله بقول عيسى من انصاري الى الله لان اداة التشبيه دخلت على ما هو بمعنى المصدر وهو القول لان كلمة ما في قوله
كما قال مصدرية فلما لم يصح التشبيه باعتبار ظاهر اللفظ وجب الحمل على جانب المعنى وذلك اما بان يجعل الكلام خطابا من الله تعالى لرسوله بان يقدر
قل قبل قوله يا ايها الذين آمنوا وتقدير الكلام قل لهم كما قال عيسى فالكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى قل لهم قولا مثل قول عيسى
للحواريين واما بان يجعل الكلام ابتداء خطاب من الله للمؤمنين فان المعنى انصروا دين الله نصرا مثل نصر الحواريين عيسى بن مريم وكونوا
انصار الله كونا مثل كون الحواريين انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله وقت قوله لهم من انصاري الى الله لانه كما قال في تاويل المعنى
اقيم المصدر مقام الوقت كما يقال خفوق النجم وصياح الديك **قوله** حواريون اصفياؤه وخاصته وحواري الرجل صفيه من الحور وهو البياض الخالص
سموا حواريين لخلوصهم عن كل ما يناف صفاء المحبة والاخلاص **قوله** عن الكلبي روى انهم قال الحسن اذا دخلت القرية فات النهر الذي عليه القصارون
فاسالهم النصرة فاتاهم عيسى وقال من انصاري الى الله فقالوا ننصرك فصدقوه ونصروه **قوله** ذلك اى تاييد مؤمنيهم على كفارهم كان بعدما رفع
عيسى عم فانهم لما رفع الى السماء تفرق قومه ثلث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله
ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث سيد المرسلين
فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين

سورة الجمعة مدنية

الملك صفة مشبهة دالة على الثبات اى يملك كل شي ولا يزول ملكه
عنه **قوله** لان اكثرهم لا يكتبون تعليل لتسمية العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب بالاميين يعني لما كان اكثرهم اميا لا يكتب ولا يقرا سمي الجميع اميا
على التغليب لان الامي عبارة عمن لا يقرا وهم ليسوا باهل الكتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون وقريش كانت كذلك قيل بدت الكتابة بالطائف
اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار والحيرة مدينة من بغداد والاكثرون على ان الامة العرب واحتج اهل الكتاب الى العرب خاصة لان
الاميين هم العرب من بين الامم وهو ضعيف لان تخصيصهم بالذكر لا يستلزم نفي ما عداه الى قوله تعالى ولا تخطه بيمينك لانه لا يلزم منه ان يخطه
بشماله ولا تصديقه دعي الرسالة يستلزم تصديقه في جميع ما جاء به ومن جملة قوله وما ارسلناك الا كافة للناس قوله يتلوا عليهم وما بعده لامتنانه
صفات النبي رسولا ووجه الامتنان بان يبعث فيهم رسولا اميا موصوفا بما ذكر من الصفات كونه دليلا على كمال قدرته وحكمته كونه لطيفا وفي الحكم
بالشريعة وهي ما شرعه الله تعالى سواء ذكرت في القرآن او لم تذكر والمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق والمراد بها ههنا الدلائل التي
يستدل بها على القواعد الدينية الاعتقادية والعملية ويحكم انها تلك القواعد **قوله** وان كانوا فان المبعوث فيهم لما كانوا في ضلال مبين اضمحل توهم ان
يتعلم الرسول ما جاء به من الحكمة النظرية والعملية من احد منهم **قوله** وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر واللام في قوله لفي ضلال الفارقة
بين النافية والمخففة **قوله** عطف على الاميين والمعنى بعثه في الاميين الذين كانوا في زمانه بعثه في آخرين منهم اي الاميين وهم العرب وما في قوله لما يلحق
زائدة للتاكيد اى لم يلحقوا بهم بعد اى لم يكونوا في زمانهم وهو صفة لآخرين من بعد وصفه بقوله منهم وقوله سيلحقون مبني على الف فلما وقع

وانتظار الا انه لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون والمقصود انه لما كان فيهم ما يلحق ويكون منهم فلا يختص بالعرب ووصف العرب وصفهم الاخرين منهم بانه مبعوث فيهم وفي اخرين منهم مع انه مبعوث الى الناس كافة عن بعضهم للاشارة
الى شرف العرب القائمين الساعة ومن في منهم للتبيين اذ لا وجه لجعلها للتبعيض وهو ظاهر انتهى قوله والمضي في يعلمهم او ويعلم اخرين منهم
وعلى التقديرين المراد بالاخرين العرب لانهم وصفوا بقوله منهم اي من الاميين وعن ابن عباس وجماعة ان المراد باخرين غير العرب من الطوائف
اي طائفة كانت ووصفهم منهم من الاميين مبني على انهم اذا اسلموا صاروا منهم لان المسلمين كلهم امة واحدة وان اختلفت اجناسهم اما
من لم يؤمن به ولم يدخل في دينه فانه بمعزل من التحقق في قوله اخرين وان كان مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله تعالى في الاية الاولى لو يزكيهم و
ويعلمهم الكتاب والحكمة وغير المؤمنين ليسوا من جملة من يزكيهم ويعلمهم روي انه قرأ قوله تعالى وآخرين منهم وعنده سلمان الفارسي قيل
يا رسول الله من هؤلاء فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء قوله ذلك الفضل الذي اعطاه
لنبيه وهو كونه مبعوثا لاهل عصره ومن جاء بعدهم الى يوم القيمة حال كونه تاليا عليهم كتاب الله ومزكيا معلما لهم الكتاب والحكمة وهو اتى تمام النعمة
بعدما بين انه الذي بعث سيد المرسلين في اهل عصره من الاميين وفيمن سيلحقهم الى يوم القيمة شرع في ذم اليهود بانهم من قرأ التورية
عالمون بما فيها وفيها آيات دالة على صحة نبوة محمد عليه السلام ووجوب الايمان به ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها بنجيهم من شقاوة الدارين
وشبههم بالحمار الذي يحمل اسفار العلم والحكمة ولا ينتفع بها ووجه التشبيه حرمان الانتفاع عما هو ابلغ شئ في الانتفاع به مع الكد والتعب
ومثلا وللتة فقال مثل الذين حملوا التورية آه والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب الكبير واخبار قال الفراء الاسفار الكتب العظام سميت
اسفارا لانها تكشف ما فيها من المعاني اذا قريت من قولهم سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها والحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل فكذلك
اليهود وفي هذا التشبيه تنبيه على انه ينبغي لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعمل بها لئلا يلحقه من الذم ما لحق اليهود قوله ويحمل حال من الحمار اي
كمثله حاملا اسفارا والعامل فيها ما في المثل من معنى الفعل وجاز ان يكون في محل الجر على انه صفة للحمار لان المعرف تعريف العهد الذهني بمنزلة
المنكر فيوصف بالجملة كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني قوله اي مثل الذين كذبوا يعني ان قوله تعالى مثل القوم فاعل بئس لكونه مضافا الى المعرف
بلام الجنس وقوله الذين كذبوا هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا واحتيج الى تقدير المضاف لما تقرر من انه يجب في
نعم وبئس اتحاد الفاعل والمخصوص بالمدح او الذم صدقا وذاتا ولا اتحاد هاهنا بين مثل القوم وبين من غيرهم بالذين كذبوا الا بتقدير
المضاف قوله ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم عطف على قوله الذين كذبوا من حيث المعنى فحينئذ يكون المخصوص بالذم محذوفا والتقدير بئس مثل القوم
المكذبين مثل هؤلاء والمراد بذم مثلهم ذم انفسهم لانك اذا ذممت الصفة ذممت الموصوف بها قوله اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ذكر
ان اليهود كانوا يفتخرون على العرب بقولهم نحن اهل الكتاب وانتم اميون لا كتاب لكم ونحن ابناء الله واحباؤه وانتم رعاة الابل ولنا السبت ولا
سبت لكم فرد الله عليهم طعنهم وافتخارهم على العرب بهذه الاشياء الثلثة بعد ما نزه نفسه عما لا يليق بشانه الاعلى من ان يكون له الشركاء والابناء كما قالوا
عزير ابن الله ونحن ابناؤه فقال يسبح لله ما في السموات وما في الارض وذبح العرب ما قالوه بقوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وامر
نبيه ان يجيبهم عن افترائهم وافتخارهم بادعائهم انهم اولياء الله واحباؤه من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بني اسرائيل بان يقول لهم ان كنتم
تزعمون ذلك فادعوا الله ان يميتكم بان يقولوا اللهم امتنا وخلصنا من دار البلاء والآفات واوصلنا الى ما عندك من الكرامات فان المراد
بتمني الموت طلبه سؤالا من الله تعالى بناء على ان اولياء الله تعالى عنده كرامة ومنزلة رفيعة لا يصلون اليها الا بالموت فينبغي لهم ان يتمنوا ذلك
ليصلوا اليها ثم انه تعالى بكتهم بقوله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من تكذيب محمد عم مع انهم وجدوا نعته وصحة نبوته في التورية
فلو تمنوه لماتوا في ساعتهم خالدين في النار ابدا روي انه عم قال والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت لما بقي على ظهر الارض يهودي الا مات قوله والفاء
لتضمن الموت معنى الشرط باعتبار الوصف اي باعتبار تضمن صفته التي هي الاسم الموصول معنى الشرط فان الموصول بالموصوف في حكم الموصوف فكما ان المبتدأ اذا

كان اسما موصولا صلته فعل او ظرف جاز دخول الفاء في خبره فكذا اذا كان موصوفا بالموصول المذكور جاز ذلك ايضا لتضمنه معنى الشرط
بواسطة تضمن صفته اياه كانه قيل ان فررتم من الموت فانه ملاقيكم ولما ورد ان يقال ان صح ما ذكرتم من ان الموصوف بالموصول متضمن
معنى الشرط لزم ان يكون الفرار من الموت شرطا للملاقاة اياه ويتوقف عليه الملاقاة ليس كذلك فان الموت ملاقيهم فروا منه او لم يفروا اشار
الى جوابه بقوله وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وتقريره انه على لحوق الموت على فرارهم منه للمبالغة قوله وقد قرئ بغيرها اي قرئ ملاقيكم
بغير فاء اما على انه كلام مستانف وضمير انه هو الخبر حينئذ يكون الموصوف نعتا كانه قيل ان الموت هو الذي تفرون منه ثم استانف وقيل انه ملاقيكم
واما على انه هو الخبر وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت ثم انه تعالى رد طعنهم الثالث وهو قولهم لنا السبت ولا سبت لكم بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة آه فانه تعالى هدى المسلمين بهذه الاية الى ما هو سيد الايام وعيد المؤمنين والجمهور على ضم جيم الجمعة وقرئ باسكانها
والضم هو الاصل والاسكان تخفيف وهما مصدر بمعنى الاجتماع قوله اي اذنها قالوا المراد بها الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه
لم يكن الاذان في زمن النبي وابي بكر وعمر ولما كثر المسلمون على خلافة عثمان احتيج الى زيادة الاعلام فامر ان يزاد نداء على سطح الزوراء
وهي دار واستحسنه الصحابة قوله بيان لاذا يعني ان كلمة من في قوله تعالى من يوم الجمعة وليس كذلك بل هو عبارة عن وقت الاذان منه وجواب
ان ما لزم من تفسير وقتا لاذان بيوم الجمعة ان يكون يوم الجمعة ظرفا للاذان وهو لا يستلزم الا وقوع الاذان في جزء منه ولا محذور فيه روي
انه عم قال سميت الجمعة جمعة لان الله جمع فيها خلق وقال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض
وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وقيل سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات وقيل لاجتماع
الناس فيه للصلوة وقيل اول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لوي سماها الاجتماع قريش فيها اليه وكان يقال له قبل ذلك يوم العروبة
وقيل اول من سماها جمعة الانصار وذلك انهم قالوا لليهود يوم يجتمعون كل اسبوع والنصارى كذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع
فيه نذكر الله تعالى ونصلي فيه ويختاروا يوم الجمعة لاجتماعهم فيه قبل العروبة لذلك واجتمعوا فيه الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين
وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه قبل ان يقدم النبي وقبل ان تنزل آية الجمعة ثم انزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول
جمعة جمعها النبي باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله مهاجرا حتى نزل بقباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين
اشتد الضحى ومن تلك السنة بعد التاريخ الاسلامي فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته صلوة الجمعة في
سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب هي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه
واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واشهد ان محمدا رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله والنور والموعظة
والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم والضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل ومن يطع الله ورسوله
فقد رشد وهدى ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه
على الآخرة وان يامره بتقوى الله فمن عمل بها على وجه ومخافة من ربه عنوان صدق على ما تبعوه من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره
يكون ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله
رؤف بالعباد وهو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل
امركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي
مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في
كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده

هو اجتنبكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت
فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكونه
منه الله اكبر الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم تمت الخطبة الكريمة والموعظة البليغة هنا اللهم ارزقنا بركته والاتعاظ بها
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي الخطبة والصلوة فيه تعريض لليهود بانهم وفقوا
لما سعد به المؤمنون من اصابتهم ما هو سيد الايام وخير ما طلعت عليه الشمس من الايام يوم المزيد الذي يريد خيره وبركته للعالمين فيه
وقد جرى في الحديث هذا يوم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاليوم لنا وغدا لليهود وبعده
للنصارى ولما اطلق الذكر على الخطبة ذهب ابو حنيفة الى ان الخطيب لو اقتصر على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد
المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ابو بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال
وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر عليه احد واما عند الشافعي وسائر الائمة فلا بد من خطبتين مشتملتين على خمسة
اركان لفظ الحمد ثم الصلاة على رسول الله للمواظبة عليهما ثم التوصية بتقوى الله ثم القراءة بشيء من القرآن آية او بعضها في احدهما ثم الدعاء
للمؤمنين في الثانية واما الزوائد التي احدثوها فبدعة قوله فاسعوا نصب على المصدر لان السعي اسراعا وسطا دون العدو والاسراع
المفرط منهي عنه لقوله اذا احرمت الى الجمعة فامش على هينتك وعن عمر ابن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله كيلا يظن ان المراد من السعي الاسراع في
المشي وقرأ ابن مسعود كذلك ثم قال لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وليست هذه القراءة بينهم قراءة القرآن المنزل بل هي تفسير
منهم لمعناه جائز قراءة القرآن بالتفسير في موضع التفسير قال الفراء وغيره معنى السعي في الآية المشي ثم قال السعي والذهاب والمشي واحد
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا فلذلك قال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار فانه سعي و
مسارعة الى المغفرة وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مقتضية اي مملوة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل
اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة قوله واتركوا المعاملة يعني ان المراد بالترك كل ما يشغل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص
البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يحضر الناس فيه من قراهم وبواديهم فاذا حان وقت الصلوة اعتصل الاسواق بهم وتميل طباعهم الى التجارات
فامروا بالاقبال على الجمعة وترك ما سواها وعامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع بل كراهته لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من
الذهول عن الواجب فاشبه الصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وقال هو فاسد قوله اطلاق لما حظر عليهم
من المعاملة والاشتغال بامور الدنيا فان كل واحد من الانتشار في الدنيا الارض وطلب الرزق بالتجارة بعد الفراغ من صلوة الجمعة ليس بواجب
بل هو امر مباح قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فصل الى العصر وان شئت فاقعد ونظير هذه الآية قوله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا
فانه اباحة للمحرم بعد ما حرم لا تقتلوا الصيد وانتم حرم قوله فاذكروه في مجامع احوالكم قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله تعالى فمن اطاع الله فقد
ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق في جميع الاحوال قال الله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
والذكر الذي امر به بالسعي اليه اولا هو ذكر خاص اذ المراد منه الخطبة والصلوة امر الله تعالى بها اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعة الله
في جميع ما تأتونه وتذرونه والذكر بهذا المعنى من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان ذكر الله تعالى سبب طاعته قوله فخرج الناس اليهم
ذكر ابو داود ان السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كادوا خليقا بفضلهم ان لا يفعلوا ما روي عن مقاتل بن حيان
انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلوة الجمعة قبل الخطبة مثلها في العيدين الى ان اتفق له يوم انه صلى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فخطب

في الخطبة

في الخطبة وهو قائم اذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبي قدم بتجارة من الشام وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان
معه جميع ما يحتاج اليه من بر ودقيق وغيرهما وكان دحية اذا قدم من السفر تلقاه اهله بالطبل والدفوف فلما علم الناس قدومه
خرجوا اليه ولم يظنوا الا انه لا حرج في ترك سماع الخطبة فنزل ما نزل الآية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتفرقوا عنك خارجين
اليها فقدم النبي الخطبة على صلوة الجمعة بعد ذلك قيل كانت هذه الواقعة قبل ان يسلم دحية قوله وافرد التجارة رد الكناية يشير كونه جوابا
لما يقال كيف قال اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولا اتجاه لهذا السؤال لان العطف باو لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف
لاحد الشيئين فلذلك اول قوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ومن اورده مع عدم اتجاهه فحقه ان يجاب بان العطف باو
لا يثنى معه الضمير ان عاد السائل وقال لم عينت التجارة بارجاع الضمير اليها وقد ذكر احد شيئين من غير تعيين فالمناسب ان يذكر ما يرجع الى احدهما
من غير تعيين كذلك يجاب بان تعيين التجارة لرد الكناية لانها المقصودة قوله ولدلالة عطف على قوله لانها المقصودة وقيل الكلام مبني على الحذف والتقدير
اذا رأوا تجارة انفضوا اليها ولهوا انفضوا اليه فحذف الثاني اختصارا لدلالة الاول عليه قوله فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه روي عن بعض السلف
الصالح انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك
وانت خير الرازقين عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فحدثته عن رسول الله وكان فيما حدثته ان قلت له انه قال في يوم
الجمعة ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه قال كعب في كل سنة فقلت بل في كل جمعة قال فقرأ كعب التورية فقال
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام
فقد علمت اي ساعة هي هي آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت كيف يكون هي آخر ساعة في يوم الجمعة وقال عليه السلام لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة
لا يصلى فيها قال عبد الله بن السلام الم يقل رسول الله من جلس مجلسا ينتظر الصلوة فهو في صلوة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو ذلك

سورة المنافقين مدنية

الشهادة اخبار عن علم يقين لكون سندها مشهودا ضروريا من جملة المشاهدات فقول من قال اشهد ان زيدا قائم في قوة قوله اعلم علما يقينا انه قائم واخبر من ذلك عن علم يقين فلما كان صدق الخبر
عند الجمهور عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عن عدم مطابقته له كان المشهود به وهو مضمون قولهم انك لرسول الله صادقا لمطابقة
حكمه للواقع فلذلك صدقهم الله تعالى حيث قال والله يعلم انك لرسوله وكذبهم في تسميتهم ذلك الاخبار شهادة لان قولهم نشهد انك لرسول الله
معناه نخبر به بمضمونه ومواطاة القلب اللسان في الاخبار دليلهم بما يشهدون به بل يعتقدون خلاف ما اخبروا به عنه فكانوا كاذبين
في قولهم نشهد وفي تسميتهم هذا الاخبار شهادة ولما كان ظاهر الآية دليلا على ما ذهب اليه النظام من ان صدق الخبر مطابقة حكمه
لاعتقاد المخبر وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر من حيث انه تعالى حكم بان المنافقين كاذبون في قولهم انك لرسول الله مع ان حكمه مطابق
للواقع علم انه تعالى انما كذبهم لاخبارهم بما يخالف اعتقادهم وان الكذب باعتبار عدم مطابقة حكمه للاعتقاد اشار المصنف الى الجواب
عن استدلاله ببيان ان التكذيب راجع الى قولهم نشهد باعتبار تضمنه خبرا كاذبا وهو قولهم بان اخبارنا بانك رسول الله شهادة بمعنى
كونه اخبارا عن علم يقين ومن المعلوم ان هذا الخبر الضمني كاذب لعدم مطابقة حكمه للواقع لكونه اخبارا عما ليس في قلوبهم فكيف يكون
عن علم قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول الله وبين قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لكان
يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليزول هذا الوهم قوله اتخذوا حلفهم الكاذب مثل حلفهم بالله
انهم لمنكم والحال انهم ما هم من المسلمين فانهم كلما اطلع منهم على شيء من النفاق كانوا يحلفون انهم براء منه كما قال اخبارا عنهم
يحلفون لكم لترضوا عنهم يحلفون بالله ما قالوا انهم لمنكم روى البخاري عن زيد بن ارقم انه قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي

بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ويقول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت
ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله صلعم فارسل رسول الله الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلعم وكذبني فاصابني هم
لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون الآية وقوله ليخرجن الآية فارسل الي رسول الله
ثم قال ان الله صدقك يا زيد فالمراد بالايمان التي تخذوها جنة هي حلفهم بالله ما قالوا ذلك فانهم اتخذوه جنة يستترون بها من
اراقة الدماء وسبي الذراري والنساء واستغنام الاموال كما يتقى بالجنة في الحرب مضرة الاعداء ويحتمل ان يكون المراد بايمانهم قولهم نشهد انك
لرسول الله قال القرطبي من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او شهدت او عزمت او حلفت وقال في كل
ذلك بالله فلا خلاف في انها يمين وكذلك عند مالك واصحابه ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله كان يمينا اذا اراد ان
يحلف بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد ان لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان كذا بغير نية
كان يمينا ايضا احتج ابو حنيفة بهذه الآية فانه تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله
اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله نشهد وانما يرجع الى ما اخبر الله تعالى عنهم في سورة براءة بقوله يحلفون بالله ما قالوا انتهى كلامه فقوله الا انهم
حلفهم الكاذب مبني على قول الشافعي وما بعده مبني على قول ابي حنيفة قوله صدوا وصد ورد الاول مصدر صد المتعدي والثاني مصدر اللازم
يقال صده عن الامر اي صرفه عن الامر وصد عنه اي اعرض فانهم كما صدوا بانفسهم عن سبيل الله تعالى صرفوا عنه بعض الناس ايضا اشارة الى
الكلام المتقدم كانه قيل قلت في حقهم انهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم آمنوا الآية قوله فطبع على قلوبهم قراءة العامة على بناء المفعول والقائم
مقام الفاعل هو الجار بعده وقرئ على بناء الفاعل واسناده الى ضمير الباري تعالى فان قيل اذا كان الطبع مسندا اليه تعالى كان حجة لهم على الله تعالى بان يقولوا
اعرضنا عن الحق لغفلتنا عنه وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا اجاب عنه الامام بان هذا الطبع من الله بسوء افعالهم وانهماكهم في اتباع
الشهوات فعاقبهم الله تعالى بان خذلهم وتركهم وانفسهم الامارة بالسوء قوله في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر هذا هو الوصف الجامع بينهم وبين
ذوات الخشب من حيث انها خشب مع قطع النظر عن اتصافها بكونها مسندة الى الحائط ونحوه والجامع بينهم وبين الخشب المسندة هو انهم مع كونهم اشباحا
خالية عن العلم والعقل لا ينتفع بهم بشيء من منافع الاجسام كالخشب المسندة فان الخشب المنتفع بها ما كان في سقف او جدار او نحوهما من مواضع الانتفاع
بها وما كان منها مسندة الى الحائط هو المعطل الخالي عن المنفعة فشبهوا بها من حيث عدم الانتفاع بهم وقيل شبهوا بالمسندة منها لان
الخشب المسند الى الحائط يكون احد طرفيها الى جهة والآخر الى جهة اخرى فكذا المنافق فان باطنه الى جهة الكفرة وظاهره الى جهة المسلمين ومثله التفعيل
في قوله مسندة للتكثير فان الاسناد يكثر بكثرة المسند قوله وقيل الخشب بضمتين جمع خشب لم يرض به لان فعلا الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل
على فعل بضمة وسكون كحمر او حمر قرأ قنبل وابو عمرو والكسائي خشب باسكان الشين والباقون بضمها وقرئ بفتحتين على انه جمع مثل مدرة ومدر
ومن قرأ بضمتين جعله جمع خشبة كبدنة وبدن او خشبا كثمار وثمر وجعله تخفيف خشب بضمتين قوله دعوا جوفها اي فسد وفي بعض النسخ نخرا اي بلي
والمخبر خلاف المنظر والمرأى وقوله تعالى يحسبون كل صيحة في موضع الحال اي الضمير المجرور في كانهم والعامل فيها معنى التشبيه ويجوز ان يكون مستانفا وكل صيحة مفعول اول
ليحسبون وعليهم المفعول الثاني يحسبون كل ما سمعوه من الصيحة واقعة عليهم ضارة لهم بناء على قولهم انها صيحة عدو يريد بهم سوءا لفرط جبنهم وغلبة
الرعب الوهم على قلوبهم او لما في قلوبهم من الرعب ان يكشف الله اسرارهم بان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم فعلى هذا يكون قوله تعالى
هم العدو اي الكاملوا العداوة جملة مستانفة اخبر الله تعالى عنهم بذلك فان اعدى العدو من يداريك ويتبسم في وجهك وصدره يمتلئ حقدا وعداوة
قوله ويجوز ان يكون صلة اي ويجوز ان يكون عليهم متعلقا بيحسبون باعتبار كونه متعلقا المفعول صفة لصيحة ويكون جملة هم العدو كمفعول ثانيا كما اذا
طرح لفظ هم وقيل يحسبون كل صيحة واقعة عليهم العدو والظاهر ان يقرأ العدو لان الضمير للصيحة او هو العدو على ان يكون الضمير للكل الا انه قيل

هم العدو

هم العدو نظرا الى الخبر كما في قوله هذا ربي هذا اشارة الى الشمس فينبغي ان يقال هذه الا ان ذكر المبتدأ نظرا الى الخبر وعلى تقدير مثنا اي اهل كل صيحة
لن تعالوا يستغفر لكم رسول الله من باب تنازع الفعلين واعمال الثاني لان تعالوا الطلب رسول الله ان يتعدى بالى اي تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلا
فاعمل الثاني فرفعه وحذفه من الاول اذ التقدير تعالوا اليه ويجوز ان يكون من باب التنازع لان قولهم امر بالاقبال من حيث هو مع قطع النظر عن تعلقه
بالمقبل اليه فان الكلبي لما نزل من القرآن ما بين نفاقهم مشى اليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم انفسكم
فاتوا رسول الله صلعم وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فأبوا ذلك وزهدوا في الاستغفار فنزلت قرأ نافع بالتخفيف والباقون
بالتشديد للتكثير لكثرة الرؤوس قرأ الجمهور استغفرت بفتح الهمزة من غير مد وهي همزة الاستفهام وهمزة الوصل محذوفة وقرئ آستغفرت
لهم بالمد على انه اشبع همزة الاستفهام للاظهار والبيان لا على ان همزة الوصل قلبت الفا كما يفعل بالتي مع لام التعريف في نحو آلسحر وآلله اذن لهم
لان ابدال همزة الوصل غير التي تصحب لام التعريف مع همزة الاستفهام غير مستعمل قوله روي ان اعرابيا نازع انصاريا وكان الاعرابي اجير عمر بن الخطاب يقود
فرسه وكانت منازعتهما على ماء يقال له المريسيع من مياه بني المصطلق وهي حي من خزاعة بين مكة والمدينة ويقال لتلك الغزوة غزوة بني المصطلق
وغزوة المريسيع ايضا وكانت قبل غزوة الخندق قوله حتى ينفضوا اي يتفرقوا قرأ العامة ليخرجن بضم الياء وكسر الراء اسندا الى الاعز والاذل
مفعول به وقرئ ليخرجن الاعز بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعز فاعلا للفعل اللازم ونصب الاذل على المصدرية بناء على ان الاصل خروج الاذل
فلما حذف المصدر اقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه او على انه حال من الاعز بتقدير المضاف اي مثل الاذل وقرئ ايضا ليخرجن الاعز بفتح الياء
وفتح الراء على بنائه للمفعول ورفع الاعز قائما مقام الفاعل ونصب الاذل مصدرا ان اخراجا الاذل او حالا اي مثل الاذل ولنخرجن الاعز بضم
نون العظمة وكسر الراء ونصب الاعز على انه مفعول به ونصب الاذل على المصدرية اي اخراج الاذل او حالا اي مثل الاذل واللام في لئن رجعنا موطئة للقسم المحذوف
قبلها ولنخرجن جواب القسم المحذوف واغنى جواب القسم عن جواب الشرط روي ان عبد الله بن ابي لما انصرف عن غزوة بني المصطلق مع الغزاة واراد ان
يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال وراءك والله لا يدخلها حتى يأذن رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله
بتخليته وروي انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك فاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين
فقال رسول الله صلعم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك
فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان اؤمن فآمنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزل قوله واذا قيل لهم تعالوا الآية فلم يلبث
الا ايام قلائل حتى اشتكى ومات بعد القفول من غزوة تبوك كما ذكره صاحب الكشاف في سورة براءة وروي ان ابنه استغفر له رسول الله والبسه
قميصه فنزل قوله لن يغفر الله لهم ثم انه تعالى لما ذكر قبائح المنافقين باموالهم ومنعهم عن صرفها الى انصار دين الله من فقراء المهاجرين بان حكى
عنهم قولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وذكر انهم تعززهم بالاولاد والعشائر حيث حكى عنهم قولهم ليخرجن الاعز منها الاذل نهى المؤمنين وحذرهم
عن اخلاق المنافقين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا يشغلكم التصرف في الاموال والسعي في تدبير امرها والتلذذ والاستمتاع بمنافعها
والتسرر بالاولاد والشفقة عليهم والقيام بمؤنتهم عن طاعة الله تعالى واداء فرائضه ومن يشتغل بما يلهيه عما يعنيه من امر الآخرة فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم
بايثار ما يفنى على ما يبقى قوله والمراد نهيهم عن اللهو بها ان عن الاشتغال بها على سبيل اللعب يقال لهوت بالشيء الهو لهوا اذا لعبت به من باب غزوت اغزو
غزوا الا انه صح النهي عن الالهاء الى الاموال والاولاد لا دليل لغة في نهيهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله وطاعة فان كونها ملهيين شاغلين
اياهم عن طاعة الله لازم لكونهم لاهين مشتغلين بها عن الطاعة والنهي عن اللازم ابلغ في الدلالة على النهي عن الملزوم من النهي عن اللازم فابتداء ان
قوله لا يلهكم هنا ابلغ في الدلالة على نهي المخاطبين عن الحصول عنه كمن ان يقال لا يكونن لاهين مشتغلين بها قوله ولذلك كان وكون المراد نهيهم عن اللهو
لا نهي الاموال والاولاد عن الالهاء توجهت نصرة ارتكاب النهي عنه اليهم لا اليهما قوله اي بين دلالته بينهما المراد بالموحد ولما تقدمه لان طلب الامهال

وتاخير الموت ممن مات خشية غير معتقد بخلاف المحتضر المقصر فيما وجب عليه من الحقوق المالية والبدنية فانه يتاسف على التقصير ويسترزيد مدة يتدارك
فيها التقصير فاخبر الله تعالى انه لا يؤخر نفسا انقضت مدته وحضر اجله فقال فلن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ولا ينفعه التحسر بعد فوات الوقت قوله فاصدق
منصوب بان مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله لولا اخرتني قوله واكن جزمه بالعطف على موضع الفاء وما بعده فانه لولا الفاء وفاصدق لكان مجزوما
بان مقدرة كما في قوله ليضلل ما لا انفقه لان المعنى ان كان لي مال انفقه وشذ قوله تعالى ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم يذرهم ونقل
سيبويه عن الخليل انه مجزوم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كما في قوله
ومن يضلل الله فلا هادي له فيمن جزم عطفه على الموضع فلا هادي له لانه لو وقع موقعه فعل لانجزم لوجود اداة الشرط قوله وقرئ بالرفع على وانا اكون
لم يرد ان يكون في الكلام مبتدأ محذوف لعدم الباعث على ارتكاب الحذف بل اراد بيان ان الواو في واكون للاستيناف وانه كلام مبتدأ مخصوص
الكلام بصورة الاسمية لكونها اظهر في الاستيناف قوله ليوافق ما قبله وهو الاخبار عن اتيان الموت فيتمنى الامهال ويقول لولا اخرتني ومن قراءته بالخطاب نظر
الى قوله لا تلهكم وانفقوا مما رزقناكم ثم

سورة التغابن مدنية

قوله للدلالة على الاختصاص اي على تاكيد الاختصاص
المدلول عليه باللام في قوله له الملك فانها تشعر باصل الاختصاص سواء قدمت او اخرت اختصاص الملك به تعالى حقيقة ظاهر لانه مبدئ كل شيء ومبدعه
والنافذ فيه مشيته وارادته يتصرف فيه كيف يشاء وكذا اختصاص الحمد به لان اصول النعم وفروعها انما هي بخلقه وايجاده وترشيح من بحر جوده واحسانه
ولولا انه تعالى انعم بها على عباده لما قدر احد على ان يبذل مقدار جناح بعوضة ولا ما هو احقر منها افتتح السورة الكريمة ببيان عظمة الله تعالى في ملكه
وملكوته حيث حكم بان كل شيء ينزهه ويقدسه عما لا يليق بعلو شانه ثم خص له صفة المالكية على الاطلاق ثم خص له كل كمال وجلال وكل نعم وافضال
ثم وصف ذاته الكريمة بالقدرة على كل شيء ثم قرر ما ادعاه بما يدل عليه من دلائل الانفس فقال هو الذي خلقكم والفاء في قوله فمنكم كافر تفصيلية فان
ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله خلقكم فكانه قيل هو الذي تفضل عليكم باجل النعم كلها وهو نعمة الخلق والايجاد على حسب اختلاف عددكم واستعدادكم
فبسبب ذلك في اختلافكم بالكفر والايمان فمنكم كافر ومنكم مؤمن في علم الله تعالى وقدمه في الازل فمن تعلق العلم الازلي بكفره او ايمانه فخرج الى عالم الدنيا
فانما يخرج اليه على حسب ما علمه تعالى وقدره وعلمه في الازل به ثم ذيل الاستدلال المذكور ببيان انه مصير العباد ومجازيهم على حسب ما عملوا كانه جعل اثبات القدرة
دليلا على صحة البعث والجزاء ثم ذكر ما يدل على ما ادعاه من دلائل الآفاق فقال خلق السموات والارض والتشبيه بالخالق المعجز بتحويل الصورة الى ما هو
احسن منها ولما كان الجزاء متوقفا على شمول علمه وكونه بحيث لا يعزب عن علمه شيء من احوال الخلائق وصف نفسه بالعلم المحيط ثم شرع في تهديد كفار
قريش بقوله الم ياتكم نبأ الذين كفروا فخوفهم بما نزل من قبلهم من الكفار وجعل ما اصابهم من العقوبة في الدنيا بالاضافة الى ما اعد لهم في الآخرة ذوقا
من نعظم طعام او شراب قوله والبشر يطلق على الواحد والجمع لانه اسم جنس والجنس يتحقق في ضمن كل فرد وفي ضمن جميع الافراد وهو في الآية بمعنى الجمع ولذلك
جمع ضمير يهدوننا وقوله ابشر مرفوع بالفاعلية فعل مضمر يفسره ما بعده كما في قوله وان احد من المشركين استجارك وهو اولى من جعله مبتدأ وما بعده
خبره لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا والفاء في قوله فكفروا سببية لا للتعقيب اي فكفروا بسبب هذا القول لانهم قالوا استصغارا
للرسل ولم يعلموا الحكمة في اختيار كون الرسل بشرا قوله واستغنى الله تقرير لما سبق من التهديد والوعيد اي وكان الله تعالى غنيا عن ايمانهم وطاعتهم
فلم ينقصوا بكفرهم ومعاصيهم شيئا من ملكه تعالى وانما اضروا بذلك على انفسهم ثم انه تعالى بين ان سبب الوبال والعذاب المذكورين هو كذبهم الرسل
كفرهم بهم بين ان لهم معصية اخرى وهي انكارهم البعث فقال زعم الذين كفروا ان والزعم ادعاء العلم بالشيء ولا علم ومنه قوله عليه السلام [illegible] قائم
المفعولين كانه قيل زعموا كونهم غير مبعوثين وان في قوله ان لن يبعثوا المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المقدر اي زعموا ان الشان لن يبعثوا وليست
ناصبة لئلا يدخل ناصب على ناصب وبلى للنفي المذكور قبل يبعثون ثم ابتداء فقال وربي لتبعثن وليس الامر مقتصرا على البعث بل يعقبه الحساب والجزاء فان قيل
كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم مع ذلك يعتقدون انه ممن يعتقد عظمة ربه

اعتقاد

اعتقادا جازما لا مزيد عليه فيعلمون بذلك انه لا يقدم على ان يقسم بربه الا وان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس لاعتقاده
ولما ذكر ان ما انزل من الامم الماضية من العقوبة كان بسبب كفرهم بالله ورسله امرهم بالايمان بالله ورسوله والنور الذي انزل عليه كيلا يذوقوا
وبال امرهم في الدنيا والعذاب الاليم في الآخرة قوله وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوافق قوله والنور الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع يوم القيمة
وهو يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين والجن والانس واهل السماء واهل الارض وقيل يجمع فيه بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم
وقيل بين نبي وامته قوله يغبن فيه اي يجزع والتغابن تفاعل من الغبن وهو اخذ الشيء من صاحبه باقل من قيمته وهو لا يكون الا في عقد المعاوضة
والمعاوضة في الآخرة فاطلق التغابن على ما يكون فيها انما يكون بطريق الاستعارة المبنية على التشبيه نزول السعداء منازل الاشقياء
من الجنة لو كانوا سعداء بالغبن ظاهر لان السعداء اخذوا منازل الاشقياء من الجنة من غير رضى الاشقياء ولا شعور به واما مشابهة نزول الاشقياء
منازل السعداء من النار لو كانوا اشقياء بالغبن فانها ليست بظاهرة لان منازل السعداء من النار لا رغبة لهم فيها حتى يكون نزول الاشقياء في
فيها تشبيها بغبن السعداء اياهم الا انه شبه ذلك بالغبن ايضا تهكما بالاشقياء واستهزاء بهم قوله واللام فيه اي اللام في التغابن
لتعريف الجنس فتخلل هذا التركيب يفيد قصر جنس التغابن بذلك اليوم كما في قولهم ذلك الكتاب في زيد الشجاع ووجه ايثار ما يفيد الحصر
مع ان التغابن يكون في دار الدنيا وان جلت وعظمت ثم انه تعالى لما حكم بان يوم القيمة هو يوم التغابن الواقع بين المؤمنين والكافرين
بان ياخذ كل واحد منهما منزل صاحبه فصل ذلك بالآيتين اللتين بعده وهو قوله ومن يؤمن بالله الى قوله وبئس المصير حيث بين فيها ان السعداء
اختاروا نسبة ما ادى بهم الى الاشتغال العذاب الحرمان عن وجوه المنافع باسرها فغبن المؤمن الكافر باختيار ما تمكن عليه الكافر من الايمان والطاعة
وغبن المؤمن الكافر بان اخذ منه ما يقدر عليه من الكفر والمعصية فصار كل واحد منهما مغبونا من قبل الكافر حيث لم ياخذ الكافر بما يمكن
عليه المؤمن الكفر والمعصية ما يرغب فيه المؤمن حتى يكون مغبونا بفواته منه الا انه جعل مغبونا تهكما بالكافر كما تقرر فظهر بهذا ان الدنيا
لكونها زمان التجارة ومزرعة الآخرة هي موضع التغابن وانه تعالى انما جعل يوم القيمة يوم التغابن لكونه وقت ظهور الربح والخسران ووقت
ظهور تغابن الفريقين في الدنيا وبهذا الاعتبار جعلت الآيتان تفصيلا للتغابن ثم انه تعالى لما بين ان الايمان والطاعة مناط كل خير
وسعادة وان الكفر والمعصية مناط كل شر وبلاء كان هذا مظنة ان يتوهم انه لو كان الامر كذلك لسلم المؤمنون من المصائب في اموالهم وابدانهم
فقال تعالى ما اصاب من مصيبة ملتبسة بشيء من الاشياء الا باذن الله اي بتقديره وارادته وقضائه مخيته على ان الاذن مستعار للتقدير والارادة
تشبيها لهما بالاذن من حيث ان كل واحد منهما مفض الى الفعل بسبب رفاته تعالى اذا قدر المصيبة واراد اصابتها لاحد فكانه اذن للمصيبة
ان تصيبه بين الله تعالى بهذه الآية انما تصيبهم بتقديره ومشيته وفي اصابتها حكمة لا يعلمها الا هو منها حصول اليقين بان ليس شيء من الامر
في يدهم ويتبرؤن بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضاء بقضاء الله
الى غير ذلك كالجهد فلبه للثبات اي لعدم الاضطرار بما اصابه بان يقول قولا او يظهر وضعا يدل على التضجر من قضاء الله تعالى ومن ايقن بانه مملوك
لله تعالى مسخر في قبضة قدرته وبان مرجعه الى موقف حسابه كيف لا يرضى بقضائه ولا يصبر على بلائه وقد اعتقد انه رب العالمين والتربية
على ما يكون بما يلائم الطبع يكون ايضا بما ينتفر عنه الطبع قوله وبالنصب عطف على قوله بالرفع يعني من قرا يهد بالرفع فانه كما قرئ قلبه
مرفوعا بقراءة ايضا منصوبا بنزع الخافض اي يهدي في قلبه كما في قوله تعالى الا من سفه نفسه اي في نفسه وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة
النكاح اي على عقدة النكاح فلما سبق اعدى الفعل بنفسه فنصب ما بعده حل القلب يعني ان قوله تعالى والله بكل شيء عليم تذييل لتقرير
قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه وانما يقرره اذا دخل احوال القلوب من الايمان والكفر في كل شيء دخولا اوليا قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا
الرسول اي في جميع الاحوال والاوقات ولا تشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى والعمل الصالح وعن الاشتغال بطاعة الرسول

وابلغ سننه ولتكن جبلة منكم في السراء والضراء والعمل بما شرع لكم ولما ورد ان تكاليف يستهما المراعي الطاعة حالة الضراء وهو تغليب على المرا
دفعه بالايمان بالوحدانية وبان الكل من عند الله يقتضي التوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع والتبري من الحول والقوة والاعتماد بحول الله تعالى وقوته
والحث على طاعته وطاعة رسوله فقال الله لا اله الا هو الآية روي عن عطاء انه قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الآيات يا ايها الذين آمنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فانها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا ورققوه وقالوا
الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الى آخر السورة بالمدينة وقيل كان رجال يسلمون من اهل مكة ويريدون ان ياتوا النبي فيتعلق بهم ابناؤهم
وازواجهم فيقولون انت تذهب تذرنا ضايعين فمنهم من يطيع ويقيم فحذرهم الله طاعة نسائهم واولادهم ومنهم من لا يطيع ويهاجر اليه ثم
فيرى الذين هاجروا قبله قد تفقهوا في الدين فهموا في انفسهم بعد ان جعلوا باهم في دار في دار الهجرة ان يعاقبهم ويمنع عنهم بره وان لا يتفضل
عليهم بوجه ما ثم لما جمع الله تعالى بينه وبين اولاده منعهم ما ينتفعون به فوعظهم الله بقوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فامرهم بالعفو عنهم
علم من الآية ان العدو لا يكون عدوا ببغضه وسنانه وانما يكون عدوا بسببه بفعاله فكل من شغل المرء عن طاعة الله من الازواج والاولاد والاموال
وغيرها فهو عدو له لا ينبغي له ان يامن غوائلهم وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته قوله افعلوا ما هو خيرا لها ان خيرا
منصوب بمضمر يدل عليه الاوامر السابقة فالامر بالافعال الخاصة يدل على الامر بفعل الخير مطلقا فلذلك كان هذا الكلام تاكيدا للحث على الاوامر
المذكورة سابقا وبيانا لكون كل واحد من الامور المذكورة قيل خيرا منصوب بقوله وانفقوا لان الانفاق لا يتعدى الا الى ما هو من جنس الاموال الا ان
يقال الخير بالمال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا وانه لحب الخير فيكون منصوبا على انه مفعول لا نفقوا وهو عند الكسائي والفراء صفة مصدر محذوف
اي انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وعند ابي عبيدة خيرا كان المقدر المجزوم على انه جواب الامر اي انفقوا يكن خيرا لانفسكم ثم قال ومن يوق
شح نفسه الذي هو الحرص على المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون ثم ميز ما يفوز به المنفق فقال ان تقرضوا الله قرضا حسنا
سمى صرف المال في وجوه الخير اقراضا لله تعالى تشبيها به في عود مثل المصروف اليه والشكور الذي يقبل اليسير من العمل ويجازي به الثواب
الجزيل فالشكور المطلق ليس الا الله لان زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة بسم الله الرحمن الرحيم سورة الطلاق مكية
لانه امام امته يعني ان النداء عام كالحكم الا انه خص بالنداء صورة اظهارا لتقدمه واعتبارا لتنزله او لان الكلام معه يعني انا
لا نسلم ان المقام مقام تعميم النداء بل يقتضي تخصيصه بالنداء لان الكلام معه وليس المراد الا تعميم الحكم قوله والمعنى اذا اردتم تطليقهن
ولو كان المراد اذا اوقعتم التطليق كما هو الظاهر من العبارة لما كان لترتيب قوله فطلقوهن لعدتهن عليه وجه والتعبير عمن هو بصدد
التطليق مطلقا مجازا باعتبار الاول كقوله تعالى حكاية الحال اني اعصر خمرا وقولهم من قتل قتيلا فله سلبه وليس المراد به المطلق حقيقة
لان ما قبله محال فان تنزيل المشارف للشيء منزلة من شرع فيه كثير الا ترى انه جعل الماشي الى الصلوة والمنتظر لها بمنزلة من شرع فيها من حيث
قال اذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة فان احدكم اذا انتهى الى الصلوة فهو في صلوة وقال ع م
لا يزال احدكم في الصلوة ما انتظر الصلوة قوله يوقتها على ان اللام للتاقيت بمعنى في كما في قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم لاول الحشر فمعنى الآية فطلقوهن لعدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر فان المطلقة اذا كانت ممن
تحيض فان عدتها لا تنقضي الا بانقضاء ثلثة اقراء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء والتربص الانتظار
والقرء بالفتح لفظة مشتركة بين الطهر والحيض ويجمع على اقراء وقروء والائمة الحنفية حملوا القرء على الحيض بناء على الغرض من ايجاب العدة
العلم ببراءة الرحم وذلك يحصل بالحيض لا بالاطهار ولان قوله دعي الصلوة ايام اقرائك صريح بان المراد به الحيض وان في حمله على
الاطهار ردا لدلائل الفريقين مذكورة في موضعه وثمرة الخلاف تظهر فيما اذا طلق الرجل حال طهرها فانه لا تنقضي عدتها ما لم تطهر

من حيضة

من حيضة الثالثة واتفق الفريقان في ان زمان طلاق المشروع هو زمان الطهر الخالي عن الجماع لما روي نافع ان ابن عمر طلق امراته
وهي حائض طلقة واحدة فامره رسول الله ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر من حيضتها فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين طهرت
من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق بها النساء رواه البخاري ومسلم والطلاق البدعي ان يطلقها في حال
حيض او في طهر قد جومعت فيه او يوقع ثلثا بكلمة واحدة في اي حال كان وهو واقع وصاحبه آثم فلما كانت العدة عنده
اي الشافعي هي الاطهار الثلثة كان المناسب ان تكون اللام في قوله تعالى لعدتهن للتاقيت بمعنى في عدتهن اي في الوقت الذي
يصلح لعدتهن وهو الطهر فعلى هذا تتعلق اللام بقوله طلقوهن واما من حمل القرء على الحيض وعد العدة بها فانه
لا يمكنه جعل اللام للتاقيت للاجماع على ان الطلاق في حالة الحيض منهي عنه بل يجعلها متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام فيجعل تقدير
الكلام فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل
عدتهن فاذا طلقت المراة في الطهر المتقدم على القرء الاول من اقراء عدتها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن
في طهر لم يجامعهن فيه ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق واحله في السنة وهو احسن عندهم من تفرقة الثلاث
في ثلثة اطهار ومالك رحمه الله لا يرى الا واحدة في طهر خال عن الجماع ويكره الثلث مجموعة او متفرقة وعند الشافعي لا باس
بارسال الثلث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح كله في وقت السنة وعندنا يراعى الوقت والتفريق ليكون
سنيا والآية تدل على ايقاع الطلاق في الطهر ودلت السنة على ان ذلك الطهر يجب ان يكون خاليا عن الجماع حتى يكون الطلاق سنيا
وهي ما روي انه قال في حق ابن عمر فان اراد ان يطلقها فليطلق حين تطهر من قبل ان يجامعها قوله وظاهرها يدل على ان العدة
بالاطهار كما ذهب اليه الشافعي لانه تعالى لما قال فطلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن وهو الزمان الذي يصلح ان تعتد به وهو
زمان الطهر لان زمان العدة لو كان زمان الحيض لكان معنى الآية فطلقوهن في زمان الحيض والتطليق فيه بدعي حرام بالاجماع فعلم
منه ان طلاق من تحيض ينبغي ان يكون في الطهر وان عدتها تكون بالاطهار لا بالحيض قوله واضبطوها واكملوها امر الله تعالى
الذين يطلقون النساء بان يضبطوا فضول عدتهن واكمالها سواء كانت عدتها بالاقراء او بالاشهر ليتمكنوا من تعريف الطلاق على الاقراء
اذا ارادوا تطليقها ثلثا وليعلموا بقاء زمان الرجعة ويتمكنوا من الرجعة ان حدثت لهم داعية الرجعة وليعلموا بقاء زمان وجوب الانفاق
عليهم الى انقضائه ثم امرهم بان يتقوا الله ولا يعصوه في ما امرهم به ونهاهم عنه بقوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ومن الضرار بها
ان يراجعها في عدتها لقصد الامساك بالمعروف والاحسان بل يطلقها ثانيا تطويلا للعدة عليها قوله من مساكنهن التي يسكنها قبل
الطلاق اشارة الى ان اضافة البيوت اليهن مع انها بيوت الازواج لملابستها بهن من حيث السكنى قوله وفي الجمع بين النهيين اي بين النهي
عن الاخراج والخروج دلالة على انها تستحق على الزوج ان يسكنها فيما تسكن فيه قبل الطلاق كما تستحق عليه النفقة وعلى انه يلزمها الملازم
مسكن الفراق فان النص بعبارته لما اثبت حرمة الاخراج عليه ثبت بدلالته انها تستحق على الزوج السكنى وكذا لما اثبت حرمة الخروج
عليها ثبت بدلالته انها يجب عليها ملازمة مسكن الفراق موضوع على انه فاعل الزوجها قوله اما لو اتفقا على الانتقال جاز هذا عند
الشافعي واما عندنا فلا اثر لاذن الازواج في اباحة خروجهن لان وجوب ملازمة مسكن الفرقة عليها حق الشرع بناء على ان خروجها منه
تصريح نهي الشارع عنه وحق الشرع لا يسقط باسقاط العبد وقال الشافعي المراد هو حق العبد لان للمعتدة تستحق على الزوج النفقة
والسكنى لكونها محتبسة في منزل الزوج لمنفعة تعود اليه فان العدة انما وجبت عليها صيانة للمياه عن الاشتباه وللانساب عن الالتباس
فانه لو لم يجب العدة عليها لربما تزوجت باخر واتت بولد لستة اشهر فلا يعلم ان الولد لايتها فلما كانت محبوسة لمنفعة تعود على الزوج

وجبت مؤنتها عليه فاستحقت السكنى والنفقة عليه وكذا الزوج يستحق عليها ان تلازم مسكنه ما دامت في العدة لان العدة من توابع
النكاح ومقتضياته ففي حال بقاء العدة صار النكاح كانه قائم فيستحق عليها ان يكون في مسكنه حال العدة كما يكون فيه حال قيام النكاح
فلما كان الحق لا يعدوهما جاز لها الانتقال اذا اتفقا عليه قوله مستثنى من الاول وهو النهي عن الاخراج ويحتمل ان يراد بالفاحشة
نداؤها على زوجها وحمايتها فيحل للازواج اخراجهن من بيوتهن لبذائهن وسوء خلقهن روي ان فاطمة بنت قيس كانت في لسانها
ذرب فاستطالت على احمائها في عدتها فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ام مكتوم ويحتمل ان يراد بها الزنا فانها ان زنت
تخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها قوله او من الناس وهو النهي عن الخروج في يكون المراد بالفاحشة خروجهن قبل انقضاء
العدة ويكون المعنى ولا يخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج فهذا ابلغ في المنع من الخروج من حيث دلالته على علة المنع منه وهي
كونه فاحشة قوله ان يأتين حال من فاعل لا يخرجن او من مفعول لا تخرجوهن اي لا يخرجن او لا تخرجوهن في حال من الحالات الا في حال
كونهن اتيات بفاحشة وان مع الفعل في تاويل المصدر اي الا اتيانا بمعنى اتيه بفاحشة او الا اذا اتيان بفاحشة قوله الاشارة
الى الاحكام المذكورة وهي ان يطلق الرجل امراته اذا شاء تطليقها وقت عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وهو زمان طهر
لم يجامعها فيه وما سواه من الاحكام والحدود وهي الامور المانعة عن المجاورة شبهت احكام الله تعالى بها فاطلق عليها اسم الحدود
قوله وهو الرغبة فيها بعد الرغبة وتطليقها على الوجه المذكور فان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالامر هاهنا الرغبة في الرجعة والندم
على عزيمة الطلاق والميل الى امساكها بالمعروف والآية تعليل لمحافظة على الاحكام المذكورة من تطليقهن لعدتهن واحصاء العدة
والتجانب عن الاخراج والخروج فان التطليق على الوجه المذكور لما لم يقطع على الزوج سبيل الرجعة صح تعليله بقوله لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا فان العدة اذا لم تكن مضبوطة او انتقلت المرأة من منزل زوجها اشكل امر الرجعة وهذا يدل على ان الاحسن ان يطلقها
الرجل واحدة ثم يطلقها حتى تنقضي العدة او يفرق تطليقها ويطلقها ثلاثا في ثلاثة اطهار لانه يمكن للزوج رجعتها ان ندم على ما فعل
بخلاف ما اذا اوقع الثلث دفعة واحدة لانه لا يمكن ان يراجعها ولا ان يستانف نكاحها الا بعد التحليل بزوج آخر فانه اذا جمع الثلث
في وقت واحد لم يبق معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قوله شارفن اخر عدتهن فسر البلوغ الاصلي الذي هو آخر العدة بمقاربة
انقضائه كما فسر قوله طلقتم النساء بقوله اردتم طلاقهن لانه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن اخر العدة حتى يقال اذا بلغن اخر عدتهن
فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك وان شئتم فترك الرجعة واختيار المفارقة ايضا وابقاء الفراق قوله على الرجعة او الفرقة
لما كان الامر بالاشهاد للندب عند ابي حنيفة وعند الشافعي في احد قوليه كان معنى الآية واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا اذا اريد
في كونه مندوبا عند كل واحد منهما فاير دكله او في كلمة قوله او الفرقة بناء ان الواقع احدهما والمعنى ان اختار الرجعة اشهد عليها
وان اختار الفرقة وتركها حتى انقضت عدتها اشهد عليها قوله تبرئا عن الريبة عليها الاشهاد على الرجعة فانه اذا راجعها ولم يشهد
عليها يتهم في امساكه بانه امسك المطلقة وقوله وقطعا للتنازع يصح كونه علة لكل من الاشهاد على الرجعة وعلى الفرقة فانه ان لم يشهد
على الرجعة لربما انكرت المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وان لم يشهد على الفرقة لربما يموت احدهما فيدعي الباقي منهما ثبوت الزوجية
قوله وعن الشافعي وجوبه في الرجعة اشارة الى ان الشافعي له قولان في قول يجب الاشهاد على الرجعة وفي قوله الآخر لا يجب بل هو مندوب في كل واحد
من الرجعة والفرقة وهو قول ابي حنيفة رحمهما الله قوله يريد الحث على الاشهاد والاقامة يعني ان قوله ذلكم يجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر
من قريب وهو الاشهاد والاقامة وان يكون اشارة الى جميع ما في الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والامتناع عن
الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة باداءها على وجهها من غير تبديل وتغيير خالصا لوجهه من غير توقع جعل وهو اشد

ملائمة لقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا قوله جملة اعتراضية اي بين قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الى قوله واليوم الآخر وبين
قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الآية فان القولين مرتبطان قوله من الطلاق في الحيض فانه منهي عنه في ضمن قوله واتقوا الله
ربكم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا
في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضائق ويفرج عنه ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ان اعطاها مهرها وافيا
وادى الحقوق وقل ماله قوله بان يجعل الله له مخرجا متعلق بقوله بالوعد على الايعاد وقوله او بالوعد لعامة المتقين عطف
على قوله بالوعد فان وعد عامة المتقين يؤكد ما سبق من قوله واتقوا الله ربكم كان الوعد على الابقاء عما نهي عنه صريحا او ضمنا
بما ذكر من اول السورة الى هنا يؤكد ذلك قوله او كلام اجنبي عطف على قوله جملة اعتراضية ووجه الاستطراد فيه عدم تعلقه
بما سبق عليه لكونه تاكيدا له او بيانا او نحو ذلك وانما ذكر في هذا الموضع من حيث امساكهن وتطليقهن وذكر فيهما امورا
شتى ثم اشار الى جميع ذلك بطريق الفذلكة وحكم عليه بانه موعظة وتذكير للمتقين الذين يذكرون الله تعالى واليوم
الآخر في جميع سوءهم فلما انجر الكلام الى ذكرهم اردف الكلام بذكر الوعد على ايمانهم وايقانهم بالخلاص عن مضار الدارين
والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون استطرادا اي من غير ان يقصد به تعلقه بالحق به المؤمنون في حق امساك النساء وتطليقها
وان دخل فيهم الذين يتقون عما نهي عنه صريحا او ضمنا بما سبق من الآيات قوله وعنه عليه السلام الى آخره تاييد
لكونه استطرادا قوله تغفل عنها العدو اي اغتنم غفلتهم عنها واخذها منهم على غفلة وفي الصحاح تغفلته اذا
اهتبلت غفلته والاهتبال الاغتنام ووجدان الفرصة قوله وقرء حفص بالاضافة اي برفع بالغ من غير تنوين
وجر امره على اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف وقرأ الباقون بالتنوين والنصب على الاصل لان بالغ اسم الفاعل
بمعنى الاستمرار المتناول للحال والاستقبال فيعمل عمل الفعل فينصب مفعوله كما ينصبه يبلغ في قوله بلغن اجلهن
وقرئ بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره على الفاعلية وبالغا حال من فاعل قد جعل فيكون لفظ الجلالة من قوله
قد جعل الله من وضع الظاهر موضع الضمير قوله وهو بيان لوجوب التوكل عليه فلذلك لم يعطف عليه ومن يتوكل
على الله ووجه كونه بيانا له ان من كان بالغا امره ولا يعجزه شيء من المطالب جعل لكل شيء من الشدة والرخاء وغيرهما
من الحوادث المتجددة تقديرا او مقدارا او وقتا معينا واجلا ونهاية ينتهي اليه البتة ولا ينافي تغييره لا جرم يجب
على كل عاقل ان يتوكل عليه ولا يبقى سوى التسليم والاعتماد على تقديره والرضاء بقضائه ووجه كونه تقريرا لما
تقدم وتمهيدا لما سياتي ظاهر قوله تعالى واللائي مبتدأ ويئسن من المحيض صلته ومن الاولى لابتداء الغاية ومتعلقة
بيئسن والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف وقوله ان ارتبتم شرط وحذف جوابه فعدتهن مبتدأ وثلاثة اشهر خبره
والجملة الاسمية جواب الشرط فيها والفاء فاء الجواب والجملة الشرطية في محل الرفع على انه خبره واللائي ومتعلق
الارتياب محذوف والتقدير ان ارتبتم في عدتهن كما وواحد اللاتي التي واللائي لم يحضن مبتدأ حذف خبره
لدلالة خبر المبتدأ الاول فقدر الزمخشري جملة حيث قال والمعنى فعدتهن ثلاثة ايضا والاولى ان يقدر مفردا
كما فعله المصنف حيث قال واللائي لم يحضن بعد كذلك ومثلهن وقوله واولات الاحمال مبتدأ واجلهن مبتدأ
ثان وان يضعن حملهن خبر الثاني والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون اجلهن بدل اشتمال من اولات وان يضعن
خبره واولات واحد تها ذات ولا واحد لها من لفظها روي انه لما نزلت عدة ذوات الاقراء والمتوفى عنها

زوجها في سورة البقرة قال بعضهم يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء قال ما هو قال الصغار والكبار وذوات الاحمال فنزلت الآيات الثلث لبيان عدتهن قوله وهو حكم يتناول المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن يعني ان الحكم بانقضاء العدة بوضع الحمل حكم كل من كانت ذات حمل سواء كانت مطلقة او متوفى عنها زوجها لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال لو وضعت ما في بطنها وزوجها المتوفى عنها على سريره لم يدفن بعد لانقضت عدتها وحلت للازواج وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين اما بوضع الحمل او بانقضاء اربعة اشهر وعشرا ايهما ابعد من الآخر لانه لما وقع التعارض بين قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وبين قوله تعالى في سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا واقتضت الآية الاولى ان تنقضي عدتها بوضع الحمل وان وضعت عقيب موت زوجها بيوم او ساعة واقتضت الآية الثانية ان لا تنقضي عدتها الا بمضي اربعة اشهر وعشر الجمع بينهما احتياطا وعامة الصحابة على ان عدتها انما تنقضي بوضع الحمل واختاره المصنف حيث قال والمحافظة اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم وتفصيل المقام ان كل واحد من اولات الاحمال والمتوفى عنها زوجها عام من الآخر من وجه وخاص منه من وجه آخر لتصادقهما في الحامل المتوفى زوجها وصدق الاول بدون الثانية في الحامل المطلقة وصدق الثانية بدون الاولى في الحامل المتوفى عنها زوجها وقد حكم على كل واحدة منهما بحكم يخالف حكم الاخرى بحسب الظاهر اذ المراد بالتعارض اقتضاء احد الطريقين الدليلين ان يكون الحكم في مادة معينة خلاف ما يقتضيه الدليل الآخر والآيتان كذلك في مادة تناولهما وهي الحامل المتوفى عنها زوجها وانما قلنا انهما متعارضان بحسب الظاهر بناء على ما تقرر من امتناع التعارض الحقيقي بين الادلة الشرعية لان التعارض الحقيقي بينهما ان يكون بان ينزل الشارع دليلين متناقضين في زمان واحد وهو تكليف بالمحال وهو وان كان جايزا عند الاشاعرة الا انه غير واقع بالاتفاق فلا بد ان يكون نزول احد المتعارضين سابقا على نزول الآخر فيكون متاخرا نزوله ناسخا للمتقدم ان علم تاريخ نزولهما وان جهل يتوهم تعارضهما بالنسبة الينا وان لم يتعارضا في الواقع وما نحن فيه من الآيتين من هذا القبيل فانهما متعارضتان بحسب الظاهر في مادة تناولهما فاختار المصنف ان يحافظ على عموم آية سورة الطلاق ويعمل بحكمها في جميع من يصدق عليها انها ذات حمل حرة كانت او امة مطلقة او متوفى عنها زوجها ويلزم من ذلك ان يخصص عموم قوله ازواجا في قوله ويذرون ازواجا بحملها على غير الحامل من المتوفى عنها زوجها واستدل عليه بوجوه الاول ان نحو ذي المال واولات الاحمال عام بذاته مع قطع النظر عن امر خارج من نفس مفهوم اللفظ بخلاف عموم ازواجا فانه نكرة في سياق الاثبات ولا عموم لها بذاتها عند الجمهور بل هو عام بالفرض فان عموم ازواجا انما يستفاد من وقوعه في حيز صلة الموصول بذاته ولما كان عموم ازواجا بالفرض لم يصلح معارضا لعموم العام بذاته والثاني ان الحكم في آية سورة الطلاق ويعمل بحكمها في جميع من يصدق عليها انها ذات حمل حرة كانت او امة مطلقة او متوفى عنها زوجها ويلزم من ذلك ان يخصص عموم قوله ازواجا في قوله ويذرون ازواجا بحملها على غير الحامل من المتوفى عنها زوجها بوجوه معللا بكون المعتدة ذات حمل لما اشتهر من ان تعليق الحكم على الوصف الصالح للعلية تعليل لذلك الحكم ولا شك ان كون الرحم مشغولا بحق الغير يصلح لان يكون علة لكون المراة ممنوعة عن التزوج الى فراغ رحمها عنه وهذه العلة متحققة في كل واحدة من الحامل المطلقة والحامل المتوفى عنها زوجها وضع حملها كالحامل المطلقة وان يكون الاعتداد بالتربص المذكور في سورة البقرة مختصا عمن لم تكن ذات حمل لان الحكم المعلل بان عدة المتوفى عنها زوجها التربص المذكور غير معقول المعنى بل هو امر تعبدي لا تعرض فيه للعلة والحكم المعلل اقوى فهو بالاعتبار اولى

قوله وقيل الاوجه ... [illegible]

وعدم

وعدم تخلفه عما تخلفت العلة فيه احد روا عنه والثالث انه عليه السلام حكم بانقضاء عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بمجرد وضع حملها من غير ان يمضي عليها بعد وفاة زوجها اربعة اشهر وعشرا فهذا الحديث صريح في اعتبار عموم اولات الاحمال للمطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وتخصيص ازواجا بغير الحامل كما فعله عمر رضي الله عنه مما روينا عنه آنفا والرابع يتوقف بيانه على مقدمة وهي ان الايمة الحنفية والشافعية رحمهم الله اختلفوا فيما اذا تعارض الخاص والعام فذهب الشافعية ان الخاص يخصص العام مطلقا اي سواء علم تاريخ نزولهما او لم يعلم والحنفية الى ان المتاخر في النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولا يحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية اذا عهدت هذه المقدمة فنقول آية سورة الطلاق نزلت بعد آية سورة البقرة لقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان سورة النساء القصرى يعني ان سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في سورة البقرة ولما تعارض الدليلان وكان آية الطلاق متاخرة في النزول فلا يخلو اما ان يقدم آية الطلاق ويعمل بها في حق المتوفى عنها زوجها ايضا او بالعكس كما اللازم من الاول تخصيص عموم الازواج المذكورة في سورة البقرة بمن لم تكن ذات حمل وهو صحيح على كل واحد من المذهبين اما على مذهب الشافعي فلان الخاص الذي هو اولات الاحمال خصص العام وهو المتوفى عنها زوجها بمن لم تكن ذات حمل كما هو مقتضى مذهب الشافعي واما على مذهب ابي حنيفة فلان آية سورة الطلاق لتاخر نزولها نسخت عموم الازواج المذكورة في سورة البقرة وخصصها بمن لم تكن ذات حمل فثبت ان العمل باية سورة الطلاق موافق لكل واحد من المذهبين اما على مذهب الشافعي فلان الخاص الذي هو اولات الاحمال خصص العام وهو المتوفى عنها زوجها بمن لم تكن ذات حمل كما هو مقتضى مذهب الشافعي واما على قول ابي حنيفة فلان سورة الطلاق لتاخر نزولها نسخت عموم الازواج المذكورة في سورة البقرة وخصصها بمن لم تكن ذات حمل فثبت ان العمل بآية سورة الطلاق موافق بكل واحد من المذهبين بخلاف العمل باية سورة البقرة فانه لا يوافق مذهب الحنفية لانهم يجعلون مقام النزول منسوخا بالمتاخر فلا يعملون به وانما يوافق مذهب الشافعية وهو ان يخصص العام بالخاص فانه ان حكم بالتربص في حق الحامل المتوفى عنها زوجها فقد لزم ان يخصص عموم اولات الاحمال بالحامله على المطلقة مع انها يجب عمومها نعم المتوفى عنها زوجها قال المصنف في اصوله المسمى بالمنهاج الخاص اذا عارض العام يخصصه علم تاريخه ام لا وابو حنيفة يجعل المتقدم منسوخا ويتوقف حيث جهل لنا اعمال الدليلين اولى انتهى كلامه يعني اذا خصص العام بالخاص في جميع افراده والعام في بعض افراده ولو جعل العام ناسخا للخاص كان ابطالا للخاص بالكلية مثلا اذا كان المتوفى عنها زوجها خاصا بمن لم تكن ذات حمل وجعل حكم اولات الاحمال ناسخا بحكم المتوفى عنها زوجها فقد فرضنا كونها خاصا بمن لم تكن ذات حمل لزم ابطال حكمها في حق جميع افرادها واعمال الدليلين بقدر الامكان اولى من ابطال احدهما بالكلية هذا ما تيسر لي في توضيح المقام بعون الله تعالى اولى الانعام والاطعام فان اصبت الحق فبفضل الله واحسانه وان اخطات فمن قصور فهمي ونقصانه ثم انه تعالى لما حث على التقوى في عامة احكامه التي تدخل فيها احكام المقيدات دخولا اوليا بين كيفية التقوى في مكين على طريق الاستيناف فكانه قيل كيف يتقي الله تعالى في حق المعتدات فاجيب بان قيل اسكنوهن من حيث سكنتم الى آخر الآيات قوله اي مكانا من مكان سكناكم اشارة الى ان من في قوله من حيث سكنتم للتبعيض والبعض محذوف فكانه قيل اسكنوهن مكانا هو بعض من مكان سكناكم ثم فسر مكان سكناهم بقوله من وجدكم اي مما تطيقونه والوجد بالحركات الثلاث في الواو الوسع والطاقة وقرئ بهن جميعا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها في جوانبه قوله وهو عطف بيان نوقش فيه بانه لم يعهد في عطف البيان اعادة العامل وانما عهد هذا في البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من حيث سكنتم كانه قيل اسكنوهن

من وجدكم اي مكانا مما تطيقونه قوله تعالى ولا تضاروهن اي لا تؤذونهن في شان السكنى بسبب من الاسباب كما نزال من لا يوافقهن
فيه او شغل مكانهن باسبابكم ونحو ذلك لتضيقوا امر السكنى عليهن قوله وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل
من المعتدات لا نفقة لها وهو مذهب الشافعي فان تعليق الحكم بالشرط يدل على عدمه عند عدم الشرط عنده وعند ابي حنيفة يجب النفقة
والسكنى لكل معتدة سواء كانت مطلقة ثلاثا او واحدة رجعية او بائنة ما دامت في العدة اما المطلقة الرجعية فلانها منكوحة
كما كانت وانما يزول النكاح بمضي المدة وكونه في معرض الزوال بانقضاء العدة ولا تسقط النفقة كما لو آلى او علق طلاقها
بمجيء شهر مثلا فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى جميعا وعند الشافعي
لها السكنى ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا لهذه الآية قوله بعد انقطاع علقة النكاح بوضع حملهن بعد انقطاعها حكم الام فيجوز
استيجارهن لارضاع ولدهن عند الحنفية خلافا للشافعي فانه يجوز استيجارها لارضاع ولدها بناء على انه لم يجب عليها ارضاع
ولدها صارت كالاجنبية فقول المصنف بعد انقطاع علقة النكاح لا يناسب مذهب فان استيجار الام للارضاع يجوز عند حال
قيام علقة النكاح وبعد انقطاعها الا ان يقال انه ليس للاحتراز بل هو تفسير لمعنى الفاء في قوله فان ارضعن لكم قوله ٥٥٥٥
وليأمر بعضكم بعضا يعني ان الائتمار من الامر يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والخطاب للازواج من الرجال والنساء
والمراد نهيهم عن ان يخل بعضهم بعضا في العشرة والضيق فيما يتعلق بارضاع بان يكلف واحد منهما الآخر فوق ما ينبغي
وما يعتاد ثم انه لما ذكر في هذه السورة حدودا ونهى عن تعديها ذكر الذين تعدوا حدوده من الامم الماضية تاكيدا لايجاب
المحافظة على ما ذكر من الحدود والاحكام وتخويفا من التقصير في رعايتها فقال وكاين من قرية اي وكثير من اهل قرية عتت والعتو
بمعنى العناد وهو لا يتعدى بعن وعدي بها في الآية لتضمنه معنى الاعراض كانه قيل اعرضت عنه بسبب عتوها وكاين بمعنى كم الخبرية
في كونها للتكثير قوله لا ريب فيها اصلا بنى على ان تنوين خسرا للتعظيم قوله تعالى الذين امنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى في قوله
يا اولي الالباب او عطف بيان للمنادى او نعت له قوله يعني بالذكر جبريل عليه السلام على ان يكون اطلاق الذكر عليه من قبيل التوصيف
بالمصدر للمبالغة في كونه ذكرا او على انه مجاز مرسل من قبيل تسمية الملك المنزل باسم القرآن المنزل والقرآن يطلق عليه الذكر لاشتماله
على ذكر الله تعالى ولكونه امرا به فيكون اطلاقه على الملك مجازا في المرتبة الثانية او على ان يكون الذكر بمعنى المذكور كضرب الامير فانه عليه السلام
شبه بالذكر مذكور في السموات او على ان الذكر بمعنى ذو الذكر وهو الشرف قوله لمواظبته على تلاوة القرآن يعني انه عليه السلام شبه بالذكر
وهو القرآن لشدة ملابسته به تلاوة او تبليغا فاستعير له اسم الذكر وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا للاستعارة
ويجوز ان يكون الانزال مجازا مرسلا عن الارسال بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب قوله او اراد به اي بالذكر القرآن فيكون رسولا
منصوبا بفعل محذوف دل عليه نحو اي انزل الله اليكم القرآن وارسل اليكم رسولا فان انزال الذكر يدل على ارسال الرسول قوله او ذكرا
فان المصدر المنون لكونه في تاويل ان مع الفعل يعمل عمل فعله كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فكانه قيل قد انزل الله
اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ولكن رسول الله ونحوهما قوله او بدل على انه بمعنى الرسالة والمعنى
قد انزل اليكم رسالة اي ما يدل على حقيقة الرسالة فعلى هذا يكون قوله يتلوا عليكم حالا من اسم الله قوله تعالى مبينات قراءة الجمهور على
لفظ اسم المفعول اي بينها الله كما قال قد بينا لكم الآيات وقرا ابن عامر وحفص وحمزة بكسر الياء على لفظ اسم الفاعل اي يبين لكم ما تحتاجون
اليه الكلام وعلى التقديرين هو حال من الآيات واللام في ليخرج متعلقة بانزل لا بقوله يتلو لانه مذكور على سبيل التبعية بخلاف انزل
وفاعل انزل اما ضمير الباري تعالى او ضمير الرسول او الذكر ولفظ الماضي في قوله تعالى يا اولي الالباب الذين مبني على انهم كانوا مؤمنين من قبل نزول

هذه الآية

٥٨

هذه الآية وقيل خطابهم بما فيها من النداء قوله والمراد بالذين في ليخرج الذين آمنوا يعني ان المراد بالموصول الذي هو تابع المنادى السابق
هو الموصول المذكور في قوله ليخرج الذين آمنوا فيكون الموصول الثاني من وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان المراد بالنور الذي اخرجوا اليه
هو الايمان والعمل الصالح ولما ورد ان يقال الامتنان على الذين آمنوا قبل نزول الآية بان يقال يا ايها الذين آمنوا الا ان قد انزلنا اليكم
ذكرا رسولا ليخرجكم من ظلمة الكفر والمعاصي الى نور الايمان والطاعة بلام الغاية ولفظ المضارع يشعر بانهم غير خارجين منها حال
نزول الآية وهو فاسد لانه يستلزم ان يكونوا حال نزول الآية خارجين عن الكفر وغير خارجين عنه اشارة الى جوابه بقوله ليحصل
لهم ما هم عليه الان وتقريره ان اللازم من جعل الاخراج غاية للانزال الان يكون المراد الاخراج حاصلا زمان الانزال وهو لا ينافي
كونه حاصلا زمان الخطاب فالمعنى ايها المؤمنون الان قد انزلنا اليكم ذكرا قبل الان ليحصل لكم ما انتم عليه الان من الايمان والعمل الصالح
قوله او ليخرج من علم الخ عطف على قوله ليخرج الذين آمنوا اي ويحتمل ان يكون المراد بالموصول الثاني ما هو اعم من الاول لان المراد بالموصول الاول هم الذين
اتصفوا بالايمان وقت النداء وهو وقت نزول الآية ولا محذور في ان يخاطبهم الله على سبيل الامتنان ويقول قد انزل الله اليكم ذكرا ليخرج
من علم انه يؤمن او قدر انه يؤمن قوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير المنصوب في يدخله وافرد ضمير يدخله حملا على لفظ من وجمع خالدين
فيها حال من الضمير المنصوب في يدخله وافرد ضمير يدخله حملا على لفظ من وجمع خالدين حملا على معناه ووحد ضمير له على اللفظ ويحمل
على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل قوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال من ضمير يدخله على الترادف لان ذا الحال واحد وقد انتصب
عنه حالان او من المنوي في خالدين على التداخل قوله فيه تعجب وتعظيم فان الجملة الخبرية الغير الموضوعة لانشاء التعجب قد يقصد
بها التعجب كما في قول الشاعر وجارت جساس ابانا نابها كليبا علت باب كليب بواء بها جملة خبرية قصد بها التعجب كل واحد من جساس
وكليب رئيس القبيلة على حدة وجارة جساس امراة اسمها بسوس صاحبة الناقة الى ابن اختها جساس فقتل كليبا قصاصا الناقة
بسوس فصارت حرب بكر وتغلب الكل ما يعتني بشانه ويبالغ بحفظه اعز من حمى كليب والابا الاقتصاص وايات القتل بالقتل
من البواء وهو السواء والناب الناقة المسنة وجعل قوله تعالى قد احسن الله له رزقا من قبيل ما قصد التعجب لانه لو جعل خبرا محضا
ما كان في ذكره فايدة لان المراد بالرزق ما رزقوه في الجنة ومعلوم انه حسن وان حسنه خارج عما تدركه العقول والاوهام قوله اي
وخلق من الارض مثلهن اشارة الى ان مثلهن منصوب بفعل مقدر بعد الواو ودل عليه الفعل الناصب للسموات ولم يجعله معطوفا على
سبع سموات كما ذهب اليه صاحب الكشاف لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور وهو مكروه في غير موضع الضرورة
وقرئ مثلهن بالرفع على الابتداء خبره من الارض قدم عليه ذهب الجمهور الى ان الارض سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين
ارض وارض مسافة كما بين السماء والسماء في كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ان الارضين ايضا سبع مطبقة بعضها
فوق بعض لكن لا فتوق بينها بخلاف السموات وقال القرطبي الاول اصح لان الاخبار دالة على ذلك قوله اي يجري امر الله وقضاه بينهن و
ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره على ايدي الملائكة

سورة التحريم مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله فواحات اي توافقت روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى ويحب العسل وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة
بنت عمر رضي الله عنها فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة عسل فسقت
رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة فقلت والله لنحتالن له فاتفقت انا وسودة وصفية على ان نقول اذا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودنا منا يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فلنقل عند ذلك فما هذه الرائحة الكريهة وكان عليه السلام يشتد عليه ان يوجد

منه الريح الكريهة ويحب ان توجد منه الرايحة الطيبة لمناجاة الملك فانه سيقول سقتني حفصة شربة عسل فقل جرست نحله العرفط
وهو نبت له رايحة كريهة الخمر ثم انه عليه السلام لما خرج من عند حفصة ودخل علينا قال كل واحد منا ما اتفقنا عليه فقال عليه السلام لن اعود الى شرب
العسل قوله تفسير التحريم اى عطف بيان له فان حقيقة الاستفهام لما لم يتصور منه تعالى حمل على المعاتبة في ارتكابه التحريم وعد ذلك منكرا منه ثم
ولما فيه وجه كون التحريم منكرا فسره بما ظهر كونه منكرا فان ابتغاء مرضات الازواج من مثله عليه السلام بعيد لانهن احق بابتغاء مرضاته ثم
بابتغاء مرضاتهن فانه عليه السلام متفضل بذاته وفضيلتهن انما هي بالانتساب اليه وعلى تقدير كونه حالا من فاعل تحرم يكون الانكار
راجعا الى القيد وكذا على تقدير كونه صيتا نفا البيان الداعي الى الانكار فانه تعالى لما انكر عليه التحريم اتجه له ان يسئل ويقول لم تنكر علي
يا رب فيما حرمته على نفسي قد وجد ذكر من الانبياء قبلي كما قلته في كلام المجيد الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقيل له لانك تبتغي
مرضات ازواجك ومثلك لا ينبغي له ذلك قوله فانه لا يجوز تحريم ما احل الله فان ما احل الله تعالى لا يحرم الا بتحريم الله تعالى اياه بوحي الله
تعالى اياه بوحي منزل متلو وغير متلو فان من اعتقد من عند نفسه حرمة شي قد احله الله تعالى فقد كفر فان قيل اذا لم يجز ذلك فما
وجه تحريمه عليه السلام ذلك قلنا المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع بدفع مع اعتقاد كونه حلالا لا اعتقاد كونه حراما
بعد ما احله الله تعالى فان ذلك لا يتصور من عوام المسلمين فكيف من الانبياء ولكنه يجوز ان يعد ذلك زلة يعاتب عليها لان الامتناع
من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه ففيه شائبة سوء الادب فلذلك عاتبه الله تعالى على ذلك بالاستفهام
الانكاري قوله قد شرع لكم تحليلها فسر قوله تعالى فرض بذلك لان الفرض بمعنى الايجاب لا يعدى باللام واشار بقوله
تحليلها الى ان تحلة مصدر حلل بتضعيف العين اصله تحللة نحو تكرمة من كرم والتحليل حل ما عقد ته فان الحالف كانه عقد
على نفسه البر بمحافظة اليمين وتحليل اليمين يكون على وجهين الاول ان يستثني بان يقول ان شاء الله متصلا بيمينه فان
الاستثناء لما كان مانعا من انعقاد اليمين صار بمنزلة تحليلها فان كلمة انشاء الله اذا اتصل بالكلام السابق يرفع حكمه من اى جنس
كان فان موسى عليه السلام لما وصل ان شاء الله بوعده في قوله ستجدني ان شاء الله صابرا ثم لم يصبر لم يكن بعدم صبره مخلف
وعده فان خلف الوعد من امارة النفاق لقوله عليه السلام اية النفاق ثلث وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث
كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان فحاشى للانبياء ان يكون فيهم اية النفاق فعلم بذلك ان اقتران الاستثناء بالوعد
عن كونه معتقدا فكذا اقترانه باليمين يخرجها عن الانعقاد فلذلك جعل بمنزلة التحليل فان كان المراد بتحلة الايمان
في الاية الاستثناء يكون المعنى قد شرع الله لكم تعقيب ايمانكم بالاستثناء كيلا تنعقد فيحنث الحالف باتيان المحلوف عليه
والوجه الثاني من وجهي تحليل اليمين الحنث فمن حنث في يمينه باتيان المحلوف عليه فقد انحلت يمينه وتجب الكفارة لازالة اثم
الحنث فان الحسنات يذهبن السيئات فالكفارة تشعر ان يكون انحلال اليمين بالكفارة وليس كذلك بل هي موجب انحلالها
بالحنث الا ان التزام الكفارة لما كان طريقا الى تحليلها نزله السبب للتحليل فقال ذلك قوله واحتج به من راى التحريم مطلقا
اى سواء حرم نحو التزوج العادة او حرم امراته فمن حرم على نفسه شيئا منها لا يصير محرما عليه لانه قلب المشروع والعبد لا يقدر
عليه لان الحنفية اعتبروه يمينا في كل شي واعتبروا الامتناع عن المنفعة المقصودة مما حرمه على نفسه فمن حرم على نفسه
الطعام او الشراب ثم اكل او شرب لزمه كفارة يمين ومن حرم امته او امراته ثم وطيها او اقدم على شي من دواعي الوطي لزمته
الكفارة وعند الشافعي تحريم الحلال ليس بيمين مطلقا ولا يجب عليه الكفارة بذلك اصلا الا في النساء والجواري فان حرم عليه
زوجته او امته لا يكون ذلك يمينا عنده الا انه يجعله سببا لوجوب الكفارة عليه بمجرد تحريمه اياها سواء قربها او لم يقربها

لما ذكره

[illegible]

لما ذكره المصنف من انه تعالى انكر نفس التحريم واوجب نقضه وتحليله بالكفارة وهو لا يستلزم كونه يمينا وان توقف وجوب الكفارة
على الحنث بالقربان كما ذهب اليه الحنفية فانه عليه السلام كفر عن تحريمه بان اعتق رقبة الا انه لم يثبت انه عليه السلام اعتق بعد
مباشرة ما حرم عليه وقبل المباشرة قوله مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل ذكر الامام محي السنة نقلا
عن المفسرين انه عليه السلام كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فلما خرجت ارسل رسول الله عليه السلام الى ام ولده مارية القبطية فادخلها بيت حفصة
ووقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فرجعت فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر
عرقا وحفصة تبكي فقال عليه السلام ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي
اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال عليه السلام اليس هي جاريتي احلها الله لي اسكتي فهي حرام علي
التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن فلما خرج عليه السلام قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة رضي الله عنها
فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله تعالى منها عائشة عبارات وكانتا متصافيتين
متظاهرتين على سائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله حتى حلف ان لا يقربها فنزلت فهذه الرواية
صريحة في انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين بعد التحريم لوجب الكفارة مبني عليه لفظ التحريم لا اثر له فيها وذكر الامام محي السنة ايضا عليه السلام
لما راى الكراهية في وجه حفصة اراد ان يرضيها فاسر اليها بشيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة في ابي بكر وفي
ابيها عمر رضي الله عنهما فاخبرت به حفصة عايشة فاطلع الله تعالى نبيه على افشاء حفصة اياه عرف النبي حفصة بعضها اخبرت به
عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره عليه السلام ان ينتشر ذلك في الناس تكرما منه عليه السلام وحلما
قيل ما استقصى كريم قط وكلمة اذ في قوله اذ اسر النبي الى بعض ازواجه مفعول به لاذكر المقدر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر
اذ اسر النبي وفاعل نبات مستتر يرجع الى بعض ازواجه والاصل في نحو نبا وانبا ان يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه
والى الثاني بحرف الجر وهذا وقد يحذف الجار تحقيقا وقد يحذف الاول اعتمادا على ما يدعيه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة
في هذه الايات فان قوله تعالى فلما نبات به تعدى الى اثنين وحذف اولهما والثاني مجرور بالباء وهو ضمير الحديث الذي اسره
اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير المنصوب في اظهره للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير عليه راجع الى الحديث بتقدير المضاف اى على
افشائه فعلى هذا يكون اظهر متضمنا معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه واظهره السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع
على الشي اى صار على ظهره اطلع الله النبي على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل عليه السلام والمرفوع المستتر في عرف للنبي
ومفعوله الاول محذوف اى عرف النبي صلى الله عليه وسلم بعضها افشته الى صاحبتها بان قال على طريق العتاب الم اك امرتك ان
تكتمي سري ولا تبديه لاحد وذكر لها بعض الذي فشته وقال لها الم اك قد ذكرت لك كذا وسكت عن بعض ولم يذكره لها تكرما
عن الاستقصاء وقد قيل ان الكريم لا يبالغ في العتاب وهذا المعنى على قراءة التشديد في عرف وهي قراءة الجمهور وقراءة
الكسائي بتخفيف الراء قال الفراء معناه غضب فيه وجازى عليه وفي التنزيل وما تفعلوا من خير يعلمه الله اى يجازي عليه
وانما احتيج الى هذا التاويل على قراءة التخفيف لان تلك القراءة لا تحتمل غيره لانه تعالى اعلمه بجميع ما انبات به حفصة
صاحبتها لقوله تعالى واظهره الله عليه قال المفسرون انه عليه السلام جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر رضي الله عنه
قال لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل عليه السلام بمراجعتها وشفع وقيل هم بطلاقها

حتى قال له جبرئيل لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة فلم تطلقها قوله لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب
على السبب يعني ان كل واحدة من قراتي التشديد والتخفيف تدل على ان المجازاة الحاصلة في قراءة التشديد ذكر المسبب وهو التعريف
واريد السبب الذي هو المجازاة فان مجازاة المسي بها تعريف اساءته كان معرفة اساءته سبب بمجازاته روي انه عليه السلام
اعتزل نسائه وحلف ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة غضبه عليهن حين عاتبه الله تعالى بقضيتهن وقعة مسرية
مارية ام ابرهيم عليه السلام وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت الناس يقولون انه عليه السلام طلق نساءه فدخلت على حفصة وهي
تبكي فقلت لها اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري هو هذا معتزل في هذه المشربة فاتيته فدخلت وسلمت
عليه فقلت اطلقت نساءك يا رسول الله فقال لا فقلت الله اكبر وفيه تفصيل كثير ذكره في المعالم فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت مارية حتى نزلت آية التخيير فقالت عائشة فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
انك كنت اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك قد دخلت مع تسع وعشرين اعدهن فقال عليه السلام ان الشهر تسع وعشرون
وكان ذلك الشهر كذلك ثم قال لي يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قال ان الله تعالى
قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما الخيرتني بمقتضى هذه الآية
الكريمة فاخترت الله ورسوله ثم خير سائر نسائه كلهن فقلن مثل ما قلت رضي الله عنهن اجمعين وكان تحته يومئذ
تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة
وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية
بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وعن سائر الصحابة اجمعين والمستتر في قوله تعالى فلما نبأها به ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
والبارز في نبأها والمجرور في به ضمير الحديث الذي افشته حفصة اي فلما اخبر النبي حفصة بما اظهره الله عليه من انها افشت
سره عليه السلام قالت حفصة له عليه السلام من اخبرك هذا بناء على انها ظنت ان عائشة اخبرته بذلك ثم انه تعالى لما ذكر ان بعض ازواجه
افشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتباعد بها صاحبتها خاطبهما على سبيل الالتفات وعاتبهما بان اخبرهما ان قلوبكما زاغت عن الحق و
واوجب عليهما التوبة فقال ان تتوبا الى الله اي من التعاون الى الله بذاته عليه السلام روي عن ابن عباس انه قال لم ازل حريصا على ان
اسال عمر بن الخطاب عن قوله تعالى ان تتوبا من هما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء بيديه فتوضأ
فقلت له من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه ذكره ما سالته عنه قال هما حفصة وعائشة قوله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة اشارة الى
ان قوله تعالى فقد صغت قلوبكما جزاء الشرط من حيث ان صغو قلبيهما كان سابقا على الشرط فلا يصح كونه جزاء لان الجزاء يجب ان يكون مرتبا
على الشرط مسببا عنه بل جزاء الشرط محذوف للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا وفد لك واجب عليكما لان صغو القلب الى ما اختاره ذنب موجب
للتوبة وجمع القلوب مع ان الشخصين لا يكون لهما اكثر من قلبين لبعد الالتباس وللاحتراز عن بشاعة الجمع بين التثنيتين في
لفظ واحد قوله وقرأ الكوفيون بالتخفيف اصله تتظاهر فحذفوا احدى التائين وقرأ الباقون بتشديد الظاء بادغام التاء فيها والمعنى
وان تتعاونا على ما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره عليه السلام وجوابه ايضا محذوف وهو ما اشار اليه بقوله فلن يعدم من
يظاهره وكيف يعدم المظاهرة والله مولاه اي وليه وناصره ولفظ هو في قوله تعالى هو مولاه يجوز ان يكون فصلا لا محل له ومولاه خبر
ان ويجوز ان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبر ان وهذا الوجه هو الاولى لان المقام المقام الدال على تقوى الحكم والايذان بان نصرته

عزمة

عزمة من عزائمه تعالى وانه يتولى ذلك بذاته وفي جعله فصلا بحث لانه قد تقرر ان توسط ضمير الفصل بين المبتدا والخبر المعرفتين
يفيد الحصر واذا انحصرت الولاية له عليه السلام في الله تعالى كيف يصح عطف جبرئيل وما بعده عليه فانه لا يقال زيد هو المنطلق وعمرو بل يقال
للغير قوله رئيس الكروبيين اشارة الى وجه تعظيم جبرئيل بتخصيصه بالذكر وعدم الاكتفاء عن ذكره بذكر الملائكة والكروبيون
بتخفيف الراء بمعنى المقربين من كرب الشيء اذا دنا وقرب قيل في هذا اللفظ ثلث مبالغات احدها ان كرب ابلغ من قرب والثانية
انه على وزن فعول وهو من اوزان المبالغة والثالثة زيادة الياء فيه وهي تزاد للمبالغة كاحمري قوله وكذلك عم بالاضافة
اي ولكون المراد بالصالح جنس من امن وعمل صالحا عم باضافته لكل فرد من افراد الجنس المذكور فان اضافة اسم الجنس تفيد
العموم قوله وبقوله بعد ذلك اي والمراد بقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به يعني ان المراد بالبعدية
البعدية بحسب الرتبة والاشارة الى نصرة الله تعالى بتوسط صالحي المؤمنين لان مظاهرة الملائكة اعظم من نصرة سائر ما يكون واسطة
في نصرة الله تعالى اياه عليه السلام لانه تعالى مكن الملائكة على ما لم يكن الانسان عليه وليس المراد البعدية الزمانية لان تظاهر الملائكة على سوالاته عليه السلام
ليس بعد موالاة صالحي المؤمنين زمانا قوله ظهير بمعنى الجمع ليطابق الملائكة وافراد لفظه بناء على ان فعيلا يطلق على الواحد
والكثير كفعول وفي التنزيل خلصوا نجيا وحسن اولئك رفيقا ثم انه تعالى لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما وانه يجب عليكما ان تتوبا
شرع في تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه السلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه عليه السلام ان طلقكما لا يعود ضرر ذلك الا عليكما فانه تعالى يبدله
ازواجا خيرا منكما الا انه تعالى خاطب جميعهن مع ان الخطاب السابق ليس الا مع اثنتين منهن على تغليب المخاطب على غيره حيث عبر عن
الجميع بما يعبر به عن الحاضرين فان الخطاب السابق لما كان مع حفصة وعائشة فكنا هنا الخطاب الا انه ادخل الغائبات في الخطاب
وخوطبن جميعا بطريق تغليب الحاضر على الغائب ويحتمل ان يكون التعبير عن الجميع بقوله طلقكن بناء على قصد تعميم الخطاب
الجميع قيل كل عسى في القرآن واجب الا هذا وقيل هو ايضا واجب لكن الله تعالى علقه بشرط وهو التعليق ولم يطلقهن فان قيل
اذا لم يكن على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين الا انه عليه السلام اذا طلقهن لعصيانهن له وايذائهن اياه كان غيرهن من
الموصوفين بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا منهن وهذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة
في نفسها وكان الله تعالى عالما بانه عليه السلام لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على ان يطلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن
لقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وقوله وقرأ نافع وابو عمرو هو بالتخفيف هذا مخالف لما ذكر في التيسير
في فرش سورة الكهف من آية قرأ نافع وابو عمرو ان يبدلها وفي التحريم ان يبدله في نون والقلم ان يبدلنا في الثلاثة بالتخفيف
وقرأ الباقون بالتخفيف فينبغي ان يكون ما في الكتاب سهوا من الناسخين وتخويف لهم الا ان في الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اي ان طلقكن فعسى ربه ان يبدله وازواجا مفعول
ثان لقوله ان يبدله وخيرا صفة للازواج وكذا بعده من قوله مسلمات الى قوله ثيبات واخليت هذه الصفات كلها من العاطف
وجيء به بين الثيبات والابكار وهما صفتان ايضا لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان في واحد بخلاف سائر الصفات قوله
مقرات مخلصات فرق بين الاسلام والايمان اولا بان الاسلام هو اقرار باللسان والايمان هو الاخلاص قوله والتصديق القلبي
وثانيا بان الاسلام هو الانقياد الظاهر بالجوارح وهو لا يستلزم الايمان بالمعنى المذكور فلذلك ذكر كل واحد منهما على حدة
قوله مصليات هكذا فسره الحسن وفي الصحاح للقنوت في الاصل هو الطاعة ومنه قوله تعالى والقانتين والقانتات ثم سمي القيام
قنوتا وفي الحديث افضل الصلوة طول القنوت ومنه قنوت الوتر وفيه ايضا العبودية للخضوع والذل والتعبيد التذليل

وطريق حصداى مذلل والعبادة الطاعة والتعبيد التذليل ثم انه تعالى لما عاتب نساء النبي صلى الله عليه وسلم دلهن على رشد من امر الناس جميعا بطاعة الله تعالى والانتهاء عما نهاهم عنه وبان يامروا ازواجهم واولادهم بذلك يعلموهم الخير فقال يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم قوله قوا امر بجماعة الحاضرين من وقاه يقيه اى حفظه قال عمر رضى الله عنه يا رسول الله نقى انفسنا فكيف لنا باهلينا قال عليه السلام تنهوهم عما نهاكم الله عنه وتامروهم بما امركم الله به قوله تعالى نارا مفعول ثان لقوله قوا لان وقى يتعدى لمفعولين كما فى قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وقوله وقودها الناس صفة لنارا والوقود بفتح الواو والحطب بالضم مصدر بمعنى التوقد وقرئ به فلا بد من تقدير مضاف اى ذوا وقودها قوله يلى امرها اى ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليه بقوله عليها الاستعلاء الحسى الحقيقى بل المراد الاستعلاء المعنوى وهو الاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور قوله غلاظ الخلق شداد الخلق لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب تقتضى جبلتهم تعذيب الخلق كما ان مقتضى جبلة الحيوان الاكل والشرب ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة لو ضرب احدهم بمقمعة ضربة واحدة سبعين الفا لهووا فى النار وقال عليه السلام فى حق خزنة جهنم ما بين منكبى احدهم كما بين المشرق والمغرب قوله فيما مضى فيما يستقبل لما توهم اتحاد الجملتين من حيث المعنى لان العصيان عبارة عن مخالفة الامر وترك المامور به فيكون انتفاء العصيان باتيان المامور به فيكون قوله ويفعلون ما يؤمرون على قوله ما امرهم وثانيا بقوله ما يؤمرون فاختلف الجملتان باختلاف المتعلق وتقرير الوجه الثانى ان المراد بعدم العصيان تقبل ما اوجبه والالتزام باتيانه من غير استثقال وتردد وبفعل ما امروا اتيانهم بها التزموه ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بترك المعاصى وفعل الطاعات بين لهم بان العذر لا يقبل يوم القيامة فقال يا ايها الذين كفروا الآية ثم نبه المؤمنين على ان طريق وقاية الانفس من هول النار التوبة النصوح فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا قوله اى بالغة فى النصح اشارة الى ان نصوحا من ابنية المبالغة مثل صبور وشكور والنصح والنصاحة خلوص الود وصفاء المحبة قال الاصمعى الناصح الخالص من العسل وغيره مثل الناصح وكل شىء خلص فقد نصح وقيل النصح الصدق من قولهم نصحت الابل الشرب تنصح نصوحا اى صدقته والصحتها انا اى اوردتها ومنه النصوح وهى الصادقة التى تقلع بها صاحبها عن المعصية قلبا وقالبا ويندم على ما صدر منه كما للندامة ونصح التوبة بمعنى صدقها يستلزم كون صاحبها ناصحا نفسه خالصا فى ارادة الخير لها فان التائب اذا صدق الله تعالى فى توبته بان توجه اليه بكليته راجعا عن المعصية باتم وجه فقد نصح وخلص نفسه بتوبته على الوجه المذكور فلذلك لم يتعرض المصنف لتفسير النصح بالصدق وقال وهو صفة التائب وجعل اسناد النصح الى التوبة اسنادا مجازيا كما فى جد جده قوله او فى النصاحة عطف على قوله فى النصح اى وقيل كون التوبة نصوحا عبارة عن كونها بالغة فى خياطة ما خرقته الذنب واصلاحه لجوهرى النصح بالفتح مصدر قولك نصحت التوبة خطته يقال ومنه رفات الثوب خطه يقال ومنه رفات الثوب ارفاه رفا اذا اصلحت ما وهى منه وربما لم يهمز قوله تقديره ذات نصوح ذكر لانتصاب نصوحا على تقدير كونه مصدرا ثلثة اوجه الاول انه صفة توبة بتقدير المضاف ويجوز ان يكون من باب التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل والثانى انه مصدر موكد لفعل المحذوف والجملة صفة توبة اى ينصحهم نصوحا والثالث انه مفعول له اى لاجل النصوح لانفسكم قوله يجمعها ستة اشياء زاد الكشاف سابعا وهو قوله وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصى المذكور على انه سبعة اشياء لكن رد المظالم واستحلال الخصوم فى حكم شىء واحد حيث اشتراكهما فى كون الذنب تاب منه من حقوق العباد كما ان

ان قوله

قوله [illegible]

ان قوله والمغرايض الاعادة على تقدير ان يكون الذنب حقا لله تعالى كترك صلوة او صوم او تفريط زكوة فان التوبة من امثالها لا تصح حتى تنضم الى الندم قضاء ما فات منها كما انه قيل ان كان الذنب من حقوق الله تعالى فالتوبة منه تكون بالاعادة والقضاء وان كان من حقوق العباد فلا يخلو اما ان يكون ماليا او متعلقا بالعرض فان كان ماليا فالواجب رده ان كان باقيا ورد عوضه ان كان تالفا ان كان متعلقا بالعرض كالسفاهة والغيبة فالواجب استحلال الخصم قوله عطف على النبى اى ولا يخزى الذين آمنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستانفا او حالا وان جعل الموصول مبتدأ ونورهم يسعى خبره يكون خبرا بعد خبر ثم انه تعالى لما عاتب ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهن الى ما هو اصلح لهن ثم خوف المؤمنين بعذاب الآخرة ودعاهم الى التوبة النصوح ودعا النبى صلى الله عليه وسلم الى الجهاد ودعاه على طالمغة الى ما هو الاصلح لها فقال يا ايها النبى جاهد الكفار ثم انه تعالى لما حكم بان مأوى الكفار والمنافقين جهنم فزعم الذين بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم او بينهم وبين المؤمنين نسبة ووصلة بسبب ان ينتفعوا بها فابطل الله تعالى زعمهم بان مثل حالهم بحال امراتين كافرتين كانتا تحت نبيين فانهما لم ينتفعا بالانتساب الى ذينك العبدين المكرمين عند الله تعالى لتحقق المخالفة بينها وبين زوجها فى الطريقة والسيرة فكذلك الكفار والمنافقون لا ينتفعون بالانتساب الى المقربين عند الله تعالى وفى ضرب هذا المثل نوع تعريض بامى المؤمنين حفصة وعائشة رضى الله عنهما بان وصلتهما بالنبى صلى الله عليه وسلم لا يغنى عنهما من الله شيئا اذا عصين وتظاهرن على ما يسوءه ولذلك ذكر امراتين تحت نبيين قوله كانتا تحت عبدين جملة مستانفة لبيان حال الامراتين حتى يتضح التمثيل قوله يريد به اى بوضع الظاهر موضع الضمير فان الظاهر ان يقال كانتا تحتهما لتقدم ذكر نوح ولوط عليهما السلام قوله بالنفاق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان خيانتهما لم تكن بالبغى لانه ما بغت امراة نبى قط وانما خانتا بسبب انهما على غير دين زوجيهما بالشرك والنفاق قطع الله بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ثم طمع ان ينفعه صلاح غيره ثم انه تعالى لما مثل حال الكفار بحال امراتين نوح وامراة لوط فى انهما لم ينتفعا بصلاح زوجيهما مثل ايضا حال المؤمنين بحال امراة فرعون فى انها لم يضرها وصلة الكافر وجوزيت على حسب اخلاصها وصبرها على اذية الكفار لثباتها على دينها وبحال مريم ام عيسى عليهما السلام فى انه تعالى اكرمها بحسب صلاحها فى نفسها مع كونها ارملة لا زوج لها صالح ولا طالح فقال وضرب الله مثلا للذين آمنوا الآية وضرب بمعنى جعل وصير ومثلا مفعوله الاول وامراة فرعون مفعوله الثانى بتقدير المضاف اى جعل الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون والمثل المقدر بمعنى الحال والقصة القريبة فلذلك تعلق به الظرف وهو قوله اذ قالت اى شبه حالهم بحالها وقت قولها رب ابن لى عندك بيتا وليس المراد بالعندية فيه عندية المكان وهو ظاهر بل انها طلبت القرب من رحمة الله تعالى والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب فقالت فى الجنة ويحتمل ان يكون قولها عندك كناية عن ارتفاع درجتها فى الجنة كانها قالت رب ابن لى بيتا رفيعا فى جنة المأوى التى هى اقرب الجنان الى العرش روى انه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت آسية امراة فرعون وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس قيل امر فرعون بان يلقى عليها صخرة وهى فى الاوتاد فدعت الله تعالى بقولها رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فرفع روحها الى الجنة فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وقيل استانف وملت صحبة فرعون فسالت ذلك فكشف الله تعالى عن بيتها فى الجنة حتى راته قبل موتها قوله فى فرجها قال المفسرون المراد بالفرج ههنا الجيب ان جبريل عليه السلام مد جيب درعها باصبعيه ثم نفخ فى جيبها فحبلت بعيسى فعلى هذا يكون قوله تعالى فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بالفرج فى قوله تعالى احصنت فرجها هو العضو واريد بضميره معنى آخر للفرج وهو جيب القميص فان كل خرق فى الثوب يطلق عليه لفظ الفرج ومنه قوله تعالى وما لها من فروج قال صاحب

الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع واختار ان يحمل على اصل معناه العرفي وصفها الله تعالى بقوله احصنت فرجها
ابطالا لافك من قذفها بالزنا والعياذ بالله تعالى فنفخنا من باب اسناد الفعل الى السبب الامر والاصل نفخ جبريل بامرنا من روحنا
اى رحمة من ارواحنا وهو روح عيسى عليه السلام قوله اى في مريم قيل فعلى هذا يدل الكلام على احياء مريم لان نفخ الروح في الجسد عبارة
عن احيائه وليس المراد احياء عيسى عليه السلام في بطن مريم فينبغي ان يكون تقدير الكلام حينئذ نفخنا الروح في عيسى فيها بمعنى احييناه
فيها قوله كفضل الثريد على سائر الطعام فان العرب لا يؤثرون على الثريد شيئا من الطعام وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين
العذابة مع اللقة وسهولة التناول ونحو ذلك سورة الملك مكية بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى تبارك قال ابن عباس رضي الله عنهما اى تعالى وتعاظم عن صفة المخلوقين الذى بيده الملك على كل موجود لا متصرف في العالم
غيره لا تقديم الظرف يفيد الاختصاص قيل انه تفاعل من البركة وهى النما والزيادة اى كثرت بركات اسمائه وصفاته ووصلت
صنوف احسانه الى جميع خلقه قوله بقبضة قدرته التصرف يعنى ان اليد مجاز بمعنى القدرة وهى الصفة المؤثرة على وفق الارادة شبهت
هذه الصفة في الغالب بالجارحة التى هى معظم مبادى التاثير في الشاهد فعبر عنها باسم هذه الجارحة والملك الاستيلا على التصرف
في الموجودات كلها ويدل عليه اطلاق الملك وتعريفه باللام للاستغراق ولانه مسوق لمدح ذاته وتعظيم شانه ومقام المدح
والتعظيم يستدعى الحمل على العموم قوله على كل من يشاء اشارة الى ان الشيء مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الامير ومعنى مشى
الوجود وما شاء الله وجوده وان كان موجودا في الحال الا ان مشية الوجود تستدعى سبق العدم فيكون معدوما ممكنا
ولا يتناول الواجب والممتنع بين الله تعالى بقوله بيده الملك انه مستولى في على التصرف في الموجودات كلها وبقوله وهو على كل
شيء قدير تكميلا لقوله بيده الملك فان قلت ما ذكرته يدل على ان الشيء اعم من الموجود والمعدوم الممكن ونحن لا نقول به بل هو
مذهب وايضا قولك الشيء لا يتناول الواجب والممتنع ينافى قوله قل اى شيء اكبر شهادة قل الله فانا نسمى الله شيئا لا كالاشياء
بمعنى مشى الوجود لا ينافى كون الشيء مختصا بالوجود لان ما شاء الله وجوده موجود في الحال لان مراد الله تعالى لا يتخلف عن ارادته
وقولنا الشيء لا يتناول الواجب هو الشيء بمعنى مشى الموجود ولا الشيء بمعنى الشاء فان الشيء اذا اطلق على البارى تعالى يكون بمعنى الشاى
واما في قوله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل فان الشيء فيهما بمعنى مشى الوجود فلا حاجة الى ان يقال انه من قبيل المخصص بدليل
العقل واحتج جهم بهذه الآية على انه تعالى ليس بشيء فقال لو كان شيئا لكان قادرا على نفسه وخالقا لنفسه وهو محال ونحن
نقول انه تعالى ليس بشيء بمعنى انه مشى الوجود ولا يلزم منه ان لا يكون شيئا اصلا لانه تعالى شيء بمعنى انه شاء قوله او اوجد الحياة
وازالها جواب عما يقال الحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما
وبالاحساس والحركة والارادة فكونها متعلقة للخلق ظاهر واما الموت فهو صفة عدمية لكونها عبارة عن عدم
هذه الصفة عن محل يقبلها فكيف يكون متعلقا للخلق وهو عبارة عن الايجاد والتكوين فلا يتعلق الا بما يقبل
الايجاد فاجاب عنه اولا بان الخلق وان كان يستعمل في الايجاد الا انه في الاصل بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم اذا
قدرته قبل القطع قال الحجاج ما خلقت الا فريت ولا وعدت الا وفيت والخلق ههنا بمعنى التقدير وثانيا بانا
نسلم ان الموت صفة عدمية بل هو صفة وجودية مضادة للحيوة كالحرارة والبرودة يقبل كل منهما الايجاد والتكوين
الا ان ايجاد احد الضدين لما كان مستلزما لازالة الآخر عن محله عبر عن ايجاد الموت بازالة الحياة واحتج اهل السنة بهذه الآية
على ان الموت صفة وجودية وقالوا انه لو كان امرا عدميا لما تعلق به الخلق والتكوين قوله وقدم الموت مع ان الحياة متقدمة

على الموت

على الموت اما لان المراد بالموت الحالة القائمة بالنطفة والعلقة والمضغة وبالحيوة الحالة المرتبة على نفخ الروح في الجنين واما
لان المقصود من سوق الآية تحريض المكلفين على احسن العمل على هذا المقصود بالنسبة الى الحياة فان نصب الموت بين العينين
اقوى الزواجر عن المعاصى واقوى الدواعى الى احسن العمل ولا شك ان ما هو ابلغ في التادية الى الغرض المسوق اليه الكلام اهم مقدم
على الثانى قوله ليعاملكم معاملة المختبر يعنى ان البلوى وهو الاختبار والامتحان ليس على حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه
عاقبة الامور بل هو وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهى ان يشبه صورة منتزعة من عدة امور بصورة اخرى مثلها
ويدعى دخول الاولى في جنس الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز في مجموع ذلك اللفظ المركب
لا في مفرداته بل هى باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا كما في قولك انى اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى فكذا في هذه الآية الكريمة
شبهت حالة بقاء المخاطبين الذين كلفهم الله بالاوامر والنواهى بعد ما مكنهم من فعل الطاعات والمعصية وبقى لهم عاقبة كل
واحد منها حتى يظهر منهم ما ثبت في علمه الازلى من طاعة المطيع ومعصية العاصى فيجازيهم على حسب علمه بما صدر عنهم فانهم
لا يستحقون الثواب والعقاب بما في علمه تعالى بل بما كسبوه باختيارهم بحال المختبر مع المخبر فاستعارة العبارة الموضوعة للدلالة على
حال المختبر مع المخبر بحاله تعالى مع المخاطبين وما يظهر بخلق المكلفين ويكلفهم من طاعتهم ومعصيتهم باختيارهم غير ما تعلق به العلم الازلى
منها فان العلم الازلى يتعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار انهما سيقعان واقتنان لان ذلك لا يكون علما وما يظهر بخلقهم وتكليفهم هو تحققهما
ووقوعهما بالفعل فمن معنى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعلم هذا المعنى واقعا بعد ما علم انه سيحصل ولا يلزم منه تجدد علمه تعالى
وحدوثه بل التجدد انما هو في جانب المعلوم وزعمت الفلاسفة انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلى هربا عن تجدد علمه تعالى وذهبت المسلمون
الى انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئى فيعلم عند وجوده انها وجدت وعند عدمها انها عدمت كما انه تعالى يعلم في الازل انه سيوجد
في وقت ويعدم في وقت آخر فلا يعتبر في علمه الازلى بل المعتبر في تعلقاته على حسب تغير المعلوم واللام في قوله تعالى ليبلوكم تدل على ان افعاله تعالى
معللة بمصالح العباد كما زعمت المعتزلة وعند اهل السنة ليس الكلام محمولا على ظاهره لقيام الدليل على انه تعالى لا يفعل لغرض بل المقصود
بيان الحكمة المترتبة على فعله تشبيها لها بالعلة الغائية في ان كل واحد منها مترتب على وجود الفعل فان قيل الابتلاء انما يكون بالاحياء والتكليف
فما معنى خلق الموت للابتلاء والجواب عنه يعلم من قوله انفا ولانه ادعى الى حسن العمل فان معنى الآية انه تعالى اعطاكم الحياة التى تقدرون بها
على العمل وتتمكنون بها منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح من حيث ان وراءه البعث والجزاء الذى
لا بد منه لبقاء الحكمة ومكنكم ليعاملكم معاملة المختبر ويظهر ما في علمه الازلى ويتميز المطيع عن العاصى فيجازى كل احد بما يستحقه قوله
اصوبه واخلصه فان احسن الاعمال ما كان اصوب بان يكون موافقا للسنة واخلص بان لا يشوبه شيء سوى ابتغاء وجه الله والعمل اذا كان
خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لوجه الله تعالى لم يقبل ايضا وفسر حسن العمل في تحسين العقل لان حسن العمل يترتب
على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا فان من تم عقله يكون اشد خوفا من الله تعالى واكثر للموت ذكرا واحسن للموت استعدادا
قوله جملة واقعة يعنى ان قوله تعالى ايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثانى لفعل البلوى وقوله
المتضمن الخ دفع لما يقال من ان فعل البلوى يتعدى الى مفعول واحد بنفسه وانما يتعدى الى الثانى بواسطة الباء وقد اخذ ههنا مفعوله
وهو الضمير المنصوب المتصل فكيف يصح ان يقال انه يستدعى مفعولا ثانيا يتعدى اليه بنفسه وان الجملة الاسمية واقعة موقعه وتقرير الدفع
نعم ان الامر كذلك الا انه متضمن لمعنى العلم فكانه قيل ليعلم ايكم احسن عملا وبذلك الاعتبار استدعى مفعولا ثانيا سدت الجملة الاسمية
التى بعده مسده ثم ان فعل البلوى لما كان في قوة افعال القلوب التى من خصائصها ان تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت ازيد

افضل ام عمرو وبالاسم المتضمن للاستفهام كقوله تعالى لنعلم اى الحزبين احصى احتمل ان يكون معلقا عن مفعول الثانى لكونه متضمنا لمعنى الاستفهام فانك اذا قلت انى اعلم ايكم افضل كان المعنى اعلم ازيد افضل ام عمرو اعلم لا يعمل فيما بعد الف الاستفهام فكذا لا يعمل فى اى لاتحاد المعنى فالمصنف دفع هذا الاحتمال بقوله وليس هذا من باب التعليق وتقرير دليله اذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة مصدرة بكلمة الاستفهام لا يكون الفعل معلقا عن الجملة الاستفهامية خبرا او الانشاء لا يقع خبرا كما هو المشهور عند النحويين وبيان الملازمة انه على تقدير التعليق ويكون اعراب الجملة المعلق عليها كاعرابها اذا لم يتعلق عليها فعل القلب فيلزم ما ذكر من كون الانشاء خبرا بخلاف ما اذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين فان التعليق ح لا يستلزم وقوع الانشاء خبرا وهو ظاهر واستدل الزمخشرى على ان قوله الفعل لا يعلق عن الجملة الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثانى لان الفعل لا اثر له فى لفظ الجملة بل فى محلها فاذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى غيره لا جملة وجب ان لا يفرق بين كونها مصدرة باداة التعليق وغير مصدرة بها صورة او لفظا كما فى قولك علمت زيدا ابوه قايم وعلمت زيدا لابوه قايم فان عملت على لبيد لا فى محل ابوه قائم سواء صدرت الجملة باداة التعليق ام لا فلا وجه لجعل الاول من باب الاعمال والثانى من باب التعليق بل ينبغى ان يكون كلاهما من باب الاعمال نقل عن الزمخشرى انه قال اذا قلت علمت لزيد منطلق فهذا تعليق للفعل عن العمل فى اللفظ والصورة وكذا يمنع الفعل عن العمل فى الصورة اذا وقع بعده ما يوجب صدر الكلام فلا يعمل الفعل المعلق فيما بعده والته لفظا محافظة على صدارته ويعمل لفظا وتقديرا لان معنى قولك علمت لزيد منطلق علمت انطلاق زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزئين ومن شرط التعليق عند النحويين ان لا يدرك من جنس المفعولين كما فى قولك علمت ايهم اخوك وعلمت لزيد منطلق اما اذا قلت علمت القوم ايهم افضل فهذا الكلام صحيح فى نفسه لكنه ليس من باب التعليق عندهم واذا كان كذلك فليس ما نحن فيه وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس من باب التعليق فى شئ لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب وذكر فى شرح الرضى انه اذا اصدر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وعلمت بكرا ايو من هو وجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين جميعا لان معنى الاستفهام يعم جميع ما وقع بعد علمت كانه قيل علمت زيد وعلمت ايو من بكر وليس بقوى لاتفاقهم على النصب فى علمت زيدا اما هو قائما مع ان المعنى علمت ما زيد قائما قوله اذا احصفتهما طبقا على طبق اى اذا اهر رتهما واضعا طبقاتها بعضا على بعض قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلصقان بعضه على بعض ليستترا به عورتهما وقوله تعالى طباقا اما مصدر بمعنى المطابقة وصفت به سبع سموات للمبالغة فى مطابقة بعضا او مصدر موكد لفعل المحذوف والجملة صفة سبع قوله او ذات طباق عطف على قوله مطابقة اى يجوز ان يكون طباقا جمع طبق كجبل وجبال او جمع طبقة كرحبة ورحبات فلا بد من تقدير المضاف اى ذات طباق فهو ايضا صفة لسبع ورحبة المسجد بالتحريك ساحته رحب رحاب ورحبات قوله صفة ثانية اشارة الى ان طباقا صفة على التقادير كلها كما قررناه ولما جعل صفة ثانية وقد ان الجملة الواقعة صفة لا بد من كونها مشتملة على ما يعود الى الموصوف بها جعل خلق الرحمن من وضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم لان موضوع العظيم عظيم والاصل ما ترى فيهن وقوله من تفاوت مفعول ترى ومن مزيدة فيه قوله والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك وجه الاشعار ان اضافة المصدر تفيد العموم فخلق الرحمن يعم كل مخلوقة فتشمل بذلك لعمومه قوله وان فى ابداعها نعما ووجه الاشعار به ان اضافة خلقها الى الرحمن يدل على ان خلقها رحمة بالغة ونعمة جليلة قوله متعلق به اى بقوله ما ترى التشبيه اخبر انه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر اى اوقع نظرك الى السماء مرة بعد اخرى حتى يصح عندك ما اخبرت به بطريق المعاينة اذ ليس الخبر كالمعاينة فالفاء للسببية يدل على ان الاخبار بعدم التفاوت سبب لان يومر المخاطب برجع البصر ليتحقق عنده حقيقة الحال ورجع يجى لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره قوله فى ارتياد الخلل اى فى طلبه يقال راده يروده رودا وريادا و

وارتاده ارتيادا بمعنى اى طلبه قوله كما فى لبيك وسعديك فان اصلها الب لك البابين اى اقيم بخدمتك اقامة بعد اقامة ولا ابرح عن مكان الخدمة ابدا واسعدك اى اعينك اسعادتين فان اسعد يتعدى بنفسه بخلاف الب فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر فيها للتكثير كما فى نحو كرتين ومرتين وقوله كرتين منصوب على المصدرية للفعل السابق من غير لفظه فان المعنى ثم ارجع البصر رجعتين اخريين وليس المراد رجعتين اثنتين فقط بل المراد ان تكرر النظر اليها مرارا كثيرة بشهادة قوله وهو حسير فان فعيل بمعنى الفاعل من الحسور وهو الاعياء فقوله وهو حسير معناه انه بالغ غاية الاعياء والكلال ومن المعلوم ان البصير لا يبلغ غاية الكمال برجعه كرتين اثنتين فقط قوله طردا بالصغار تنبيه على ان قوله خاسئا اسم فاعل من خسا اللازم بمعنى تباعد وهرب مع الصغار والذلة فان قيل خسا الكلب بنفسه فمعناه تباعد عن هوانه وخوفه كانه زجر وطرد عن مكانه بالذلة وخسا يستعمل لازما ومتعديا يقال خسات الكلب اى طردته وخسا الكلب بنفسه ولا يجوز ان يكون خاسيا فى الآية مشتقا من المتعدى الا ان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا مطرودا روى عن ابن عباس انه قال الخاسى من البصر ومن الضمير المستتر فى خاسيا فتكون حالا متداخلة واعلم انه تعالى لما قال وهو العزيز الغفور ومن المعلوم ان كونه عزيزا غفورا لا يتم الا بعد كونه قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات استدل اولا على كمال قدرته بقوله الذى خلق سبع سموات طباقا ثم استدل على شموله علمه بقوله ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ثم ذكر ما يدل على كونه قادرا عالما فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب من حيث كونها مشتملة على حكم ومصالح لا تحصى تدل على كون صانعها عالما حكيما قوله اقرب السموات الى الارض اشارة الى ان الدنيا تانيث الادنى بمعنى الاقرب وان كون السماء اقرب انما هو بالنسبة الى ما تحتها من الارض لان القرب بالنسبة الى العرش هى السماء السابعة والمصابيح السراج استعيرت للكواكب تشبيها بها فى الاضاءة والتنوير قوله ولا يمنع ذلك جواب عما يقال قد اتفق اهل الهيئة على ان الكواكب الثابتة مركوزة فى الفلك الثامن فعلى تقدير صحة ما ذهبوا اليه كيف يوجه قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا وتقرير الجواب ان كون الثوابت زينة السماء الدنيا لا يقتضى كونها مركوزة فيها لجواز كونها مركوزة فيما فوقها من السموات وتكون ظاهرة فيها وزينة لكون السموات شفافة لا تحجب بعضها ما كان مركوزا فيما فوقها قوله رجوما لاعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها اى بسقوطها يقال نقض الحائط اذا اسقط وكذا نقض الطاهر والشهب جمع شهاب وهى شعلة نار ساقطة تنفصل من نار الكواكب وليس ما يرجم به الشياطين نفس الكواكب بل هى قارة ثابتة فى مواضعها لم تنقص شى منها الرجم مع ان بهذه الشهب يرمى بها من قديم الزمان وهذا معنى قوله بانقضاض الشهب المسببة عنها فان الشهب لما تنقض لرمى المسترقة من الشياطين منفصلة من نار الكواكب هى قارة فى الفلك على حالها كقبس يوخذ من النار والنار ثابتة بكمالها فى موضعها روى ان السبب فى جعلها رجوما ان الجن كانت تسمع لخبر السماء فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حرست السماء ومنعت من تقرب الشياطين اليها فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمى بشهاب فاحرقته لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيلتبس على الناس امر النبوة بامر الكهانة وهذا لا يستلزم ان لا يكون هذه الشهب موجودة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم البتة بل يجوز ان توجد قبلها لاسباب اخر فان قدماء الفلاسفة ذكروا وقوعها واسبابه فى كتبهم وانما يدل على ان ذلك جعل بعد البعثة ما ترجم به الشياطين عن ابن عباس قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الصحابة رضى الله عنهم اذ رموه بنجم فانار فقال ما كنتم تقولون اذا حدث مثل هذا فى الجاهلية مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم قال صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر فى السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء ويسبح اهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهى ذلك الخبر من سماء الى سماء

الكشاف افض الا ان ينتهي الخبر الى هذه السماء وتحفظه الجن فيخبرون فما جاؤوا منه فهو الحق الا انهم يزيدون فيه قوله وقيل معناه وجعلناها رجوما
ابطلا لغو وظنونا اى قيل انه ليس من الرجم بمعنى الرمي بل هو من الرجم الذي هو ان يتكلم الرجل بالظن كما في قوله تعالى رجما بالغيب عن قتادة قال خلق
اى رجم في اى الله تعالى النجوم لثلاث كونها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر والاوقات فمن تأول فيها
عن او جملة غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم ولما ذكر ان الكواكب من جملة منافعها ان ترجم بها الشياطين في الدنيا بين ان لهم
فيها قوله الملاء في العقبى عذابا فوق ذلك وهو ما اعده الله لهم من عذاب السعير قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير كقولك مقتول
العذا ضراء وقتيل واحتج اصحابنا بهذه الآية ان النار مخلوقة الآن لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضي ان الله تعالى لما اثبت كمال قدرته وعلمه
قوله ثم الفهم بما ذكره من الدلائل وبين بذلك صحة اثابة من احسن عملا وعقاب من اساء ساق الكلام الى ان ذكر انه اعد لهم من الوجهين
غيره لا جملة و بالشهب من الشياطين عذاب السعير وذكر بعدها ان عذابها لا يختص بهم بل يعم الكفرة فقال تفصيلا لاحوال كل واحد من العصاة
صنوف لابو والمطيعين وعذاب جهنم في قراءة الجمهور مرفوع على الابتداء وقوله وللذين كفروا خبره قدم عليه وقرئ بنصب عذاب على طريق عطف المنصوب
بهذه من با على المنصوب والمجرور على المجرور وشبه صوت لهب جهنم بشهيق الحمار فاطلق عليه اسم الشهيق وهو آخر صوت الحمار والزفير اوله وقيل الشهيق
في الموء عن ان في الصدر والزفير في الحلق قال مقاتل اذا طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقا وقال عطا سمعوا لاهلها
والتو لفظ لمن تقدم طرحهم فيها شهيقا على حذف المضاف قوله وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم جواب عما يقال ليست النار من الاحياء التي
الوج لخزنة من شانها الغيظ فكيف وصفت به فاجاب عنه اولا بحمل الكلام على التمثيل شبه اشتعالها بهم في قوة تاثيرها فيهم وايصال الضرر
ولا في ايهم اليهم باعتبار المغتاظ على غيره المبالغ في ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال فالتمثيل بمعنى التشبيه ويحتمل
شئ في التع ان يكون بمعنى التخييل بان تشبه جهنم في النفس لشدة غليانها باهلها وقوة صوت اهلها بالانسان المغتاظ على غيره وتثبت لها لازم
مذه القلب المشبه به وهو الغيظ دليلا على التشبيه المضمر في النفس والغيظ اشد الغضب والغضب ثوران دم القلب لارادة الانتقام
بعد جميع والتغيظ اضمار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فقد ورد في بعض الاخبار اتقوا
وقد ماذيا الغضب فانه جمرة في قلب ابن آدم الم تر الى انتفاخ اوداجه نذير جمع ايضا صرف الجواب ونفي الجملة المخاطب بها من انهم
وا الجنة لو اقتصر على قولهم بلى لفهم مرادهم لزيادة التحسر والاغتنام على تفريطهم في قبول قول النذير قوله وبالغنا في نسبتهم الى الضلال
الى في مد اشارة الى ان قوله ان انتم الا في ضلال كبير اعتبرها من مقالة الكفار اى وقلنا لهم ما انزل الله من شئ على السنتكم ان انتم
في طو يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بعدل الله تعالى واقروا بانه تعالى ازاح عنهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه
واز سا وتكذيبهم الرسل ثم اعترفوا بجهلهم حيث قالوا وهم في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا اليوم في اصحاب السعير روى عنه عليه السلام
وبا ان في اذ قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يعبد ربه وقال عليه السلام ان الرجل ليكون من اهل الصدقة
هذا لان والصيام وممن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة الا على قدر عقله وقال عليه السلام الاحمق يصيب
الا وجه بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم قوله فالنذير
قد ان اما بمعنى الجمع على تقدير ان يكون قوله تعالى ان انتم الا في ضلال كبير من جملة كلام الكفار وخطابهم للمنذرين لا بد ان يكون
نذ ثم في النذير بمعنى الجمع ليصح خطاب النذير ان انتم او يكون مصدرا بمعنى الانذار كالوجيف والانين على حذف المضاف
الا قال او على انه مصدر وصف به المنذرون للمبالغة كانهم لكثرة الانذار وعلوهم في ذلك واتفاقهم فيه ابوا الا نذار
على بحيا او واحدا قوله والواحد عطف على قوله الرسل في قوله اى فكذبنا الرسل اى ويجوز ان يكون نذير بمعنى منذر واحد

ويكون

ويكون قوله ان انتم خطابا له ولامثاله قوله او اقامة تكذيب الواحد عطف على التغليب قوله ويجوز ان يكون الخطاب اى عطف
على ما يفهم من قوله وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فانه يدل على ان قوله ان انتم من جملة قول الكفار وخطابهم للرسل وان كان
الخطاب من الزبانية يكون مرادهم من ضلال الكفرة ما كانوا عليه في الدنيا من ضلالهم في باب الاعتقاد والعمل او ما كانوا
عليه في جهنم من العقاب بطريق تسمية عقاب الضلال ضلالا او على ان يكون الضلال بمعنى الضياع والهلاك يقال ضل الشئ
اذا ضاع وهلك قوله اى فاسحقهم الله سحقا يعني ان سحقا منصوب على انه مصدر موكد لفعله المحذوف نائب المصدر
مناب عامله في موضع الدعاء كما في رعيا وسقيا وجدعا وهذا من المواضع التي فيها حذف المفعول المطلق فيه سماعا واختلف
النحاة في انه مصدر لفعل ثلاثي او لفعل رباعي جاء على حذف الزوائد فذهب اكثر النحاة الى انه مصدر اسحقه الله
اى ابعده والسحق البعد وكان القياس ان يقال اسحاقا الا انه جاء المصدر على الحذف كما في قوله فان اهلك فذاك
كان قدري اى تقديري ومن جعله مصدر الفعل ثلاثي بنى كلامه على انه سمع سحقه الله ثلاثيا ولم يلتفت المصنف اليه
لان استعمال الثلاثي متعديا في غاية الندرة وانما يستعمل لازما فيقال سحق الشئ بضم العين فهو سحيق اى بعيد واسحقه الله
اى ابعده وقرأ العامة سحقا بسكون الحاء وقرئ بضمتين وهما لغتان والاصل ان المثقل اصل للمخفف واللام في قوله لاصحاب السعير
للبيان سيما دهب لك وسقيا لك قوله والتغليب للايجاز والمبالغة هكذا في اكثر النسخ ووجد في بعضها والتغيير بدل التغليب
والحق في نظم الآية تغليب بالمعنى المتعارف لان جميع ابواب التغليب من باب المجاز لاشتراك الجميع في كون اللفظ مستعملا في غير ما وضع له
والحق في قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير لفظ مستعمل في غير ما وضع له غاية ما في الباب ان يطلق اصحاب السعير على الكفرة
الذين كذبوا الرسل واستعمال العام في الخاص وان سلم كونه مجازا فليس من باب التغليب مع انه ليس مستعملا في الخاص بل هو مستعمل
في اصل معناه وهو من يلابس السعير ويدخلها سواء كان خالدا فيها او لا كما في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام يا صاحبي
السجن فاطلاق اصحاب السعير واهل السعير على من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين حقيقة لكونه استعمالا
للفظ فيما وضع له فلا يكون من باب التغليب العرفي فان كانت عبارة التغليب كل البعد بعض السلف من المحققين
اعتمد على النسخة التي وقع فيها عبارة التغيير بدل التغليب حيث قال قوله في سورة الملك والتغيير للايجاز والمبالغة
والتعليل يريد ان الاصل ذكر العقل والاتيان بالضمير لكن غير الاسلوب فحذف الفعل للايجاز وهو ظاهر والمبالغة بان
ذكر السحق اولا مبهما لانه من غير بيان من يستحقه وانه لمن هو ثم جاء بقوله لاصحاب السعير بيانا للمعين بالدعاء ولو ذكر
الصلات بهذا المعنى وكثيرا ما يترك البيان للعلم كما يقال حمدا وشكرا وعدل عن ذكر الضمير للتعليل فان علة اللعن
ليس هو اعترافهم بذنوبهم بل كونهم من اصحاب السعير باعتبار الكفر والتعذيب ووقع في بعض النسخ والتغليب بدل قوله والتغيير
وهو سهو من قلم الناسخ اذ لا وجه له اصلا هذا كلامه بعبارته وذكر قدوة المحققين وعمدة المشايخ السالكين شيخ عبد الرحيم
المعروف بحاجي چلبي سلمه الله انه سمع من لفظ المولى خواجه زاده رحمه الله انه استوصب عبارة التغيير وقطع
بان عبارة التغليب خطاء والله اعلم قوله غايبا عنهم على ان يكون بالغيب حالا من المضاف المقدر وعلى الثاني يكون حالا من فاعل
يخشون وعلى قوله او بالمخفي عنهم تكون الباء للآلة وتكون متعلقة بيخشون وتكون الالف واللام في قوله بالغيب بمعنى الذي قوله
ان الذين يخشون ربهم اما جملة استينافية او وردت جوابا للسؤال الناشئ عن بيان حال الكفرة فكانه قيل فما حال من
احسن عملا فاجيب به ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفرة ووعد المؤمنين على سبيل المعاينة رجع بعد ذلك الى خطاب الكفار فقال

واسروا قولكم او اجهروا به قيل انهم كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فيقول بعضهم لبعض
اسروا قولكم كي لا يسمع اله محمد فنزلت آية واسروا قولكم او اجهروا به فظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه
الاخبار بانه لا فرق بين اسرار ما تخوضون فيه من الاقوال والافعال واعلانه في علم الله تعالى بذلك واحذروا عن ارتكاب ما يكون
معصية سرا كما تحذرون عنه جهرا ثم علل استواء الامرين في علمه تعالى بذلك فقال انه عليم بذات الصدور وقيل ان يعرب بها اصلا
لا سواء لاجهرا فعلمه تعالى بما بعد التعبير عنها اولى ثم استمراره عن علم شيء من مضمرات الصدور وبما عبر عنه سرا وجهرا فقال
الا يعلم من خلق والحال انه هو اللطيف الخبير وقوله من خلق يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه فاعل يعلم ومفعوله محذوف وان يكون منصوب
المحل على المفعولية وفاعله مستتر فيه اشارة الى الاول بقوله الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء والى الثاني بقوله والا يعلم الله من خلق وهو بهذه
المثابة قوله المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن الظاهر ان ليس مراده ان كونه تعالى عالما بما ظهر من خلقه متفهم من عبارة اللطيف بل المراد
انه متفهم منه بطريق الدلالة لان مدلولها عبارة هو العالم بالخفيات كما صرح به في شرح المواقف ومن يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا
بطريق الاولوية فكذلك اعتبر في مفهوم اللطيفة وصول علمه الى ما ظهر ايضا قال الامام حجة الاسلام الغزالي نور الله مرقده
انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقايق المصالح وغوامضها وما دق منها ولطف ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون
العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذي لا تعزب
عنه الاخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت ولا تتحرك ذرة ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف
الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا انتهى فاللطيف اخص من الخبير الذي هو اخص من العليم وقال الامام الرازي واعلم انهم
اختلفوا في اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال آخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء اللطيفة التي تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين
ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد به خالق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير تكرارا انتهى
واذا افسر بما ذكره الغزالي اندفع التكرار قوله والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد جواب عما
يقال من انه لم يذكر في نظم الآية لفظا يكون احدهما فاعلا ليعلم والاخر مفعوله فما الذي دعاك الى اعتبار تعلقه
بالمفعول ولم لا تجعله من باب يعطي ويمنع بان ينزل منزلة اللازم ويعرب النظم بوجه ثالث وهو ان يجعل من خلق فاعل يعلم
ولا يقدر له مفعول ويكون المعنى الا يكون عالما من هو خالق والخلق انما يكون بالعلم وتقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول
لخلا التقييد بالحال عن فائدة يفيدها لانه في قوة تقييد الشيء بنفسه وذلك لان قوله الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون في معنى دعوى العلم
فعلى تقدير ان لا يقدر ليعلم مفعول مع ان قوله وهو اللطيف حال من فاعل يعلم يكون حاصل المعنى يعلم وهو عالم اي يعلم في حال علمه ولا
فائدة في هذا التقييد لانه تقييد لمطلق العلم بنفسه فلا نقدر له مفعولا ويكون المعنى الا ان يكون من هو عالما من هو خالق والخلق
انما يكون بالعلم وتقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لخلا التقييد بالحال عن فائدة يفيدها لكونه في قوة تقييد الشيء بنفسه وذلك لان
قوله الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون في معنى دعوى العلم فعلى تقدير ان لا يقدر ليعلم مفعول مع ان قوله وهو اللطيف حال من فاعل يعلم كذا وهو عالم بكل شيء
فان قيل لا نسلم ذلك بل هو في معنى الا يعلم وهو عالم بما ظهر من خلقه وما بطن وقد فسر المص بذلك فالعلم المدلول عليه بالعامل هو
مطلق العلم والمدلول عليه بالحال مستغرق فيفيد التقييد لانه ليس من قبيل الا يعلم وهو عالم بل هو من قبيل الا يعلم وهو عالم بكل شيء
قلنا اذا نزل قوله الا يعلم منزلة اللازم بان يجعل من قبيل فلان يعطي ويمنع يكون الحدث الذي هو مدلول الفعل عاما شاملا
بجميع افراده بحسب متفاهم العرف في المقام الخطابي كما صرح به صاحب المفتاح كان العلم المدلول عليه بقوله اللطيف الخبير كذلك على تفسير المص

فيما متساويان في العموم فيلزم تقييد الشيء بنفسه بمنزلة ان يقال الا يعلم من هو عالم بكل شيء ثم انه تعالى لما بين استواء الاسرار
والاعلان بالنسبة اليه واستدل عليه ببيان تفرده في خلق الكاينات كلها من الجواهر والاعراض وان الخلق متفرع على العلم
فكيف يتصور ان لا يعلم ما خلقه قال بعده هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فلا تغتروا بذلة وانقياده ولا تجترئوا على معصية
سرا بناء على زعم انه تعالى لا يعلم ما تسرون ولا تأمنوا ان يصيبكم عذابه من حيث لا تحتسبون فان الارض التي هي مسكنكم وموضع
استقراركم انا الذي ذللتها لكم وجعلتها مسكنا لكم وسببا لمعاشكم ان حولت ذلها صعوبة وما فيها من الامن خوفا بان يخسف
بكم الارض كما خسفها بقارون وبداره الارض او ينزل عليها من السماء انواع المحن والآفات كما انزل على اصحاب الفيل وقوم
لوط واطيعوا الله سرا وعلانية لعلكم تفلحون هو الذلول من كل شيء المنقاد الذي يذل اي ينقاد ومصدره الذل وهو الانقياد واللين
ومنه دابة ذلول اذا زالت صعوبتها وانقادت لصاحبها ووجه كونها ذلولا انه يمكن المشي عليها والحفر للآبار وشق العيون والانهار
فيها وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار فيها ولو كانت صخرة صلبة لما تيسر شيء منها ولو كانت مثل الذهب والحديد لكانت
تتسخن جدا في الصيف وتتبرد في الشتاء وايضا ثبتها الله بالجبال الراسيات كيلا تتمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة
متمايلة لتعذر الاستقرار عليها ولو كانت صعبة غير ذلول ومنقاد لنا قوله في جوانبها وجبالها شبهت جوانب الارض وجبالها
بمناكب الانسان من حيث ان مناكب الانسان اطرافه وجوانبه ومن حيث انها ارفع المواضع منهم فاطلق عليها اسم المناكب على
طريق الاستعارة وعلى التقديرين يكون قوله تعالى فامشوا في مناكبها مثلا لفرط التذليل اي بيانا عجيبا وتصويرا غريبا
لفرط التذليل على ان المثل مستعار من معناه العرفي الذي هو القول السائر للبيان العجيب تشبيها له به والوجه في كونه بيانا
غريبا لفرط التذليل ما ذكره من انه اذا امكن المشي في جانب الارض وجبالها الذي هي في الارض بمنزلة المناكب من
البعير كان امكانه في اوساطها وسهولها اتم واولى قوله وهو بدل من من يعني ان قوله تعالى من في السماء في موضع النصب
على انه مفعول أامنتم وان يخسف بدل الاشتمال منه اي أامنتم من في السماء خسفه وكذا قوله ان يرسل بدل من من
اي أامنتم من في السماء ارساله قوله او على زعم العرب عطف على قوله على تاويل من في السماء امره يعني ان قوله من في السماء
لا يجوز ان يكون المراد به الباري عز شانه لاستحالة كونه تعالى في مكان وجهة فلا يجوز ان يراد به الباري تعالى
الا على تاويل من في السماء سلطانه وامره او على ان يكون الخطاب لقوم يزعمون التشبيه نحو طبوع على حسب اعتقادهم
كقوله للاسالهم اين شركائي كانه تعالى قال لهم اتامنون من اعتقدتم انه اله متمكن في السماء وانه قادر على
ما يشاء ان يخسف بكم الارض الجوهري خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف الله بهم الارض خسفا اي غاب به
فيها قوله والمور التردد في المجيء والذهاب وقد قالوا ان يحول الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم
يخسفون فيها ويذهبون والارض فوقهم تمور فتلقيهم الى اسفل السافلين قوله ان تمطر عليهم حصبا اي الحصباء عن ابن
عباس رضي الله عنه قال اي الحجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وفي الصحاح يقال حصبت الرجل احصبه
بالكسر اي رميته بالحصباء وحصب في الارض ذهب فيها والحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهو الحصا ومعنى الآية
هل حصل لكم امارة من هذين واذا الامارة لكم منهما فبعنا تماديكم في الشرك والتكذيب وهنا عناد شديد بعد العيان
بالله قوله توبيخ وتهديد لقوله اي تاكيد للتهديد السابق بايراد مثال هو مصداق له كانه قيل اولم يروا الى كيف انكرت
على المكذبين قبلكم بتغير حالهم بالتدمير والاستيصال فكيف تامنون مما اصابهم بسبب اصرارهم على الكفر والتكذيب

ثم اورد برهانا يدل على قدرته على ايقاع ما هددهم وخوفهم به فقال أولم يروا الى الطير فوقهم صافات وثانيا فقل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار وثالثا قل هو الذي ذرأكم في الارض ومتى ذهب كمال قدرته ثبت كونه قادرا على الانتقام منهم بما يشاء والطير جمع طائر وقوله فوقهم ظرف ليروا وحال من الطير اي كائنات فوقهم صافات حال اما من الطير او من المنوي في الظرف اي جملته حالا قوله ويقبضن عطف على صافات عطف الفعل على الاسم لكونه بمعنى قابضات الا انه عدل به عنه الى صيغة الفعل للدلالة على ان الهواء للطائر بمنزلة الماء للسابح فكما ان الاصل في السباحة هو البسط فكذا الطيران فان الاصل فيه هو وصف الاجنحة والقبض يطرأ على الاصل البسط للاستظهار به على التحريك فجيء بما هو طاري غير اصلي بلفظ الفعل لان الفعل يدل على التجدد وقتا بعد وقت والمعنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة ومفعول كل واحد من قوله صافات ويقبضن محذوف اي صافات وقابضات اجنحتهن كما اشار اليه بقوله باسطات اجنحتهن صففن قوادمها وقوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشرة في كل جناح والحصر المدلول عليه بقوله ما يمسكهن الا الرحمن لا ينافي توصيفهن بقوله صافات وقابضات لان امساكهن مع ثقلهن وضخامة اجسامهن مسند اليه تعالى بلا واسطة وكذا جريهن في الهواء مسند اليه تعالى الا انه بواسطة خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن له او الهامهن الكيفية القبض على الوجه المطابق للمنفعة قال رحمة الرحمن وسعت كل شيء ويصل بعضها الى المرحوم بلا واسطة وبعضها بالواسطة قوله يعلم كيف يخلق الغرائب اشارة الى ان البصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة عن حذاقة واتقان كانه يبصرها ويشاهدها قوله عديل قوله أولم يروا يعني ان كلمة ام الداخلة على من الاستفهامية متصلة معادلة للهمزة في أولم يروا والمعنى اولم ينظروا الى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على تعذيبهم ام نظروا وعلموا لكنهم اعتمدوا على ما لهم من الجند الذي يمنعهم من عذاب الله تعالى الا انه اخرج الكلام مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم كانوا يعتقدون انهم يحفظون من النوائب ببركة آلهتهم فكانهم لجند النار قيل كان الكفار ممتنعون عن الايمان معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم على ما لهم من الانصار والاعوان والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى ما زعموه اولا بقوله امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وابطل الثاني بقوله امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه فالساه الحق وحصل الالزام فقال اولا ان الكافرون الا في غرور وقال ثانيا بل لجوا في عتو ونفور واللجاج التمادي في العناد ولما وصفهم بالعتو والنفور نبه على ما يدل على قبح هذين الوصفين فقال أفمن يمشي مكبا على وجهه الآية قوله مكبا حال من فاعل يمشي وكذا سويا حال منه ايضا وعلى وجهه تأكيد لان الكب لا يكون الا على الوجه والمشي مكبا يكون لصعوبة المسلك وعدم استوائه باشتماله على ارتفاع وانخفاض ومزالق فيعثر سالكه في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة فحاله عكس حال من يمشي على صراط مستقيم فانه يمشي سويا اي مستويا سالما عن العثور والخرور قوله يقال كببته فانكب اي يقال اكب مطاوع كبه على وجهه كما ان اقشع مطاوع قشعه يقال قشعت الريح السحاب فانقشع اي كشفته فانكشف ولم يرض المصنف بكونه بناء على افعل مطاوعا لفعل حيث قال والتحقيق ان اكب واقشع من باب انقض في ان الهمزة فيها للصيرورة وليس شيء من هذه الابنية المطاوعة فان مطاوع كب انكب ومطاوع قشعه انقشع بل همزة افعل فيها للصيرورة كما في قولهم اجرب الرجل اي صار ذا جرب واراب اي صار ذا ريبة والام اي فعل ما يلام عليه كانه صار ذا ملامة وكذا اكب معناه وقع في الكب وصار ذا كب الجوهري يقال انفض القوم اي هلكت اموالهم وفني زادهم قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد اي تشبيههما بالسالكين اي تمثيل المشرك فيه بمن سلك طريقا يعثر سالكه في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة وتشبيه دينه بالطريق الموصوف وتشبيه الموحد بمن سلك طريقا مستوية الاجزاء مستقيما عديم الانحراف سالما عن المزالق والمهالك يمشي سالكه سويا قائما سالما عن العثور والخرور وتشبيه دينه بالطريق المذكور فكل واحد من قوله أفمن

يمشي

يمشي سويا استعارة تبعية شبه كل واحد من التدينين بدين الشرك والتوحيد بالمشي على الصراط الموعر المنحرف والمشي على الصراط السهل المستقيم واطلق اسم المشي على التدين المذكور واشتق منه يمشي فصار استعارة تبعية وقوله على صراط مستقيم استعارة تصريحية ولم يذكر مسلك المشرك واحواله واكتفى بدلالة الكب على احواله لما ذكره من الاستعارة بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا قوله في مكان متقاد اي غير مستوية الاجزاء كان بعضه ينادي بعضا الجوهري مت على مكان متقاد اذا كان متفاوتا ليس بمستو وهذه ارض متفاوية ذات حجرة وهي المكان ذوات كالشقوق وهي شقوق في الارض واحدها وهو الشق فيها قوله وقيل المراد بالمكب الاعمى عطف على قوله ومعنى مكبا اي يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعرة طريقه واختلاف اجزائه اي وقيل انه يكب على وجهه لا لوعرة طريقه بل لخلل في بصره فيكون المكب كناية عن الاعمى والماشي سويا كناية عن البصير المهتدي والمراد من جعلهما كنايتين عن الاعمى والبصير تمثيل الكافر بالاعمى وتمثيل المؤمن بالبصير تقبيحا لحال الاول وتحسينا لحال الثاني وكذا اذا كان المراد بالمكب من يخر على وجهه الى النار وبالماشي سويا من يحشر على قدميه الى الجنة فان الاول انما يحشر مكبا على وجهه لانكبابه في الدنيا على المعاصي والثاني يحشر على قدميه لكونه على الصراط السوي في الدنيا ثم انه تعالى لما مثل المشرك بالماشي مكبا او بالاعمى او بمن يخر على وجهه الى النار امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقبح حالهم ونصرهم بكفران نعم الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من اصابة الحق وسلوك سبيله بان اعطاهم السمع والبصر والفؤاد ولم يشكروا اما نحا ولم يستعملوها فيما خلقت لاجله ولم يقبلوا ما سمعوه ولم يعتبروا بما ابصروه ولم يتفكروا فيما نصب من الدلائل والمراد بقلة الشكر عدمها فان القلة قد تستعمل بمعنى العدم فيقال قل ما افعل هذا اي لا افعله ولما كان المقصود من ذكر ما يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه اثبات البعث والجزاء ختم الآية بقوله واليه تحشرون اشار به الى ان جميع ما تقدم ذكره من الدلائل لاثبات هذا المطلوب ولما اثبته حكى عن الكفار انهم يقولون متى هذا الوعد استهزاء وسخرية وايهاما للضعفة انه لا اصل له كيلا يستعجلوا في القبول ولعل قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من قبيل يستهزء بهم في ان لفظ المضارع للاستمرار التجددي فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بان العلم بالوقوع امر مغاير للعلم بوقت الوقوع فالعلم الاول حاصل عندي وهو كاف في الانذار به واما العلم الثاني فهو مختص بالله تعالى لم يطلعني به لاخبركم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول العذاب الموعود لهم ان لم يؤمنوا فقال فلما راوه زلفة والزلفة مصدر بمعنى القربة منتصب على الحالية من مفعول راوه فانه من رؤية العين اي ذا زلفة اي قريبا منهم او جعل نفس الزلفة للمبالغة واصل سيئت وجوه الذين كفروا ساء الموعود برؤيته وجوههم سوءا ثم بني للمفعول عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سيئت اي سودت وعليها الكآبة والغبرة يقال ساء الشيء اي قبح وسيء يساء واقبح فهو يستعمل لازما ومتعديا وخص الوجوه بالحزن لان اثر السرور والكآبة تظهر فيه قوله يطلبون اي يتمنون ويسألون مستعجلين وقوعه بكم قال الفراء تدعون وتدعون بمعنى واحد فكذا تطلبون وتطلبون قوله وقرأ الكسائي فسيعلمون بياء الغيبة على وفق قوله فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي يعطيهم الجوار وهو الامان من العذاب والباقون بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة قوله غائرا في الارض اي ذاهبا ناضبا بحيث لا يرى ولا يستنبط يقال غار الماء يغور غورا اي نضب وغور اخبر اصبح وكان لاهل مكة بئران بئر زمزم وبئر ميمون قوله جار او ظاهر فالمعين على الاول فعيل فاعل من معن الماء معونا اذا جرى والميم اصلية وعلى الثاني اسم مفعول كمبيع من البيع يقال عنت الشيء اعينه اي اصبته بعيني فانا عائن وهو معين والميم على هذا مزيدة

سورة القلم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله وقيل اسم الحوت قال يحيى بمعنى السمكة كما في قوله تعالى

في حق يونس عليه السلام وذا النون فالمراد بالحوت الذي يسمى بالنون اما جنس الحوت او حوت معين منه وهو البهموت وهو الذي الارض على ظهره فتحرك
فمادت الارض فاثبتت بالجبال او الدواة فانه يطلق عليها اسم الحوت على سبيل الاستعارة تشبيها لها بالحوت في انها يستخرج منها ما يكتب به
كما يستخرج ذلك من جنس الحوت فقوله او الدواة مرفوع بالعطف على الجنس اي والمراد بالحوت ما يشبه الحوت وهو الدواة وفعله فان بعض الجهال
او بيان لوجه اطلاق النون على الدواة وهو انه من قبيل اطلاق المشبه به على المشبه وكانه جواب عن قول الزمخشري واما قولهم هو الدواة
فما ادري وضع لغوي ام شرعي اي لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعا وتصدى لتوجيه اطلاق النون على الدواة لان تفسيره بها مروي عن
الاكابر قال الامام روي عن ابن عباس وهو اختيار الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة فيكون هذا قسما بالقلم الدواة والقلم فان
المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة ومن فضل القلم وجلالته انه لم يكتب الله تعالى كتابا الا به ولذلك اقسم الله تعالى به قبل البيان اثنان
وبيان بيان ومن فضل بيان البيان ان ما تثبته القلم الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولولا القلم والدواة
ما قام دين ولا صلح عيش قوله ويؤيد الاول وهو كون من اسماء الحروف جيء به على سبيل التعداد للتحدي فانه لو كان اسما لغير حروف الهجاء
لكان حقه ان يلي العامل ويعرب على حسب ما اقتضاه العامل كما اعرب القلم وان يكون مكتوبا بصورة لفظه فانتفاء كل واحد من الامرين
يدل على انه من اسماء حروف الهجاء وقف عليه لان الاصل فيما سبق على سبيل التعداد ان يوقف عليه قوله هو الذي خط اللوح اي يحتمل ان يكون
المراد بالقلم المقسم به المعهود وهو ما جاء في الخبر اول ما خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة
فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة من الآجال والاعمال والارزاق ثم ختم في القلم فلم ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من
نور طوله كما بين السماء والارض ويحتمل ان يراد به جنس القلم المقول على كل قلم يكتب به في السماء والارض من القلم الاعلى وقلم الملائكة
من الحفظة والكرام الكاتبين وقلم الانسان قوله واخفى ابن عامر فانه ادغم النون في الواو وفي يس والقرآن وفي نون والقلم وقرئ باظهارها
على الاصل فان الاصل في اسماء حروف التهجي ان يوقف على كل واحد منها وينفصل عما بعده فان وقف عليه حقيقة فقد انفصل عما بعده فيفقد
الادغام فانه يتصور مع الانفصال وانما يتصور مع الاتصال وان لم يوقف عليه فهو في حكم الموقوف عليه نظرا الى الاصل فوجب التبيين
والاظهار على التقديرين ومن ادغم نظر الى هذه الحروف متصلة بما بعدها صورة وحكما اما صورة فظاهر لانه لم يوقف عليها حقيقة واما
حكما فلان ضمير الوصل لا ينقطع مع هذه الحروف نحو الم الله وقولهم في العدد واحد اثنان ولما لم تقطع همزة الوصل معها علمنا انها في تقدير
الوصل ولما اتصلت صورة وحكما ادغمت في الواو وقال الفراء اظهارها اعجب الي لانها حروف هجاء وهي كالموقوف عليها وان اتصلت صورة
لان الاصل في المسوق على سبيل التعداد ان يوقف على كل واحد منه قوله وقرئت بالفتح وهي اما فتحة بناء كما في اين وكيف واما حركة اعراب
بان تكون منصوبا بفعل محذوف مثل اقرأ نون ثم يبتدأ بالقسم بقوله والقلم او يكون منصوبا بنزع الخافض حرف القسم وايصال
فعل القسم اليه ومنع الصرف للعلمية والتانيث لانها علم للسورة وقرئ بالكسر ايضا لالتقاء الساكنين او لانها مقسم بها اضمر قبلها
حرف القسم نحو الله لافعلن وهذا الوجه ضعيف لان حذف حرف الجر وابقاء عمله مختص بالجلالة الكريمة نادر فيما عداها قوله
على التعظيم لان القلم الذي خط اللوح قلم واحد مخصوص لا يصح ارجاع ضمير الجمع اليه فلا بد لذلك التاويل وان اريد به جنس القلم يكون ضمير الجمع
فجمع الضمير العائد اليه لذلك الا انه بقي الكلام في وجه اسناد الفعل الى الآلة وفي التعبير عنها بلفظ العقلاء واجاب عنه بان ذلك مبني
على تشبيهها بالعقلاء الفاعلين من حيث انها نظير المراد وتبيين المقصود مثلهم قوله او لاصحابه او الحفظة الظاهر ان الاول مبني على
ان يراد بالقلم الجنس والثاني على ان يراد به قلم الحفظة وعلى التقديرين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح ارجاع الضمير اليه قوله وما
مصدرية فيكون المقسم به نفس الكتابة وان كانت موصولة يكون المقسم به المسطور والمكتوب والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك

بالنبوة

بالنبوة وحصافة الرأي اشارة الى ان قوله انت اسم ما وبمجنون خبره والباء مزيدة لتاكيد النفي والباء في قوله بنعمة متعلقة
بمحذوف هو في موضع النصب على انه حال من المنوي في بمجنون اي ما انت بمجنون متلبسا بنعمة ربك والحصافة بالمهملتين صحة الرأي
واستقامته والحصيف الرجل المحكم العقل واحصاف الامر احكامه قوله والباء لا تمنع عمله فيما قبله جواب عما يقال كيف
يعمل بمجنون منفيا فيما قبل الجار مع ان المعمول لا يقع الا حيث يصح وقوع العامل فيه والمجرور لا يصح وقوعه قبل الجار وان جاز
ان يعمل فيما قبله بناء على كون الباء مزيدة الا ان فيه خللا معنويا وهو ان المنفي حينئذ هو الجنون المقيد بتلك الحال ونفي المقيد
من حيث انه مقيد لا يلزم ان يكون بانتفاء نفس المقيد بل اللازم هو مجرد انتفاء القيد سواء كان انتفاؤه بانتفاء مجموع
القيد والمقيد او بانتفاء نفس القيد فقط كما قيل ان من نفي المقيد يرجع الى نفي قيده فكون الحال قيدا للمجنون يستلزم ثبوت
اصل الجنون مع انتفاء الحال وهو باطل ولا يلزم هذا المحذور على تقدير ان يكون العامل معنى النفي للفرق بين قولنا الجنة
المقيدة بكونها في حال كذا منفية بين قولنا الجنة منتفية في حال كذا فان القيد فيه للنفي لا للمنفي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خديجة رضي الله عنها الى حراء فلم تجده فاذا به ووجهه متغير بلا غبار فقالت له
ما لك فذكر نزول جبريل صلى الله عليه وسلم وانه قال اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بي الى قرار الارض
فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلوة يا محمد فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة
الى ورقة ابن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسألته فقال ارسلي محمدا فارسلته فاتاه
فقال هل امرك جبريل ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا فمات قبل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وقعة تلك الواقعة في السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس آيات في اول هذه السورة ثم قال
ابن عباس انه اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الآية هي الثانية رواه الامام في الكبير على الاحتمال او الابلاغ اي على
احتمال طعنهم فيك بالجنون وسائر اقوالهم القبيحة او على تبليغ احكام رسالتك اليهم ودعائهم الى التوحيد والطاعة والجنون امان من
النبي اذا قطعه فتكون الآية نظير قوله تعالى عطاء غير مجذوذ او من من عليه منة اي امتن عليه وان لك لاجرا غير مكدر عليك بسبب
المنة عليك من الناس وهو رد على صاحب الكشاف حيث فسره بقوله غير ممنون به عليك لان الثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء
وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال ووجه رده انه غير مستقيم على كل واحد من المذهبين اما على مذهب اهل السنة فلان الثواب
عندهم محض التفضل وانما سمي اجرا تشبيها له بالاجر من حيث كونه موعودا بمقابلة العمل واما عند المعتزلة فلان الثواب وان كان اجرا
عندهم الا ان الاقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فيصح ان يمن به على العبد فاذا صح ان يمن على العبد بنفس العمل يصح ان يمن
عليه بالاجر المترتب عليه كلمة على في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم للاستعلاء المجازي فدلت على انه عليه السلام مشتمل على الاخلاق
الجبلية المرضية ومجبول عليها حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال
الجبلية ونفس الاساس وسهولة اتيانها بنبي آخر والحالة التي باعتبارها يحصل تلك السهولة هي الخلق وسمي خلقا لرسوخه وثباته
وصيرورته بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الانسان وان توقف حصوله الى اعمال وطول رياضة ومجاهدة قوله فقالت كان خلقه
القرآن يعني انه عليه السلام كان متحليا بما في القرآن من مكارم الاخلاق ومتخليا عما يزجر عنه القرآن من شبهاتها قوله ايكم الفتنة
فتن بالجنون اشارة الى ان ايكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره وسمي المجنون مفتونا لانه فتن اي محن بالجنون وان الباء مزيدة
في المبتدأ كما في قولك بحسبك زيد قيل هذا الوجه ضعيف لان الباء لا تزاد في المبتدأ الا في لفظ حسب فقط قوله او بايكم الجنون على ان تكون

البا للالصاق كما فى قولك به داو يكون المفتون مصدرا بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجى المصدر على وزن المفعول نحو معقول وميسور
ومجلود يقال ما لفلان مفعول ولا محلود اى ماله عقل ولا جلاده وعلى قوله باى الفريقين منكم المجنون تكون البا بمعنى فى وفسر ضمير
المخاطب فى قوله بايكم بالفريقين مع ان المخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم ولجماعة قريش والا لعبر عن الفرد بالفريق ويدل على كون المخاطب
له عليه السلام والفريق قريش من قوله تعالى فستبصر ويبصرون فان خطاب يبصر له عليه السلام خاصة ولا تدخل فيه الامة فينبغى
ان لا تدخل الامة فى خطاب بايكم ايضا الا انه ادخلت الامة فيه وجعل عليه السلام مع امته فريقا وجماعة قريش فريقا اخر ليلايرد
ان يقال كيف يصح ان يقال للجماعة وفرد الاخر فريقا بل هم فى ايكم زيد وهذا الوجه اوجه من الوجهين الاولين لافادته التعريض وسلامته
من حمل اللفظ على الاستعمال النادر وهو زيادة البا فى المبتدا او جعل صفة المفعول بمعنى المصدر قوله وهم المجانين على الحقيقة يعنى ان
الظاهر ان يقال وهو اعلم بالمجانين والعقلاء لانه هو المناسب لقوله فستبصر ويبصرون الا انه وضع الظاهر الضال والمهتدى موضع المجانين
والعقلاء اشعارا بان المجنون فى الحقيقة هو من يعصى ربه ويضل عن سبيله والعاقل من اطاع ربه واتبع سبيله قوله تهييج للتصميم على
معاصاتهم اى على عصيان رؤسائك فان عاصاه بمعنى عصاه فانهم كانوا يدعونه عليه السلام الى ان يكف عنهم ويكفوا عنه فنهاه الله تعالى
عن ذلك امره بالتشديد مع قومه وقوى قلبه مع قلة العدة وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوايل ما نزل قوله فلا يتهم لان
الادهان عبارة عن اللين والمصانعة وهى المداراة قوله والفا للعطف جواب عما يقال لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان لانه
جواب التمنى كما فى قوله تعالى فلو ان لى كرة فاكون وتقرير الجواب انه معطوف على تدهن فيكون داخلا فى التمنى وليس جوابا للتمنى حتى ينصب
وتسقط نونه اى تمنوا لو فعلت فيفعلون عقيبه فعلى هذا الظاهر ان تكون كلمة لو مصدرية فان بعض النحاة نصوا على جواز
كونها مصدرية قوله وللسببية اى السببية ادهانه عليه السلام لادهانهم وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع جواب
التمنى باضمار ان يحصل ايضا بان يجعل المضارع خبر مبتدا محذوف اى فهم مدهنون لسبب ادهانه فعلى هذا يتعين الواقع
واذا كان بمعنى واحد طريقان للبليغ ان يختار ايهما شاء ونظيره قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف اى فهو لا يخاف لا سيما
ان الاسمية تدل على العدة بثباتهم على الملاينة والموافقة قوله ودوا لو تدهن فهم يدهنون للاستقبال بمعنى فيدهنون
وان يكون بمعنى الحال بمعنى فهم يدهنون الان طمعا فى ادهانك معهم قوله حقر الراى وكفى دليلا على حقارة رايه كونه حلافا فانه
يدل على انه لا يعرف عظمة الله تعالى حتى يحلف به تعالى فى ادنى شى وكفى هذه الآية زاجرة على الاعتياد بالحلف قوله عيات اى على
سبيل الاغتياب فان الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو فى اللغة الضرب طعنا باليد او العصا او نحوهما واستعير للمبالغة
الذى يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم بشهادة شبها للطعن باللسان بالطعن بنحو اليد والعصا وقيل الهماز هذا
الذى يضرب الناس ويطعنهم بيده واللماز الذى يطعنهم بلسانه وقيل الهماز من يسب الناس فى وجوههم واللماز الذى
يستغيبهم فى غيبتهم وقيل بالعكس قوله يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح بعض المفسرين فسروا الخير بالمال
وقالوا انه مناع للمال اى ان ينفق لاجل دفع حاجة الفقراء وفسر الايمان ايضا وقيل كان للوليد بن المغيرة عشرة ابنا واهل وعشيرة
واتباع وكان يمنعهم عن الاسلام ويقول لهم من اتبع منكم دين محمد صلى الله عليه وسلم لا ينفعه شيا ابدا والمصنف عمم الخير اذ لا دليل يخصه
ببعض وجوه الخير قوله جاف غليظ وقيل العتل الشديد الخصومة وقيل الفاحش اللئيم وقيل هو الاكول الشروب القوى يوضع فى الميزان
فلا يزن شعيرة تدفع الملائكة من اولئك جهنم بالرقعة الواقعة سبعين الفا قوله من مثالبه اى معايبه جمع مثلبة هى العيب قوله بعد ما عد
من مثالبه ما يدل على ان كونه عتلا زنيما اقبح معايبه لانه اذا كان عتلا اى جافيا غليظ الطبع قساقلبه واجترا على المعصية والزنيم

يتولد

يتولد من النطفة الخبيثة والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده
وفى الحديث حرام على النطفة الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تسعى الى من احسن اليها وقال عليه السلام ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة
فى صورة القردة والخنازير وقال عليه السلام لا تزال امتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فيوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب وقال عكرمة
اذا كثر اولاد الزنا قل المطر وقوله تعالى بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين من حيث انها للتراخى فى الرتبة والداعى
من كان ملصقا بالقوم وليس منهم كما قيل الزنيم من لا يعرف من ابوه بغى الام قال حسان بن ثابت رضى الله وانت زنيم نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من شيخهم اى اصلهم ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده
وقيل بغت امه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية روى انه دخل امه شاهرة السيف وقال ان محمدا ذمنى بعشر صفات وجدت
منها تسعة فى نفسى فاما الزنيم فلا علم لى به فان اخبرتنى بحقيقة الحال والا ضربت عنقك فقالت اسكت والاصدق كونها على
ان نفسك بما فعلت والا تعاقبنى اعلم ان اباك كان غنيا وخفت ان يموت فينقطع ذكره ويتفرق فى غيرك ولده ماله فدعوت
راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى والزنمة من كل شى الزيادة وزنمة الشاة شى يقطع من اذنها فيسترخى ويتيبس لذلك
كالشى المعلق من خارج وهى فى الاصل الشى الثابتة فى عنق الماعزة قوله قال ذلك لانه كان متمولا اشارة الى ان قوله ان كان ذا مال متعلق به
وان المصدرية مع ما فى حيزها مجرورة بلام مقدرة لكنها غير متعلقة بقوله قال اساطير الاولين لما ذكره بل هى متعلقة بمحذوف دل
عليه الجزاء الشرطية بعدها والتقدير يكفر ويكذب لان كان ذا مال ووجه دلالتها على هذا المحذوف ان قوله فى حق الايات انها
اساطير الاولين كفر وجحود وتكذيب قوله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى للاطاعة المنهى عنها اى لا تطعه مع هذه المثالب
يساره وكثرة ابنائه قوله ان كان بهمزتين مفتوحتين وعدم ادخال الف بينهما قوله على ان شرط المعنى فى النهى عن الاطاعة كالتعليق
لما ورد على قراءة ان الشرطية انه كيف يصح منه قوله تعالى ان يعلق النهى عن الاطاعة على كونه ذا مال واعوان مع انه يدل على جواز
الاطاعة عند انتفاء الامرين اشار الى دفعه اولا بانه ليس المراد تعليق النهى عن الاطاعة على يسار المطاع الا انه اورد صورة
التعليق بكون شرط اليسار قريبا من التعليل به فكما جاز التعليل فى النهى عن الشى جاز فيه التعليق ايضا فقوله لا تطعه
ان كان ذا مال وبنين فى قوة ان يقال لا تطعه لان كان ذا مال وبنين من حيث ان الشرط سبب الحكم فكانه قيل لا تجعل يساره
سببا لاطاعته وثانيا بان الشرط ليس من قبيل الناهى بل من قبيل المخاطب كانه لا تجعل الغنى شرطا للاطاعة مع ما فيه
المثالب التى تقتضى هجره بالكلية ونظير صرف الشرط الى المخاطب هنا صرف الترجى اليه فى نحو قوله تعالى لعلكم تتقون
لعلكم تذكرون لعله يتذكر او يخشى قوله سبحانه وتعالى سنسمه اى سنجعل له سمة اى علامة يعرف بها وعبر عن انفه
بالخرطوم استهانة له وتحقيرا لان الخرطوم لا يستعمل الا فى الفيل والخنزير قوله وقد اصاب الوليد جراحة يوم بدر
قال صاحب الكشف هذا ضعيف لان ابا جهل قتل يوم بدر والثلاثة الآخر هم الوليد والاسود والاخنس ماتوا قبله
فلم يسم احد بذلك الوسم الذى بقى اثره مدة حياته قوله وقيل هو عبارة على ان تذلله غاية الاذلال وذكر ان الوجه
لكونه موضع فى الجسد والانف بين عضو منه والوسم على الانف فيه غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه
شين فكيف اذا كانت على اظهر موضع منه قوله او يسود وجهه يوم القيامة فعلى هذا يكون الخرطوم مجازا عن الوجه
على طريق ذكر الجزء وارادة الكل اى سنجعل له فى الآخرة علامة تعرف بها اهل القيامة انه كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين
عليه الصلوة والسلام اتم العداوة قوله بلونا اهل مكة لما وصفهم الله تعالى بالجنون والضلال حيث قال فستبصر

ويبصرون بايكم المفتون وهو اعلم بمن ضل عن سبيله بين انه اذا قسم بعض وبال اسرهم في الدنيا حيث ابتلاهم بالجوع
والقحط سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة والعلهز لتمردهم وكفرهم نعم الله تعالى فقال انا بلوناهم كما بلونا
اصحاب الجنة الى قوله ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون والكاف في كما في موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف
وما مصدرية اي بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة واذ ظرف لبلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف
قولهم منطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها والصرم والصرام
قطع ثمار النخيل من صرمه اذا قطعه ولا يستثنون جملة مستانفة او حال ثانية من ضمير ليصرمنها او من المنوي
في مصبحين قيل كونه حالا من احدهما ضعيف لان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدا قبله كما في قولهم
قمت واصك عينه وهذا وجه لا حاجة اليه ويسمى قول ان شاء الله استثناء وهو شرط ليس فيه اداة الاستثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج
بان شاء الله خلاف المخرج بالاستثناء فانه عين المذكور بالاستثناء مثلا اذا قيل جاءني القوم الا زيدا فالمخرج من القوم بالاستثناء
عين زيد واما اذا قيل جاء زيد ان شاء الله فالمراد به اخراج ما لا يتعلق به المشية من المجي وهو خلاف المذكور بان شاء الله لان المذكور
ما يتعلق بمشية الله تعالى لان التقدير ان شاء الله مجيئه او لان قول ان شاء الله يودي معنى الاستثناء فيسمى ما يودي معناه باسمه والفرق
بين الوجهين ما اشار اليه بقوله غير ان المخرج خلاف المذكور وحصول الوجه الاول سمي استثناء تشبيها له بالاستثناء من حيث
كونه موديا بالمعنى الاخراج وان كان بهذا الاخراج مغايرا للاخراج المعتبر في الاستثناء وحصول الثاني سمي استثناء على طريق تسمية
ما يودي معنى الشيء باسم ذلك الشيء فان قولك لاخرج ان شاء الله ما يودي معنى قولك لا اخرج في حال ما الا حال ان شاء الله خروجي
فانه استثناء متعارف اخرج فيه عين المذكور على اعم الاحوال قوله ولا يستثنون حصة المساكين عطف على قوله ولا يقولون
ان شاء الله فلا استثناء على هذا المعنى الاخراج مطلقا قوله كالبستان الذي صرم ثماره شبهت به من حيث هلاك ثمارها وعدم بقاء
شيء منها كما روي عن مقاتل انه قال بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت سوداء الا ان تشبيهها بالجنة المصرومة
تشبيه الكامل بالناقص وحق التشبيه ان يشبه الناقص ويكون وجه الشبه في المشبه به بالنسبة الى المشبه كما في قولك في تشبيه
صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان الاما يحكي ويطلق الصريم على الليل المظلم وعلى النهار ايضا لانصرام كل واحد منهما بالاخر
فهما من الاضداد ويقال لهما الصرعان فيحتمل ان يكون المراد بالصريم في الآية الليل المظلم لان الجنة لما احرقت واسودت صارت
كالليل ويحتمل ان يراد به النهار لانها لما يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء من قولهم ابيض الاناء اذا فرغ او كالرمال فان
الصريم يطلق ايضا على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن ساير الرمال وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئا
فعلى التقدير من شبهت الجنة وهي محرقة بالرمل التي لا تنبت شيئا ولا ينتفع منها ولا صلاح نقل عن القرطبي انه قال في الآية دليل على
ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم وقد صح انه عليه الصلوة والسلام قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل
يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل اخيه ومن الراغب انه قال اول ما يعرض من حديث النفس
السانح ثم الخاطر ثم الارادة ثم الهم ثم العزم والسانح والخاطر متجاوز عنهما بكل وجه وانه متى صار هما او ارادة او عزما فذلك
على ماخوذ بعد على هذا قال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال ان يعلم ما في انفسكم فاحذروه فهذا وجه التوفيق بينهما
وبين قوله عليه السلام ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به نفسها وقوله عليه السلام من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم

بسيئة

بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه هكذا وجدت والاشكال بعد باق لانه لم يظهر التوفيق بين الآيات وبين قوله عليه السلام ومن هم بسيئة فلم
يعملها لم تكتب عليه والله اعلم قوله اي اخرجوا على ان يكون ان مفسرة حيث تقدمها ما هو بمعنى القول وقوله وبان اخرجوا اليه عدوه على ان
تكون مصدرية اي تنادوا بهذا الكلام قوله وتعدية الفعل بعلى مع ان اصل غدو ان يتعدى بالى لما تضمنه معنى الاقبال او معنى الاستيلاء
عليه السلام حيث انهم غدوا للصرم وتوهموا اقتدارهم واستيلاءهم عليه غفلوا عما اراد الله تعالى بهم وجواب قوله ان كنتم صارمين محذوف
لدلالة ما قبله عليه قوله وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم يقال اخفيت الشيء اخفيه كتمته واخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد
ويقال خفت الصوت خفوتا اي سكن والخفت في المخافتة اسرار النطق واخفت الناقة فهي مخفت اذا ظهرت انها حملت ولم يكن
بها حمل قوله ان مفسرة لان التخافت في معنى القول ويحتمل ان تكون مصدرية اي يتخافتون بهذا الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الاخفاء
والمسارة لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهو في صورة نهي المسكين عن الدخول والمراد نهي انفسهم عن تمكين المسكين من الدخول كقوله
لا ارينك هاهنا فان دخول المساكين عليهم لازم لتمكينهم اياهم من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل
منه الى الملزوم على سبيل الكناية التي هي ابلغ من التصريح لان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ولا يخفى ان ذكر الشيء بدليله ابلغ
من مجرد ذكره وقرأ ابن مسعود وجه اخرى كلمة ان على اضمار القول اي وهم يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم قوله وغدوا قادرين
على نكد الفقير على ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا على تضمينه معنى اصبحوا وعلى حرد متعلق بقادرين قدم عليه للحصر والتخصيص والحرد
مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد وانتفى خيره قوله او غدوا حاصلين على النكد والحرمان فعلى هذا لا يكون على حرد متعلقا بقادرين
حال ثانية او حالا من المنوي في قوله على حرد اي وغدوا واقعين في النكد وقد كانوا عند انفسهم في ظنهم انهم قادرون على غلة جنتهم
والانتفاع بها فالمقدر وعلى في الوجه الاول هو الحرد والنكد قوله وقيل الحرد بمعنى الحرد بفتحتين وهو الغيظ والحنق عطف على ما يفهم
مما قبله وهو كون الحرد بمعنى النكد والحرمان فيكون على حرد متعلقا بقادرين مقدما عليه للحصر او بمحذوف كما في الوجه الاول
قوله القصد والتوجه بالنشاط والاناة يقال حرد يحرد من باب ضرب اذا قصد اي قصدوا فيكون على حرد في محل النصب على انه حال من
فاعل غدوا اي غدوا كائنين قصد وقادرين حال ثانية او حال من المنوي في قوله على حرد قوله وقيل الحرد علم لجنتهم اي اقبلوا
على جنتهم وقت الغداة قادرين عند انفسهم على صرامها قوله بجنايتنا على انفسنا بسوء نيتنا وظلمنا على انفسنا بمنع حق المساكين
قوله او لا يستثنون عطف على قوله لولا تذكرونه اي بالتسبيح والتهليل تائبين عما فرط منكم من قصد العصيان يعني ان
المفسرين قد اختلفوا في ان المراد بالتسبيح ما هو فقال بعضهم المراد به الاستثناء فان لفظ القران يدل على ان القوم حين قسموا
ليصرمنها مصبحين وتركوا الاستثناء بان يقولوا ان شاء الله انكر عليهم اوسطهم في تركهم الاستثناء وعدم خوفهم من
عذاب الله تعالى على تركهم اياه ثم لما عاينوا وقوع ما حذرهم الاوسط به قال لهم الاوسط الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون
فتقولوا ان شاء الله وقال آخرون ان القوم حين عزموا على منع زكوة ما خرج من جنتهم قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية
قبل نزول العذاب واعزموا على استثناء حصة المساكين كما كان يخرجها ابوكم فغيروا عزمهم فلما راوا العذاب ذكرهم ما قال
لهم سابقا فقال لهم الم اقل لكم لولا تسبحون الله وتتوبون اليه فلا جرم اشتغل القوم بالتوبة والتسبيح سبحان ربنا انا
كنا ظالمين فلو انهم تكلموا به قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا به بعد خراب البصرة قوله ويدل على هذا المعنى اي على ان المراد
بتسبيح الله ان يذكروه ويتوبوا اليه ما حكي عنهم من قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فانهم نزهوا الله تعالى وقدسوه عن كل سوء ونقصان
لا سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بهم واعترفوا على انفسهم بكونهم ظالمين في قصدهم حرمان المساكين اتباعا لشح انفسهم فكانهم قالوا

نستغفر الله من سوء صنعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا واعترفوا بذنبهم
حيث قالوا انا كنا ظالمين ان كان المراد بالتسبيح الاستثناء يكون معنى قول الاوسط هلا تنزهون الله عن ان يجري في ملكه ما لا يريده
بان تقولوا انصرمنها مصبحين ان شاء الله ومعنى قولهم سبحان ربنا ننزهه عن ان يجري في ملكه شيئا الا بارادته ومشيته وهو في
معنى الاستغفار واختلف اهل التفسير في ان ما قال اهل تلك الجنة الى قوله انا الى ربنا راغبون هل هو توبة منهم فمنهم من توقف في ذلك
وقال يحتمل ان يكون هذا الكلام منهم من قبيل ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة وذهب الاكثرون الى انهم قالوا ذلك
بطريق التوبة واخلاص النية روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق
فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البعير منها عنقود كذا في معالم التنزيل وفي التيسير والكشاف وقال ابو خالد اليماني
دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم قوله والى لانتهاء الرغبة لما كان المشهور ان تتعدى الرغبة بكلمة في او
بكلمة عن ولم يشتهر تعديها بالى ذكر المصنف لها وجهين احدهما ان تضمن الرغبة معنى الرجوع والاخر ان معنى الرغبة الرجاء والطلب
وان كلمة الى لبيان ان الله تعالى هو منتهى رجائهم وطلبهم قوله مثل ذلك العذاب في الدنيا يعني ان قوله تعالى كذلك العذاب جملة اسمية قدم فيها
الخبر على المبتدا ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعذاب الدنيا وبما هو اكبر منه وهو عذاب الآخرة ذكر بعده احوال اهل السعادة فقال
ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وعند يجوز ان يكون ظرفا معمولا للاستقرار الذي تعلق به للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من
جنات لعدم العامل قوله اي في الآخرة لما استحال كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية جعل المصنف عنديتها عبارة عن عندية
الدار الآخرة بمعنى انها لا ملك ولا حاكم فيها الا الله عز وجل او عندية قدسه تعالى وطهارته فان الجنة يقال لها دار القدس وحظيرة القدس
مطهر قدس الله تعالى ودليلا عليه فالمجاورة بمعنى المناسبة المبنية له قال النحويون الفرق بين عند ولدى ان انه اذا قيل المال عند
زيد يصدق ذلك سواء كان المال حاضرا عنده او غائبا كائنا في شيء يلابسه كبيته وصندوقه وامينه ونحو ذلك بخلاف ما اذا
قيل المال لدى زيد فانه لا يصدق الا اذا كان المال حاضرا عنده قوله ليس فيها الا التنعم الخالص اي لا يشوبها شيء مما يكدر رها من
وجوه التنعم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من اضافة جنات الى النعيم فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه
وذلك لا يكون الا بان لا يكون فيها الا التنعم الخالص ففيه تعريض بان جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش ومحض التنعم والاستراحة عن مقاتل
قال لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يكن التفضيل فلا
اقل من المساواة فاجاب الله تعالى فيه على وجه الانكار بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم بقوله ما لكم كيف تحكمون في موضع الحال
من المنوي في لكم الراجع الى ما قوله واصله ان لكم بالفتح جواب عما يقال ان الجمهور قرؤا بكسر همزة ان والحال ان ما في حيزها واقع موقع مفعول
تدرسون والمعنى تدرسون في الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصي كالمطيع يكون ارفع حالا منه فأتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين وتقرير الجواب نعم ان الاصل الفتح الا انها كسرت لدخول لام الابتداء في اسمها فان لام الابتداء لا يدخل الا في خبر ان
المفتوحة تقول علمت انك فاضل بالفتح وتقول علمت انك لفاضل بالكسر وكسر ان بعد تدرسون لانه علق عنه لما فيه من معنى العلم قوله ويجوز ان
يكون حكاية للمدروس او استئنافا وجهان آخران لكسر ان تقرير الاول ان جملة ان لكم فيه لما تخيرون يجوز ان يكون مواقع كسر ان لعدم
وقوعها موقع المفرد وخبر العامل فحكاها الله تعالى في صورتها وان كانت في تاويل المفرد في هذا النظم لكونها مفعول تدرسون وهذا الوجه
لا يخلو عن بعد لان كلمة فيه في قوله تعالى ان لكم لما تخيرون تابى ان يكون هذا النظم بصورته هذا المدروس الواقع في الكتاب المفروض
الا ان يقال انها مقحمة فيه تاكيدا لما ذكر اولا وليست واقعة في النظم المحكي وتقرير الثاني انه يجوز ان يتم الكلام عند قوله فيه تدرسون

بان ينزل

بان ينزل تدرسون منزلة اللازم ويكون المعنى توقعون القراءة فيه كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي ثم يبتدا ويقال ان لكم فيه لما تخيرون
اي يحل لكم ذلك قوله عهود موكدة بالايمان يقال لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اي ام ضمنا
لكم واقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم عهود موكدة بالايمان قوله متناهية في التاكيد يعني كون الايمان بالله بالغة يعني كونها
في غاية القوة والصحة وكل شيء يكون في نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ قوله حتى نحكمكم في ذلك اليوم الى حتى نحكمكم
حكاما في ذلك اليوم ونعطيكم ما تحكمون او هو متعلق ببالغة اي تبلغ الى يوم القيامة بمعنى انها في لزومها وتاكدها ثابتة تنتهي
الى ذلك اليوم تامة ولا يبطل منها شيء الا ان يحصل المقسم عليه الذي هو التحكيم واتباعنا الحكم قوله بذلك الحكم قائم اشارة الى ان قوله
بذلك متعلق بزعيم وان الزعم هنا بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها اي سل الذين يدعون ان لهم علينا عهودا موكدة
بالايمان على ان نحكمهم يوم القيامة ونعطيهم ما يحكمون به من ان نجعلهم كالمسلمين ونفضلهم عليهم ايهم قائم بهذه الدعوى وبالاحتجاج
على صحتها كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم وايهم متعلق بسلهم لان السؤال في معنى العلم بكونه سببا له ثم انه تعالى لما انكر
عليهم ان يكون حكمهم بالتسوية بين المسلمين والمجرمين مستندا الى حجة قال الى دليل عقلي ما لكم كيف تحكمون ولا الى دليل نقلي حيث
قال ام لكم كتاب انكر عليهم ايضا ان يكون لهم شركاء يوافقونهم فيما ذهبوا اليه من التسوية بين المحسن والمسيء حتى يقلدونهم
لكونهم من العقلاء الذين يصح التقليد بهم فقال ام لهم شركاء ثبت ان ما زعموه باطل من كل الوجوه قوله وقيل المعنى قال الامام قوله
تعالى ام لهم شركاء في تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم شيء يعتقدون انهم شركاء الله تعالى ويعتقدون ان اولئك الشركاء
يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء الله تعالى
وهذا كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء الوجه الثاني ان المعنى ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو
التسوية بين المؤمن والمجرم فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي في اثبات هذا
المذهب ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه ثم
انه تعالى لما ابطل قولهم وبين ان لا وجه لصحته اصلا شرع بعد ذلك في بيان عظمة يوم القيامة فقال يوم يكشف عن ساق ويوم ظرف منصوب
بقوله فليأتوا فكانه تعالى قال ان كنتم صادقين في انها شركاء فليأتوا بها يوم يشتد الامر ويصعب الخطب لتنفعهم او تشفع لهم او منصوب
باذكر المقدر ويجوز ان يكون المحذوف العامل غير اذكر ويكون تقدير الكلام يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ واشعارا
بانه ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمته قوله وكشف الساق مثل في ذلك يعني انه استعارة تمثيلية في اشتداد الامر وصعوبته فمعنى الآية يوم يشتد
الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل في البخل بان شبهت حال
الشدة عليهم من الامر في الموقف بحال المخدرات اللاتي اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن في الهرب فاستعمل في حق اهل
الموقف من الاشقياء ما يستعمل في حقهن من غير تصرف في مفردات التركيب بل التصرف انما هو في الهيئة التركيبية روي انه سئل ابن
عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر سن لنا قومك
ضرب الاعناق • وقامت الحرب بنا على ساق • ثم قال هو يوم كرب وشدة قوله او يوم يكشف عن اصل الامر معطوف على قوله يشتد الامر
اي ويجوز ان يكون من باب التمثيل بل فيه اصل الامر وحقيقته ساق الشجر ويطلق عليه اسم المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية
وتنكير ساق للتهويل والدلالة على انها شدة خارجة عما يتخيله الانسان كانه قيل يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن وصفها
قوله والتعظيم على ان يكون الساق مستعارا لاصل الامر وحقيقته وقرا الجمهور يكشف بياء تحتانية على بناء المفعول وعن ساق قائم

مقام الفاعل وقرئ بالتاء الفوقية على بناء الفاعل واسناد الفعل الى ضمير الساق وعلى بناء المفعول ايضا واسناده الى ضمير الحال قوله ان كان اليوم يوم القيامة
شرط القول توبيخا يعني انهم اختلفوا في ان هذا اليوم الذي يكشف فيه عن ساق اهو يوم القيامة او آخر ايام الرجل في دنياه او يوم مرضه او
هرمه وعجزه عن اداء الصلوة فذهب الجمهور الى انه يوم القيامة فان الكفار والمنافقين يدعون الى السجود فيه لكن لا على سبيل التكليف
لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد لا تكليف بل بسبيل التوبيخ والتعجيز على تركهم السجود في الدنيا ثم انه تعالى حال ما يدعوهم الى السجود يسلب
عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة ويجعل ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون كان ظهورهم
ادخلت فيها السفافيد فلا ينحني فيبقون قياما كما كانوا على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود
وهم سالموا الاعضاء والمفاصل وذهب آخرون الى انه ليس المراد منه يوم القيامة لانه تعالى وصف ذلك اليوم بانهم يدعون فيه الى السجود
ويوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف بل المراد به يومه الذي عجز فيه عن اداء الصلوة من ايام الدنيا اما من الشدة النازلة من هول
ما عاينوه عند النزع واما بسبب العجز الحاصل لهم بسبب المرض او الهرم وقد كانوا يدعون السجود زمان الصحة بقول المؤذن حي
على الصلوة فلا يجيبون وهم اصحاء معافون قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله تعالى
خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون وابصارهم مرفوع على انه فاعل خاشعة ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضاء
خاشعة ذليلة متواضعة لظهور اثر خشوع الجميع فيها وقوله وهم سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ثم انه تعالى لما خوف الكفار
بعظمة يوم القيامة زاد في تخويفهم بذكره عظمته وفي قدرته من القهر فقال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث وهو القرآن
وقيل القيامة والمعنى كل امره الي فاني اكفيكه اذا علمت القيامة وشدة الاهوال الآتية فيه فكل امر المكذبين الي وهذه تسلية له
وتهديد لمن كذبه قوله ومن نصب بالعطف على ضمير المتكلم او انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف قوله سنستدرجهم
سنستدنيهم من العذاب درجة حتى نوقعهم فيه قوله وهو الانعام عليهم اي ادناؤهم من العذاب من حيث لا يعلمون انه استدراج
هو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم فان العبد اذا كان بحيث كلما ازداد
ذنبا جدد الله له نعمة وانساه التوبة والاستغفار كان ذلك منه استدراجا بحيث لا يعلم العبد انه استدراج روي ان
رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان قل له كم من عقوبة لي عليك
وانت لا تشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت وعنه عليه السلام قال اذا
رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصية فاعلم انه مستدرج وتلا هذه الآية لانه في صورته اي في صورة
الكيد وهو المكر والاحتيال لا ظاهره احسان وانعام وحقيقته اهلاك وعذاب ولا خفاء ان الاهلاك بما في صورة
الاحسان في صورة الكيد والاحتيال قوله تعالى أم تسألهم اجرا معطوف على قوله ام لهم شركاء اي لا يلتمس منهم اجرا
على ما تدعوهم اليه من الايمان والطاعة حتى يثقل عليهم تحمل الغرامات في بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم
كلفة في متابعتك بل هي سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة والمغرم الغرامة ثم انه تعالى بالغ في تزييف طريق الكفار وفي
زجرهم عما هم عليه قال له عليه الصلوة والسلام فاصبر لحكم ربك اي لقضائه او لما حكم به من امهالهم وتاخير
نصرتك عليهم قوله اذ نادى منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت ندائه ربه
ونوبته وهو في بطن الحوت وهو في ذلك الوقت كان مكظوما اي مملوءا غما وغيظا وحزنا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى
لا يوجد منك ما يوجد منه في الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه قال يونس عليه السلام لم يصبر على اذى قومه وخرج

مغاضبا

مغاضبا فضيق الله تعالى عليه فالتقمه الحوت ونداؤه ما اخبر الله به عنه وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
ذكر توبته ههنا ولم يذكر زلته صريحا بل ذكرها تعريضا حيث ذكر نداءه وتوبته فلا يرد ان يقال كيف يصح ان ينهى
احد عن ان يكون حاله كحال يونس اذ نادى ربه في بطن الحوت مع ان حاله وقت ندائه هو التوحيد والتسبيح والاعتراف
بالذنب والتوبة عنه وكل ذلك طاعة والطاعة لا ينهى عنها وذلك لان المراد بحاله وقت ندائه الحالة التي اقتضت
الطاعة المذكورة المدلول عليها تعريضا بذكر هذه الطاعة تصريحا وقد ذكرت تلك الحال تصريحا في قوله تعالى وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت اني كنت من الظالمين فاستجبنا له
ونجيناه من الغم نقل صاحب التيسير عن الحسين بن الفضل انه قال اذ نادى لا يتعلق بلا تكن اذ النداء طاعة فلا ينهى
عنها فالاوجه ان يكون مفعولا به لاذكر مقدرا قوله وحسن تذكير الفعل مع كونه مسندا الى النعمة للفصل بينهم وبين فاعله
بالضمير المنصوب مع ان تانيث النعمة غير حقيقي وفيما اسند الى ظاهر غير الحقيقي يجوز الامران ولان النعمة والانعام بمعنى
بمعنى واحد وتداركه فعل ماض بمعنى ادركه ويدل عليه قراءة من قرأ تداركته بزيادة تاء التانيث في آخره وقرئ ايضا
لولا ان تداركه بتشديد الدال وهو مضارع اصله تتداركه ادغمت التاء الثانية في الدال بعد قلبها دالا وجعل
هذه القراءة مبنية على حكاية الحال الماضية ومعنى حكاية الحال الماضية ان يقدر ان تلك الحال واقعة في حال
التكلم فيعبر عنها بلفظ يدل على وقوعها في حال التكلم ولا يعقل ههنا بما وقع سابقا الا اذا كان امرا غريبا فقصد
سلوك هذه الطريق ان تحضره للمخاطب تصوره له حتى يطلع عليه فيتعجب من غرابته مثل ان يقول رأيت الاسد
فاخذ السيف فاقتله فظهر بهذا التقرير ان ما يكون على حكاية الحال الماضية لا يدخله علم الاستقبال لان دخوله عليه
ينافي الغرض المذكور فكان دخول ان الاستقبالية على قوله تداركه مانعا من حمله على حكاية الحال الماضية فلذلك قال
المصنف في تصوير المعنى حينئذ لولا ان كان يقال فيه تتداركه فادخل علامة الاستقبال على القول المقدر فصح بذلك ان يحمل
قوله تتداركه على حكاية الحال وليس مراده بتقدير القول بيان ان حكاية الحال تقتضي تقديره لما عرفت من ان حكايتها
لا تقتضي تقدير القول بل يكفي فيها ان يقدر وقوعها في حال التكلم ويعبر عنها بما يدل على وقوعها فيه قوله مليم اسم فاعل
من الام الرجل بمعنى اتى بما يلام عليه قوله وهو حال من مرفوع قوله لنبذ يعتمد عليها الجواب يعني ان جواب لولا
في الحقيقة مفهوم قوله وهو مذموم وان كان في الظاهر هو قوله لنبذ وذلك لان لولا الامتناعية تقتضي ان يكون
جوابها منتفيا والمنتفي ههنا ليس نفس النبذ بالعراء لان ذلك قد وقع بقوله تعالى في الآية الاخرى فنبذناه بالعراء
وهو سقيم فعلم ان المنتفي هو نبذه فيها مذموما فانه تعالى نبذه بالعراء محمودا وارسله الى
مائة الف او يزيدون من حيث انه ادرك نعمة التوفيق للتوبة عن زلته وقبول تلك التوبة ولولا ان ادركته
تلك النعمة لنبذ مذموما مليما وقيل معنى الآية لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء عرصة
القيامة مذموما حين يحشر الناس ولكن من الله عليه بالنعمة المذكورة فنبذ بعراء الدنيا ويدل على هذا القول قوله
فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون قوله بان رد الوحي اليه او انشأه ويؤيد الاول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
رده الله تعالى اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه اي قبل شفاعته في نفسه وقومه وقبل توبته ومن انكر الكرامات والارهاص
لا بد ان يختار هذا القول لان احتباسه في بطن الحوت وعدم توبته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لا بد ان يكون معجزة

وذلك يقتضي ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة وقال قوم لعل صاحب الحوت ماكان رسولا قبل هذه الواقعة ثم جعله الله رسولا بعد هذه
الواقعة وهو المراد من قوله تعالى فاجتباه ربه قوله وفيه دليل على خلق الافعال فان افعال العباد لو لم تكن بخلق الله تعالى لما قيل فجعله
من الصالحين فانه صريح في ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه الشر ونظر الغضبان بمؤخر عينه او على وجه يؤذن
بالغضب في العداوة قوله روي انه كان في بني اسد عيانون وكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء من الابل او الغنم او غيرهما
فيقول لم اركاليوم ابلا وغنما احسن من هذه او مثل ذلك الاعانه فلا يذهب الا قليلا حتى تسقط طائفة منها هالكة فسال الكفار من كانت له
بعض هذه الصفة ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فعصمه الله تعالى من غيرهم ومن الناس من انكر اصابة العين وقال
انها لا حقيقة لها لان تاثير الجسم في الجسم لا يفعل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التاثير والمصنف اشار الى
جوابه بقوله لكون هذه خصايص بعض النفوس مختلفة في جواهرها وهياتها واذا كان كذلك لم يمتنع ايضا اختلافها في لوازمها واثارها
فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التاثير المذكور قوله وقرا نافع ليزلقونك بفتح اليا على ان زلق بفتح اللام متعد وبالكسر
لازم يقال زلقته فزلق اي اسقطه فسقط من خزنته فخزنه والباقون بضم اليا من ازلقه اي ازل رجله وقرئ ليزهقونك من
زهقت نفسه اي هلكت وازهقها غيره اي اهلكها قوله ينبعث عند سماعه بعضهم يعني ان لفظ ليزلقونك مصوبة بقد يزلقونك قوله
يعني انه ذكر عالم الجن والانس يتعظون به ويستنبطون منه صلاح احوالهم المتعلقة بالدين والدنيا وفيه من الآداب والحكم ومن
سائر العلوم ما لا حد له ولا حصر فمن يظهر شرف هذا الكلام ويتلوه ويدعو الناس الى العمل بما فيه كيف يقال في حقه انه مجنون
والحال انه من ادل الامور على كمال عقله وعلو شانه فمن نسب اليه المقصور فانما هو من جهله وحيته فان ذا الفضل لا يعرفه
الا ذووه اذا لم يكن المراعين صحيحة فلا عزوان يرتاب والصبح مسفر سورة الحاقة بسم الله الرحمن الرحيم
قوله اي الساعة او الحالة التي يحق اي يجب وقوعها والحاقة اسم فاعل من حق الشيء بكسر الحاء اي وجب حذف موصوفها وهو الساعة او الحالة
وكذا على قوله او التي تحق فيها الامور الاانه من حققته احقه بالضم اذا عرفت حقيقته وصرت منه على يقين فعلى هذا الحاقة بمعنى الفارقة للامور
بحقيقتها سميت الساعة بها مع ان الفعل لاهلها على الاسناد المجازي على طريق ليله قائم ونهاره صائم فان الخلائق هم الذين يعرفون الامور
على حقيقتها يوم القيامة فاسند الوقت الى الوقت مجازا قوله او يقع فيها حواق الامور اي ثوابتها على ان الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشيء يحق
بالكسر اي يثبت والثبوت وصف لما يقع في الساعة من الحساب والجزاء وصف به نفس الساعة على الاسناد المجازي ايضا فقوله على الاسناد المجازي متعلق
بكل واحد من الوجهين الاخيرين قوله خبرها ما الحاقة يعني ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر الاول وكان حقها ان يقال الجملة الواقعة
خبر المبتدا لا بد فيها من العائد لاشتمالها على الظاهر الذي اقيم مقام الضمير العائد فان اصلها الحاقة ما هي اي اي شيء هي وضع الظاهر موضع
المضمر تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فان مع التفخيم وان كان مستفادا من الجملة الاستفهامية الا انه اذا وضع الظاهر موضع المضمر يكون
ذلك ازدياد له واكد فان البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير في نظمهم ونثرهم لقصد التعظيم والتفخيم فيقولون زيد وما زيد يدل على ان
يقال ما هو لتعظيم شانه وتفخيم امره فان دلالة الظاهر على ما هو منشا التعظيم والتهويل اكثر من دلالة الضمير عليه فقول المصنف على
التعظيم لشانها بيان لمعنى الاستفهام وقوله وضع الظاهر موضع الضمير اشارة الى نكتة وضع الظاهر موضع الضمير قوله واي شيء اعلمك ما هي اشارة الى ان ما
الاولى استفهامية ومعناها التفخيم والتعظيم وكذا ما الثانية وكل واحدة منهما مبتدا وما بعده خبره والجملة الثانية في محل النصب على انها
مفعول ثان لادرى بل هي سادة مسد المفعول الثاني والثالث له لانه بمعنى اعلم وهو يتعدى الى ثلاث وادريك غير عامل فيما بعده من معنى
الاستفهام قوله تقرع الناس بالافزاع اي تصيبهم بها كانها تقرعهم بها شبهت الاصابة بالقرع فسميت باسمه ثم اشتقت منه فهي استعارة

تبعية وكان مقتضى الظاهر ان يقال كذبت ثمود وعاد بها اي بالحاقة من حيث انه تعالى لما ذكر الحاقة وفخم شانها شرع في ذكر من اهلكها
خلق لهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم الا انه وضع لفظ القارعة موضع ضمير الحاقة لما في القارعة
من الدلالة على الشدة والهول ما ليس في ضمير الحاقة وثمود قوم صالح عليه السلام وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز وعاد قوم هود عليه السلام
وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله قوله بالواقعة المجاوزة للحد يعني الطاغية صفة لمحذوف
هي الواقعة وان الطغيان مجاوزة الحد في اي شيء كان وان اليا فيها للاستعانة كما في كتبت بالقلم وتلك الواقعة هي الصيحة المجاوزة في قوتها
وشدتها عن حد الصيحات بحيث لم يتحملها قلب احد منهم كما قال الله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر او الرجفة
اي الزلزلة العظيمة لقوله تعالى فاخذتهم الرجفة انتهى قوله او بسبب طغيانهم على ان تكون الطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالكاذبة
والعاقبة وتكون اليا سببية فان طغيانهم حملهم على التكذيب وعقر الناقة ونحوهما فاهلكوا بسببه كما قال تعالى كذبت ثمود
بطغواها اذ قدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها الى قوله قوله وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا اي جعل الطاغية بمعنى الطغيان وجعل
اليا سببية لا يلائم قوله فاهلكوا بريح لان اليا فيه للاستعانة لا للسببية فجعلها في الجملة الاولى للسببية لا يلائم ما بعدها قوله
من الصر او الصر الاول بفتح الصاد وهو الصوت يقال صر الجندب صريرا وصر القلم والصر بالكسر برد يضر بالنبات والحرث قوله
كما نها عتت اي عصت وتمردت وغلبت على خزانها فجعل قوله عاتية استعارة تبعية بان شبهت شدة غضب الريح بعتوها على
خزانها فسميت باسم المشبه ثم اشتق منه لفظ عاتية حملها على المجاز لتعذر الحقيقة لان حقيقة العصيان من صفات العقلاء
وقال الكلبي عتت الريح على خزانها فلم تطعهم ولم يطيعوها من شدة هبوبها غضبا لله تعالى ولم يخرج قبل ذلك ولا بعد بشيء منها الا بقدر معلوم
وقال عليه السلام طغى الماء على خزانه يوم نوح وعتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل وقال عليه السلام طغى الماء وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال المراد بعتوها غلبتها عليهم فانهم لم يقدروا على ردها بحيلة من الاستتار ببناء ولا الاستناد الى جبل لانها كانت تنزعهم
عن اماكنهم وتهلكهم قوله اذ لو كانت علة لوجب كون قوله تعالى سخرها عليهم نافيا للوهم المذكور وتقريرها ان تلك الريح الصرصر العاتية
لو كانت مقتضى الاتصال النجومي الفلكي لكان اقتضاؤه اياها بتقدير الفاعل المختار وجعله اياه سببا لها الا ان الاتصال المذكور يقتضي اياها
لذاته اذ لو كان كذلك لما حصل منه تخويف قريش وتحذيرهم عن التكذيب بسبب كونه موديا الى اعدائه تعالى قوله متتابعات بين الله تعالى
اولا زمان تعذيبهم بتسخير الريح عليهم فقال سبع ليال وثمانية ايام ثم بين ان ذلك التعذيب لم يكن متفرقا في تلك المدة بل كان على
التتابع والتوالي بحيث لم يخل يوما من تلك الايام ولا ليلة من لياليها عن ذلك حسوما اي متتابعة من غير فتور ولا انقطاع في تلك المدة
قوله تعالى سبع ليال منصوب على الظرفية وحسوما حال من مفعول سخرها اي ارسلها عليهم بقدرته في حال كونها متتابعة الهبوب
في تلك المدة من غير فتور ولا انقطاع لان تستاصل القوم وتقطع دابرهم وهو جمع حاسم كشهود وعهود وهي جمع شاهد وعاهد
قوله حسوما بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لكثرتها باعتبار وقوعها في تلك الليالي والايام ومعنى الحسم في اللغة القطع بالاستيصال
وسمي السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وسمي كي الدابة ذات الداء لانه يزول عنها الداء باصلها وتنقطع
مادة الداء بالكلية حسما لان العامل يعيد الكي على الدابة كرة بعد اخرى لانه يستاصل الداء ويقطعها بالكلية ولما كانت الرياح متتابعة
ما سكنت ساعة حتى اهلكتهم جميعا شبه تتابعها عليهم بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الدابة مرة بعد اخرى حتى ينحسم ما بها فسمي ذلك
التتابع حسما وسميت انفس الريح من حيث تتابع هبوبها الى ان تهلك القوم بالكلية حاسمات على سبيل الاستعارة والحاصل ان تلك
الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستاصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة

دابرهم فيسمى حسوما بمعنى حاسمات اما تشبيها بمن يحسم الداء بتتابع الفعل واما لان الحسم في اللغة القطع والاستيصال قوله ويجوز ان يكون
مصدرا عطفا على قوله جمع حاسم اى ويجوز ان يكون بمعنى الحسم على وزن الشكور والكفور منصوبا على انه مفعول له اى سخرها عليهم للحسم
واستيصالهم او على انه مصدر موكد لفعل المقدر اى يحسمهم حسما وتستاصلهم استيصالا وتكون الجملة في محل النصب على انه حال من الضمير
المنصوب في سخرها ويؤيده القراءة بفتح الحاء فان حسوما في هذه القراءة حال بمعنى سخرها عليهم قاطعا مستاصلا قوله وهى كانت ايام العجوز
وهى ايام في آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة تسميها العرب ايام العجوز قيل لانها في عجز الشتاء او لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا
وهو بفتحتين بيت في الارض فانتزعتها الريح فاهلكتها قوله صرعى حال من القوم لان الروية بصرية اى لو كنت عندهم في ذلك
الوقت لرايتهم فيها اى في مهابها مصروعين والكاف في كانهم في موضع الحال ايضا اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد
او من المنوى في صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين باعجاز نخل خاوية الاجواف لا شئ فيها شبهوا بها من حيث ان ابدانهم
خوت اى خلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وفيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسامهم وان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل البالية
قيل كانت الريح تدخل في افواههم فتخرج ما في اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية البالية قوله من بقية اى يعنى يجوز ان تكون
الباقية اسما بمعنى البقية وان تكون صفة فيقدر لها موصوف وان تكون مصدرا بمعنى البقاء كالعاقبة وعلى التقادير كلها قوله من باقية
مفعول ترى ومن زائدة ثم انه تعالى لما ذكر قصة ثمود وعاد من جملة المكذبين تخويفا لاهل مكة شرع في ذكر قصص سائر المكذبين
فقال وجاء فرعون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء يعنى ومن يقدمه وكان قبله من الكفرة وقرئ بفتح القاف وكسر الباء
بمعنى عنده من اتباعه قوله قرى قوم لوط سميت مؤتفكات لانه تعالى قلبها على قوم لوط عليه السلام من افك على الشئ اذا قلبه
اى قلبه وائتفكت البلدة باهلها اى انقلبت قوله على ان تكون الخاطئة مصدرا كالعاقبة وما بعده على ان تكون بحذف موصوف هو الفعلة
او الافعال والتاء للنسب كتامر ولابن اى بالفعلة ذات الخطأ قوله زائدة في الشدة اى على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم القبيحة
كانت زائدة في القبح على افعال سائر الكفرة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى ياخذه آكل الربا زايدا على ما
اعطاه قوله جاوز حده المعتاد يعنى ان الطغيان مجاوزة الحد فالماء قد جاوز حده المعتاد حقيقة حتى قيل انه ارتفع على كل شئ خمسمائة
ذراع ويجوز ان يكون المراد مجاوزة حده في المعاملة مع خزانه من الملائكة حيث قيل ان الماء طغى على خزانه فلم يقدروا على ضبطه
قوله وهو يوتدى من قبله بفتح القاف وسكون الباء لان الآية امتنان على المؤمنين بانجائهم مما اغرقهم به اعاديهم واخذوه بالخاطئة من اغراقهم
بالطوفان قوله شبهها بكتف يعنى ان يعى تشبيه كتف وفخذ والعرب تخفف مثلها باسكان الوسط فلذلك سكنت في تعيها قوله
والوعى ان يحفظ الشئ فيقال وعيت العلم ووعيت ما قلته ويقال اوعيت المتاع في الوعاء قوله سوان من هذا شانه اى وعلى ان من
ان التنكير فيه للتقليل مع التعظيم فان من وعى هذه الفعلة انما يعيها ويحفظها لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم في الاعمال الباطلة
نما المنجى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا للنجاة من عقبوده ودوام نسلهم فيكون الاذن التى من شانها ذلك معظمة قوله
وقرا نافع اذن بالتخفيف اى بسكون الذال والباقون بضمتين وتصغيرها اذينة قوله وتنبيها على امكانها فان ما ذكره في
شرح حال المكذبين بعدما بالغ في التهويل الحاقة يدل على ان القدرة على البعث والنشور كان حكمة القادر تدل على وقوعها وشرع
بعد ذلك في تفاصيل احوال القيامة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور الآية قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لعنيين يعنى ان المصدر المبهم وهو الذى يكون لمجرد التاكيد نحو ضربت ضربا لا يجوز اقامته مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب
وانما يقال ضرب ضربة او الضرب الفلانى لان ما يقوم مقام الفاعل يجب ان يكون مثله في افادة ما لم يفده الفعل والمصدر

المبهم

٧٤

المبهم لا يفيد امرا زائدا على مدلول الفعل فلا يقام مقام الفاعل ونفخة في هذه الآية ليست من قبيل المصادر المبهمة لانها لا يطلق
على مجرد النفخ بل يطلق على النفخ المقيد بقيد المرة وحسن تذكير الفعل المسند الى نفخة للفصل بينهما وبمجرد جواز التذكير مبنى على
كون تانيث النفخة غير حقيقى قوله وقرئ نفخة بالنصب على المصدرية واسناد الفعل الى الجار والمجرور لانه اذا لم يوجد المفعول
فجميع الفاعل سواء على جواز اقامته مقام الفاعل قوله وهى النفخة على النفخة الاولى وهى التى لا يبقى عندها حيوان الا مات
ويكون عندها خراب العالم بقرينة قوله عقيبه وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وهذه الحالة تكون
عند النفخة الاولى وقوله بعد ذلك فيومئذ وقعت الواقعة وهى صيحة القيامة قال الامام المراد من هذه النفخة الواحدة
هى النفخة الاولى لان عندها خراب العالم فان قيل اما قال بعد ذلك يومئذ تعرضون فالعرض انما يكون عند النفخة الثانية
فاجاب عنه بقوله جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى يقع فيه النفخات والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك
قال يومئذ تعرضون كما تقول جئته يوم كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته قوله فضربت الجملتان اشارة الى وجه
تثنية الضمير في دكتا والظاهر ان يقال دككن لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة الا انه جعل الجبال كلها جملة
واحدة والارض جملة اخرى فعبر عنها بضمير التثنية ونظيره قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن قوله
فيومئذ وقعت الواقعة جواب لقوله تعالى فاذا نفخ في الصور ويومئذ بدل من اذا وتكرير لمعناه كرره لما طال الكلام والبدل
مع متبوعه منصوبان بوقعت ويومئذ في قوله فهى يومئذ واهية ظرف لواهية اى فالسماء يوم اذ نفخ في الصور وقامت
القيامة حقيقة مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد ان كانت محكمة شديدة يقال وهى البناء يهى وهيا اذا
اذا ضعف جدا قوله تعالى والملك على ارجائها حتى يامرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن عليها وقيل
ان الناس اذا راوا جهنم يفزعون فيندون كما تند الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة فيرجعون
حيث جاءوا ولعله تمثيل لخراب الدنيا الظاهر انه اشارة الى ما اورده الامام الرازى بقوله فان قيل الملائكة
يموتون في صعقة الاولى بقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فكيف يقال انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء يومئذ واجاب عنه بقوله قلنا
الجواب من وجهين الاول انهم يقفون على ارجاء السماء ثم يموتون والثانى ان المراد بالملائكة الذين استثناهم الله تعالى بقوله
الا من شاء الله واشار المصنف الى جوابه الاول بقوله وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة ان ذلك بعدما اجاب عنه من قبل
نفسه بان الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ما ذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه خراب السماء بتشققها واسترخائها
بخراب البنيان والتجاء اهلها الى اطرافها الباقية على حالها فعبر عن الهيئة المشبهة بها من غير ان يكون في جانب الهيئة المشبهة
اهل بما يعبر عن الهيئة المشبه بها من غير ان يكون في جانب الهيئة المشبهة اهل واطراف والتجاء الاهل اليها حتى يرد [illegible] ان
اهل السماء يموتون عند النفخة الاولى فكيف يقفون على ارجائها قوله وفوق الثمانية يعنى ان ضمير فوقهم راجع الى الحملة الثمانية
والمعنى انهم يحملون العرش فوق انفسهم يومئذ فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحملون حينئذ واما على تقدير ان
يكون ضمير فوقهم للملائكة الذين هم على الارجاء فالظاهر حينئذ ان يكون فوقهم حالا من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة قوله
ولعله ايضا تمثيل جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على انه تعالى حاضر في العرش متمكنا فيه وجه الاستدلال
انه تعالى لو لم يكن متمكنا مستقرا في العرش لكان حمله عبثا عديم الفائدة لا سيما الحد وقد اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون

قال الضحاك اذا كان يوم القيمة امر الله تعالى السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على ارجائها

ان يقال

والوضع انما يكون لو كان الاله حاضرا في العرش قال الامام اجاب اهل التوحيد عن هذا الاستدلال بانه لا يمكن ان يكون المراد
منه انه تعالى جالس في العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان في العرش فلو كان الاله في العرش للزم ان تكون الملائكة
حاملين له تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله تعالى اليهم وان يكون اعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح فعلمنا انه
انه لا بد فيه من التاويل فنذكر في تاويله ما ذكره المصنف من انه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم يبرزون
للقضاء العام فان الملك اذا اراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سريره ووقف الاعوان حوله كذلك اخبر الله تعالى
انه يظهر يوم القيامة عرشا محفوفا بالملائكة تصويرا لهم عظمة نفسه بما يتعارفونه في التعبير عن عظيم العظماء لا لان له عرشا
يقعد عليه ويحتاج الى وقت محاسبة الخلق والله اعلم قوله تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر بامراره اياهم عليه ليعرف
حالهم يعني قوله تعرضون استعارة تبعية بمعنى تحاسبون تشبيها للمحاسبة بالعرض المذكور والجوهري عرضت الجند عرض العين اذا
امررتهم عليك ونظرت حالهم قوله وهذا وان كان يكون بعد النفخة الثانية جواب عما يقال كيف قلتم ان المراد بهذه النفخة هي النفخة الاولى
التي عندها خراب العالم مع ان قوله تعالى يومئذ تعرضون يفهم منه ان المراد بالنفخة الثانية لان العرض والحساب انما يكون عندها
ومحصول جوابه ان تعقيب النفخة بما يتعلق بخراب العالم دل ان المراد بها النفخة الاولى قلنا بذلك وقوله تعالى بعد ذلك يوم تعرضون لا ينافي
لان اليوم قد يطلق على الزمان الممتد قوله سريرة والمعنى لا يخفى عليه تعالى فعله خفية حال كونها واقعة منكم وتسرون من اعمالكم فان
السر والسريرة الذي يكتم ويخفى والجملة مستانفة لبيان ان العرض المذكور ليس ليخفى الشيء من افعالكم عليه كما قال لا يخفى على الله منهم
شيء بل المراد به افشاء الحال وتحقيق انه تعالى ليس بظلام للعبيد قوله او على الناس عطف على قوله على الله فعلى هذا يتعلق قوله منكم
بقوله لا يخفى اي لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان يخفيه الانسان من اداء الطاعة والمعصية في الدنيا فانه يظهر فيه احوال المؤمنين
فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال اهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم وهو المراد من قوله تعالى يوم تبلى السرائر
فما له من قوة ولا ناصر فقوله لا تخفى منكم خافية زجر عظيم عن المعصية لتاديتها الى الافتضاح على رؤوس الاشهاد قوله
يحجا جايجيم تبرلها ومعناه الفرح يقال بجحته فتبجح اي فرحته ففرح فانه لما اوتي كتابه بيمينه علم انه من الناجين والفائزين بالنعيم
المؤيد فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله وقيل ذلك لاهل بيته وقرابته قوله وفيه لغات اجودها ها يا رجل بفتح الهمزة
وها يا امراة بكسر الهمزة وتصريفها هاء هاؤما هاؤم وهاؤما هاؤن قوله ومفعوله محذوف يعني ان قوله هاؤم
خذوا وتناولوا يقتضي مفعولا يتعدى اليه بنفسه فكذا قوله اقرؤوا يقتضي ذلك فتنازعا في قوله كتابيه واعمل الثاني لكونه اقرب العاملين
واعمال الاقرب في مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين الا ان الكوفيين يجوزون اعمال الابعد ايضا لكونه متقدما في الوجود
على العامل الثاني والبصريون لا يجوزون اعمال الابعد لان بعده من الاسم الظاهر الذي بعده يجعله مرجوحا ضعيفا ولا اثر للضعيف
عند وجود ما هو اقوى منه ايضا ولو كان العامل هو الابعد لكان التقدير هاؤم كتابي فكان يجب ان يقولوا اقرؤوه لما تقرر في النحو انه ان اعمل
الفعل الاول والحال ان الثاني يطلب مفعولا فالمختار ان لا يحذف مفعول الثاني بل يجعل ضميرا بارزا وذلك لان الثاني لكونه اقرب الطالبين
اذا لم يحظ لمطلوبه مع الامكان فحقه ان يستقل بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول اقرؤوا
علمنا انه هو العامل في كتابيه ومفعول هاؤم محذوف والتقدير هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قوله
تثبت في الوقف او تسقط في الوصل بيان لما هو الاصل في هاء السكت لان هاء السكت انما جيء بها تحصينا لحركة الحرف الموقوف عليها
وبيانا لها فانه لو لم يجاء بها ووقف على الياء لسكنت في بالها حفظا لحركتها فثبت انه لا حاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها
ان تثبت

ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل الا ان القراء السبعة اتفقوا في كتابيه وحسابيه على اثبات هاء السكت فيهما في الوصل ايضا اجراء
للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة في المصحف في هذه المواضع وما كان ثابتا فيه لا بد ان يكون ثابتا في اللفظ الا ان
اثباته في اللفظ انما يحسن عند الوقف فعلم منه ان المستحب ان يوقف عليها وان من وصلها يثبتها حال الوصل ايضا اتباعا للرسم لان
ما يثبت في الرسم لا بد ان يثبت في اللفظ ولذلك اتفقوا في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة على اثباتها في الحالتين الا حمزة فانه
اسقط الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا على الاصل ولم يعمل بالاصل في كتابيه وحسابيه واثبتها في الحالين جميعا
بين اللفظين والهاء التي في قاضية وفي هاوية وفي خاوية وثمانية وعالية ودانية والخالية فانها فيهن للتانيث
فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء وقيل لا باس باسقاطها اي هاء السكت حال الوصل في جميع المواضع مع اجماع السبعة بخلافه
بناء على ان الوقف والابتداء وما هو من قبيل الاداء ليس مما يعتمد على النقل المتواتر قوله اي علمت فسر الظن بالعلم لانه لو بقي على
اصله لكان معنى اني ظننت اني احاسب في الآخرة والاعتقاد بالبعث والحساب من جملة العقائد الدينية التي يجب الايمان بها
والايمان لا يحصل بالشك والظن بل لا بد للمؤمن ان يتيقن بحقيقة البعث والجنة وما يتفرع عليها فلذلك فسره به فالمعنى
اني علمت وتيقنت في الدنيا ان الله تعالى يبعثني ويحاسبني فاجتهدت في الطاعات وجانبت السيئات ما استطعت فنجاني الله تعالى
برحمته وفضله من اهوال هذا اليوم وجعلني من الآمنين فيه كما وفقني في الدنيا للايمان به والخوف من اهواله والعمل له وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله شعاع كشعاع
الشمس قيل له اين ابو بكر رضي الله عنه فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة قوله ذات رضى اي رضي بها صاحبها والنسبة قد
تكون بالحرف نحو رومي وبصري وقد تكون بصيغة نحو تامر ولابن وراضية من هذا القبيل ويجوز ان يكون من قبيل الاسناد المجازي
حيث اسند الرضى الى ضمير العيشة وهو لصاحبها قوله وذلك اي كون العيشة راضية باحد الوجهين لاشتمالها على ثلاثة
امور ومال الوجهين كون العيشة مرضية والشيء انما يكون مرضيا من جميع الوجوه اذا اجتمع فيه ثلاثة امور
الاول كونه منفعة صافية من الشوائب والثاني كونه دائما لا يرتقب زواله وانقطاعه والثالث كونه بحيث يقصد به تعظيم
من رضي به واكرامه والا يكون استهزاء واستدراجا وعيشة من اعطي كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فيكون مرضيا تاما
كامل الرضى قال ابن عباس رضي الله عنهما انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون باسا
ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا قوله في جنة عالية بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونها متعلقة بعيشة راضية اي يعيش
مرضيا في جنة عالية والعلو ان اريد به العلو في المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات وان اريد به العلو في الدرجة والشرف
فالامر كذلك وان اريد علو بنيتها وما فيها من الاشجار فالامر كذلك فهي عالية من جميع الجهات قوله جمع قطف بكسر القاف وسكون
الطاء وهو العنقود والقطف بالفتح مصدر يقال قطفت العنب قطفا والقطاف وقت القطف والمصنف غلب القطف في جميع ما
يجتنى من الثمر عنبا كان او غيره ومعنى السرعة ان ياخذها بيده قائما او جالسا او مضطجعا انقادت له وكذا ان اراد ان
يدنو اليه فيه رتب قوله باضمار القول اي يقال لهم كلوا وهذا الامر امتنان واباحة لا امر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست
بدار تكليف قوله وجمع الضمير بعد قوله فهو في عيشة راضية للمعنى فانه راجع الى من في قوله فاما من اوتي كتابه وهو في معنى
الجمع قوله كلوا واشربوا هنيئا على ان يكون قوله هنيئا صفة مصدر محذوف وقولوا هنيتم هنيئا على ان يكون مصدرا مؤكدا للفعل
المحذوف

وكل شيء يأتيك من غير تعب فهو هنيء اى لا تكدير فيه ولا تنغيص ومعنى الاسلاف في اللغة تقديم ما ترجوا ان يعود عليك بخير
فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف في كذا اذا قدم عليه ماله والمعنى بما عملتم في الدنيا والباء اما سببية او للمقابلة
اى بدل ما اسلفتم قوله يا ليت الموتة التي متها الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها في حكم المذكور بدلالة المقام والقاضية
القاطعة للحياة اى يا ليت الموتة التي متها لم احي بعدها يتمنى عند مطالعة كتابه ان يدوم عليه الحقيقة الاولى وان لا يبعث
ولا يلقى ما اصابه من الخجالة وسوء العاقبة قوله او يا ليت هذه الحالة او ان يكون ضمير ليتها للحالة التي يشاهدها
عند مطالعة الكتاب اى ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي يتمنى ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاضية لانه
راى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها والوجه الثالث ان يكون ضمير ليتها
للحياة الدنيا وهو ظاهر قوله وما نفي اى يجوز ان يكون ما في ما اغنى نافية وفي ماليه موصولة ولصلتها في يكون مفعول اغنى محذوفا
والتقدير لم يدفع عني الذي كان لي في الدنيا من الاموال والاتباع شيئا من عذاب الآخرة ويحتمل ان يكون ما الاضافة
الى ياء المتكلم والمعنى لم يغن عني المال الذي كان لي في الدنيا شيئا من العذاب بل الهاني عن امر الآخرة وضرني فضلا عن ان
ينفعني ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى والاستفهام للانكار والمعنى اي شيء اغنى عني ما جمعته
من الاموال والاتباع لم ينفعني ولم يدفع عني شيئا من العذاب والسلطان من السلاطة وفي القهر والغلبة ويطلق على الوالي لاتصافه
بها وعلى الحجة والبرهان ايضا لكونه سببا لها وفسرت الآية بكل واحد من المعنيين بتحرير وتقو كان لي في الدنيا ملك وتسلط على
الناس وحجة احتج بها عليهم فالان بطل ذلك وبقيت ذليلا مبهوتا فحينئذ يقول الله تعالى لخزنة النار خذوه فغلوه اى اجمعوا
يده الى عنقه وشدوه بالغل وهو جمع اليد الى العنق بالقيد قوله ثم لا تصلوه اى تدخلوه الا الجحيم لا تحرقوه الا فيها يقال صليت
الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد الاحراق قلت اصليته النار اصلاء وصليته
تصلية والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة فيها حلقة قوله تعالى سبعون ذراعا في محل الجر على انه صفة سلسلة وذراعا
تمييز وقوله سلسلة متعلق بقوله فاسلكوه اى ثم اسلكوه في سلسلة من صفتها كيت وكيت اى ادخلوه فيها والسلك
هو الادخال في الطريق والخيط والقيد وغيرها وتقديم في سلسلة على عامله كتقديم الجحيم على صلوه في الدلالة على قصر
الفعل عليه قوله بان تلفوها على جسده يعني ان المراد بادخاله في السلسلة جعله محاطا بها على طريق ادخال الخيط في اللؤلؤ كما
روي عن ابن عباس ان اهل النار يكونون في السلسلة كما يكون الثعلب في الحبة والثعلب طرف ... الرمح الداخل في جبة السنان
وهو الزج وذلك انما يكون بلفها على جسده بحيث يكون فيما بينها مرهقا محاطا مضيقا عليه الجوهري رهقه
بالكسر يرهقه رهقا اى غشيه قال تعالى لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة والمرهق الذي ادرك ليقتل قوله وثم لتفاوت ما بينها
من الشدة يعني ان قوله ثم فغلوه عطف على قوله ما قبله بفاء التعقيب وعطفت الجملتان اللتان بعدها بكلمة ثم للدلالة على
التراخي وظاهر ان التراخي الزماني غير مراد لان المقام مقام التهديد والتهويل لا شك ان التهديد بتوالي العذاب اشد
واظهر من التهديد بتفريقه في الازمنة فتعين ان المراد التراخي الرتبي ثم ان كلمة ثم والفاء الواقعتان في الجمل الاخيرة
ان كانتا للعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغي ان تكون ثم لعطف
قوله ... قبل قوله خذوه اي قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل له في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه

ولكون

ولكون الفاء لعطف المفصل على المفصل مع افادة معنى التعقيب كلمة ثم لعطف الكلام على الكلام مع الدلالة على ان الامر الآخر اشد واهول
مما قبله مع الا ... مع تعاقب الامور لها من الاخذ وجعل يديه مغلولة الى عنقه وتصليته الجحيم وسلكهم اياه في السلسلة
الموصوفة واشير بكلمة ثم الى ان امرهم بالآخرة اشد من امرهم بما مر دا به قبله قوله تعليل على طريق الاستيناف اى
بيان سبب استحقاقه لهذا العذاب الشديد للمبالغة في عظم جريمة كانه قيل ما باله بعد هذا العذاب الشديد فاجيب
بذلك لان الفاء استعظام الجزاء فان السائل لما استفظع الجزاء والسهولة فسال عن السبب الذي يوجب هذه العقوبة
الهائلة كان الواجب ان يبالغ في عظم الجريمة وقبحها ويقال كيف لا يشتد عذابه وانه قد ارتكب هذه الجريمة التي هي
اقبح الجرائم واسعها كيف لا وقد تقدم مرارا ان مدار التكليف امران احدهما تعظيم امر الله والثاني الشفقة على
خلق الله فمن لا يصدق بوحدانية الله تعالى ولم يؤمن بوحدانيته فقد ترك تعظيم امره ولم يحض غيره على طعام المسكين
فقد ترك الشفقة على خلق الله فمن اخل بهما فقد خلع ربقة العبودية من عنقه وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان
قويان على عظم هذه الجريمة احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة
فكيف بتارك الفعل والحض الحث على الفعل واصله الرغبة في اتباعه وايقاعه وهو لا يتعلق بما هو من قبيل الاعيان وانما يتعلق بما هو من قبيل الافعال
والطعام غير لانه اسم لما يطعم ويؤكل وليس بفعل حتى يحث عليه فاشار المصنف الى توجيه نظم الآية بقوله ولا يحث على بذل طعامه او على
اطعامه بمعنى ان نظم الآية مبني على تقدير المضاف اى لا يحث على بذل طعامه او على ان الطعام فيه اسم اقيم مقام الاطعام واستعمل بمعناه
كما يقام العطاء موضع الاعطاء في كلامهم قوله ويجوز ان يكون ذكر الحض كانه جواب عما يقال الظاهر ان يقال ولا يبذل طعام المسكين اى
ولا يطعم المسكين فلم عدل عنه الى قوله ولا يحض على بذل طعامه او اطعامه وانما قلنا ان الظاهر ان يقال ذلك لان الكلام مسوق لبيان
عظم جريمته ولا شك ان ترك الفعل اعظم جريمة من ترك الحث عليه قوله وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى انهم يعاقبون على ترك
الامتثال لها كعدم اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لا على انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين
بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء ولا ثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لا تستلزم اهلية الاداء كما تقرر في الاصول
قوله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم اسم ليس قوله ولا طعام عطف عليه ولا خبره وقوله اليوم ههنا ظرفان للمتعلق به قوله والمعنى فليس له
يوم يقال في حقه خذوه فغلوه ههنا اى في الآخرة قريب وصديق يرق لما ناله بدفع عنه او يخفف عليه لقوله تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين وليس لهم طعام ياكله يحله من الاطعام الا من غسلين وهو ما ينغسل من ايديهم من القيح والدم
روي انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت معايشهم والياء والنون زائدتين في غسلين قوله من خطا الرجل اذا
يقال خطا الرجل يخطا خطأ على وزن علم يعلم علما فهو عالم فهو خاطئ اذا تعمد الخطاء بمعنى الذنب فان الخطاء المضاد للصواب لا يقال في الفعل منه
خطي بل يقال اخطا فهو مخطئ او يخطأ فهو مخطئ اى اراد الصواب فصار الى غيره من غير ان يتعمده ويقصده ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على امكان
القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال فلا اقسم بما تبصرون وكلمة لا فيه يجوز ان
تكون نافية للقسم على ان هذا القرآن قول رسول كريم اى لا اقسم عليه لانه لوضوحه يستغني عن تاكيده بالقسم ويجوز
تكون صلة ويكون المعنى فاقسم بالاشياء كلها مما في الدنيا والآخرة فان منها ما يبصر ومنها ما لا يبصر وان يكون لرد الكلام
البعث واستيناف قسم على حقيقة القرآن قوله وهو محمد وجبرئيل عليهما السلام فان قيل لا شك ان القرآن كلام الله تعالى
فكيف يصح ان يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى وكلام جبرئيل ومحمد عليهما السلام اجيب بان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة

فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة اظهره في اللوح المحفوظ ورتبه ونظمه وهو ايضا كلام جبريل عليه السلام من حيث انه انزله من السموات
الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وهو ايضا كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به
وجعله حجة النبوة قوله بالظاهر لكم صدقه مستفاد من كون المقام مقام اللزوم والتوبيخ بعد الايمان وقوله تصديقا قليلا اشارة
الى الانتصار قليلا هنا وفيما بعده على انه صفة مصدر محذوف والفصل الذي بعده وان ما مزيدة للتاكيد قوله المنافية لطريقة الكهنة
ومعاني اقوالهم من قبيل اللف والنشر المرتب فان الكاهن من تاتيه الشياطين ويلقون اليه ما سمعوه من اخبار السما فيخبر الناس
بما سمعه منهم وطريقه عليه السلام منافية لطريق الكاهن من حيث ان ما يلقيه من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن
ان يكون ذلك بالقا الشياطين اليه فانهم لا يبالون شيا في ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معاني ما يبلغه عليه السلام
لمعاني اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدا والمعاد بخلاف معاني اقوال
عليه السلام فلو تذكرا اهل مكة معاني القران ومعاني اقوال الكهنة لما قالوا بانه قول كاهن قوله وقرا ابن كثير ويعقوب بيا الغيبة
فيهما اي في قوله يؤمنون ويتذكرون على الالتفات وقرا الجمهور بتا الخطاب على وفق قوله بما تبصرون وما لا تبصرون قوله كانها جمع افعولة
اشار الى وجه كون هذه التسمية تحقيرا للاقوال المفتراة فان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور غيرانها كالاجوبة
لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه واقوولة ليس بمستعمل فلذلك لم يقطع بكون الاقاويل جمعا له بل قال كانها جمع اقوولة للاشعار
بان كونه على صورة جمع افعولة كاف في التحقير والظاهر ان الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول كاناعيم جمع انعام وانعام جمع نعم
قوله نياط قلبه الجوهري النياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه وقال ايضا الوتين
عرق في القلب متصل بالراس اذا انقطع مات صاحبه قوله وهو تصوير لاهلاكه باقطع وجوه يعني انه تعالى لم يكتف بان يقول
لو نسب الينا قولا لم نقله لاهلكناه او لضرب عنقه بل عدل الى ما يدل الى سخط الله تعالى على من افترا عليه للدلالة على ان الافترا
عليه يوجب ذلك والوجه في كون الاهلاك به باشد الجلاد يمين الجاني فيضرب عنقه اقطع وجوه الاهلاك لان الجلاد يضرب بالسيف
في صده مواجهة من جهة امامه وهو اشد على المقتول من ان يضرب عنقه من جهة قفاه لانه ينظر الى السيف حينئذ فان الجلاد
اذا اراد ان يضرب قفا المقتول اخذ بيساره فيضرب عنقه من خلفه واذا اراد ان يوقع الضرب في صده مواجهة ياخذ بيمين المقتول
ويضرب بالسيف في صده من جهة امامه ولا شك انه اشد على المقتول واقطع قوله وقيل اليمين بمعنى القوة فالمعنى لانتقمنا منه بقوتنا
وقدرتنا كما في قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا عنه القوة
والقدرة على التكلم بذلك القول على ان الباء صلة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال
وذكر الملزوم وارادة اللازم قوله وصف لاحد مبني على اصل بني تميم فان كلمة ما في قوله تعالى فما منكم اي المشبهة بليس وبنو تميم لا يعملونها
لدخولها على القبيلتين فاعراب الآية على اصلهم ان من احد في موضع الرفع بالابتدا ومن زائدة لتاكيد النفي ومنكم خبره وحاجزين صفة
لاحد مجرور حملا على محل لفظ احد ولكنه جمع حملا على معناه فانه نعم كل احد لكونه نكرة واقعة في سياق النفي كانه قيل فما منكم قوم يحجزون اي يمنعون
عن المقتول او عن قتله او اهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين وقوله من احد على اصل الحجازيين اسم ما وخبرها حاجزين وجمع
الخبر لما تقدم ومنكم حال لانه في الاصل صفة لاحد ولما تقدم عليه امتنع كونه صفة له لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فتعين كونه حالا مثل موحشا
في قوله لمية موحشا طلل وقوله عنه يتعلق بقوله حاجزين على القولين وضميره للمقتول او للقتل والاهلاك المدلول عليه بقوله لاخذنا
ثم لقطعنا ثم انه تعالى لما بين حقيقة القران وانه لتنزيل رب العالمين بين الحكمة في تنزيله فقال وانه لتذكرة للمتقين اي عظة

لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف من مال اليها وغلبه حبها فانه يكذب به لكون الايمان به
يستدعي ايثار الآخرة على الدنيا وهو عكس ما يجده ويهويه فيكره نفس القرآن وتكذيبه حسرة وندامة عليه يوم القيمة اذا
راى ثواب من آمن به وعمل بمقتضاه وفي الدنيا ايضا اذا راى دولة المؤمنين والضمير في قوله تعالى وانه لحسرة اما للقرآن
او للتكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين قوله اليقين الذي لا ريب فيه اشارة الى ان الحق واليقين لفظان بمعنى واحد اضيف احدهما
الى الآخر للتاكيد فان الحق واليقين هو الثابت الذي لا يتطرق اليه الريب كذا اليقين قال الامام وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين
اي حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الآخر للتاكيد وقال صاحب الكشاف في الفصل يقال هذا العالم حق
العالم وجد العالم ويراد به البليغ الكامل في شانه وفي تفسير العاشا نى لحق اليقين اي محض اليقين وصرفا لليقين كقولك
هو العالم حق العالم وجد العالم اي خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب بشي اخر انتهى واليقين اسم للعلم الذي زال
عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم الرب العزة باليقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انما هو كقولك علم اليقين ومحض
اليقين وقيل انه من قبيل اضافة الشي الى نفسه اذا اختلف اللفظان فقلت انجو عنها نجا الجلد انه سيرضيكما منها سنام
وغاربه والنجا هو الجلد من قولك نجوت جلد البعير عنه وانجيته اذا سلخته والشاعر يخاطب ضيفين طرقاه
اي اتياه ليلا قوله فسبح الله بذكر اسمه العظيم على انه مفعول سبح محذوف والباقي باسم ربك للاستعانة كما في ضربته
بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والمعنى تنزه ذات الله تعالى عن الرضا بالتقول بان
تقول سبحان الله   تمت سورة الحاقة والحمد لله رب العالمين   سورة المعارج
بسم الله الرحمن الرحيم قوله ولذلك عدي ولكون سال بمعنى دعا عدي بالباء اي
دعا يقال دعوت الله بكذا اي استدعيته وطلبته قال تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون في الجنة كل فاكهة
وسال يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الدعا والطلب يقال سالته الشي ونقل الطيبي عن الامام الواحدي ان الباء في بعذاب
زائدة للتاكيد كما في قوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة والمعنى سال سائل عذابا واقعا وفي الصحاح سالته الشي وسالته عن الشي
سؤالا ومسالة وقوله تعالى سال سائل بعذاب واقع اي عن عذاب قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته
فيقال سال سائل والمرسنه سل ومن الاول اسيل قوله وقرا نافع وابن عامر سال بغير همزة والباقون بالهمزة وذكر المصنف
لقراءة الالف الساكنة وجهين الاول انه يكون من السؤال الا انه نقلت همزته الفا للتخفيف على غير القياس كما قالوا منساة في منساة
هنا كالموقع والقياس في مثله ان تسهل الهمزة بجعلها بين بين اي بين الهمزة والالف وهي لغة قريش قال حسان بن ثابت رضي الله عنه
سالت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشة بما سالت ولم تصب فعلى هذا يكون سال اللينة من سال مهموز العين وتكون همزة
سائل اصلية وقيل قوله وهو اما من السؤال معناه انه من جهة المعنى لا من جهة اللفظ والبنا فان السؤال مهموز العين وسال
اجوف واوي وان تراد فا من حيث المعنى لما روي ان لغة قريش ان يقولوا سالت سائل كخفت يخاف وان الف سال سائل منقلبة من الواو
وانهم يقولون هما يتساولان وهمزة سائل على هذا منقلبة عن الواو كهمزة خائف والوجه الثاني ما ذكره بقوله او من السيلان فعلى هذا تكون
الف سال وهمزة سائل منقلبة عن اليا كما في بايع فهو بائع والمعنى جرى واد في جهنم بعذاب يقع بالكافرين يوم القيمة ويوم بدر فقد
روي ان نضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط قتلا يوم بدر صبرا ولم يقتل صبرا غيرهما قوله للكافرين صفة اخرى لعذاب وصف
العذاب اولا بانه واقع اي نازل لا محالة سواء طلبه ولم يطلبه وثانيا بانه معد للكافرين لا يتخطاهم وان كان متعلقا بقوله واقع

تكون اللام بمعنى على او على بابها اي بعذاب نازل للظالم والجاهل وان صح ان السوال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا روى انه تعالى لما بعث
رسوله صلى الله عليه وسلم فدعى الناس الى التوحيد وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هو هذا العذاب ومتى
يقع فاخبر الله تعالى عنهم بقوله سال سائل بعذاب واقع فالسوال على هذا لا يكون من سالته الشي وطلبته منه حتى يعدى بالباء لتضمنه
معنى الصلة بل يكون من سالته عن الشي ما هو ومن يقع ومتى يقع فحقه ان يعدى بعن الا انه عدى بالباء لتضمنه معنى اهتم واعتنى فعدى تعديته
فعلى هذه الرواية يكون قوله تعالى للكافرين جوابا عنه يقال لمن سال انه لكل العذاب لمن هو وعلى من يقع اي هو للكافرين على انه خبر مبتدا
محذوف قوله ذي المصاعد اشارة الى ان المعرج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها فانه آلة الصعود وهو
غير مناسب لهذا المقام ثم ان المراد بالمعارج اما معارج اعمال الصالحين فانها تتفاوت على حسب تفاوت انفس الاعمال في استجماع الآداب
والسنن وخلوص النية وحضور القلب ونحوها واما معارج المومنين في سلوكهم في مراتب المعارف الالهية والمكاشفات والتجليات
ولا شك ايضا في تفاوتها واما معارج الملائكة وهي مراتب ارتقائهم بحسب الامكنة وهي السموات فانهم يعرجون فيها ولكل واحد منهم مقام معلوم فيها
او بحسب الفضائل الروحانية والمعارف الالهية بحسب تفاوت قوتهم في تدبير هذا العالم فان الظاهر ان درجاتهم واحوالهم متفاوتة في جميع ذلك
فتلك المعارج سواء كانت للاعمال او للمومنين او للملائكة بيد الله تعالى يختص برحمته من يشاء فلذلك وصف نفسه بقوله ذي المعارج
قوله استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها فيها اشارة الى ان الضمير اليه للمعارج بتاويل المكان او المصعد وبناء على ان
جمع المحلى باللام يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس وقوله اليه وفي يوم متعلقان بتعرج وخمسين خبر كان والف سنة تمييز خمسين
وكان مع ما في حيزها في موضع الجر على انه صفة ليوم قوله على التمثيل والتخييل متعلق لقوله لبيان يعني ان القول بان عروج الملائكة والروح
الى تلك المعارج في مبدا الصعود تكون في المدة المذكورة ليس على التحقيق بل هو جملة مستانفة جي بها تمثيلا وتصويرا لارتفاع تلك المعارج والجهة
انتهاء ارتفاعها وبعد مداها بحيث لو كانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها في خمسين الف سنة وان كانوا يعرجون
اليها في اثناء يوم واحد من ايام الدنيا لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران في ملك الله تعالى وبعد مداها قوله وقيل معناه تعرج الملائكة والروح
اليه في يوم كان مقداره كمقدار الف سنة على ان يكون ضمير اليه راجعا اليه تعالى فمعنى الآية تعرج الملائكة والروح الى موضع لا يجرى لاحد
سواه فيه حكم وتدبير فجعل عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه تعالى كقول ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني
بالذهاب اليه وقوله في يوم كان مقداره كذا من باب التشبيه البليغ اي كان مقداره بالنسبة الى الملائكة كمقدار تلك المدة بالنسبة
الى الانسان ووجه الشبه ما ذكر بقوله من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض وقوله الا ان عطف على ان المعنى على تشبيه
مقدار اليوم بمقدار خمسين الف سنة والظاهر ان المراد بهذا اليوم يوم وقوف الخلائق في موقف الحساب حتى يفصل بين الناس فان مقداره
كمقدار خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا فالمعنى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
لو ولي الحساب غير الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا واتفقوا على ان ذلك هو الجنة والقيلولة
هو النوم في الظهيرة وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول
هذا اليوم فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلوة المكتوبة تصليها في الدنيا
ولا يلزم من وجود هذا اليوم ومن عروج الملائكة في اثنائه الى العرش ان يكون ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة
خمسين الف سنة قوله وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة بيان لوجه التعليق بين الآيتين وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال في آية هذه السورة وفي قوله تعالى في سورة السجدة ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة وقوله وان يوما عند ربك

كالف سنة

كالف سنة مما تعدون ذكرهما الله تعالى في كتابه اكره ان اقول في كتاب الله تعالى بما لا اعلم اي لا اعلم وجه التوفيق بينهما وتوضيح ما ذكره المصنف في وجه التوفيق
ان المراد بالف سنة زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء خمسمائة سنة زمان عروجهم من الارض الى مقعر السماء وخمسمائة اخرى زمان عروجهم
من مقعرها الى محدبها والاظهر ان يقال المراد بالف سنة زمان نزولهم من السماء الى الارض وعروجهم منها الى السماء خمسمائة سنة للنزول
وخمسمائة اخرى للصعود لانه تعالى قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة قدر بها مدة
الصعود والنزول جميعا قوله وقيل في يوم متعلق بواقع عطف على ما يفهم مما تقدم من كونه متعلقا بقوله تعرج وهو الاظهر وعلى تقدير
كونه متعلقا بواقع يكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف وعامله اي سال سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة قوله لان السوال كان عن استهزاء او تعنتا الاول مبني على ان يكون السوال بمعنى الطلب والدعاء فان النضر وابا جهل انما سالاه
عن استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب بالوحي والثاني على ان يكون السوال بمعنى السوال عن الشي ما هو ومن يقع ومتى يقع فان
كفار مكة انما سالوا عن العذاب على طريق التعنت وطلب الزلزلة وكل ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله او سائل عطف على قوله سال
يسال يعني ان قرئ سال سيل وسال سائل بالالف الساكنة يكون قوله فاصبر متفرعا عليه والضمير في قوله تعالى انهم لاهل مكة فانهم
كانوا يستبعدون العذاب او البعث والقيامة عن الامكان فرد الله تعالى عليهم بانا نراه قريبا من الامكان او من الوقوع لان كل ما هو آت
قريب قوله اي يمكن يوم تكون فيه ان تقييد الامكان بالزمان المعين لا وجه له لان الممكن ممكن في جميع الازمنة الا ان يقال الظرف ليس لتقييد
الامكان بل لمجرد بيان الامور الواقعة قبل وقوع هذا الممكن كانه قيل ونراه قريبا من الامكان يوم يكون كذا وكذا انتهى قوله او بمضمر دل
عليه واقع اي يقع في ذلك اليوم ويحتمل ان يكون ظرفا لمحذوف اي يوم تكون السماء كالمهل كان ما لا يدخل تحت الوصف وان علق في يوم بقوله
واقع يكون هذا اليوم بدلا منه بخلاف ما اذا كان متعلقا بقوله يعرج فانه حينئذ لا يكون بدلا منه لان يوم تكون السماء كالمهل هو يوم القيمة
بخلاف يوم عروج الملائكة لما مر ان قوله تعرج الملائكة والروح الخ استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج بانها بحيث لو كانت حركة الملائكة والروح
مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها الا في هذه المدة خمسين الف سنة وذلك لا يتوقف على كون المراد يوم القيامة واذا لم يكن المراد به يوم القيامة
لا يصح ابداله بهذا اليوم منه الا بان يكون بدل غلط وهو لا يقع في القرآن قوله كالفلزات جمع فلز بالكسر وتشديد الزاء وهو ما ينفيه الكير
مما يذاب من جواهر الارض قيل هذا يدل على صحة ما يروى من ان السماء الدنيا من حديد قوله ولا يسال قريب قريبا عن حاله ولا يكلمه
لان لكل احد ما يشغله عن السائل فان السوال من سالته عن الشي وان مفعوله بالواسطة محذوف اي لا يساله عن حاله قوله
او لا يساله بحاله اشارة الى جواز ان يكون حميما منصوبا باسقاط عن اي لا يسال حميم عن حميم ليعرف من حاله من جهته كما يعرف خبر
الصديق من جهة صديقه بل كل احد يسال عن عمل نفسه قوله استيناف في جواب من قال لعله لا يبصره فكيف يسال عن حاله فقال
يبصرونهم اي يعرفونهم اي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه ولا يعرفه يمنعه عن المسالة حقا مكانه ومع ذلك لا يسال عن حاله
لشغله بنفسه او لاستغنائه عن السوال بسبب انه تعالى ميز اهل الجنة من اهل النار وبالعكس بالعلامات الدالة على حال من
السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك عن السوال وفي الصحاح البصر العلم وبصرت بالشي اي علمته وعرفته قال تعالى يبصرونهم
عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشايع المتعارف تعديته الى الثاني بحرف الجر فيقال بصرته به وقد يحذف
الجار فيقال بصرته اياه وقد حذف الجار قلت بصرت زيدا وما في الآية من هذا القبيل ويجوز ان يكون يبصرونهم من هذا القبيل
ويجوز ان يكون يبصرونهم حالا من حميم الاول اي لا يسال حميم عن حاله في حال كونه معرفا اياه وان يكون صفة حميما اي حميما مبصرين لان
معناه العموم والتثنية لان كل واحد الحميمين نكرة في سياق النفي قوله او استيناف كان السائل عارف يقال كيف لا تسال عن تمكنه من السوال

فقيل نزوة المجرم قوله لانه بمعنى تهذيب للمصدر المنون ينصب المفعول وكلا لو قد تكون مصدرية ومنها ما في الآية قوله وعشيرته وهي القبيلة يجمعهم بتراب واحد والفصيلة في الاصل القطعة المفصولة من بجد ويطلق على الآباء الاقربين وعلى الام لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة في الآية هو الآباء الاقربون لتقدم قوله وبنيه قوله الضمير للنار ولم يجر لها ذكر الا ان ذكر العذاب يدل عليها ولظى يجوز ان يكون خبرا اي ان النار لظى ونزاعة خبر ثان او خبر مبتدا مضمر اي هي نزاعة ويجوز ان يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبرا وان كان ضميرا للقصة يكون قوله لظى نزاعة جملة اسمية خبرا له قوله والموكدة من لظى لان لظى بمعنى جهنم لا يكون الا نزاعة فلا معنى للحال الا على وجه التاكيد كقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما قوله او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية اي متلهبة وهو معناه في اصل اللغة والنار المتلهبة لا يلزمها ان تكون نزاعة فيجوز ان يكون حالا مستقلة قوله والشوى الاطراف اي الاعضاء التي ليست بمقتل كالايدي والارجل ومنه يقال للرامي اذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فاشواه اي اصاب الشوى فقوله نزاعة للشوى اي قلاعة للاعضاء الواقعة في الاطراف للجسد ثم يعود كما كانت وهكذا ابدا قوله كقول ذي الرمة استشهاد لكون الدعوة مجازا عن الجذب والاحضار ووصف الثور الوحشي يقول اسى لو هبين مجتازا بزنقة من ذي الفوارس يدعو انفه الربب وهبين اسم موضع وكذا ذو الفوارس ومجتاز بمعنى قاطع اي انقضه معنى الطلب اي طالبا بزنقة ويروى محتازا بالحاء المهملة ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربه بكسر الراء وهي اول ما نبت من الارض وفي مجمل اللغة الربه نبات يبقى في آخر الصيف وتدعو انفه اي يجري لتاكل وكذا دعوة لظى من فرعها مجاز عن جذبها واحضارها اياه وقيل انها تدعوهم بلسان الحال وقيل انه تعالى يخلق النطق في جرم النار فيدعو كل كافر ومنافق باسمائهم بلسان فصيح يقول الي يا كافر الي يا منافق فان مستقرك في ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى وقيل تدعو زبانية النار على حذف المضاف او على الاسناد المجازي حيث اسند فعل الداعي الى المدعو اليه وقوله تدعوا يجوز ان يكون مستانفا وان يكون صفة لقوله نزاعة وان يكون حالا من المنوي فيها وان يكون خبرا بعد خبر لان او خبر المبتدا محذوف قوله حرصا وتاملا الاول على جمع المال والثاني لابقائه على طريق اللف والنشر المرتب لان جمع المال مبني على الحرص وحب الدنيا وابقاؤه مبني على طول الامل فقوله ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله وطاعته وقوله وجمع فاوعى اشارة الى حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله ولا شك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه وقد مر ان الوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك ثم انه تعالى لما ذكر ان من الناس من ادبر عن طاعة الحق والاشفاق على الخلق بين ان الغالب على احوال نوع الانسان الهلع وانه مسئول عنه بحيث كان هذه الرذيلة كانها غرزت فيه كسائر الغرائز الطبيعية التي خلق الانسان عليها فقال ان الانسان خلق هلوعا والهلع صفة مركبة من صفتين ذميمتين وهما الجزع البالغ عند اصابة المكروه والبخل والامساك البالغ عند اصابة الخير قيل اصل الهلع في اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع ولعله هلع يهلع من باب علم يعلم هلعا فهو مهلع وهالع وهلوع والجزوع ضد الصبور وانتصاب هلوعا على انه حال من المنوي في خلق وهي حال مقدرة فان الهلع ليست خصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى الانسان عليها والا لما قدر الانسان على ازالتها بالرياضة والمجاهدة غاية ما في الباب ان الانسان اذا خلي وطبعه لم يستعمل منه ان العقل والشرع لا يظهر عليه الا مقتضى نفسه الامارة بالسوء من ايثار الآجل على العاجل لكونها عالم الظلمات فلا يميل الانسان الى ما يلائمها من لذات عالم الطبيعة والاجسام الظلمانية ولا يلزم من ذلك ان تكون تلك الرذائل مما خلق الانسان عليها وان لا تكون من العوارض المكتسبة بالقصد والاختيار فظهر بهذا انه يجوز ان يكون قوله تعالى هلوعا

وجزوعا ومنوعا من احوال المقدرة الا ان المصنف جوز كونها من الاحوال المحققة فقال او محققة لانها جبل الانسان عليها ورد به على صاحب الكشاف فانه زعم ان خلق الانسان هلوعا قبيح لا يصح اسناده الى الله تعالى فليس الكلام على حقيقته بل الانسان لاتيان الجزوع والمنع ورسوخهما فيه مجبول عليها وكانه امر خلقي ضروري غير اختياري لقوله تعالى خلق الانسان من عجل اي عجولا في اكثر اموره واغلب احواله ولو كان المعنى انه تعالى خلقه كذلك لكانت الاوصاف المذكورة لازمة له غير منفكة عنه لكنها تنفك عنه فانه حين كان جنينا في البطن وصبيا في المهد لم يكن به هلع ولان قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا ذم والله تعالى لا يذم فعله ويدل على كونه ذما استثناء المؤمنين الموصوفين بثمانية اوصاف وهو ما ذكره الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون واشار المصنف الى جواز ان تكون الاوصاف المذكورة صفات غريزية جبل عليها الانسان وانه اذا خلي وطبعه لا يظهر منه الا آثار تلك الصفات ومقتضياتها من الافعال والاقوال الا انه لما اعطي العقل وميزان الشرع وبين له غوائل الاخلاق الذميمة ومحاسن الاخلاق الحميدة يتخلق بمخالفة طبعه وموافقة شرعه ومجاهدة نفسه الامارة حتى يتحلى بالصفات المضادة لتلك الاحوال والامور الجبلية يجوز تبدلها بالرياضة والمجاهدة فان لكل داء دواء فمتى اصاب الدواء ازالها وارتكاب القبيح انما يتصور ممن يتخلق باتباع المامور به واجتناب المنهي عنه لا ممن يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته ولا يسأل عما يفعل فلا يكون شيء من افعاله تعالى قبيحا فلا يصح ان يقال خلق الانسان هلوعا قبيح فان قيل حاصل معنى الهلع ان يكون الشخص نفورا عن المضار طالبا للراحة وهذا وصف ملائم لمقتضى العقل فلم ذمه تعالى فالجواب ان المذموم هو كون الشخص بحيث يقصر نظره على الاحوال الجسمانية منهمكا في حب الحظوظ العاجلة راغبا فيها نافرا عما يكون شرا بالنسبة اليها وكان الواجب عليه ان يكره المذموم من الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والرضا بجميع ما اصابه من الفقر والمرض ونحوهما وصرف ما رزقه الله تعالى من النعم كالمال والصحة ونحوهما الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة ولا يطلب شيئا منها لكونها منفعة عاجلة قوله لمضادة تلك الصفات لها علة لاستثناء هؤلاء الموصوفين من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا فان الصفات المذكورة بعد لما كانت مضادة لاحوال المطبوعين بحيث يمتنع اجتماعها في موضع واحد وجب ان يكون الموصوف بتلك الصفات مستثناة من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا والا لزم اجتماع الامور المتضادة قوله لا يشغلهم عنها شاغل اي عن ادائها في اوقاتها قال الامام فان قيل كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم يحافظون فاجاب عنه بقوله معنى دوامهم عليها ان لا يتركوها في شيء من الاوقات ومحافظتهم عليها يرجع الى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه وهذا الاهتمام انما يحصل تارة بامور سابقة على الصلوة وتارة بامور لاحقة لها وتارة بامور متراخية عنها اما الامور السابقة فهي ان يكون المؤمن قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول اوقاتها وبالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين والاتيان بالصلوة في جماعة وفي المساجد المتبركة وان يجتهد قبل الدخول في الصلوة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات الى ما سوى الله وان يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة واما الامور المقارنة فهي ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب عند القراءة فاهما للاذكار مطلقا على حكم الصلوة واما الامور المتراخية فهي ان لا يشتغل بعد اقامة الصلوة باللهو واللعب وان يحترز كل الاحتراز بشيء من المعاصي والمنكرات قوله تصديقا باعمالهم فان مجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي الى ان يكون صاحبه مستثنى بل المطبوعين بالاحوال المذكورة قوله خائفون على انفسهم فلا يتركون واجبا ولا يرتكبون

محظورا او تكون جميع شؤونهم طاعة ربهم ومع ذلك لا يأمنون عذابه قوله فمن ابتغى وراء ذلك هو الاستمتاع بالنكاح وملك
اليمين فاولئك هم العادون اى المتعدون عما حد لهم ودخل فى هذا حرمة وطى الذكران والبهايم والزنا وقيل يدخل فيه
الاستمتاع ايضا روى ان العرب كانوا يستمتعون فى السفر فنزلت الآية قوله وقرا ابن كثير لامانتهم بالافراد لان الامانة
اسم جنس لما يؤتمن عليه الانسان سواء كان من جهة البارى تعالى او جهة الخلق فيتناول ما ايتمن الله تعالى عليه عباده من الشرايع
وامانات الدين كما يتناول ما حملوه من امانات الناس فلا حاجة الى لفظ الجمع ومن قرا بلفظ الجمع نظرا الى اختلاف الانواع وكذا
الكلام فى افراد الشهادة وجمعها واكثر المفسرين على ان القيام بالشهادة اداؤها عند الحكام على من كانت هى عليه من قريب او بعيد
شريف او وضيع وعدم كتمها والقيام بها عند الحكام وان كان من جملة الامانات الا انه تعالى عطفها على ما قبلها عطف الخاص على العام
اظهارا لفضلها وان فى اقامتها احياء الحقوق وفى تركها ابطالها وتضييعها وعن ابن عباس انه قال المراد بالشهادة شهادة
ان الله واحد لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قوله لا يخونون اى لا يضيعون الامانة فان عدم رعايتها يكون بالاهلاك
وبالانكار ويقال اخنى عليه الدهر اى اتى عليه واهلكه قوله واناف فيها اى اعلا فيها يقال اناف على كذا اذا اشرف عليه قوله وفى
نظم هذه الصلوة مبالغات لا تخفى مثلا فى قوله تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون مبالغات من حيث ترتيب المسند الى الموصول
فانه يقتضى ان يكون ذات المسند اليه معلوما للمخاطب حاضرا فى ذهنه بكونه متصفا بما نسب اليه من مضمون الصلة ولا يخفى ان
اشتهار المصلين بالمحافظة على صلواتهم مبالغة فى المحافظة عليها ومن تقديم المقيد لتقدمه للحكم وتقريره فى ذهن السامع كما
فى تركيبه يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل وفى تقديم قوله على صلواتهم المفيد للاختصاص الدال على ان محافظتهم
مقصورة على صلواتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فانها ان كانت بمعنى التفاعل تكون للمبالغة فى ملابسة
اصل الفعل وان كانت على بابها تدل على التعاون على البر وهو ابلغ من مجرد حفظ الصلوة ورعاية ما يناسبها واذا تقرر ان
الموصول مع صلته افاد هذه المبالغات تقرر ان توصيف المصلين به يفيد مدحا عظيما لهم كل ذلك يعرف بالتامل وقس عليه
البواقى والظاهر ان قوله تعالى مكرمون خبر اولئك وفى جنات متعلق به قدم عليه للحصر ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون خبرا آخر لاولئك
ولما ذكر ان المستغرقين فى طاعة الحق والمشفقين على الخلق فى جنات بثواب الله تعالى ذكر بعده تباعد الكفار فقال فما للذين كفروا
قبلك مهطعين روى ان المشركين كانوا يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون كلامه ويستهزؤن
به عليه الصلوة والسلام وبالقرآن ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت هذه الآية الى قوله ايطمع
كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم وكلمة ما فى قوله تعالى فما للذين كفروا استفهامية بمعنى الانكار فى موضع الرفع على الابتداء و
للذين كفروا خبرها وقبلك ظرف مكان للاستقرار الذى تعلق به للذين او ظرف لمهطعين وهو حال من المنوى فى للذين اى اى
شئ ثبت لهم حولك حال كونهم مهطعين او اى شئ ثبت لهم حال كونهم مهطعين حولك وقوله عن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى
متفرقين وان يتعلق بمهطعين اى مسرعين عن هاتين الجهتين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين او حال من المنوى فى الذين
او حال من المنوى فى مهطعين فيكون حالا متداخلة والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض من الواو والياء الساقطة قال الاصمعى
يقال فى الدار عزون من الناس اى اصناف منهم سميت كل فرقة عزة لاعتزائها من غير من تعزى اليه الاخرى من قولهم عزوته
الى ابيه وعزيته لغة فيه اذا نسبته اليه فاعتزى هو وتعزى اى انتمى وانتسب قوله انا خلقناهم مما يعلمون اى

ويحتمل

ويحتمل ان يكون المعنى على تقدير كونه تعليلا للردع وهكذا بان تكون كلمة ما بمعنى الاجل كما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا قوله او استدلالا
عطف على قوله تعليل وقوله بعد ردعهم ظرف لقوله استدلالا لما كان قولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا اشتمل على امرين دعوى
استحالة النشاة الثانية والطمع الفاسد المبنى على فرض وقوعها منعهم الله تعالى عن ذلك الطمع بقوله كلا ثم استدل على امكانها
بقوله خلقناهم مما يعلمون كانه قال من قدر على خلق البشر السوى من النطفة المتغيرة الا يكون قادرا على بعثه ثم انه تعالى هددهم
بقوله فلا اقسم وكلمة لا صلة او رد لقولهم المذكور وما بعدها قسم مستانف ويحتمل ان يكون اصله فلا قسم فاشبعت الفتحة فحصل
الف وقوله على ان نبدل خيرا منهم اصله على ان نبدلهم بدلا خيرا منهم فحذف المفعول الاول وهو موصوف خيرا وجمع المشارق والمغارب
اما لان المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه او المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبى وبالمغرب موته قوله
تعالى فذرهم متفرع على قوله وما نحن بمسبوقين اى اذا تبين انه لا يفوتنا ما نريده منهم وبهم من خير وشر وانه ليس تاخير عقابهم لعجز
بل الحكمة داعية اليه فدعهم فيما هم فيه من الاباطيل واشتغل انت بما امرت به فانهم ملاقون عن قريب اليوم الذى وعدوا به
يوم يكون الناس كالفراش وكذا قوله تعالى يوم يخرجون يجوز ان يكون بدلا من يومهم وان يكون منصوبا باضمار اعنى والاجداث جمع جدث
وهو القبر وسراعا حال من الضمير فى يخرجون وكانهم حال ثانية منه او من المنوى فى سراعا فتكون حالا متداخلة قوله منصوب للعبادة
او علم يعنى ان نصب بفتح النون وسكون الصاد كما هو قراءة غير ابن عامر وحفص من السبعة المنصوب سواء نصب لان يعبد كما دون
الله او نصب علامة لموضع الملك ينزل له ويسيرونه وهو المراد بالعلم والمعنى انهم يسرعون الى الموقف كاسراعهم الى اصنامهم الذى
يعبدون ويسرعون اليه ايهم يستلمه اولا قيل كانوا يبتدرون ان اطلعت الشمس الى نصبهم الذى كانوا يعبدونه من دون الله
لا يلوى اولهم على آخرهم او كانهم قد نصب لهم علم فهم يسرعون اليه ليبلغوه فهم يتبادرون فى السبق اليه والنصب بضمتين واحد
الانصاب وقيل هو جمع نصاب نحو كتاب وكتب وقيل جمع نصب بمعنى المنصوب كرهن ورهن وسقف وسقف والنصب بالضم
والسكون اما تخفيف نصب بضمتين مثل عشر وعشر او جمع نصب بالفتح والسكون قوله تعالى خاشعة حال من فاعل يوفضون والمعنى ذليلة
خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب وكذا قوله ترهقهم ذلة فى موضع الحال منه ايضا اى يغشاهم هوان المذنبين ويجوز
ان يكون استينافا يقال رهقه اى غشيه وهو من باب علم قوله كانوا يوعدون اى يوعدونه فى الدنيا ان لهم فيه العذاب فحذف
العايد من الصلة الى الموصول تمت سورة المعارج

سورة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله بان انذر اى بالانذار جعل ان مصدرية ناصبة للفعل المضارع ولما كان فعل الارسال لا يتعدى الى مفعوله الثانى بدون توسط
حرف الجر قدر الباء الجارة فحذف الجار واوصل الفعل فمحل ان انذر النصب على نزع الخافض والجر على ارادته وقوله او بان قلنا له انذر
اشارة الى ان النحاة اختلفوا فى ان صلة ان المصدرية هل يجوز ان يكون شيئا مما فيه معنى الطلب كالامر والنهى ونحوهما ام لا وجوزه سيبويه
وابو على ومنعه غيرهما قال ابو على فى قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله كلمة ان فيه يجوز ان تكون مصدرية فتكون بدلا
من ما او من الهاء فى به او خبر مبتدا محذوف اى هو ان اعبدوا الله وان تكون مفسرة كذا فى شرح الرضى وفيه ايضا ان صلة المخففة
لا تكون امرا ولا نهيا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا فكذا صلة ان المصدرية على الاصح فقول المصنف بان انذر اى بالانذار
مبنى على ما ذهب اليه سيبويه وابو على وقوله او بان قلنا انذر مبنى على مذهب غيرهما فان غيرهما يقول ان ان المصدرية مع
صلتها تكون فى تاويل المصدر فيكون قوله تعالى ان انذر فى تاويل ارسلناه بالانذار والمصدر ليس فيه دلالة على الطلب فيكون
تصديرها بصيغة الامر بان المصدرية مستلزما لابطال معنى الصيغة واخلائها عن مدلولها الوضعى فحيث ما صدرت بصيغة

الطلب بان المصدرية لا يذان بقدر بعدها القول لينتفي معنى الصيغة على حاله فيكون تقدير الآية ارسلناه بان قلنا له انذر
اى ارسلناه بارسال الملتبس بهذا القول الموضوع لطلب الانذار قوله وقرئ بغيرها اى بغير ان فلا بد من اضمار القول اى قائلا
انذر وان في قوله ان اعبدوا الله كالتي في قوله ان انذر قومك في جواز كونها مصدرية ومفسرة ثم انه عليه الصلاة والسلام امر
قومه بثلاثة اشياء بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه فالامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات
من افعال القلوب والجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول
الامر بطاعته في جميع المامورات والمنهيات وهذا وان كان داخلا في الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر
بعد ذكر الامرين تاكيدا لذلك الامر ومبالغة في تقديره وايجابا عليهم ان يؤمنوا به ويصدقوه في دعوى الرسالة قوله
بعض ذنوبكم وهو ما سبق على الايمان اشارة الى فائدة ذكر من التبعيضية فانه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان قد وعد
قومه بمقابلة امتثالهم بما امرهم به من الاشياء الثلاثة مغفرة ذنوبهم تقدمت على الايمان او تاخرت عنه لان اضافة الجمع تفيد
الاستغراق وليس كذلك فان الذنوب المتاخرة عن الايمان لا يكون مغفورة بمجرد الايمان فلذلك اورد حرف التبعيض وقيل المراد ببعض الذنوب
بعضها سبق على الايمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد قوله هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة جواب عما يقال انه عليه السلام وعد بمقابلة
امتثالهم بما امروا به ان يؤخرهم الله الى اجل مسمى مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وبما متناقضان بحسب الظاهر وتقرير الجواب ان الله تعالى
جعل في الاجل حكمين محتوما ومعلقا كقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالمحتوم هو المسمى وهو الذي لا يمكن تاخيره والمعلق هو حكم بان
قوم نوح مثلا ان لم يؤمنوا اهلكهم الله تعالى قبل ذلك بما شاء من اسباب الاهلاك كقوله عليه الصلاة والسلام اذا استقامت امتي فلهم يوم
وان لم يستقيموا فلهم نصف يوم فاليوم هو الذي لا يمكن التجاوز عنه بوجه والنصف وهو الموقوف على عدم الاستقامة واي الاجلين قضى
به فلا يمكن تاخيره وذلك هو الذي عبر عنه بالمجيء في قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر اى لا يؤخر اذا حكم به وتعلقت به الارادة فبادروا
محسنه بالايمان واشار المصنف اليه بقوله اذا جاء على الوجه المقدر اجلا واضيف هذا الاجل اليه تعالى لكونه تعالى هو الذي قدره وتعلقت به
ارادته تعالى لا يؤخر الا انه يؤخر اذا قدر بشرط كونه اجلا بخلاف الاجل المقطوع فانه لا يؤخر بوجه قوله وقيل اذا جاء اجل الاطول عطف على قوله
ان الاجل الذي قدره اى وقيل المراد باجل الله هو المسمى الذي لا يمكن تاخيره بوجه من الوجوه اى وقت الذي سماه الله تعالى اجلا على كل التقادير
اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا المعلق فبادروا في اوقات الامهال والتاخير فان المسمى ضروري الوقوع لا يمكن تاخيره قوله لعلمهم ذلك في
اشارة الى ان جواب لو محذوف وكلمة لو دلت على انهم لا يعلمون ذلك مع ان الله تعالى خلقهم مشتملين على اسباب العلم والالات تحصيله الا انهم ضيعوها بتوغلهم
في حب الدنيا فانهماكهم في الالتذاذ بها قوله واسناد الزيادة الى الدعاء من قبيل اسناد الفعل الى السبب المعنى دعوتهم دائما من غير فتور فازدادوا
فرارا عند دعوتي ونحوه اسناد الزيادة الى السورة في قوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فان
ضمير زادتهم يعود الى السورة والمعنى ان الله تعالى يزيدهم عند نزول السورة قوله والتعبير بصيغة الطلب مع ان الطلب ليس بمقصود
ههنا بل الاستغشاء ههنا بمعنى التغطي والستر كما فسر به للمبالغة في الاهتمام بالتغطي كانهم طلبوا من الثياب ان يغشاهم لئلا يروا
الداعي بعضاله ولما جابه قوله مستعار من اصر الحمار على العانة وهي القطيع من حمار الوحش يقال صر الفرس اذنيه اسواها
وضمها واذا نقل الى باب الافعال وقيل اصر الفرس يكون لازما وصرح النوادر شبه الاقبال على الكفر والمعاصي باصرار الحمار على العانة بكونها
ويطردها فيسمى الاقبال عليها اصرارا ويشتق منه اصر ولو لم يكن في ارتكاب المعاصي الا التشبه بالحمار يكفي به مزجرة فكيف في اسوا الاحوال

وهو حال الكريم والطرد للسفار قوله اى دعوتهم مرة بعد اخرى يعني عليه السلام عطف بكلمة ثم اولا دعوته اياهم مجاهرة وهي
الدعوة على رؤس الاشهاد في المحافل ثم عطف بها دعوته اياهم على وجه الاعلان والاسرار بان يخلوا بالواحد فالواحد منهم يعلن
ويسر اليه في الدعوة وما عطف عليه هذا ان المعطوفان ليلا في قوله كلما دعوتهم من غير تقييد تلك الدعوة بشيء فهذا الاسلوب
يدل على ان مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدا اولا بالمناصحة في السر فعاملوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين
الاعلان والاسرار فكان حاصل الكلام ما ذكره المصنف بقوله اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على وجه امكنني وثم اما
للدلالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض بحسب الرتبة وبحسب الزمان قوله وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا اشارة الى وجه قوله عليه السلام
استغفروا ربكم وبيان فايدته بعد ما امرهم بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة رسوله فيما يبلغ من قبله اليهم قوله ولذلك اى ولكون
الاستغفار من الذنوب والمعاصي يمحو الذنوب والمعاصي تجلب للمستغفر منافع الدنيا من الخصب والغنا وعد عليه السلام لهم ما هو يقع
في قلوبهم من الخيرات العاجلة فقال يرسل السماء عليكم مدرارا فانه مجزوم على انه جواب الامر فانهم لما قالوا ان كنا على حق
فكيف يغلبنا من عصيناه فقال نوح انكم وان كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب والمعاصي فان شانه تعالى الغفار به
ويبين لهم ان الاستغفار والتوبة عن الكفر والمعاصي يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة منافع الدنيا وخيراتها قوله وقيل لما طالت الخ
عطف على قوله كانهم لما امرهم الخ فيكون وجها آخر لارتباط هذه الآية بما قبلها قوله فوعدهم بذلك اى بما هو واقع في قلوبهم والمدرار
من اوزان المبالغة بمعنى كثير الدرور وهو الانصباب ومدرارا حال من السماء قوله والسماء يحتمل المظلة على ما قيل ان المطر
ينزل منها الى السحاب ويطلق السماء ايضا على كل ما علاك كالسحاب وسقف البيت فعلى التقديرين يكون المعنى يرسل
ماء السماء فحذف المضاف ويطلق على نفس المطر ايضا كما في قوله اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا فحينئذ
لا حاجة الى تقدير المضاف قوله لا تاملون له توقيرا على ان الرجاء على اصله وهو الاصل والطمع والوقار اسم بمعنى التوقير
كالسلام بمعنى التسليم قوله لله بيان للموقر اى للذي يفعل التوقير والتعظيم فكانهم لما سمعوا قوله ما لكم لا ترجون ان توقروا
ونقطوا على بناء الفعل قالوا لمن التوقير والتعظيم اى من الذين يعظمنا ويوقرنا فقيل لله او التوقير لله واصل لله ان
يكون موضوعا عن وقارا على انه صفة له فلما تقدم امتنع ان يكون صفة له ولا متعلقا به لان معمول المصدر لا يتقدم عليه
فتعين كونه للبيان قوله مبالغة في عدم اعتقادهم له عظمة فان من لا يكون له رجاء التابع لادنى ظن ذاتي يكون له الاعتقاد
الجازم والمعنى على هذا ما لكم لا تعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه وقد جعل لكم في انفسكم آية تدل على كمال عظمته من القدرة
البالغة والعلم والحكمة وهي انه خلقكم اطوارا وخلق السموات طباقا وغيره ذلك فعلى هذا قوله تعالى لله بيان للموقر كما انه
على الاول بيان للموقر قوله طباقا اما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب او مصدر طابق يقال طابق مطابقة
وطباقا وعلى التقادير فهو صفة سبع سموات اما على كونه جمعا فظاهر واما على تقدير كونه مصدرا فعلى طريق التوصيف
بالمصدر للمبالغة او على حذف المضاف اى ذات طباق ويجوز ان ينتصب على انه كونه مصدر لفعل مقدر اى طوبقت طباقا بمعنى
انها جعلت طبقة فوق اخرى قال الامام قوله تعالى خلق سبع سموات طباقا يقتضي كون بعضها منطبقا على الآخر وهذا يقتضي
ان لا يكون بينها فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها فاجاب بان الملائكة ارواح ثم قال وايضا فلعل المراد من كونها طباقا كونها
متوازية لا مماسة وهو المراد عن المبرد ثم قال كيف قال وجعل القمر فيهن نورا والقمر ليس فيها باسرها بل في السماء
الدنيا فاجاب بان هذا كما يقال سلطان في العراق ولا يراد ان ذاته حاصلة في جميع اخبار العراق بل يراد ان ذاته

حاصلة فخير من جملة اخبار العراق نكرا سهاء وهذا هو المراد بقول الشيخ لما بين من الملابسة كالبلدان المتباينة للمجاز ان يقال
في حق ما في واحدة منها انه فيهن واشار صاحب الكشف الى الجواب بوجه آخر حيث قال وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس وجهها
مما يلي السماء وظهرها مما يلي الارض فاذا كان وجه كل واحدة منهما منورة بنور القمر ونوره ثابت فيها باسرها فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديرها
بعده وجعل الشمس فيهن سراجا لاهل السموات والارض وقيل انه نور لاهل الارض قوله مظلها به يعني ان قوله تعالى وجعل الشمس سراجا
من باب التشبيه البليغ شبهت به من حيث ان كل واحد منهما يزيل ظلمة الليل عن وجه الارض فان الليل عبارة عن ظل الارض الحاصل
في الجو بسبب حيلولة الارض بينه وبين الشمس وبطلوع الشمس تزول الظلمة وما يستند اليها من الظل كما يزول ذلك بضوء
السراج والتشبيه لا يقتضي المماثلة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه حتى يقال ضوء السراج عرضي له كضوء القمر لا
ضوء الشمس فانه ذاتي فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به قوله فاستعير الانبات للانشاء استعارة اصلية ثم اشتق من
الانبات المستعار لفظ انبتكم فصار استعارة تبعية حمل الكلام على الاستعارة لتعذر حمله على الحقيقة لان الانبات اخراج فروع ما يدخل
عروقه في الارض ولا شك ان ايجاد الانسان ليس على هذا الوجه وانشاء بني آدم من الارض اما بواسطة انشاء ابيهم آدم عليه السلام
او من حيث انه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولدة من الغذاء المتولد من النبات المتولد من الارض والنكتة من العدول الى
المجاز كون الانبات ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات قوله واصله انبتكم فنبتم نباتا
يعني ان نباتا منصوب بفعل مقدر وهو نبتم وحذف لدلالة انبتكم عليه التزاما فان النبات لازم للانبات ومطاوع له والملزوم
يدل على اللازم وقد شكى نوح عليه السلام ربه بسبب عصيانهم اياه فقوله بعد ذلك رب انهم عصوني ذكره تمهيدا لما ذكره بعد
بيان سبب عصيانهم اياه وهو تقليد رؤسائهم البطرين بالاموال والاولاد قوله بحيث صار ذلك سببا اشارة الى ان اسناد
الزيادة الى المال والولد من قبيل اسناد الفعل الى سببه فان الاموال والاولاد وان كانت من الاسباب التي يكتسب بها سعادة الآخرة
بصرفها فيما خلقت لاجله الا انها اذا دخلت ذريعة لقضاء الشهوات النفسانية واستيفاء اللذات العاجلة صارت سببا
لزيادة خسار الآخرة قوله وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم الخ وذلك يستفاد من توصيف مفعول اتبعوا بقوله لم يزده
ماله وولده الا خسارا فان توصيف متعلق اتباعهم بكونهم اصحاب اموال واولاد ادت بهم الى الخسار يشعر بعلية الوصف المذكور
للاتباع قوله وهو ابلغ من كبار يعني كبارا بالضم والتشديد من اوزان المبالغة وابلغ من كبار بالضم والتخفيف كما ان المخفف ابلغ من
كبير ونظيره الطويل ثم الطوال وتكوين الكبار هو احتيالهم لصد السفلة عن قبول دعوة نوح والايمان به وتحريش الناس على اذاه وعلى
الثبات على دين اسلافهم الاقدمين ويجوز ان يكون المراد بمكر الرؤساء قولهم لاتباعهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا اي عبادتها الا سيما
هذه الآلهة الخمسة التي هي ود وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا فان اضافة الآلهة اليهم من جملة الحيلة الموجبة لاستمرارهم على
عبادتها كانهم قالوا هذه الاجسام آلهتكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم وعلى ابائكم كنتم جاهلين
ضالين واعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالجهل والضلال سفاهة شديدة لا يجرى عليها عاقل فلما كان في لفظ آلهتكم
اشارة الى هذه المعاني كان صارفا لهم عن الدين وطاعة نوح بالحيلة الخفية فلهذا سمى الله تعالى قولهم هذا مكرا وحيلة خفية قوله
خصوصا اشارة الى ان قوله لا تذرن ودا ولا سواعا من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما لهذه الاصنام الخاصة بناء على اكبر اصنامهم
قوله فلما ماتوا صوروا قيل لما مات هؤلاء الصلحاء اختار خلف اصحابهم ان يسلكوا سبيلهم في باب العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم
ونظرتم اليها احيانا كان انشط لكم واشوق العبادة ففعلوا ثم نشا بعدهم قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم قد

كانوا

كانوا يعبدونها فعبدوها فابتدا عبادة الاوثان من ذلك الوقت فلما كانت ايام الطوفان والغرق دفنت تلك الاوثان فلم تزل
مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة
وكسر الحاء المهملة بعدها جيم محى على وزن مسجد وهو ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن ونسر لحمير
وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن قال الامام قولهم انتقلت هذه الاصنام الخمسة الى العرب فيه اشكال لان الدنيا قد تخربت في زمان
الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت الى العرب ولا يمكن ان يقال ان نوحا عليه السلام وضعها في السفينة وامسكها
لانه عليه السلام انما جاء لنفيها وكسرها فكيف يمكن ان يقال انه وضعها في السفينة سعيا وغيرها في حفظها هذا كلامه ويزول
اشكاله بما ذكر في التيسير ومعالم التنزيل وغيرهما من ان تكون تلك الاصنام تحت قد دفنها الطين والتراب والماء ايام
الطوفان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر اللات لثقيف وهو ابو قبيلة من
هوازن بمصر ويقال لمضر الحمراء ولاخيه ربيعة الفرس لانهما اقتسما الميراث اعطى مضر الذهب واعطى ربيعة الخيل والعزى
لسليم وغطفان وخثعم وشوه سعد بن بكر ومنات لهذيل واساف ونايلة وهبل لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونايلة
حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة قوله للتناسب لان ما قبلهما اسمان منصرفان منونان وهما ود وسواعا وكذا بعدهما وهو
نسرا فنونا ايضا للتناسب كما نون سلاسلا كذلك قوله عطف على رب انهم عصوني يعني قوله رب لا تزد الظالمين الا ضلالا مقول
ثان لنوح عطف الله تعالى احد مقوليه على الآخر وان الواو فيه من كلامه تعالى لا من كلام نوح لاستلزامه عطف الانشاء على الاخبار فنوح عليه السلام
قال كل واحد من القولين من غير عطف احدهما على الآخر واحدهما قوله رب انهم عصوني وثانيهما قوله لا تزد الظالمين الا ضلالا
فحكى الله تعالى احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاول بكلمة الواو والثانية على لفظ قال قوله ولعل المطلوب
جواب عما يقال كما يليق بالنبي المبعوث للهداية ان يدعو على امته بالضلالة في امر دينهم وزيادتهم فيه مع انه عليه السلام قد بعث
اليهم ليصرفهم عنه قوله وما مزيدة يعني انها زيدت بين الجار والمجرور لتاكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطاياهم فانه يدل على
ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه فانه
كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية ولزيادتها فائدة اخرى وهي تفخيم قبح خطاياهم لانها ابهامية وابهام الشيء يدل على انه
لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره قوله وقرا ابو عمرو مما خطاياهم كل واحد من لفظي الخطايا والخطيئات جمع خطيئة الا ان الاول جمع تكسير
والثاني جمع سلامة وقد تقرر ان الجمع المكسر غير الاوزان الاربعة التي هي افعل وافعال وافعلة وفعلة جمع كثرة لا يطلق على ما دون العشرة
الا بالقرينة والمقام مقام تكثير خطاياهم فلعل ابا عمرو انما قرا خطاياهم بلفظ جمع الكثرة لذلك ومن اختار لفظ جمع السلامة نظر
الى جمع السلامة سواء كان بالواو والنون او بالالف والتاء لمطلق الجمع كما ذكر في شرح الرضي وقوله والظاهر ان كل واحد من جمعي
السلامة لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما فلذلك قيل انهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى ما نفدت
كلمات الله قوله المراد عذاب القبر تمسك اصحابنا في اثبات عذاب القبر بقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاول
ان الفاء في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاول ان الفاء في قوله تعالى فادخلوا يدل على ان الادخال حصل عقيب
الاغراق فلا يمكن حمل الادخال على عذاب الآخرة لئلا يلزم اخلاء اللفظ عن مدلوله الوضعي من غير دليل والوجه الثاني ان قوله تعالى
فادخلوا اخبار عن الماضي وهو انما يصدق بوقوع المخبر به قبل نزول الآية وقال مقاتل والكلبي معنى الآية انهم سيدخلون في
الآخرة نارا وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لانه كائن لا محالة فكانه قد كان كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة

ولانها لما تحقق سبب الادخال ومن حق المسبب ان يتحقق عقيب السبب جعل كالمتحقق وعبر عنه بلفظ الماضي ولا يخفى ان ما ذكرنا انما يصح التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ولا يكون دليلا على ترك الظاهر ومن المعلوم ان العدول عن الظاهر من غير دليل لا وجه له فالوجه ان يراد به عذاب القبر ومن مات في الماء او النار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب كقوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وعن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وهو يؤيد كون المراد به عذاب القبر قوله فيعال من الدار او الدور يعني ديارا على الاول احد ينزل الدار ويسكنها وعلى التأييد دورة في الارض بان يذهب ويجي وانكر بعضهم كونه من الدوران ويكون المعنى اهلك كل نازل دار وساكنها من الكفار اي كل انسي منهم قوله لا فعال والا لكان دورا اي لكان ينبغي ان تصح واوه ولا تقلب ياء لان اصل دار دور فقلبت واوه الفا فلما ضعفت عينه كان دوار بواو صحيحة مشددة اذ لا وجه لقلبها ياء وكذا الحال اذا كان فعالا من الدور قوله لمكث نوح عليه السلام فانه عليه السلام نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام بن يزد بن مهلاييل بن انوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام قال وهب كلهم مؤمنون ارسل عليه السلام الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقيل بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة روي عنه عليه السلام انه قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض وذلك لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جميعا قوله قال ذلك لما جربهم جواب عما يقال كيف عرف انهم لا يلدون الا فاجرا كفارا حتى دعى في حقهم بان يهلكهم الله تعالى جميعا واخبر عنهم بانهم لا يلدون الا فاجرا كفارا الا ما سيكون فاجرا كفارا اذا بلغ مبلغ التكليف فهو من قبيل تسمية الشيء بما سيؤول اليه وتقرير الجواب انه عليه السلام عرف ذلك بالتجربة والاستقراء فانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم واستقرأ احوالهم واخلاقهم حتى قيل ان الرجل منهم كان ينطلق بابنه ويقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابي اوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على مذهب الكبير في العتو والعناد وكما انه عليه السلام عرف ذلك بالاستقراء عرفه بالنص ايضا قال قتادة انه عليه السلام دعى عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فدعى عليهم لما ايس من ايمانهم وتيقن باطراد النجاسة في جميعهم وانه يجب تطهير وجه الارض منهم فاجاب الله تعالى دعاءه واهلكهم جميعا فان قيل ما بال صبيانهم قلنا اغرقوا الا على وجه التعذيب كما يموتون بساير الاسباب فكم من صبي يموت بالغرق والحرق والهدم وغيرها وكان ذلك زيادة في تعذيب الآباء والامهات اذا يرون اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في مثله يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وقيل لم يكن فيهم صبي وقت العذاب لانه تعالى اعقم اصلابهم وارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين سنة وقيل سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا ويؤيده قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال ثم انه عليه السلام لما دعى باهلاك من علم انه لا يرجى منه الايمان على وجه العموم والاستغراق دعى بالمغفرة لجميع المؤمنين والمؤمنات الا انه خص نفسه اولا بالدعاء ثم ذكر من هو اشد اتصالا به ثم ذكر من هو دونه في الاتصال به لكونهم اولى واحق بدعائه لهم ثم ذكر عامة المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ثم ختم الكلام بالدعاء على الكافرين مرة اخرى فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم بالكلية ونجاه ومن معه من المؤمنين بسبب السفينة قال مقاتل حمل نوح في السفينة ثمانين نفسا اربعين رجلا واربعين امرأة وفيها اولاده الثلثة روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الداعي للمؤمنين والمؤمنات يغفر له بعدد كل مؤمن في الارض حي وميت ويرد عليه مثل الذي دعا لهم كل مؤمن في الارض وعن انس عنه عليه السلام انه قال ان الداعي للمؤمنين والمؤمنات يقام مقام يوم القيمة فيتمنى الله تعالى عليه في الاولين والآخرين ضرا

بدعائه

٨٢

بدعائه فيوجرون مثل اجورهم اجمعين ولا ينقص من اجورهم شئ فيا مر الاولين والآخرين ويشفعون له كذا في التيسير تمت سورة نوح عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلوة واتم التسليم

سورة الجن بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وقرئ اوحي يعني ان القراءة المشهورة اوحي على لفظ الماضي المبني للمفعول من باب الافعال وقرئ وحي بضم الواو وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى يقال وحي اليه واوحى اليه اذا كلمه كلاما بخفية والايحاء القاء المعنى الى النفس في خفاء كالالهام وانزال الملك وقوله اي بضم الهمزة من غير واو واصله وحي قلبت الواو همزة كما في اقتت واحوت وهذا القلب جائز في كل واو مضمومة وجوزه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واساده واعاء اضيه قوله تعالى انه استمع لا خلاف في فتح همزة انه فيه لوقوعها موقع المفرد من حيث انه قائم مقام الفاعل لاوحي وضميره للشان اي اوحي الى ان الشان استمع القرآن نفر من الجن حذف مفعول استمع لدلالة ما بعده عليه وهو قوله انا سمعنا قرآنا قوله والجن اجسام عاقلة خفية كثير من الفلاسفة ينكرون وجود الجن في الخارج روي ان ابا علي بن سينا حد الجن بانه حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح الاسم اي بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوما في الخارج او موجودا ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمي لا يكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي فانه عبارة عن تصوير الة حقيقية خارجية في الذهن وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضا واختلف المثبتون على قولين الاول ان الجن اجسام عاقلة خفية والقول الثاني انهم ليسوا اجساما ولا جسمانية لا يقتضي مشاركتها للذات تعالى في ذاتي مشترك ليلزم امتيازها عنه بفصل مميز ويلزم تركب الواجب ثم ان تلك الجواهر المجردة مختلفة بالماهية وان كانت مشاركة في بعض الاوصاف الوضعية فبعضها خيرة كريمة مائلة الى الخير وبعضها دنية خبيثة مائلة الى الشرور والآفات والخيرة قد تكون منزهة عالية عن تدبير الاجسام بالكلية وهي الملائكة المقربون وقد تكون متعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم الملائكة المتعلقة بتدبير عالم البسائط العنصرية ثم ملائكة عالم المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ثم يصلح ان الجن نوع من هذه الانواع فانهم حينئذ شرفهم الحميد حيوة والكدرة السرية السفلية هي المسماة بالشياطين والماردين من الجن وكل نوع من هذه الانواع المختلفة بالماهية يقدر على افعال شاقة عظيمة يعجز عنها قوة البشر وقيل الجن نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها فانها حال تعلقها بابدانها ان استكملت بالفضائل العلمية والعملية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالا بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الاسرار الروحانية وان تحملت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت في قضاء الشهوات النفسانية وسلكت سبيل العداوة في كل باب من بابي الاعمال والعقائد يكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على غوايتها فاذا اتفق ان حدث بدن آخر مشابه للبدن الذي فارقت تلك النفس عنه فبسبب تلك المشابهة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في افعالها وتدبيرها في ذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة قوله وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم كما ذهب اليه ابن عباس حيث قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ فادركهم وقت صلوة الفجر وهم بنخلة فاخذ هو عليه السلام يصلي باصحابه صلوة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم في الصلوة فلما سمعوا القرآن استمعوا له ثم رجعوا الى قومهم فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اي استمع القرآن نفر منهم ووجه دلالة الآية انه عليه السلام

ولا نوهم انه عليه السلام لو راهم لما استند معرفته هذه الواقعة الى الوحي فان ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحي وذهب
ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام امر بالمسير الى الجن ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام حيث قال عليه الصلاة والسلام
امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق
حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه فانك ان فعلت لم ترني ولم اركا بدا ثم مضى الى الحجون فانحدروا
عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى الي بيده ان اجلس ثم تلى القرآن فلم يزل صوته يرتفع
ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم قال الامام واعلم انه لا سبيل الى تكذيب الروايات وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج
اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود وثانيها ان بتقدير ان تكون واقعة الجن مرة واحدة يجوز ان يؤمر عليه السلام بالذهاب اليهم
ويقرأ عليهم ويدعوهم الى الاسلام الا انه صلى الله عليه وسلم ما راهم وما عرف انهم ماذا قالوا وايش فعلوا فالله سبحانه وتعالى اوحى
اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وثالثها ان تكون الواقعة كانت مرة واحدة وهو عليه السلام راهم وسمع كلامهم وهم
امنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى رسوله ما قالوه
لاقوامهم وقيل ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفعتين احدهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي
ذكرها ابن عباس ثم قيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين وهي قرية باليمن غير التي بالعراق والذين اتوه بنخلة جن قوله
بديعا اشارة الى ان العجب وان كان مصدرا في الاصل الا انه هنا بمعنى العجيب للمبالغة التي يتعجب منه لحسن نظمه وصحة معانيه من حيث
انه يدعوا الى الرشد وهو التوحيد والطاعة وانه وضع موضع العجيب للمبالغة وهو ما صرح عن هذا اشكال ونظائره قوله
وقرأ ابن كثير والبصري بالكسر لكونه معطوفا على قوله انا سمعنا وهي مكسورة اتفاقا لكونها محكية بعد القول وقد اتفق
القراء على كسر الهمزة اذا وقعت بعد القول او بعد فاء الجزاء وقد اتفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع وعلى كسرها في قوله
تعالى انا سمعنا والبواقي محمول عليهما فما كان من الموحى مفتوح وما كان قول الجن مكسور فابن كثير والبصريان جعلوا الجميع من قول
الجن فكسروا الهمزة فيها الا اربعة مواضع وهي قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام
عبد الله فانهم فتحوا الهمزة فيها بناء على انها من جملة الموحى به وان في قوله وان لو استقاموا مخففة من الثقيلة معطوفة على معمول اوحي
كانه قيل اليه انه استمع وانه لو استقاموا والضمير للشان فيها وكذا قوله وان المساجد لله معطوفة عليه ففتحت الهمزة لذلك وقيل
لان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا وحذف الجار في مثله شايع كثير قوله ووافقهم نافع في القراءة بالكسر في غير المواضع
المستثناة وكذا في قوله وانه لما قام من تلك المواضع اتباعا للاستيناف وجعلا كونها من قول الجن قوله وفتح الباقون الكل لفظ الكل على
ظاهره لانه لا خلاف في كسر ما كان محكيا بعد القول فينبغي ان يكون مراده بالكل الا ما كان مقترنا بالواو العاطفة وقرينة
التخصيص قوله عطفا على ما كان من قولهم نعطف على محل الجار والمجرور ولم يجعله معطوفا على الجار والمجرور لعدم ذكر الجار في المعطوف
ولا على لفظ المجرور لان البصريين لا يجوزون العطف على الضمير المجرور بغير اعادة الجار في المعطوف وان اجازه الكوفيون
ولما كان محل الجار والمجرور النصب على انه مفعول به غير صريح لان ما كان ما عطف عليه ايضا كذلك فكان في موضع المفرد ففتح فكانه
قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا قوله مستفاد من الجد الذي هو البخت يعني ان الجد في اللغة يكون بمعنى العظمة ومنه
حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا وفي رواية جد في اعيننا اي جل قدره وعظم ويكون بمعنى

الدولة

الدولة والغنى والبخت ايضا ومنه حديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى غناه وانما تنفعه الطاعة ومنه كذلك الجد
قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون يعني اصحاب الغنى في الدنيا فالجد في الآية
يجوز ان يراد به العظمة وهو ظاهر وان يراد به ملك الله تعالى وسلطانه واستغناؤه المطلق الذاتي تشبيها للكل واحد منها بملك
الملوك والاغنياء وغناهم لان الملوك والاغنياء هم المجدودون فسمي المشبه باسم الجد والبخت على سبيل الاستعارة قوله
والمعنى اي المراد من الاخبار بتعالي جده سواء كان الجد بمعنى العظمة والسلطان والمعنى يستلزم استغناءه تعالى عن الصاحبة والولد
الكفى الملزوم عن ذكر اللازم ثم بين كون المراد ذلك بقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وقرئ تعالى جدا ربنا بنصب جدا على
من النسبة ورفع ربنا على الفاعلية والمعنى تعالى ربنا جدا ثم قدم المميز كما في قولك حسن وجها زيد وقرئ جد ربنا بالكسر اي
بكسر الجيم وهو ضد الهزل وضد التواني في الامور ايضا فالمعنى تعالى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد
والالهية لا يشوبها شيء من سمات الاحتياج والحدوث فان الصاحبة والولد انما يتخذ للحاجة اليهما في الاستيناس والتلذذ
وبقاء النسل بعد فوت الوالد وكل ذلك من توابع الامكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا تبرأ اولا عن التزوج
وثانيا عن دين النصارى واليهود قوله تعالى وانه يقول سفيهنا ضمير انه للشان واسم كان مضمر فيها وهو ضمير الشان
ايضا والجملة التي بعد كان مفسرة لاسم كان لانه مضمر لم يتقدمه ظاهر يعود هو اليه فلا بد من جملة تفسره في موضع خبرها
كان قوله قولا ذا شطط يعني ان الشطط في نظم الآية صفة مصدر محذوف ولما كان الشطط عبارة عن مجاوزة الحد والقصد
في اي شيء كان احتيج الى تقدير المضاف لان القول لا يوصف بانه في نفسه بعد عن الحق ومجاوزة لحد الاعتدال بل المبالغة فيه
في رجل عدل وانما يقال قول شاط او ذو شطط فقدر المضاف لذلك ثم اشار الى جواز كونه من قبيل التوصيف بالمصدر
للمبالغة لفرط ما اشتط اي ابعد ذلك السفيه في ذلك القول الدال على نسبته الصاحبة والولد اليه تعالى انتهى قوله اعتذار
كانهم قالوا ظننا ان الشان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقنا سفهاءنا في ان لله شريكا وصاحبة وولدا
فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق سيد على انهم كذبوا عليه تعالى وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا في تلك الجهالة بسبب
التقليد وانهم انما تخلصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر في آيات الله تعالى قوله جعله مصدرا اي مصدرا
مؤكدا لفعله لان كذبا بمعنى القول كانه قيل لن تقول قولا ولا يجوز ان يكون صفة لقولا المحذوف المؤكد لفعله لان القول
لا يكون الا كذبا فلا فائدة في توصيفه بالكذب وان فيه مخففة من الثقيلة اي ظننا انه الضمير للشان ولذا
انه في قوله وانه كان رجال اي وان الشان كان رجال من الانس ورجال اسم كان ومن الانس صفة لرجال وكذا من الجن
ويعوذون خبر كان وزهقا مفعول ثان لزاد واختلفوا في فاعله فقيل الانس اي فزاد الانس الجن باستعاذتهم بهم
كفرا وعتوا حتى قالوا سدنا الجن والانس قطعوا بذلك من كفرهم وقيل بل فاعله هو الجن اي فزاد الانس الجن بذلك طغيانا
في الكفر فان الانس اعاذوهم فاستوا في منزلهم ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا عتبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم
والمصنف اشار الى جواز الوجهين وتقديم الوجه الاول قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة
ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم روي عن رجل انه قال خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا
عامر الوادي جارك الله فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله تعالى

والاوسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اى زادوا الانس الجن خطيئة والرهق
عدمعه في كلام العرب واضيفت الزيادة الى الجن اذا كانوا سببا لها او زادوا الانس الجن كفرا وغيا فان الانس باستعاذتهم
عليه كانوا سببا لزيادة غيهم قوله والرهق في الاصل غشيان الشئ اى اتيانه على وجه الاستيلاء والاحاطة بالعاتي قال تعالى
ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة استعمل فيما ياتى من نحو الاثم والشر والكبر والغى نقل عن الامام الواحدى انه قال
مرهق غشيان الشئ ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ورجل مرهق اى يغشاه السائلون والمعنى ان
الرجال الانس انما استعاذوا بالجن خوفا من ان يغشاهم الجن ثم انهم زادوا لهذا الغشيان فانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا
بالله تعالى استذلوهم واجترؤا عليهم فزادوهم ظلما وعلى هذا القول زادوا من فعل الانس والقول الاول هو اللائق بسياق
الآية والموافق لنظمها قوله والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام الله الآية الاولى وهى قوله تعالى وانهم
ظنوا كما ظننتم فمعناها على ان يكون من كلام الجن ما قال مقاتل ان مؤمني الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين كذبوهم فقالوا
مؤمني الجن لكفارهم وانهم يعنون كفار الانس ظنوا ظنا مثل ظنكم يا معشر الجن ان الشان لن يبعث الله احدا بالرسالة بعد عيسى
او بعد موسى او لن يبعث الله احدا بعد الموت للحشر والجزاء ثم انهم لما بعث الله اليهم سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن
المعجز آمنوا به وصدقوه في جميع ما اخبر به فافعلوا انتم يا معشر الجن مثل ما فعل الانس ومعناها على ان يكون من جملة الوحى ان الجن
ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش انه لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم او لن يبعث الله الخلق بعد موتهم فالمقصود تأكيد
الحجة على قريش بان آمن هؤلاء الجن بمحمد النبى الامى وبما اخبر به فانتم احق بذلك وكونهما من كلام الجن اظهر واولى لان ما قبلهما وما بعدهما
من كلام الجن وادخال كلام اجنبى بين كلامهم غير مناسب واشار بقوله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به الى ان جريان الاحتمالين
انما على تقدير القراءة بكسر ان فيهما واما على تقدير القراءة بالفتح فالاحتمال الثانى هو المتعين قوله ساد مسد مفعولى ظن اعمل الفعل الثانى و
هو ظنوا ومع ان ظننتم ايضا يقتضى مفعولين والمختار هذا عند البصريين اعمال الثانى ولعل الوجه في اختيار اعمال الاول ان ما
في قوله كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها في تاويل المصدر والفعل اقوى من المصدر في العمل فلا ينازعه المصدر فيه
فتعين اعمال الفعل انتهى قوله طلبنا بلوغ السماء بان يكون اللمس مستعارا للطلب بتقدير المضاف اى بلوغ السماء وضبرها شبه الطلب
باللمس من حيث ان كل واحد منهما يؤدى الى غاية مطلوبة فان اللمس يؤدى الى ادراك ما يدرك باللمس كما ان الطلب يؤدى الى ادراك المطلوب
فيسمى الطلب باسم اللمس ثم اشتق منه لمسنا بمعنى طلبنا فهو استعارة تبعية قوله اسم جنس يعنى ان الحرس بفتحتين اسم مفرد
في معنى الجمع وهو الحراس فانه جمع حارس وهو لفظا كان الخدام اسم مفرد بمعنى الخدام جمع خادم ولكونه مفرد اللفظ وصف بشديدا
ولو اعتبر فوجدناها بمعنى اصبناها وصادفناها فيتعدى الى مفعول واحد ناها ولابد في مثلها من كلمة قد ظاهرة او مقدرة
واذا لم يكن ظاهرة ههنا فهى مقدرة ويحتمل ان يكون من افعال القلوب المتعدية الى اثنين فيكون جملة ملئت في موضع المفعول
الثانى اى فعلمناها مملوة وحرسا تمييز نحو امتلأ الاناء ماء وشهبا عطف على حرسا وفى الاعراب حكمه ومن جمع شهاب وهو
الشعلة المضئ الذى يتولد من نار الكواكب التى هي زينة للسماء يرى كان كوكبا انقض وترجم به الشياطين لا نفس الكواكب
ومردة الجن كانوا يقعدون في مواضع القعود من السماء لاستماع الاخبار من اهل السماء والقائها الى الكهنة فحرسها
الله تعالى حين بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بان رمى المسترقة منهم بالشهب المحرقة فلذلك قالوا فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا اى كنا قبل هذا الوقت نسمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب قوله مقاعد خالية من الحرس

على ان يكن

على ان يكون المستمع صلة لنقعد وقوله او صالحة للترصد على ان يكون صفة لمقاعد وقوله اى شهابا راصدا له على ان يكون حالا
بمعنى المضئ المتولد من نار الكواكب يكون رصدا مصدرا بمعنى فاعل منصوبا على انه صفة شهابا راصدا ولاجله فاعل له الدال
لما كان معنى الارصاد كان راصدا له مترقبا اياه متهلكه قوله او ذوى شهاب راصدين على ان يكون رصدا اسم جمع لراصد
ويكون شهابا بمعنى ملائكة ذوى شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدا صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوى شهاب راصدين
ليرجموه باحجارهم من الشهب فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر لخلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين
وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان يكون لفائدة اخرى حاصلة قبل ايضا اجيب عنه بان ذكر تعلكما
لا يقتضى اقترانهما في الزمان لم يجز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان يرجم بها كان الرجم مصدر سمى به ما يرجم به
ويؤيد هذا المعنى ما روى عن جماعة من المفسرين ان السماء لم تكن تحرس في الفترة بين عيسى وبين خاتم النبيين عليهما الصلاة
خمسمائة عام فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منع من السماء وحرست بالملائكة والشهب قال ابى بن كعب كان ذلك موجودا
عيسى عليه السلام وبعده الا ان رفع الى السماء ولم يرم بنجم بعد ما رفع حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث رمى بها
فرات قريش امرا لما رواه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم وينتقمون رقابهم يظنون انه فناء العالم فبلغ ذلك بعض اكابر
رايهم فقال لهم فعلتم ما ارى قالوا رمى بالنجوم فرايتها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان يكن نجوما معروفة فهو وقت
فناء العالم وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث فنظروا فاذا هي نجوم لا تعرف فاخبروه فقال في الامر مهلة وهذا لكن
عند ظهور نبى فما مكثوا الا يسيرا حتى ظهر وانتشر بعثته صلى الله عليه وسلم والاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة
قبل البعث الا انها زيدت بعد البعثة زيادة ظاهرة ومنعت الجن عن استراق خبر السماء راسا ليبطل تلبس على الناس احوال
الرسول المستندة الى الوحى باقوال الكهنة الماخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء وهذا القول يؤيده
القرآن وهو قوله فوجدناها ملئت حرسا فانه يدل على ان الحادث الان هو الكثرة وقوله نقعد منها مقاعد اى كنا نجد
فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب الان ملئت المقاعد كلها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم ولكنه عليه السلام انطلق في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ
وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب قالوا ما ذاك الا من شئ حدث فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم قوله اشر يجوز ان يكون مبتدأ واريد بمن في الارض خبره
وان يكون فاعل فعل محذوف يدل عليه ما بعده اى اريد شر وهذا احسن لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام وهو محل
السوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلوة الصبح فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا
الى قومهم وقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية فاوحى الله تعالى الى نبيه عليه السلام قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن رواه الشيخان
في صحيحيهما قوله المؤمنون الابرار فسر الصالحين بهم اى بالابرار الكاملين في الصلاح لانه جعل دون ذلك مرفوع المحل على انه صفة
مبتدأ محذوف ومنا قوم دون ذلك في الصلاح او هم المقتصدون وما يكون ارفع من المقتصدين الابرار ويجوز ان لا يكون ظرفا
بل يكون بمعنى غير ويكون مرفوع المحل على الابتداء وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن اى ومنا غير الصالحين وهذا قول الجن اى
قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بعد المرسلين انا كنا قبل استماع القرآن من الصالحين اى مؤمنون دون الطبقة

ولا وسائل فخيرا اى المؤمنون بالانبياء المتقدمين متقدمون فى اعمال الخير وما صدقنا بايماننا بمحمد عليه الصلوة والسلام مالم يكن فى جنسنا
عوملتم بالهم انه كان فى زمن موسى وعيسى عليهما السلام منهم المؤمنون حتى قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وهذا ترغيب
عيتع لمن رجعوا اليهم منذرين فى الايمان قوله ذوى طرائق مالم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون انفس الذوات طرائق
عرا ذاتها وسوله ثلثة اوجه الاول تقديرا اضيف الى طريق والثانى حمل الكلام على التشبيه البليغ والثالث تقدير ما اضيف الى
ضميرهم كان وتقدير موصوف قددا اى كانت طرائقنا طرائق قددا وقيل تقدير الكلام كنا فى طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق
الثعلب فحذف الجار واوصل الفعل قال سعيد ابن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن الجن امثالكم
منهم قدرية ومرجية ورافضة وشيعة قوله علمنا يعنى ان الظن هنا بمعنى اليقين لان الاعتقاد بان العبد لا يفوت الله تعالى
يا من يسبقه سواء كان مستقرا فى الارض او هاربا منها الى السماء من العقايد الدينية التى يجب الايمان به والايمان لا يحصل
ومن الظن فلذلك فسر باليقين وقوله فى الارض وهربا حالان من فاعل نعجزه اى لن نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا فيها وهاربين
منها الى السماء ولن نعجزه عن امضاء ما اراد بنا بسوء كنا سالكين مستقرين فى الارض او هاربين من موضع الى آخر وحصول
ادنى على الوجه الثانى ان الفرار وعدمه سيان فى ان شيئا منها لا يفيد فواتنا عن نفاذ ارادته فينا وفائدة ذكر الارض حينئذ
التنبيه على الاشارة الى ان الارض مع سعتها وانبساطها ليست تنجى منه تعالى ولا مهربا ويحتمل ان يكون اللام على الوجه الثانى للعهد اى لن نعجزه
سواء ثبتنا فى ارضنا التى نسكن فيها او هربنا منها الى موضع آخر واللام على الاول لاستغراق اجزاء الارض والمهروب اليه العالم
فى العلوى المباين للارض قوله فهو لا يخاف قدر المبتدأ وجعل قوله لا يخاف خبرا عنه وجعل الجملة الاسمية المصدرة بالفاء جزاء الشرط
او جزاء اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها لان حرف الشرط لا يؤثر فى الجزاء من حيث الاعراب لكن الجملة لا تظهر فيها الاعراب
انه يجب دخول الفاء لتدل على انها جزاء الشرط قوله والاول دل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها جواب عن قول صاحب الكشاف فان
قلت اى فائدة فى رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف كما فى قوله
فان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم وتقدير الجواب نعم انه كذلك الا انه التزم ذلك لانه يفيد تقوى الحكم وتقريره فى ذهن السامع
فبسبب تكرار الاشياء الحاصل بسبب تقدير المسند اليه وتخصيص الخبر الفعلى بالمسند اليه المتقدم بحيث لا يشاركه فيه غيره
بالبين المراد بقوله واختصاصها به ان تقدير المبتدأ يفيد مجموع التقوى والتخصيص لان اجتماعهما فى مثل هو عرف وانت عرفت
فخلاف ما ذهب اليه الشيخ عبد القاهر والسكاكى وانما يفيد التخصيص اذا اعتبر ان المقدم كان مؤخرا على معنى انه فاعل معنى
اخر وقدم ليفيد التخصيص واما اذا لم يعتبر ذلك بل اعتبر كونه مبتدأ محضا فلا يفيد الا التقوى قوله وقرئ فلا يخف على ان لا ناهية
وحذف الفاء الدالة على الجزائية لما تقرر ان الجزاء اذا كان جملة طلبية كالامر والنهى يجب مقارنتها لعلامة الجزاء ولا يجوز كونها نافية
هو الالا استغنى عن الفاء بجزم الجزاء ودلالته على الجزائية قوله او جزاء بخس بتقدير المضاف اى لا يخاف جزاء بخس ولا جزاء رهق
على ان البخس والرهق من افعال المكلف لا من افعال البارى تعالى كما فى الاول قوله تعالى وانا منا المسلمون الآية من كلام الجن
لاصحابهم تحريضا لهم على الاسلام بعد بيان احوال الفريقين اى منا بعد استماع القرآن من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه
عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل عن الحق يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل روى ان الحجاج قال لسعيد بن جبير
ما تقول فى قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة
جعلنى جائرا كافرا وتلى قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وههنا تم اقوال الجن

وقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة من جملة الموحى به اى اوحى الى ان الشان استمع نفر من الجن وان الشان لو استقاموا
على طريقة الاسلام لوسعنا عليهم فى الدنيا وبسطنا لهم فى الرزق وكلفناهم بالشكر فيه لنعلم كيف يشكرون والغدق بفتح الدال
مصدر غدق الماء يغدق بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا غزر وصف به الماء للمبالغة فى غزارته كرجل عدل قوله تعالى نسلكه
عذابا اصله نسلكه فى عذاب لقوله تعالى ما سلككم فى سقر وقولهم سلكت الخيط فى الابرة فحذف الجار واوصل الفعل كما فى قوله تعالى
واختار موسى قومه والصعد مصدر صعد يصعد صعودا وصعدا وصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه
ويغلبه فلا يطيقه وقيل عليك عاقول عذابا صعدا بمعنى ذا صعود ومشقة وعذابا صاعدا شاقا تدورا ان القراء
السبعة اتفقوا على فتح ان فى قوله وان المساجد لله فلا على انه من جملة الموحى به والفاء فى قوله تعالى فلا تدعوا سببية اى اذا كان الامر
كذلك فالتعبد واخلصوا وذهب الخليل الى تقدير الآية ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا مع الله احدا
فى المساجد لانها خاصة لعبادته والمصنف اشار الى ضعفه بانه حينئذ الفا فائدة الفاء السببية لان معنى السببية يستفاد حينئذ
من لام التعليل عن قتادة قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا فامر الله تعالى ان يخلص له المسلمون الدعوة
اذا دخلوا مساجدهم قوله لانه قبلة المساجد تعليل لاطلاق لفظ المساجد وهو جمع على المسجد الحرام والمساجد فى قوله قبلة المساجد جمع
مسجد بفتح الجيم وهو مصدر ميمى بمعنى السجود او اسم مكان بمعنى موضع السجود ويعنى المسجد الحرام وان كان مكانا معينا الا انه لم تعدد القبلة
من حيث ان كل جزء منه قبلة لسجدة الساجدين يتوجه كل ساجد فى سجدته الى جزء من اجزائه فكان الحرام مساجد باعتبار كونه اجزاء
جهات السجود قوله مواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى مرفوع بالعطف على قوله المسجد الحرام وكذا قوله واراد به السقف وقوله
والسجدات ووجد فى بعض النسخ بدل هذا السطر بعد قوله لانه قبلة المساجد وهكذا فسرت بمواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى
وبارادته السقف وبالسجدات وقوله على انه جمع مسجد اى بفتح الجيم متعلق بالتفاسير الاربعة المذكورة بقوله وقيل المسجد الحرام الخ فان المسجد بالفتح
مصدر ميمى يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى السجود واسم المكان السجود اى يسجد عليه حينئذ الآراب السبعة فان موضع السجود من الجسد قال عطاء الساجد
اعضاءك التى امرت بالسجود عليها لا تذللها لغيره فانها قال عليه الصلوة والسلام امرت ان اسجد على سبعة اراب وهى الوجه واليدان والركبتان
والقدمان والآراب الاعضاء جمع ارب وهو العضو واصله الارب بضم بين يكون داخلا والساجد على تقدير كونه جمع مسجد بمعنى السجود جمع مع ان المصدر
فى المصدر انه لا يثنى ولا يجمع لقصد الانواع فان انواع السجود مختلفة باختلاف اوقات الصلوة ومختلفة تلاوة آية السجود قوله وانما ذكر لفظ العبد
يعنى ان الظاهر ان يقال وانه الشان لما قام داعيه اى عبده كادوا يكونون عليه لبدا لان هذا الكلام من جملة الموحى به الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر
لما فى ذكره من التواضع والاشعار بما هو سبب قيامه وعبادته لله تعالى وهو كونه عبد الله قوله او كاد الانس والجن عطف على قوله الجن الاول على ان يقرا
وانه بفتح الهمزة ويكون الكلام من جملة الموحى به والثانى على ان يقرا بكسر الهمزة وهى قراءة نافع وابى بكر على انه ابتداء كلام من الله تعالى او على انه من قول الجن
لقومهم بان قالوا حين رجعوا اليهم لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى كاد كفار الانس والجن يتلبدون ويتظاهرون عليه ليطفئوا الحق الذى جاء به
ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من عاداه يريدون بهذا القول تقبيح حال الكفرة والطعن عليهم فى اجتماعهم على الناصح الامين
وطلب منعه عن اظهار ما جاء به الحق المبين مع كونه موافقا للقانون العقلى ومقتضى الحكمة ومؤيدا بالشواهد والمعجزات الباهرة واصل المقصود
توبيخ قريش فى قبوله والانقياد به قوله وهو جمع لبدة يعنى ان الجمهور قرؤا لبدا مخففة وهو جمع لبدة كقربة وقرب واللبدة الشئ الملبد
اى المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض والمعنى كادوا يكونون عليه جماعات متراكمة مزدحمة وقرئ لبدا بضم اللام وفتح الباء مشددة
وهو جمع لابد كسجد جمع ساجد وقرئ لبدا بضم اللام والباء لبدا خفيفة وهو جمع لبد كصبر فى جمع صبور قوله يوجب تعجبكم او اطباقكم على

قال الفخ بعضنا ازدحاما عليه متعجبين ه
يكون معنى كادوا كانوا قال لما قام رسول الله عليه السلام

لفوات شرط موت فان كان معنى الآية المتقدمة واوحى الى لما قام عبد الله كادوا يكونون عليه لبدا كان نحيي مما راوا من عبادتي الله وحده
متبريا من الشرك والاوثان كما هو دابهم لانهم يروا مثلما راوا ولا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره فلا جرم ازدحموا عليه متعجبين مما راوا او سمعوا
ليس ما تزون من عبادتي الله تعالى ورفضي الاشراك به يتعجب منه وانما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا وان كانت الآية المتقدمة
ابتداء كلام من الله تعالى او من قول الجن وكان معناها كاد الانس والجن يزدحمون عليه ويتظاهرون لابطال امره يكون معنى الآية انه
عليه السلام قال للمتظاهرين عليه انما ادعوا ربي اي ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب
انظباقكم على معنى وعداوتي وقيل سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت
الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فانزل الله تعالى قل انما ادعوا ربي على قراءة عاصم وحمزة ومن قرا قال جعل ذلك على ان القوم
لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك اجابهم بقوله ادعوا ربي فحكى الله تعالى ذلك بقوله قال قوله ولا نفعا اي يجوز ان يفسر الرشد بالنفع على طريق
اطلاق السبب وارادة المسبب ويجوز ان يكون الرشد بمعناه ويكون الضير بمعنى الكفر والغي على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب فان الرشد
سبب النفع والضر مسبب عن الغي وعن ثمرته حتى يكون تقدير الكلام قوله اشعارا بالمعنيين الاول لا املك لكم ضرا ولا نفعا والثاني
لا املك لكم غيا ولا رشدا وكلا المعنيين مناسب للمقام فان النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله تعالى وان احداث الخلق لا قدرة
له عليه فاني وان اردت منكم الاهتداء والرشد بالايمان والطاعة ونهيتكم عن الغي بالكفر والعصيان فانكم قابلتموني بالمجادلة والتظاهر
على عداوتي وبغضي فليس بيدي ادخالكم في الرشد ولا ابقاؤكم في الكفر والغي وليس بيدي ايضا اضراركم بالعقوبة على الكفر والغي ولا نفعكم
بالاثابة على الرشد والايمان قوله منحرفا او ملتجئا يقال الحد في دين الله والتحد فيه اي مال عنه وعدل ويقال الملتحد الملتجأ لان اللاجي
يميل اليه اي لن ينقذني عاقدرا الله تعالى علي من السوء احد ان استحفظته ولن اجد من دونه ملتحدا الا اعد اليه الامر قوله فان التبليغ
ارشاد واتباع يعني انه استثناء متصل من قوله لا املك لكم ضرا ولا رشدا بناء على ان تبليغ الرسالة من جنس الرشد وفائدة الاعتراض
تاكيد نفي الاستطاعة المدلول عليه بقوله لا املك قوله او من ملتحدا اي لن اجد موضعا اميل اليه الا التبليغ الا بلاغا اي لا يغني ولا يجيرني الا
ان ابلغ عن الله ما ارسلت به قوله او معناه ان لا ابلغ بلاغا على ان لا يكون الكلام استثناء بل شرطا والاصل ان لا فادغم فان شرطية
وفعلها محذوف وهو ابلغ حذف لدلالة مصدره عليه ولا نافية والمعنى ان لا ابلغ بلاغا من الله فلا يجيرني منه احد وهذا الوجه ضعيف
لان حذف فعل الشرط وابقاء اداته قليل جدا وقد انضم اليه في الآية حذف الجزاء ايضا لان نفي الجير لا يتقدم على الاداة عند البصريين
قوله عطف على بلاغا كانه قيل لا املك الا التبليغ والرسالة ومن الله صفة بلاغا اي بلاغا كائنا من الله تعالى وليست كلمة من متعلقة بقوله
بلاغا لان صلة التبليغ في المشهور انما هي كلمة عن دون من قوله في الامر بالتوحيد اشارة الى الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه
الآية على ان عصاة المؤمنين مخلدون في النار ووجه الاستدلال ان العصيان المذكور فيها عام يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان
ومخالفة للامر سواء كان عصيان الكفر او عصيان الفسق وقد حكم على العاصي بهذا المعنى العام فانه مخلد في النار ابدا فثبت مدعى جمهور
جمهور المعتزلة وتقرير الجواب ان استدلالهم ان العصيان وان كان يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان الا انه قد تقرر ان العام
يجوز تخصيصه بامور منها تخصيصه بالقرائن المتعاقبة والعصيان المذكور في الآية من هذا القبيل بان المقصود من امره عليه السلام
بان يقول لمشركي قريش ايها المصرون على الشرك قد اوحي الي ان الشان استمع هذا القرآن نفر من الجن فآمنوا به وبوحدانيته تعالى
وبتنزهه على الشريك والصاحبة والولد ثم دعوا قومهم الى ان يؤمنوا به هو توبيخ مشركي مكة باصرارهم على الشرك كانه قيل الكم تقرون
على الشرك والعناد مع طول ما دعوتكم الى التوحيد وتلوت عليكم من القرآن ما يدل على بطلان الشرك والجن قد آمنوا بالقرآن وتبرؤوا من الشرك

اقول ستعلم

اول استماعهم اياه ثم ولوا الى قومهم منذرين عن الشرك وسوء عاقبته فظهر ان المقصود المهم في هذه السورة الدعوة الى التوحيد والامر به
والنهي عن الشرك والاصرار عليه فهذا قرينة واضحة على ان المراد بالعصيان المذكور فيها العصيان في الامر بالتوحيد فكانه قيل ومن
يعص الله ورسوله فيما امر به من التوحيد واصر على الشرك والضلال فانه يخلد في النار ابدا فليس في الآية دليل على ما ادعته جمهور
المعتزلة من خلود عصاة المؤمنين قوله والغاية بقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني المشار اليه بقوله او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين
لابطال امره والمعنى كاد المشركون من الجن والانس يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا
راوا ما يوعدون من بعد الظهار دين الله تعالى عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وان
فسر قوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الاول وقيل اي يزدحمون عليه تعجبا مما راوا وسمعوا تعين كون ما بعد حتى غاية لمحذوف دلت
عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم بعدده والمعنى لا يزالون على هذه الحال حتى اذا راوا ما يوعدون ......
فيتبين حينئذ ان المستضعف من هو ومن في قوله تعالى من اضعف يجوز ان يكون موصولة في موضع النصب ان استفهامية مرفوعة
المحل على الابتداء واضعف خبرها والجملة في موضع النصب سادة مسد مفعولي العلم لانها معلقة للعلم قبلها وناصرا وعددا منصوبان
على التمييز قال تعالى لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث
متى يكون هذا الذي توعدوننا به فانزل الله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون الآية والمعنى ان وقوعه متعين متيقن به
واما وقت وقوعه فغير معلوم لنا قوله اقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدا ويجوز ان يكون اقريب مبتدا وان لم يكن مسندا
اليه لوقوعه بعد الف الاستفهام وما توعدون فاعل سد مسد الخبر وما موصولة والعائد محذوف اي اقريب الذي توعدون
نحو اقائم الزيدان فان قيل اليس قال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا ادري
اقريب ما توعدون والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه
بمعنى كونه بحيث يتوقع وقوعه في كل ساعة فغير معلوم قوله على الغيب المخصوص به اخذه من اضافة الغيب الى ذاته المقدس فان
الاضافة تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه يعني اولا انه تعالى عالم بجميع ما غاب عن حس الخلق بناء على ان اللام في الغيب للاستغراق
ثم بين انه لا يطلع على الغيب الذي يختص به علمه الا المرتضى الذي يكون رسولا للاشارة الى ان ما لا يختص به تعالى علمه يطلع عليه غير
الرسول اما بواسطة الانبياء عليهم السلام او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله تعالى بعض الاولياء بوقوع بعض المغيبات
في المستقبل بواسطة الملك وتحمل هذا المعنى متعين للقطع بان ليس مراد الله تعالى بهذه الآية انه تعالى لا يطلع احدا على شيء من المغيبات
الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شيء من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه السلام وبزوال
ملك فرعون على يديه وان بعض الكهنة اخبروا بظهور نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ظهور زمانه وبنحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين
وارباب الملل والاديان مطبقون على علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل ويكون صادقا فيه قوله
استدل به على ابطال الكرامات وجه الاستدلال انه تعالى خص الرسل من بين الخلائق بالاطلاع على الغيب واصحاب الكرامات من
الاولياء ليسوا برسل فلا يطلعون على الغيب فلا كرامة لهم بالاطلاع على ما سيقع في المستقبل من المغيبات وتقرير الجواب ان المراد
بالرسل الملك وبالاظهار ما يكون بغير واسطة فاللازم من الاستثناء ان يختص الاظهار بغير واسطة بالملك وذلك لا ينافي
اطلاع الاولياء على بعض من الغيوب تلقيا من الملك الهاماتهم الصادقة وفيه بحث لان تخصيص الرسول بالملك يستلزم
ان يكون اطلاع كل واحد من الاولياء والرسل على الغيب بواسطة الملك فلا يكون اخبار الانبياء عن المغيبات معجزة لهم وقد

اشتهروا من انه تعالى يطلع رسله على ما يشاء من الغيب ليستدلوا على نبوتهم بالآية المعجزة وهى الاخبار عن الغيب على ما هو به والظاهر فى جواب
ان يقال الرسول من البشر يتلقى من الملائكة بالذات والولى لا يتلقى بالذات بل بواسطة تصديقه بالنبى فلا حاجة الى تخصيص
الرسول بالملك لان معنى الآية على الغيب المخصوص به علمه الا الرسول من البشر فانه تعالى يطلعه عليه بواسطة ان يتلقاه من
الملك بالذات ولا يطلع الولى عليه بان يتلقاه من الملك بالذات ولكن لا ينافى ان يتلقاه من الملك بواسطة تصديقه بالنبى صلى الله عليه وسلم
مع انه يجوز ان يتلقى النبى الغيب من غير واسطة الملك كما صرح به المص فى قوله تعالى اذ او حم عسق وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا ان المراد بالوحى ما يعم الشافهة كما روى فى حديث المعراج والمهتصابه فانه يدل على انه تعالى قد اظهر النبى على بعض الغيبات
بلا واسطة فكيف يجوز تخصيص الرسول بالملك قوله على الغيب المخصوص به تعالى علمه وقسم نصب عليه دليلا كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد بقوله يؤمنون بالغيب ثم انه تعالى ذكر انه يحفظ ذلك الذى يطلع عليه الرسول وهو جبرئيل عليه السلام
فقال فانه يسلك اى يدخل من بين يديه اى يدى الرسول ومن خلفه رصدا اى حرسا من الملائكة يحفظون الوحى من ان يسترقه
الشيطان فيلقيه الى الكهنة فيخبرون به قبل اخبار الرسول قوله اى ليعلم النبى الموحى به فقوله ليعلم متعلق بمحذوف دل عليه
الكلام كانه قيل اخبرناه بحفظ الوحى عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول البشر ان رسل الملئكة ابلغوا رسالات ربهم قوله
او ليعلم الله ان الانبياء قد ابلغوا رسالات ربهم كما هى اى ليعلم تبليغهم الرسالات كما هى موجودة واصل والمعنى ليبلغ الانبياء
رسالات ربهم كما هى محروسة عن الزيادة والنقصان وعبر عن هذا المعنى بعلمه تعالى تبليغهم اياها كما هى لكونه ابلغ
فى الدلالة على تحقيق التبليغ على الوجه المذكور كناية عن وجوده لكونه لازما له ومتفرعا عليه وقد تقرر ان ذكر الشئ كناية
ابلغ من التصريح به وقوله تعالى ليتعلق علمه به موجودا مبنى على ان نفس علم الله تعالى ليس مما يتفرع على وجود شئ من الحوادث بل
المتفرع عليه هو تعلقه بالاحوال الحادثة على حسب ما هى عليه والتبدل والتغير انما هو فى المعلوم لا فى العلم فانه تعالى يعلم
جميع الجزئيات على وجه جزئى فعند وجودها يعلم انها وجدت وعند عدمها يعلم انها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد
وتعدم ولما كان المراد من العلم بالتبليغ العلم الذى يتعلق به لاجل ذلك العلم هو العلم بكونه موجودا قيد التبليغ بقوله موجودا
فقال ليتعلق علمه به موجودا والعلم انما يتعلق بالتبليغ موجودا حال وجود التبليغ واما قبل وجوده فانما يعلم بانه
سيوجد لا بانه موجود فان ذلك لا يكون علما بل هو جهل والعلم بانه سيقع لا يتعلق به الجزء تمت سورة الجن والحمد لله رب العالمين

سورة المزمل بسم الله الرحمن الرحيم قوله والمزمل بتخفيف الزاء وفتح
الميم على لفظ اسم المفعول وهو الذى زمله غيره وبكسر الميم وتخفيف الزاء ايضا اى الزمل نفسه وفى المعقود من زمله فى ثوبه اى لفه
وتزمل فى ثيابه اى تدثر وتلفف فيها وازدمله اى احتمله والزمل الحمل قوله لانه كان نائما او مرتعدا كانه قيل عليه السلام نائما بالليل
متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه تلك الحالة التى كان عليها من التزمل المتزمل كما يفعل من لا يهمه امر ولا يغنيه
شان وقيل يا ايها النائم المتزمل ثوبه قم واشتغل بالعبودية امر عليه السلام ان يختار التهجد على التهجد والتسحر
على التزمل ويؤيد هذا المعنى امره عليه السلام بالقيام الى الصلوة بعده وهو قوله قم الليل اى قم للصلوة وقيل
كان هذا فى اول ما اوحى اليه كما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة والحمى فاتى اهله وقال زملونى دثرونى فبينما هو
كذلك اذ جاء جبرئيل عليه السلام وناداه وقال يا ايها المزمل تهجينا لما كان عليه وقيل ليس تهجين بحاله بل هو ثناء
عليه وتحسين لحاله اذ روى انه عليه السلام كان متزملا فى مرط لعائشة رضى الله عنها وهو يصلى قيل عليه ان هذه السورة

مكية وهذه الرواية تدل على انها مدنية لانه عليه السلام لم يبن بها الا بالمدينة واجيب بانه يجوز ان يكون عليه السلام قد بات
فى بيت ابى بكر رضى الله عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة وهى طفلة والباقى بطوله على النبى صلى الله عليه وسلم
وليس فى الرواية ما يدل على ان هذه الواقعة كانت بعد البناء بها روى انه تزوجها فى شوال سنة سبع سنين فنداه عليه السلام
بالمزمل تحسين لحاله التى كان عليها فجعل هذا النداء ذريعة الى الامر بالمداومة على تلك الحال الحسنة قوله اى قم الى الصلوة
او داوم عليها الاول على ان يكون اشارة على ان تسميته بالمزمل للتهجين والثانى على ان يكون للتحسين قوله وقرئ بضم الميم
يعنى والعامة قم الليل بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها اتباعا لحركة القاف وبفتحها لخفة الفتحة والليل ظرف
للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وضمير نصفه على تقدير كونه
بدلا من قليلا راجع الى الليل وضمير منه وعليه راجعان الى النصف والمعنى قم الى الصلوة فى الزمان المحدود المسمى بالليل
الا الجزء القليل منه وهو نصفه او انقص القيام من نصفه او زد عليه كانه قيل قم نصف الليل او انقص من النصف
او زد عليه وهو تخيير بين قيام النصف بتمامه والزائد عليه والناقص عنه قوله وتلقيد بالنسبة الى الكل لا بالنسبة الى النصف
الآخر لان كل واحد من النصفين يجب ان يكون مساويا للنصف الآخر ولا يتصور ان يكون اقل منه قوله او نصف بدل من الليل بدل البعض من الكل
وقوله الا قليلا مستثنى من قوله نصفه مقدم عليه كانه قيل قم اقل من نصف الليل كالثلث ثم ان كان ضمير منه وعليه للاقل من
النصف يكون المعنى فى النقص من ذلك الاقل والزيادة عليه ويكون التخيير بين ان يقوم فيما هو اقل من النصف كالثلث وبين
ان يقوم فيما هو انقص من ذلك الاقل كالربع وبين ان يقوم فيما هو ازيد منه كالنصف قوله او للنصف عطف على قوله للاقل من النصف
اى على تقدير ان يكون نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا مستثنى من نصفه لجواز ان يكون ضمير منه وعليه للنصف ويكون المعنى حينئذ
قم اقل من نصف الليل كالثلث او انقص من النصف قليلا بان تقوم من الثلث مثلا او زد على النصف ويفهم من ظاهر النظم ان يكون
التخيير بين ثلثة امور لان فيه حرفى عطف وليس كذلك اذ ليس ههنا الا امران فقط وهما القيام فى اقل من النصف وفى ازيد منه لان
مدلول قولنا قم نصف الليل الا قليلا وقولنا او انقص من نصفه واحد فلم يبق الا الامران فقط فلذلك جعل احد شقى التخيير ان يقوم
فيما هو اقل من نصف الليل كالثلث او انقص من النصف قليلا بان يقوم فى الثلث مثلا او زيد على النصف ويفهم من ظاهر النظم ان يكون التخيير
بين ثلاثة امور لان فيه حرفى عطف وليس كذلك اذ ليس ههنا الا الامران فقط على البت وجعل شقه الآخر ان يختار احد الامرين
وهما القيام فيما هو اقل من النصف والقيام فيما هو اكثر منه قوله او الاستثناء من اعداده عطف على قوله والاستثناء من الليل جوز
الا ان يكون الاستثناء من ساعات الليل واجزائه بان يكون تعريف الليل لاستغراق اجزائه ثم جوز ان يكون من افراده
واعداده كانه قيل قم فى جميع الليالى الا قليلا من افرادها يقع لك فيها عذر يمنعك من القيام فيها ثم بين ما يقوم به من اجزاء
الليل خيره بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى وقصرها فالنصف اذا استوى
الليل والنهار والنقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل قال ابن عباس رضى الله عنه ان قيام الليل كان فريضة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى قم الليل فظاهر الامر انه للوجوب ثم نسخ واختلفوا فى سبب النسخ فقيل انه كان
فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها وقيل ان قيام الليل كان فريضة عليه وعلى المؤمنين مع كونهم مخيرين بين المقادير المذكورة
فكان الرجل لا يدرى فى اى مقدار من الليل صلى وكم بقى منه فكان يقوم الليل كله محافظا ان لا يحفظ القدر الواجب وشق
عليهم ذلك حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم فنسخ فريضته بقوله فى آخر هذه فاقرؤا ما تيسر من القرآن

وكان بين ايجاب قيام الليل وبين نسخه سنة كاملة وقيل سنتين قوله نغورتل ورتل هو بفتح التاء وكسرها بيانا مصلحة ساعد
باسنها يقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق قليل وترتيلا مصدر موكد لفعله الدال على ايجاب الترتيل اكد ايجابه بالمصدر
ليعلم انه لا بد للقارى منه ليتمكن هو ومن حضره من التامل في حقايق الآيات ويستشعر عظمة الله تعالى وجلاله عند الوصول
الى ذكر الله ويقع في الخوف والرجا عند الوصول الى آية الوعد والوعيد فحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله تعالى وينفتح
عليه اسرار الكلام الالهي وجملة اعتراض بين قوله يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا وبين قوله ان ناشئة الليل فانه متعلق
بالاول مناسب له توسطت هذه الجملة بينهما ليسهل عليه تكليفه بالتهجد فكانه تعالى قال انما امرت بقيام الليل لانا
سنلقي عليك قولا ثقيلا فلا بد لك ان تسعى في صيرورة نفسك مستعدة لتلقي ذلك القول العظيم وذلك الاستعداد لا يحصل
الا بصلوة الليل فان النفس يستعد بها بقبول الفيض الالهي من حيث ان الشواغل الحسية والعوايق الجسمانية يكون ساكنة
في الليل المظلم فاذا اشتغل الانسان فيها بعبادة ربه وترتيل كلامه يتنور قلبه ويتقوى روحه فيزداد مناسبة
واتصالا بعالم الغيب فيستعد لتلقي المعارف الالهية والالهامات الربانية قوله ويدل على انه اي التهجد عطف على قوله يسهل
يعني ان الفائدة الثانية للاعتراض الدلالة على ان التكليف بقيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة التي يشتمل عليها القرآن فعليك
بملازمة هذا التكليف والاستيناس به لئلا يثقل عليك امتثاله قوله مشتق بالميم الظاهر انه تحريف من الناسخين والاصل شق
بكسر الشين وهي المشقة قال تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقال شق على الشي يشق شقا ومشقة والاسم الشق بالكسر
ولم اطلع على نحو مشتق قوله او رصين اي محكم ثابت وهو عطف على قوله ثقيل على المكلفين والرزانة الوقار والثقل يعني او ان ثقله
عبارة عن بلاغته واعجازه بحسب النظم ورقة المعاني فالثقل على الاول راجع الى ثقل العمل به وعلى هذا الى ان جهات حسنه وكماله
ثابتة مستقرة لا تزول ابدا كثبوت الشي الثقيل في محل فيعضم اي يقلع يقال اقصم المطر اي اقلع وانجلى قوله ترفض اي ترشح
عرقا قوله وعلى هذا اي على ان يكون المعنى قولا ثقيلا صفة للمصدر لا للمفعول به اي سنلقي الا القا ثقيلا قوله نشانا الى خوض يرى
بينها السرى والصق منها مرخات القاحد نشانا اي قمنا والخوض الناقة الغايرة العينين والذكر اخوص وجمعها خوص والنى
بفتح النون الشحم واللحم يقال ناقة نادية اي سمينة وندي اي سمن وبرى اذهب اذاب من برت القلم بريا وبرت البعير
اذا حسرته واذهبت لحمه والسرى سير الليل والصق اي طاطا وتكتني في فاعل ضمير السرى والقاحد جمع قحدة وهي القفا التي هي موضع
الراس ومعقد الازار والمعنى قمنا الى نوق غايرات الاعين اذابت لحمها وشحمها سير الليل وجعلها مهزولة ضعيفة وجعل السرى قاحدها
المرتفعة المرتفعة من الشحم لاصقة منخفضة من الهزال اي قمنا اليها ورحلناها والناشية على هذا صفة لمحذوف اي النفس القايمة من
مضجعها الى الليل للعبادة قوله او قيام الليل على ان الناشئة مصدر كالعاقبة من نشا اذا قام قوله او ساعات الليل على ان تكون الناشية
صفة ساعات الليل الناشية الحادثة شيا بعد شي الجوهري ناشية الليل اول ساعاته يقال انشا يفعل كذا اذا ابتدا واقبل شيا
بعد شي فهو ناشي وانشاه الله تعالى فنشا قال ابن العابدين ناشية الليل ما بين المغرب والعشا لان ناشية الليل هي الساعة
التي منها يبتدا نشا الله وقيدها ابن العباس والحسن بما كان بعد العشا وما كان قبلها فليس بناشية وخصصتها عايشة بما كان
بعد النوم فلو لم تتقدمها نوم لم تكن ناشية وقيل الليل كله ناشية قوله او كلفة او اثبات قدم تفسيران لوطا بفتح الواو وسكون
الطاء وقصر الالف وهو مصدر قولك وطئ الشي اذا داسه برجله او حمل عليه ثقله فان النفس القايمة بالليل الى العبادة اشد وطا
من التي يقوم بالنهار على ان يكون الوطا عبارة عن الكلفة والثقلة كما يقال اشتدت على القوم وطاه سلطانهم اذا ثقل عليهم معاملته

معهم وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر والمقصود من الحكم بان النفس التي تنشا بالليل من مضجعها اشد كلفة بيان انها اكثر
ثوابا لان ثواب العبادة على قدر شدة الوطاة وثقلها كما قال عليه السلام افضل العبادات احمزها اي اشقها او على ان يكون عبارة
عن ثبات القدم فان النهار زمان التقلب للمعاش يستكثر فيه الشواغل الموجبة لاضطراب القلب للمعاش فلا يكون القايم بالعبادة
فيه ثابت القدم فان النهار زمان التقلب عليها فيكون المقصود حينئذ بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام به فانه تعالى
جعل الليل لباسا يستر للناس عيونهم من الاضطراب الانقلاب الى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يبتغون فيه امور معاشهم
فلا يثبت فيه اقدامهم للعبادة قوله او مواطاة القلب تفسير لقراءة ابي عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح التاء ومد الالف لان
المواطاة هي الموافقة يقال واطات فلانا على كذا مواطاه ووطاء اذا وافقته فان فسرته ناشية الليل بالنفس الناشية الليل
من مضجعها يكون المعنى انها اشد من جهة مواطاة القلب اللسان لها بقيام الليل او بالعبادة الناشية بالليل او بالساعات
الناشية بالليل بمعنى الحادثة او المبتدية يكون المعنى ان الناشية باحد المعاني اشد من جهة موافقة قلب القايم في تلك
الناشية قوله واشد مقالا او اثبت قراءة يعني انه يجوز ان تكون اقوم اسم تفضيل من القيام بمعنى السداد والاستقامة وان يكون من القيام
بمعنى الثبات والاستمرار وهدو الاصوات سكونها يقال هدا هدا وهدوا سكن وهداه غيره سكنه والتسبح التصرف في المعاش
والتقلب في الامور ومنه السباحة في الماء وسبح الصوف والقطن جعله منفوشا التفت اجزائه وتشتت عقوله قوله وجرد نفسك
عما سواه اشارة الى تبتيلا مصدر موكد لفعله المحذوف المدلول عليه بالالتزام لان التبتل لا يكون الا بالتبتيل وتقدير الكلام
تبتل اليه وبتل نفسك عما سواه تبتيلا قوله ولهذا الرمز يعني ان الظاهر ان يقال وتبتل اليه تبتيلا او يقال بتل نفسك عما سواه
تبتيلا لكن لم يرد النظم هكذا الرمز الى حقيقته وهي ان المقصود بالذات انما هو التبتل والانقطاع اليه تعالى وذلك لا يحصل الا
بتبتل النفس وقطعها عن التعلق بما سواه فذكر اولا التبتل اشعارا بانه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه
لا بد منه وان كان مقصودا بالعرض لا بالذات لانه نوع تعلق لغير الله فلا يكون مقصودا لذاته وفي وضع التبتيل مقام
التبتل رعاية الفواصل ايضا قوله فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور لان جميع ما سواه يكون ممكنا ومحدثا
محتاجا الى غيره فكيف يصح ان يكون موكولا اليه الامور ومن عرف انه لا اله الا هو لا جرم تفوض جميع الامور اليه ومن لا يفوض
ذلك اليه فهو لا يعلم بحقيقته لا اله الا هو ومن اتخذه وكيلا يستريح من معارضة زيد وعمرو والاهتمام على ما فاته من
المقاصد لانه يتحقق عنده ان قيام الله تعالى باصلاح امره احسن من قيامه باصلاح امور نفسه فيقع في دايرة التسليم
والرضا فيستريح ثم انه تعالى لما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى كيفية معاملته بالخلق فقال واصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا لان من يخالط الناس كثيرا ما يجد منهم الايذا والمنافرة فيغتر به بسبب ذلك الغموم فلا بد للاهل
الاختلاط من الصبر الجميل وان ترك المخالطة بان تخالفهم في افعالهم السيئة ولا يخاصمهم ولا تسمعهم القبيح وينصح لمن رجى
منهم القبول وذلك هو الهجر الجميل فقد استراح منهم ثم لما خطر بالبال ان من بعث لدعوة الخلق وارشادهم كيف يهجر المكذبين
مع انه يهديهم بالمجازاة على الكذب ادخل في ظهور اثار الرسالة دفع ذلك الخاطر بقوله وذرني والمكذبين يعني تعران
الامر كذلك الا انه ينبغي ان تكل امر مجازاتهم الي وان لا تهتم بهم فانا اكفيكهم تعالى والمكذبين يجوز ان يكون انتصابه
على انه مفعول معه وعلى انه معطوف على يا المتكلم في ذرني والاول هو انسب للمقام والثاني اوفق بصناعة العربية لان التبادر
من نحو قولك ضربت زيدا وعمرا انما هو مجرد مشاركة الواو لما قبلها في ملابسة معنى العامل بكل واحد منهما وهو معنى العطف

من القيام

ولا يفهم منه كون تلك الملابسة بطريق المعية وانما يفهم ذلك اذا كان الفعل المذكور قبلها لازما فانه اذا كان لازما لا يكون ما بعد الواو على تقدير العطف مرفوعا ويكون العدول الى النصب نصا على قصد المعية والمصاحبة في ملابسة الفعل فان العطف لا يدل الا على ان ما بعد الواو مشارك لما قبلها في ملابسة الفعل لكل واحد منهما والنصب كما يدل على تلك المشاركة يدل ايضا على كون تلك الملابسة في زمان واحد مثلا اذا قلت سرت وزيدا بالنصب يكون زيدا مشاركا للمتكلم في ملابسة السير لكل واحد منهما وفي وقوع واحد منهما معا بخلاف اذا قلت سرت انا وزيد بالعطف فانه انما يدل على مشاركتهما في السير فقط لا يدل على المعية فيه نظر لان النصب انما يكون نصا على المعية والمصاحبة اذا كان الفعل لازما وذرني في الآية متعد والنعمة بفتح النون التنعم وهو مضارع يقال نعمه الله وناعمه فتنعم بالكسر ما انعم به عليك قوله تعليل للامر بالامهال فان تعداد ما عنده من اسباب التعذيب يشعر لاقتداره على الانتقام منهم والجحيم كل نار عظيمة في مهواة وهي ما بين الجبلين ونحوه والغصة الشجي وما يقف في الحلق ولا يسوغ فيه والطعام ذو الغصة هو الطعام الذي يقف في الحلق لا ينزل ولا يخرج وتنكير عذابا وابهام كيفيته تدل على كونه في نهاية الهول والشدة بالنسبة الى ما تقدم عليه من الامور الثلاثة وكونه للتهويل لا ينافي كونه للنوعية قوله فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات بيان لكون تلك العقوبات مما يصح ان يعاقب بها الارواح ولم يتعرض لبيان كونها عقوبات للاشباح لظهوره واستغنائه عن البيان وكون الارواح العاصية بعد مفارقتها عن الابدان باقية على التقييد بحب الشهوات والتعلق بها المانع من التخلص الى عالم المجردات بمنزلة الانكال والقيود المانعة عن الوصول الى ما مراده من المهمات ثم يتولد من تلك القيود الروحانية بين ان روحانيته شبيهة بالجحيم فان شدة ميلها الى ما فارقت عنه من الشهوات الدنياوية وعدم تمكنها من الوصول اليها يوجب حرقة شديدة روحانية شبيهة بالاحراق بنار الجحيم وهي حرقة فراق المشتهيات ويجرح الروح بالم هذا الفراق على الاتمام والدوام بمنزلة طعاما ذا غصة لا يشبع ولا يخرج من الحلق ثم حرمانه على ان يتجلى له نور جمال الله تعالى ويتلذذ بالمعارف الالهية والاسرار الربانية وينخرط في سلك المقربين عذاب اليم اشد عليه من جميع العقوبات الثلث قوله فالعذاب جواب لما اشار به الى ان اللائق بهذا المقرن يفسر العقوبات الثلث الاول بما يعم العقوبات الروحانية وان يكون ما ذكره من تفسير العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى للاشارة الى كون العذاب شاملا له كما يتناول العذاب الجسماني قوله منثورا اشارة الى ان مهيلا اسم من مهلت الشيء اذا صببته من غير كيل وحساب اي تكون الجبال بعدما كانت اوتادا للارض قطعة مجتمعة من المهل لا تتماسك اجزاؤها مثل شيء منصوب اي متفرق الاجزاء بان ينسف الله تعالى اجزاءها اي يقلع بعضها من بعض ويجعلها كالعهن المنفوش فعند ذلك تصير كالكثيب ثم انه تعالى يحركها كما قال ويوم نسير الجبال فعند ذلك تصير مهيلا اي رملا سائلا نسفا ثم انه تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال فقال انا ارسلنا اليكم رسولا الآية فان المقصود تهديد اهل مكة بالاخذ الوبيل وان في اعادة فرعون والرسول تقطيع لشأن عصيانه وان ذكر لكونه عصيان لا لكونه عصيان موسى وفيه ان المخاطبين اقطع وادخل في الذم اذ ارسل اليهم هذا الرسول وصفا آخر اعني شاهدا عليكم وادرج فيه انهم لو آمنوا كانت الشهادة لهم لا عليهم قوله تعالى فكيف تتقون مرتب على الارسال الذي ترتب عليه عصيانهم اي فكيف تتقون اهوال القيامة وما اعد لكم من الانكال ونحوها ان دمتم على ما انتم عليه وثبتم على الكفر وقوله ان كفرتم الخ اتى بحرف الشرط اشارة الى ان ارسال هذا الرسول لا يبقي لاحد شبهة تقيه من الكفر كيف والنور المبين فيكون بقاؤهم على الكفر بعد ارسال الرسول حقيقا بان يقدر تقدير الامور المشكوك وجودها قوله تتقون انفسكم يدل على انه فسر تتقوا بتقون انفسكم فعداه بذلك الى مفعولين اولهما انفسكم المقدر وثانيهما يوما فانه مفعول به لتتقون كما اشار اليه المصنف بقوله عذاب اليم اي بتقدير المضاف ووقى

يتعدى الى مفعولين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم وفيه بحث لان تتقون مضارع اتقى وهو ليس بمعنى وقى فكيف يصح تفسيره به وتعديته مثله بل هو متعد الى واحد فتقدير قوله انفسكم لا يظهر له وجه صحة الا ان يقال ذكره بيانا لحاصل المعنى فان اتقاء العذاب بمعنى وقاية النفس عنه قوله تعالى يجعل الولدان شيبا صفة ليوما والعائد الى الموصوف ضمير يجعل واسناد الجعل الى اليوم من قبيل اسناد الفعل الى زمانه للمبالغة والشيب جمع اشيب بمعنى ذي الشيب وهو بياض الشعر قوله وهذا على الفرض لا على الحقيقة لان يوم القيامة ليس فيه ولادة حتى يصيرون شيبا حقيقة بل الكلام مبني على الفرض والمعنى ان هول ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي لكان يشيب ويرى انه شيخ والحال انه طفل صغير والاصل فيه ان الهموم اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب وروي ان رجلا امسى و... مالك الشعر ثم اصبح وراسه كالثغامة فقيل له في ذلك فقال رايت القيامة في المنام والجنة والنار ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون قوله او على التمثيل بان شبه يوم القيامة من شدة هوله بان يجعل الولدان شيبا فوصف بوصف ذلك الزمان وان لم يكن فيه ولادة قوله ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول لا بكثرة اهواله فيكون المعنى انه في طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة و[illegible] لا ينقطع بعد وهذا الوجه وان كان يشارك الوجه الاول في ان الكلام مبني على الفرض الا ان المراد من الوجه الاول وصف اليوم بكثرة الهموم مع قطع النظر عن التعرض لطوله والمراد بالوجه الاخير وصفه بالطول مع قطع النظر عن التعرض لما فيه من الهموم واعترض على الوجه الاخير بان ذلك اليوم اطول في مدة بلوغ الطفل اوان الشيخوخة فلا يوصف طوله بهذه العبارة ويمكن ان يجاب عنه بانه مبني على عادة العرب فانهم يعبرون بمثل هذه العبارة عن غاية الطول مع قطع النظر عن ملاحظة خصوص المدة المدلول عليها بالعبارة كما يعبرون عن التابيد وعدم الانقطاع بقولهم ما ناحت حمامة وما لاح كوكب وما تعاقبت الايام والشهور وقال تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله يجعل الولدان شيبا والثاني قوله السماء منفطر به فان السماء على عظمها وشدتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق قوله والضمير لله تعالى وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا الى فاعله اي وان وعده تعالى بكون ذلك القيامة على ما وصف به من الشدائد كائن لا محالة لانه تعالى لا يخلف الميعاد وان كان من اضافة المصدر الى مفعوله اي ان وعده تعالى اياه كان مفعولا قوله هذه الآيات الموعدة بكسر العين اي الناطقة بالوعيد وهي قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما الى هنا اتخاذ السبيل اليه تقربا بالوعيد لتقربها اليه والتوسل بالطاعة والانقياد يوصل لكونه طريقا الى رضاه ورحمته قوله اشعار لادنى الاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه الظاهر انه اراد من الاستعارة المجاز المرسل لانه جعل العلاقة بين الاقرب والاقل كون القرب الى الشيء مستلزما القلة ما بينهما من البعد فيكون اطلاق الادنى على الاقل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما يفهم من قول عائشة رضي الله عنها ان الله تعالى افترض القيام في اول هذه السورة فقام نبي الله واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى هذه السورة اثنى عشر شهرا في السماء ثم انزل الله التخفيف في آخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد كونه فرضا قوله عطفا على ادنى والمعنى انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما فرض اولا التسعة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه زيادة مطلقة كالثلثين على ان يكون الا قليلا استثناء من الليل ويكون نصفه بدلا من قليلا وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر بجرهما عطفا على المجرور قبلهما وهو قوله ثلثي الليل والمعنى يعلم انك تقوم اي تصلي اقل من ثلثي الليل واقل من نصف الليل واقل من ثلثي الليل والاقل من الثلثين هو النصف وهو الثلث والاقل من الثلث هو الربع وهو مطابق لان يكون التخيير بين قيام الثلث والربع والنصف بان يكون قوله نصف بدلا من الليل ويكون الا قليلا استثناء من النصف ويكون ضمير منه وعليه للاقل على معنى ثم اقل من

نصف الليل وهو الثلث وانقص مما هو اقل من النصف بقيام الربع او زد على ذلك ما اقل من النصف بقيام النصف قوله ويقوم ذلك جلا
يعني ان قوله وطائفة مرفوع بالعطف على المرتفع المتصل في يقوم وجاز ذلك للفصل بالظرف وما عطف عليه قوله فان تقديم اسمه تعالى
مبتدأ مبنيا عليه يعدر يشعر بالاختصاص على قوله لا يعلم مقادير ساعاتها كما هي الا الله فان بناء الفعل على المبتدأ يفيد الحصر
عند صاحب الكشاف مطلقا اي سواء كان المبتدأ معرفا او منكرا مظهرا او مضمرا مقدما او على نية التاخير على انه فاعل معنى اولا
فانه تعالى لما كان هو الذي يزيد في ساعتها وينقص من غير ان يكون لنا مدخل في شيء من ذلك فبالضرورة صار هو العالم
بمقاديرها على الحقيقة واما نحن فانا نعلم ذلك بالتحري والاجتهاد الذي يؤدي الى الخطاء احيانا قوله ولن تستطيعوا ضبط
الساعات فان الاحصاء قد يكون بمعنى العد وقد يكون بمعنى الاستطاعة قال عليه الصلوة والسلام استقيموا ولن تحصوا اي ولن تطيقوا
ذلك على الوجه الذي امرتم به قال الحسن قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة القدر
الذي يجب قيامه وقال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فخفف الله تعالى عنهم وقال علم
ان لن تحصوه واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تعيين التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اي لن تقدروا او لن تطيقوا تعيين
القدر الذي فرض عليكم القيام به ثم انه تعالى قد كلفهم بتقدير ساعات الليل والقيام في المقدار الذي فرض عليهم القيام فيها حيث قال
قم الليل الا قليلا نصفه الآية ويمكن ان يجاب عنه بان المراد بعدم استطاعتهم على تقدير ساعاتها وضبطها كون ذلك شق عليهم
بعض المشقة لا انهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اقدر ان انظر الى فلان اذا اشتغل النظر اليه وصعب عليه ذلك قوله ورفع التبعة
فيه رفعها على التائب اشارة الى ان قوله تعالى فتاب عليكم استعارة تبعية شبه الترخيص في ترك ما قدر من قيام الليل
بقبول التوبة من المذنب التائب في رفع التبعة في تركه كما رفعت عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به وهو قبول التوبة في المشبه الذي
هو الترخيص ثم اشتق من لفظ المشبه به قوله فتاب بمعنى فرخص قوله قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور وهو التخيير بين
القيام في احد المقادير المعينة فلما عسر عليهم اصابة تلك المقادير المعينة نسخت فريضته رعاية للمقدار المنصوص عليه وبقي اصل
الوجوب فان الامر في قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن يدل على ما تيسر من وجوب صلوة الليل اي غير مقدورة بكونها
في ثلث الليل او ربعا او نحوهما ثم نسخ وجوبها ايضا بالصلوة الخمس والطوع قوله او فاقرؤا القرآن بعينه كيفما تيسر عطف على
قوله فصلوا ما تيسر يعني ان قوله فاقرؤا اما مجاز بمعنى فصلوا على اطلاق اسم الجزء على الكل وحقيقة على ان المعنى ايجاب تلاوة القرآن
في غير الصلوة كيفما تيسر ليحصل الامن من النسيان والفوز برضاء الرحمن والوقوف على اعجازه بتلاوته وما فيه من دلائل التوحيد
والبعث والجزاء ونحوها من المطالب العقائد الدينية ثم قيل الامر بتلاوته خارج الصلوة للوجوب وقيل للندب والاستحباب روي
عن انس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في كل يوم او في كل ليلة لم يكتب من الغافلين ومن
قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن في كل شهر مرة قال قلت اني اجد قوة على ان اقرأه
في اقل من ذلك قال فاقرأه في عشرين ليلة قال قلت اني اجد قوة على ان اقرأه في اقل من عشرين قال فاقرأه في سبع ولا تزد
وقيل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر ايجاب للقراءة في صلوة الليل لا ايجاب نفل الصلوة في الليل وقيل انه لايجاب القراءة في كل صلوة
واختلف العلماء في قدر ما يلزمه في الصلوة فقال مالك والشافعي رحمهما الله هو فاتحة الكتاب بخصوصها لا يجوز العدول عنها ولا
الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة رحمه الله بآية واحدة من اي القرآن كانت وعنه ثلث آيات لانها اقل سورة قوله قيل كان

التهجد واجبا على التخيير المذكور وهو التخيير بين القيام في احد المقادير المعينة المسافرة للتجارة سوى الله تعالى في هذه الآية
بين درجة المجاهدين في سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوي الحاجات حيث جمعهما
في قرن واحد فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد قال عليه الصلوة والسلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه
بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله قوله وآتوا الزكوة الواجبة قال الامام وقيل زكوة الفطر
لانه لم يكن بمكة زكوة غيرها وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا على ما روي
انه تعالى افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث
انه عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة كله خوفا من الخطاء في اصابة القدر المفروض وامسك الله تعالى
خاتمة السورة اثني عشر شهرا في السماء حتى انزل الله تعالى في آخر السورة التخفيف بنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة
مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر القرآن ودام الامر على ذلك ما دام عليه السلام بمكة حتى نسخت فرضيته باصله
في المدينة بالصلوات الخمس قوله او باداء الزكوة على احسن وجه وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا
للفقراء ومراعات النية وهي ان يقصد باخراجها مجرد التعبد وابتغاء وجه الله تعالى وآتوا الزكوة امر بحا[ل] اعطائها
على اي وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية
الانفاق على الوجه المذكور قرضا حسنا من قبيل الاستعارة حيث شبه بالاقراض من جهة ان ما انفقه يعود اليه
على احسن الوجوه قوله الترغيب منصوب بالامر على الامر والمعنى يريد به الامر بسائر الانفاقات او الامر باداء
الزكوة على احسن وجه على الترغيب له فيه اي في سائر الانفاقات او في اداء الزكوة على احسن وجه والتعبير على كل واحد
منها بالاقراض يتضمن وعد العوض وقد صرح به عقيبه وقوله تعالى تجدوه مجزوم على انه جواب الشرط ولفظ
هو تاكيد للمفعول الاول لتجدوه او فصل بينه وبين المفعول الثاني فان ضمير الفصل كما يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل وتوسط
بينهما ايضا بعد دخولها وشرطه ان يكون الخبر معرفة او افعل من كذا لان افعل من شبه المعرفة في امتناعه من حرف التعريف وليست
كون تربيع الخبر شرطا لتوسط ضمير الفصل لان الفصل انما يحتاج اليه عند كون الخبر معرفة فانه انما يتوسط بينهما لئلا يلتبس الخبر بالوصف
والالتباس انما يقع اذا كان كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة بتوسطه يندفع الالتباس لان الخبر اذا كان صفة كان الموصوف هو
الضمير والمضمر لا يوصف ولا يوصف به وجاز توسطه فيما لا لبس فيه وذلك عند اختلاف الاداب وعند كون المبتدأ ضميرا وكون
الخبر افعل من كذا اتساعا وحملا لصورة عدم اللبس على صورة الالتباس مع ان الفصل له فائدة اخرى وهي انه يفيد ضربا من التاكيد
لانه عبارة عن المبتدأ وتكرير له والتكرير يفيد التاكيد ومعنى الآية وما تقدموا لانفسكم من المال تجدوه اي تجدوا ثوابه عند الله
اي في الآخرة خيرا من ثواب ما اخرتموه اي حضور الموت واسبابه من طاعات كلها تجدوا ثوابه خيرا مما قدمتم من الطاعة قوله
وهو ضمير على انه هو مبتدأ وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه وهذا على مذهب من يجعل الضمير الفصل موضعا من الاعراب كما
اشار اليه صاحب الكافية بقوله وبعض العرب يجعله مبتدأ وما بعده خبره لا موضع له عند الخليل سورة المدثر
بسم الله الرحمن الرحيم والدثار الثوب الذي يلبس فوق الشعار والشعار ما يلبس مما سا الجلد
سمي به لانه يلي الجسد وشعر البدن والمتدثر المتغشي بالدثار لينام يستر في قوله ولذلك اي ولاجل ما ذكر من الرواية

قال صاحب الكشاف بعد هذه الرواية لا تدل على انها اول سورة نزلت والظاهر انها اقرأ الى قوله ما لم يعلم للاحاديث الصحاح في ذلك لانها كانت في حرا وهذا بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام لست بقارئ فانه لا يتصور الا اذا نزل ذلك قولا والا لكان الامتناع منه معصية قال والوجه ان يراد بالسورة في قول من قال انها نزلت اول سورة السورة الكاملة انتهى اعلم انهم اختلفوا في ان المراد بالدثار المدلول عليه بالمدثر ما هو فقال الاكثر للمفسرين المراد به الدثار الحقيقي ثم اختلفوا في سبب تدثره عليه السلام بذلك فمنهم من قال انه عليه السلام تدثر به بناء على اقشعرار وانتفاض فرايصه رعبا من الملك الذي رآه على سرير بين السماء والارض كالنور المتلالي من حيث انه راى ما لم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن انه به مساس الجن فخاف على نفسه لذلك ومنهم من قال انه عليه السلام تدثر اغتماما لما سمع ان قريشا اجتمعوا فقالوا قد اختلفت كلمتنا في الاخبار عن احوال محمد صلى الله عليه وسلم فمن قايل هو مجنون ومن قايل هو كاهن ومن قايل شاعر او ساحر وان العرب يجتمعون في ايام الحج ويسالون عن امرها واذا سمعوا منكم هذه الاجوبة المختلفة لا يصدقونكم لعلمهم بان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيحملون تكذيبهم اياه على التعصب والحسد فسموه باسم واحد يجتمعون عليه يكون اشبه بحاله فقال الوليد بن المغيرة اني فكرت فيه واخترت ان اسميه ساحرا لان الساحر من شانه ان يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها وشانه ذلك فقبلوا منه ذلك واتفقوا عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بثوبه مفكرا كما يفعله المغموم وقال بعضهم انه عليه السلام انما تدثر لانه غلب عليه النوم فتدثر واضطجع ليناما فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه وقال ان الدنيا اليوم مملوة من الكفار وانت وحدك بانفرادك قد ارسلت لتدعوهم الى الاسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان ومن هذا شانه كيف يليق به التفرغ للاستراحة والتلفف بالدثار ازل عنك الغفلة وكن على جد وصدق عزيمة في القيام على مقتضى منصبك في انذار قومك قال آخرون ليس المراد بالدثار ما هو دثار حقيقة بل المراد خلعة النبوة والكمالات النفسانية تشبيها لها بما هو دثار حقيقة من حيث ان كلا منهما زينة وشرف لصاحبه كما يقال البسه الله تعالى لباس التقوى وزينه برداء العلم فكانه قيل يا ايها المبعوث للانذار المدثر بدثار الرسالة قم لما بعثنا له وقيل المراد بالدثار جبل حرا ومعنى تدثره عليه السلام اختفاؤه فيه اعتزالا عن الخلق شبه اختفاؤه فيه بالدثار فكانه قيل يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم من زاوية الخمول واشتغل بالانذار وقيل في هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهي ان التدثر اذا انذر عن شدة الامر وهجوم العدو عن قرب برفع لاعلى المواضع ويتجرد عن ثيابه وينادي قومه باصاحاه النجاة النجاة ولما كان عليه السلام متدثرا خاطبه الله تعالى يا ايها المدثر فكانه تعالى يقول بعثتك نذيرا فالتدثر لا ينبغي لشانك انما اللايق بك ان تكون عريانا كما قال عليه الصلاة والسلام انا النذير العريان قوله وقرئ المدثر بفتح الدال الخفيفة وفتح الثاء المشددة على لفظ اسم المفعول من دثره غيره اي كما غطاه به فهو مدثر اي مغطى والاصل في قوله دثر هذا الامر منصوب بنزع الخافض اي دثر بهذا الامر وعصب به اي احيط قال عصبت القوم بفلان اي احاطوا به فهو عصب بهم احيط قوله قم من مضجعك هذا على تقدير ان يكون المراد تدثره عليه السلام بالثوب الحقيقي واضطجاعه في مضجعه لاحد اسباب المذكورة وقوله او قم قيام عزم وجد على ان يراد بتدثره عليه السلام النبوة والاصطفاء او بالدثار الاختفاء بجبل حرا قوله فانذر مطلق يعني انه منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بالمفعول ولم يذكر لفظا ولا تقديرا للتعميم والاختصار كما في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اي يدعو العباد كلهم وهذا التعميم وان لكن

ان يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنه يفوت المعنى الاختصار قوله او مقدر بمفعول عام او خاص حسبما تعين القرينة عمومه او خصوصه فان وجدت قرينة دلت على خصوص المفعول قدر خاصا فيقال تقديره قم فانذر عشيرتك الاقربين العذاب ان لم يوجد وان وجد ما يدل على عمومه قدر عاما فيقال تقديره فانذر البشر كافة والمقدر بحسب دلالة القرينة عليه كالمذكور الذي قيد به الفعل صريحا فانه لما اعتبر تعلقه لمن وقع عليه سواء كان عاما او خاصا على حسب تعين القرينة فقد قيد بتعلقه به وانما يصير مطلقا اذا لم يعتبر تعلقه به اصلا وكان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد فيكون الانذار مطلقا ظاهرا وكذا كونه مفيدا للتعميم في المفعول قوله وخصص ربك مستفاد من تقديم المفعول قوله عقدا بان يعتقد انه تعالى منزه عن الشركاء والاضداد وعن مشابهة الممكنات والمحدثات قوله وقولا بان يقول الله اكبر قوله والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط فان حق الفاء السببية ان يكون ما بعدها مسببا لازما لما قبلها فلما لم يذكر قبلها شيء ترتب عليه ما بعدها علم ان ما بعدها علم جواب شرط محذوف وان المعنى وما يكن فكبر ربك اي اي شيء يكن فلا تدع تكبيره اي وصفه بالكبرياء وهذا اكد في افادة الاختصاص بالنسبة الى مجرد تقديم المفعول في نحو زيدا ضربت من جهة التعلق بالشرط العام الذي هو وقوع شيء ما فان قلت كيف يكون ربك المفعول لكبر مع الفاء القاطعة عن العمل فيما قبلها قلنا الفاء في الحقيقة داخلة على الاسم اي ما يكن فربك فكبر وانما الاولى من الامر بالقيام ان يكبر به عطف على قوله لافادة معنى الشرط اي ادمي فان جواب الامر بالقيام المتعقب للانذار فان الامر بالقيام لا يصح ان يكون سببا للتكبيره تعالى على ان يكون له شريك وصاحبة وولد ونحو ذلك مما يزعم المشركون في حقه تعالى تحقق معنى الفاء من غير تقدير شرط آخر فكانه قيل قم للانذار والتحذير من عذاب الله فكبر ربك عما يقول الظالمون في حقه قوله وذلك بغسلها عن النجاسة بتقصيرها فيكون لفظ الثياب على حقيقتها ويحمل لفظ التطهير على المجاز او الكناية حيث ذكر اللازم واريد الملزوم فان التقصير يستلزم الطهارة قال عليه السلام ازرة المؤمن الى نصف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من ذلك ففي النار قوله او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الذميمة اي القبيحة الثوب لكونه يلابس نفس الانسان ويشتمل عليه تعبير به عن النفس مجازا مرسلا قوله مجازا مرسلا او طهر ديار النبوة على ان الثياب مجاز مستعار لحلة النبوة والكمالات النفسانية كالدثار امر عليه السلام بتطهير ديار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر فان الكفار لما لقبوه بالساحر شق ذلك عليه جدا حتى رجع الى بيته وتدثر بثيابه فكان ذلك منه عليه السلام اظهار جزع وقلة الصبر قيل له عليه السلام قم فانذر فانذر ولا تحملنك سفاهتهم على ترك انذارك لهم بل حسن خلقك واخلاقك واشرح صدرك قوله تعالى والرجز قراءة جمهور القراء بكسر الراء وهو العذاب كما في قوله تعالى حكاية عن قوم موسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك اي لئن كشفت عنا العذاب قوله لا تعط مستكثرا اي لا تعط شيئا من مالك لتاخذ اكثر منه والمن بمعنى الاعطاء قوله نهي عن الاستكثار نهي تنزيه في حق جميع المكلفين فان الاستكثار ليس بحرام في حق الجميع لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته اي يعوض منها والغزارة الكثرة يقال غزر الشيء يغزر بالضم فيهما غزارة فهو غزير اي غني يكثر فهو كثير قوله او نهيا خاصا به عليه السلام اي نهي تحريم فان حرمة ذلك من خواصه عليه السلام لما فيه من الحرص والبخل فان اصل البخل الالتذاذ بامساك المال وجمعه قوله او لا تمنن على الله بعبادتك على انه من باب من عليه منا اذا امتن عليه واعتد بما فعله وعلى الاول كان من من عليه اذا انعم واعطى وقوله تستكثر على الوجهين مرفوع لفظا التجرده عن الناصب والجازم ومنصوب محلا

على انه حال من فاعل تمنن كقوله تعالى فذرهم في خوضهم يلعبون اي لاعبين والسين فيه على الاول للطلب وعلى الثاني للوجدان
وان ما تستكثر بالسكون ففيه ثلاثة اوجه الاول انه مرفوع لكنه سكن اعتبارا بحال الوقف واجرا للوصل مجرى الوقف
والثاني انه بدل من تمنن بدل اشتمال كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر فان شان اهل الامتنان ان يستكثر ما يعطيه وان
يعتد به فصح ابدال عنه بدل اشتمال والثالث ما ذكره بقوله وتستكثر بمعنى تجده كثيرا مع انه يجوز ان يكون تستكثر
مجزوما على جواب النهي على ان يكون المن بمعنى المنة والمعنى لا تمنن بعطيتك تستكثر وتزد من الثواب الجزيل لسلامة عطيتك
من الابطال بالمن قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وذكر صاحب الكشاف وجها آخر لقراءة السكون وهو قوله
وان يسند فسكن تخفيفا قوله وبالنصب على اضمار ان ويؤيده قرا ابن مسعود رضي الله عنه ولا تمنن ان تستكثر — مرد يقصد
اي لان تستكثر فيكون المن بمعنى الاعطا اي لا تعطي للاستكثار ونظير النصب باضمار ان قول الشاعر الا ايهذا الزاجر
احضر الوغى رواه بالنصب قوله وعلى هذا اي وعلى تقدير ان يكون اصل الآية ولا تمنن ان تستكثر جاز ان يكون ارتفاع تستكثر
بخلوه عن العوامل اللفظية بسبب حذف ان وابطال عملها لان ان لا تعمل مضمرة الا في مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه رواية
رفع احضر في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى قوله فاستعمل الصبر فاصبر على مشاق التكاليف الاول على ان يجعل فاصبر منزلة
اللازم بان لا يعتبر تعلقه بما يصبر عليه من الطاعات وما يصبر عنه من المعاصي والثاني ان يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام المتناول
لكل مصبور عليه ولا مصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادا على القرينة لقصد التعميم مع الاختصار كانه قيل اذا سمعت هذه
التكاليف من الافعال والتروك فاصبر عليها لاجل امر ربك ولوجهه الكريم ثم انه تعالى بعدما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم
الى ما هو اللائق بشانه ومنصبه شرع في شرح وعيد الاشقيا وبيان ما هو المنذر منه في حقهم فقال فاذا نقر في الناقور
والنقر في الاصل بمعنى القرع والنكت الذي هو سبب لحدوث الصوت ومعلوم ان مباشرة ما هو سبب لحدوث الصوت راجع
الى معنى التصويت وجعل الشي بحيث يظهر منه الصوت فلذلك فسر المصنف النقر بالتصويت واتفق المفسرون على ان الناقور
الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام مرة للاصعاق ومرة للاحياء وسماه الله تعالى باسمين احدهما
الصور والآخر الناقور وهو فاعول من النقر بمعنى ما ينقر فيه قوله والفا للسببية يعني فا جواب كما في قوله تعالى اخرج منها
فانك رجيم وقولك اكرم زيدا فانه فاضل فان الفا للسببية قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها
كما في الامثلة المذكورة وقد يكون ما قبلها سببا لما بعدها فتدخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فانها دخلت على ما في
حيزها في المعنى لان المعنى اذا كان كذا فاكرمه كان الاولى داخلة على ما بين شرطية المعنى وما بعد الفا في الآية شرط في المعنى اي اذا كان
بين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة اذاهم وتلقى انت ثواب صبرك عليه فاصبر والفا في قوله فذلك فا الجزاء
فان اذا الشرطية وجواب الشرط قوله فذلك يومئذ يوم عسير وذلك الجزاء دل على عسر وهو العامل في اذا والمعنى اذا نقر
في الناقور عسر الامر على الكافرين وذلك مبتدا ويوم عسير خبره ويومئذ مرفوع المحل على انه بدل من ذلك وبني على الفتح
لاضافته الى اذ وهو غير متمكن كانه قيل فيوم اذا نقر في الناقور يوم عسير قوله اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير
جواب عما يرد على قوله ويومئذ ظرف لخبر المبتدا وهو يوم عسير من ان يومئذ كيف يكون ظرفا اليوم عسير والزمان لا يكون
ظرفا للزمان وانما يكون ظرفا للحدث فاجاب بان المراد من يوم العسير وقوعه وان يومئذ ظرف لوقوعه لا لنفس اليوم
ويرد على هذا الجواب ان يومئذ كيف يكون ظرفا للوقوع ومعمول المصدر لا يتقدم عليه فينبغي ان يكون مراده بكونه

يومئذ

يومئذ ظرفا الوقوع يوم عسير كونه حالا من يوم عسير مقدما عليه والمعنى وقت يوم النقر يوم عسير واقعا ذلك
اليوم العسير يوم النقر فاليوم الذي عبر عنه بيومئذ عبارة عن الزمان الممتد الطويل والزمان الذي حكم
عليه بانه يوم عسير جزء من ذلك الزمان الممتد واقع في ذلك الزمان الممتد ولما كان يومئذ ظرفا واقعا موقع الحال
من يوم عسير بمعنى واقعا فيه عبر عن هذا المعنى بقوله اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير قوله تاكيد يمنع
ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه جواب عما يقال ما فائدة قوله غير يسير مع ان قوله عسير مغن
عنه ووجه كونه تاكيدا ظاهر ووجه كونه نافيا لليسير بالكلية ان قوله يسير نكرة في سياق النفي فيعم جميع
افراده ووجه كونه مشعرا بيسيره على المؤمنين انه لما اكد كونه عسيرا على الكافرين كان المعنى انه غير يسير
بالنسبة الى الكافر فكان تعريضا بانه يسير على المؤمنين كما ان قوله تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم تعريض
بظل الجنة وهذا غليظ للكافرين بجمعه بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم وقوله تعالى
على الكافرين متعلق بعسير لا بيسير لانه لما لم يجز تقدم المضاف اليه على المضاف كان عدم جواز معمول المضاف اليه عليه
اولى ثم انه تعالى لما بين ان اليوم الذي ينفخ فيه في الناقور يوم عسير على الكافرين قال عليه الصلاة والسلام خلني
وبين الوليد بن المغيرة الذي يبعث في قومه بالوحيد زعما منهم انه لا نظير له في وجاهته ولا في ماله وكان ينعت نفسه
ويقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي نظير ايضا فسماه الله تعالى بذلك تهكما واستهزا
كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم هذا على تقدير كونه وحيدا منصوبا على الذم بتقدير اعني قوله او ارادة انه
وحيد عطف على قوله تهكما اي سماه به على ارادة انه وحيد في الكفر والخبث وانواع الشر وعلى ارادة انه وحيد
عن نسبه الذي لا اب له والزنيم من الحق بالقوم وليس منهم قوله مبسوطا كثيرا وصف بالزنا مع ممدود لامتداده
اي
مكانه ويكره ايضا فان المال الكثير اذا عد يمتد عده والمال الذي يمتد كانه يوصف بالامتداد لامتداد سبب
امتداد مكانه قال ابن عباس كان له مال ممدود ما بين مكة الى الطائف الابل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف
والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل كان له بستان لا ينقطع نفعه صيفا ولا شتاء فالممدود هنا كما في قوله
وظل ممدود اي لا ينقطع او ممدود بالنما بان يكون نماء له ممدود الاصل يقال مددنا القوم اي صرنا مددنا لهم
وامددناهم بغيرنا وامددناهم بفاكهة ولما ذكر الله تعالى كثرة امواله وبنيه وبين انبساط جاهه ورياسته
فان الاولين لا يستلزم الثالث فقال ومهدت له تمهيدا حذف مفعول مهدت للتفخيم مع الاختصار فاتم الله تعالى
فيه نعمة المال والجاه والبنين واجتماع هذه الثلث هو الكمال عند اهل الدنيا وكان الدنيا من كبار قريش والدنيا
نبت معروف ويطلق على الوصة والراحة وعلى الورق ايضا قال عليه السلام الورد ريحان الله تعالى اي رزقه قوله
ان ازيد على ما اديته اي ان ازيد حلية الدنيا لانه مشرك والمشرك لا يؤمن بالبعث والجزاء حتى يطمع ان يثاب في الآخرة
زيادة على ما اوتي في الدنيا فيكون قوله تعالى كلا ردعا عن طمعه وطلب الزيادة في الدنيا ويؤيده ما ورد انه بعد ما نزل
قوله تعالى كلا انه كان لآياتنا عنيدا ما زال في نقصان في من ماله وولده ومات فقيرا وعن الحسن انه قال ثم يطمع
ان ازيد فاعطيه مالا وولدا كما قال تعالى افرايت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا قوله ردع له
عن الطلب الطمع وتعليل بمعنى ان قوله كلا ردع وقوله انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على سبيل الاستيناف كانه

قيل بالمرجم عما طمع فيه وينعكس حاله فاجيب بان شانه ان يعاند آيات الله فكيف يبقى ما انعم به عليه فضلا
عن ان يزيد عليه قوله سأرهقه عقبة شرق الادهان بالاغشاء والتكليف كما في قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا وفسر الصعود بالعقبة الشاقة المصعدة والمعنى سأكلفه مشقة العذاب روى عنه عليه السلام ان
الصعود جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع عليه يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع عليه رجله ذابت فاذا
رفعها عادت قوله او بيان للعناد اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انه فكر وقدر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا
لبيان كنه عناده فيكون قوله سأرهقه صعودا جملة معترضة بين البدل والمبدل منه لبيان انه مع كونه محروما
عما طمع فيه من ان يزاد عليه ما عنده من الاموال والابناء فهو من اشد اهل النار عذابا يوم القيامة قوله استهزاء به
او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال على القران يعني ان لفظ قتل كيف قدر انما يذكر عند التعجب والاستفهام فهو
ما ينطق به القرآن في غاية الركاكة والسقوط ويحتمل ان يكون تعجبا في قوة خاطره في نفس الامر اى اصاب ما لم يبلغ
اليه وهذه امثاله من العاندين قوله روى انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى كونه معاندا في انكار آيات الله تعالى
حيث اعترف بانه يعلو ولا يعلى بيان لما حمله على التفكر والتقدير انه لما راى ان القرآن لا يشبه كلام الشعراء ولا كلام
الكهنة ولا كلام المجانين ولا شيا من كلام الانس والجن وان له لحلاوة لاشتماله على المعاني اللطيفة والاحكام الموافقة
لمقتضى الحكمة وان عليه لطلاوة وهي بفتح الطاء وضمها يعني الحسن والقبول والماء الغدق اى الكثير ومكان اى كثير الخصب
وقوله اعلاه مثمر واسفله مغدق استعارة بالكناية شبه القرآن العظيم في نفسه بشجرة غضة طرية استحكم
اصلها بكثرة الماء في اسفلها واعرب ذرعها في السماء واثبت له الاعلى والاسفل واثبت لاعلاه ثمارا ولاسفله
غدقا على طريق التخييل ولما راه كما وصفه وكان مجبولا على المكابرة والعناد والتعصب والحسد لا جرم حمله
خبث طبعه على ان يتفكر فيما يخيل طعنا في القرآن وان يقدر في نفسه ما يقول في حقه قوله فقام فناداهم
اى فقام الوليد واتى قريشا فقال لهم ما تقولون في هذا الرجل فقالوا نقول انه شاعر فعبس عندها فقال
قد سمعنا بقول الشاعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نحن نقول انه كاهن فقال كيف تقولون ذلك وانكر
لما تجدونه يحدث ما يحدث به الكهنة فقالوا نحن نقول انه مجنون فقال كيف ينسبون اليه الجنون وما رأيتموه
يخنق قال ذلك بناء على زعمهم ان الجن والشياطين يخنق المجنون فقالوا له فما تقول في حقه فاخبرهم بما يقدر
في نفسه ان يقول في حقه عليه السلام فقال ما هو الا ساحر يفرق بين الاحبة فقبلوا منه ذلك ورضوا به
فخرجوا من عنده فجعل ما يلقى احد منهم النبي صلى الله عليه وسلم الا قال له يا ساحر يا ساحر واشتد ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم فرجع الى منزله فتدثر فاضطجع حزنا متفكرا في امره فانزل الله يا ايها المدثر الى قوله
ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر يعني انه كلام الانس وليس من عند الله قوله تكرير للمبالغة
اى المبالغة في المعنى الذي قصد بايراده اولا وهو استعظام حسن تقديره استهزاء واستعظاما لقوله محله في الامر
بعد الدعاء عليه باللعن حتى جيء بكلمة ثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ في الاستعظام واللعن من الكرة الاولى
يعني كلمة ثم في قوله ثم للتراخي بحسب الرتبة وفيما بعده على اصلها اى للتراخي بحسب الزمان اى اعاد النظر والتأمل
في طلب ما يدفع به القرآن ويرد ما دحى اى يتضح ما لم يطلع عليه في المرة الاولى فلم يسماله ذلك فلذلك عبس اى كلح

وقطب ما بين عينيه وقبضه تغيظا من عدم وجدانه ما يدفع به القران فاضطر الى ان قال ان هذا الا سحر يؤثر
اى يتعلم ويؤخذ من الغير وليس هو عين سحره بنفسه في قولهم اثرت الحديث اوثره اثرا اذا حدثت به عن قوم
في آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل في اطلاقه ثم صار بمعنى الرواية عن الغير مطلقا قوله والفاء للدلالة يعني
انه تعالى لم يقل ثم قال ان هذا للدلالة على ان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد الطلب ما يطعن فيه القرآن لم يتمالك
ان يتفوه بها من غير تثبت حيث لم يجد غير ذلك قاله عتوا وعنادا لا عن اعتقاد لما روى انه قال حين سمع السجدة لقد
سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن فكيف يقول بعده ذلك ان هذا الا قول البشر عن اعتقاد انتهى
قوله بيان لذلك اى لما اجمل من فخامة شانها اى لا تبقى لهم لحما الا اكلته لا تذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا الا اكلتهم مرة اخرى
وهكذا ابدا قوله والحامل فيها معنى التعظيم المستفاد من ما الاستفهامية في قوله ما سقر فانه يستنبط منها معنى التعظيم
والمعنى استعظم امرها في كونها لا تبقى ولا تذر قوله لا تبقى على شيء يلقى فيها اى تترحم عليه وفي الصحاح ابقيت عليه اذا رعيت
عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت علي وفيه ايضا يقال ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته قوله ولا تدعه
حتى تهلكه يعني انها لا يقنع بمجرد التعذيب بنوع من انواع العذاب بل تبالغ في تعذيبه الى ان تهلكه وقيل قوله لا تبقى ولا تذر
لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتأكيد كقولك صد عني واعرض قوله مسودة للاعالي الجلد فسر قوله لواحة بمسودة
ومغبرة للبشرة وهي اعالي الجلد اى ظواهره اشارة الى ان لواحة اسم فاعل مبني للمبالغة من لاحه السفر والعطش اى غيره
وسوده وهي لواحة اى مغبرة مسودة قيل تلفح وجوههم النار لفحة تدعها اشد سوادا من الليل والبشر جمع بشرة
وهي ظاهر الجلد وتوصيفها بتسويد البشرة لا ينافي قوله تعالى لا تبقى ولا تذر لان ذلك بعد الالقاء فيها وتسويد قبله قوله او لائحة
للناس على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح بمعنى ظهر والبشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للناس من مسيرة خمسمائة عام قال
الله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وقال لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين قوله وقرئت بالنصب بتقدير اعني لواحة
للتهويل وقيل منصوب على انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم او من الموتى في لا تبقى ولا تذر وقرا الجمهور بالرفع بتقدير
هي لواحة قوله ملكا او صنفا يعني ان تمييز لتسعة عشر يحتمل ان يكون الاشخاص الذين يلون امر سقر ويتسلطون على اهلها
من الملائكة وان يكون اصنافا منهم ولا يعلم عدد كل صنف منهم الا الله تعالى وقيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء
واتباعهم اشخاصهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو روي ان خزنة النار تسعة عشر ملكا مالك معه ثمانية عشر
اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي الواحد منهم
مسيرة سبع سنين كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرأفة والرحمة يرفع الواحد منهم سبعين الفا في كفه
فيرميهم حيث اراد في جهنم قوله والمخصص بهذا العدد قال ارباب الحكمة في وجه اختصاص خزنة النار بهذا العدد ان سبب
فساد النفوس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية اما القوى الحيوانية فهي الخمس الظاهرة
والخمس الباطنة والشهوة والغضب مجموعها اثنى عشر واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة
والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبع قوى والمجموع تسعة عشر فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر
لا جرم كان عدد الزبانية هكذا استولى على الانسان ملك او صنف من الزبانية بمقابلة كفرانه بكل واحدة من هذه
القوى التي كل واحدة منها نعمة الهية يتوسل بها الى الاستكمال بحسب القوى النظرية العملية وقد توسل بها الى المعصية من انعم

نعمة الالهية

والمراد بالقوى الحيوانية القوى التي تختص الحيوان من بين المواليد الثلاث الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان مدركة وفاعلة
فالمدركة عشرة وهي التي لا تحصل الحاجة الادراك بالمشاهدة والحفظ وهي الحواس الظاهرة والباطنة والفاعلة اثنتان الشهوة والغضب
والقوى الطبيعية وهي التي لا تختص بالحيوان بل توجد في النبات ايضا السبعة ثلاثة منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة
واربع منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة قوله ست منها الاصناف الكفرة وهم اليهود والنصارى والمجوس
وعبدة الاوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس على كل دركة من دركات جهنم يعذبون فيها الامور ثلثة ترك الاعتقاد
وترك الاقرار وترك العمل فيكون في كل دركة ثلاثة انواع من العذاب كل نوع منها يناسب امرا ويعد امرا من تلك الامور الثلاثة
التي هي اسباب تعذيبهم فيها فيكون في ست دركات جهنم ثمانية عشر نوعا من العذاب يلي امر كل نوع من هذه الانواع شخص
من الزبانية او صنف منهم فيكون مجموع اشخاص الزبانية او اصنافها ثمانية عشر واما دركة الفساق فانهم لا يعذبون فيها
الا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب يناسب تلك الجريمة يتولى على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك او صنف
واحد من الزبانية فيكون المجموع تسعة عشر قوله او ان الساعات اربعة وعشرون يعني خصت اعداد الزبانية بكونها تسعة عشر
بناء على ان الساعات التي خصت وتصرف في المعصية كذلك فكانت اعداد من يتولى تعذيب العصاة ايضا تسعة عشر على عدد ساعات
المعصية فتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواحدة الواقعة في ساعة واحدة من تلك الساعات قوله فيما هو كاسم واحد
فان تسعة عشر ليس اسما واحدا في الاصل وانما جعل اسما واحدا بالتركيب فان اصله تسعة وعشرة فحذفوا الواو وجعلوا
الاسمين اسما واحدا ولذلك بني الاسم الاول على الفتح لكون آخره وسط الكلمة بسبب التركيب وبني الاسم الثاني ايضا
لتضمنه معنى حرف العطف وهذا الاسم المركب في الا انه في محل الرفع على الابتداء وعليها خبره وكثرة الحركات فيما هو
كالكلمة الواحدة يوجب الثقل فلذلك اسكن الاسم الذي للتخفيف وجعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الاسمين
بالآخر انتهى قوله اي تسعة اعشر جمع يعني ان تسعة اسم عدد اضيف الى مميزه وهو اعشر جمع عشير يعني معاشر
ومصاحب فكانه قيل عليها تسعة ملائكة كل منهم معاشر جماعة ومدبر امرهم ومعينهم ومبلغ الجماعة غير معلوم
قوله ولا تستروحوا اي لا تميلوا ولا لا ينواح المعذبين وفي الصحاح استروح اليه اي استنام وفيه ايضا استنام اليه اي سكن
اليه واطاه روي انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابي كبشة ان خزنة النار
تسعة عشر تخوفكم بهم وانتم الجمع العظيم وروي وانتم الدهم اي الشجعان الاقوياء ايعجز كل مائة منكم ان يبطشوا بواحد
منهم ثم يخرجون من النار قال ابو الاسودين وهو رجل من بني جمح وكان من شجعان العرب واقويائهم وكان يقوم على اديم
ويجتمع جماعة على ان يجروه من تحت رجليه ويزيلوا رجليه عنه فلم يستطيعوا وينقطع الاديم قطعا قطعا ورجليه ثابتة
على حالها فقال يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وعشرة بمنكبي الايسر
عن النار ونمضي حتى ندخل الجنة وروي انه قال انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفوني انتم اثنين منهم فلما قال ابو جهل وابو
الاسودين ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين فجرى هذا المثل في كل شيئين لا تساوي بينهما والمعنى لا تقاس
الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذي يحبس الناس ويمنعهم من الخروج من السجن فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة اي لم نجعلهم من جنسكم فتنالونهم فان قوة واحد منهم اعظم من قوة الانس والجن جميعا فلا يطيقونهم ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا والجنسية لما كانت مظنة الرأفة والرحمة جعل الله تعالى خزنة النار مخالفا للمعذبين فيها

بسبب تجنس الملائكة قوله وما جعلنا عدتهم اي العدد الذي اقتضى فتنتهم جواب عما يقال من ان جعل من نواسخ
الابتداء فوجب ان يكون مفعوله الثاني مما يصح ان يحمل على مفعوله الاول ولا يصح ان يحمل فتنة الكفار على عدد
الزبانية وتقرير الجواب ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر
الا انه وضع قوله فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لكون افتتان الكفار بدا للعدد المذكور فعبر عن
المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان الاثر من لوازم ذلك المؤثر ثم بين ان الكفار افتتنوا بالعدد المذكور
من جهة استقلالهم اياه ولتباعدهم ان يكون هذا العدد وافيا بتعذيب اكثر خلق العالم ومن جهة استهزائهم
به قائلين لم لم يكونوا عشرين وكانوا اقل منه بواحد قوله ولعل المراد الجعل بالقول جواب عما يقال كيف يصح جعلهم في نفس الامر
على هذا القدر محلا وسببا للاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشرك والنفاق وليس كونهم
تسعة عشر سببا لشيء من ذلك وانما السبب لما ذكر من الامور هو الاخبار عن عددهم بانه تسعة عشر وتقرير الجواب ان الجعل
مطلق على معنيين احدهما جعل الشيء متصفا بصفة في نفس الامر وثانيهما الاخبار باتصافه بها ويقال له الجعل بالقول كما في قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ولعل المراد بالجعل المذكور في الآية الجعل بالمعنى الثاني والمعنى وما جعلنا عدتهم
بالاخبار عنها الا عددا يكون افتتان الكفار به واستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشرك والنفاق
اياه وحتى يظهر وجه الشبه وعبر عن الاخبار عن العدد بالجعل للمشاكلة لوقوعه في صحبة قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
كقوله قلت اطبخوا لي جبة وقميصا قوله لما اراد ولذلك موافقا لما في كتابهم فان العدد المذكور لما كان موجودا في كتابهم وانه عليه السلام
اخبر عنه على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم ظهر لهم انه عليه السلام انما علم ذلك بسبب الوحي الالهي فيستيقنون نبوته
عليه السلام ويكون القرآن كلاما الهيا قوله بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له فعلى الاول يكون المراد بالازدياد بحسب
الكمية بحسب ازدياد متعلقه فان الايمان يزداد عليه يوما فيوما في زمان الوحي ازديادا ما يجب الايمان به فان من آمن بجميع ما جاء
من عند الله قبل نزول ما يدل على عدد الزبانية اذا نزل عليهم قوله تعالى عليها تسعة عشر فآمنوا به ايضا فلا شك انه يزداد
ايمانهم بحسب الكمية لازدياد متعلقه وعلى الثاني يكون المراد بالازدياد ازدياد يقينهم بقوة تصديق اهل الكتاب وموافقة
كتابهم لكتاب او لانهم كما استيقنوا وانهم لموافقة كتابهم لكتابنا قوله وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان جواب عما يقال
لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة في قوله بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون وتقرير الجواب الاول وتقرير الثاني ان المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته من مقدمة من مقدمات
دليله ولطريان ما يتوهم كونه واقعا او معارضا لتلك المقدمة فثبوت اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب
بعد ذلك فالمقصود من ذكر هذا الكلام بعد ذلك بيان ان المراد من الاستيقان والازدياد المذكورين قبل ان يكون بحيث
لا يطرا عليها شك وارتياب اصلا قوله فتكون الآية اخبارا بمكة جواب عما يقال كيف يصح ان تفسر المرض بالنفاق والحال
ان السورة مكية من اوائل ما نزل فيها ولم يكن بمكة نفاق لان اهلها اما مكذب قاطع بالتكذيب وشاك غير مصدق ولا مكذب
واما مؤمن حقا والنفاق انما حدث بالمدينة بعد الهجرة اليها وتقرير الجواب ان قوله تعالى وليقول المنافقون والكافرون
لا يقتضي تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز ان يكون مبنيا على انه قد تقرر في علم الله تعالى سيحدث قوم منافقون يقولون
ذلك فعلى هذا تكون هذه الآية معجزة له عليه السلام حيث اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق اخباره فان قيل

كيف يصح ان يكون قول الكافرين والمنافقين ماذا اراد الله بهذا مثلا مقصودا من الاخبار عن عدد الزبانية والقول المذكور
كفر وضلال فكيف يصح ان يريده الله تعالى فالجواب انه لا اشكال فيه على اصلنا لانه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء قوله
المستغرب استغراب المثل اشارة الى ان اطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبه بالمثل المضروب الذي
هو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين وثلاثين وكان ناقصا عنه بواحد والاستفهام فيه للانكار
والمراد بانكاره انكار انه من عند الله قوله وذاع مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقيل لما استبعدوا
ان كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم ان ليس مراد الله منه ما اشتهر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء آخر وتنبيها على مقصود
آخر كسائر الامثال السائرة فسموه مثلا بالمعنى العرفي فان قيل القوم كانوا منكرين كون القرآن من عند الله تعالى فكيف
قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا واجيب بان الذين في قلوبهم مرض ان كان المراد بهم المنافق فهم كانوا مقرين في الظاهر بان القرآن
من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللسان وان كان المراد بهم الكفار فيجوز ان يقولوا ذلك على سبيل التهكم او على سبيل الفرض
والاستدلال بان القرآن لو كان من عند الله لما كان فيه مثل هذا الكلام قوله مثل ذلك الاضلال والهدى اشارة الى ان محل الكاف
في كذلك النصب على انه نعت مصدر محذوف اي يضل اضلالا مثل ذلك وان ذكره اشارة الى ما تقدم ذكره من الاضلال
والهدى في قوله وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون وفي قوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا
ايمانا اي كاضلال الله ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم يضل ويخزي من يشاء ويهدي ويرشد من يشاء
كارشاد الصحابة رضي الله عنهم ثم ان ابا جهل لما استقل خزنة جهنم وقال ايش لتعذيب العصاة من الجنود الا تسعة عشر قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو والمراد من بيان كثرتها التنبيه على انه تعالى لا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له تعالى في اختيار
هذا العدد حكمة لا يعلمها الا هو ويحتمل ان يكون المعنى وما يعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب اهل النار
الا هو وكون خزنة النار تسعة عشر لا ينافي ان يكون لهم من الاعوان ما لا يعلم عددهم الا الله قوله وما سقر او عدة
الخزنة او السورة الا ذكرى فان سقر وما ذكر من صفاتها من كونها لا تبقي ولا تذر الخ تذكرة للبشر اي انذار لهم بسوء عاقبة
الكفر والعناد وكذا ذكر عدة الخزنة تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه لا يحتاج في تعذيب الكفار
والعصاة الى اعوان وانصار وكذا السورة تذكرة لهم لاشتمالها على الانذار وغيره قوله وحفص اذا ادبر بسكون ذال
اذ بروا ادبر على وزن افعل والباقون اذا دبر بفتح الذال والف بعدها ودبر على وزن فعل ودبر وادبر بمعنى ذهب ومعنى
كاقبل وقبل ومن اختار اذا قال لان ما بعده اذا اسفر وايضا هي في مصحف عبد الله مكتوب بالفين بعد الذال احدهما
الف اذا والاخرى همزة ادبر وايضا قال ليس في القرآن قسم يعقبه اذ بسكون وانما يعقبه اذا واختار ابن عباس اذا السكون
ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلف اهل اللغة في اذ دبر وادبر هل هما بمعنى واحد ام لا قال الفراء
والزجاج انهما بمعنى واحد والادبار نقيض الاقبال فكذا المدبور يقال مضى امس الدابر وامس المدبر وقيل قول العرب دبر فلان
معناه جاء من خلف وقولهم دبر الليل النهار بمعنى خلفه وجاء بعده فعلى هذا معنى اذا دبر اذا اقبل بعد مضي النهار قوله اي البلايا
الكبير كبيرة تعريف البلايا الكبير للعهد والمعهود دركات جهنم ويجوز ان يكون للجنس ويكون المعنى ان جنس البلايا الكبيرة كثيرة
وسقر واحدة منها ومعنى كونها واحدة انها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء
ويؤيد الاول ما روي عن مقاتل والكلبي انهما قالا اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير

وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله من جميعهن قوله وانما جمع كبرى على كبر يعني ان فعلى يجمع على فعال كحبلى وحبالى ولا يجمع على فعل
بل هو جمع فعلة نحو ركبة وركب فينبغي ان لا يجمع كبرى على كبر لكنه على كبر تنزيلا الكبرى منزلة كبرة بتنزيل الف فعلى منزلة تاء فعلة
كما قاصعاء على قواصع تنزيلا لها منزلة قاصعة مع ان فاعلات وفواعل ليستا للتانيث بمنزلة الهاء قوله والجملة اي جملة قوله انها
لاحدى الكبر جواب القسم فان القسم في قوله والقمر مقسم به مجرور بواو القسم والليل والصبح معطوفان عليه كانه قيل بحق هذا
الامور ان سقر لاحدى الكبر فيكون القسم مع جوابه جوابا لمن انكر سقر وكونها احدى الكبر بعد ردعه عن انكاره بقوله كلا
فان القسم وان اللام انما يصدر بهما الكلام مع المنكر قوله او تعليل لكلا اي للامر بالارتداع وقعت معترضة بين الامر
بالارتداع وعليه وهذا على تقدير كون قوله تعالى كلا ردعا لمن انكر سقر وكونها من احدى الكبر فانه حينئذ يجوز
ان يكون قوله لاحدى الكبر جوابا وتعليلا كما قررنا واما ان كان قوله كلا انكارا من الله تعالى لان يتذكروا بها فلا وجه حينئذ
لان يكون قوله لاحدى الكبر تعليلا لكلا بالمعنى المذكور ويتعين كونه جوابا للقسم ويكون تصدير الجملة المؤكدات مبنيا
على تنزيل من لم يتذكر بها منزلة المنكر لسقر قوله تمييز اي نسبة اي الكبر الى الاسم ان فيصح ان ينتصب على التمييز كانه انها
من معظمات الدواهي من جهة كونها نذيرا كما يقول هي احدى النساء زفافا على قول من قال النار هي المنذرة وحذفت التاء من
نذير المكان قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اي شيء قريب او ذات قرب على معنى النسب كقولهم امراة طالق وطاهر
ولتاويل النار بالعذاب قوله او حال مما دلت عليه الجملة لم يجعله حالا من ضمير انها لان الحروف المشبهة لا تنصب الحال قوله بدل من للبشر
باعادة الجار كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن آمن منهم وقوله ان يتقدم مفعول شاء والمعنى
ان العبد متمكن من السبق الى الخيرات بالايمان والطاعة ومن التخلف عنها بالكفر والعصيان اي نذير لمن شاء التقدم الى
الخير والجنة بالطاعة او التاخير عنه بالمعصية فمن اراد الخير فهو متمكن منه فليفعل ومن اراد الشر فهو متمكن منه ايضا
فليفعل وفيه نوع تهديد كما في الوجه الثاني فان قلت قد تقرر ان مفعول شاء واراد لا يذكر في الكلام الفصيح الا ان يكون فيه
غرابة فاي غرابة فيه حتى ذكر في هذا الوجه دون الوجه الثاني والجواب ان اختيار التاخر والحرمان عن الخير مع التمكن
من التقدم والفوز بالخير امر غريب فان المعنى انها لاحدى الكبر نذيرا للكافرين المتمكنين من فعل الخير مع التمكن من فعل
الطاعة والمعصية فعبر عنه بقوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قوله اولمن شاء خبر لان يتقدم فلا يكون ان يتقدم مفعول
شاء بل يكون في محل الرفع على الابتداء ولمن شاء خبر قدم عليه ومحصول المعنى لا قسر ولا اجبار المكلف مختار في كل ما اتاه او
تركه فليفعل بالارادة وفيه نوع تهديد كما في قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولو كان صيغة فعيل رهين
لان فعيلا اذا كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فظهر ان اليا فيه ليست للفرق بين المذكر والمؤنث بل هو اسم
للمصدر الكائن بمعنى المفعول اي اسلم لما يرهن والتاء التي فيه للدلالة على كونه منقولا من الوصفية الى الاسمية فان الصفة اذا
غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لا يحتاج الموصوف ولا يذكر معها الموصوف اليه تلحقها التاء دليلا على ان النقل كالنطيحة والذبيحة
اسمان لما نطح وذبح فيصح ان يقال كل امرء رهينة كما يقال نفس رهينة اي محبوسة من قولهم رهن الشيء اي دام وثبت وارهنته
كذا اي تركته ثابتا مقيما عنده والمرتهن هو الذي ياخذ المرهون ونفس المكلف محتبسة ومحبس الله تعالى بمقابلة ما
اوجبه عليه من التكاليف التي هي خالص حقه فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه ولا يبقى نفسه
محبوسة عنده تعالى قوله وقيل هم الملائكة او الاطفال فانهم ليسوا بمكلفين بالاعمال حتى يكونوا محبوسين بما عليهم من حق

الله تعالى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لان النفوس المرهونة هي نفوس المكلفين والملائكة واطفال المسلمين ليسوا
بمكلفين فلا يدخلان في المستثنى منه الا ان يعم النفس بالكل قوله او من غيرهم عطفا على اصحاب اليمين قوله
تعالى يتساءلون يجوز ان يكون من التساؤل الواقع بين اثنين على معنى ان اصحاب اليمين سال بعضهم بعضا
عن احوال المجرمين ويجوز ان يكون بمعنى يتساءلون اى يسالون غيرهم عن احوال المجرمين سوال عنهم فلا يتطا
وانما يتطابقان لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم في سقر وتوجيه الكلام ان قولهم ماسلككم في سقر مع جوابه حكاية بقان
من قبيل المسئولين لما جرى بينهم وبين المجرمين من السوال والجواب والمعنى ان اصحاب اليمين لما يتساءلون سال
بعضهم بعضا او بان سالوا غيرهم عن المجرمين قال المسئولون في جواب ما سالهم قلنا لهم ماسلككم في سقر فاجابوا بان
قالوا لم نك من المصلين الى آخر الكلام جرى على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه قوله تعالى فما تنفعهم
الفاء فيه سببية دخلت على المسبب اى اذا ثبت انهم اعترفوا بذنبهم من ترك الاعتقاد والعمل ثبت انه لو فرض اجتماع
الشفعاء على شفاعتهم لما نفعتهم شفاعتهم ثم انه تعالى لما بين ان من ترك الاعتقاد والعمل يعذب لا محالة بحيث لا تنفعه
شفاعة الشافعين بل مرهم عجب من اصرار كفار مكة على الكفر والعناد واعراضهم عن التذكير بالقرآن فقال فما لهم عن
التذكرة معرضين وكلمة ما في محل الرفع بالابتداء ولهم خبره ومعرضين حال من الضمير المجرور في لهم وعن التذكرة متعلق
بمعرضين والعامل في الحال معنى الاستقرار المدلول عليه باللام الجارة في لهم وكأنهم حمر حال بعد حال والاستفهام
في فما لهم للانكار اى شئ ثبت لهم معرضين عن وعظنا مشابهين حمرا ومستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة فان استقر
ونفر كعجب واستعجب وسخر واستسخر ابلغ من نفر كانه يطلب من نفسه النفار وقرئ بفتح الفاء ايضا اى منفورة
منفرة فوقها الصايد كانه طلب منه النفار قوله اى اسد عن ابن عباس رضى الله عنه ان القسورة هي الاسد بلسان الحبشة
سمى بالقسورة لانه يغلب السباع ويقهرها والحمر الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب وكذا المشركون اذا سمعوا القرآن
وراوا من يذكرهم به وقوله تعالى بل يريد اضراب عن اعراضهم الى ما هو اقبح من ذلك وهو الاقتراح على سبيل الاستهزاء قوله
فيها من الله تعالى الى فلان اى لن نتبعك حتى يصبح عند راس كل واحد منا كتاب عنوانه هذا كتاب من عند الله رب العالمين
الى فلان بن فلان ان اتبع محمدا فانه رسول من قبلي اليكم ثم اضرب وابطل ان يكون عليه السلام اتباعهم اياه لعدم ايتاء الصحف
وبين ان ذلك لعدم خوفهم من الآخرة فقال بل لا يخافون الآخرة ثم قال كلا ردعا لهم عن الاعراض عن التذكرة ثم اثبت كونه
تذكرة بليغة فقال انه تذكرة قوله فمن شاء ان يذكره اى ان يجعله على ذكر منه ويتعظ بما ذكره اى جعل نصب عينه بان نفع
ذلك راجع اليه وانه ممكن بذلك قرا الجمهور وما يذكرون بياء الغيبة وتخفيف الذال والكاف على وفق ما تقدم في قولهم
فما لهم عن التذكرة معرضين الى هنا وقرا نافع بتاء الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ يذكرون بتشديد
الذال والكاف بالتاء والياء ايضا بمعنى يتذكرون وتتذكرون قوله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى كما هو مذهب
اهل السنة وقالت المعتزلة المعنى الى ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه ونحن نقول تخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك
للظاهر بلا دليل تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد اى التاكيد
القسم شائع ارادة بلا النافية ما في صورة النافية بشهادة قوله للتاكيد فان ما تكون للتاكيد لا تكون نافية كما ان النافية

لاتكون

لا تكون موكدة وكلمة ما ولا كثيرا ما تكون صلة زائدة كقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله ما منعك ان لا تسجد وقول الفجار رحمة
من الله وقول امرئ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر والمعنى وابيك لا يدعي القوم فكذا معنى الآية اقسم بيوم القيامة
قوله ابنة العامري منادى حذف منه حرف النداء اى ابنة العامري انا لا افر من الحرب وانا مشهور متميز بذلك حتى لا يدعي ذلك
احد ويجوز ان يكون مراده ان كلمة لا في الآية نفي لما ينافي المقسم عليه ورد من قال بذلك فكانه قيل ليس الامر كما يزعم منكروا البعث
ثم استانف القسم فقال اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ومعنى قوله للتاكيد اى نفي المقسم عليه تاكيد للقسم وجواب القسم
في الآية محذوف يدل عليه ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لا يصلح جوابا لكونه جملة انشائية كانه قيل اقسم بيوم القيامة
انكم لتبعثن ثم اكد هذا المعنى بالانكار على حسبان انه تعالى لا يقدر على احياء من في القبور بجمع عظامه النخرة واجسامهم البالية
المتلاشية ويحتمل ان يكون مراده ان كلمة لا هنا لنفي القسم والمعنى لا اقسم بيوم القيامة على حقيقة البعث والقيامة لان
هذا المطلوب اعظم واجل من ان يقسم عليه ويكون المقصود تاكيد المقسم عليه وتفخيم شانه وبيان استغنائه عن الاقسام
عليه قوله او بالجنس يعني ان قوله تعالى اللوامة اما صفة مخصصة لجنس النفس المتقية خصصها بالتي يلزم المقصرين بالتقوى
او ما موكدة بناء على ان تعريف الجنس وان كان للعهد والمعهود النفس المتقية الا انها تلوم نفسها ابدا ثم ذكر احتمال ان يكون المعهود
النفس المطمئنة اى المستقرة الثابتة على الحق المتقية بحيث لا تلتفت عنه الى ما سواه فان القوة العاقلة اذا اخذت في سلسلة
الاسباب المنتهيات وانتهت في مدارج الارتقاء الى واجب الوجود لذاته الذي هو مستغن عن جميع ما سواه في ذاته وصفاته وافعاله
وان جميع ما سواه يحتاج اليه في جميع شؤونه فلا جرم يقف عنده ونظرها اليه لا ينتقل عنه الى غيره فتثبت في مقام العبودية فلا
يرجع عنه شئ من حظوظ عالم الطبيعة ولذاته الفانية فهذه النفس المعهودة لوامة للنفس الامارة والمطمئنة الى الحق المستغرقة
في بحار معرفته وملاحظة جلاله وجماله اخص من المتقية عما يوهم ثم ذكر احتمال ان يكون تعريف النفس للاستغراق فتكون اللوامة
صفة موكدة قوله وضمها الى يوم القيامة جواب عما يقال المناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله تعالى بينهما في القسم
وتقرير الجواب انه تعالى اقسم بيوم القيامة وهو يوم يقوم الناس من القبور لرب العالمين اى لامره وحكمه بذلك اظهارا
لعظمته فانه امر عظيم الشان يظهر فيه الاشياء بحقايقها فصح لذلك ان يجعل مقسما به فجعلت النفس اللوامة ايضا مقسما بها
لما بينهما من المناسبة من حيث ان المقصود من البعث واقامة القيامة مجازاة النفوس وتمييز المطيعة والعاصية منها
وهو من بدائع القسم حيث تناسب القسم والمقسم عليه حيث اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيها على حقيقة
البعث والجزاء كقول الشاعر اى تمام وثناياك انها اغريض كما مر في سورة الزخرف قوله ادخل الله بفتح الواو العاطفة
بعد همزة الاستفهام اى اتبعث ويجمع وان في قوله تعالى ان لن نجمع عظامه مخففة من الثقيلة اى ايحسب الانسان انه لن نجمع
عظامه قوله بلى ايجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع كانه قيل بلى نجمعها واعادتها حال موكدة من الضمير المستكن في نجمع المقدر
بعد بلى اى بلى نجمع العظام قادرين على تاليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول والسلاميات عظام الاصابع واحدها سلامى
والبنانة واحدة البنان وهي اطراف الاصابع ومن قدر على جمعها مع صغرها فهو على جمع الكبار اقدر ومن قدر على جميع الحواشي
والاطراف فهو على جمع الاصول والاساس اقدر قوله فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا يعني على تقدير ان يكون قوله
بل يريد معطوفا على ايحسب يجوز امران الاول ان يكون المعطوف استفهاما انكاريا كالمعطوف عليه وتقدير الكلام بل ايريد
استفهم عن شئ اولا ثم اضرب عن الاستفهام عنه الى الاستفهام عن امر آخر كانه قيل منشاء انكاره البعث هل هو حسبان

عجزا عن البعث وجمع الاجزاء او ارادة ان يدوم على ما اعتاده من المعاصي وانواع الفجور امامه اي فيما يستقبل من الزمان وهو
قول المص لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اي مع بقاء اصل الاستفهام على حاله والامر الثاني ان يكون المعطوف
ايجابا استفهم اولا على سبيل الانكار على حسابه ثم اضرب عن اصل الاستفهام الى الاخبار عن حاله بما هو داخل في اللوم
عليه من الاول كانه قيل دع الانكار على حسابه امرا باطلا في حقنا فان فيه ما اقبح من ذكره وهو انه يحب اللذات
العاجلة والحياة الفانية وانهماكه في قضاء شهواته النفسانية يصرفه عن التامل في الدلايل المودية الى اليقين الحق
عن الباطل وتمييز الصواب عن الخطاء فان انكار البعث ينشاء من الشبهة وقد ينشاء من حب العاجل ومتابعة الهوى
فالله تعالى اشار الى الاول بقوله ايحسب الانسان ان نجمع عظامه اي الن نقدر على ما تفرق من اجزائه غربا وشرقا بتفريق
الرياح واكل السباع اياها وما اختلط من اجزاء كل شخص باجزاء غيره حتى نبعث كل احد بعينه بجميع اجزائه ونحاسب
ونجازي بما عمله في الدنيا ثم انه تعالى رد هذه الشبهة بقوله بلى قادرين اي نجمع عظامه ونركبها كما كانت بناء على انه تعالى
عالم بالجزئيات باسرها فيكون عالما باجزاء كل شخص مميز عن اجزاء غيره وقادر على كل الممكنات فيلزم ان يكون قادرا
على تركيبها ثانيا واشار الى المنشاء الثاني لانكار البعث بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه يعني ان الانسان الذي هو
عند لطيره وفرحه واسر ماله وجاهه فان نكره البعث تكدر عليه نعمه في استيفاء هذه اللذات الطبيعية وتقتضي
حبس نفسه الامارة بالسوء عن اطلاقها في قضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد امر البعث ثقيلا مخالفا لمقتضى
طبعه فينكره لذلك فلا ينتهي عن المعاصي فلا يخطر بباله ان يتوب عنها وان خطر يقول سوف اتوب حتى ياتيه الموت وهو
على شر احواله واسوء اعماله قوله تعالى امامه ظرف ليفجر والفجور التكذيب بما يتفرع عليه ومفعول يريد ٥٥٥٥٥
محذوف والمعنى بل يريد الانسان الثبات على ما هو عليه من عدم التقييد بقيود الايمان والطاعة ليدوم على فجوره
فيما بقي من عمره وفسر قوله تعالى ليفجر بقوله ليدوم على فجوره لانه في هذه الحالة ملتبس بالفجور وهو حسبان ما لا يجوز
في حقه تعالى وارادة الفجور كانه قيل ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر عليه وقيام الدليل على صحة البعث بل يريد
ان يستمر على فجوره في حال كونه سائلا على طريق الاستهزاء والسخرية ايان يوم القيامة مبتدا وايان خبره ثم انه تعالى
ذكر من علامات القيامة هٰهنا امورا ثلثة اولها قوله فاذا برق البصر وثانيها قوله وخسف القمر وثالثها قوله وجمع
الشمس والقمر وقرا نافع برق بفتح الراء من باب نصر والباقون بكسرها فقيل هما لغتان في التحير والدهشة وقيل برق
بالكسر بمعنى تحير فزعا فتراه لا يطرف ويطرق بالفتح من البرق اي لمع وتلالا من شدة شخوصه اي ارتفاعه
يقال شخص شخوصا اي ارتفع قوله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره يعني ان الاصل فيه ان الرجل اذا اكثر
النظر الى لمعان البرق فدهش بصره لذلك تحير يقال برق الرجل ثم يستعمل ذلك في كل حيرة سواء نشات من النظر
الى البرق ام لا كما يقال قمر الرجل يقمر قمرا اذا تحير بصره من كثرة النظر الى القمر ثم استعير في كل حيرة عرض له من
كثرة النظر الى كل ما يفرق البصر كالثلج ونحوه ثم اختلفوا في ان هذه الحالة التي هي برق البصر او برقه متى
يكون ويحصل فقيل عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية جهنم والقولان الاخيران ظاهران للارتباط
السوال عن يوم القيامة بقولهم ايان اي متى يوم القيامة كانه قيل يوم القيامة اذا تحير البصر واما اذا اريد به
الحالة الحادثة عند الموت فحينئذ لا بد من بيان وجه ارتباط الآية بالسوال عن يوم القيامة لانه لا يستقيم بان يقال ايان يوم القيامة

كان المناسب

كان المناسب ان يقع الجواب بما يحصل عند قيامها والجواب بما يحصل عند الموت لا يطابقه ظاهرا ولعل وجه الارتباط حينئذ
ان من قال ايان يوم القيامة انما يقوله على سبيل الاستهزاء والسخرية خطاء عظيم مستوجب للعذاب الاليم الدايم فيقول
حينئذ اين المفر قوله ولا ينافيه الخسوف ورد على تفسير جمع الشمس والقمر بجمعهما في الطلوع من المغرب ان يقال الجمع بينهما
بهذا الطريق ينافي خسوف القمر لان خسوفه يقتضي المقابلة بينه وبين الشمس لتحقق حيلولة الارض بينهما فلا يتاتى
للقمر ان يستفيد النور من الشمس فيبقى اسود عديم النور الذي هو معنى خسوف القمر ولما كان اجتماعهما في الطلوع من
المغرب منافيا للمقابلة بينهما كان منافيا للخسوف فهما ايضا لان ما ينافي الملزوم ينافي اللازم ايضا اجاب عنه بانه ليس المراد
بالخسوف الامحاق وذهاب النور مطلقا سواء كان ذهابه بحيلولة الارض بينهما او بغير ذلك فالله تعالى قادر على كل
الممكنات فيقدر على ازالة الضوء من القمر بلا طريق شاء وقرا العامة وخسف القمر على بناء الفاعل وقرئ وخسف القمر
على بناء المفعول لان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله والخسوف يكون بمعنى غيبة الشيء وذهابه
بنفسه ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض قوله وعن حمل ذلك على امارات الموت الاشارة بذلك الى برق البصر
فمن حمله عليها بلى البصر عند البعث او عند رؤية جهنم تيسر له ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله ووجه عطف قوله وخسف
القمر وجمع الشمس بالواو الجامعة على قوله فاذا برق البصر بكون كل واحد منهما مما يتحقق يوم البعث والجزاء واما من حمل برق البصر
على ما هو من امارات الموت فيعسر عليه ملاحظة الكلام بما قبله وملاحظة وجه العطف بالواو الجامعة لان ذهاب ضوء القمر
واجتماعه مع الشمس في ذلك لا يكون في زمان البروق الذي هو من امارات الموت فلا يصح عطفهما عليه بالواو الجامعة وتقرير الجواب
ثم ان الامر كذلك فلا يدع ان يفسر خسف القمر والجمع بينهما بما يكون من امارات الموت ايضا بان يجعل القمر استعارة للحاسة
البصر تشبيها لها بالقمر في ان نورها مستفاد من الروح بواسطة تصرفه واستخدامه قواه الطبيعية السبع التي هي
الجاذبة والماسكة والهاضمة ونحوها فيما هيئت كل واحدة منها له وبان تجعل الشمس استعارة للروح تشبيها للروح
بالشمس في ان كمالات عالم الارض الى تاثير الشمس وحركتها ويفسر قوله خسف القمر بان يقال ذهب ضوء البصر عند الموت
وقوله وجمع الشمس والقمر بان يقال اجتمعا في حكم الذهاب وان اختلف طريق الذهابين وان ذهاب ضوء القمر بعني بطلانه
واضمحلاله وطريق ذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله الى عالم المجردات قوله او بوصوله اشارة الى
تفسير آخر للجمع بان تجعل الشمس مستعارا للارواح العالية والعقول المجردة التي يستفاد منها انوار العقول الانسانية
وادراكاتها وان يجعل القمر مستعارا للروح الانساني ثم يكون جمعهما عبارة عن وصول الروح الانساني الى دوائر
العالية قوله ويذكر الفعل حيث لم يقل وجمعت الشمس لتقدمه اي لكونه مسندا الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي ومع ان الشمس
وفي مسئلة يجوز تذكير الفعل وتانيثه مع ان فعل الجمع لم يسند الى الشمس وحدها بل هو مسند الى القمر ايضا بواسطة الواو
العاطفة والقمر مذكر تغلب جانب التذكير على التانيث وهذا الوجه لا يصلح بانفراده دليلا على التذكير فانك
اذا قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور الا انه يصلح مويدا للوجه الاول فكانه قيل ذكر الفعل لاسناده
الى الظاهر غير الحقيقي مع انه قد عطف عليه مذكرا فغلب على المؤنث الغير الحقيقي قوله تعالى يقول الانسان جواب اذا
في قوله فاذا برق واذا ظرف معمول له واين المفر منصوب المحل بالقول اي يقول هذا الانسان المنكر للقيامة
اذا عاين هذه الاحوال وايقن سوء عاقبة انكاره اين المفر من حيث انه لا يرى شيئا من امارات تمكنه من الفرار

والمقر بفتح الميم وكسر القاف اسم المكان المفر اليه قوله مستعار من الجبل فان الوزر في الاصل الجبل المنيع ثم اطلق لكل ما يلجا
اليه ويتحصن به تشبيها له بالجبل المنيع والمعنى لا شئ يعتصم به من امر الله وخبر لا محذوف اى لا ملجا ثمه او في الوجود
قوله اليه وحده استقرار العباد على ان تقديم قوله الى ربك يفيد الاختصاص واللام في المستقر من المضاف اليه
وانه بمعنى الاستقرار والمراد اما استقرار نفس العباد اى لا يقدرون ان يستقرون الى غيره تعالى ولا يتوجهون الا اليه
واما استقرار امورهم على معنى لا ترجع امور العباد الا الى حكمه لا يحكم فيها غيره ويجوز ان يكون المستقر بمعنى المكان
للاستقرار فيكون المعنى موضع قرار العباد من الجنة والنار يومئذ مفوض الى مشية ربك وحده من شاء ادخله
الجنة ومن شاء ادخله النار والمستقر مرفوع على الابتداء والى ربك خبره ويومئذ ظرف معمول لما تعلق به الى ربك
ولا يجوز ان يكون معمول المستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم عليه معموله وان كان اسم مكان فلا
يعمل اصلا وكذا الكلام في نحو قوله الى ربك يومئذ المساق قوله او بما قدم من عمل عمله او بما اخر من حسنة او سيئة عمل بها
بعده فما قدمه هو ما عمله بنفسه من الاعمال خيرا كان او شرا ولم بعد نسب لمن بعده وما اخره سوء عمل هو بنفسه
ذلك ما القاه سنة حسنة او سيئة لمن بعده وعلى الاول ما قدمه واخره من عمله من عمل طاعة كان او سيئة وسلم بعمل من طاعة
وعلى الثالث ما قدم وانفق من امواله ايام حياته وما خلفه للورثة وعلى الرابع ما عمله في حياته مقدما ومؤخرا الى اول
عمله واخره ثم انه تعالى لما قال ينبؤ الانسان يومئذ باعماله قال بل لا يحتاج الى ان يخبره بذلك بناء على ان نفسه شاهدة
عليه يخبر بجميع ما فعله من الافعال تشهد عليه جوارحه بذلك قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون قيل هذا في حق الكفار فانهم ينكرون ما عملوه فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم قوله حجة بينة على اعمال الشارة
الى ان الانسان مبتدا وبصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة اى اعمال بصيرة نفسه وان تانيث البصيرة مع كونها
خبرا عن الانسان وهو مذكر مبنى على انها صفة موصوف محذوف اى على الانسان حجة بصيرة او على بصيرة على التشبيه البليغ
شبه الانسان بالحجة من حيث كونه شاهدا بالاعمال على نفسه لان جوارحه تنطق بها فيكون شاهدا على نفسه بشهادة جوارحه كما ان
الحجة شاهدة للدعوى فان الانسان لما شابه الحجة من حيث كون كل واحد منهما شاهدا قيل انه حجة بينة على اعماله على التشبيه
البليغ نقول انه شاهد بالاعمال على نفسه علة بحمل المشبه به على المشبه واشارة الى وجه الشبه قوله وصفها بالبصارة على المجاز
اراد بالمجاز المجاز العقلى كانه قيل سلمنا ان تقدير الكلام بل الانسان على نفسه حجة على التشبيه البليغ فما معنى توصيف الحجة بوصف
صاحبها فالدلالة على كونها واضحة الدلالة سهلة الاهتدا بها فان الهادى في الطريق اذا كان بصيرا غير اعمى سهل عليه امر الدلالة وسهل على
غيره الاهتدا به فوصف الحجة بكونها للاشارة الى كونها سهلة الدلالة وسهلة الاهتدا بها فالمص اشار الى هذا المعنى بقوله حجة بينة
بدل حجة بصيرة وان جعل تقدير الكلام بل الانسان على نفسه عين بصيرة بما يكون الانسان فهم مبتدا وبصيرة مبتدا ثان وعلى نفسه
خبر الثانى والجملة خبر الاول كقولك زيد على راسه عمامة والعائد من الجملة الى المبتدا الاول ضمير نفسه والمراد بالبصيرة على هذا
هو الملك الموكل او الجوارح فان الحافظ والرقيب يطلق عليه العين المبصرة وجواب لو في قوله تعالى ولو القى معاذيره محذوف اى
لم يقبل منه المعذرة ولو جاء بكل ما يعتذر به فان العذر لا رواج له يومئذ لانه يوم تبلى السرائر وتظهر حقائق
الاشياء كما هى قوله وذلك اولى اى كون المعاذير جمع معذار اولى من كونه جمع معذرة لان بناء الجمع حينئذ يكون على وفق
القياس كمفتاح ومفاتيح ومثقال ومثاقيل بخلاف ما اذا كان جمع معذرة فانه يجمع على معاذر كمحمدة ومحامد والجمع

على معاذير

على معاذير الايا على وجه الشذوذ كمذكار ومذاكير قوله وفيه نظر اى في كون هذا الوجه اولى لعل وجه النظر ان كون البناء على وفق
القياس انما يكون وجها للاولية كون معاذير جمع معذار ان لو كان معذار بمعنى العذر لفظا مستعملا مسموعا وليس
كذلك وكونه جمع معذرة وان كان على خلاف القياس الا انه على وفق الاصل فان الاصل ان يكون بناء الجمع بناء مغيرا
عن مفرد ملفوظ مستعمل ولفظ معذرة كذلك فالوجهان متعارضان متساويان لا اولية لاحدهما على الاخرى ولكل
واحد من الوجهين ذهب جماعة من النحويين فان منهم من ذهب الى ان مثل هذا الجمع لفظ مستعمل على خلاف القياس
وقالوا المذاكير جمع ذكر وهو العضو المعروف ومناكير جمع منكر ومنهم من ذهب الى ان مثله اسم جمع لغير الملفوظ بل المقدر
فقال ان نحو مذاكير جمع مذكار وان لم يسمع قوله تبرا ان يتم وحيه اخذه من قوله تعالى في سورة اخرى ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما روى انه عليه السلام كان يشتد عليه حفظ التنزيل وكان اذا نزل عليه الوحى
يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك اى بالقرآن وجاز
هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كالاضمار في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر قوله تعالى لتعجل به اى لتحفظه
دلت الآية على انه عليه السلام كان يقرأ مع جبريل وكان يسئله في اثناء قراءته عن مشكلات معانيه لغاية حرصه على العلم
فنهى عن الاول بقوله لا تحرك به لسانك الى قوله فاذا قراناه فاتبع قرآنه وعلى الثانى بقوله ثم ان علينا بيانه مضمن
له عليه السلام بيان المشكل منه كما ضمن له التحفظ واثبات قراءته في لسانه عليه السلام بحيث يقرؤه متى شاء على ان
القران مصدر بمعنى القراءة مضاف الى مفعوله وان ثمة مضاف مقدر قوله بلسان جبريل اشارة الى ان قوله قراناه من قبيل
اسناد فعل المامور الى الامر والمعنى اذا قراه جبريل عليك بامرنا وفرغ من قراءته فاقراه حينئذ وكرر كيلا ينفلت منك
وكن تابعا له في القراءة ولا تقرا معه قوله وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وجه الخطاب وجه الدلالة انه تعالى ذكر
البيان بكلمة ثم وهى للتراخى انما قال عن وجه الخطاب لانه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف
بما لا يطاق والاعتراض عليه بما روى من ان قوله تعالى فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزل
ولم ينزل معه قوله من الفجر فكان بعض الصحابة اذا اراد الصوم وضع عقالين ابيض واسود وكان ياكل ويشرب حتى يتبين
له احدهما من الآخر فقد تاخر البيان عن وقت حاجتهم الى الصوم مدفوع بان ما فعله الصحابة كان في صوم التطوع ووقت الحاجة
انما هو وقت الفرض من الصوم كذا في التلويح ويجوز تاخيره عن وقت الخطاب مطلقا اى سواء كان البيان تفصيليا او اجماليا
بان يقترن باللفظ ما يشعر بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره كان يقترن بما يشعر ان المراد بهذه النكرة فرد
معين وبهذا العام خاص وبهذا المطلق مقيد وبهذا اللفظ المعنى المجازى ونحو ذلك قوله وهو اعتراض بما يوكد التوبيخ على
حب العجلة يعنى ان قوله تعالى لا تحرك به لسانك اعتراض وقع بين قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه وبين قوله
بل يحبون العاجلة قال امام زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القران قد غير وبدل وزيد ونقص عنه واحتجوا
عليه بانه لا مناسبة بين هذه الآية وبين ما قبلها ولو كان هذا يكون الاستعجال منهيا عنه انما تقى للرسول صلى الله
عليه وسلم عند انزال هذه الايات عليه فلا جرم نهى عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به
وهذا كما ان المدرس اذا كان يلقى على تلميذه شيئا فاخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس في اثناء ذلك
الدرس لا تلتفت يمينا ولا شمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل مع ذلك الدرس مع توسط هذا الكلام في

اثنائه فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة في اثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم
انه حسن الترتيب ثانيها انه تعالى نقل عن الكفار انهم يحبون العاجلة حيث قال بل يريد الانسان ليفجر
امامه ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل في امور الدين فقال لا تحرك به لسانك لتعجل به وقال في
آخر الآية كلا بل تحبون العاجلة فان كل واحد من الكلامين يتضمن التوبيخ على حب العاجلة فوسط هذا الكلام بينهما
ويتبين به ان العجلة مذمومة حتى في امر الدين تاكيدا لما تضمناه من التوبيخ على حب العاجلة ويتضمن الكلام الاخير اياه
لما هو اما تضمن الاول له فلما مر من ان المعنى ان انكار الكفرة للبعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على
صحته ووقوعه بل لان شدة حرصهم على قضاء الشهوات العاجلة صرفهم عن النظر في ذلك الدليل فانكروا البعث لذلك
فظهر به ان من مؤداه التوبيخ على الاهتمام بعاجل الامر مع فنائه وتاديته الى خسران الابد كانه قيل لا تقتفوا آثارهم
بان تهتم بعاجل الحال وتستعجل في اخذ القرآن خوفا من فوات حفظه وقراءته متى شئت قوله وقيل الخطاب الخ اي
وقيل في وجه ارتباطه بما قبله ان الخطاب في قوله تعالى لا تحرك به لسانك ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتوهم عدم
مناسبته لموقعه بل هو خطاب مع الانسان المذكور في قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر لانه اذا عرض
عليه كتابه وقيل له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاخذ في القراءة يتلجلج لسانه من شدة الخوف ومن
سرعة القراءة فيقال له فاذا قراناه فاتبع قرانه بالاقرار بانك قد فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيانه اي بيان امره
وشرح مراتب خيراته فان الله تعالى يقرره جميع اعماله على سبيل التفصيل وهذا الوجه ذكره القفال ثم قال فهذا وجه
حسن ليس في العقل ما يدفعه وان كانت الآثار غير واردة به وقوله تعالى بل يحبون العاجلة اضراب عن الردع
المدلول عليه بكلا للدلالة على ان الاستعجال لكونه بمنزلة الامر الطبيعي الذي جبل عليه الانسان ليس مما يستحق الانسان
بسببه كثرة لوم وتوبيخ الا ان اللائق للانسان ان يجاهد نفسه ولا يخلي بينها وبين ما جبلت هي عليه لذلك عمم
الخطاب بكل من يصلح ان يخاطب بعد تخصيصه المخاطب على غيره قوله وان كان الخطاب للانسان بطريق الالتفات عن الاضمار
عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب فعلى هذا لا يكون الكلام محمولا على تعميم الخطاب فانه اذا حمل على تعميم الخطاب لا يكون فيه التفات
بل يكون من قبيل تغليب المخاطب على غيره قوله ويؤيده القراءة بالياء فيهما وجه التاييد ان الفعل في هذه القراءة يتعين كونه
مسندا الى ضمير الانسان المذكور قبل فدل ذلك على انه اذا قرئ بتاء الخطاب يكون الخطاب للانسان ايضا بطريق الالتفات ثم
انه تعالى لما وبخ على حب العاجلة ذكر اختلاف حال المؤمن العامل للآجلة وحال الكافر العامل للعاجلة يوم القيامة فقال وجوه
يومئذ ذكر الوجوه واراد بها اربابها فان الوجه مما يعبر به عن الكل كذا قيل الا انه لا مانع من ان يراد بالوجه معناه الحقيقي
فلا وجه للعدول عنه مع انعدام ما يصرف عن ارادته ثم قيل قوله وجوه مبتدا وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة
وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه البهية اي الحسنة المتلالئة من كثرة التنعم بنعيم الجنة يومئذ
اي يوم القيامة ناظرة الى الله تعالى والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر التنعم والناضر الناعم الغض الحسن من كل
شيء والبهاء الحسن يقال بها الرجل وبهو ايضا فهو بهي وقيل وجوه مبتدا وناضرة خبره ويومئذ منصوب بالخبر وسوغ
الابتداء بالنكرة كون تنكير النوعية نازلا منزلة الوصف في نحو ولعبد مؤمن وقوله الى ربها ناظرة خبر بعد خبر
قوله تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع ان اهل السعادة ينظرونه في الموقف وفي الجنة الى امور لا تحصى

وتقريره الجواب ظاهر وفيه بحث لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضي لعموم الاحوال وغيرها
لقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة لعمومه في الاحوال والاولى ان يقال التقديم لا يتعين كونه للاختصاص لاحتمال كونه
للاهتمام ورعاية الفاصلة ولو سلم فالمعنى ان النظر الى غيره من حيث النظر اليه لا يعد نظرا كما في قوله زيد
الجواد قوله وقيل منتظرة اي من المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار كما في قوله تعالى فناظرة
بم يرجع المرسلون اي فمنتظرة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم ما ينظرون الا صيحة واحدة وقوله
انعاما اشارة الى ان من فسره بالانتظار جعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى النعم مقدما لقوله
ناظرة بمعنى منتظرة قوله ورداي ورد هذا القول بوجهين الاول ان الانتظار لا يستند الى الوجه فان قيل
نعم لا يستند الى الوجه بمعنى العضو الا ان القائل يجوز ان يفسره بالذات وجملة الشخص ولا يخفى انه يصح
اسناد الانتظار الى الكل اجاب عنه المصنف بقوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر والوجه الثاني من
وجهي الرد النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى بالى بل يعدى بنفسه فيقال نظرته ولا يخفى ان هذا الوجه من
الرد انما يتوجه على تقدير ان يكون كلمة الى حرف جر واما اذا كان اسما بمعنى النعمة كما اشار اليه بقوله منتظرة
انعامه فلا يتوجه قوله وقول الشاعر جواب عما يقال لا نسلم ان النظر بمعنى الانتظار وقد عدي بالى وتقرير
الجواب ان النظر فيه ليس بمعنى الانتظار لانه لا يستوجب العطاء بل هو بمعنى السؤال والتوقع ومن في قوله من ملك
تجويده كما في قولك رايت من زيد اسدا بمعنى انه اسد والبحر دونك في الجود ردتني نعما اي تعطيني فوق ما
ارجوه والظاهر ان كون النظر بمعنى السؤال مبني على كونه من نظر العين والنظر الى الملك وان كان لا يوجب
الانعام ظاهرا الا انه مقدمة طلب المعروف وهو الذي يوجب حلكونه من مقدماته ويعضد به ذلك ينزل منزلته
ويعبر عنه كما تنزل زيارة الاغنياء للفقراء وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل وحسبك بالتسليم مني تقاضينا
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعمه وخدمه
وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا عليه السلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
فسر النظر بنظر العين والرؤية فمن فسره بالانتظار فقد تبع هواه وروي عنه عليه السلام ايضا انه نظر الى القمر ليلة البدر فقال
انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضاهون في رؤيته وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي والاحاديث
في هذا الباب كثيرة قوله شديدة العبوس كون الباسر ابلغ من العبوس لا ينافي ما سبق ان بسر اتباع العبس والمعنى انها
عابسة كالحة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما سودها الله تعالى حين ميز بين اهل الجنة والنار
فايست من رحمة الله وايقنت ان العذاب نازل بها وهي تظن ان يفعل بها فاقرة وهي الداهية العظيمة سميت فاقرة لانها
تكسر عظام الظهر اي فقاره يقال فقرت الرجل اذا ضربت فقار ظهره كما يقال راسته وبطنته اذا ضربت راسه
وبطنه والفقرة والفقارة واحدة فقار الظهر ومنه سمي الفقير لانه فعيل بمعنى مفعول فان الفقر كسر فقار ظهره وجعله
مفقورا وتظن مرفوع المحل على انه خبر وجوه او خبر بعد خبر اي باسرة كائنة وباسرة على الاول صفة وجوه ويومئذ منصوب
بها ذهب جمهور المفسرين الى ان الظن ههنا بمعنى اليقين بناء على ان اليوم الذي تفوز فيه اهل السعادة بمشاهدة جمال ذي
الجلال والاكرام يتيقن فيه الاشقياء ما يفعل بهم من الدواهي الفاقرة اذ يتبدل فيه الظنون بالعيان وينكشف فيه الامور

بحقايقها الا ان القياس النحوي يقتضي ان يكون الظن ههنا على معناه لا بمعنى العلم واليقين لانه قد وقع بعده ان الناصبة
وهي لا تقع بعد العلم وانما تقع بعد ان المشددة وذلك ان العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن ونحوه من
الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد وان المشددة تفيد التاكيد وان الناصبة لا تفيده فلذلك وجب ان تقترن
المشددة بما يفيد التحقيق والمخففة الناصبة بما يدل على الشك والتردد فيقال علمت انك وظننت ان يخرج واطمع ان يغفر لي ربي
ولو قلت علمت ان يخرج زيد واظن ان زيدا يخرج كان قلبا للعادة المتعارفة من حيث انه اقترن بما هو علم التاكيد بما تقرر فيه
وما هو عار من التاكيد بما فيه تقرير فاذا قيل ارجو انك تعطيني فذلك لاجل الدلالة على قوة الرجاء واذا قلت اخشى انه يفعل
ما هو لقوة الخشية وتقررها فلذلك فسر المصنف الظن بالتوقع حيث قال اربابها اشارة الى ان الظن ليس بمعنى العلم واليقين
كما ذهب اليه الجمهور والمعنى ان ارباب الوجوه الباسرة مع ما هم فيه ويقاسون شدة اشد الدواهي واقطعها يظنون ويتوقعون
بعده ما هو اشد منه واهول لانهم حينئذ تيقنوا بعظم جرمهم ولكمال سخط الملك الجبار عليهم وتيقنوا ايضا بانه كما لا نهاية
للطفه ورحمته لا نهاية ايضا لقهره واليم عذابه فكما فعل بهم فاقرة من الدواهي تظنون ان يفعل بهم ما هو اشد منه وهكذا
ابدا فكما ان ارباب الوجوه الناظرة في غاية الرحمة والنعمة وهو الاستغراق في مشاهدة جمال ربهم الكريم فكذلك ارباب
الوجوه الباسرة في غاية النقمة والعنانة وهو ان يتوقعوا في كل لحظة ان يفعل بهم ما هو اشد مما هم فيه واقطع قوله
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا فتكم صفة سعادة السعداء وشقاوة الاشقياء في الآخرة وعلمتم انه لا نسبة
لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتهيئوا لما بين ايديكم من الموت الذي تنقطع عنه العاجلة وتنتقلون به
الى الآجلة التي يبقون فيها مخلدون والتراقي جمع ترقوة وهي عظم وصل بين نقرة النحر والعاتق والعاتق موضع الرداء من
المنكب وبلوغ النفس التراقي كناية عن الاشفاء على الموت والعامل في اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اي اذا بلغت
النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله تعالى اي الى امر الله تعالى ان يرفعه اليه كما توقع كما في قوله تعالى اني ذاهب الى ربي
معناه اني ذاهب الى حيث امرني ربي قوله تعالى وقيل من راق معطوف على بلغت اي وقال من حضر المحتضر عند موته من
الاحبة والاقارب من طبيب يرقي ويسقي بوضعه يلقون له اطباء فلا يغنون عنه من قضاء الله تعالى شيئا والرقية
هي التقوية بما يحصل به الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك فعلها من باب ضرب والاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كان الذين
كانوا حول المحتضر طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار بان يغلب عليهم الياس من صحته
فيقولون من الذي يقدر ان يرقي هذا الانسان المشرف على الموت اي كم يرقى بروحه الى السماء اي يصعد على انه من ارقى وفعله
من باب علم يقال رقيت السلم ارقاه رقيا اذا صعد واسترقيته فرقاني برقيني رقية اي داواني بها عن ابن عباس قال ان
الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى هذا الكافر وقيل يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة
الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء
أمن ملائكة الرحمة ام من ملائكة العذاب قوله وظن المحتضر وذلك حين عاين ملائكة الموت قال المفسرون المراد ان المحتضر ايقن
وعبر عن المعرفة التي حصلت له حينئذ انه فارق الدنيا بالظن لان الانسان ما دامت روحه ببدنه متعلقة فانه يطمع في
الحياة لشدة حبه لهذه الذي ابى الله ان يسوى جناح بعوضة وهي الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين
بل ظنه الغالب على رجاء الحياة ويحتمل ان يكون وجه التعبير به التهكم قوله اوشدة فراق الدنيا لشدة فراق الآخرة على ان يكون

التفات الساق بالساق كناية عن تتابع الشدة والصعوبة فان الساق كثيرا ما يكنى به عن الشدة ويجعل مثلا فيه كما في قوله تعالى يوم
يكشف عن ساق وقولهم كشف الحرب عن ساقها اي اشتدت ووجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر
الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر قوله سوقه الى الله وحكمه يعني ان المساق مصدر ميمي بمعنى السوق وان الالف
واللام فيه عوض عن المضاف اليه وان قوله الى ربك تقديره الى حكم ربك والمعنى ان هؤلاء في ذلك اليوم مفوض امرهم الى حكمه يساقون الى
حيث امر الله ان يساقوا فالسائق هو الله تعالى يسوق كل احد الى حيث شاء ويجوز ان يكون المراد ان المسوق اليه هو الرب تعالى
قوله والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ويدل عليه قوله فيما بعد ايحسب الانسان ان يترك سدى
فكانه قيل لا يؤمن بالبعث ولا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى وقيل فلا صدق ماله اي فلا زكاه على فعل بمعنى تفعل واياه
قوله ولكن كذب وتولى وجعله صاحب الكشاف معطوفا على قوله يسأل ايان يوم القيامة وهو حال من الانسان اي ايحسب
كذا بل يريد كذا في حال كونه منكرا للبعث فلا صدق ولا صلى شرع الله تعالى كيفية اجماله المتفرعة على انكار البعث مما يتعلق باصول
الدين وبفروعه ومما يتعلق بفروع الدين ما صلى ولكنه تولى واعرض واما ما يتعلق بدنياه فهو انه ذهب الى اهله يتمطى
اي يتبختر ويختال في نفسه فدلت الآية على ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقها بترك الايمان قوله من المط وهو
المد يقال مطه يمطه اي مده وعطط اي تمدد وابدلت الطاء الاخيرة من يتمطط لكراهة اجتماع المثلين الامثال كما يقطى البازي
وان كان من المطا مقصورا وهو الظهر كانت الفه مبدلة من الواو ويقال للمتبختر يتمطى لانه يلوي مطاه ويحركه في تبختره
ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب قوله ويل لك يريد ان اولى لك كلمة مستعملة في موضع ويل لك وقرب معناه من معناه وانه مشتق
من الولي بمعنى القرب واصله اولاك الله ما تكرهه على ان اولى فعل متعد الى مفعولين من وليه يليه اي قرب منه نقل الى باب افعل فعدي به
الى مفعولين الاول الكاف والثاني محذوف وهو ما تكرهه واللام زائدة في المفعول كما في ردف لكم وهو تهديد من الله تعالى لابي جهل
ثم قال له اولى فاولى ثم اولى لك فاولى يوعن فقال ابو جهل باي شيء تهددني لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز
اهل هذا الوادي فانزل الله تعالى كما قال الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد به الدعاء بالشدة اربع مرات بل
مرة بعد مرة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين قوله اولى لك الهلاك اي ويجوز ان يكون اولى اسم تفضيل بمعنى احق واحرى
ويكون خبر مبتدا محذوف اي الهلاك اولى لك من كل شيء وقيل ان افعل من الويل بعد القلب اصله اويل فقدم اللام على الياء فصار
الى كما في اساكي وهادي اصلهما سائك وهائد والمعنى وهلاك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل انه فعلى من آل يؤول
لانه بعد القلب صار علما للويل وهو غير منصرف للعلمية والوزن المصير والمرجع واللام صلة والتقدير اولى لك اي مرجعك
وعقباك الهلاك والنار وكرر اولى للتاكيد حذف لك من الثاني لدلالة الاول عليه ثم انه تعالى بعد ما انكر على عدي بن ربيعة واخبر
به من منكري البعث بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه كرر الانكار عليه فقال ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر
ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب بعمله في الآخرة ولا يثاب ولا يعاقب عليه وتكرير الانكار بحسابه يتضمن تكرير انكاره
للحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف فاذا لا بد من التكليف
في الدنيا ولا يليق بالحكيم الكريم الرحيم ان يكلف ثم يسوي بين المطيع والعاصي ولا يميز بينهما بالثواب والعقاب والمجازاة لا تاتي
في الدنيا فلا بد من البعث والقيمة ثم استدل على صحة البعث بدليل ثان وهو الاستدلال بالابتداء على الاعادة فقال الم يك نطفة
اي الم يكن هذا الانسان نطفة في صلب ابيه بمعنى انه يصب في الرحم ويمنى بالياء صفة مني وبالتاء صفة نطفة وهي الماء القليل

والامر بالمحاسن والنهي عن الفاسد يقتضي
رضيا بقبائح الافعال وذلك لا يليق بحكمته

يقال نطف الماء اى قطر نبه الله تعالى بهذا على خمسة قدر الانسان اولا وعلى كمال قدرة نفسه حيث صير مثل هذا الشئ الدنئ بشرا
سويا قوله فعدله اى جعل كل عضو من اعضائه الزوج معادلا لزوجه وجعل كل واحد من ذوات اعضائه واوضاعها وهياتها
معادلا لما تقتضيه الحكمة

سورة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله استفهام تقرير وتقريب يعنى ان هل تستعمل الا فى الاستفهام لا بمعنى انها بنفسها علم الاستفهام بل لا بد من ملاحظة اداة الاستفهام
قبلها اما ملفوظة كما فى البيت او مقدرة كما فى الآية قال صاحب الكشاف فى المفصل ناقلا عن سيبويه ان هل فى قولهم اهل عبنى قد
الا انهم تركوا الف قبلها لانها لا يقع الا فى الاستفهام يعنى انها مختصة بالاستفهام ولا تستعمل الا فى موضع الاستفهام فكانها
بنفسها علم الاستفهام فلم يذكر معها اداة الاستفهام قوله ولذلك اى ولكون هل موضوعة لتقريب ما مضى ووقوعه فى الحال قرنت
بقد كما ذكر فى المفصل ولما كانت كلمة هل مختصة بالاستفهام التقرير وتقريب الماضى من الحال كان اصل هل اتى اهل اتى وكان
معناه قد اتى على الانسان قبل زمان قريب من خلقه حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا بالانسانية على معنى انه وان كان
شيئا الا انه كان شيئا لا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح ونظيره قوله تعالى
ولقد علمتم النشاة الاولى فلا تذكرون اى فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشا بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته
قوله سائل فوارس يربوع بشدتنا اهل راونا بسفح القاع ذى الاكم ويربوع ابو حى من تميم وقوله بشدتنا بفتح الشين وهى الحملة
ويروى بكسرها وهى القوة وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل اى الحضيض والقاع المستوى من الارض اى الصحراء
والاكم جمع اكمة وهى التل اى الجبل الصغير يقول سائل هذه القبيلة حال شدتنا الا كانت حربية جلبت لنا العز والغلبة او كانت
دونها حلت الذل والمغلوبية قوله طائفة محدودة من الزمان فسر الحين بالطائفة المحدودة من مطلق الزمان ولم يعين
حدها تنبيها على انها محدودة فى نفسها ومبهمة الحد فى علمنا وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الامر الممتد الوهمى كما هو المشهور
واختلفوا فى الانسان المذكور ههنا فقال جماعة من المفسرين المراد به آدم عليه السلام فمن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى
ذكر آدم فى هذه الاية ثم عقب بذكر خلق جنس الانسان من ذريته فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال آخرون
المراد بالانسان بنو آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة اذ المناسب ان يكون المراد بالانسان فى الموضعين
واحدا وعلى هذا يكون المراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل لانه ما دام فى بطن امه لم يكن شيئا مذكورا لانه كان نطفة او علقة او مضغة
ولا قدر يشى منها حتى يذكر ويعتنى بشانه والا كان المراد نفس آدم عليه السلام فقد اختلف فى تعيين المراد بالحين حينئذ فقيل انه
اربعون سنة لما روى انه اتى عليه اربعون سنة وهو حينئذ ملقى من طين قبل ان ينفخ فيه الروح بين مكة والطائف والطين
وان كان شيئا موجودا لكن لم يكن شيئا مذكورا ثم نفخ فيه الروح بعد اربعين سنة ثم ... وروى ايضا ان الله خلق من طين فقام
عليه اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام على اربعين سنة
ثم من حما مسنون اربعين ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بتمام اربعين اربعينات مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح
فلاجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدها قوله بل كان شيئا منسيا اشارة الى ان المنفى ليس اصله
كونه شيئا بل المنفى هو كونه شيئا شريفا مذكورا بالانسانية فانه فى ذلك الحين كان شيئا خاملا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه
ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح وكما جنس الانسان من ذريته ادم كان فى الرحم شيئا تافها حقيرا
كالنطفة فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضى ان يمضى على الانسان

حال كونه

١٠١

حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه فى ذلك الوقت ما كان شيئا مذكورا بالانسانية فالجواب ان الطين والصلصال
اذا كان مقصورا بالا بصورة الانسانية وكان محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته
انسانا باعتبار ما يؤول اليه غير مذكور بالانسانية ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل
وجود الابدان فلا يتوجه عليه الاشكال قوله والجملة حال من الانسان تقديره اتى عليه حين من الدهر او وصف
لحين بحذف الراجع مع الجار وهو فيه تقديره حين لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا قوله اخلاط جمع خلط وهو المادة
التى يركب منها الشئ يقال اخلاط الصلب اى اجزاؤه ومراده والامشاج واحدها اما مشج بفتحتين كمثل وامثال
او مشج بكسر الميم وسكون الشين كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف يقال مشجت الشئ مشجا اذا خلطها
قوله وجمع النطفة به بجعله وصفا لها مع مفرد والامشاج ولا مطابقة بينهما تقرير الجواب ان لفظ النطفة وان كان
مفردا الا ان المراد به هو المجموع المؤلف من منى الرجل والمرأة وكل واحد منهما منى مغاير للآخر بالذات وايضا كل واحد
منهما كانه نطفة منفردة عن الجزء الآخر فصار المجموع المؤلف منهما كانه نطف بشتى فجمع وصفه لذلك وقيل مفرد عطف على قوله جمع
اى قيل ان قوله تعالى من نطفة امشاج مثل قولهم برمة اعشار وبردة اكباش فى ان صيغة افعال فيها لفظ مفرد ولذلك وقعت
صفة لمفرد ليدل على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل اشراف وايتام يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا وبرد اكياس
وهو ما يغزل غزله مرتين وهو برد من برود اليمن قوله وقيل الوان عطف على قوله اخلاط قال مجاهد الامشاج الوان النطفة
نطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وقيل الامشاج هى الاطوار المختلفة التى ينتقل الجسم من بعضها الى بعض وقيل ان
الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبايع تكون فى الانسان من الحرارة والم البرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير
من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف بمعنى مريدين اختباره بالامر والنهى والمحنة والرخاء والشدة يعنى انه حال مقدرة
لا مقارنة اذ لا اختبار وقت خلقه ومقاربه وان كان الابتداء استعارا للنقل بان شبه النقل من حال الى حال بفعل من يفعل
افعالا مختلفة للامتحان من حيث انه نظم بعد النقل امرا آخر كما يظهر بعد الافعال الكاينة للامتحان العلم المتفرع عليها فهو
كالمسبب من الابتلاء فانه لما خلق الانسان للابتلاء والتكليف اعطاه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السميع البصير وساير ما
يتوقف عليه الفهم والتمييز فلذلك دخلت الفاء على اعطائه الذى هو موجب له والمراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله خلقنا وقوله
نبتليه قيد له لما تقرر من ان الحال قيد لعامله والمراد بترتيب الهداية على اعطاء الحواس ما ذكرها بعد ذكر جعله سميعا بصيرا
لكون الهداية وبيان سبيل الهدى وتعريفه بنصب الادلة وبعث الرسل متاخرة عن خلق الحواس واسباب الفهم والتعقل
فان المراد بالسبيل سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك ومع هدايته تعريفه وتبيين كيفية كل واحد منهما وذلك انما يكون بعد اعطاء
العقل واعطاء الحواس متقدم على اعطاء العقل لان الانسان فى مبدا الفطرة خال عن جميع العلوم والمعارف الا ان الحواس
الظاهرة والباطنة الات نعينه على تحصيل العلوم الاولية من المبادى التصورية والتصديقية فانه اذا احس بها بالجسمانيات
وتنبه لما بينها من المشاركات والمباينات مناسبة لمطلوب مطلوب ورتبها على وجه المخصوص يحصل له للطالب التصورية
المكتسبة واذا تصور بينها انسبا حكمية وحكم عليها بالايقاع والانتزاع يحصل له مبادى تصديقية ثم اذا تحرك فيها الى
ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه التصديقية بالاكتساب الفكرى مثل الحكم بان هذا الاعتقاد وهذا العمل سبب السعادة
والنجاة وذلك سبيل الشقاوة والهلاك فثبت ان مرتبة التجلى بالحواس الظاهرة والباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقائق

الاشيا والتصديق باحوالها وتمييز سبيل الخير وتميزه على سبيل الشر ولهذا السر رتب قوله انا هديناه السبيل على اعطاء الحواس قوله
تعالى اما شاكرا واما كفورا حالان من الضمير المنصوب في هديناه اي بينا له سبيل الهدى شاكرا او كفورا اي في حاليه جميعا على ان يكون
كلمة اما للتفصيل اي لتفصيل ذي الحال فانه يحتمل من حيث الدلالة على الاحوال لا يعلم ان المراد هداية في حال كفره او في حال ايمانه وطاعته
لله تعالى فلما دخلت كلمة اما على كل واحد من الحالين وذكر في شرح الرضي ان كلمة او واما لهما ثلاثة معان في الخبر الشك والابهام
والتفصيل وفي الامر لها معنيان التخيير والاباحة فالشك اذا اخبرت عن احد الشيئين ولا تعرفه بعينه والابهام اذا عرفته
بعينه وقصدت ان تبهم الامر على المخاطب فاذا قلت جاءني زيد او عمرو او جاءني اما زيد واما عمرو ولم تعرف الجائي منهما بعينه
فاو واما للشك واذا عرفته وقصدت الابهام على السامع فهما للابهام واذا لم تشك ولم تقصد الابهام على السامع فهما للتفصيل
بما يحتمل ما فيه قوله او للتقسيم بان تعرف ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي وتجعل كل واحد من
مدخول كلمة اما قيدا له فيحصل تقييده بكل واحد منهما قسم منه والمعنى هدينا مطلق الانسان منقسما الى الانسان الشاكر
وهو الموحد المطيع له والى الانسان الكفور المشرك فالمعنى على التفصيل هديناه في حاليه جميعا وعلى التقسيم هديناه السبيل
ثم جعلناه تارة شكورا وتارة كفورا كما هو مذهب اهل السنة قوله او من السبيل عطف على قوله من الهاء اي انهما حالان من الهاء او
انهما حالان من السبيل على معنى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز من حيث ان السبيل وصف
يوصف من سلكه قوله وقرئ بفتح الهمزة على اما التفصيلية وجوابها محذوف والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا
فبخذلاننا مناسبا لاختياره ثم انه تعالى لما ذكر فريقي الشاكر والكفور اتبعه الوعد والوعيد فقال انا اعتدنا للكافرين قدم وعيد
الكافرين ثم ذكر ما اعد للشاكرين لما ذكره المصنف والاعتاد والاعداد والتهيئة وهي جعل الشيء عتيدا حاضرا زمان الاحتياج اليه
هو جمع بر وهو من اطاع الله تعالى وامتثل امره وقيل البر الموحد وقيل البر الذي لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر وقيل الابرار
هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقيل هم بروا انفسهم بترك المعاصي قوله من خمر فسر الكاس بالخمر على طريق ذكر المحل وارادة الحال
لما روي عن قتادة والضحاك وابن عباس فسروا بذلك ولعل الباعث عليه قوله تعالى كان مزاجها كافورا والكافور لا يمزج بالكاس بل يمزج
بما فيه من الخمر والظاهر على هذا ان تكون كلمة من صلة والكاس عند اهل اللغة الاناء الذي فيه الخمر فالظاهر على هذا ان تكون كلمة من صلة
والكاس وان لم يكن فيه خمر فهو قدح والمزاج في اللغة اسم لما يمزج به اي يخلط كالقوام اسم لما يقام به الشيء ومنه مزاج البدن وهو ما
يمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والكيفيات المناسبة لكل واحد منها والكافور طيب معروف واشتقاقه من الكفر وهو الستر
لانه يغطي الاشياء برائحته ولانه ما مكفور في جوف ضيف من الشجرة فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجمد
وينعقد كالصمغ المتجمد على الاشجار قوله في الاية سؤال وهو ان مزج الكافور بالمشروب لا يجعله لذيذا فما السبب في ذكره هنا ثم قال
الجواب عنه من وجوه احدها ان الكافور اسم عين في الجنة ماؤها ابيض من الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه
طعمه ولا مضرته فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين وثانيها ان رائحة الكافور عرض لا يكون الا في جسم فاذا خلق الله
تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب سمي ذلك الجسم كافورا تشبيها له بالكافور في رائحته وان كان طعمه طيبا وثالثها اي باس في ان يخلق الله
الكافور في الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ ويسلب ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك المشروب فالمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله لبرده
وعذوبته وطول عرقه يعني انه كافورا وان شارك كافور الدنيا في البياض والبرودة وطيب الرائحة لكنه يخالفه في طعمه فانه حلو
لذيذ والى الجواب الاول بقوله وقيل الكافور اسم ما في الجنة يشبه الكافور في بعض اوصافه فسمي باسمه على سبيل الاستعارة وانا

ثالثا

١٠٣

ثالثها ان المراد بالكافور الممزوج بخمر الجنة كيفيات كافور الدنيا وسميت كافورا بطريق تسمية الحال باسم المحل قوله ان جعل اسم ما
واما اذا كان المراد بالكافور الطيب المعروف او كيفيتها فلا يصح حينئذ ابدال عينا منه الا غلطا وبدل الغلط لا يقع في القران فعينا
ح بدل من كاس على تقدير المضاف والتقدير يشربون خمرا خمر اعين او منصوب بتقدير اعني او باضمار يشربون يفسره ما بعده
ولم يجعل عينا مفعول يشربون ومن صلة فلا ينصب مفعولا اخر قوله على تقدير مضاف لا بد من تقديره على كل حال من التقديرين
واما على تقدير كونه بدلا من كافورا فلان كونه بدلا منه مبني على ان يجعل الكافور اسم ما والعين الذي هو منبع الماء مبدلا من
نفس الماء الا بتقدير مضاف اي ماء عين واما على تقدير كونه بدلا من محل من كاس فلانه فسر الكاس بالخمر والعين لا تبدل من
الخمر الا ان يكون التقدير خمر عين فقول المصنف اي ماء عين او خمرها لف ونشر قوله او متلذذا او ممزوجا بها على ان تكون الباء في بها
متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول يشرب وهو ايضا محذوف وهو ضمير العين بدلا من الكافور الممزوج بالخمر كان تقدير
الكلام عينا يشرب بها عباد الله حال كونها متلذذا بها وان كان بدلا من محل من كاس كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله
في حال كونها ممزوجا بها قوله وقيل الباء زائدة فيكون الضمير المجرور مفعولا به يشرب اي عينا يشرب بها والجملة على جميع التقادير صفة
لقوله عينا وقوله يفجرونها صفة ثانية لها او حال من عباد الله بمعنى مفجرين والتفجير الاجراء يقال فجرت الماء فجره بالضم فجرا فانفجر
اي شققته واجريته فجرى وفجرته شدد للكثرة وقوله حيث شاؤوا استفاد من عدم ذكر المفعول وقوله اجراء سهلا استفاد من المصدر
المؤكد فانه يدل على انه لا يمتنع عليهم كاجراء انهار الدنيا وعيونها واعلم ان الله تعالى لما وصف ثواب الابرار في الاخرة شرح اعمالهم التي
استوجبوا بها ذلك الثواب فقال على طريق الاستيناف يوفون بالنذر الاية كانه قيل ما لهم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل فاجيب بانهم كانوا
يوفون ما اوجبوه على انفسهم ابتغاء لوجه الله ومن وفى بما اوجب لله على نفسه كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى والايفاء بالشيء هو الاتيان
به تاما وافيا قوله وفيه اشعار عن عقيدتهم حيث يوم البعث والجزاء فان الاعتقاد به ام ... عليه مولعاة جميع الوظائف الاعتقاد
والعلية عن مقاتل قال فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس ... الملائكة وفي الارض نسفت الجبال
واندكت الارض وغارت المياه وتكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء واطلق الشر على اهوال القيامة مع انها عين حكمة وصوابه لكونها ضرر
وشدة بالنسبة الى من ينزل عليه تلذذ بكر فرح المصنف بقوله جسدا يبدده ومن خاف من مثل ذلك اليوم فلا جرم يجتنب قوله حب الله يحتمل
وجهين الاول ان يكون المصدر مضافا الى المفعول والفاعل متروكا اي على حبهم الله تعالى والثاني ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروكا اي
على حب الله تعالى الاطعام ودعا تقدير ان يكون ضمير منه للطعام المذكور او للاطعام المدلول عليه بقوله ويطعمون يكون المصدر
مضافا الى المفعول والفاعل متروكا اي على حبهم الطعام والا ... ... م يحبونه على ان يكون الجار والمجرور في موضع الحال من فاعل
يحبون وقوله مسكينا وما عطف عليه مفعول ثان لقوله ويطعمون مجامع الطاعات محصورة في الامرين التعظيم لامر الله والى الاشارة
بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله تعالى واليه الاشارة بقوله يطعمون الطعام فان الطعام هو الذي جعل الغير طاعما
كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باي وجه امكن وان لم ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان
اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع يعني احسن اليه وذلك لانه يجب الطعام الا ان يرى الامام
رايه فيهم من قتل او فدية او استرقاق فانه قال اذا كان الاسير الكافر ممن تكون عاقبة امره القتل كيف يجب اطعامه قلنا القتل
في حال لا ينافي وجوب الاطعام في حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه اخر ولذلك لا يحسن فيمن يلزمه
القصاص ان يفعل به غير القتل ثم هذا الاطعام يجب على الامام فان لم يطعم وجب على المسلمين ثم انه تعالى لما ذكر اصناف

من تجب مواساتهم وهم ثلاثة احدها المسكين وهو العاجز عن الكسب بنفسه والثاني اليتيم وهو الذي مات كاسبه وهو
صغير والثالث الاسير وهو الذي اُخذ من قومه فلا يملك لنفسه ضرا ولا حيلة بين ان لهم فيه غرضين احدهما تحصيل
رضي الله تعالى وهو المراد بقوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا والعبوس صفة من يحضر اليوم حقيقة ووصف
اليوم به مجاز كما يقال صام نهاره قوله فلذلك يحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يعني ان قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوما
عبوسا جملة مسوقة لتعليل ما سبق فيحتمل ان يكون علة لقوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اى لا نريد منكم المكافاة
بخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافاة قوله وتشبيه بالاسد العبوس في ضراوته عطف على لعبس يعني ان اسناد العبوس
الى اليوم اما من قبيل اسناد فعل اهل ذلك اليوم الى زمانه فعلهم مثل صام نهاره او من قبيل اثبات لازم المشبه به للمشبه ليكون
دليلا على التشبيه المضمر في النفس بان شبه اليوم بالاسد العبوس الكريه المنظر في شدة ظهوره لمن يراه تشبيها مضمرا
في النفس وجعل اثبات لازم المشبه له وهو العبوسة دليلا على ان ذلك التشبيه المضمر على سبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية
والضراة هي السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه والقمطرير الشديد العبوس بحيث يجمع ما بين
عينيه وهو ايضا من صفة من يحضر اليوم على الحقيقة يقال وجه قمطرير قمطرير اى مقبض من شدة العبوس قوله وجمعت
قطرتها يقال جمع فلان بين قطريها اذا تغير مغضبا كانه جمع جوانبها انه اليها لان يصول على من يغضبه والقطر هو جانب
والناحية فقطره تقطيرا اى القادر على احد قطريه اى على احد جانبيه فتقطر اى سقط ويقال اقمطرت الناقة اذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها ان القمطر في اللغة بمعنى جمع فعلى هذا وصفا اليوم بالقمطرير لكونه سببا لعبوس اهله وجمعهم ما بين
اعينهم وعلى ما ذكره المصنف تشبيها بالعبوس الذي يجمع ما بين عينيه استعارة بالكناية قوله والميم زائدة لم يتعرض لزيادة
الراء مع ان قاعدة الصرف تقتضي زيادتها ايضا بناء على ان الراء ليست من حروف الزيادة وهي حروف هويت السمان
بخلاف الميم قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاد قوله وايثار الاموال اشارة الى ان المراد بقوله
تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع المواساة باهل الحاجات من الطعام والكسوة ويدل عليه
عطف قوله وحريرا على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على الجوع والمجازاة بالحرير يناسب صبرهم على العرى بستانا
يأكلون منه اشارة الى انه ليس المراد بالجنة ما يقابل النار وهو دار الكرامة المشتملة على آثار رحمة الله تعالى وفضله حتى
يقال اى حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه في جملة ما اعد فيها للمؤمنين بل المراد بها بستان المأكولات
فذكرها لا يغني عن ذكر الملبس قوله واحتوت فلما وضعوها بين ايديهم وقف عليهم مسكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله
من موائد الجنة فاثروه على انفسهم واثروا اليتيم في الليلة الثانية والاسير في الليلة الثالثة فلما اثروه اصبحوا
فاخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم ودخل بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون
كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلوة والسلام ما يسوءني ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها
في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساء ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه السورة الى
آخرها ولا يلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين
غاية ما في الباب انها نزلت عند صدور هذه القربة منهم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانه تعالى
ذكر في اول السورة انه اخلق الخلق الا للابتلاء والامتحان ثم بين انه هدى الكل وازاح علتهم ثم بين انهم انقسموا

الى شاكر والى كفور ثم ذكر وعيد الكفور ثم اتبعه بذكر وعد الشاكرين والابرار وهذا الاسلوب يأبى ان يخص الابرار باهل
بيت معين وان كانوا يدخلون فيهم دخولا اوليا لم يدخلون في جميع الايات الدالة على شرح احوال المطيعين وكذا غيرهم
من اتقياء الصحابة والتابعين فلا وجه لان يقال انها نزلت في علي بن ابي طالب خاصة رضي الله عنه وكرم وجهه قوله
او صفة لجنة اى لقيهم واعطاهم جنة متكئين هم فيها وفيه بحث لان متكئين حينئذ يكون جارية على غير من هي له فيجب
ابراز الضمير عند البصريين فان اسم الفاعل اذا جرى صفة او خبرا او حالا او صلة على غير من هو له لا يستتر فيه
ضمير الفاعل بل يجب ابرازه ولا كذلك الفعل فانه يجوز استتار الضمير فيه ح فقوله تعالى لا يرون فيها شمسا يجوز ان يكون
صفة لجنة مع استتار الضمير فيه بخلاف متكئين ودانية فانهما لا يكونان صفة له لعدم الابراز ومنهم لم يفرق بين الفعل
واسم الفاعل في جواز الابراز حينئذ ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان صبرهم كان في الدنيا واتكاءهم
انما هو في الآخرة الا ان تجعل حالا مقدرة والارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة بالتحريك واحد حجال العروس
وهي بيت يزين بالثياب والاسرة الستور والسرير لا يسمى اريكة الا اذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوة بالماء
واذا كان فارغا لا يسمى سجلا وكذا الكاس لا يسمى كاسا الا اذا كان مملوا من الخمر ومثله كثير قوله يمر عليهم هو معتدل يعني
ان ذكر الشمس في الآية من قبيل ذكر اسم الملزوم وارادة اللازم لان المقصود توصيف الجنة باعتدال الهواء وخلوها عن الهواء
الحار المؤذي بحره وعن الهواء البارد المؤذي ببرده فذكر الشمس والزمهرير واريد ما يلزمهما من خروج الهواء بسببهما عن الاعتدال
وعدم رؤية نفسها لا يفيد هذا المعنى فقوله تعالى لا يرون بمعنى لا يجدون لان الهواء ليس مما يرى وفي الحديث هواء الجنة
سجسج لا حر فيه ولا قر والسجسج بسينين مهملتين وجيمين هو الهواء المعتدل والقر بالفتح بمعنى البارد وبالضم بمعنى البرد
يقال اعتكر الظلام اى اختلط كانه تراكم بعضه على بعض من بطوء الجلاء به وزهوت النار زهورا اضاءت ويروى والزمهرير
ما ظهر بدل ما زهو اى وقمرها ما طلع قوله والمعنى يعني ان المعنى على تقدير ان يكون المراد بالزمهرير القمر ان الجنة لكونه
هو امضاء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا الى قمر وان اصلها في ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار لانهما انما يحصلان بطلوع الشمس
وغروبها وعبر عن عدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج اليهما قوله اى وجنة اخرى على ان دانية صفة موصوف
محذوف والمعنى وجزاهم بصبرهم على الطاعة وعن المعصية جنة وحريرا وجنة اخرى دانية فالابرار المذكورون لما
كانوا خائفين بدليل قولهم انا نخاف من ربنا وعدوا لجنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قوله والجملة
حال او صفة اى على تقدير ان يكون ظلالها مبتدا ودانية خبره مقدما عليه تكون الجملة الاسمية اما حالا من فاعل لا يرون
فيكون الواو فيها حالية لا عاطفة والمعنى لا يرون فيها حرا ولا قرا والحال ان ظلالها دانية عليهم اما صفة لجنة فتكون الواو
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم فان قيل كيف توصف الجنة بان ظلال ما فيها من
الاشجار دانية اى قريبة من الابرار والحال ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس ولا شمس في الجنة حتى يظل اهلها
ما فيها الاشجار فالجواب المراد بان اشجار الجنة يكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة منها والقطوف جمع
قطف بكسر وهو العنقود والمراد به في الآية الثمر مطلقا وسمي الثمر قطفا والقطف مصدر قولك قطفت العنب اى قطعتها
وسمي الثمر قطفا لانه يقطف كما سمي جنا لانه يجنى قوله معطوف على ما قبله فيكون تابعا له في حكم اعرابه فان نصبت دانية
على الحالية يكون جملة ذللت ايضا حالا اى ودانية ومذللة قطوفها لهم وان نصبتها على الوصف يكون ذللت ايضا صفة

الهوا

اوى اى جزاهم جنة ذللت قوله اوحال من دانية بتقدير قد وهذا الوجه مبنى على ان يكون دانية منصوبا بالعطف
على جنة بتقدير الموصوف حتى يكون حالا من المفعول به اى وجزاهم جنة اخرى دانية وقد ذللت قطوفها لهم
الا ان يكون المراد وحال من فاعل دانية كانه قيل تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم ثم انه تعالى لو وصف
طعامهم ولباسهم وهو الحرير ومسكنهم وصف شرابهم وقدم وصف الاوانى التى يشربون بها فقال ويطاف
عليهم ويدور على هولاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشرب بآنية من فضة وآنية جمع اناء واصلها أأنية
بهمزتين الاولى همزة افعلة مزيدة للجمع الثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها
وقوله من فضة نعت لآنية والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ولا خرطوم وافرادها بالذكر بعد ذكر الآنية
لشرفها بالنسبة الى غيرها كقوله من المؤمنين والمهاجرين ويحتمل ان يكون المراد بالآنية ما يشرب منه كالقدح
وبالكوب ما يصب منه فى الاناء كالابريق كما اشار اليه بقوله واباريق قوله اى تكونت اشارة الى انه كان تامة بمعنى حدث
فيكون قوارير الاول حالا من فاعل كان ولعل الوجه فى اختيار كونها تامة مع جواز كونها ناقصة و قوارير الاول خبرها انها
اذا دخلت بمعنى تكونت وحدث ينتقل الذهن الى المكونة المحدث ومحدث لا يكون الا الله كان المعنى تكونت حال كونها
قوارير بتكوين الله تعالى فتكون اشارة الى تفخيم الآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى ولما ورد ان يقال كيف تكون الاكواب
المذكورة من فضة ومن قوارير زجاجية اشار الى جوابه بانه ليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم
عليها بانها قوارير وانها من فضة من باب التمثيل للتفهيم فانها فى نفسها ليست فضة ولا زجاجية لما روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت به ان آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها الا انها
جامعة بين صفاء الزجاجية وتصفيها وبين بياض الفضة ولينها وصفت بانها من فضة تكونت حال كونها قوارير
والاصل فى مثل سلاسل وقوارير ان لا ينصرف لانه على صيغة منتهى الجموع الا ان من صرفه ونونه فقد شبهه بالمفرد
من حيث انه جمع جمع السلامة كما يجمع الآحاد المنصرفة حيث يقال صواحبات يوسف فى جمع صواحب فلما جمع كما يجمع
الالفاظ المفردة جعل فى حكمها وصرف مع ان ابا الحسن حكى عن بعض القوم انهم صرفوا جميع ما لا ينصرف الا افعل من
بناء على ان الاصل فى الاسماء ان تكون منصرفة ولهذا يصرفها الشعراء فى الشعر واعلم ان القراء فى كلمتى قوارير على خمس مراتب
الاولى تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف بدلا من التنوين كنافع والكسائى وابى بكر والثانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما
وعدم الوقف عليهما بالالف لحمزة وحده والثالثة تنوين الاولى دون الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى
بدونها لابى عمرو وابن ذكوان وحفص ووجه قول الاخير ان الاول راس آية فناسب ان يوقف عليه بالالف والثانى
ليس براس آية فلم يوقف عليه بالالف ومن لم ينونهما وقف عليهما بالالف نظرا الى ان الاول راس آية وحمل الثانى على
الاول للمناسبة بينهما ونصب قوارير الاول على انه خبر كان ان جعلت ناقصة وعلى الحال ان جعلت تامة وجملة صفة
لاكواب ولما نصب قوارير الثانى وهو قراءة الجمهور فعلى انه بدل من الاول للايضاح والبيان حيث بين انه من الفضة
قوله قدروها فى انفسهم على ان يكون فاعل قدروها ضمير اهل الجنة لا ضمير السعادة الطائفين وقدروها فى محل
النصب على انه صفة قوارير والمعنى قدر الشاربون فى انفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير واشكال
على حسب ما يريدون ويشتهون فجاءت كما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء والنقاء

والشكل اما الصفا فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قوارير واما النقا فقد ذكره بقوله من فضة واما الشكل والمقدار
فقد ذكره بقوله قدروها تقديرا قوله او قدر الطائفون بها على ان ضمير قدروها للخدام الطائفين ولا بد من تقدير المضاف
حينئذ اى قدر الخدام شراب القوارير على قدر رى الشارب من غير زيادة ولا نقصان وهو الذ للشارب لكونه على مقدار
حاجته فان كلا من طرفى الاعتدال مذموم وقرئ قُدِّروها بضم القاف وكسر الدال المشددة على بناء المفعول منقولا الى
بناء التفعيل من قدرت الشئ وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له والمعنى جعلوا قادرين لها كما شاؤوا قوله ما يشبه الزنجبيل
كلمة ما فى قوله يشبه الزنجبيل يحتمل ان تكون بالف محذوفة ويشبه صفتها وبالف مقصورة ويشبه صلتها وعلى التقديرين
فيهاذكره لا يكون الزنجبيل على حقيقته بل يكون اسم ما فى الجنة يشبه الزنجبيل فى بعض اوصافه يمزج به شراب الابرار كما قيل
ان الكافور اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فيكون عينا بدلا من زنجبيلا بتقدير المضاف اى ماء عين وان كان الزنجبيل
فيها على حقيقته يكون عينا بدلا من كأسا اى ويسقون فيها خمرا خمر عين فيها الماء وصفه الله تعالى أولا بأن مزاجه الكافور فقال ويسقون
الآية وصف شرابهم بانه ممزوج بالزنجبيل لان العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل فى المشروب ولما توهم من تسمية تلك
العين بالزنجبيل ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع ازال ذلك الوهم بانها
تسمى سلسبيلا السلاسة انحدارها اى نزولها فى الحلق وانتفاع لذع الزنجبيل عنها فان السلاسة ضد اللذع
وهو الاحراق يقال لذعته النار اى احرقته قوله ولذلك اى ولكون السلسبيل والسلسل اللذين هما من صفات
الماء بمعنى سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه قيل زيدت الباء على السلسال للدلالة على غاية السلاسة
والحلاوة قوله وقيل اصله سل سبيلا على انه كلام مركب من فعل امر من سالته الشئ وفاعل مستتر فيه ومفعولين بارز
والتقدير سل انت سبيلا اليها ثم جعل هذا الكلام المركب علما للعين فى الجنة او للماء كما سمى رجل تابط شرا واعلم انه تعالى
مزج شراب الابرار اولا كافورا وثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم
من حر عرصات القيامة وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى
الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تهيئته ثانيا ولون المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه فى تاخير
ذكر ما يمتزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك والله اعلم ثم انه تعالى شرع فى ذكر اوصاف الخدم الذين
يطوفون عليهم بذلك المشروب فى تلك الاوانى فقال ويطوف عليهم ولدان فانهم احق فى الخدمة مخلدون دائمون
على ما هم عليه من الشباب والغضاضة فى الحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الازمنة
قوله واساءهم اى يفرقهم فى محل الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على الابرار المخدومين مسارعين
فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا كان احسن من
المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفا للمجتمع منه فى اللمعان والبريق وشبهت الحور العين باللؤلؤ
المكنون اى المحفوظ المخزون لانهن لا يمتهن فى الخدمة فلا ينتثرن فى الخدمة انتثار الولدان ثم انه تعالى لما
فصل بعض ما فى الجنة من وجوه التنعم وصنوف العزة والاكرام اتبعه بما يدل على ان ما فيها من آثار انعم تعالى
ليس مما يحصر العد والتفصيل فقال واذا رأيت ثمّ اى فى الجنة فان ثمة منصوب على الظرفية ورأيت من
رؤية البصر متعد الى مفعول واحد الا انه فى الآية لم يقصد تعلقه بالمفعول فليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع

في جميع ما وقعت الروية عليه كانه اذا اوجدت الروية منك ثمة في الجنة لا يحصل لك لتلك الروية الا ادراك نعم كثير لا توصف
عظمته وملك كبير لا يعرف كنهه وقيل مفعوله ثمة وهو اسم للظرف والمعنى اذا رايت ذلك الموضع وقيل تقديره اذا
رايت ما ثم على ان ما موصولة في موضع النصب على انه مفعول رايت وثم صلته ثم حذف ما واقيم ثم مقامه وهذا خطاء
عند البصريين فانه لا يجوز عندهم حذف الموصول واقامة الصلة مقامه ثم قيل الخطاب في رايت للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل عام لكل ما يصح ان يخاطب النعيم ما يتنعم به والملك الكبير ما ذكر في الحديث الذي اورده المصنف ان العارف له
اكثر من ذلك وهو ان يكشف له عن صور عالم الغيب والشهادة بحقايقها فتستضيء مرآة قلبه بانوار العلوم اللدنية
والمعارف الالهية بسبب ارتفاع الحجب النفسانية والطبيعية وهو قوة الاتصال بعد سن الجبروت كما قيل تجرد
تواني تجرد تصل انتهى قوله ونصبه على الحال اختار قراة الجمهور وهم غير نافع وحمزة فانهم قروا عاليهم بفتح اليا وضم
الها على الاصل فان الاصل في هذا الضمير هو الضم مطلقا اي سوا كان ضمير المفرد والمثنى او المجموع نحو منه
وعنه ومنهما وعنهما ومنهم وعنهم ومنهن وعنهن وفتحت في منها وعنها لاجل الالف وكسرت اذا وقع قبلها كسرة او يا
نسبية نحو بهم او فيهم للمجانسة الا ان حمزة قرا الالفاظ الثلاث وهي عليهم واليهم ولديهم بضم الها في جميع القران حيث ما
وقعت فيه نظرا الى ان اليا فيها بدل من الالف ولو نطق بالالف لم يكن في الها الا الضم فكذا الحال اذا نطق بدلها فمن قرا
عاليهم بالنصب جعله حالا من الضمير المجرورة في قوله يطوف عليهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف عليهم ثياب سندس
وقوله ثياب سندس مرفوع على انه فاعل اسم الفاعل المنصوب على الحالية فان عاليهم نكرة تكون اضافة لفظية
لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال اضيف الى معموله فلاجل كونه نكرة جاز نصبه على الحال فان حق الحال ان تكون نكرة
ويجوز بحسب العربية ان يكون عاليهم حالا من الولدان ويكون ضمير الجمع فيه للولدان لا الابرار الا ان المصنف لم يلتفت
اليه من حيث ان المقام تعداد نعيم الابرار وكرامتهم فالمناسب لان تكون الثياب المذكورة لهم لا للولدان الطائفين
قوله او حسبتهم اي ويجوز ان يكون انتصاب عاليهم مبنيا على كونه بدلا من الضمير المنصوب في حسبتهم اي حسبت
الولدان لؤلؤا منثورا في حال كونهم بحيث يعلوهم ثياب سندس فعلى هذا تكون الثياب للطائفين لا للمطوف عليهم
او من الاهل المقدر بعد رايت اي رايت اهل نعيم وملك كبير عاليهم ثياب سندس قوله وقرا نافع وحمزة بالرفع اي بسكون
اليا من عاليهم لثقل الضمة عليها وبكسر الها بسكون اليا قبلها وجعل المصنف قراة الرفع مبنية على ان يكون
ثياب سندس مبتدا وعاليهم خبره على خلاف ما اختاره الزمخشري وان يكون عاليهم مبتدا وثياب سندس خبره
بمعنى ما يعلوهم من اللباس ثياب سندس لانه يرد على ما اختاره الزمخشري ان اضافة عاليهم لفظية فيكون نكرة
ولا يجوز الابتدا بالنكرة وان امكن ان يجاب عنه بانها مخصصة باضافتها الى المعرفة فجاز الابتدا بها قوله حملا على
سندس بالمعنى اي قرى خضر بالجر على انه صفة سندس وقوله بالمعنى جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون خضر وهو
جمع اخضر صفة لمفرد وتقرير الجواب ان سندسا وان كان مفردا بحسب اللفظ لكن لما اريد به الجنس كان في معنى الجمع
فيصح ان يوصف بالجمع كما في قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال واعلم ان القراء السبعة في خضر واستبرق على اربع
مراتب الاولى رفعهما لنافع وحفص خضر صفة لثياب كما في قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا واستبرق بالرفع معطوف
على ثياب لكن على حذف مضاف اي وثياب استبرق كما في قولك على زيد ثوب خز وكتان اي وثوب كتان والثانية

خفضهما

خفضهما لحمزة والكسائي خضر صفة لسندس واستبرق عطف عليه لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق
والثالثة رفع الاول وخفض الثاني لابي عمرو وابن عامر رفع خضر على انه نعت لثياب وخبر استبرق ايضا خبر والرابعة
عكس الثالثة اي خفض الاول ورفع الثاني جر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب بحذف
مضاف اي وثياب استبرق والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق
وقيل عاليهم ظرف مكان بمعنى يعلوهم فهو منصوب على الظرفية ثم منهم من قدر مضافا اي فوق حجالهم المضروبة
عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج لان كل واحد من الاستبرق والسندس داخل في اسم الحرير
في قوله ولباسهم فيها حرير قوله عطف على ويطوف عليهم على طريق عطف فعيله وحلوا وان كان ماضيا فانه مستقبل في المعنى
وعبر بلفظ الماضي للتحقق وقوعه واساور مفعول ثان ليحلوا بمعنى ويحلوه قوله ولا ينافيه جواب عما يقال انه تعالى قال في سورة
الكهف يحلون فيها من اساور من ذهب وفي سورة الحج ويحلون فيها من اساور ولؤلؤا فكيف قيل ههنا من فضة واجاب عنه
بثلاثة اوجه الاول انه يجوز ان يجمع في ايديهم سواران سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ فكيف قيل ههنا من فضة واجاب
عنه بثلاثة اوجه الاول انه يجوز ان يجمع لايديهم محاسن الجنة كما روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال ليس من اهل الجنة
احد الا وفيه ثلاثة اسورة واحدة من فضة واخرى من ذهب الثالث من لؤلؤ واحتج عليه بهذه الآيات والثاني يجوز ان
يكون بحسب التعاقب في الاوقات اي يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة والثالث انه يجوز ان يكون بحسب اختلاف اعمالهم
قوله او حال من الضمير في عاليهم عطف على قوله ويطوف عليهم اي يعلوهم ذلك وقد حلوا وعلى هذا الوجه يمكن ان يدفع التخالف
بين الآيتين بوجه آخر وهو ان يكون اسورة الذهب للمخدومين واسورة الفضة للخدم وانما قال وعلى هذا لان المراد
الضمير في عاليهم يجوز ان يكون مسندا الى ضمير الولدان بان يكون حالا من ضمير حسبتهم فعلى هذا اذا كان قوله تعالى وحلوا حالا
من ضمير عاليهم يكون مسندا الى ضمير الولدان ايضا بخلاف ما اذا كان حالا من ضمير عاليهم او ملكا كبيرا على تقدير المضاف
فان قوله حلوا على التقديرين يكون مسندا الى ضمير الابرار فتكون اسورة الفضة لهم لا للولدان قوله فانه مطهر شاربه
يعني ان الطهور بمعنى المطهر كما روي عن مقاتل انه قال هو عين ماء على باب الجنة ينبع من ساق شجرة من شرب منها
نزع الله تعالى ما كان في بطنه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من قذر واذى واشير الى هذا المعنى بقوله تعالى طبتم
فادخلوها خالدين فانه صريح في ان الطهور بمعنى المطهر حيث قال ان الاشربة تطهر باطنهم من الاخلاق الذميمة
وعن علي رضي الله عنه انه قال في هذه الآية اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون
من احدهما فيجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فتخرج ما في
بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل الطهور مبالغة
في الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا ثبت شرعا لا عقلا وليست الدار دار التكليف ثم انه تعالى لما اتم
شرح ثواب الابرار قال ان هذا اي يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم لما فيها من انواع البهجة والنعيم ان هذا
كان لكم جزاء لاعمالكم التي قدمتموها في الدنيا من الله تعالى يقال لهم ذلك ليزداد سرورهم ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا
من الله تعالى لعباده في الدنيا بعد شرح ثواب اهل الجنة بان يقول هذا الوجه شرحته لكم كان في حكمي وعلي جزاؤكم يا معشر
عبيدي لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها والشكر اذا اسند الى العبد يكون عبارة عن قبوله طاعة العبد وتوفر ثوابه

يقال شكر الله سعيك وجزاك الله خيرا على ما سعيت واطلاق الشكر على المجاز تشبيها له بالشكر في هذه السورة الكريمة التي
هي من جملة سورة من حيث كونه فعلا واقعا بمقابلة العمل كالشكر الواقع بمقابلة الانعام ثم انه تعالى لما ذكر
في القرآن العظيم اصناف الوعد والوعيد في حق الشاكر والكفور وكان التذكر والاتعاظ به موقوفا على صدق
المبلغ وحصر رسالته بين ان ما بلغه اليهم ليس سحرا ولا شعرا ولا كهانة بل هو وحي الهي تفرد الله تعالى بتنزيله
مفرقا منجما آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فقال انا نحن نزلنا القرآن ولم يقل انزلنا بالغ في تاكيد كونه وحيا
الهيا بتصدير الكلام بان وتكرير الكلام الضمير الذي هو اسم ان وتاكيد بالضمير المنفصل تاكيدا على تاكيد فكانه
تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون انه سحر او كهانة او نحو ذلك وانا الله رب العالمين اقول على سبيل التاكيد
والتحقيق ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من قبيل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا تكترث
بما قالوا في حقه وفي شانك فان ما قالوه في انه صادر عن المكابرة والعناد بمنزلة قول من ينكر زوجية
الاربعة وكون الواحد نصف الاثنين فانت لا محالة رسول مبعوث بالهدى ودين الحق فلا على الاديان
كلها واصبر لحكم ربك بد ان اسم المقصود من نفسك وان تظهر الدين الحق على الاديان كلها فاصبر
بتاخير نصرك على اعداء الدين وانه كاين لا محالة قوله واو للدلالة على انهما سيان لاستحقاق العصيان يعني ان
كلمة او سواء وقعت في سياق الاثبات او الاثبات فمعناها احد الامرين او الامور الا ان ثبوت الشيء لاحد الامرين او الامور لا
يستلزم ثبوته للجميع فهي اذا وقعت في سياق الاثبات تكون للاباحة او التخيير فان كان الجمع بين الامرين مما فيه فضيلة
وشرف غالبا كما في قولك جالس الحسن او ابن سيرين تكون للاباحة فيجوز الجمع بينهما والاقتصار على احدهما والا في التاخير
نحو اضرب زيدا او عمرو بل يجوز الجمع بينهما بل يجب الاقتصار على احدهما بخلاف نفي احد الامرين او الامور والنهي عن احدهما فانه يستلزم
نفي الجمع والنهي عنه لان كل واحد منهما يصدق عليه مفهوم احدهما ونفي ما يصدق عليه هذا المفهوم يستلزم نفي الجميع فاذا قلت
لا تضرب زيدا او عمرا فالتقدير لا تضرب احدهما فيكون ضرب كل واحد منهما منهيا عنه لكونه مضربه ضرب احدهما وقد نهي عنه
وكذا لو قيل لا تطع احدهما كان المعنى لا تطع كل واحد منهما فتكون كلمتا او للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان فان
قيل فعلى ما ذكرت يكون معنى او في الآية النهي عن طاعة احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا فالجواب انه
لو قيل ولا تطعهما او ولا تطع آثما وكفورا لاحتمال جواز ان تطيع احدهما بخلاف ما اذا قيل لا تطع احدهما فانه يعلم ان النهي
عن طاعة احدهما هو نهي عن طاعتهما قوله والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه من الاثم والكفر لا باعتبار انقسامهم في انفسهم الى
الآثم والكفور لان القوم كلهم كفرة ومن كان كافرا يكون آثما لا محالة لان الكفر اخبث انواع الاثم فكلهم كفرة واثمة فلا معنى
لتقسيمهم في انفسهم الى القسمين وانما التقسيم باعتبار ما يدعونه اليه من الكفر والاثم فالمعنى لا تطع من يدعوك من الكفرة
الى الاثم ولا من يدعوك منهم الى الكفر والتقسيم بهذا الاعتبار افاد تعليل النهي بوصفي الكفر والاثم القائمين بهم فدل على ان
مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور وفي نهيه عليه السلام عن اطاعة من يدعوه الى الاثم والكفر مع انه عليه السلام
لا يتصور في حقه ان يطيع احدا منهم اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم
التي جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة وان احدا لو استغنى عن توفيق الله تعالى وامداده وارشاده
لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم فظهر منه انه لا بد لكل مسلم ان يرغب اليه تعالى ويتضرع اليه

فان

ان يحفظه عن الفتن والآفات في جميع الامور والحالات ثم قيل المراد بالآثم عتبة ابن ربيعة وبالكفور هو الوليد بن المغيرة
لان عتبة كان متعاطيا لانواع الفسق والوليد كان متوغلا في الكفر روي ان عتبة بن ربيعة قال له عليه الصلاة والسلام ارجع
عن هذا الامر حتى ازوجك فاني اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
فانصرفوا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع عليه وقيل المراد بهما شخص واحد هو ابو جهل وقيل المراد بهما الآثم والكفور
مطلقا اي شخص كان وهو الاقرب الى اطلاق اللفظ ثم انه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالامر فقال واذكر اسم ربك ثم قيل
ليس المراد من الذكر الصلوة بل المراد به التسبيح الذي هو القول والاعتقاد اي وكن ذاكرا لله تعالى دائما ليلا ونهارا بقلبك ولسانك
كما هو المراد من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقيل المراد به صلوات الخمس
لان التقييد بالبكرة والاصيل يدل على ان المراد به ذلك فالبكرة هي صلوة الصبح والاصيل صلاة الظهر والعصر لان الاصيل
اسم للوقت الذي يكون بعد الزوال الى الغروب ثم انه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والامر عدل الى شرح احوال
الكفار والمتمردين فقال ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة اي يؤثرونها على الآخرة يعني ان الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر
والاعراض على اتباع ما تدعوهم اليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما نزلنا عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد
وحقية امر النبوة فان فيما بلغته اليهم كفاية في بيان الحق والارشاد اليه وانما الذي حملهم عليه غلبة الشهوة والمحبة
لهذه اللذات العاجلة قوله امامهم او خلف ظهورهم فان الوراء يستعمل في كل واحد من المعنيين وفي الصحاح وراء بمعنى خلف وقد
يكون بمعنى قدام فهي من الاضداد فان كان بمعنى القدام يكون حالا من قوله يوما ثقيلا وهو مفعول يذرون لا ظرف له وان كان
بمعنى خلف يكون ظرفا ليذرون كانه قيل ويذرونه خلف ظهورهم فيكون قوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعارة
تمثيلية بان شبهت حالهم في عدم اهتمامهم بيوم القيامة واعراضهم عنه بجعلهم اياه وراء ظهورهم فاستعمل ما يدل على الحال
المشبه بها في الحال المشبهة قوله مستعار من الثقيل من صفات الاجسام الثقيلة الكثيفة ولا يوصف به الزمان حقيقة الا
انه شبه يوم القيامة لشدته وهوله بالشيء الثقيل الذي يتعب حامله قوله وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه يعني ان توصيف
اليوم بالثقل والشدة وان وقع لتهديد الكفار وتجهيلهم الا انه يصلح ان يكون تعليلا لما جرى بينه تعالى وبين رسوله صلى الله
عليه وسلم من ثقل ذلك اليوم وشدته وتظفر فيه بجميع السعادات والكرامات قوله واحكمنا ربط مفاصلهم فسر الاسر والربط
كما بعث ذلك عند اهل اللغة وقد يعد مضافا وهو المفاصل فكان المعنى احكمنا ربط اوصالهم بعضها ببعض كالعروق والاعصاب
لما ذكر الله تعالى ان الذي دعاهم الى الاستمرار على ما هم عليه من الكفر والعناد حب العاجلة اتبعه بهذه الآية فكانه قيل
لهم هب ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك الحب يوجب عليكم الايمان والطاعات ايضا من حيث ان
جميع ما انتم عليه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها فانما هو بخلق الله تعالى وحده لا شريك له في خلق شيء منها كما
يدل عليه تقديم المسند اليه في قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم وحق هذا المحسن المنعم ان يطاع في جميع ما كلف
به ولا يعصى بوجه ما وانتم احسانه بكمال العصيان مع كمال رغبتكم في احسانه وفي ان يزيد عليكم ما تؤملونه ومثل هذا
الرغبة تنافي العصيان ثم اشار بقوله واذا شئنا الآية الى ان من قدر على اعطاء هذه النعم قادر على ان يهلكهم ويسلبهم
جميع ما انعم به عليهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية فان لم يطيعوا هذا المنعم القادر على كل شيء شكرا لانعامه ورغبة في مزيد احسانه

فلم يطيعوه خوفا من نقمته وقهره ففيه توبيخ عظيم على كفرهم قوله ولذلك جئ باذا فان المعاد مثل المبدا من حيث اشتماله على الاجزاء
الاصلية للمبتدا وان خالفه باختلاف العوارض وان التبديل بمعنى الاعادة محقق الوقوع لاريب فيه فكلمة اذا تكون في موقعها ويحتمل
ان لا يكون المراد تبديل امثالهم انشاء امثالهم في الدنيا في البعث بل المراد به اتيان اشباههم بدلا منهم ممن يطيع كما قال ان يشأ
يذهبكم ايها الناس ويات بآخرين فح لا يكون اذ مناسبا للمقام لان اهلاكهم وايجاد امثالهم في الدنيا ليس معلوم الوقوع فالمناسب
للمقام ايراد كلمة ان الا ان ايجاد امثالهم في الدنيا بمنزلة تحقق الوقوع من حيث كونه داخلا تحت قدرة الله تعالى وقوة ما يدعوا
اليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب قوله تقرب اليه بالطاعة فسر السبيل الى مرضاة الرب بالطاعة
وفراجادها بالقرب بها اليه اى اذا اتضح هذا التذكر فمن شاء النجاة من تقلد ذلك اليوم وشدته احتقار سبيلا مقربا الى مرضاة
ربه وهو الطاعة قوله الاوقت ان يشاء الله اشارة الى ان ان مع الفعل في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام ظرف الزمان وانتصابه
بالظرفية في نحو قولك اتيتك خفوق النجم وصياح الديك فهو استثناء مفرغ اى ما تشاؤن الطاعة والتقرب بها في وقت من الاوقات
الاوقت ان يشاء الله تعالى مشيتكم فان جميع ما يجرى على الانسان من الطاعة والمعصية والكفر والايمان انما يجرى عليه بخلق الله تعالى
وما يخلقه لا يخلقه احد الا بمشيته فلا يشاء ان يخلق فيكم مشية الطاعة الا اذا علم منكم اختيار ذلك وقرا نافع والكوفيون تشاؤن
على الخطاب العام او على الالتفات من الغيبة في قوله نحن خلقناهم الى الخطاب والباقون بياء الغيبة على وفق قوله خلقناهم
ليطابق الجملة المعطوف عليها فانها معطوفة على جملة يدخل من يشاء في رحمته فاذا قرئ والظالمين منصوبا على انه من قبيل ما اضمر
عامله على شريطة التفسير تطابقت الجملتان في الفعلية بخلاف ما اذا رفع والظالمون على الابتداء فانه يفوت المطابقة بين
المعطوف والمعطوف عليه ولم يظهر ناصب الظالمين بما يوافق لفظ المفسرين وهو اعد لهم بل اضمر ما يناسبه في المعنى مثل اوعد
وكان الاولى لفظ اعد لا بتعديه بنفسه سورة المرسلات بسم الله الرحمن الرحيم
قوله والمرسلات جمع مرسلة بمعنى الطوائف والمرسلات جمع مرسلة بالالف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة المرسلة
لمصلحة ومن حق المؤنث من العقلاء ان يجمع بالالف والتاء ولا يكفي في صحة جمع المرسلات بالالف والتاء ان يقدر كونها صفة
الملائكة لانه يستلزم ان يكون مفردها مرسل بمعنى ملك مرسل وليس كذلك بل هي جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة فتكون
المرسلات بمعنى الطوائف المرسلات من الملائكة قوله متتابعة اشارة الى ان عرفا حال من المنوى في المرسلات وانه من
باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلة في تتابعهم وتلو بعضهم بعضا بشعر عرف الفرس من قولهم جاؤا كعرف الفرس
اى متتابعة وفي الصحاح عرف الفرس وقوله تعالى والمرسلات عرفا يقال هو مستعار من عرف الفرس اى يتتابعون كعرف
الفرس انتهى قوله باوامره اى بتنفيذ ما حكم به وامرهم بامضائه كتعذيب قوم وانجاء آخرين وليس المراد منه ارسالهن بالاوامر
ليصلوا اوامر الله الى الانبياء لانه لا يبقى ح للتخصيص بالاوامر فائدة وقوله والناشرات تكرارا وعصفا مصدر موكد وكذلك نشرا
وفرقا وعصوف الريح شدة هبوبها شبهت الطوائف المرسلات من الملائكة في سرعة جريهن في نزولهن بالارسال من غير مهلة
وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات وعطف قوله والناشرات على المرسلات بالواو لعدم
كون نشر الشرايع متفرعا على الارسال والعطف مستعقبا لها فان الملائكة اول ما يبلغون الوحى الى الرسل لا يصير ذلك الدين في الحال
مشهورا ومنتشرا الى اكثر الخلق بل يكذبون الرسل مكابرة وعنادا فلم يعطف النشر على ما قبله بفاء التعقيب بل عطفه بالواو الدالة على الاجتماع
في الوجود مع قطع النظر عن افادة معنى التعقيب التراخي ثم اذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل والقاء الذكر

الى الانبياء

١٠٧
الى الانبياء عليهم السلام الى ان يتم مراسم الدين وما يتعلق بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال الى ان ينزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
فلذلك عطف هذين الامرين بفاء التعقيب في هذا الوجه الترتيب على تقدير ان يكون الصفات الخمس لطوائف الملائكة وبه يعرف وجه الترتيب
على ان تكون الصفات المذكورة لغير الملائكة قوله او بآيات القرآن عطف على قوله بطوائف من الملائكة فعلى هذا يكون المقسم بها آيات القرآن
الموصوفة بتلك الصفات الخمس قوله بكل عرف اشارة الى ان انتصاب عرفا ح بنزع الخافض قوله فعصفن سائر الكتب والاديان اى غلبنا وقهرنا
يقال عصفت بالشئ اى اباده واهلكه وعصف الحرب بالقوم اى ذهبت بهم قوله او برياح عذاب او برياح رحمته فعلى هذا يكون قوله والناشرات
قسما مستانفا برياح الرحمة بعد ان اقسم برياح العذاب التى ارسلت عرفا اى متتابعة كشعر العرف فعصفن وحمل المرسلات العاصفات
على رياح العذاب التى ارسلت عرفا بقرينة توصيفها بالعصف الذى هو شدة الهبوب هو امارة كونها مرسلة للعذاب وحمل ما بعدها على
رياح اخذا من توصيفها نشر السحاب اى بسطه في الجو وتفريق اجزائه بعضها عن بعض فتفرقه قال الله تعالى الله الذى يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله اى قطعا فان الكسف جمع كسفة وهى القطعة
من الشئ والرياح الموصوفة بصفات القهر واللطف لما كانت سببا للتمسك العاقل بذكر الله تعالى والالتجاء الى عفوه ورحمته وبذل الجهد
في شكر نعمه صارت تلك الرياح كانها القت اليها الاسناد مجازيا قوله وعرفا انا نقيض المنكر بمعنى ان عرفا بمعنى المعروف والاحسان والخير
كما في قوله تعالى وامر بالمعروف وهو نقيض المنكر واما بمعنى الاجتماع والتتابع من عرف نحو الفرس والضبع وهو شعر الرقبة يقال
جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه اى اجتمعوا مصدر العذر والنذر كون عذرا مصدر عذر ظاهر لانه
فعل نحو شكرا وكفرا من المصادر الثاني واما كون نذرا مصدر انذر فليس بظاهر فلعل المراد انه اسم مصدر له وفي الصحاح
الانذار الابلاغ ولا يكون الا في نحو التخويف والاسم النذر ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذرى اى انذارى فانه صرح
فكان النذر اسم لمصدر انذر او جمعا العذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار فان لفظ فعيل كثيرا ما يستعمل بمعنى
المصدر كالنكير بمعنى الانكار قال ابو على العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير ويجوز ان يجمع المصدر
لاختلاف اجناسه فان المعذرة تختلف بحسب اختلاف الاساءة ووجوه محوها وكذا الانذار ويجوز تثنية المصدر وجمعه
عند اختلاف اجناسه وانواعه فهو ذكر احتمال ان يكون العذر والنذر جمعي العذير والنذير بمعنى المنذر كما في قوله تعالى
هذا نذير من النذر الاولى اى منذر من قبيل المنذرين الاولين قوله ونصبهما على الاولين اى على ان يكونا مصدرين او جمعي
ما هو بمعنى المصدرين بالعلية بان يكونا مفعولا لهما اى فالملقيات ذكرا للاعذار والانذار اى بمحو ذنوبهم المحقين المعتذرين الى الله تعالى
بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرين قوله او على البدل اى ويجوز ان يكون انتصاب عذرا على البدل او نذرا على الاولين
بان يكونا مفعولين على البدلية من قوله ذكرا اى فالملقيات عذرا او نذرا ثم ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون
عذرا او نذرا بدل البعض من الكل فان ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى يكون بدل الكل من
الكل فان ما القى الى الانبياء من الآيات المتعلقة بمحو الاساءة وتخويف المصر عليها متحدا بالذات مع الذكر المخصوص المتعلق
بسعادة الموحد وشقاوة المشرك فقوله او ما يعم الموحد والمشرك معناه او ما يتناول احوال اهل التوحيد والشرك
خاصة قوله وعلى الثالث وهو ان يكون جمعي عذير ونذير بمعنى العاذر والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوى في الملقيات
اى فالملقيات ذكرا حال كونهم معذرين او منذرين قوله بالتخفيف اى اسكان الذال فيهما وقرا الباقون بتحريكها بالضم
قوله تعالى انما توعدون لواقع اى ان الذى توعدونه من امر القيامة على ان ما موصولة في محل النصب على انها اسم ان وتوعدون

صلتها والعائد محذوف ولواقع خبرها وكان من حقها ان تكتب متصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة وحق الموعود
بمجئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات القيمة فدل ذلك على ان المراد بالموعود هو القيمة فقط وقال الكلبي المراد ان
كل ما توعدونه من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم اللفظ الموصول وفي الصحاح الطموس الدروس والانمحاء يقال طمس
الطريق وانطمس اي انمحى ودرس والطمس محو الاثر الدال على الشئ فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى طمست محقت ومحيت
ذواتها لقوله واذا النجوم انكدرت وان يكون المراد محقت انوارها والاول اولى لعدم احتياجه الى الاضمار وقوله النجوم
مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين من غير الاخفش وبالابتداء عند الكوفيين والاخفش وطمست خبره والاول
اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على المذهبين الجر باذا وجواب محذوف والتقدير فاذا طمست
النجوم وقع ما توعدون او بعثتم او جوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وقيل جوابه ويل للمكذبين
وقيل تقدير الكلام واذكر اذا النجوم طمست قو صدعت اي وانشقت الفرج الشق فرجه الله تعالى فانفرج وصدعته
فانصدع اي انشق قوله كالحب ينشق اي يطير في الهوى ليتخلص من تبنه قال تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا يقال حرقت
الشئ حرقا اي بردته بالمبرد وشدد للكثرة والمبالغة قوله عينها وقتها فسر توقيت الرسل بان يعين لهم وقتهم الذي
يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك الوقت ما اشير اليه بقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ما اجبتم قوله لحصوله
فانه لا يتعين لهم قبله جواب عما يقال كيف يكون تعيين ذلك الوقت لهم من مقدمات القيمة واماراتها كالثلاثة المتقدمة
وهي الطمس والفرج والنسف مع ان الرسل قد عين لهم ذلك الوقت وبين ايام حياتهم في الدنيا فكيف يكون ذلك من مقدمات
القيمة وعلاماتها وتقرير الجواب ان ما بين لهم في الدنيا ليس الا انهم يجمعون في يوم القيمة ويسألون ما اجبتم ولم يبين لهم
فيها ذلك الوقت بعينه ولا يتعين لهم ذلك بحصوله ومجيئه وفسر توقيت الرسل بتعيين وقت حضورهم للشهادة لا
بتعيين وقت انفسهم وذواتهم لان توقيت الشئ بمعنى تعيين وقته انما يعتبر بالنسبة الى الزمانيات المتجددة لا بالنسبة
الى الذوات القارة فاذا اضيف التوقيت بهذا المعنى الى الذوات القارة فلا بد من اضمار الحدث فلذلك الحدث هو الذي
عد من علامات القيمة وفسر التوقيت ثانيا بقوله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره فان التوقيت قد يستعمل بمعنى
جعل الشئ بالغا الى وقته المحدود ومجئ ذلك الوقت وحصوله فكما ان تسويد الشئ وتحريقه عبارتان عن تحصيل حقيقة
السواد والحرقة فيه فكذا التوقيت عبارة عن تحصيل وقت الشئ وتبليغه اليه والتوقيت بهذا المعنى ايضا تحققه
مضاف الى حضور الرسل للشهادة على اممهم وسؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كما قال تعالى فلنسألن الذين ارسل
اليهم ولنسألن المرسلين قوله اي يقال لاي يوم اضربت يعني ان الجملة الاستفهامية منه في محل النصب بالقول المضمر وهذا القول المضمر
يجوز ان يكون جوابا لاذا اي اذا كان كذا وكذا يقال لاي يوم اخرت هذه الامور التي هي طمس النجوم ونسف الجبال وتاقيت الرسل وان يكون
حالا من مرفوع اقتت اي اقتت منقولا فيها لاي يوم اجلت اخرت الرسل والامور المتعلقة بجمعهم واحضارهم وهي تكذيب
من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وصدقهم ونحو ذلك تعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله قوله ويجوز عطف على قوله اي يقال — ومعنى الاستفهام
تقدير الكلام واذا الرسل اعلمت وقت تاجيلها قوله ويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله لا من لفظه فان اصله هلك
الله هلاكا وهلكه هو هلاكا والويل موضوع موضع الهلاك او الهلاك اشار به الى وجه وقت وقوعه ويل مبتدأ
مع انه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد فعله المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة

مخصصه

١٠٨

مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء لذلك كما قالوا في سلام عليك والمصنف قدر متعلق المكذبين المذكورين اولا فقال المكذبين
بذلك اي بيوم الفصل وبكل ما اخبر به الانبياء عنه وثانيا قدره بان قال للمكذبين بآيات الله وانبيائه ليكون كل واحد من
المكذبين مغايرا للآخر بتغاير متعلقيهما هربا من التكرار واعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم
من الكفر فخوفهم اولا بان اقسم على ان اليوم الذي يوعدون به وهو يوم القيامة لواقع ثم هول فقال وما ادراك ما يوم
الفصل ثم زاد في التهويل فقال ويل يومئذ للمكذبين فهذا نوع من التخويف ثم ذكر نوعا آخر منه فقال الم نهلك الاولين وهم بعض
الكفار الذين هلكوا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف اهل عصره من الكفار بان اخبرهم باهلاك الكفار المتقدمين بسبب
كفرهم فلما كان سبب اهلاك الاولين حاصلا فيهم لزمهم ان يخافوا قوله ثم نحن نتبعهم اختار قراءة الجمهور من القراء برفع
على القطع عما قبله واستيناف الاخبار بما يفعله في المستقبل باضمار المبتدأ اي نحن نتبعهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
ثم سنتبعهم بزيادة سين التسويف وقراءة الرفع متعينة على ان يكون المراد بالآخرين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لو قرئ
بالجزم لكان المعنى حينئذ اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين في الاهلاك لكن الاتباع واقعا في حيز لم التي نقلت معنى المضارع الى
الماضي وتنفيه فيه والآخرون ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة بمكة بل يجب ان يكون المراد بالآخرين على قراءة الجزم الذين تأخر
هلاكهم عن اهلاك المتقدمين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهما السلام ثم انه تعالى خوفهم بنوع ثالث فقال الم نخلقكم من ماء مهين الآية
وهو استفهام تقرير فمن اقر بقدرته تعالى على الابتداء الزمه ان يقدر بقدرته على الاعادة ثم انه لما انكر الاعادة فقد ناقض نفسه مكابرة
وعنادا فاستحق ان يقال له ويل يومئذ للمكذبين قوله فقدرنا على ذلك او قدرناه يعني ان قدرنا بتخفيف الدال يجوز ان يكون من القدرة ويعضده
فنعم القادرون اي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا من تلك المادة الحقيرة فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن الصور والهيئات
ويجوز ان يكون من التقدير فان قدر المخففة لغة بمعنى قدر المشددة فان قوله تعالى قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد مع انه
بمعنى التقدير ويدل على كون ما في الآية من التقدير قراءة نافع والكسائي بالتشديد فيكون قوله فنعم القادرون ايضا بمعنى فنعم المقدرون والمراد
تقدير خلقه وجوارحه والوانه واشكاله ومدة حمله وحيوته والقرار المكين الموضع المستقر الحصين وهو الرحم فان الماء الذي يخلق
منه الولد لا بد ان يثبت في الرحم ويتمكن فيه الى قدر معلوم المقدار من الوقت معلوم لله تعالى لا يعلمه غيره وذلك المقدار تسعة
اشهر او اقل او اكثر وما لا يخلق منه الولد لا يستقر في الرحم ثم انه تعالى شرع في النوع الرابع من تخويفهم بان ذكرهم ما انعم به عليهم من نعم الآفاق
فقال الم نجعل الارض كفاتا الآية وقد ذكر قبل هذه الآية ما انعم به عليهم من نعم الانفس حيث اوجدهم في المادة الخسيسة بعد ما اشتهاها في الزاوية
الحصينة الى وقت الولادة وصورهم باحسن الصور واحكم الخلقة وقدم ما ذكر فيه نعم الانفس على ما ذكر فيه نعم الآفاق لكون ما في الانفس اصلا
بالنسبة الى ما في الآفاق فانه لولا اصل الوجود وما يتفرع عليه من القوى والآلات لما تيسر الانتفاع بشئ من النعم التي في الآفاق فحملهم ان يقروا
بان الذي خصهم بهذه النعم التي كل واحدة منها اعجب من البعث وادل على كمال قدرته وبديع حكمته يستدلون به على الاعادة ويستعدوا
لذلك اليوم فهذا هو وجه التخويف بهذه الآية وقوله كفاتا مفعول ثان لقوله نجعل لان المعنى الم نصيرها كافتة تضم الاحياء الى ظهرها
والاموات الى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض امّا للناس تشبيها لها بالام في ضمها للناس الى نفسها احياء وامواتا كالام التي
تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا يضمون اليها جعلت كانها تضمهم الى نفسها وكما ان الارض كفات لهم بمعنى انهم ينضمون اليها
ويسكنون فيها فهم ينضمون اليها ايضا من حيث انها تجمع لهم جميع ما يحتاجون اليه في معاشهم من المأكول والمشروب والملبوس والمركب
والابنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار وغير ذلك ايضا انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة ومعنى — الكفت

في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشي يكفته كفتا اذا ضمه وجمعه وفي الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة ويقال جراب كفيت وكفت اذا كان لا يضيع شيئا مما يجعل فيه وذكر المصنف في كفاتا اربعة اوجه الاول انه اسم لما يكفت كالضمام والجماع اسمان لما يضم ويجمع يقال هذا الكتاب جماع الابواب وضمام اصول الكتاب كما يقال للخيط الذي يشد به الشي شدادا والثاني مصدر كالكتاب والحساب وصفت الارض به للمبالغة نحو رجل عدل والثالث انه جمع كافت كالصيام جمع الصايم والرابع انه اسم جمع غير شتى وهو كفت بمعنى الوعاء فتكون الكفات بمعنى الاوعية ويكون على الوجه الثالث بمعنى الاشياء الكافتة ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان الارض شي واحد فكيف ان يطلق عليها لفظ الجمع اجاب عنه بقوله اجرى لفظ الجمع عليها باعتبار اقطارها قوله منتصبان به على المفعولية فان كفاتا سواء جعل مصدرا منونا او جمع اسم الفاعل ينصب المفعول به والمعنى على التقديرين الم نجعلها كافتة احياء وامواتا قوله وتنكيرها للتفخيم جواب عما يقال ان النكرة للفرد المنتشر فيكون المعنى ان الارض تكفت بعض الاحياء والاموات وليس كذلك بل هي كفات لجميع الاحياء والاموات وتقرير الجواب ان التنكير فيهما للتفخيم لا للافراد ولا للنوعية حتى يرد ما ذكر وتنكير اسم الجنس لقصد التفخيم لا ينافي كونه على ما يستغرق للجميع الافراد لانه في معنى تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون واجاب ثانيا بانا لا نسلم ان الارض كفات لجميع الاحياء والاموات بل هي كفات للبعض الذي هو احياء الانس وامواته فان الاحياء والاموات مطلقا غير منحصرة في احياء الانس وامواته لان بعض الحيوان يكفيه الهوا والبعض الآخر يكفيه الما فجاز ان يكون التنكير فيهما للافراد النوعية قوله او الحال من مفعوله اي ويجوز ان يكون انتصاب احياء وامواتا على انهما حالان من المفعول المحذوف اي لم نجعلها كافتة للانس والجن في حال كونهم احياء وامواتا وعلى التقديرين فهما منصوبان بكفاتا على ان يكون مصدرا وصف به او جمع كافتة واما على تقدير كونه اسما لما يكفت او جمعا للكفت بمعنى الوعاء فلا يكون عاملا لما تقرر في النحو ان الاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والالة مع كونها مشتقة لا تعمل وفي اسم المصدر خلاف واما اسم المصدر واسم الفاعل مفردا كان او جمعا فهما من الاسماء العاملة انتهى قوله او بنجعل اي ويحتمل ان يكونا منصوبين بنجعل اما على انهما مفعولان له وكفاتا حال من الارض بمعنى كافتة واما على انهما حالان من الارض وكفاتا مفعول له وعلى التقديرين يكون المراد بحيوة الارض كونها منبتة وامواتا لا تنبت قوله جبالا ثوابت على ان رواسي بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال فانها ثوابت على الارض لا تزول وشامخات صفة ثانية لذلك المحذوف وهو الشامخ العالي المرتفع قوله والتنكير اي وتنكير رواسي شامخات جملتها مالم يعرف ولم يروا ان ما يرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها والتنكير فيها وكذا في قوله ماء فراتا للتبعيض فان السماء فيها جبال ايضا لقوله تعالى من جبال فيها من برد وفي السماء ايضا ماء فرات بل هي معدنه ومعينه والفرات الماء العذب كما عدد الله تعالى انواع النعم بعليهم استفهم عن انعامه عليهم استفهام تقرير كانه قال قد انعمنا بها عليكم ثم هدد بالويل على التكذيب بهم وكفرانهم بها تعريضا بانهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر والعصيان وتخويفا لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا يوم الحساب والجزاء شرع في تخويفهم والوعيد عليهم ببيان ما يقال للكفرة المكذبين للبعث والجزاء يوم القيمة فقال انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون والظاهر ان القائلين هم خزنة النار او زبانية جهنم قوله خصوصا يعني ان المامور به اولا هو انطلاقهم الى انواع عذاب الآخرة عموما والمامور به ثانيا هو الظاهر انطلاقهم الى نوع مخصوص منه واختلفوا في انطلقوا الثاني هل هو على لفظ الامر او الماضي فقرا الجمهور انطلقوا بلفظ الامر وعن يعقوب انه قرا انطلقوا بفتح اللام على لفظ الماضي اخبارا عن انقيادهم للامر لاجل انهم مضطرون اليه لا يستطيعون الامتناع منه كانه قيل لهم كانوا يؤمرون في الدنيا بالايمان والطاعة فلا يلتفتون اليه ويكذبون من امر به فلما امروا في العقبى بالانطلاق الى ما كذبوا به سمعوا واطاعوا اضطرارا فلو طاعوا في الدنيا لكان خيرا لهم فيل هو تعبد لانه كان ينبغي ان يقال فانطلقوا ليرتبط الكلام باوله

على طريق قولك قلت له قم فقام ويمكن ان يقال تركت الفاء بناء على ان الكلام استيناف لبيان امتثالهم كرها بعد ما يقول لهم بلفظ الامر والامتثال قوله وظل من يحموم وهو الدخان الغليظ الاسود استشهد به المصنف على ان ظل المكذبين هو دخان نار جهنم قوله يتشعب لعظمه اشارة الى ان قوله تعالى ذي ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازم عظمته واستشهد قتاده على ذلك اي على ان المراد بظل المكذبين دخان نار جهنم كقوله تعالى احاط بهم سرادقها وقال سرادقة النار هو الدخان شبهه بالسرادق وهو واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق به ثم قال ان شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة اخرى على يساره وشعبة اخرى في جوفه قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا اكنان فتلفحهم الشمس وتسفعهم وياخذ بكظم ذلك اليوم انفاسهم وعند ذلك اليوم ثم ينجي الله تعالى برحمته من يشاء الى ظل ظليل منه ظلة فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون منه عذاب الله تعالى وعقابه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار ويتشعب منه دخانها ثلث شعب فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب والمؤمنون في ظل العرش تحت شجرة طوبى ولما كان عظم درجات جهنم مستلزما للتشعب تشعب لا محالة الا ان كون تلك الشعب ثلاثة لا ازيد منها ولا انقص فلعل وجه الوجه فيه ان حجب النفس عن الاستنارة بانوار القدس ثلاثة الحس والخيال والوهم فان كل واحد منها سبب تعلق النفس بعالم الطبيعة بالظلمانية فلكل واحد منها نوع من الظلمة تخصه فلا جرم شعب شعب العذاب على حسب تعددها مع ما يصدر من الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لا يصدر عنه الا بواسطة القوة الواهمة الغضبية والشهوية فلذلك شعب شعب العذاب ثلث شعب على عدد القوى المودية اليه قوله وغير مغن اي وغير مغن عنهم يعني ان قوله ولا يغني في موضع الجر بالعطف على قوله لا ظليل فانه مجرور على صفة لظل اي ظل غير ظليل وغير مغن وان مفعوله محذوف وهو شيئا ومن في من اللهب لبيانه وان قوله ولا يغني من اللهب من قول العرب اغن عني وجهك اي ابعده لان الغني عن الشي تباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يفسر باغناء شي من شي عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرم من احمر واصفر واخضر ثم انه تعالى وصف النار التي كان هذا الظل دخانها بانها ترمي بشرر عظيمة شبيهة بشيئين الاول القصر والثاني الجمالات الصفر والمقصود بيان ان تلك النار عظيمة جدا وقوله كل شررة كالقصر اشارة الى ان شررا جمع شرارة وهي ما تطاير من النار في الجهات متفرقا كالنجوم والقصر هو البناء العالي وصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده قوله ويؤيده اي ويؤيد ان شررا جمع وان وصفه بكونه كالقصر باعتبار كل واحد من احاده وقرى بشرار بفتح الشين والف بين الرائين كما ان الشرر بمعنى جمع شررة ق وقيل جمع قصرة بالفتحتين كشجرة وشجر ق وهي اي القصر اصل العنق ق والهاء للشعب اي ضمير انها في قوله انها ترمي بشرر ضمير الشعب وقيل هي ضمير النار المدلول عليها باللهب ق جمع جمل اي كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل الاول مثل حبل في جمع حبل والثاني مثل حجارة في جمع حجر ثم جمع جمال على جمالات كما يجمع رجل على رجالات وبيوت على بيوتات وكذا الجمع جمالة على جمالات فجمالات على التقديرين جمع الجمع قرا حمزة والكسائي وحفص جمالة والباقون جمالات قوله وقيل سود يعني قيل ان المشبه به هو الجمالة السود وعبر عنها بالصفر لكون سواد الابل يشوبه شي قليل من الصفرة لا يخلو عن بعد قوله

والاول اى قوله كالقصر تشبيه للشرر بالقصر في عظمته وقوله كانه جمالة تشبيه له بالجمالة في لونه وكثرته وتتابع بعضه بعضا واختلاطه وسرعة تحركه قوله وقرئ بها اى قرئ جمالة بضم الجيم كما قرئ جمالات بالضم وكلاهما من الشواذ قوله بما يستحق لان ينطق به لكونه مما ينتفع قائله اورد به دفع ما يتوهم من كون هذه الاية مخالفة للايات الدالة على انهم ينطقون يوم القيامة لقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى حكاية عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا وذلك لانهم وان نطقوا وتخاصموا الا انهم لما لم ينتفعوا بنطقهم بل كان جميع ما نطقوا به حجة عليهم وسببا لخجلهم وافتضاحهم جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع وهذا كما يقال لمن جاء بما لا ينتفع به ما جئت بشئ ثم اشار الى دفع المخالفة بوجه آخر حاصله ان يوم القيمة يوم طويل ذو مواقت ومواقف ينطقون في بعضها ولا ينطقون في بعض فقوله تعالى في هذه الاية لا ينطقون بشئ اصلا حكاية لحالهم في بعض المواقف ولا ينافيه ان يختصموا وينطقوا في موقف آخر من مواقفه والجمهور على رفع قوله يوم في قوله يوم لا ينطقون على انه خبر هذا والاشارة الى اليوم وقرئ يوم بالنصب ونصبه عند البصريين على الظرفية والاشارة الى غير اليوم اى هذا الذى يقدم من الوعيد واقع يوم لا ينطقون لانه انما يبنى عندهم اذا اضيف الى مبنى نحو يومئذ والفعل هنا معرب وعند الكوفيين هو مبنى على الفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم واجمع القراء على رفع قوله فيعتذرون عطفا على يؤذن ولم ينصبوه على انه جواب النفى لانه لو كان جوابا لكان عدم اعتذارهم سببا على عدم الاذن لان المضارع انما ينتصب بعد الفاء في جواب النفى اذا كانت الفاء سببية وذلك يوهم ان لهم عذرا لكنهم منعوا من ذكره لعدم الاذن ولما كان يوهم ان لهم ثم رفعوه عطفا على يؤذن ليجعلوا الفاء لمجرد العطف من غير ملاحظة السببية لئلا يتوهم ذلك فيكون النفى متوجها الى اذن يعقبه الاعتذار مطلقا اى قطع النظر عن كون عدم الاعتذار سببا عن عدم الاذن فلا يوهم الرفع ما اوهمه النصب فانه ليس لهم عذر في الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيما ارتكبوه من القبائح عذرا فلا يؤذن لهم في ذكره كالعذر الباطل واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بآيات الله ونعمه ولم يتفكر فيما نصبه من الدلائل الهادية الى سبيل الرشاد وهذه الاية تخويف للكفار وتشديد الامر عليهم بوجه آخر وذلك انه تعالى بين فيها ان ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح والكفر قدره على دفع العذاب عنهم فيحتج عليهم في هذه المواقف انواع من العذاب منها العذاب الروحانى الذى هو عذاب الخجالة والافتضاح على رؤس الاشهاد وهو اشد من العذاب الجسمانى قوله تقرير وبيان للفصل اشارة الى فائدة قوله جمعناكم والاولين والخطاب فيه لمكذبى خاتم النبيين والمراد بالاولين مكذبوا من قبله من الانبياء المرسلين على نبينا وعليهم افضل الصلاة والتسليم ووجه كونه تقريرا للفصل بين المحق والمبطل بالاثابة والعقاب ان الفصل يستلزم الجمع بينهم لتمكن الفصل بينهم فلما قيل جمعناكم والاولين كان ذلك تقريرا لما يفهم من قوله هذا يوم الفصل قوله تقريع اى هذا تجهيل لهم بانهم كانوا في الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضروب الحيل والتلبيسات فقال فان كان لكم كيد فكيدون لزيادة التجهيل والتقريع وهذا من قبيل العذاب الروحانى ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لا يتكلم به الا من يستغنى لعجز مخاطبه عن الكيد بالكلية تبكيتا له قوله لانهم في مقابلة المكذبين ان المراد بالمتقين هم الذين اتصفوا بالمرتبة الاولى من مراتب التقوى وهو التوقى من العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وذلك لان السورة من اولها الى اخرها نازلة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم من سوء عاقبته فيجب ان تكون هذه الاية ايضا نازلة لهذا المقصود والا لتفككت آيات السورة في نظمها وترتيبها وهذا المقصود انما يتم بان تكون الاية مذكورة لوعد المؤمنين بسبب ايمانهم وتوقيهم عن الشرك ليكون هذا نوعا آخر من تعذيبهم من حيث انه كان بينهم وبين المؤمنين كمال العداوة والبغضاء فلما بين الله تعالى في هذه السورة اجتماع العذاب على الكفار بين في هذه الآية اجتماع انواع السعادة والكرامة في حق المتقين عن الشرك لتتضاعف حسرة الكفار واحزانهم

فانهم اذا

فانهم اذا وانما لاغمهم وعذبا روحانيا الى ما هم فيه من العذاب الجسمانى والظلال جمع ظل وتنوينه للتعظيم وهو في مقابلة انطلق اليه الكفار من ظل ذى ثلاث شعب قوله اى مقولا لهم ذلك اى يعنى ان الجملة الامرية وما بعدها في موضع النصب على انها مقول قول مضمر منصوب على انه حال من المنوى في قوله في ظلال اى هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكذا قوله كلوا وتمتعوا في موضع الحال من المنوى في قوله للمكذبين اى الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قوله تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا جواب عما يقال كونه قوله كلوا وتمتعوا حالا من المنوى في المكذبين يقتضى ان يقال لهم هذا القول في الآخرة لان ثبوت الويل لهم انما هو في الآخرة فيكون هذا القول مقولا لهم في الآخرة ايضا وهو بعيد لان الكفار لا نصيب لهم في نعيم الآخرة وتقرير الجواب ان هذا القول يقال لهم في الآخرة الا انه ليس المقصود منه اباحة الاكل والتنعم لهم في الاخرة حقيقة بل انما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم ما هم عليه في الدنيا من ايثار الفانى على الباقى وانهماكهم في حب اللذة البشرية والاعراض عن السعادة الابدية فيكون الامر توبيخ وتحسر وتحزين ثم عدل المأمور به وهو الاكل والتمتع اياما قلائل بقوله انكم مجرمون للدلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم الهلاك والعذاب الابدى ويجوز ان يكون قوله كلوا واشربوا كلاما مستانفا خطابا للمذكورين في الدنيا ثم خوفهم بان اجرامهم شانهم العصيان وترك المأمور به وهو الركوع بمعنى الانقياد والخضوع بالايمان والطاعة وترك الاستكبار والعناد واما الركوع بمعنى الصلاة على طريق ذكر الجزء وارادة الكل قوله لا ينحنى والتخنية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفي حديث ابن مسعود في ذكر القيامة حين ينفخ في الصور فيقومون فيخنون تخنية رجل واحد قياما لرب العالمين وقيل التخنية تكون على حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قايم والوجه الآخر ان يكب على وجهه تاركا وهو السجن كذا في الصحاح فانها شبه اى ان هيئة التخنية هيئة تظهر وترتفع فيها الشبه وهى الاست اى الدبر او انها زمان ظهور الشبه وارتفاعها وفي التيسير فقالوا الا نجبى اى لا ننحنى للركوع والسجود فنعلوا اشباهنا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود قوله وقيل هو يوم القيامة فانه يقال لهم اركعوا يوم القيامة كشفا لحال الناس في الدنيا فمن كان يسجد لله تعالى في الدنيا ابتغاء لوجهه يمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع ان ينحنى فضلا عن ان يسجد فان يوم القيامة ليس بزمان تكليف حتى يكون اركعوا امر تكليف وايجاب بل هو صيغة ايجاب قصد به كشف حالهم قوله واستدل به على ان المراد للايجاب وجه الاستدلال انه تعالى ذمهم على ان بمجرد ترك المأمور به فلولا ان يكون تعلق الامر به سببا لوجوبه لما استحقوا الذم بتركه فدل ذلك على ان مجرد الامر للايجاب فان قيل انما ذمهم لكفرهم فالجواب انه تعالى قد ذمهم على كفرهم سابقا من وجوه كثيرة وانما ذمهم في هذه الآية لتركهم المأمور به فقط فدل على ان ترك المأمور به لا يجوز قوله وان الكافرين مخاطبون بالفروع وجه الاستدلال به عليه انه تعالى ذمهم على كفرهم بترك الصلوة فانه قد روى عن ابن عباس ان المراد بالركوع في هذه الآية الصلوة وقد دل عليه سبب نزولها ايضا فدل ذلك على ان الكافر مخاطب بفروع الايمان بمعنى انهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الايمان كذلك يستحقونه بترك الصلوة ثم انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار ووعيدهم وخوفهم بانواع من التخويف ختم السورة بالتعجب من حالهم وبين انهم في اقصى درجات التمرد والعناد حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن الجامع لاعجازه وحسن نظمه فقال فباى حديث بعده يؤمنون وهو جواب شرط محذوف يعنى اذا لم يؤمنوا فباى كتاب تؤمنون وقرئ بالتاء على خطاب الكفار والله اعلم

سورة النبا العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله اصله عن ما ادغمت النون في الميم لقرب مخرجهما فان اجتماع الحرفين المتجانسين والمتقاربين في الكلام يوجب

ان يكبّ ظ

استحقوا ظ

ضربا من الثقل فيدفع بطريق من الطرق ومن جملة طرق دفعه الادغام لانه يورث ضربا من الخفة واحد المتقاربين
لا يدغم في الآخر الا بعد قلبه بالآخر تخفيفا للمماثلة الموجبة للادغام قوله لما مر من ان حروف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية
تحذف الفها تخفيفا للفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية والاسمية نحو لم وبم والى م وعم ومم ونحوها وقرئ
عن ما باثبات الالف على الاصل كما في قول حسان على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد * وطرح الالف اكثر استعمالا
من اثباتها فان قلت الميم حرف شفوي ومخرج النون ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا الاولى العليا فلا تفاوت بينهما في المخرج فما
سبب الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة والغنة قد جعلتهما كالمتقاربين في المخرج والغنة مرة تخرج من الخيشوم كما ان حرف العلة مرة
يخرج من الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم والاغن الذي يتكلم من قبل خياشيمه قوله كانه لفخامته خفي جنسه فسال عنه يعني ان
كلمة ما سواء كانت لشرح الاسم او كشف الشيء المعلوم الموجود ارادة الطالب السوال يطلب بها شرح المفهوم او كشف الحقيقة العينية
والمطلوب لا بد ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشيء العظيم الشان المفخم
القدر وان لم يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسؤول عنه من حيث انه لفخامته وعظم شانه صار
كان عجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسال عنه كالاشياء التي جهلت مفهوماتها وحقايقها فطلب بما ولاجل هذه المشابهة
استعملت فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم تستعمل فيه منه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة
ما يجتنب ما العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم قوله او يسالون يعني يجوز ان يكون صيغة التفاعل في الاية على اصلها من الدلالة
على ان اصل الفعل بين اثنين فصاعدا بان يكون منهم فاعلا له من وجه ومفعولا من وجه كالتخاصم والتقابل وان يكون بمعنى الفعل
الثلاثي بان يكون مرفوعها فاعلا لا غير مثل يتداعونهم بمعنى يدعونهم قال الامام التساول هو ان يسال بعضهم بعضا كالتقابل
وقد يستعمل في ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعضهم لبعض سوال قال الله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم
اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين فهذا يعني التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض
لكونه بمعنى يسالون قوله للناس عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد بالناس على ذلك العموم من الكفار والمؤمنين اما المؤمنون
فيتساءلون او يسالون عنه ليزدادوا يقينا في ايمانهم بالبعث واما الكفار فعلى سبيل السخرية وايراد الشكوك والشبهات الا ان
قول المص فيما بعد كلا سيعلمون ردع للتساول ووعيد عليه يستدعي ان يحمل الناس على ما يعم اهل مكة وغيرهم من الكفار فقط
فان قلت ما تصنع في قولهم فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين على انكار الحشر قلت ما فان منهم من يقطع ببعثه ويقول ان هي الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ومنهم من شك فيه ويقول ما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وجمهور النصارى بعد اختلافهم على الوجه يثبتون المعاد الروحاني والمشركون لا يثبتونه ويختلفون في المعاد الجسماني قوله بيان لشان
المفخم فيكون عن الاولى متعلقة بيتساءلون المذكورة والثانية متعلقة بمضمر يدل عليه هذا الظاهر فالمعنى على اي شيء يتساءلون على سبيل
تفخيم المسؤول عنه وتعظيمه ثم بين ذلك المفخم فقال عن النبا العظيم اي يتساءلون عن النبا العظيم حذف متعلق الثاني للدلالة الاول
عليه قوله او صلة يتساءلون اي ويجوز ان يكون عن الثانية متعلقة بيتساءلون المذكور فيكون عم متعلقة بيتساءلون المضمر
الذي يفسره الظاهر فيتم الكلام بقوله عم مع متعلقه المقدر ويكون ما بعده مفسرا له ويكون التعرض لفخامة شان مسؤول عنه مقصودا
بالغرض ويدل على هذا الوجه قراءة من قرا عمه بهاء السكت فان هذه القراءة تدل على انه وقف على عمه وابتدا يتساءلون
عن النبا فهو يقتضي ان يتم الكلام عند قوله عم بان تكون كلمة عن متعلقة بمضمر يفسره ما بعده فيكون ما بعده كلاما مبتدا واما

وقفها السكت لان الف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا على ان الالف المحذوفة يوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة
عن السقوط حال الوقف وهذه هي الفايدة المطردة في جميع ما يوقف عليه بهاء السكت قوله يجزم النفي والشك فيه متعلق بمختلفون
وهذا على تقدير ان يكون ضمير الشان يتساءلون لاهل مكة فانهم كانوا ليسوا بمتفقين على انكار الحشر بل منهم من ينفيه جزما ومنهم من
يشك فيه او بالاقرار او بالانكار على تقدير ان يكون الضمير للناس كافة فانهم مختلفون فيه يقر به المسلمون وينكره الكافرون قوله
ردع ووعيد يعني كلا يرتدع عن التساول عزوا وسيعلمون وعيد للسائلين بانهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم قوله وثم للاشعار
بان وعيد الثاني اشد يعني ان لفظة ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد يستعمل في التراخي الرتبي اي لتباعد ما بين المعطوف
والمعطوف عليه في الرتبة تشبيها لتباعد الرتبة بالتباعد زمانا والمعنى المجازي هو المراد ههنا لان المقام مقام التهديد والتشديد
وزيادة التهديد انما تكون بالحمل على التراخي الرتبي ثم انه تعالى لما هددهم على استهزائهم بامر البعث والجزاء وبخهم بقلة
الدين وسخافة العقل بان ذكرهم بعض ما عاينوا مما يدل على كمال قدرته ووفور علمه وحكمته كانه قيل من بلغ علمه وحكمته وقدرته
الى هذه المثابة كيف يصح ان يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء يستلزم كونه تعالى عابثا في كل فعل
قوله مصدر سمي به ما يمهد اي يبسط يقال مهدت الفراش مهدا اذا بسطته ووطئته وسمي به مهد الصبي تسمية للمفعول بالمصدر
كضرب الامير والمراد الفراش وهو في الاصل مصدر ما هدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض المهدة اي لم
يجعل الارض بساطا ممهودا ينقلبون عليها كما ينقلب الرجل على بساطه ومهادا مفعول ثان لنجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال
مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا يحتملهما ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولا تميل باهلها كما
يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ قوله قطعا من الاحساس والحركة لما طعن بعض الملاحدة في هذه الاية قالوا السبات
هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما اجاب عنه بوجهين الاول ان السبت في اللغة يجيء بمعان منها الراحة ومنها القطع يقال سبت شعره
سبتا اي قطعه وحلقه ومنه سمي يوم السبت لانقطاع الايام عنده وسمي النوم سباتا لكونه مقطوعا عن الاحساس والحركة ولان
النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة لذلك خص ذكره في اثناء تعداد النعم الجليلة والثاني انا لا نسلم ان السبات هو النوم بل هو
الموت وفي الصحاح والمسبوت الميت والمغشي عليه فالمعنى وجعلنا النوم موتا واستدل على صحة هذا المعنى بقوله لانه احد التوفيين
لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها قال الامام وهذا القول عندي ضعيف لان الاشياء المذكورة في هذه
الايات من جلايل النعم فلا يليق ذكر الموت في اثنائها ولعل المص اشار الى دفعه بقوله لانه احد التوفيين فان الذي لا يليق في هذا المقام
هو التوفي بمعنى الموت حقيقة ولا يمكن ان يكون المراد بالاية على تقدير ان يفسر السبات بالموت ما يفهم من ظاهره بل هو من قبيل التشبيه
البليغ وذلك لان الموت انما يكون بانقطاع الروح عن البدن والنوم يكون بانقطاع اثر الحواس الظاهرة واستراحة القوى الحيوانية
مع بقاء الروح في البدن فهما متباينان فكيف يكون احدهما هو الاخر فلا يتم حملها على التشبيه البليغ ولا شك ان التشبيه بالموت نعمة
جليلة يليق ذكرها في مقام تعداد النعم وكذا الكلام في قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا ايضا من قبيل التشبيه البليغ قوله وقت معاش
يعني ان قوله تعالى ان معاشا اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش في عبارة المص مصدر ميمي يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة
ومعيشة والا لا بمعنى ثم فسر وقت التعيش بوقت التقلب لتحصيل ما يعاش به فقولنا النهار وقت تعيش معناه وقت تحصيل اسباب
التعيش وهذا التفسير مبني على ان يفسر السبات بالقطع عن الحركة فسر المعاش بما يتضمن الحركة لتحصل قوله او حياة تنبعثون فيها
من نومكم مبني على ان يفسر السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية المطابقة انما تتم ان لو قيل وجعلنا نعطكم حياة

الا انه ميز عن النقطة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا قوله السحاب ان فسرت المعصرات بالسحايب يكون اسم فاعل من اعصرت
السحاب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم يعصرها بعد وهمزة اعصر للحينونة كما في احصد الزرع اذا حان له ان
يحصد واعصرت الجارية اى حان لها ان تحيض تعصر الطبيعة رحمها فتحيض والا لكان ينبغى ان يقرا المعصرات بفتح الصاد على انها اسم
مفعول لان الرياح تعصرها وان فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب
والهمزة للحينونة ايضا لا للتعدية لانه يتعدى بنفسه ولما اذا كانت بمعنى الرياح ذوات الاعصار بهمزة افعل فيه تكون للصيرورة
فيكون اسم فاعل من اعصرت الريح اى صارت ذات اعصار وهى الريح التى تستدير فى الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل
هى ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق قوله وانما جعلت مبدا الانزال الماء جواب عما يقال كيف جاز ان تفسر المعصرات بالرياح وهى
ليست مبدا الانزال الماء بل المبدا لانزاله هو السحاب وتقرير الجواب ان الرياح وان لم تكن مبدا قريبا لانزال الماء الا انها سبب لتكون
مبداه الذى هو السحاب لانه انما يتكون وتنشا وتمتلى اخلافه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل مبدا للانزال بهذا الاعتبار
قوله ويؤيده اى يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وان كونها مبدا للانزال باعتبار كونها سببا لتكون مبدا القريب قراءة
من قرا بالمعصرات بدلا من المعصرات ووجه التاييد ان الباء للسببية والسببية فى المبدا الاتى الذى هو الريح اظهر منها فى
المبدا المادى وهو السحاب قوله يقال ثجه وثج بنفسه يعنى ان ثج قد يكون لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا بمعنى
صبه غير مكافى الحديث معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدى واختار المص كون ثجاجا فى الاية مبالغة
اسم الفاعل منه ثج اللازم حيث قال فى تفسيره منصبا بكثرته واختار الزجاج كونه من المتعدى حيث قال معناه انصباب
كانه ثج نفسه اى يصبه وايا ما كان فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به قوله وقرى ثجاحا بالجيم ثم بالحاء
قراة الاعرج ويفهم من قوله ومثاجح الماء مصابه ان ثجح متعدى بمعنى صب لا بمعنى انصب مضارعه ينثج يقال انثجح الماء
فى الوادى اى سال فقوله ثجاحا بالحاء مرادف الثجاج الماخوذ من المتعدى كما اختاره الزجاج قوله ما يقتات به القوت بالضم ما يقوم
به بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اى نخرج به حبا ليكون قوتا للانسان كالحنطة والشعير ونحوهما ونخرج به حبا ونباتا
ليكون علفا للحيوان كالبقل والحشيش وجنات الفافا ليتفكه بها الانسان والجنات الحدائق الملتفة الاشجار قدم لانه
هو الاصل فى الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج ساير الحيوانات اليه واخرت الجنات فى الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى
الفواكه قوله جمع لف اختلفوا فى الالفاف فذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له كالاوزاع والاضياف فان الاوزاع
الجماعات المتفرقة وكذا الاضياف للاخوة من الابا بين وامهم واحد وكثير من اهل اللغة اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا
فى واحده قال الاخفش والكسائى واحدها لف بالكسر كجذع واجذاع وقيل واحده لف بالضم وجمعها لف كحمر فى جمع حمرا
فيكون الفافا جمع كخضرا وخضر واخضار واستبعد صاحب الكشاف هذا الاحتمال بناء على ان الجموع التى جاءت
على وزن فعل لا تجمع على افعال فلا يقال فى جمع حمر احمار و لا فى خضر اخضار والقول بان الفافا جمع لف قول مخالف للقياس
وفى هذا الاستبعاد نظر لان الجمع لا يجمع بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكون له نظير فى المفردات فلفظ لف لما كان
نظير القفل وشغل من حيث الوزن صح ان يجمع على الفافا ولا يضره عدم استعمال احمار واخضار ثم قال صاحب الكشاف
ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وقال صاحب الكشف وفيه انه لا نظير له ايضا
لان تصغير الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى يعنى ان القول بان الفافا جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لا نظير له

ايضا وكانه

ايضا وكانه قاس تكسير الجمع على تصغير الترخيم وهو تحذف الزوائد كلها من الاسم ثم تصغر على ما بقى نحو ان يقال حميد فى احمد
ومحمد ومحمود ولا يبالى بالالتباس اعتمادا على دلالة القرينة ويقال سويد فى اسود وحريج فى محرج ومثل هذا التصغير
يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان يحذف زوايد الاسم
ثم ان تجمع ما بقى منه قوله كان فى علم الله تعالى او فى حكمه لما كان الاصل فى كان الناقصة الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها فى الزمان
الذى يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او مستقبلا لا جرم كان للماضى والمضارع للحال او الاستقبال ولكن
للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيدة بالزمان الماضى لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان
ايضا ولما لم يصح ان يكون المعنى كان ميقاتا فى زمان كذا فسره بقوله كان ميقاتا فى علم الله تعالى وفى حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء
الازلى والتقدير الالهى فهو غير العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن ارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما
لا يزال قوله حدا توقت به الدنيا اى نهاية ينتهى عندها بقاء الدنيا ووقتا يبتدى فيه احوال الاخرة وتوصيف الحد
بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت حيث قيده بكونه حدا ينتهى عنده بقاء الدنيا او بكونه حدا ينتهى اليه
الخلايق من الجن والانس كالميعاد والميلاد فان كل واحدة منهما اخص من مطلق الوقت لتقييد الاول بكونه زمان الوعيد
والثانى بكونه زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من الثواب والعقاب او بكونه
وقتا لاجتماع الخلايق فى موقف الحساب لما فصل ما يدل على صحة البعث وامكانه اتبعه بذكر يوم الفصل حد ينتهى
عنده هذا النظام المحسوس قوله او بيان ليوم الفصل يحتمل ان يكون المراد به انه عطف بيان ليوم الفصل وانه
منصوب بتقدير اعنى وافواجا حال من فاعل تاتون وهذا النفخ هى النفخة الاخيرة التى عندها يكون الحشر والنفخ
فى الصور اما بمعنى نفخ الارواح فى الاجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة نحو بسر جمع بسرة واما بمعنى نفخ اسرافيل عليه السلام
فى القرن والصور حينئذ اسم مفرد بمعنى القرن الذى ينفخ فيه للبعث قوله تحشر عشرة اصناف من امتى فانه قيل لم ذكر هيئة حشر العشرة
من امته عليه السلام حتى يكون الاصناف المحشور دون اجرعشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لا يخفى على احد ان المتقين يحشرون
على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة على حسب اختلاف الاعمال الحسنة وتفصيل ما ادى ان يحشر عليها من الاعمال
الصالحة والاخلاق المرضية بل مطمح نظره ونهاية قصده واعقاب معرفة هيأتهم القبيحة المحشر ومعرفة ما كان
سببا لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيات اهل المعاصى مع بيان الاسباب المودية اليها ولم يتعرض لهيات الصالحين تفصيلا
بل اكتفى بالاشارة الاجمالية من امتى بمن التبعيضية والتنكيس تعكيس هيئة القيام بان يجعل الرجل اعلى والراس
اسفل قوله ثم فسرهم بالقتات جمع قات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة القردة الثانى والثالث وهكذا
على ترتيب اللف والنشر وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التى يحشرون عليها يفضى الى تطويل الكلام فطلب
بيانها من علم التفسير قوله وشقت اى تصدعت بعد ان كانت شدادا لا فطور فيها فيكون قوله وفتحت السماء ههنا بمعنى
اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى قوله فصارت من كثرة
الشقوق كان الكل ابواب لما لم يمكن حمل قوله تعالى فكانت ابوابا على ظاهره لانه يقتضى السماء بكليتها ابوابا لم يبق فيها ما يعتمد تلك
الابواب عليها حمله اولا على التشبيه البليغ للمبالغة فى كثرة ابوابها فان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء كانها ليست
الا ابوابا مفتوحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اى كثرنا العيون فى الارض بحيث صارت بكليتها عيونا ينفجر وثانيا حمله على حذف

المفازة اى فكانت ذوات ابواب قوله فكانت مثل سراب ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله اذ اترى على صورة الجبال فان من يرى السراب
من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذى راه فيه لم يجده شيئا فكذلك الجبال تصير فى عين الراى كانها جبال وليس كذلك فى نفس الامر لتفرق
اجزائها وانبثاث جواهرها وصيرورتها كالعهن المنفوش ثم تتقطع وتتبدد فتصير هباء منبثا بعد استقرارها فى مواضعها ثم تنشق
وتقلع من مواضعها كما قال الله تعالى فقل ينسفها ربى نسفا ثم ترفعها الرياح عن وجه الارض فينظرها فى الهواء كانها غبار كما قال
وهى تمر مر السحاب اعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا هى احوال عامة القيامة ومن ههنا شرع فى وصف احوال جهنم واهوالها
فقال ان جهنم كانت مرصادا والمرصاد يحتمل ان يكون اسما للمكان الذى يرصد فيه الراصد العدو اى يرقبه كالمضمار
فانه اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل ويطلق على المدة التى تضمر فيها الخيل ايضا وهى اربعين يوما والضمر الهزال ولحوق
اللحم وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم يرده الى القوت وذلك يتم فى اربعين يوما وفى الصحاح الراصد للشئ الراقب له
يقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والرصد ايضا القوم الذين يرصدون كالحرس يستوى فيه
الواحد والجمع والمؤنث والمرصاد الطريق انتهى ما فيه ويحتمل ان يكون المرصاد من ابنية المبالغة كالمقطار والمطعان
والمعطار فالمعنى ان جهنم مبالغة ومجدة فى ترصد اعداء الله تعالى لئلا يشذ منها واحد والمصنف اشار الى هذا الاحتمال
بقوله او مجدة فى ترصد الكفرة ويجوز ان يكون العبارة او محده بالحاء المهملة من احددت النظر اذا اوجبت وقطرت
بالحدود والاحكام فيكون المرصاد بمعنى المبالغ فى النظر الى الكفار لئلا يشذ منهم احد وقوله كانت معناه انها كانت فى حكم
الله تعالى مرصادا اى موضع ترصد او مجدة فيه وقيل انها بمعنى صارت مرصدا قوله على التعليل لقيام الساعة المدلول
عليه بقوله يوم ينفخ فى الصور فتاتون افواجا كانه قيل ان يوم الفصل وقت تنتهى عنده الدنيا وتقوم الساعة فيه ووقت
تنتهى اليه الخلائق لان جهنم مرصاد التجزى كل نفس بما كسبت لان الترقب لا يكون الا لاقامة الجزاء قوله مرصادا خبر
كانت ومآبا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون بدلا من مرصادا اى انها كانت مرصاد الهم وحدا لا يتجاوزونه
ثم ان كان مرصادا بمعنى مجدة فى مرصد الكفرة يكون قوله للطاغين متعلق بمرصادا وان كان اسم مكان بمعنى كانت موضع ترصد
خزنة النار الكفار يجوز ان يكون صفة لمرصادا وان يكون حالا من مآبا لانه كان فى الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالا وعلى التقديرين
يكون متعلقا بمحذوف وان كان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها لا يجوز ان يكون للطاغين صفة
لمرصادا بل يكون حالا من مآبا ليكون قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما يصح الوقف عليه ويكون قوله للطاغين مآبا
كلاما مبتدأ ولعل المص اختار هذا الاحتمال حيث وصل قوله تعالى للطاغين بقوله مآبا ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا
للطاغين بين كمية استقرارهم هناك فقال لابثين احقابا وهو حال من المقدر المنوى فى قوله للطاغين اى مقدرين
اللبث فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعمول له والاحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر ومنه قوله تعالى او امضى حقبا
نقل الامام عن الفراء انه قال اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة واحتقبه واستحقبه
بمعنى اى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كانه جمعه واحتقبه من خلفه فلذلك فسر المص قوله احقابا بقوله دهورا متتابعة
اى يتبع بعضها بعضا والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة قال الحسن لم يجعل الله تعالى لاهل النار مدة بل قال احقابا فوالله ما هو
الا اذا مضى حقب دخل آخر ثم دخل آخر كذلك الى الابد وقال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون
يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا قوله وان كان فيه اى وان كان فيه ما يدل على خروجهم منها فذلك الخروج من قبيل المفهوم

قوله ولو جعل قوله تعالى لا يذوقون فيها الخ جواب ثان عما يرد على قوله تعالى لابثين فيها احقابا وهو دلالته على خروج الكفار منها وتقرير
الجواب سلمنا ان احقابا المنكر يدل على التناهى وعدم التتابع الى ما لا نهاية له لكن تناهى الاحقاب انما يستلزم تناهى اللبث
المقيد بمضمون الحال وتناهى اللبث المقيد لا يستلزم تناهى مطلق اللبث حتى يستلزم الخروج قوله او نصب احقابا بلا يذوقون
جواب رابع فيه تقديره ما ذكر تقرير ان تناهى الاحقاب يدل على تناهى اللبث فيها المستلزم لخروجهم عنها موقوف على قول
من يرى تقديم معمول ما بعد كلمة النفى عليها فى لا يكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث
قوله ويجوز ان يكون جمع حقب بكسر القاف وهو جواب خامس عنه تقديره ان ما ذكرتم مبنى على ان يكون احقابا ظرفا
للابثين وليس بلازم لجواز ان لا يكون ظرفا اصلا بل يكون حالا من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى مكذبين
يقال حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأ الرزق فهو حقب فعلى هذا يكون قوله لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا تفسيرا لتكذيبهم ولا يتوهم ح تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه قوله والمراد بالبرد ما
يروحهم كانه اشارة الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
وتقرير الجواب ان بردا وان كان نكرة واقعة فى سياق النفى المقتضى لعمومه فى كل برد الا انه خص بالبرد النافع المروح القائم
المخصص وقوله ولا شرابا اى ولا ماء باردا تخصيص بعد التعميم لكمال الماء البارد فى الترويح وقوله الا حميما وغساقا استثناء
منقطع لان الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المروح فى تسكين العطش فى شئ والحميم الماء الحار الذى انتهى حره والغساق
صديد اهل النار قوله او النوم سمى النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ومن امثال
العرب منع البرد البرد اى اصابنى من البرد ما منعنى من النوم قوله اى جوزوا بذلك جزاء وفاقا على ان جزاء مصدر مؤكد لفعله المحذوف
وقوله وفاقا صفة لجزاء بتقدير المضاف اى جزاء وفاقا او بان يوصف الجزاء بنفس الوفاق للمبالغة وفاقها لاعمالهم قوله او وافقها
وفاقا على ان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كجزاء فيكون الجملة صفة جزاء والتقدير جوزوا بذلك جزاء وفاق اعمالهم
وفاقا وجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار ابدا قوله بيان لما وافقه
هذا الجزاء اى بيان للاعمال القبيحة الناشية عن فساد القوة العملية فان من لا يخاف البعث والحساب يرخى عنان هواه فلا
يمتنع عن ارتكاب المنكرات ولا يرغب فى التحلى بالطاعات ولما كان الحساب من اشق الامور واصعبها على الانسان وكان الشئ الصعب
الشاق لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى ويخاف قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى انهم لا يرجون حسابا معناه لا يخافون
وكذا قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا معناه ما لكم لا تخافون عظمة الله تعالى ثم بين فساد قوتهم النظرية فقال وكذبوا
فقال وكذبوا باياتنا كذابا ولا شك ان من فسد كل واحدة من قوتيه النظرية والعملية وتباعد عن كل واحد من الاعتقاد
الصحيح والعمل الصالح كان فى غاية الرداءة ونهاية الفساد فاستحق ان يعاقب باهوال العقاب جزاء وفاقا فان صدوره
وان كان متناهيا الا ان قبح حاله لما كان غير متناه كان تعذيبه بالنار ابدا موافقا لحاله فى عدم التناهى فان ما جوزه فيه
من العذاب ان كان متناهيا من حيث انه تعالى قادر على ما فوقه من مراتب العذاب الا انه غير متناه بحسب المدة لانه مؤبد
فكل واحد منهما موافق للآخر فى مطلق عدم التناهى قوله مطرد شايع شائع كلم كلاما وفسر فسارا ما سمع قال صاحب الكشاف وكتب
اخرى به فقال بعضهم كعد فسر فسارا ما سمع بمثله قوله قال صدقته وكذبته والمرد ينفعه كذابه استدل به على ان الكذاب
مصدر كذب الثلاثى وان معناه الكذب وجه الاستدلال ان كذابه فيه وقع بعد الفعل الثلاثى فدل ذلك على انه مصدر لذلك الثلاثى

قوله او المكاذبة عطف على الكذب في قوله وهو بمعنى الكذب ثم ذكر لكونه بمعنى المكاذبة وجهين الاول ان يكون بناء المفاعلة للمشاركة
كما هي الاصل فيه والثاني ان يكون للمغالبة تنبيها على كونهم مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه فيكون كذابا مصدر
كاذب بمعنى بالغ في الكذب فانه يخرج الفعل الواقع من واحد على زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله ووجه التنبيه
ان الفعل الصادر عن اثنين على طريق مبالغة كل واحد منهما الاخر لا بد ان يكون اتم واقوى مما يصدر عن واحد لا مغالب له
فيه فاذا خرج الفعل الصادر ممن لا مغالبة له فيه على زنة المفاعلة كان تشبيها شبه ذلك الفعل بما يصدر عن المغالبين في القوة
والكمال قوله وعلى المعنيين وسما كونه بمعنى الكذب والمكاذبة يجوز ان يكون كذابا المخففة حالا من فاعل كذبوا على طريق استعمال
المصدر في معنى اسم الفاعل ويؤيده قراءة من قرأ كُذّابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر منصوب على الحال
والجملة معطوفة على قوله وانما اقيم مقام التكذيب يعني ان كذابا المخففة يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول مطلق لكذبوا المشدد
لتضمنه معنى الكذب بناء على ان كل من كذب الحق فهو كاذب ويجوز ايضا ان يكون منصوبا على الحالية قوله ويجوز ان يكون للمبالغة عطفا على
قوله جمع كاذب اي ويجوز ان يكون كذابا بالضم والتشديد بصيغة بمعنى الواحد البليغ في الكذب نحو رجل كبار وشاب حسان وذلك الواحد
البالغ في الكذب هو مصدر كذبوا او المعنى وكذبوا بآياتنا كذابا اي تكذيبا مفرطا كذبه قوله وقرئ بالرفع على الابتداء وقراءة الجمهور
بالنصب على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير وهو الاولى في هذا المقام بتقديم جملة فعلية قال ابن الحاجب يختار النصب
بالعطف على جملة فعلية للتناسب نحو جاءني زيد وعمرو اكرمته ثم انه تعالى لما بين ان ما يوجب الجزاء المذكور هو فسادهم بحسب
قوتهم العلمية والنظرية بين ان تفاصيل احوالهم الفاسدة عملا واعتقادا معلومة له فقال وكل شيء احصيناه كتابا ...
وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه فان قوله فذوقوا مسبب على تكذيبهم في الاصل وكذبوا باياتنا كذابا فذوقوا وفائدة
الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا كانه قال انا عالم بجميع ما فعلوه على وجه جزئي فاجازيهم جزاء وفاقا لاعمالهم وما انا
بظلام للعبيد قوله وفي الحديث هذه الآية اشد آية في القران على اهل النار لانها تدل على انهم كلما استغاثوا من نوع العذاب
اغيثوا باشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما اشرنا سابقا ثم
انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه ذكر ما وعد للابرار فقال ان للمتقين مفازا وهو يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الفوز بما يبتغى ويطلب فيه
حدائق بدل اشتمال منه وان يكون اسم المكان الفوز وهو الجنة فيكون حدائق بدل البعض والحدائق جمع حديقة وهي كل بستان محوط عليه
من قولهم احدقوا به اي احاطوا به وتنكيرا عنابا للتعظيم حالهم قوله فلكت ثديهن اي استدارت فصارت كالكعب في السوي يقال فلكت
يدي الجارية تفليكا اي استدارت كفلكة المغزل قوله لذات اي مستويات في السن واحدها ترب وواحد لذات لذة ولداتها فيها عوض
من الواو الذاهبة من اوله لانها من الولادة قوله ملانا فدهاقا مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق اي ممتلئ وصف به الكاس للمبالغة
في امتلائه للغوس الكلام في اثناء الشرب بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لا تتغير عقولهم فلا يتكلمون بلغو من نحو الهذيان والصياح
في العداوة ولا يكذب بعضهم بعضا فان كذابا بالتشديد بمعنى التكذيب فلا يسمع فيها شيء من ذلك قوله بمقتضى وعده جواب عما يقال انه
تعالى جعل ما وعد للمتقين جزاء وعطاء وهو كالجمع بين المتنافيين لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي
عدم ثبوته وتقرير الجواب ان ذلك تفضل وعطاء في نفس الامر وجزاء مبني على الاستحقاق من حيث انه تعالى وعد به لاهل الطاعة
وقوله عطاء بدل الكل من الكل من قوله جزاء لاتحادهما بالذات واختلافهما بحسب المفهوم وفي ابداله منه نكتة لطيفة وهي الدلالة
على ان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة وقيل انتصاب على انه مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم عطاء بيان

علان

على ان بمعنى العطاء قيل عليه انتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف كما صرح به المص انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل والمفعول
المطلق لا يكون كذلك لان الفعل لا يؤكد بان مع الفعل وانما يؤكد بالمصدر الصريح صرح به سيبويه في كتابه حيث قال ويعمل عمل فعله ماضيا
كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تأكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق في تأويل ان
مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا وفيه ان قوله هذا الجواب يدفعه قول سيبويه يعمل
عمل فعله اذا لم يكن مفعولا مطلقا قوله كافيا يعني ان قوله تعالى حسابا صفة لقوله عطاء على انه مصدر اقيم مقام محتسبا بمعنى كافيا
من قولهم اعطاني ما احسبني اي ما كفاني واحسبت فلانا اذا اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي ومنه قول ابرهيم عليه السلام
حسبي من سؤالي علمه بحالي اي كفاني من سؤالي قوله او على حسب اعمالهم فيكون ايضا صفة لعطاء اي عطاء كائنا على حسب اعمالهم ومقدارها فحذف
الجار ونصب الاسم فحسابا على هذا مصدر حسبه بمعنى عد ونه وقدرته وفي الصحاح حسبا حسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته
وقدرته والظاهر ان يقال على حسب ما وعد للعاملين من اصل الثواب واضعافه في مقابلة اعمالهم فان الجزاء وقع في القران على ثلاثة
اوجه الاول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والثاني ما دل عليه اية السنبلة وهو سبعمائة ضعف والثالث ما يدل عليه قوله تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فقول المصنف او على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزاء مثل العمل وذلك انما يكون في السيئة لا في الحسنة
والكلام في جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراده على حسب اعمالهم كون الاضعاف الموعودة التي هي المراد
بالعطاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف قوله وقرئ حسابا بفتح الحاء وتشديد السين على انه صيغة مبالغة حسبه
كذا اي كفاه وقياس فعال ان يبنى من الثلاثي كضراب وغلام وان يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال بني من افعال مبالغة مفعل
كما يقال اجبره فهو جبار اي مجبر وادرك فهو دراك اي مدرك ثم انه تعالى لما بالغ في وصف وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام بوصفه نفسه
بسعة الملك وكمال القدرة والسلطنة ونهاية الفضل والرحمة فقال رب السموات والارض وما بينهما قوله بدل من ربك اختار قراءة من قرا بجر
لفظي الرب والرحمن على ان الاول بدل من ربك والثاني للاول او المتبوعة وهذه القراءة قراءة ابن عامر وعاصم ثم ذكر قراءة الباقين وابن كثير المكي
ونافع المدني قراءة برفع الاول وان الباقين برفع الثاني ايضا ثم ذكر حمزة والكسائي قرءا بجر الاول ورفع الثاني ولما علم ان مراد المص ما هو
لاختلاف النسخ في بيان اعراب هذه الاية وقد ذكر شهاب الدين في معربه قرا نافع وابن كثير وابو عمرو برفع رب السموات والرحمن وابن عامر
وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني ويوافقه ما في التفسير للامام النسفي وهو قوله قرا عاصم وابن عامر رب بالخفض والرحمن
كذلك وصفا لقوله جزاء من ربك والباقون كليهما بالرفع على معنى هو رب السموات والارض وما بينهما الرحمن وقرا حمزة والكسائي رب
بالخفض نعتا للاول والرحمن رفعا للابتداء من الاول فرفع على تقدير هو الرحمن وقال الامام الرازي رب السموات والارض والرحمن
فيهما ثلاثة اوجه احدها الرفع فيهما وهي قراءة ابن نافع وابي عمرو والجر فيهما وهي قراءة عاصم وابن عامر والجر في الاول مع الرفع
في الثاني وهي قراءة حمزة والكسائي وكذا في شرح الشاطبية قوله اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه اي لا يمكن من جهته تعالى ان يخاطبوه
على سبيل الاعتراض عليه في حكم به بين العباد من اثابة البعض وعقاب آخرين على ان تنكير خطابا للتنويع ولا يلزم من عدم تمليكه
تعالى اياهم ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض انه لا يؤذن لهم في الشفاعة والاعتراض على الحاكم عبارة ان يتكلم فضولي في اثناء حكمه على قصد تغيير
ما حكم به والمتكلم بالاذن ليس فضوليا قاصد التغيير للحكم قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق اشارة الى ان هذه الآية فيها دلالة على
ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المقصود منها ان الملائكة والروح مع انهم افضل المخلوقات لما لم يقدروا ان يتكلموا في موقف القيامة
اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم اي عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا المقصود يستدعي كونهم

افضل الخلايق قوله تعالى الا من اذن له يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو لا يتكلمون وهو المختار بكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفي مثله يختار البدل وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع الماذون له في الشفاعة صوابا بان يشفع لمن ارتضى وبان كان من اهل الايمان والاقرار بالشهادتين فان المؤمنين لهم شفاعة وللانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لاحد الا لمن اذن له الرحمن الا في حق شخص اذن له الرحمن في شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا اي حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وبحقيقة جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس رضي الله عنه يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن في موضع الجر باضمار حرف الجر الا لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذي اريد به المشفوع له وذكره في قوله تعالى ذلك اليوم الحق مبتدا واليوم الحق خبره والاشارة الى اليوم الذي تقدم ذكره لما قرر الله تعالى عظمة يوم القيامة قال ان ذلك اليوم يوم اي ثابت كاين لا محالة في قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا المشركي العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اي انذرناكم عذابا كاينا يوم ينظر المرء عمله الذي قدمه والمرء عام مؤمنا كان او كافرا لان كل احد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان او شرا تمت سورة النبأ والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله صفات ملائكة الموت لان توصيف الملائكة بالنازعات مثلا يستدعي ان يصح توصيف الملك بالنازعة وليس كذلك لان الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالانوثة وانما يصح توصيف الملائكة بنحو النازعات والناشطات باعتبار كونهم طوايف مختلفة وكل طائفة منهم نازعة وناشطة اقسم الله تعالى بطوايف الملائكة فان اعوان ملك الموت طوايف مختلفة وجماعات مكثرة ووصفها الله تعالى تلك الجماعات بخمس صفات فان الواو الاولى للقسم وما بعدها للعطف فالصفات المذكورة لموصوف واحد هو طوايف الملائكة الموكلين بقبض الارواح والعطف لتغاير الصفات والنزع جذب الشيء بشدة والنشط جذبه واخراجه برفق ولين والاغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي الى المفصل والغرق اسم موضع للاغراق كالسلام للتسليم فلذلك فسر المص بقوله اي اغراقا في النزع وهو منصوب على انه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها لا لتعاقبها من حيث المعنى فان الغرق نوع من النزع فالمص خص طائفة النازعات بالتي تنزع ارواح الكفار بالقهر لشدة تعلقها بالابدان وذلك انه ليس كافر يحضره الموت الا عرضت عليه جهنم فيراها قبل ان يخرج روحه ويرى فيها اقواما مرة ينغمسون ومرة يرتفعون فعند ذلك تغرق روحه في جسده فينزعها الملك الموكل بقبض روحه بعنف وشدة من اقاصي بدنه حتى من انامله واظفاره فقوله غرقا على هذا مفعول مطلق للنازعات كما اشار اليه بقوله او نفوسا غرقة في الاجساد فانه معطوف على قوله ارواح الكفار والمراد النفوس الغرقة نفوس الكفار ايضا بقرينة النزع والنشط ولان نفوس المؤمنين ليست غرقة في اجسادهم بل اجسادهم محض سجن لارواحهم وخص طائفة الناشطات بالتي تنزع ارواح المؤمنين فان تلك الطايفة تخرج ارواح المؤمنين برفق ولين لكون ارواحهم راغبة في الطيران الى عالم القدس وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا ويرى منزلته في الجنة ويرى فيها اقواما من اهل معرفته وهم يدعونه الى انفسهم فعند ذلك ترغب روحه في الخروج عن ظلمة البدن وسجنه فيخرج الملك روحه لسهولة تعلقه ببدنه يسبحون في اخراجها سبح الغواص يعني ان قوله تعالى والسابحات سبحا استعارة تبعية شبه اخراجهم لارواح المؤمنين برفق ولطف باخراج الغواص ما التقطه من قعر البحر فكما ان من سبح في الماء يتحرك فيه بلطف ورفق بحيث لا يتاذى بنفسه ولا يدري بالجملة فكذلك الملك الذي ينشط روح المؤمنين ويخرجه برفق لئلا يحصل الم الرو وعندة فاطلق اسم المشبه به على المشبه واستعاره لفظ السابحات قوله فيسبقون فان قيل السبق لا بد له من المسبوق

فما فائدة المسبوق ههنا قلنا المعنى السبق ههنا كناية عن الاسراع لكون السبق من لوازم الاسراع والفاء في قوله فالسابقات فالمدبرات للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير الثواب والعقاب تعقيب حال كل طائفة في منزل وثواب والظاهر ان تدبير امر الثواب والعقاب في الجنة والنار من وظائف خزنة الجنة والنار لا من وظايف الملايكة الموكلين بقبض الارواح الذين هم الموصوفون بالصفات المذكورة لقول المص هذه صفات ملائكة الموت ولعل قول المص ان يبيتوها لادراك ما اعد لهم من الثواب والعقاب قوله او الاوليان وهما النازعات والناشطات لهم اي لملائكة الموت والثلاث الباقية لطوايف اخرى فيكون قوله والسابحات قسما ثانيا والواو التي فيها تكون للقسم لا للعطف وتكون الكلمتان اللتان بعدها عطفا على طريق عطف القصة على القصة كما في قوله والنازعات قسم ابتدائي وقوله والناشطات عطف عليه اقسم الله تعالى اولا بطوايف ملائكة الموت وثانيا بطوايف اخرى ينزلون من السماء مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن سبح في الماء واستعارة السبح للاسراع شايع كما يقال في الفرس الجواد سابح قوله او صفات النجوم عطف على قوله صفات الملائكة الموت وقوله تنزع من المشرق الى المغرب يدل على ان النازعات على هذا بمعنى الساهرات كانه مشتق من نزع الى اهله ينزع نزاعا اي اشتاق فكان النجوم في سيرها الى جانب المغرب اشتاقت اليه واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى المغرب واسناد النزع بمعنى السير الى النجوم يشعر بان النجوم تتحرك حركة دائبة من المشرق الى المغرب كما تتحرك لذلك من برج الى برج وكذا اسناد السبح اليها يشعر بذلك والظاهر ان الامر ليس كذلك بل حركتها الى مغاربها عرضية تابعة لحركة الفلك فينبغي ان يحمل قوله بان تقطع الفلك مبنيا على آثارها كذلك وان كانت هي في انفسها مركوزة في افلاكها وهي متحركة تبعا لافلاكها قوله وتنشط من برج الى برج نقل الامام هذا الوجه عن صاحب الكشاف ثم قال واقول مرجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله تعالى والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية وقوله والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها في افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل طاعية لذاتها فلا جرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثاني بالنشط فتامل ايها المسكين في هذه الاسرار قوله فتدبر امرا ينيط بها اسند التدبير اليها مع ان الامر كله لله من حيث ان الامور المنوطة بها المترتبة عليها مستندة اليها بحسب الظاهر وان كانت في الحقيقة مستندة اليه تعالى من حيث انه تعالى خلق الاشياء كلها بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها فان قيل لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة قلنا المراد بالامر الجنس فصح ان يعبر عن الجميع قوله فانها تنزع من الابدان اي تقلع تعلقها عن الابدان قلعا شديدا شبه تعلق بقلع لانها تعلق من كثرة الاتصال بالشيء فان نفس الميت توصف بالنزع فيقال لمن هو في صدد الموت فلان في النزع اي في قلع تعلق روحه ببدنه وتلك النفوس الفاضلة كما انها تنزع اي تعلق تعلقها بالابدان عنها تنشط اي تخرج منها الى عالم الملكوت ثم انها لا شتياقها الى الاتصال بالعالم العلوي ترتقي الى عالم الملكوت ومنازل القدس على اسرع الوجوه في روح وريحان بعد خروجها من ظلمة الاجساد فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لاشك ان مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها اليها ابطا ولاشك ان الارواح السابقة اشرف فلا جرم اوقع القسم بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هذه الشريفة لعلو همتها في تكميل النفوس القاصرة ولشرفها وقوتها لا يبعد فيها آثار وتدبيرات في هذا العالم فيكون من المدبرات الا ترى ان الانسان قد يرى في المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه

قوله او حال سلوكها عطف على حال المفارقة غير الابدان اى او هى صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها قوله اقسم الله بها
على قيام الساعة يعنى جواب القسم محذوف وهو ما التعيين ما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا ائذا كنا عظاما نخرة اى
انبعث اذا صرنا عظاما نخرة واقعة لانه تعالى قال والذاريات ذروا قال وانما توعدون لصادق وقال والمرسلات
عرفا ثم قال انما توعدون لواقع فكذا هنا فان القران كالسورة الواحدة وقيل الجواب مذكور وهو ان قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة
ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات غرقا ان ترجف الراجفة يحصل قلوب واجفة وابصارها خاشعة واما قوله تعالى
هل اتيك حديث موسى فان هل هنا بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية فانه بمعنى قد اتاك واما قوله تعالى ان
فى ذلك لعبرة لمن يخشى قوله وهو منصوب به اى بالجواب المحذوف اى هو قيام الساعة والتقدير والنازعات لتبعثن يوم ترجف
الراجفة فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيامة لا تقع يوم تضطرب الاجرام الساكنة الذى هو يوم النفخة الاولى وانما تقع
عند النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة اجيب عنه بان المراد يوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذى يحصل فيه النفختان
ولا شك انها تقع فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الثانية ويدل عليه ان قوله تعالى يتبعها الرادفة جعله
حالا من الرادفة فانه يستلزم كون الرجفان واقعا فى حال كون الرادفة تابعة له وان يكون فى زمان واحد لان الحال
يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لا يكون الا بان يكون المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة
والترجف الحركة والاضطراب ولفظ ترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضى ان يكون قيام مدلوله بفاعله حادثا بعد
نزول الاية والرجفة انما تحدث فى الاجسام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة فيتصور عروض الحركة
لها قوله او الواقعة عطف على الاجرام الساكنة والمراد بالواقعة النفخة الاولى سميت راجفة لكونها سببا للاضطراب
الاجرام الساكنة واسندت الرجفة اليها على طريق اسناد الفعل الى سببه والاصل ان يقال يوم ترجف الارض والجبال
بسبب حدوث الواقعة التى هى النفخة الاولى وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الساكنة يكون اسناد
الرجفة اليها حقيقة وح يكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة التى هى السماء والكواكب سميت رادفة لانها فى تغيير
احوالها الى الانشقاق والانتشار تتبع الاجرام الساكنة فى الرجفة والاضطراب قوله او النفخة الثانية هذا
تقدير ان تفسر الرجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل ما كان بعد شئ آخر ردفه اى جاء بعده والنفخة الثانية
تجئ بعد الاولى وكذا تغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فانها ايضا يكون رجفة السواكن
ونزولها قوله وهى صفة لقلوب اشارة الى وجه الابتداء بقلوب وهى نكرة يعنى انه وان كان نكرة لكونه موصوفا بقوله
واجفة والنكرة الموصوفة يجوز الابتداء بها فقلوب مبتداء ويومئذ ظرف لواجفة وابصارها مبتداء ثان وخاشعة
خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيفت الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف
واشار المص اليه بقوله اى ابصار اصحابها ويدل على قراءة الابصار ايضا قوله يقولون قال الامام خصص قوله قلوب يقولون
واجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون
بل المراد قلوب الكفرة ومما يؤكد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة وهذا لا يقوله الا
الكفار قوله ولذلك اى ولكون خشوع الابصار وذلتها ناشية من الخوف بحيث يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور
العظام اضاف الابصار الى القلوب التى هى محل الخوف وهو من احوالها وخواصها واضافة الابصار لما كانت فى معنى توصيفها

بتلك الاضافة اشعرت بكونها علة للحكم بالذلة وبان سبب ذلتها ما فى القلوب من الخوف والرجفة والوجيف خفقان
القلب واضطرابه ومنه وجيف الفرس والبعير فى العدو الايجاف وحمل الدابة على السير السريع وللمفسرين عبارات
كثيرة فى تفسير الراجفة ومعناها واحد قال الواحدى تفسيره خائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة شديدة الاضطراب
غير ساكنة ونحو ذلك ثم انه تعالى حكى عن منكرى البعث والقيامة اقوالا ثلاثة اولها قولهم ائنا لمردودون فى الحافرة
وثانيها قولهم ائذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال صدرت عنهم فى الدنيا
استبعادا للبعث وتعجبا منه والحافرة فى الاصل عبارة عن الطريقة التى سلكها المرء اولا واثر فيها قدمه بمشيه
عليها جعل اثر القدم حفرا وسميت الطريقة حافرة على التشبيه بمعنى انها ذو حفر كالبير ثم اطلقت الحافرة على الحالة
الاولى واول الامر حتى قال الواحدى الحافرة عند العرب اسم لاول الشئ وابتداء الامر قال الشاعر احافرة على صلع وشيب
معاذ الله من سفه وعار يقول اارجع الى ما كنت عليه فى شبابى من الغزل والتصابى بعد ان شبت وصلعت ثم
قال معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد فمعنى الاية انرد الى اول احوالنا فنصير احياء كما كنا قوله وقرئ فى الحفرة
وزن الحلمة وهو صفة مشبهة من قولهم حفرت اسنانه فحفرت حفرا اى فسدت اصول اسنانه وتقرحت بالاوساخ
وركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها مرة بعد اخرى والمراد بالحفرة على القراءة بها الارض الميتة المتغيرة بما فيها من
الاضات واجساد الموتى والمعنى ائنا لمردودون ونحن فى الارض المتغيرة بما انضم اليها من القاذورات لمردودون
فقوله فى الحفرة فى موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل يجوز ان تكون الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها قوله وقرأ
نافع اذا كنا على الخبر فكلمة اذا ح يكون مجردة فاستدلوا عليه بقول المردودون والتقدير انرد اذا كنا عظاما نخرة
وفيه زيادة استبعاد للبعث وان قلنا ان العامل ح يكون منصوبا لان صرف الاستفهام يمنع من ان يكون ما بعدها
معمولا لما قبلها والنخرة والناخرة بمعنى كل واحدة منهما على البلى والفساد الا ان النخرة لدلالتها على الثبوت
والناخرة على الحدوث وقيل النخرة هى التى تمئ على البلى والتفتت والناخرة هى العظام الفارغة المجوفة التى يحصل فيها من
عند هبوب الريح كشخير النائم لان النخير بمعنى البلى قوله ذات خسران او خاسر اصحابها بمعنى ان اسناد الخسران الى الكرة والحال انهم
هم الخاسرون والكرة محصور فيها اما على ان يكون بناء للفاعل للنسبة كتامر ولابن واما على طريق اسناد الفعل الى ظرفه قوله تلك حينئذ
اشير بها الى الرد والراجعة فى الحافرة وكرة خبرها واذا جواب وجزاء والمعنى ان كان البعث بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة
خاسرة والكر الرجوع يقال كره وكر نفسه وقولهم هذا استهزاء منهم بامر الحشر حيث ابرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة
المشكوك المحتمل الوقوع ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات اجاب بقوله فانما هى زجرة واحدة قوله متعلق بمحذوف يعنى ان الفاء تعليلية
والجملة على المحذوف والتقدير لا تستبعدوا تلك الكرة ولا تستصعبوها فانما هى سهلة هينة فى قدرة الله تعالى فانما هى الا صيحة
واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهى نفخة اسرافيل عليه السلام قال المفسرون
يحييهم الله تعالى فى بطون الارض فيسمعونها فيقومون قوله لان السراب يجرى فيها جعل جريان السراب فيها بمنزلة جريان الماء
عليها فقيل لها ساهرة تشبيها بالعين الساهرة اى الجارية الماء واختلفوا فى ان الساهرة هل هى ارض الدنيا ام ارض الاخرة
فقال بعضهم هى ارض الدنيا وقال آخرون هى ارض الاخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا الى ارض الاخرة فقال
ابو سعيد الساهرة هى صحراء على شفير جهنم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا فى ذلك الانكار الى

معمول لقوله لمردودون بحالها اذا
ائذا على الاستفهام فان عاملها حينئذ ما

حد الاستهزاء فقالوا تلك اذا كرة خاسرة وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له قصة موسى عليه السلام
وما تحمل من المشاق العظيمة في دعوة فرعون وبين عاقبة من اطاعه ومن عصاه فيكون ذلك تسلية له عليه السلام وتهديد
المكذبين كما اشار اليه المص بقوله فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه انتهى قوله اليس قد اتاك حديثه اشارة الى ان
هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة استغناء عنها بلفظة هل بكثرة وقوعها في الاستفهام بحيث صارت كانها علم
استفهام بنفسها فاستغني بها عن الهمزة واقيمت مقامها فكانت هل متضمنة معنى الاستفهام وهو تقرير للحكم المستفهم عنه
من الحال فلذلك قال المص في تفسير هل اتاك بهمزة الاستفهام وكلمة قد اي أقد اتاك وبلغك حديثه عن قريب معنى الاستفهام
حمل المخاطب على الاستقرار بما يعرفه قيل كما في الم نشرح لك صدرك والم يجدك يتيما واليس الله بكاف عبده وزاد كلمة ليس
في قوله اليس قد اتاك لكونه اظهر في الدلالة على ان الاستفهام للتقرير لان انكار النفي اثبات وهذا المعنى مبني على ان يكون
قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام واما ان لم يكن قد اتاه قبل ذلك فح يكون الاستفهام لحمل المخاطب على طلب
الاخبار اذ لا وجه لحمله على الاقرار ح قوله قد مر بيانه ذكر فيها ان طوى بالضم اسم للوادي المقدس فيكون عطف بيان
له لكون الاسم او منح وقيل ان طوى بالضم مثل طوى بالكسر فانها بمعنى ثنى بكسر الثاء وهو الشيء المثنى مقصورا لا مرية دمرتين
يقال ناديته طوى ومثنى اي مرتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق بنودي لنداءين وان يتعلق بالمقدس اي قدس مرتين وثنيت
فيه البركة والتقديس وقال الفراطوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية وهو اسم للمكان
وهو مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا عن جهة كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الي اذلم اجد في المعدول نظيرا اي لم اجد
اسما من الوادي عدل عن فاعله غير طوى وقيل طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون
وهذا قول ابن عباس انتهى قوله واذ في قوله اذ ناداه ظرف منصوب بحديث اي اتاك حديث الواقع حين ناداه ربه
لا بقوله اتاك لاختلاف وقت الاتيان والنداء ضرورة ان الاتيان لم يقع في وقت النداء وقوله اذهب مقول قول مضمر
اي اذ ناداه ربه فقال اذهب الطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين في اي شيء تعدى فلهذا قال بعض المفسرين
معناه انه تكبر على الله تعالى وكفر وقال آخرون انه طغى على بني اسرائيل بان استخدمهم غاية الاستذلال والتحقير
والاولى ان يحمل على الاطلاق والتعميم ويكون المعنى انه طغى على الخلق بان تكبر عليهم استعبدهم فكما ان كمال العبودية
لا يكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما قوله هل لك ميل الى ان
لك ضبر مبتدا محذوف وان كلمة الى متعلقة بذلك المحذوف ومثل هذا المحذوف شايع في الكلام يقال هل لك في الخير والتقدير
هل لك رغبة في الخير ومن قرء تزكى بتشديد الزاء ادغم احدى التائين في الزاء لقرب مخرجهما ومن قرأ بالتخفيف حذف
احدى التائين للتخفيف لان اجتماع المثلين يوجب التخفيف وذلك كما يحصل بالادغام يحصل بالحذف ايضا والتزكي عن
النقائص لا تتوقف على الهداية والارشاد عطف عليه قوله واهديك الى ربك فتخشى قدم الهداية على معرفة الله تعالى
لكونها اول ما يجب على المكلف في باب الاعتقاد ثم رتب عليه ما هو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى
فان من خشي الله تعالى يسارع الى الخيرات ومن امن تجرى على المعاصي والمنكرات قال عليه الصلوة والسلام من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وان ساروا من اخر الليل يقال انهم ادلجوا بتشديد
الدال قوله اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة تعليل لكون المضاف في قوله الى ربك هو المعرفة حيث قال وارشدك الى معرفته

قوله وهذا كالتعليل وذلك لان المامور به قوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام اذهبا الى فرعون فقولا له قولا
لينا مفهومه مجمل يحتمل صورا شتى والمامور به في هذه الآية صورة جزئية من محتملات القول اللين فيكون في منزلة
التفصيل له ووجه كونه لينا انه عليه السلام ابتدأ مخاطبة فرعون بالاستفهام عن ميله الى كونه زاكيا عما
لا يليق به ومتطهرا عنه ولم يخرج كلامه على صورة الامر والالزام ولم يصرح بما هو فيه من الجهل والشرك وكفران
نعمة خالقه ورازقه ويكون متوغلا في الضلالة والطغيان بسبب ذلك ونحو ذلك مما فيه عنف وغلظة ووجه كونه
كالتفصيل ظاهر وظهر منه انه لا بد في الدعوى الى معرفة الله تعالى وطاعته من سلوك سبيل الرفق واللين وترك
الخشونة والعنف ولذلك قال الله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
قوله فذهب بلغ ما شاء اشارة الى ان الفاء في قوله فاراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله اذهب الى فرعون فقل له
كذا وكذا ونظيره قوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اي فضرب فانفجرت وامثال هذا الايجاز
كثير في القرآن ومن قلب العصا حية اعلم انهم اختلفوا في الآية الكبرى على ثلاثة اقوال الاول انها اليد البيضاء لقوله
تعالى في سورة طه وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله مقاتل والكلبي
وقال عطاء هي قلب العصا حية وقال مجاهد هي مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اول ما اظهره
موسى عليه السلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان يكون مجموعهما واختار المص القول الثاني ثم ذكر واستدل
اعتبارا رابعا واستدل على ما اختاره بانها كانت متقدمة في الارادة حيث ابتدأ موسى عليه السلام بها وهذه دعت الى
الاولى فان العصا لما انقلبت حية اضمر موسى عليه السلام في نفسه خيفة منها وقصد ان تتقي بها الحية بيده فقيل
له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك
ذلك الصنيع من حيث انه تعالى لم يرض بان يخاف مما اظهره الله تعالى على يديه معجزة له فكما كانت الآية الاولى من الداعية
الى الاخرى كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى وذلك لانه ليس في اليد الا انقلاب لونه الى
لون آخر وهذا المعنى حاصل في العصا ثم حصل فيها امور اخر ازيد من ذلك منها حصول الحياة في الجرم الجامد ومنها
تزايد كميته وكبر جرمه وبطنه منها ابتلاعها اشياء كثيرة بحيث فنيت فيها ولم يرد ربه عظم بطنه وغير ذلك
وكل واحدة من هذه الوجوه كانت معجزة مستقلة في نفسه فعلم ان الآية الكبرى هي العصا قوله او مجموع معجزاته
وجعلها آية واحدة نظرا الى وحدتها الاعتبارية وهي كون الجميع معجزة دالة على صدق من ظهر هذا المجموع على يديه فصار الجميع باعتبار
وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر الآيات التي اعطيها النبيون قبل موسى عليه السلام
قوله وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر اي امر الرسالة لموسى عليه السلام من قبله تعالى من حيث انه قد اعتقد بقلبه
ان ما اظهره عليه السلام من المعجزة يمتنع ان يعارضه البشر وانه ليس الا فعل الله تعالى خلقه في يد موسى تصديقا له في دعوى الرسالة
وما روي من انه جمع السحرة وقال لهم انه ساحر عارضوه بالسحر ليظهر للناس كونه ساحرا او كاذبا في دعوى الرسالة انما هو
تعلل بالباطل ودفع للحس وتلبيس للامر على الناس لا لاعتقاده بانه يمكن معارضته واشار المص بقوله بعد ظهور
الآية الى فائدة عطف العصيان على التكذيب وهي ان مطلق التكذيب لا يلزم كونه معصية لاحتمال كونه تكذيب من لم يتحقق
صدقه وانما يكون معصية اذا كان ناشيا عن التمرد والعناد لكونه مقرونا باعتقاد كون من كذبه صادقا في دعواه

مصدر قام من قبله تعالى نكاله قيل فكذب بحاً وجه يستلزم معصية الله تعالى وقوله يسعى حال من فاعل ادبر سواء كان السعي في
ابطال امره عليه السلام او بمعنى الاسراع في المشي هاربا عن الثعبان وسواء اريد بالادبار الادبار عن الطاعة او الادبار عن الثعبان
وكلمة ثم في قوله تعالى ثم ادبر للاستبعاد الادبار المقيد بكونه حال كونه ساعيا في ابطال امره بعد ظهور الآية لا لمجرد الادبار عن
الطاعة لكونه عين العصيان فلا وجه لعطفه عليه بكلمة ثم قوله لعلى امور يلي امركم يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم الاعلى
انه خالق السموات والارض وما بينهما وما فيها فان العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه وجوزه كان مجنونا والمجنون
لا يبعث اليه رسولا يدعوه الى الحق بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والجزاء وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون
عليكم امر ونهي او يبعث اليكم رسولا ولا يحتاج الخلق الا الى من يلي امرهم ويحكم بينهم على وجه ينتظم به امر معاشهم ومعادهم
ولا يجري بينهم البغي والاعتساف وذلك الذي امركم انا لا غيري قوله اخذا منكلا يعني ان نكال اسم بمعنى التنكيل كالسلام
بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم وان التنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة مصدر محذوف
لاخذه الله وان اضافته الى الآخرة والاولى بمعنى في كضرب اليوم اي في اليوم والظرف للاخذ الموصوف لا لنفس التنكيل بمعنى
المنكل لان معنى الاخذ المنكل ان يفعل بالمسيء فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى مثل ذلك
الذنب الفعل المذكور لا ينكل في الدار الآخرة بخلاف ما فعل به من العقوبة في الدنيا او في الآخرة فان ما فعل في الدنيا ينكل
من رآه ومن سمعه عن اتيان مثل تلك الاساءة وما فعل في الآخرة ينكل عن سمعه وصدق به وان لم يكن منكلا لمن يراه
في الآخرة فقوله من يراه مخصوص بالذات المشكل الواقع في الدنيا وقوله او سمعه يتناول للاخذ الواقع في الدنيا والواقع
في الآخرة فان من سمع في الدنيا بما عوقب به المذنب في الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب
ولفظ النكال والشكل ينبئ عن الامتناع من الشيء وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اذا امتنع عن ان يحلف
ونكل عن العدو واذا امتنع عن معارضته ومحاربته حسا ومخافة به عن ذنبه تنكيل اي عاقبته على ذنبه
عقابا يحمل المعاقب على الامتناع من المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه
لان المعاقب بما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره تغيير حاله فيمتنع عن اتيان مثل ما اوتي ما اوتي به
وقيل نكال الآخرة منصوب على انه مصدر موكد للفعل المذكور حملا على المعنى لانه الاخذ في قوله تعالى فاخذه الله
نكال الآخرة والاولى عبارة عن العقوبة فكانه قيل نكل الله به نكال الآخرة اي تنكيلها قوله او على كلمة الآخرة
ومن هذه عطف على قوله في الآخرة بالاحراق وفي دار الدنيا بالاغراق وعلى هذا التفسير هما صفتان لكلمتي فرعون
اللتين اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيري واخراهما قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة فلما
ذكر الثانية اخذه بهما وهذا تنبيه على انه تعالى يمهل ولا يهمل واضافة النكال على هذا من قبيل اضافة المسبب الى
سببه فان كل واحدة من الكلمتين سبب الى ما اضيف اليه من النكال قوله او للتنكيل فيهما ولما عطف على قوله اخذا منكلا
اي ويجوز ان يكون انتصاب نكال الآخرة على انه مفعول له لقوله فاخذه الله نكال الآخرة سواء كانت الآخرة والاولى صفتين
للدار المحذوفة وكانت اضافة النكال اليهما بمعنى في او كانتا صفتين للكلمتين وكانت الاضافة من قبيل اضافة المسبب
الى سببه ويجوز ان يكون مصدرا موكدا للفعل نحو وعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله نكال الآخرة والاولى
وقد مر انه يجوز ان يكون مصدرا موكدا للفعل المذكور لان معنى اخذه الله نكل الله نكال الآخرة فان اخذه ونكله

متقاربان

متقاربان معنى كما يقال دعه تركا شديدا ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة اي فيما قصصنا عليك من
نصرة موسى عليه السلام وخزي فرعون لعبرة لمن يخشى شانه الخشية فانه يدع التمرد على الله تعالى وتكذيب انبيائه
خوفا من ان ينزل عليه مثل ما نزل بمنكري بعثة موسى عليه السلام وعلما بانه تعالى ينصر رسله واولياءه وانبيائه
كما نصر موسى عليه السلام فاعتبروا معاشر مكذبي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم
فيما اوجب عقابهم شاركتموهم ايضا في حلول العقاب بكم ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة راجع الى مخاطبة منكري البعث فقال
أانتم اشد خلقا اقسم الله تعالى اولا على قيام الساعة وبين مقدماتها الهائلة وزلة الكفرة فيها ثم التفت عن خطابهم
الى ان حكى الله عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هي زجرة واحدة اي لا تستصعبوها
فانها سهلة بينة في قدرة الله تعالى فالآن شرع في بيان سهولته فقال أانتم اشد خلقا وفسر المص الشدة بالصعوبة
لا بالصلابة لانه لا يلايم المقام اي اخلقكم بعد الموت في صغر جثتكم وضعف تاليفكم اصعب ام خلق السماء بلا مادة مع
عظم جرمها وقوة تاليفها وهو استفهام تقرير ليقروا بان خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر
على الاصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهذا ايسر واسهل فاعادتكم اولى ان تكون مقدورا لله تعالى فكيف
تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب من الآخر انما هو بالنسبة الى المخاطبين وقدرتهم وتقديرهم
فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لا تفاوت بينهما بالصعوبة والسهولة قوله تعالى أانتم مبتدا واشد
خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اي ام السماء اشد خلقا وبناها
مستانف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله ام السماء ويبتدئ من قوله بناها استعمل لفظ البناء في موضع ذكر
السقف فان سقف مرفوع والبناء انما يستعمل في اسافل البيت لا في الاعالي للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد
عن الاختلال والانحلال كالبناء فان البناء ابعد عن طريق الانحلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير
لفظ البناء في هذا الموضع قوله ثم بين البناء اي لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة
الاول ما يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها واعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمي سمكا واذا اخذ
من جانب اعلاه الى اسفله سمي عمقا والمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الارض او تحتها الذاهب
في العلو رفيعا حتى ذكروا ان ما بين الارض منها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة منها كذلك والثاني
من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله فسواها وفسر المص بوجوه ثلاثة الاول قوله فعدلها اي جعلها
متعادلة الاجزاء في سلامتها من العيوب وفي مشابهة اللون وفي ساير الاوصاف والثاني قوله او فجعلها
مستوية اي متساوية غير مختلفة الاجزاء بالارتفاع والانخفاض بان يكون بعض اجزائها اقرب الى المركز
بالنسبة الى البعض الآخر بل جعل جميع اجزائها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها
كرة قالوا لما ثبت كونها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاي ضرورة في الدنيا بنشاء من كونها كرة ويحتمل ان
يكون المراد باستوائها كونها مسطحة ملساء والثالث قوله وضعها واستعمال التسوية في معنى الاتمام والاصلاح
شايع والثالث من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها قوله وانما اضافه اليها يعني ان
حق الليل ان يضاف الى الارض لكونه اسما لزمان الظلمة الحاصلة في الهواء بسبب حيلولة الارض بينها وبين

الشمس فهو في الحقيقة ظلّ الارض الا انه اضيف الى السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب
الشمس بدونها اى يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة تكفي فيها ادنى الملابسة بين المضاف والمضاف اليه والظلام الحاصل
في الليل انما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره ولم يرد ان يقال قوله اغطش ليلها بمنزلة ان يقال حصل المظلم
مظلما فادجيه والوابع محذوفة كيفية بناء السماء ما اشار اليه بقوله واخرج ضحاها فالمراد الاخراج بالابراز
وهو الاظهار والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف اى واخرج ضحى بكرتها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى
والشمس وضحيها وحذف لدلالة الضحى عليه يريد النهار اى يريد ضوء الشمس النهار وانما عبر عن النهار بضوء
الشمس تسمية للمحل باسم اشرف ما حل فيه فان فضل النهار على الليل انما هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها
فهو اشرف ما فيه فسمى النهار به لذلك لما بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال
والارض بعد ذلك دحاها والجمهور على نصب الارض والجبال بفعل مضمر مفسر لما بعده اى ودحى الارض وارسى
الجبال والنصب هو المختار هنا لكون هذه الجملة معطوفة على الفعلية التي قبلها وبتقدير النصب يحصل التناسب
بينهما وكلمة بعد تقتضي ان يكون دحو الارض بعد خلق السماء ولا يعارضه قوله تعالى في سورة حم السجدة ثمّ
استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام لما روى عن ابن عباس رضي الله انه قال خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء فسوّيهن سبع
سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقد ذكر اختلاف الناس في خلق السماء والارض ايهما كان اولا في سورة البقرة وسورة
فصلت وقيل كلمة بعد هٰهنا بمعنى مع كانه تعالى قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتلّ بعد ذلك زنيم اى مع ذلك
وقيل انها هٰهنا بمعنى قبل كما في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اى قبل القران قوله ومرعيها اى كلاها
فان الرعى بكسر الراء الكلاء وبالفتح المصدر والمرعى في اصل اللغة يطلق على موضع الرعى بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس
المعنى المصدري الا انه لم يسمع استعماله في المعنيين الاخيرين ويطلق ايضا على الرعى بكسر الراء وهو الكلاء وهو مجاز
في هذا المعنى مبني على تشبيه الكلاء بموضع الرعى بالمعنى المصدري في تعلق الرعى بالفتح بكل واحد منهما ويجوز ان يكون المرعى
اذا اريد به الكلاء مصدرا ميميا بمعنى المفعول قوله تمتيعا لكم على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه اما
على انه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام اى متعنا بها تمتيعا او على انه مفعول له اى فعلنا ذلك
تمتيعا لكم قوله وتجريد الجملة عن العاطف جواب عما يقال لم جرد قوله عن العاطف مع كون الجمل المتفرقة مصدرة به واجابه
عنه اولا بان هذه الجملة في موضع الحال من مفعول دحاها باضمار قد فان الماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد له من قد ظاهرة
او مقدرة للتنافي الظاهري بين لفظ الماضي والحالية وباضمار قد يكون الماضي قريبا من الحال فيرتفع التنافي في مثله
يجوز ترك الواو كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها ومرعاها من العاطف
وثانيها انها جردت عن العاطف لكونها جملة مستانفة لبيان قوله دحاها فان معناه بسطها ومهدها للسكنى ودحو الارض
وتمهيدها للسكنى الحيوان لا يكون الا باشتمالها على ما لا بد في تاتي السكنى عليها من تهيئة امر الماكل والمشرب باخراج
الماء والمرعى ومن ارساء الجبال عليها اوتادا فتستقر فيتاتى السكون والقرار عليها والكلام المستانف لا يعطف
على ما قبلها فلذلك جرد عن العاطف ثم انه تعالى لما بين ان بعث الاموات هين عليه تعالى حيث قال انتم اشد

خلقا ام السماء بناها اخبر عن وقوعه وبين ما يكون وقت وقوعه من تذكر الانسان ما عمله وبروز الجحيم لاهل الساهرة بحيث
لا يخفى على احد فقال فاذا جاءت الطامة الكبرى اى بعد ما تبين لكم امكان البعث وسهولته فاعلموا انه اذا جاءت الطامة
اى الحادثة التي تطم على ما سواها وتقهره يقال جاء السيل فطم الركية اى دفنها وسواها وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد
طم قوله لكل راء هذا العموم مستفاد من لفظة من لانها من الفاظ العموم ويرى منزل منزلة اللازم وهذا العموم لا ينافيه قوله
تعالى في سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين لان اظهارها انما هو لتهديد الغاوين خاصة ولكن
المؤمنون يرونها الا انهم اما الكفار ومثواهم والمؤمنون يمرون عليها حال مجاوزة الصراط ويؤيده قوله تعالى وان منكم
الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ويحتمل ان يكون اظهارها لكل راء عبارة عن اظهارها
اظهارا بينا لانها صور اعمال المبطلين ابرزها الله تعالى يوم البعث بصور الحقيقة ليجازوا بها جزاء وفاقا ولا يلزم منه
ان يراها كل راء يجوز ان لا يراها الا اصحاب تلك الاعمال كما لا يرى جنة الاعمال الا اهلها قوله وما موصولة اى الذي سعاه
وعمله في الدنيا من خير او شر او مصدرية اى يتذكر سعيه قوله مرتب عليه يوم يتذكر اى اذا جاءت يتذكر الانسان سعيه
وما عمله ويعرف كل ما يستحقه وماواه قوله او ما بعده اى يجوز ان يكون جواب اذا محذوفا بل يكون قوله تعالى فاما من طغى
الى اخر الاية جواب اذا كانه قيل اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك فان الطاغي الجحيم مأواه وان الخائف الجنة مأواه فان قيل
على ما ذكرت يكون الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيلية الدالة على تفصيل ما اجمل سابقا ولم يسبق في الكلام
مجمل حتى يكون كلمة اما تفصيلا له فيكون لغوا خاليا عن الفائدة قلنا انها ليست للتفصيل هٰهنا بل هي حرف جيء بها
لتوكيد ترتب الجزاء على الشرط وبيان ان الحكم ثابت البتة كما في قولك اما زيد فمنطلق فان معناه مهما يكن من شيء فزيد
منطلق اى ان يقع في الدنيا بشيء يقع انطلاق زيد مترتبا عليه والمقصود القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما
لوقوع شيء ما في الدنيا وفي شرح الرضي جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقايم برفع دعوى لزوم التفصيل فيها ويحتمل
ان يكون قوله وما بعده معطوفا على قوله يوم يتذكر والمعنى ودل على الجواب المحذوف ما بعد قوله يوم يتذكر الانسان
من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت الطامة الكبرى يقع ما لا يدخل تحت الوصف والبيان ويكون قوله فاما من طغى
تفصيلا لذلك المحذوف قوله واللام فيه ساد مسد الاضافة الى ما لا يعود الى المبتدا يعني انه لا بد في الخبر من رابط يربط بالمبتدا
اذا كان جملة وكلمة من في قوله من طغى موصولة في موضع الرفع على الابتداء وقوله طغى صلته وقوله فان الجحيم هي المأوى خبره ولا
ضمير فيه يعود الى المبتدا فذهب البصريون الى ان تقدير الكلام فان الجحيم هي المأوى له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون
الى ان تقديره فان الجحيم هي مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس يعني ان ترك التعريف بالاضافة لعدم الحاجة
الى تعريف المأوى بالاضافة الى صاحبها لان كل احد علم ان صاحب المأوى هو الطاغي فلما لم يحتج الى الرابط لعدم الالتباس ترك
العائد ولم يضف الاسم بل عرف تعريف الحقيقة للدلالة على ان حقيقة المأوى في حقه هو الجحيم ليس الا وليست اللام في المأوى
لتعريف العهد اذ لم يسبق حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب لا صريحا ولا كناية فقوله واللام فيه ساد مسد
الاضافة ليس معناه انه ترك الاضافة الى العايد واقيم حرف التعريف مقامها من حيث ان حرف تعريف العهد يغني عطف
الاضافة الى الضمير في افادة الربط بل معناه انه ترك الاضافة الى الضمير لعدم الاحتياج الى ما يدل على الربط وعرف الاسم تعريف
الجنس مع توسيط ضمير الفصل بينه وبين اسم ان لافادة الحصر بين يدي ربه يعني ان المقام انما هو للعبد واضيف اليه تعالى

ومثل هذا الضمير لا موضع له عند الخليل ... ومعه ضميره ... وبعض يجعله مبتدا وما بعده خبره

لملابسته له تعالى من حيث كونه بين يديه ومقاما لمحاسبته والعبد اعا يخاف من ذكر المقام عليه لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخشية من الله تعالى
نتيجة العلم به والخشية من مقام المحاسبة العلم بالمعاد ولما كان الخوف من الله تعالى سببا ميسرا لمخالفة الهوى ونهى النفس عن الهوى
قدمه عليه ضرورة تقدم العلة على المعلول وكما ان الطغيان وايثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة اصلا لجميع القبائح والسيئات فكذلك
الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى اصل لجميع الطاعات والحسنات فكذلك كان الوصفان الاخيران سببا لكون صاحبهما من اهل الجحيم وكان الوصفان
الاخيران سببا للسعادة الابدية قوله متى ارساها على ان ايان ظرف زمان بمعنى متى مبنى على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام
وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات فان المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان مما زاد على الثلاثي يكون على لفظ اسم المفعول فيه
قوله مرساها مبتدأ وايان خبره قوله او منتهاها ومستقرها على ان يكون المرسى اسم مكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر فيه
كمرسى السفينة كان الساعة شيء متحرك ويجري الى جانب الوقوع وانما شبّه جريان السفينة الى مستقرها وكان المشركون يسمعون
اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت نزولها
قائلين ايان مرساها استعجالا بها واستهزاء بمن يخبر عنها وايهاما للاتباع انه لا اصل قال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها قوله من ان تذكر وقتها لهم اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة هي لهم والقرينة
الدالة عليها ذكره في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها فان ايان سؤال منهم عن وقت اتيانها ايان مرساها في سؤالهم
دلت على ذلك المحذوف والمعنى ما انت في شيء من تبيين وقتها لهم لانك لا تعلم وقتها لان الاستفهام في قوله فيم انت للانكار
مع ان تعيين وقتها لهم لا يزيدهم الا عنادا وعلى هذا انت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر قوله
وقيل عطف على فحوى كلامه السابق اي وقيل قوله فيم ليس خبرا مقدما لما بعده بل هو خبر مبتدأ محذوف اي فيم هذا السؤال
الواقع من الكفرة فتم الكلام عنده ثم استأنف بجملة انت من ذكراها بيانا لسبب الانكار على سؤالهم كانه قيل انها قرينة
غير بعيدة لانك علامة من علاماتها فارسالك يكفيهم دليلا على دنوها والاهتمام بتحصيل الاعتداد لها فلا معنى لسؤالهم
عنها قوله وقيل انه متصل بسؤالهم اي وقيل انه ليس من كلامه تعالى على احد الوجهين بل هو من تتمة قول المشركين ايان
مرساها والمعنى يسئلونك عن الساعة قائلين متى ارساؤها وفي اي شيء انت منها اسامر ان تذكر وقتها لنا فقال تعالى
في جوابهم الى ربك منتهاها علمها قوله وهو لا يناسب تعيين الوقت اي كونه صلى الله عليه وسلم مقصورا على الانذار لا يناسب تعيين الوقت
اذ لا مدخل لتعيين وقتها في الانذار وان محض الانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها بل المناسب لذلك تبيين ما يكون
حاملا للمبعوث اليهم على الخشية وتحصيل الاستعداد لها بالايمان والطاعة قوله على الاصل فان الاصل في اسم الفاعل اذا كان
بمعنى الحال او الاستقبال الاعمال والاضافة انما هي للتخفيف ثم انه تعالى لما بين كونه عليه السلام مبعوثا لمجرد الانذار من الساعة
وشدائدها بين ان شدتها بحيث انهم يوم يعاينونها يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في قبورهم ويزعمون انهم لم يلبثوا
فيها الا آخر يوم او اوله ويوم ظرف لما في كان من معنى الشبه ولما ورد ان يقال ما وجه اضافة الضحى الى ضمير العشية والعشية
لا ضحى لها وانما الضحى لليوم اشار الى جوابه بقوله اي عشية يوم او ضحاها يعني ان تنوين عشية عوض عن المضاف اليه وهو يوم
منكر ومعنى قوله او ضحاها او ضحى ذلك اليوم الذي اضيف اليه العشية الا ان الضحى والعشية لما كانتا من يوم واحد تحققت بينهما
ملابسة مصححة لاضافة احداهما الى الاخرى فلتلك الملابسة اضيف الى العشية والمراد اضافتها الى تلك العشية ومثله شايع
في كلام العرب يقولون آتيكم الغداة او عشيتها او آتيكم العشية او غداتها يريدون آتيكم نهارا او عشية النهار الذي تلك الغداة

اوله

اوله يحذرون ما حذف للاختصار   كان ممن خشيه الله في القيامة حتى ما يخرج الجنة قدر الصلوة المكتوبة عبارة عن
استقصاء مدة لبثهم فيها بما يلقى من البشرى والكرامة في البرزخ والموقف   تمت سورة النازعات بفضل الله تعالى ولطفه
سورة الاعمى بسم الله الرحمن الرحيم قوله يقال عبس اي كلح بوجهه يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى
اي اعرض بوجهه والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع وكان عليه السلام يدعوهم الى الاسلام تبليغا لهم ورجاء من يسلم
باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه الاصاغر قوله على اختلاف المذهبين اي في تنازع الفعلين
فان الفعلين المذكورين تنازعا واستدعى كل واحد منهما ان ينصب قوله ان جاءه على انه مفعول واعمل البصريون الفعل الثاني
لقربه منه اي تولى لان جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا الفعل الاول اي عبس لان جاءه وام مكتوم كنية ام ابيه وكان ابن ام مكتوم
معروفا بجدته لابويه روي انه لما نزلت الآية خرج عليه السلام في طلبه وهو يقول من راى الاعمى فلما لقيه عانقه وقال
لن تزال في عيالي ما بقيت عيال محمد صلى الله عليه وسلم وروي انه عليه الصلوة والسلام ما عبس في وجه فقير بعد نزول هذه الآيات
قوله وقرئ بهمزتين وبهمزتين بينهما الف للفصل بين همزة الاستفهام وهمزة ان ومعنى الاستفهام الانكار وعلى هاتين القراءتين
توقف على تولى ثم يبتدئ بقوله على ان جاءه على معنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك فقوله ان على هاتين القراءتين متعلق بما قبلها قوله
وذكر الاعمى للاشعار الخ جواب عما يقال ان الله تعالى لما عاتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم على مجرد انه عبس في وجه ابن ام مكتوم كان
ذلك تعظيما عظيما منه تعالى لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان
بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه اجاب عنه اولا بان ذكره بلفظ الاعمى ليس للتحقير في شانه بل للاشعار بعذره في الاقدام
على ما فعل والدلالة على انه احق بالكرامة وثانيا بانه كان لزيادة الانكار على ما فعل من العبوس والتولي لاهل الاعذار
ويسع في حقهم ما لم يوسع في حق غيرهم كانه يقول انه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك ان تخصه بالغلظة
والتولي وانما قال لزيادة الانكار استفادة من قوله عبس وتولى باسناد الفعلين الى ضميره عليه السلام بصيغة الغيبة فان مقتضى الظاهر
ان يقال عبست وتوليت عمن جاءك مسترشدا متوكيا بصيغة الخطاب والسلوك الى طريق الغيبة يشعر ان العابس والمتولي غير المخاطب
وانه يشكو الى المخاطب من فعله وذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لا يتصور وقوعه ممن جبل على خلق عظيم وبعث رحمة للعالمين
وانما المتصور ان يقع ذلك من غيره وان شكى المتكلم الى المخاطب منه وهو انكار عظيم لوقوعه فيكون ذكر ذلك المستهزئ بوصف
الاعمى مفيدا لزيادة الانكار عليه كانه قيل قد استحق ذلك المسكين عندك العبوس والاعراض عنه وكان من حقه ان يتزين
لعماه التعطف والاهتمام بامره كان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب في قوله وما يدريك هو زيادة الانكار على فعله فانه تعالى صور
فعله مع الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة من يشكو الى احد جانيا جنى عليه يقبل على الجاني حين التهب غضبه وحمي راسه مواجها
اياه بالتوبيخ والزام الحجة فكان الالتفات الواقع في الآية لمزيد الانكار فان قيل ان ابن مكتوم قد استحق التاديب والزجر
لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكن لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اولئك الكفار ويعرف بذلك
شدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم لشانهم فيكون اقدامه على قطع كلامه عليه السلام ايذاء له ولا شك ان ايذاءه عليه السلام معصية
عظيمة وايضا الاهم مقدم على المهم وقد كان اسلم ابن مكتوم اسلم ويعلم ما يحتاج اليه من امر الدين بخلاف الصناديد
المذكورة فانهم لم يسلموا بعد وقد كان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان الاستمرار على دعوتهم وتقرير
الدلايل والزام الحجة عليهم اهم واليق بحاله عليه السلام وكان قطع الكلام معهم والاقبال على ابن ام مكتوم تقديما

انما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب واجيب عنه بوجهين احدهما ان الاول كما ذكرتم الا انه عليه السلام م

للنفع القليل على الخير العظيم ولا وجه فثبت بهذين الوجهين ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب الزجر فكيف عاتب
الله تعالى رسوله على ان ادبه بترك الاقبال عليه والتولى عنه والحل انه عليه السلام عوتب بناء على ان ما فعله يوهم ظاهره
تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة وثانيهما ان ابن ام مكتوم
وان كان قد استحق التاديب التولى الا انه تعالى لم يعاتبه عليه السلام على ذلك بل على ما كان في قلبه من الميل اليهم بسبب
قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم ومن ينفر طبعه عن الاعمى بسبب عماه وقلة شرفه وعدم قرابته فلما كان العبوس
والتولى لهذه الداعية لا لاجل تاديبه على ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك قوله واى شيء يجعلك داريا بحاله اى بهذا الاعمى
قدر للفعل الادارية مفعولا تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعولا له بل تم الكلام عند قوله وما يدريك فيوقف عليه ابتدا بما
بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفى اى لا يدريك شيء ثم ابتدا فقال لعله يزكى على ان
ضمير لعله للاعمى ولعل في كلامه تعالى مستعمل في معنى القطع والتحقيق مجازا فان لعل ونحوه في كلام العظما يراد بها ذلك وتلقف
الشيء تناوله بسرعة والمراد به ههنا الاستفادة والتعليم قوله وقيل الضمير في لعله للكافر فعلى هذا كله لعل على اصل معناه
الذى هو الترجى الكاين من قبله عليه السلام ولذلك قال انك طمعت في اسلامه قوله قرا عاصم فتنفعه بالنصب الباقون بالرفع
فمن رفعه جعله معطوفا على تذكر ومن نصبه جعله جوابا للعل بالفا فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفا بشرطين
احدهما السببية وثانيهما ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى والاستفهام والتمنى والعرض ولا شبهة في تحقق الشرط
الاول ههنا بخلاف الشرط الثانى فانه غير متحقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجى على التمنى من حيث ان متعلق كل واحد منهما غير موجب
بل مطموع في حصوله بعد فقدانه بعد الترجى كما قدرت بعد التمنى ليكون الفعل معها في تاويل المصدر فعطف المصدر على المصدر
الاول هربا من عطف الاخبار على الانشاء فتقدير الآية فلعله يكون منه تذكر فانتفاع ونظيرها قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب
ثم قال فاطلع بالنصب على قراءة حفص والمعنى لعله يكون تمنى بلوغ الاسباب والاطلاع الى اله موسى ويحتمل ان تكون كلمة لعل
ههنا للتمنى كما يدل عليه عبارة الكواشى حيث قال ونصب على جواب التمنى قال صاحب المفتاح وسبب توكيد لعل مع التمنى في قولهم
لعلى ساحج فازورك وهو بعد المرجو عن الحصول قوله تعالى اما من استغنى اى عن الله تعالى وعن الايمان وعن التزكى بما له من المال كذا
كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقول المص بما بعده سرع طالبا للخير بدل على ان المعنى ههنا من استغنى عن طلب الخير مطلقا والتصدى
للشيء عبارة عن التعرض عدل والتقيد به والاهتمام بشانه بالقلب الغالب وتقبل عليه بوجهك وتميل اليه بقلبك وضده التشاغل
عنه بالميل الاخرى ويقال له التلهى والتغافل واصل تصدى يتصدى يقال تصدد يتصدد اذا كان في صدده وقربه ومواجهته
والصدد ما استقبلك وصار في قبالتك وفي الصحاح الصدد القرب يقال دارى صدد داره اى قبالتها نصب على الظرف حذف
تاء التفعل من يتصدد للتخفيف وابدلت الدال الاخرة ياء كما في تقضى البازى ومن قرا تصدى بتشديد الصاد ادغم تاء التفعيل
في الصاد بعد قلبها صادا وقرى تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد اى يحمل وتدعى الى التعرض والتعدى له اى يدعوك داع الى التعرض
والتصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه قوله وليس عليك باس اشارة الى ان ما في وما عليك نافية بمعنى ليس حذف اسمها وعليك
خبرها وقوله الا يزكى في موضع الخبر بكلمة في المقدرة المتعلقة باسم لا وهو باس المقدر والجملة في موضع النصب على انها حال
من فاعل يتصدى مقررة لجهة الانكار ويجوز ان يكون كلمة ما استفهامية على معنى اى شيء عليك وان لا يتزكى بالاسلام من تدعوه
وتتصدى اى لا شيء عليك فيه فيؤول المعنى الى كونها نافية وقوله يسعى حال من فاعل جاءك وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى

على الدا

١٢٢

١٣١

على التداخل اى يسعى حال كونه خائفا من الله تعالى في ان يقصر في اداء شيء من تكاليفه وما اوجب عليه قوله للاشعار بان العتاب
على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه على الفقير لا عن مجرد تعبيس الوجه والتولى عنه ووجه الاشعار انه تعالى ذكر التصدى له
بوصف الاستغنا فاشعر بان سبب العتاب على تصديه عليه السلام هو جعل تصدى تصديه متعلقا بالمستغنى وكذا
وصف المتلهى عنه بالسعى والافتقار الى الخير والخشية تدل على ان سبب العتاب هو التلهى عمن اتصف بالوصف المذكور
والظاهر ان المراد بالغنى المستغنى عما دعى اليه من التزكى بالايمان والطاعة وبالفقير الطالب المحتاج الى ذلك فانه عليه السلام
حاشى منه ان يكون تصديه للصناديد لاجل شدتهم وكثرة اموالهم وتلهيه عن الاعمى لعدمه وفقد ماله قوله
ردع عن المعاتب عليه وهو تلهيه عليه السلام عمن جاءه يسعى ويخشى وتصديه لمن استغنى عن الحسن انه قال لما تلى
جبرئيل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كانما اسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله
تعالى عليه فلما قال كلا سرى وانكشف قوله والضميران اى ضمير انها وضمير ذكره فان كان للقران يكون وجه ارتباط
هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء الصناديد عن قبول ما دعاهم اليه عظم شان القران ووصفه بانه
هدى للناس وتذكرة لهم دليلى شرفه وعلو قدره بقبول الصناديد اياه حتى تتهالك على قبولهم اياه بل ان
شرف القبول بقبولهم اياه واتعاظهم به فمن شاء اتعظ به واقتصر على تبليغه اليهم ودع الحرص على قبولهم و
ايمانهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطييبا لقلوب من استغنى عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط
انه تعالى لما عاتب النبى صلى الله عليه وسلم على ما وقع منه من الاهتمام باسلام الصناديد لتضمنه قلة المبالاة لشان ضعفاء
المسلمين مع جلالة قدره الشريف عنده تعالى عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اى موعظة للسامعين فاتعظوا بها
يا معاشر من يطلب تحلية النفس بالاخلاق الحميدة والآداب المرضية ولا زموا باجلال الفقراء التابعين تزكية نفوسهم عن
المعاصى وتحليتها بالطاعات قوله صفة لتذكرة فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الخبر وبين نقل عن صاحب
الكشاف انه انكر كونه اعتراضا وقيل شرط الاعتراض بالواو ابواعنها وانا الاعتراض بالفاء فغير مفهوم واجيب بان هذا
النقل منه ينافى ما صرح به الزمخشرى كما في قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون في سورة النحل من انه من الاعتراض
على بعض الوجوه ويحتمل ان يكون في صحف حالا من ضمير انها وعلى التقديرين لا يوقف على قوله فمن شاء ذكره ويوقف عليه
ان جعل في صحف خبر مبتدا محذوف اى هى في صحف وهو جمع صحيفة وهى الصحف التى انتسختها الملائكة من اللوح وهى مكرمة
عند الله مرفوعة في السماء ويحتمل ان يكون المراد بالصحف صحف الانبياء عليهم السلام لقوله تعالى ان هذا لفى الصحف
الاولى وهى صحف الانبياء المتقدمين اشار المص الى الاحتمالين بقوله كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح
المحفوظ او الوحى والسفرة كالكسرة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب جمع سفرا كتب والسفر بالكسر الكتاب وبالفتح
مصدر بمعنى الكتابة قوله او سفرا عطف على قوله كتبة اى ويحتمل ان يكون سفرة جمع سفير وهو الرسول الذى شانه
السفارة والتبليغ والى المعنيين اشار المص بقوله جمع سافر من السفر او من السفارة وهى الرسالة اما من الله تعالى
الى الرسل فيكون السفرا الملائكة واما من الله تعالى الى الامة فالسفر بهذا المعنى هم الرسل من البشر قوله والتركيب للكشف
اى تركيب حروف السفر سواء كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الرسالة والتبليغ ينبئ عن الكشف
والتبيين اما على الاول فلان ما في الكتاب معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتاب سفر وللكاتب سافر لان كل واحد

انما بعث ليؤدب المؤمنين و... الآداب واجيب عنه بوجهين احدهما ... كما ذكره ثم الا انه عليه السلام

منها يبين الشئ ويوضحه واما على الثاني فلان السفير يعبر عن مرسله ويكشف عنده حكمه ولما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين
الاول انهم كرام اي يكرمون عند الله تعالى والثاني انهم بررة اتقياء مطيعين فان كل واحد من الملائكة والانبياء عليهم السلام
كذلك قال الامام قوله تعالى مطهرة بايدي سفرة تقتضي ان تكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هؤلاء السفرة
فقال القفال في وجهه انها لما كانت لا يمسها الا الملائكة المطهرين من ... والمراد تنزهها عن ايدي الشياطين وما
ذكر من قول الامام مبني على ان يكون الباء في قوله تعالى بايدي سفرة متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف هو صفة
لصحف اي في صحف كائنة بايدي سفرة ويجوز ايضا تعلقها بما تعلق به كلمة في في قوله صحف انها مثبتة في صحف كائنة بايدي
سفرة كذا قوله دعاء عليه باشنع الدعوات فان القتل اشد شيء واشنعها فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز
والقادر على كل شيء كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب فانهم اذا انكروا فعل احد يقولون قتله الله
والمقصود بيان انهم استحقوا انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح فانه تعالى لما وصف صناديد بالاستغناء عن الهدى
والتمادي في الاغترار عالم من اسباب الردى وهددهم بقوله فمن شاء ذكره عجب عباده المؤمنين من ترفع الكفار عن التذكرة
والاتعاظ بهذه التذكرة البليغة والذكر الحكيم كانه قيل اي سبب في هذا الاستغناء والترفع من اوله نطفة قذرة وآخره
جيفة مذرة وفيما بين الوقتين حال القذرة فقال قتل الانسان ما اكفره وهو صيغة التعجب ووضوح دلائل الوهيته ووحدانيته
وكمال قدرته وتعاظم شيئته ومن كفر بجلائل نعمه وهو لكثرة حالة الفعالية لم تعرض للنفس عند مشاهدة ما خفي سببه فهو تعالى
منزه عن ذلك فذلك تعجب من الله تعالى لخلقه اي اعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل الوهيته ووحدانيته وكمال قدرته
وكمال شيئته ومن كفر بجلائل نعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه من بدء خلقه الى ان يتوارى في حيزه ويحتمل ان تكون كلمة ما في ما
اكفره استفهامية ويكون معنى الاستفهام فيه التقريع والتوبيخ اي اي شيء حمله على الكفر قال المفسرون نزلت الآية في عتبة بن
ابي لهب وقيل المراد بالانسان الصناديد الذين اقبل عليه السلام عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر
ترفع بسبب غناه على الفقراء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لغفرهم ... يعم الحكم بسبب عموم العلة قوله بيان لما انعم عليه
ليتضح كفرانه بنعم الله تعالى وابتداء باول ما انعم به عليه من مبدا حدوثه وهو خلقه من هذه الصورة الحقيرة من مثل تلك
المادة الحقيرة لكون هذه النعمة اصلا لجميع النعم المتعلقة به الى آخر ... والخصوصية وصف للنعمة التي نبها بقوله من مبدا
حدوثه فان حدوث من هو في احسن تقويم من مثل تلك المادة نعمة جلية ولا وجه لجعلها وصفا للنعم على ان النعم المذكورة
ليست مخصوصة بالانسان الذي دعي عليه بقوله قتل الانسان ضرورة اي ما فيه من التعريف ليس للاستغراق والنفي الحقيقية فلا بد
ان يكون للاشارة الى حصة معينة تعيينا نوعيا او شخصيا قوله والاستفهام اي للتحقير اصله للاشعار بان كل من كان
اصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر في الكفران بحق من انعم عليه بهذه النعم الجليلة كما قال الحسن كيف يتكبر من خرج
من سبيل مرتين قوله فهياه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال لما كان خلق الشيء عبارة عن احداثه على وفق التقدير ... سوغ
على التقدير وقد جعل التقدير في الآية متفرعا على الخلق حيث قيل خلقه فقدره فلذلك فسر التقدير المعطوف على الخلق بالهيئة
فان التقدير قد يستعمل بمعنى الهيئة ايضا فيقال قدره فتقدر بمعنى هياه فتهيا فالمعنى احدثه احداثا ثم راعى فيه التقدير الازلي
في مقدما يتعلق باعضائه واشكاله وكميته وكيفياته فهياه لما يصلح له من الاحوال العارضة له والمصالح المتعلقة به في بادي
الدين والدنيا قوله او فقدره اطوارا اي ويجوز ان تكون الفاء للترتيب في الذكر بان يكون قوله فقدره تفصيلا لما اجمل بقوله

كذا

من نطفة

من نطفة خلقه فانه وان وقع جوابا لقوله من اي شيء خلقه الا انه اجمل فيه كيفية خلقه من النطفة ففصل ذلك المجمل
بقوله فقدره اي قدره في حق ذلك المخلوق اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وانما عطفه
بالفاء لان التفصيل يعقب الاجمال قوله والهمه ان ينتكس اي ينقلب عن الهيئة التي كان الجنين عليها في بطن امه فان راسه
وهو في بطن امه الى جانب صدرها ورجليه الى جانب رجليها وكانت فوهة الرحم غير مفتوحة قبل الولادة فاذا جاء وقت
الولادة انفتحت فوهة الرحم وانتكس المولود بان ينقلب في تصير رجلا الى جانب صدر امه وراسه الى جانب المخرج
راسه اولا ولا يخفى ان ما ذكر تسهيل سبيل الخروج فانه لولا الانفتاح والانتكاس لما تاتى الخروج قوله او ذلل له سبيل
الخير والشر اي ويجوز ان يكون المراد تسهيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر وتيسر الاقدام على سلوكه وتمكنه
منه والهداية الى عاقبة كل واحد منهما ببعثة الانبياء وانزال الكتب واعطاء العقل المميز والقوى والاعضاء المتسوية
قوله وتعريفه باللام يعني ان الكلام في الانسان المدعو عليه وبيان ما انعم عليه فالمناسب للمقام ان يقال ثم يسر سبله باضافة
السبيل اليه الا انه عرف باللام للاشعار بانه غير مختص به بل هو سبيل عام لجميع المكلفين من الانس والجن على المعنى الثاني
وللحيوانات ايضا على المعنى الاول قوله وفيه على المعنى الاخير ايماء ووجه الايماء انه لما فسر السبيل بسبيل الخير والشر فهم ان المكلف
ما دام في هذه الدار فهو ابن السبيل وان سبيله اما الى الخير واما الى شر اي الى دار الجزاء بالثواب والعقاب وهي دار الآخرة
التي هي الدار التي يقر بها ويؤيد حمل السبيل على هذا المعنى انه يحسن انتظام ما بعد هذه الآية بها قوله وعد الاماتة والاقبار
في النعم لما جعل قوله تعالى من اي شيء خلقه الى قوله كلا مسوقا لبيان ما انعم الله تعالى به على الانسان وكفرانه به وخفي وجه
كون الاماتة والاقبار نعمة بين وجه ذلك بان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية وبيان الاقبار تكرمة وصيانة للميت
عن كونه طعمة للسباع وقال وصلة في الجملة لان كونها وصلة الى ما ذكر انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الكافر لا يقال الكلام
ههنا في الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة في حقه مع ان الموت في حقه مفتاح كل
بلاء ومحنة لانا نقول الاماتة في نفسها شانها ان تكون لحقه الميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة
وكونها نقمة في حق الكافر انما هو سوء اعتقاده وسيئات اعماله قوله والامر بالقبر منصوب بالعطف على الاماتة
فان قيل من اي شيء استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس ههنا صيغة الامر قلنا هو مستفاد من قوله تعالى فاقبره فانه
يقال قبر الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره
بان يجعله في القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الآمر بان يدفن اموات بني آدم في القبور اكراما لهم وانهم لو القوا
على وجه الارض كساير الحيوانات لصاروا جزرا للطير والسباع والمراد بالانشاد الاحياء والبعث منقول من نشر
الميت ينشر نشورا اذا كان عاش بعد الموت غير متعين في نفسه اي كما انه غير متعين في علمنا ولعل الوجه فيه
ان تعيين الوقت في نفسه متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها وتكرر الليل والنهار ونشور الاموات انما يكون بعد
خراب العالم فلا سبيل لنا ان نقول ان وقت النشور متعين في نفسه وان لم نعلمه بخصوصه لان تعين الوقت
في نفسه فرع تحققه ولم يتحقق في نفسه كيف يحكم عليه بانه متعين في نفسه بخلاف الامور الواقعة حال بقاء
العالم على حاله فان الموت مثلا وان لم يتعين وقت وقوعه بالنسبة الينا الا انه متعين في نفسه من حيث انه لا يقع
الا في حد معين من حدود الزمان قوله لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية اشارة الى ان في لما توقعا

والاسقاط ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث
عليها ريحا دبورا فتنفخ فتصير نارا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر نوران مكوران
في النار يوم القيامة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما قال اني احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن
قال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان والقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا
لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الحديث على خلاف العقل ذكر الله تعالى اثني عشر شيئا وقال اذا وقعت هذه الاشياء فحينئذ
علمت كل نفس ما احضرت وكلمة اذا في قوله اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه عاملها وناصبها قوله تعالى في آخر المعطوفات
وارتفاع الاسماء الواقعة بعد اذا على انها مفاعيل ما لم يسم فاعله المفسر بما بعدها عند البصريين فانهم لا يجوزون
ان يلي اذا غير الفعل وقال الكوفيون انها مرفوعة بالابتداء والافعال التي بعدها اخبارها بناء على ان التقدير خلاف
الاصل والجملة على المذهبين في محل الجر باضافة اذا اليها قوله انقضت اي تساقطت وتناثرت الجوهري اي اسرع
وانقض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يكون في السماء نجم الا وقع على وجه
الارض قال عطاء وذلك انها كانت في قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي
ملائكة من نور فاذا مات من في السموات والارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه قد مات من يمسكها
قوله ابصر خربان فضاء فانكدر والخربان بكسر الخاء المعجمة جمع خرب بفتحتين وهو ذكر الحبارى البيت للعجاج عمرو بن تميم التميمي
اوله اذا الكرام ابتدروا الباع بدر تقضي البازي كسر والي جناحيه من الطور فمر ابصر خربان فضاء فانكدر الباع
قدر مد اليدين يعبر به عن الكرم يقول اذا الكرام ابتدروا وتسارعوا فعل المكارم بدر اي اسرع اليه كانقضاض
البازي على الحبارى يقال كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما حين ينقض قوله تقضي البازي مصدر منصوب بنزع الخافض اصله تقضض
لما كثرت الضادات ابدلت الاخيرة ياء قوله من كدرت الماء فانكدر الكدر خلاف الصفوة يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو كدر من
باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما بمعنى وكدره غيره فانكدر وتكدر النجم عبارة عن زوال نوره وضوئه قوله
سيرت من على وجه الارض اي قلعت فصارت هباء منبثا او سيرت في الجو كالسحاب لقوله تعالى وهي تمر مر السحاب
وقيل سيرها تحويلها من صفة الجبلية بجعلها كثيبا مهيلا اي رملا سايلا او كالعهن وهباء منبثا والعشار جمع عشراء كالنفاس
جمع نفساء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل ثم هو اسمها الى ان تضع السنة وقيل هو اسمها
بعد ما وضعت ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشيء باسمه المتقدم وان كان قد جاوزه كما يسمى به وخص العشار
بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها تركها واهمالها من غير راع اشتغالا بانفسهم
عند مجيء امارات قيام الساعة قوله او السحاب اي ويجوز ان يراد بالعشار السحاب تشبيها لها بها والعشار وان كان مجازا
في هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل لقوله
تعالى فالحاملات وقرا كما مر في سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمراة عطل اذا لم يكن عليها حلي والوحوش
جمع وحش وهو اسم لما لا يستانس من حيوان البر وفسر حشرها بثلاثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث
يختلط بعضها ببعض وبالناس مع كمال النفرة بينهما وتفرقها في الصحاري والقفار والثاني ان تجمع احياء بعد الموت لتقتص
بعضها من بعض فانه قد ثبت ان الله تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت والثالث ما روي

عن ابن عباس

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان حشر البهائم موتها يقال اجحف به اي اذهبه واستاصله والسنة القحط وبناء التفصيل ههنا يحتمل
ان يكون لتكثير الجمل وتكريره والتعرض لحشر الوحوش بالمعنى الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماع الاضداد
مع كمال النفرة بينها انما يكون لهول عظيم وبالمعنى الثاني لتاييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص تحقيقا
لمقتضى العدل فحشر المكلفين من الانس والجن يكون اولى قوله احميت اي ملئت فان السجر في اللغة يكون بمعنى الملء وبمعنى الاحماء
ايضا يقال سجرت الاناء وسجرت التنور قيل في احماء البحار انه تعالى يكور الشمس والقمر والنجوم في البحر يوم القيامة ثم يبعث عليها
ريحا دبورا فتنفخه فيصير نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت وفي وجه امتلائها انه تعالى خلق الآن بين البحار حاجزا
لا يصل بعضها الى بعض كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان اي لا يتجاوز ان حدهما باغراق ما بينهما
فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض واختلط العذب بالملح وبالعكس فصارت البحور كلها بحرا واحدا فوق الارض
كلها ثم ارتفاع الحاجز الكاين بينهما يحتمل ان يكون بان اندكت الجبال وتصرفت اجزاؤها الرفيعة في اسافلها فتميل في المواضع
الغايرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مغرقا تحت البحار ويصير الكل بحرا واحدا مستعليا على الارض وهذه الاحوال
الست تكون في مبادي قيام الساعة على ما روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال ست آيات تكون قبل القيامة بينما الناس في اسواقهم
اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت الجن الى
الجن واختلطت الدواب والوحوش والطير وماج بعضهم في بعض ثم يقول الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر
فاذا هي نار تاجج قال بينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السابعة العليا فبينما هم
كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم والله اعلم كذا في المعالم ثم انه تعالى شرع في ذكر الاحوال التي تكون بعد قيام الساعة فقال واذا
النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها وبان يضم كل احد الى من يشاكله ويماثله في الخير والشر قيل ذلك حين يكون
الناس ازواجا ثلاثة اي اصنافا ثلاثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والشكل بالفتح
المثل قوله تبكيتا لوائدها اي لمن دفنها في القبر وهي حية وهو جواب عما يقال ما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت
به مع ان الظاهر ان يسال الوائد عن قتله اياها وتقرير الجواب ان هذه الطريقة اقطع في ظهور جناية الوائد والزام
الحجة عليه فانه لو قيل للموءودة ان القتل لا يجوز الا بذنب عظيم فما ذنبك وباي ذنب قتلت فلا جرم كان جوابها اني
قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد ويصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال فانه اجاب عليه السلام بقوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما قلت
لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم كان ذلك اشد في تبكيت النصارى وفي توبيخهم قوله وقرئ سالت
بفتح السين والهمزة على لفظ الماضي المبني للفاعل المسند الى ضمير الواحدة الغايبة على ان الموءودة هي السائلة تسال
الله تعالى او تسال قاتلها قائله باي ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده فانه هو المناسب لكون الموءودة هي السائلة
لان الظاهر ان يحكى كلامها بعبارتها وهذه القراءة ذكرها المصنف بقوله وقرئ قتلت على الحكاية قول الموءودة
كما سوال العبادتها حين سالت وقرئ ايضا سالت باي ذنب قتلت على لفظ الاخبار عن الواحدة الغايبة على بناء المفعول
كقراءة الجمهور والظاهر ان يقرا قتلت على لفظ حكاية قول الموءودة لانها هي السائلة كما ان الظاهر على قراءة الجمهور ان
يقال قتلت على لفظ خطاب الواحدة لان السائل ح هو الله تعالى فالظاهر حينئذ ان يحكي قوله تعالى بعبارته ولما ذكرت

وانتظارا ولذلك قال تعالى لما يقض ولم يقل لم يقض لان قضاء الامور به كان متوقعا من كل احد لتعاضد دلائل وجوبه
عليه وتحقق ما هو مناط التكليف فيه من العقل والتمييز وسلامة القوى الظاهرة والباطنة ومعنى بعدُ في مثل
هذا الموضع بالفارسية هنوز وكان اصله بعد ما مضى من الزمان الى هذا الوقت ثم حذف المضاف اليه فبنى بعد على
الضم وقوله من لدن آدم الى اخره بدل من قوله بعد جيء به لابراز المعنى التوقع المدلول عليه بلفظ لما نقل الامام
عن مجاهد انه قال في تفسير الآية لا نقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك
عن تقصير البتة ثم قال وهذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه عايد الى المذكور السابق وهو
الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان ههنا جميع الناس بل الانسان الكافر والمرتفع المنكر
فانه لم يقض ما امره الله تعالى به من ترك الكفر والتكبر بان يتامل في دلائل الله تعالى ويتدبر في عجايب خلقه وبنات
حكمته فكيف يصح ان يقال في تفسير الآية لا يقضي احد ما كان مفروضا عليه وكلمة ما في قوله ما امره موصولة وعايدها
يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقي ما امرهو به ثم حذف العايد ثانيا ويجوز ان يكون
باقيا ويكون المحذوف من الهايين هو العايد الى الانسان والباقي هو العايد الى الموصول فاعرفه وقس عليه امثاله
ثم انه تعالى لما ذكر خلق ابن آدم من شيء حقير قليل وهو اول ما انعم به عليه في مبدأ حدوثه ثم ذكر بعض ما يترتب عليه
من النعم الموجبة للشكر ليتضح ان تكذيبهم وكفرانهم في غاية القباحة والشناعة ذكر بعده ما انعم به عليه من النعم الخارجية
وامره بالنظر اليه والتامل فيه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذي يعيش فيه كيف دبرنا امره ولا شك انه موضع
الاعتبار قوله اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية فان ما ذكر الى هنا من النعم الموجبة للشكر نعم ذاتية متحققة في نفس
الانسان وهي خلقه بانزال النطفة من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وتصويره باحسن الصور والهيئات وما يتعاقب
عليه من الاطوار والحالات الى ان ينتهي الى دار الابد وما ذكره ههنا نعم خارجة عنه يحتاج اليها الانسان في معاشه وبين
انه كيف دبر في خلق طعامه الذي هو قوام حياته واقوى اسباب معاشه الذي يستعد بها لمواده وذكر ان ذاته كما
تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المودة كذلك طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض وما يتبعه من التدبيرات
المتعلقة بتولده من الارض وبلوغه الى اقصى كماله قرأ ما عدا الكوفيون انا صببنا بكسر الهمزة على الاستيناف وقرأ
الكوفيون بفتحها على ان الجملة بدل من الطعام كانه قيل فلينظر الانسان انا صببنا الماء فان يكون الطعام وحدوثه
من الارض بالاسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر وبقائه معلقا في جو السماء مع كثرته وغاية ثقله وغير
ذلك مما يعجز العقل عن ادراكه والمعنى فلينظر كيف حولنا احوال طعامه كما حولنا احوال نفسه في بدء خلقه وجعله
من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض سبب لحدوث الطعام فيكون بينهما الاشتمال السببية فان
قال الواجب في بدل الاشتمال ان يكون بينهما علاقة بغير الكلية والجزئية وقد حصلت والكرامات قلب الارض
للحرث ق لانها تنقضب مرة بعد اخرى فصارت لكثرة قطعها كانها عين القطع فسميت قطعا للمبالغة فيه قوله غلبا
الغلب جمع اغلب او غلباء كالحمر في جمع احمر وحمراء واصله في وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اي غليظ العنق وامرأة
غلباء اي غليظة العنق وجماعة غلب اي غلاظ الاعناق ذكر المص في وجه توصيف الحدائق بالغلب قولين الاول ان الحديقة
الواحدة سميت غلبا توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها الملتفة المتكثرة بحيث صارت كانها شيء واحد ضخم

عظيم شبه

عظيم شبه بالرقبة بالغلباء فالحديقة الواحدة لما وصفت بالغلباء بهذا الوصف وصفت الحدائق بالغلب والقول الثاني انه وصفت
الحدائق بالغلب لكونها ذوات الاشجار الغلاظ الرقاب فوصفت بوصف اشجارها قوله ومرعى الاب المرعى الذي لم يرعه الناس
سمي ابا لانه يؤب اي يؤم ويقصد جزه لاجل الدواب والاب الام اخوين والبجعه بالفم طلب الكلأ في موضعه واما لانه يؤب
ويهيا للرعي على انه من اب لكذا اذا تهيا له قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم اي تمتيعا منصوب على انه مفعول له لقوله فانبتنا اي انبتنا
ذلك كله متمتعين قوله وصفت بها مجازا فان الصاخة اسم فاعل من قولهم صخ لحديثه اي اصغى واستمع فهو صاخ اي مصغ
مستمع والنفخة ليس من شانها ان تصغي وتسمع بل الناس هم الذين يصخون بها فاسند الاصغاء والاستماع الى النفخة المسموعة
مثل عيشة راضية اي مرضية وقيل سميت صيحة القيامة صاخة لانها تصخ الاذان اي تصمها لشدة صوتها يقال
صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ اي اصمها فعلى هذا يكون الاسناد حقيقيا ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى
لما بين ما انعم به على الانسان من النعم الذاتية والخارجية توبيخا وتقريعا بمن كفر بها وحثا على شكرها بالايمان والطاعة
شرح بعده احوال القيامة للمناسبة بين شرحها وبين تعداد النعم المذكورة في كونها داعية الى الايمان والطاعة فان
الانسان اذا سمع احوال القيامة خاف فيدعوه الخوف منها الى التامل في دلائل الحق فقال فاذا جاءت الصاخة وجواب اذا
محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه والتقدير فاذا جاءت الصاخة
اشتغل كل احد بنفسه وقوله يوم يفر المرء بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة
لشان ومعمول الصفة لا يتقدم على الموصوف قوله او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم بان يقول الاخ لم تواسني بمالك
ويقول الابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم يودبنا ولم تعلمنا وقيل اول من
يفر من اخيه هابيل من قابيل لانه العاصي ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليهم السلام
قوله وتاخير الاخت والاخ للمبالغة في بيان اشتغال كل احد بنفسه فانه بدأ بالاخ لا شقيقه ثم بالابوين لانهما اقرب
اليه من الاخ ثم بالصاحبة والبنين لانهم الصق بالصلب واعلق بالنفس كانه قيل من اخيه وكيف لا يفر منه وهو يفر
من ابويه وكيف لا يفر منهما وهو يفر ممن هو احب اليه منهما وهو الصاحبة والبنون قوله وقرئ يعنيه بفتح الياء وبالعين
المهملة من قولهم عناني الامر اي اهمني وقصدني ثم انه تعالى لما ذكر احوال القيامة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين
وضميراحد منهما عن الآخر بما يعرض وجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح اذا اضاء والغبرة الغبار والقترة سواد
كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما اذا اغبرت وجه الزنجي فكانه تعالى جمع في وجوههم
بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة تذر ذلك التراب
في وجوه الكفار تمت سورة عبس بحمد الله وعونه سورة التكوير بسم الله الرحمن الرحيم
التكوير التلفيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة يقول كورت العمامة على راسي اكورها كورا وكورتها تكويرا
اذا لففتها فالطي واللف والكور والتكوير واحد وجعل تكويرها بمعنى لفها وطيها عبارة عن رفعها عن مكانها لكون
الرفع من توابع التكوير لان الثوب اذا اريد رفعه لف قوله او لف ضوءها عطف على قوله لفت اي ويجوز ان يكون المعنى
كورت اي كور ضوءها بتقدير المضاف او على اسناد فعل الحال الى المحل لان تكوير يكون الضوء وذهابا بنساطه في
الآفاق انما يكون بذهاب نفسها لانها ما دامت باقية يكون ضوءها منبسطا غير ملفوف ثم فسر التكوير بالالقاء

الموودة بالاسم الظاهر جاز الامران اسناد الفعل الى ضمير الغائب الذى هو عبارة عنها وحكاية قول السائل بعبارته بان
يقال فى قراءة بما لت قتلت بضم القاف وفى قراءة سئلت قتلت بكسر التاء قوله ونشرت وقت الحساب اى بفتح بعد ما كانت
مطوية فتعاطاها الناس منشورة بايمانهم وشمائلهم فيقف الانسان على ما فيها ويحصى عليه جميع اعماله فيقول ما
لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قوله للمبالغة فى النشر يعنى ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره
ولتكثير محلا او للمبالغة فى شدة التطاير اى تطاير الصحف وتفريقها بين الاصحاب فالتشديد على المبالغة فى النشر بمعنى
التفريق بحسب الكيفية انتهى قوله قلعت وازيلت بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش قوله وانما صح ذلك الخ اى صح
ان تكون اذا المضافة الى الخصائل الواقعة قبل قيام الساعة معمولة لقوله علمت نفس اى مع كونها معمولة له يستلزم
ان يكون النفس عالمة بما احضرته من الاعمال فى زمان وقوع الخصائل الست المتقدمة وليست كذلك وانما تكون عالمة بها
بعد قيام الساعة وتوضيح الجواب ان المراد بها هو المعمر لعلمت هو الزمان المتسع المحيط لتلك الخصائل الاثنتى عشرة وابتدا
ذلك الزمان المتسع هو زمان نفخة الاولى الذى هو زمان التكوير وما يتبعه الى ان يتم موقف الحساب وتعلم ان كل نفس جزاء عملها وهو ذلك الزمان
المتسع تعلم كل نفس ما احضرت فى صحيفة عملها وما احضرته فى موقف المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال لان انفس الاعمال
اعراض لا يمكن احضارها كما نزل الزمان الذى يقع فيه هذه الامور الاثنتى عشرة باسرها علمت فيه كل نفس ما احضرت
قوله ونفس فى معنى العموم جواب عما يقال من ان النكرة فى سياق الاثبات للافراد والنوعية لا للاستغراق والعموم والمقام مقام
الاستغراق والعموم لان العلم بما احضرت حاصل لكل نفس حينئذ لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فما معنى قوله علمت نفس بالتنكير فى موضع الاثبات وحصول الجواب
ان ما ذكر الكثرة للكلى مطرد فان النكرة فى سياق الاثبات قد يقصد بها العموم بمعونة المقام كما فى قولهم تمرة خير من
جرادة ونفس فى الآية من هذا القبيل ثم ان الله تعالى لما فصل ما يكون فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وبعده اقسم
على ان القرآن العظيم قول رسول كريم فقال فلا اقسم بالخنس الآية توبيخا للمشركين المنكرين للبعث والجزاء اى تامل
ما ذكر ليعلموا انه كلام الهى منزل من عند الله تعالى على رسوله بواسطة رسول كريم موصوف بما ذكر من الاوصاف
وكلمة لا فى قوله فلا اقسم يحتمل ان تكون صلة موكدة وان تكون رد الكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة
ثم ابتدا جل ذكره اقسم بالخنس وان تكون لنفى القسم بناء على انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق وهو ان القرآن كلام
الهى نزل به الروح الامين وبلغه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين
وعلى الملائكة المقربين قوله والليل عطف على الخنس وكذا قوله والصبح والعامل فى اذا معنى القسم واذا وما بعده فى موضع
الحال اى اقسم بالليل مدبرا او مقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول وضمير انه للقرآن
وان لم يجر له ذكر لحصول العلم به والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء وفى الحديث الشيطان يوسوس
الى العبد فاذا ذكر الله تعالى خنس اى انقبض ولذلك سمى بالخناس والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس الذى هو مقر
الوحش والجوارى جمع جارية اى الكواكب التى تجرى فى افلاكها وما سوى الشمس والقمر من الكواكب السبعة السيارة
وهى المريخ ويسمى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى خنس كنس وخنوس هذه النجوم الخمسة رجوعها
من اول البرج الى اخره وكنوسها اختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس كالظبى المستتر بالكناس ولا

والكنوس لها بهذا المعنى والخمسة الباقية من السيارات جوار وكنس وهو ظاهر وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم
فانها بينما ترى فى اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله فرجوعها من اخر البرج الى اوله هو الخنوس كما ان اختفاءها
تحت ضوء الشمس كنوسها قوله هو من الاضداد لان العسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى كل واحد من طرفى الليل
فلذلك يقال عسعس الليل اذا اقبل ويقال ايضا عسعس اذا ادبر فمنهم من قال المراد به فى الآية اقبل الليل لتناسب
قوله تعالى والصبح اذا تنفس لان القسم ح يكون باقبال كل واحد من الليل والنهار وان اريد بعسعسة الليل
ادباره يكون القسم بادبار الليل واقبال النهار فتفوت المناسبة ويتضمن الكلام تكرار المقسم به لان ادبار
احدهما يستلزم اقبال الآخر قوله اى اذا اضاء عبرته عند اقبال روح نسيم والنسيم الرائحة الطيبة ويقال
له روح لكونه للاستراحة وتنفس الصبح عبارة عن اقبال النسيم المروح المتحرك عند طلوع الصبح فاذا هب ذلك
النسيم على طلوعه قبل تنفس المفرح للقلب انبساطا وانقباضا ثم ذكر المشبه به واريد المشبه ثم اشتق منه تنفس
بمعنى اقبل النسيم مع طلوعه ثم لما كان النفس من لوازم ذهاب ظلمة الليل بطلوع الصبح وزوال عبرته كنى بتنفسه
عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زال معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى اخره فهو كناية متفرعة على
الاستعارة والغبرة لون الاغبر وهو الشئ الملون بلون يشبه الغبار واضاء يجى لازما ومتعديا وكلاهما يصح هنا
وفى بعض النسخ اذا تنفس اى اذا اضاء عبرته عن اقبال روح ونسيم والمعنى واحد اى شبه اقبال النسيم وقت طلوع
الصبح بتنفسه فعبر عنه بالتنفس ثم اشتق منه نفس وجعل تنفسه كناية عن اضاءته كما اشار اليه بقوله اى اذا
اضاء قوله فانه قاله عن الله تعالى يعنى كون القرآن قول جبرئيل عليه السلام لا ينافى كونه كلام الله تعالى حقيقة لانه
عليه السلام قال وبلغه عن الله تعالى واعلم انه تعالى وصف جبرئيل عليه السلام ههنا بست صفات اولها انه رسوله
فانه لا شك انه رسول منه تعالى الى الانبياء عليهم السلام وثانيها انه كريم على ربه حيث جعله امين وحيه وواسطة بينه
وبين رسله وهذا من اجل المناصب واشرف المراتب ومن كرمه انه وسيلة لنيل افضل العطايا واقصى الكرامات وهو المعرفة
والهداية وثالثها انه ذو قوة اى ذو قدرة على ما يكلف به لا يعجز ولا يضعف عن شئ مما يكلف به روى انه عليه
السلام قال لجبرائيل ذكر الله تعالى قوتك وامانتك واثنى عليك بهما فما كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتى فانى
بعثت الى مداين لوط وهى اربع مداين وفى كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل
سماء الدنيا اصوات الدجاج ونبيح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتى فلم اؤمر بشئ فعدوته الى غيره وروى
ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض بالنبى صلعم فدفعه جبرائيل دفعة بجناحه فيه رفعه بها من مكة الى اقصى
الهند ورابعها انه تعالى فى حقه عند ذى العرش مكين اى ذو امكنة ومكانة عند الله ومكانته عنده تعالى انه تعالى جعله ثانى نفسه
فى قوله فان الله هو مولاه وجبرائيل وعنده العندية كناية عن كونه ذا منزلة رفيعة وقدر عظيم عنده تعالى وخامسها انه مطاع فى ملائكته
فطيعه الملائكة المقربون يعلمهم بمنزلته عند الله وسادسها انه امين على وحى الله تعالى ورسالاته قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزلل و
ذوقه ثمة يتحج الى اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذى العرش ثم انه اتصل بما قبله كقوله قبلهم الحق انه عند الله مطاع
فى ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون اليه وان اتصل بما بعده يجز المعنى انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالته الى انبيائه
فى نفع الناس بهذه الصفات الى التنبيه على الترتيب من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون

عطف على جواب القسم وكذا قوله فهل فيه ولقد رآه بالافق المبين اقسم الله تعالى ان القرآن كلام نزل به جبرائيل رسول الكريم الآية
و انه محمد صلعم ليس بمجنون وانه رآه اى جبريل بالافق المبين قوله وهو ضعيف يعني ان ما ذكره المستدل انما يدل على ما تعوده
ان لو كان المقصود من سوق الآية تعداد فضايل الشريعة وبيان ان مزاد دادت فضايل الشريعة فهو افضل وليس
كذلك بل المقصود اثبات ان القرآن لا سيما هذه السورة المصدرة بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وفي آتي
نزل به الملك المقرب عند ذي العرش نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وانه مجنون وترغيبا للسامعين في استماع القرآن وتصديق جميع
ما ذكر فيه وهذا المقصود يستدعي ان يوصف الملك المتوسط بين يدي الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والرتبة
ولذلك لا يستلزم افضلية رسل البشر على الظاهر ان يوصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات وما هو ان يوصفها وافضل مما يكون
لا شرف رسول الله صلعم بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع اتصافه بهذه المناقب والفضايل الشريفة وسيلة في الرسالة اليه
فاى مرتبة اعلى من مرتبة من ما ثبت ان السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب قوله بمطلع الشمس الاعلى افق السماء ناحيتها
والآفاق النواحي الا ان المفسرين اتفقوا على ان المراد بالافق ههنا حيث تطلع الشمس لانه وصفه بالمبين فان نفس الافق
لا مدخل له في ابانة الاشياء واظهارها وانما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعا للكواكب النيرة يبين الاشياء بضيائه وذلك ان الكوكب
هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار سببيته لها في الجملة فان الابانة في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع
ما هو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذي اذا اطلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع ويكون النهار في غاية الطول وانما فعل
ذلك حملا للمبين على كمال الابانة فانه كلما كان الكوكب الطالع ارفع واعلى وكان النهار اطول كانت الابانة والاظهار اتم واكمل روى
انه عليه السلام سأل جبرئيل عليه السلام ان يتراءى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك الا ما استأذن
له فاتاه عليها فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأ الافق بكلكله اى بصدره ورجلاه في الارض وراسه في السماء جناح
له بالمشرق وجناح له بالمغرب فغشي عليه فتحول جبريل عليه السلام الى صورة بني آدم الى آخر الكلام فقيل له عليه السلام ما رأيناك منذ بعثت
احسن منك اليوم فقال عليه السلام جاءني جبريل اليوم في صورته فاعتراني هذا من حسنه قوله من الظنة وهي التهمة اى ليس الذي يتعدى
الى مفعولين اى موثقة في جميع ما يخبر به ولا يتوهم فيه انه يخبر بشيء من ذلك عن الهوى وهذه القراءة يعني القراءة بالظاء
هي قراءة ابن كثير وابو عمرو والكسائي فالظنين الرجل المتهم وقرا نافع وحمزة وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد اى ببخيل
يقال ضننت بالشيء بكسر العين اضن به ضنا وضنانة فانا ضنين اى بخيل وهو من باب علم فالمعنى يأتيه علم الغيب فلا
يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأتيه حلوانا واختار ابو عبيدة القراءة الاولى
لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة اولى من نفي البخل والآخر قوله على الغيب فان البخل وما بمعناه
لا يتعدى بكلمة على وانما يتعدى بالباء فيقال فلان ضنين بكذا ولا يقال ضنين على كذا قوله حافة اللسان اى جانبه و
الثنايا من الاسنان جمع ثنية وهي اربعة اسنان في مقدم الفم اثنتان منها عليا واثنتان منها سفلى ووراء الثنايا
اسنان اربعة يقال لها رباعية اثنتان منها عليا واثنتان منها سفلى ووراءها سن ووراءها الاضراس الثمانية من
فوق وثمانية اخرى من تحت قوله استضلال لهم فيما يسلكونه من امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن فان اين ظرف
مكان مبهم منصوب بتذهبون والاستفهام فيه للانكار شبهت حالهم في تركهم ما هو الصواب الحق في باب الاعتقاد
والعمل وعدولهم الى ما هو الباطل في ذلك بحال من يترك الجادة وهي معظم الطريق ويتعسف الى ما ليس بسبيل قط فانه

يقال

فانه يقال له اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل ذكر القرآن فمن ترك الدين الحق وعدل منه الى الباطل
على سبيل الاستعارة والمعنى اى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي ظهرت حقيته ووجه استقامته وان في قوله
ان هو نافية بمعنى ما هو والتذكر بمعنى التذكير والعظة والعالمين يعم جميع ما سوى الله تعالى ممن يعلم وممن لا يعلم وخص
ههنا بمن يعلم من الانس والجن حيث قيل لمن يعلم والمخصص هو العقل وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله للعالمين باعادة الجار
بدل البعض من الكل وان يستقيم مفعول شاء كانه قيل ما هو الا بيان وهداية للخلق اجمعين ما هو الا هداية لمن شاء
الاستقامة منكم بتحري الحق واتباع البرهان والدليل وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم
المنتفعون به دون غيرهم فكان بذلك كانه مختص بهم ولو يوعظ به غيرهم فتبين ان مشية الاستقامة موقوفة على
ان يعطي الله تعالى تلك المشية لان تلك المشية صفة محدثة فلا بد من صدورها من مشية اخرى فظهر من مجموع هذه الآيات ان
فعل الاستقامة موقوف على اقامة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة للحصول على ان يريد الله تعالى اعطاء تلك الارادة
والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك فافعال العباد ثبوتا وانتفاء موقوفة على مشية الله تعالى وهذا قول اصحابنا
قوله يا من فارها اشارة الى الخطاب في قوله وما تشاؤن ليس للمخاطبين بقوله فاين تذهبون بل لبعض منهم وهم الذين عبر عنهم
بقوله لمن شاء منكم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء منكم الاستقامة ومن لا يشاؤها فالخطاب لمن يشاؤها
منهم وجعل المصدر قوله تعالى الا ان يشاء الله من اقامة المصدر موقع الزمان كما في نحو اتيتك خفوق النجم روى انه لما نزل قوله تعالى
لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا فان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله تعالى وما تشاؤن الا ان
يشاء الله رب العالمين تمت سورة التكوير والله اعلم والحمد لله رب العالمين

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله تعالى في اول هذه السورة اربعة اشياء من اشتراط الساعة
اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان منها يتعلقان بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس
ما قدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف والارض
كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبتدئ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت وانشقت
تركيبها وذلك يستلزم انتثار ما فيها من الكواكب وتساقطها متفرقة ثم بعد تخريب السماء وانتثار كواكبها تخرب كل
ما على وجه الارض وينعقد بعض البحار في بعض بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا بينهما فيصير الكل بحرا
واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها قوله قلب ترابها واخرج مواتها يعني ان بعثرت الشيء عبارة
عن تفريق اجزائه وتقليبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر وفي الصحاح بعثر الرجل متاعه وبحثره اذا فرقه وبدده وقلب
بعضه على بعض ويقال بعثرت الشيء وبحثرته اذا استخرجته وكشفته وقال ابو عبيدة في قوله تعالى بعثر
ما في القبور ابرز واخرج اى ما فيه وقيل ان بعثر مركب من بعث وبرا ماخوذ من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم
ولام ماخوذ من لفظ الله وكذا بحثر فانه بمعنى بعثر ومركب من البحث والراء المضمومة اليه والمعنى بحثت واخرج موتاها
ومنه سميت سورة براءة المبعثرة لانها تبحث عن اسرار المنافقين قوله من عمل او صدقة اى يجوز ان يكون المراد
بما قدمته ما عملته من بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدما على موته وبما اخرته ما عمله بعد موته بالسنة
بان سنه من بعده حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الصادرة بمباشرة من بعده باسنده له واسناد الفعل الى سببه شايع

كثير مثل بني الاسير ويجوز ايضا ان يراد بما قدمته الاموال التي تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له في النشأة الاولى
وبما اخرته الاموال التي خلفها لمن بعدها من ورثتها قوله ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع فيكون المعنى علمت نفس ما عملته
من الطاعات وما اضاعت العمل به ولم تعمل وقد مر ان تنكير نفس في الآيات لا ينافي ارادة العموم والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة
عليه والمقصود من الكلام تقرير امر البعث والجزاء والزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة فان قيل في اي موقف من مواقف
القيامة يحصل له هذا العلم قلنا ان العلم الاجمالي فيحصل له في اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصي
يرى آثار الشقاوة في اول الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة قوله اي شيء خدعك اشار الى
ان ما في قوله ما غرك استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وغرك خبره وان غرك بمعنى خدعك وجراك على عصيانه يقال
غره فلان يغره غرورا اذا خدعه وجراه عليه وامنه من ان يصل اليه المكروه من قبله مع انه غير مامون فالمعنى ما الذي
خدعك وسول لك معصية ربك وامنك من عقابه والاستفهام فيه بمعنى الاستبعاد والتنكيل والتوبيخ قوله ذكر الكريم
للمبالغة في المنع عن الاغترار جواب عما يقال قد سبقت الآية لاستجهال العصاة وتوبيخهم على اغترارهم بربهم فكيف يلايم
لهذا السوق وصفه تعالى بالكرم والحال ان الاغترار بكرمه تعالى وجوده مما يدعو الى الاغترار به لان الكرم والجود
عبارة عن قضاء حاجة المحتاج لا لغرض فلما لم يكن الكريم مستفيضا بما عنده استوى عنده طاعة المطيع وعصيان
المسيء وهذا يوجب الاغترار به وقد روي ان عليا رضي الله عنه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب
فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا ان كرم الكريم يوجب الاغترار
به لما استحسن جواب الغلام تقرير الجواب انا لا نسلم ان كرم الكريم يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي الخوف والحذر من
مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم يابى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصي
وبين الموالي والمعادي اشارة للولي والمطيع فثبت ان محض الكرم لا يقتضي الاغترار به فكيف اذا انضم اليه وصف كونه
قهارا منتقما ذا بطش شديد ثم اشار الى فائدتين اخريين لذكر الكريم فقال والاشعار بما به يغره الشيطان
وقال ثانيا والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته قضاء لحق شكره على كرمه وفيه اشارة الى ان سبب اغترار
بني آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ما شئت فان ربك كريم ثم انه تعالى لما وصف نفسه بالربوبية والكرم اتبعه بقوله
الذي خلقك فسواك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على الربوبية ظاهرة لان من فعل هذه الامور الثلثة
في المخلوق لابد ان يكون ربا مالكا وكذا دلالته على الكرم لانه لا شك ان اصل الخلق والايجاد كرم وجود لان الوجود محض وكذا
تسوية الاعضاء وتعديل البنية فان سلامة الاعضاء كونها سواء اي تام الخلق سالما عن النقصان في خلقها بحيث
يكون الشخص بها بشرا سويا تام الخلق سليم الاعضاء انتهى قوله والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء الظاهر
انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة بكون كل واحدة منها منكسرة نازلة عن صرافتها بحصول الفعل والانفعال
بينها وتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا للآخر بان لا يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان يكون احد الاذنين اطول من الآخر
وكذا الرجلين والاذنين ومثل ان يكون احدى العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبي هذه الجثة
على التساوي حتى لا تفاوت بين نصفيها لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة
عنها فكلها في احد الجانبين مساويا لما في جانب الاخر كانه عدل له قوله او معدلة بما يستعد ها من القوى عطف على قوله

معدله

معتدلة والمنوي في يستعد ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء اي والتعديل جعل كل عضو من اعضاء البنية مناسبا
لما ينبغي له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء
ومنافعها التي هي القوى المودعة فيها والبارز المنصوب في يستعدها راجع الى ما وانث العائد اليه لكونه عبارة عن القوى
وذكر لقراءة عدلك بالتخفيف وجهين الاول انه بمعنى المشدد اي عدل خلقك عن بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت
والثاني انه من العدول اي فصرفك عن الخلقة المكروهة التي لسائر الحيوانات الى احسن تقويم والفاء في قوله فسواك
فعدلك للافادة ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لانها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل وموضع ذكر التفصيل
بعد ذكر المجمل كما في نحو [illegible] فقلت لتبكيه والتسوية في الآية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية قوله اي ركبك
في اي صورة شاءها الله تعالى على ان قوله في اي صورة متعلق بركبك وان شاءها في موضع الجر على انه صفة لصورة
فلذلك قدر الضمير الراجع اليها بعد شاء ليرتبط به جملة الصفة بالموصوف ولم يعطف جملة ركبك على ما قبلها لانها
بيان لقوله فعدلك اي فعدلك بان ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح
والطول والقصر والذكورة والانوثة ومن الصور التي تشبه الاب والام واقارب الاب او اقارب الام او لا تشبه
واحدا منهم قوله وقيل ما شرطية ويشاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع الجزم والمعنى ما يشاء من الصور ركبك
عليها والجملة الشرطية في موضع الجر على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها فعلى هذا يكون قوله في اي
صورة متعلقا بعدلك ولا يجوز ان يتعلق بركبك لان ما كان في حيز الشرط لا يتقدم عليه فان قيل كيف يجوز ان يكون
الظرف صلة عدلك مع ان ايا اسم استفهام فلها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قلنا من جعله متعلقا بعدلك جعل
قوله في اي صورة بمعنى التعجب كما في قولك مررت برجل اي رجل كانه قيل فعدلك في صورة اي صورة عجيبة ثم حذف
الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب قوله اضراب اي اعراض عن ايجاب الارتداع من الاغترار بكرم الله تعالى
عليهم بجعله كالمسكوت عنه الى بيان ما هو السبب في اغترارهم بان الكرم وهو تكذيبهم بيوم الحساب والجزاء
على ان يكون المراد بالدين الجزاء يقال دانه دينا اي جازاه وان اريد بالدين الاسلام كما قال ان الدين عند الله
الاسلام يكون المعنى كيف ترتدعون عن الاغترار بالكريم وانتم مصرون على تكذيب الاسلام الذي
هو السبب الاصلي في الاغترار والجرأة قوله قوله تعالى وان عليكم لحافظين يجوز ان يكون حالا من فاعل تكذبون
اي تكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون جملة مستانفة اخبرهم الله تعالى بذلك ليزجروا عما هم عليه من الاصرار
على الكفر والتكذيب فان من وكل بها ملائكة كرام على الله يكتبون اعماله ليحاسب يوم البعث والجزاء من عظائم
الامور عند الله تعالى فانه لولا ذلك لما وكل بضبط الاعمال مثل هذه الملائكة والكرام وصف الملائكة بكونهم حافظين
لحفظ الاعمال كراما لكرامتهم عند الله تعالى لجدهم في طاعته ولكونهم كاتبين لانهم يكتبون اعمال بني آدم على علم
منهم بجميع اعمالهم فان قيل قوله تعالى يعم القلوب وهو من المغيبات التي لا يعلمها الا الله تعالى فكيف يكتبها الملائكة
وقد دلت الآية على انهم يكتبون جميع افعال المكلفين من افعال القلوب ومن افعال الجوارح اجيب بان ما يفعلون
عام مخصوص بافعال الجوارح وتخصيص العام كثير شائع وسئل سفيان الثوري كيف تعلم الملائكة ان العبد
هم بمعصية او حسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن

ومحصول كلامه انا لا نسلم ان افعال القلوب بالنسبة الى الملائكة من قبيل المغيبات التي لا يعلمها الا الله بل هي بالنسبة اليهم مما نصب عليه دليل ثم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاحوال العباد وذكر العاملين فقال
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ المراد نعيم الجنة وجحيم النار الموقدة ويصلونها اي يدخلونها صفة لجحيم او حال
من المنوي في الخبر يوم الدين ظرف ليصلونها ولما بين انهم يقاسون حرها يوم القيامة بين انهم مخلدون فيها ولا
يخرجون منها فقال وما هم عنها بغائبين ويجوز ان يكون معناه يصلونها يوم الدين وما يغيبون ويخرجون عنها قبل
ذلك في قبورهم قوله تعجيب وتفخيم اذ قوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين تعظيم لذلك اليوم ثم كرر تعجيبا للمخاطب وتفخيما
لشان اليوم وقوله لا تدرك دراية دار اشارة الى ان ما ادراك خطاب عام وقيل انه خطاب له عليه السلام خاطبه
بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي وقيل الخطاب للكافرين زجرا له وتهديدا قوله تقرير لشدة هوله اجمالا فان اليوم
الذي لا ينفع المرء فيه الا الايمان والطاعة لا يستطيع من نفس ان ينفع نفسا ولا ان تدفع عنها ضررا كيف يكون فيه
حال من خالف الملك الجبار وعصاه قرأ الجمهور يوم لا تملك بفتح الميم ثم اختلفوا في انها فتحة اعراب او فتحة بناء فمن قال
انها حركة اعراب ذكر لنصبه وجوها احدها ان يكون بدلا من يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان يكون
ظرفا لفعل محذوف يدل عليه الدين اي يدانون على الدين اي يدانون ويجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا
باذكر او باعني فيكون مفعولا به ومن قال انها فتحة بناء قال انما بني لاضافته الى الجملة وما اضيف الى غير المتمكن مبني على
الفتح وانه في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو يوم لا تملك فانه لما قيل وما ادراك ما يوم الدين اخبر عنه
بانه يوم لا تملك تمت سورة الانفطار بحمد الله وعونه سورة المطففين بسم الله الرحمن الرحيم
قال مقاتل هي اول سورة نزلت بالمدينة وقيل هي مدنية الا ثمان آيات وهي قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخر السورة
وقيل نزلت مكية قال الكلبي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم
فنزلت الآيات فخرج عليه السلام فقرأها عليهم وقال خمس بخمس الى آخر الحديث فاحسنوا الكيل بعد ذلك قال السدي قدمها
رجل يسمى ابا جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما للغير ويكتال بالآخر لنفسه فنزلت فاحسنوا الكيل انتهى قوله تعالى
ويل مبتدأ وللمطففين خبره وجاز الابتداء به لانه اسم على الوادي المخصوص في جهنم لو ارسلت فيها الجبال لماعت من حرها
واما لكونها دعاء فانه في الاصل مصدر ناب منصوب باضمار فعل لا من لفظه فان اصله اهلكهم الله تعالى اهلاكا او
هلكوا هلاكا فلما حذف الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على الثبات والدوام كما في سلام عليك فلما كان
الويل في الاصل مصدرا سادا مسد الفعل المخصوص بصدوره عن فاعل معين كان النكرة المذكورة مخصصة بذلك
الفاعل فساغ الابتداء بها كذلك وفي الصحاح التطفيف القليل والتطفيف نقص المكيال وهو ان لا يملأ باختيار راسه
وفيه ايضا البخس الناقص يقال وشروه بثمن بخس وقد بخسه حقه يبخسه بخسا اذا نقصه وسمي البخس في الكيل
والوزن تطفيفا اي تقليلا لكون ما يبخس شيئا طفيفا اي قليلا حقيرا فان من لا يملأ الكيل الى جوانبه وكذا من لا
يسوي عمود الميزان لا ينقص الاشياء قليلا من حق المشتري لان نقصا لكثير يظهر فيمنع منه قوله اي اذا اكتالوا من
الناس يعني ان الاكتيال اخذ الحق من الغير بالكيل كما ان الاتزان اخذه منه بالوزن فهما اخذ الحق لنفسه والكيل
والوزن اعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحق الاكتيال ان يتعدى بكلمة من حيث يقال اكتلت من فلان ولا يقال

اكتلت

والمفهوم من هذه العبارة ان الجبال لو ارسلت الى الوادي المخصوص مع عظم جثتها لا نقبت لشدة حرها فكيف حال الانسان الذي يكون صغيرا كذلك

اكتلت على فلان الا ان كلمة على في الآية اقيمت مقام من لوجهين الاول الدلالة على الماخوذ الحق الثابت لهم على الناس فانه اذا
قيل اكتلت منه لا يفهم منه الا انه اخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون الماخوذ منه حقا له عليه ام لا والثاني الدلالة
على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اي ظلمه
قولهم اكتال عليه يفهم منه انه اخذ منه اخذا متضمنا للتحامل والظلم وفيه ان هذا الوجه فكيف يتصور الظلم والاضرار
فيه فالوجه الاول اظهر قوله اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يعني ان الكيل والوزن عبارتان عن الاعطاء للغير
بالمكيل والميزان في اللغة الشايعة فيهما ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم ولا يقال كاله او وزنه ونظم الآية اما من قبيل
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والاصل كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم واما من قبيل الحذف والايصال
كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والاصل جنيت لك اي لاهلك نوعين من الكمأة
من اجودها فان اكمؤ جمع قلة واحدها كمء والكمأة جمع كثرة لكمء ايضا على غير القياس والتنوين في اكمؤ للتعظيم و
والعساقل ضرب من الكمأة الواحدة عسقول وهي الكمأة الكبار البيض يقال لها شحمة الارض وبنات الاوبر كمأة صغار
زغب على لون التراب وهي اردأ انواع الكمأة الزغب الشعيرات الصغار على ريش الفرخ قوله ولا يحسن جعل المنفصل
تاكيد المتصل اي لا يحسن ان يكون كلمة هم في الموضعين ضميرا مرفوعا منفصلا موكدا للضمير المتصل في كالوا او وزنوا
العائدين الى المطففين بوجهين الاول ان المقصود من الآية بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع وانهم حال الاخذ
يستوفون وحال الدفع يخسرون وينقصون وعلى تقدير ان يجعل المنفصل تاكيدا للمرفوع المتصل يفوت هذا المقصود
ويكون اول الكلام دالا على انهم يستوفون حال الاخذ ويكون ما بعده دالا على انهم اذا تولوا الكيل والوزن هم بانفسهم
على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل وهو الاكتيال والكيل لا في المباشر والوجه الثاني
ان الضمير لو كان مرفوعا موكدا للمنفصل لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع في امام المصاحف كما هو الاصل في امثال
مثل قعدوا هم وقاموا هم وهذا الوجه ضعيف لان رسم المصحف كثيرا ما يخالف القياس المقرر في علم الخط قوله
وفيه انكار وتعجيب من حالهم في الاجتراء على التطفيف والانكار مستفاد من صورة الاستفهام فان الا هنا ليست للتنبيه بل
هي همزة استفهام دخلت على لا النافية فافادة الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن في موضع ذكر اليقين و
والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن البعث والجزاء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليه ان لا يتجاسر
على ما يوجب الافتضاح والخجالة على رؤوس الاشهاد في يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن تجاسر عليه يرى من
ظاهر حاله انه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر ذلك بباله فضلا عن التيقن به فان الظن كاف في حصول الخوف الموجب للامتناع
عن التطفيف ونحوه وعدم امتناعه منه يدل على انه لا يظن بذلك وذكر امر عجيب حيث كان اسوأ حالا من الكفار فانهم يظنون
البعث ويقولون ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين قوله او بدل من الجار والمجرور فانه مجرور المحل قوله لحكمه قدر المضاف لان ذاته
تعالى لا تكون علة لقيامهم الا باعتبار كونه حاكما وآمرا بذلك قوله وذكر الظن فانه ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام من
القضايا التي يكفي المؤمن ان يظن بوقوعه لانه مما يجب ان يعتقد به المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكر للمبالغة في المنع عن التكليف
لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفي في الامتناع والارتداع عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين به وكذا وصف اليوم بالعظم
فان ما يستعظمه الله تعالى لا شك انه يكون في غاية العظمة وقد مر ان عظمته لعظم ما يكون فيه من الاهوال وكذا ذكر قيام الناس فيه لله

الكبير المتعال اى لحكمه بذلك فانه لجعل يكون اهون من ذكره وكذا وصف نفسه بالربوبية للعالمين وان من كان مالكا
للعالمين وكان العالم باسره مسخرا فى قبضته وقدرته كيف يمتنع عنه الظالم القوى وكيف يضيع حق المظلوم الضعيف
فان مقتضى الربوبية ان لا يضيع شيئا من حقوق المستحقين واصل المنع من التطفيف قد حصل بقوله اولا ويل للمطففين
فانها كلمة يقال لمن استحق ان ينزل عليه بلية وآفة فيقال ويل لك زجرا له عما هو فيه فدل بذلك على ان المطففين ينزل
بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل فما ذكر بعده يكون للمبالغة فى المنع قال اعرابى لبعض الملوك انك قد سمعت ما
قال الله تعالى عز وجل فى المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت
تاخذ اموال المسلمين بغير كيل ولا وزن قوله مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم جواب عما يقال اضرالله تعالى بان الكفار فى سجين
ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كانه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فامعناه اجاب عنه المص اولا بان الكتاب فى قوله كتاب
الفجار مصدر كتب يقال كتب كتبا وكتابا وكتابة اطلق فى الآية بمعنى المكتوبة كضرب الامير والكتاب الذى فسر به السجين بمعنى السفر الذى
كتب فيه الاعمال والمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة فى الكتاب الجامع لجميع اعمال الفجرة وثانيا بان الكتاب الاول مصدر مستعمل
فى اصل معناه وفى النظم مصدر مضاف والتقدير ان كتابة اعمال الفجار ثابتة فى السجين الذى هو كتاب جامع لاعمال الفجرة
قوله اى مسطور بين الكتابة وفى الصحاح الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب للدلالة على انه
بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر واعمان بوجه وان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على ان
ذلك الكتاب يشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار لان الختم علامة وكونه على علامة الشر مستفاد
من المقام لانه مقام الذنب والتهويل قوله فعيل من السجن اختلف فى ان السجين علم شئ معين او اسم مشتق فمن ذهب الى الثانى
قال انه فعيل من السجن وهو الحبس كان الفسيق مشتق من الفسق فهو فى الاصل من اسماء الصفة وموضوع للمبالغة شيء الحبس ثم نقل من
الوصفية وجعل لقبا للكتاب سببا الحبس صاحبه ومعنى صيغة المبالغة الدلالة على المبالغة فى كونه سبب الحبس والتضييق فانه
يؤل الى حبس لا يجد صاحبه فيه شيئا من الروح والسعة قوله اولانه مطروح اى ويجوز ان يكون السجين مبالغة المسجون ثم ينقل من
الوصفية ويجعل لقبا للكتاب لكونه مطروحا فى اسفل المواضع واوحشها وهو اسفل سبع ارضين وفيه ابليس وذريته لعنه
الله تعالى يطرح فيه الكتاب الجامع لاعمال الفجرة الملقب بالسجين ليكون ذلك علامة لخسارتهم وحقد مقدارهم ولا يصعد به السماء
كما يصعد بكتاب المؤمنين كما قال ان كتاب الابرار لفى عليين قوله فى جهنم او صخرة تحت الارض السابعة هذا يجعل كتاب الفاجر
تحتها على تقدير ان يكون السجين اسم مكان لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر المضاف فى قوله ما سجين مرقوم ليصح الحمل
واليه اشار المص بقوله والتقدير ما كان السجين او محل كتاب مرقوم قوله للمكذبين للحق اى بما يجب تصديقه من الحق اى حق كان
او بذلك اى بذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين ولم يذكر صلة المكذبين اما للتعميم ليكون ما يجب اى يصدق بعمومها
لدلالة القرينة عليه وهو يوم الناس فيه فعلى الاول يكون قوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة
لكون مفهومه اخص من مفهوم موصوفه وعلى الثانى صفة موضحة ان كان الموصوف معلوما للمخاطب بوجه ما مجهولا
من حيث انه يصدق عليه مفهوم الصفة وان كان معلوما له من هذه الحيثية ايضا تكون الصفة للذم فان الصفة
الموضحة لا بد ان يكون مفهومها عين مفهوم موصوفها ولا يكون بينهما فرق الا بالاجمال والتفصيل باشتمال مفهومها على
زيادة تفصيل وبيان ليس فى مفهوم الموصوف بحيث يصلح ان يكون معرفا له كما فى قولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج

والمفهوم من هذه العبارة انه لو ارسلت الى الوادى المذكور من شدة حرها لكيف جثتها لا تبقت ... حال الانسان ... كذلك

الى فراغ شغله قوله المخدجة اى للنتيجة نتيجة باطلة لا يعتد بها من اخدج الناقة اذا جاءت بولدها ناقص الخلق والاعتداء
هو التجاوز للحد عن النهج الحق وحمله المص على اهمال القوة النظرية التى كادان يعرف الانسان فيها الحق لذاته كوجود
الصانع ووحدته واستكماله بجميع صفات الجلال والجمال ومن يكذب بالبعث والقيامة انما يكذب به لاستقصاره قدرة
الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى قادرا على جميع الممكنات او لاستقصاره علمه تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى
عالما بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات ليعلم انه تعالى عالم بتفاصيل اجزاء كل شخص متميزا عن اجزاء غيره وانه
قادر على جمعها واعادة الحياة فيها ولا شك ان وصفا لله بما لا يجوز ان يوصف به فقد اهمل قوته النظرية ولم يستعملها
ليكتسب بها العقائد الحقة ويعتقدها والاثم يدل على المبالغة فى ارتكاب الاثم والمعصية بسبب الاتباع الشهوة
والغضب فانه يستلزم اهمال القوة العملية التى كمالها ان تعرف الحق للعمل به ثم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين
بوصف ثالث فقال اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وهذا الاعتداء عن النظر فى شواهد النقل بانكار
النبوة والقدح فى كون القرآن من عند الله تعالى والاعتداء لهذا الوجه وان كان مندرجا فى اعتداء المذكور
اولا الا انه خص بالذكر للمبالغة فى ذم من اتصف به فان امر الارسال والانزال اشرف آثار رحمة الله تعالى
وفضله على عباده ومن انكرها فهو فى غاية الطغيان فلا يستبعد منه تكذيب بيوم الدين وفى الصحاح السطر والسطر
الطار الصف من الشئ ويجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس فى جمع فلس والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار
مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر فان اساطير الاولين
اكاذيبهم واخبارهم الباطلة قوله رد لما قالوه من ان ما يتلى عليهم اساطير يعنى ان كلمة بل ههنا للاضراب عن قولهم
ذلك بعد ردعهم عنه وان وجه الاضراب عنه ابطاله وقد يكون الاضراب لمجرد الاعراض كما سبق فجعله فى حكم
المسكوت عنه مع الشروع فيما هو اهم وههنا اضرب عنه لبطلانه فى نفسه وشرع فى بيان ما ادى بهم اليه كانه
قيل ليس الامر كذلك كما يقولون من انه اساطير بل كما كسبوه من الاعمال القبيحة سببا لحصول وهو الدنس الصداء
فى قلوبهم فلذا امروا عن ذلك الحق الباطل قوله فان كثرة الافعال سبب لحصول الممكنات تعليل لكون الانهماك فى المعاصى
سببا العلة ...علقه صاحب المعاصى عليهم فان الانسان كلما تكرر عليه مباشرة المعصية حصلت فى قلبه ملكة نفسانية
بسببها اساءه عن ارتكابها بل يزداد ميلة ورغبته فيها فلذلك دين ودنس وظلمة على القلب مانعة من ادراك الحق
والباطل كما ان الطاعات كلها انوار وضياء قيل معينة لمعرفة الحق والباطل فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب ظلمة
واسودادا وبسبب تكاثرها وتراكمها بحسب سوداده يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله تعالى لم يبق
فى قلبه شئ من المعرفة والحياء ويرتفع بالكلية ما يمنع عن ارتفاع الشهوة والغضب فيغلب عليه صاحب المعاصى حتى
لا يقدر على الامتناع منها وكلمة ما فى قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرية وان تكون موصولة وراجعها
محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية اى غلب على قلوبهم كسبهم الذى يكسبونه قوله فلا يرونه
بخلاف المؤمنين وهذه الآية من جملة ادلة الرؤية فان المؤمنين لو لم يروه فى الآخرة كالكفار لما كان
لتخصيص الكفار بانهم محجوبون عن الله تعالى فائدة وايضا انه ذكر الحجاب هنا فى معرض الوعيد والتهديد
للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا لهم لا يجوز حصوله فى حق المؤمن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمن

واجاب المعتزلة عن هذا الاستدلال بان الحجاب المختص بالكفار ليس بمعنى عدم الروية حتى يقال انه تعالى لما خص الحجاب بالكفار
دل ذلك على انه مرفوع عن الابرار فيراه المؤمنون بغير كيف وادراك وضرب من مثال فيلبسون النعم اذا راوه
فيا خلان اهل الاعتزال بل هو مجاز عن كونهم اذلاء مهانين عند الله تعالى شبهت حالهم ذلك بحال من كان محجوبا عن بعض
السلاطين لحقارته وعدم استحقاقه للدخول عليه فاطلق عليهم اسم المشبه به ومنهم من اجاب بان تقدير الكلام
انهم عن رحمة ربهم او قرب ربهم لمحجوبون فليس لهم نصيب من ذلك **قوله** تكرير للاول وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
فيكون ردعا عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب مثله لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار
الذين لا يطففون **قوله** الكلام فيه ما مر فالمعنى الاعمال المكتوبة للابرار او كتابة اعمالهم لفي عليين اى لفي كتب جامع لجميع
اعمال الابرار على ان عليين في الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه ثم نقل عن الوصفية وجعل للكتاب الجامع لكونه
سببا للعلو صاحبه غاية العلو وقيل عليون اسم مكان اعرابه كاعراب الجمع لكونه على لفظ الجمع ثم اختلفوا ان ذلك المكان
هل هو السماء الرابعة وقيل هو السماء السابعة وقيل هو قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقيل هو سدرة المنتهى
فعلى تقدير كونه اسم مكان لا يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على تقدير المضاف من الاول او من الثاني ويكون
التقدير وما ادراك ما كتاب عليين او هو محل كتاب مرقوم **قوله** على الاسرة في الحجال وهي جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس
يزين بالاسرة والثياب والستور فان الاسرة لا تسمى اريكة الا اذا كانت في الحجال عن الحسن قال كنا لا ندري ما الاريكة حتى
لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك ولما عظم الله تعالى كتاب الابرار في الآية المتقدمة عظم بهذه الآية
منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم والرحيق من الشراب ما لا غش فيه ولا شيء يفسده **قوله** او مختوم او انية من الكواكب
والاباريق اى هو ممنوع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار وذلك يشعر بعزة الشراب ومرسله والمرسل اليه **قوله**
او الذي له ختام عطف على قوله اى مختوم او انية بالمسك اى يجوز ان يكون قوله ختامه مسك بمعنى مقطعة اذا شرب رائحة مسك
بان توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشيء وخاتمته آخره **قوله** والكلام في الباء كما مر في سورة الانسان
من انها اما صلة الالتذاذ اى يشرب المقربون ملتذين بها او بمعنى من لان الشرب مبتدئ منها كما هو او مزيدة اى يشربها
بتقدير يشرب ماؤها الا ان العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها ويحتمل ان يكون بمعنى في اى في ان يشربون وهم فيها والجملة في
موضع الصفة لقوله عينا **قوله** يعني هو شاء فرس اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة
واشالها يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزؤن بهم كعمار بن صهيب بلال فنزلت ووجه اتصالها بما قبلها انه تعالى لما
وصف كرامة الابرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا من استهزائهم وضحكهم منهم ثم بين ان ذلك سيقلب
على الكفار في الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين
اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون والتغامز تفاعل
من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم
ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشاق لما يرجونه في الآخرة من
المثوبات مع ان امر البعث والجزاء ليس بمتيقن بل هو بعيد كل البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين
اى معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا فيل فاكهين وفكهين لغتان

بمعنى ناعمين

بمعنى ناعمين ملتذين وقيل فاكهين اى متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر واتباع الشهوات فاكهين معجبين ورابعها قوله تعالى
واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اى نسبوهم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ما لا يرى هل هو موجود ام لا ثم قال وما
ارسلوا حافظين يعني ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم ويعتقدون ما يصنعون
من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم وانما امروا باصلاح انفسهم التي تنفع لهم
في تتبع احوال غيرهم

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم الانشقاق
التصدع وذلك من علامات القيامة والغمام السحاب البارد فيه للآلة كما في قولهم انشقت الارض بالنبات والمعنى ان
السماء تتصدع بغمام يخرج منها قيل يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذكر اشد واوجل من حيث انه جار بالعذاب
من موضع الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل تتشقق للسقوط والانتقاض ويؤيد الاول ما
روي من انها تنشق من المجرة وهي باب السماء يقال لها بالفارسية راه كهكشان وهي ترى في الشتاء في اول في ناحية
السماء وفي الصيف في اول الليل في وسط السماء وينتقل في آخر الليل الى غير موضعها ويقال ان النجوم تقارب في المجرة
فطمس بعضها فصارت كالسحاب **قوله** واستمعت له الجوهري اذن له اذنا استمع وانشد ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا
وما سمعوا من صالح دفنوا صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران اى ما استمع الى شيء كاستماعه الى صوت
نبي يقرأ القران المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد بذلك واستحساله اى لا يعتد لشيء كاعتداده بذلك فان حقيقة
الاصغاء والاستماع ما لم يتصور في حقه تعالى حمل على غايته التي هي الاعتداد والرضاء واذا استند الى نجوم السماء ممن ليس من
اهل الاعتداد والاستحسان يكون مجازا عن المطاوعة لتاثير قدرة الله تعالى وعدم الامتناع عنه بان شبهت حال السماء في
انقيادها التاثير قدرته تعالى حين انشقاقها بانقياد المستمع المطاوع للامر فاستعير لانقيادها لفظ الاذن والاستماع
المستعمل في المطاوع في غايته التي هي انقياد المامور المطيع فهو مجاز في المرتبة الثانية قال الامام انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع
من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزائها فكان في قبول ذلك التاثير كالعبد الطائع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة
المالك انصت له واذعن ولم يمتنع فقوله تعالى اتينا طائعين وكذا قوله واذنت لربها وحقت عبارة عن نفوذ القدرة
في الايجاد والاعدام وتفريق الاجزاء من غير ممانعة اصلا **قوله** فهو محقوق وحقيق اى جدير بان يستمع وينقاد لانها ممكنة
لذاتها والممكن لذاته يحق له ان ينقاد لقدرته من هو شرع وجوده وصفاته وافعاله **قوله** والاكام جمع اكم بضمتين مثل
خيل وخيال والاكم بفتحتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكمة مثل تمرة وتمر والاكمة اخيل الصغير فان زلزلة الساعة
تزيل جبال الارض واكامها وينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فيستوي ظهر
الارض وبسط المد بمعنى البسط ماخوذ من مددت الشيء فامتد ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
مدت مد الاديم العكاظي فان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وقيل انه ماخوذ من مده اذا امده اى
يتزاد سعتها يوم القيامة لوقوف الخلايق عليها للحساب واعلم انه لا بد من الزيادة في وجه الارض سواء كان ذلك
بتجديدها او امتدادها لان الخلائق باسرهم من الاولين والآخرين لما كانوا واقفين على ظهرها يوم القيامة
لا بد من الزيادة في طولها وعرضها عن علي بن الحسين انه قال قال عليه الصلوة والسلام اذا كان يوم القيامة مدت الارض

مدالاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعني لكثرة الخلائق فيها قوله وتخلت اي خلت غاية الخلو حتى لم يبق في
باطنها شيء فصارت بذلك كانها تكلفت في الخلو اقصى وسعها وطاقتها فان حقيقة التكليف غير متصورة في الارض والجهد بضم الجيم
الطاقة وبالفتح المشقة وقوله واذنت لربها وحقت ليس بتكرار لان الاول في حق السماء وهذا في الارض ثم انه تعالى لما ذكر
من مقدمات القيامة ومباديها امورا وجعلها شروطا ولم يذكر جزاؤها ليكون ابهامها ادخل في التهويل كانه قيل اذا وقعت
هذه الامور كان ما لا يدخل تحت الوصف والبيان خاطب جنس الانسان خطابا منزلا منزلة مخاطبة كل واحد منهم على التعيين
فقال له انك كادح الى ربك كدحا والكدح في اللغة السعي الشديد في العمل وذكر العلماء ان الذهاب اليه تعالى بان يفارق البدن
بالموت ويصل الى عالم الارواح واما اعماله التي عملها في الدنيا من الخير والشر فانه يسعى بها الى ربه فيحاسبه بها فالمعنى على
الاول انك ساع بجهد سريع انفاسك كما قيل نفاسك خطاك سيرا سريعا الى ربك اي الى لقائه بالموت فملاقيه عند مجيء اجلك
وانظر باي العمل تلقاه فالقه بعمل ينجيك لا بعمل يرديك وعلى الثاني انك كادح تتعب بعملك في دنياك كدحا وسعيا تصير الى
ربك فيحاسبك ويجازيك به فانظر باي عمل تصير اليه قوله او الاكتفاء عطف على التهويل يعني ان المحذوف اما منهم يذهب
ذهن السامع كل مذهب لابهامه لكون ذلك ادخل في التهويل او متعين وهو قوله علمت ما سعى فيه من الخير والشر ولم يذكر
اكتفاء بما مر قوله او بدلا عطف على قوله مامر وقوله عليه اي على الجواب المحذوف وهو متعلق بالدلالة قوله لان الانسان كدحه
اي عمله الذي كدح فيه وتعب فيه اشارة الى ان ضمير ملاقيه راجع الى الكدح الا ان الكدح لكونه عرضا لا يبقى يمتنع تلاقيه
فلا بد من تقدير المضاف ايضا اي فملاق حسابه وحكمه لا مفر له منه قوله اي جهدا يؤثر فيه بفتح الجيم وهو المشقة والتعب
وهو تفسير لقوله كدحا لا ايضا ولذلك عطف عليه الكد في الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها
من كدح جلده اذا خدشها قوله او فملاقيه عطف على قوله فمحذوف واذا كان قوله فملاقيه جواب اذا يكون قوله يا ايها الانسان
انك كادح معترضا بين الشرط والجزاء والمعنى اذا كان يوم القيامة لقي الانسان عمله اي جزاء عمله واليه اشار بقوله والكدح
اليه السعي في لقاء جزائه قوله لا يناقش فيه يعني ان الحساب اليسير هو العرض بان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة
منها هذه وان المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على
صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد
عذرا ولا حجة فيفتضح كما قال عليه الصلوة والسلام من نوقش في الحساب فقد هلك الحساب اليسير هو العرض وسوف من الله
واجب قوله اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره يعني ان قوله تعالى في هذه السورة واما من اوتي كتابه من وراء ظهره
لا ينافي قوله في سورة الحاقة واما من اوتي كتابه بشماله وراء ظهره لامكان الجمع بينهما بان يخلع يده اليسرى من موضعها
فتجعل وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله خلف ظهره ولما يؤتى كتابه من غير يمينه يعلم انه من اهل النار فيقول واثبوراه
قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشيء هو المواظبة عليه ويسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول قوله وقرا الحجازيان
وهما نافع وابن كثير والشامي وابن عامر يصلى بضم الياء وتشديد اللام وقرا ابو عمرو البصري وعاصم وحمزة ويصلى
بفتح الياء واسكان الصاد مخففا وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام اي يدخله غيره لقوله تعالى
ونصله جهنم قوله فارغا عن الآخرة وعما فيها من الحساب والثواب والعقاب فصار عدله ذلك عن تعب المجاهدة في الطاعات
واجتناب المعاصي والمنكرات فابدله الله تعالى بذلك السرور والامن غما وانما يخلا المؤمن فانه اذا كان مشفقا عن المعاصي مجتهدا في الطاعات

غير اس

والمفهوم من هذه العبارة ان
لعله سلك الا الوادي المنخفض
جنسها لا يقبت لشدة حرها كيف
حال الانسان ان يكون مسكنه
كذلك تأمل

١٣١

من العذاب ولم يكن في الدنيا مسرورا بالمال والجاه ولم يكن لديها الاهم الآخرة والخوف من اهوالها لها فابدله الله تعالى
سرورا ابديا لا ينقطع قوله ظن ان لن يحور ان فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر ولن يحور خبرها والجملة
سدت مسد مفعولي الظن والمعنى ان هذا الكافر ظن ان الامر والشان لن يحور الى الله تعالى بان يبعث بعد الموت
والحور الرجوع والمحار المرجع وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما في قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور
والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما كان عليه في الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى لتبعثن وعلى
التاكيد بدل سرور نعيم لا ينقطع ونيلا لا يزول ان ربه كان به بصيرا عالما بما يعمل من الكفر والمعاصي فلم يكن يجوز في حكمته
ان يهمله ولا يعاقبه على سوء اعماله كني بعلمه تعالى عن بعثه ومجازاته عليها وكلمة لا في قوله فلا اقسم يجوز ان تكون
لرد الكلام السابق وابطاله فانه تعالى حكى عن المشرك انه ظن ان لن يحور ولن يبعث فابطل الله ذلك الظن بلا ثم قال بعد
اقسم بالشفق والفاء للتعقيب فانه تعالى لما اوجب الحور والبعث بقوله بلى فرع رد قوله وابطال ظنه ويجوز ان
تكون كلمة لا صلة وقد مر مرارا واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد ان الشفق اسم للاثر الباقي من الشمس
في الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى انه هو الحمرة التي ترى في المغرب بعد غروب الشمس واليه
ذهب ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى وظاهر قول ابي حنيفة رجع عن هذا القول واختارا ان الشفق هو الحمرة
كما قال به صاحباه والشفق في الاصل الرقة ومنه ثوب شفق اذا رق لطول اللبس والشفقة على الانسان رقة القلب عليه
واذا كان هذا اصله فهو بالبياض اولى منه بالحمرة لان اجزاء الضياء في البياض ارق وفي الحمرة اكثف فان اثر الشمس يعني ضوءها
ياخذ في الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولي سواد الليل على الآفاق كلها وقال عكرمة ومجاهد ان الشفق
اثر الشمس وهي كوكب نهاري واثرها هو النور ويؤيده انه تعالى عطف عليه الليل وهو يستدعي ان يكون قبله النهار
فيكون القسم واقعا بالليل والنهار الذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم قوله وما جمعه اي ما ستر بالنهار
فان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماواه والوسق ضم الشيء بعضه الى بعض يقال وسقه فاتسق واستوسق كوسعه
فاتسع واستوسع وما في قوله تعالى وما وسق موصولة او موصوفة بمعنى الذي جمعه او شيء جمعه اشار اليه المص
بقوله وما جمعه بتقدير العائد على التقديرين بخلاف ما اذا كانت مصدرية واشار ايضا الى ان جمع الليل للمخلوقات
عبارة عن ستره اياه بظلمته واحاطته الظلمة بها فان ظلمة الليل كانها تجلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات
فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وهذا المعنى لا يحصل على تقدير ان تكون
ما مصدرية لان المقسم به حينئذ يكون وسق الليل وجمعه لا ما يجمعه الليل من المخلوقات وقيل يحتمل ان يكون المراد
ما جمعه العباد المجتهدون بالليل لانه تعالى مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم قوله مستوسقات لو يجد
سابقا اوله ان لنا قلايصا حقايقا والقلوص الناقة الشابة والحقايق جمع حقاق جمع حقة وهي الناقة التي استكملت
ثلاث سنين ودخلت في الرابعة وصف الشاعر قلائصه الحقاق بكونها مستوسقات اي مجتمعات وتمنى ان يكون لها سايق
قوله او طرده الى اماكنه عطف على قوله جمعه وستره يعني ان الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد
ايضا كما يقال للابل المطرودة وسيقة لان السارق طردها من اماكنها وفي الصحاح الوسيقة من الابل كالرفقة من
الناس فاذا سرقت طردت معا قوله اجتمع ولم يرد مبنى عليها قال من اتق واستوسق معا وهما الوسق بمعنى

مجتمعة

جمعه يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى لما ذكر ما اقسم به ذكر بعده ما اقسم
عليه لتركبن طبقا عن طبق واختار المص قراءة من قرا بضم البا على خطاب الجنس الذى هو في معنى الجمع لان النداء في قوله يا ايها
الانسان انك كادح للجنس وما قال ليركبن باليا وفتح البا جعل الكلام اخبارا عن الغائب وهو الانسان المذكور بالاسم
الظاهر المنزل منزلة الغائب اى ليركبن الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيامة اهوالا وشدائد حالا بعد
حال وشدة بعد شدة كانهم انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث كائن لا محالة وان الناس يلقون فيها الشدائد والاهوال
الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة او نار في نظير قوله تعالى بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم
قوله وهو لما طابق غيره يعنى ان الاصل اسم لما طابق غيره يقال ما هذا بطبق هذا اى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال
المطابقة لغيرها طبق قوله او مراتب من الشدة يعنى ان المراتب عطف على قوله حالا بعد حال لان طبقا على الاول اسم مفرد اطلق
على الحال المطابقة لغيرها وعلى هذا هو جمع طبقة بمعنى مرتبة يقال طبقات البيت اى مراتبه فالمراد بها في الآية طبقات الشدة
ومراتبها التى بعضها اشد من بعض وهى الموت وما بعده من اهوال القيامة قوله او هى وما قبلها اى او من المراتب من الشدة
هى هذه المذكورات وما كان قبلها من الدواهى العارضة للانسان من ابتداء وجوده الى ان يموت قوله باعتبار اللفظ
فان لفظ الانسان مفرد فخوطب خطاب المفرد المذكر ولو اعتبر معناه بضم اليا على طريق خطاب جماعة الذكور وعلى
تقدير ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قوله طبقا اسما مفردا لما طابق غيره واما احواله التى يترقى عليه السلام فيها
من الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث واظهار دينه على الاديان كلها واما مراتبه عليه السلام في القربة الى الله تعالى والاستحقاق
لانواع فضله ورحمته بحيث لا يعلم كنه ذلك غيره تعالى وما ما ركبه من طبقات السماء كانه تعالى يقول اقسم يا محمد على انك لتركب
حالا بعد حال حتى يختم بعاقبة جيدة فلا يحزنك كفرهم وتماديهم في الكفر والتكذيب اى لتركبن درجة بعد درجة في القرب
من الله تعالى والكرامة عنده او لتركبن السموات طبقا عن طبق فانها سبع سموات طباقا فهى بشارة له عليه السلام بصعوده الى
السموات لمشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسرا وقوله بعد حال وبعد المراتب اشارة
الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى شئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصح ان
يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظة عن تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظة بعد فصح استعمال احدهما
بمعنى الآخر قوله وعن طبق صفة لطبقا اى لتركبن طبقا مجاوزا للطبق او حال من الضمير في لتركبن كبقا مجاوز الطبق على
قراءة تركبن بفتح البا او مجاوزين على القراءة بضم البا قوله بيوم القيامة خص يوم القيامة بانتفاء ايمانهم به مع
انهم لا يؤمنون باكثر ما يجب الايمان به بل بكله من حيث ان الكلام مسوق لتوبيخ منكرى البعث والقيامة وتفضيح
حالهم لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم حكى بانه يحور البتة ثم اقسم بالحوادث المتغيرة الطارية على
الافلاك والعناصر على ان الناس يلقون بعد البعث طبقا بعد طبق الى ان يستقر كل احد فيما اعد له فان الشفق حالة
مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا الليل حالة حادثة بعد انبساط ضوء النهار وتغير
احوال الحيوانات من التفرق الى الاجتماع ومن اليقظة الى النوم وكذا اتساق القمر وكونه بدرا حالة حادثة بعد كونه
ناقصا فهو تعالى اقسم بهذه المذكورات على انهم يبعثون ويركبون طبقا عن طبق فتخصيص هذه المذكورات بجعلها
مقسما بها من حيث ان لها دلالة على ثبوت الدعوى فان من قدر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال

المحال

والمفهوم من هذه العبارة ان
لعارسلت الى الوادى المخصوص من
جنتها لا بقيت لشدة حرها فكيف
حال الانسان ان يكون مسكن
كذلك تأمل

١٣٢

الى حال على حسب المصالح ومقتضى الحكمة لا بد ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات فيكون قادرا على
البعث والقيامة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال فما لهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء
فان عدم ايمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدا وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم
للقران عند سماعهم اياه من حيث انهم بالغوا في امر الفصاحة والبلاغة الى اقصى المراتب الممكنة لنوع البشر
فعند سماعه لا بد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طور البشر وكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق مبلغه
عليه السلام في دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويقبلوا جميع ما كلفهم به فسر السجود اولا بالخضوع والانقياد
ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على ان يكون المراد بالقران آية السجدة بخصوصها لا مطلق
القران وايد هذا الاحتمال بما روى في سبب النزول قوله واحتج به اى بهذه الآية وتذكير الضمير لكونها في معنى المنزل
ووجه الاحتجاج ان الذم انما يتوجه على من ترك الواجب قوله فبشرهم استهزاء بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار
وقد استعملت في الخبر المؤلم قوله استثناء منقطع من الضمير المنصوب في قوله فبشرهم الراجع الى الذين كفروا و لانه
ان الذين آمنوا ليسوا من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن الذين آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والمعنى
الا من تاب منهم وآمن بعد ما نزلت هذه الآية فانهم وان كانوا في الحال كفارا الا انهم متى تابوا استحقوا لان يثابوا
وآمنوا وعملوا الصالحات تخلصوا عن استحقاق الاليم واستحقوا لان يثابوا باجر غير منقوص ولا مقطوع
لان نعيم الآخرة لا ينقطع سورة البروج بسم الله الرحمن الرحيم قوله
البروج القصور التى تنزل فيها الاصاغر والاشراف اطلق على بروج السماء الاثنى عشر استعارة تصريحية
تشبيها لها بالقصور وهم لكونها منازل السيارات او مقر الثوابت وقيل المراد بالبروج ههنا النجوم التى هى منازل
القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله
دق واستقوس ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على
هذه النجوم ايضا مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة الينا لان البروج تنبئ
عن الظهور وقيل المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل المراد بها ابواب السماء وسميت بروجا
للظهور والامتياز بحسب الرفعة والاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها وما فيها من المحاسن ظاهرة للاعين
فلذلك سميت بروجا ثم يقال برجت المرأة اى شبهت بالبروج في اظهار المحاسن وهو معنى قولهم التبرج اظهار المرأة
زينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى غير متبرجات بزينة قوله ومن يشهد اى ومن يحضر في ذلك اليوم من الخلائق الاولين
والآخرين من الجن والانس والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه سبحانه وتعالى لما اقسم باليوم الموعود الذى هو
يوم القيامة تنبيها على عظم قدره وشرفه من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرده فيه تعالى بالملك والحكم
عطف عليه الشاهد وهو من يحضر ذلك اليوم من الخلائق والمشهود فيه الذى هو ما في ذلك اليوم من العجائب قوله
او النبى وامته عطف على قوله ومن يشهد في ذلك اليوم اى ويجوز ان الشاهد من الشهادة لا من الشهود وهو الحضور
فعلى هذا يكون المشهود بمعنى المشهود عليه لان الشهادة لا يتعدى بنفسها بل بحرف الجر يقال شهد به وشهد
عليه الا انه حذف الصلة كما حذف المتركة واصل مشترك فيه وعلى التقدير ان يكون الشاهد والمشهود من الشهادة

وذكروا وجوها في تعيين المراد بهما الاول ما ذكره بقوله او النبي وامته ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولا شك ان تبشيره وانذاره ودعوته عليه السلام انما هي بالنسبة الى امته فكذا
شهادته يكون بالنسبة اليهم كما قال تعالى في حق امته عليه السلام انما هو بالنسبة ويكون الرسول عليكم شهيدا
والثاني ما ذكره بقوله او امته وسائر الامم لقوله تعالى في حق امته عليه السلام وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس والثالث ما ذكره بقوله او كل نبي وامته لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته والرابع ما ذكره بقوله والخالق والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اي شاهدا
مطلعا على احوال خلقه والخامس ما ذكره بقوله او عكسه فان كل جزئي من جزئيات العالم شاهد على ان له صانعا وعلى التقديرين
يكون القسم واقعا بجميع الكائنات وما الطف قول الشاعر فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية
تدل على انه الواحد والسادس ما ذكره بقوله او الملك الحفيظ والمكلف بقوله تعالى كل نفس معها سائق وشهيد فتكون
كل نفس مشهودا عليها من حيث ان حفظة اعمالها تشهد عليها بها والسابع ما ذكره بقوله او يوم النحر فقد روي عن ابن عمر
وابن الزبير والنخعي والثوري رضي الله عنهم ان الشاهد يوم الاضحى فانه يوم عظيم يشهد لمن حج بالاعمال واستحقاق الرحمة
والثامن ما ذكره بقوله او عرفة فانه ايضا يوم عظيم يشهد الحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزي وللعادين على
اقدامهم هدي والتاسع ما ذكره بقوله او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه من خير وشر والعاشر
ما ذكره بقوله او كل يوم واهله روي عن الحسن انه قال ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد
فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة قوله قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل احتيج الى التقدير
لان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء الداخلة على كلمة قد نحو والله
لقد خرج ولا يجوز الاقتصار على احدهما الا عند طول الكلام كما في قوله والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه لم
يؤت فيه باللام لطول الكلام او في ضرورة الشعر كما في قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال
ويجيء مثله تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لا تدخل على الماضي المجرد فمن قال ان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود
جواب القسم قال ان اصله لقد قتل اي لقد لعن فحذف اللام كما في قوله تعالى قد افلح من زكيها ثم حذفت كلمة قد وقيل
في توجيه ظاهر الجملة عنها ان الكلام محمول على التقديم والتاخير كانه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج
والاظهر قوله انه دليل محذوف فجعله اظهر بالنسبة الى كونه جواب القسم بناء على ما اشار اليه من ان السورة وردت لبيان
شدة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله تعالى وعظم سخطه وان ذكر قصة اصحاب الاخدود
والتعرض لحديث الجنود وفرعون وثمود والمقصود منه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عن ايذاء الكفار المعاندين
لاولياء الله المؤمنين فان ذلك يتضمن عداوة المؤمنين وعيد المشركين فاذا كان ذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم
على تحقيق لعن اصحاب الاخدود لا وجه له ولا سيما ان ذلك يؤدي الى تقدير قد واللام وتقدير الكلام والسماء ذات
البروج ان كفار قريش لملعونون لعنا مثل لعن اصحاب الاخدود والقتل لكونه لمعظم العقوبات لا يقع الا عن سخط
عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذي هو اللعن فكان اللعن من لوازم القتل فكذلك عبر بعض اللعن لكونه ابلغ في
التصريح باللعن من حيث انه بمنزلة اثبات اللعن بالبينة والاخبار بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوة عنادهم

ببيان ان احوال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج ان الله تعالى ينتقم من الكفار

وبالغنهم

وبالغوا في ايذاء المؤمنين يدل على ان كفار مكة ايضا ملعونون للاشتراك في العلة وهي الاصرار على الكفر والعناد والمبالغة في ايذاء المؤمنين وسلوك
طريق الكناية ابلغ من التصريح وادخل في افادة التسلية قوله فمال قلبه اليه فكان الغلام يطيل عنده القعود بسبب ميله فاذا ابطا عن الساحر
ضربه واذا ابطا عن اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يا بني اذا استبطاك الساحر فقل حبسني اهلي واذا استبطاك اهلك
فقل حبسني الساحر فبينما هو بالناس ذات يوم ظهرت حية قد حبست الناس الخ قوله فاقتلها اي بان يخلق في قوة ادمي بها هذا الحجر
اليها واضربها به فرماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر والتدين بدين الراهب والاشتغال بعبادة الله تعالى
فصار بحيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وهو جمع داء الى آخر القصة والرجفة الزلزلة ويقال كفأت
الاناء اي كببته وقلبته وتقاعست اي تاخرت فكانها ارتدت وكان لهذه المرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك
ارجعي عن دينك والا القيتك واولادك في النار فابت فاخذ ابنها فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فابت فالقى
في النار الثاني ثم قال لها ارجعي فابت فاخذه الصبي منها ليلقوه في النار فهمت بالرجوع فقال الصبي يا اماه لا ترجعي عن الاسلام
فانك على الحق ولا باس عليك فالقي الصبي في النار والقيت امه على اثره عن عكرمة قال تكلم في المهد اربعة عيسى ويحيى وصاحب
جريج وصاحب الاخدود وقال عطاء خمسة هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون وقال الضحاك ست هؤلاء وشاهد
يوسف عليه الصلوة والسلام قوله وعن علي رضي الله عنه عن سعيد بن جبير قال لما انهزم اهل اسفيدهان اختلف في احكام
المجوس قال عمر رضي الله عنه ما هم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وكانوا مجوسا فقال علي رضي الله عنه قد كان لهم كتاب وحرم عليهم
في كتابهم الاخوات والبنات وكانت الخمر قد احلت لهم فشربوها وان ملكا من ملوكهم غلبت على عقله فوقع على ابنته وعلى اخته فلما ذهب
عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج قال المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح
الاخوات والبنات فقال له الجماعة معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به ما جاءنا به ولا انزل علينا كتاب منبسط فيهم السوط
فابوا ان يقروا فجرد عليهم السيف فابوا فخد لهم اخدودا واوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن
اجاب خلى سبيله قوله وقيل لما نعني نجران اليمن روي انه وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم الى التنصر
فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها اجيب بانه لا تعارض لما روي عن مقاتل انه قال كانت الاخاديد
ثلاثة بنجران اليمن واخرى بالشام والثالثة بالعراق قوله صفة لها بالعظمة وكثرة ترفع بها حطبا كان او غيره الوقود بالفتح
وان شاع في الحطب الا انه يطلق على مطلق ما يتقد به اي شيء كان قال تعالى وقودها الناس والحجارة فالمقصود من توصيف النار
بكونها ذات الوقود تعظيم شانها لا الدلالة على كثرة ما يكون سببا لاتقادها واشتعالها ولو لم يقصد به هذا المعنى لما بقي
للتوصيف فائدة فانه من الظاهر المكشوف ان النار لا تخلو عن الوقود وكلمة اذ في قوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لفعل ومعنى
لعنوا وقت كونهم قاعدين على حافة النار لالقاء المؤمنين فيها وحافة الشيء جانبه والظاهر ان المراد باصحاب الاخدود
الجابرة الذين يقعدون على شفير جهنم ويخيرون المؤمنين بين الارتداد وبين الوقوع في النار فمن ترك الاسلام تركوه
ومن كان يصبر عليه القوه في النار وان تضرهم في قوله اذ هم لهؤلاء الجبابرة وقعود جمع قاعد وعبر عن القعود على حافة
النار وشفيرها بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤا
ويخلون سبيل من شاؤه قوله وما انكروا يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اي وما عابوا منهم وما انكروا الا ايمانهم وانما قال الا

أن يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم في الماضي لدوامهم عليه في الاولى حتى لو كفروا في المستقبل مع ان الايمان المعذبوهم
على ما مضى فكانه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم قوله استثناء على طريقة ولا عيب فيهم فان كل واحد منهما من قبيل تاكيد المدح بما يشبه
الذم فان كيفيات سوق العسان مشتملة على كسور في حدها من مصابة الجيوش من اغوال المحامد واجل المفاخر فكذا الايمان
بالله تعالى اشرف جميع فضائل المكلفين فيهم لغاية غوايتهم عدوه قبيحا وعابوهم به والمقصود من الآية بيان اصحاب الاخدود
يستحقون لعنة الله تعالى وسخطه وذلك لان من اتصف بكونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه به وحميدا اي محمودا بجميع المخلوقات
بلسان المقال او بلسان الحال فان كل ذرة من ذرات الكائنات يثني على صانعه لكمال العلم والقدرة والحكمة ويحمده على ما انعم به
عليه من نعمة الايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم وبكونه بحيث يثبت له ملك السموات والارض بحيث لا يشاركه احد في تصرف
شيء منهما يستحق ان يؤمن ويصدق بانه رب العالمين بالعبادة فالجاهل الذي نقم الايمان به وتخصيصه بالعبادة الا يكون
في نهاية الغواية يستحق اللعن والسخط العظيم واخر ذكر اختصاصه تعالى بالملك التام عن كونه تعالى عزيزا حميدا لان الصفة الاولى
دالة على كمال القدرة والثانية دالة على كمال العلم ولا شك ان الاختصاص بالملك التام بحيث يكون موجدا بجميع الكائنات ويكون
ابقاؤها موجودا او افناؤها مفوضا الى محض مشيته انما يكون عند حصول الكمال في القدرة والعلم وقوله تعالى على كل شيء شهيد وعيد لهم
لان من لا يخفى عليه شيء يجازي كل احد على وفق عمله فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين ثم انه تعالى لما ذكر قصة
اصحاب الاخدود وما فعلوا بالمؤمنين اذ هم عليها قعود تبعها بذكر عقاب من اذى المؤمنين ويذكر ثواب اهل الايمان والطاعة
قوله بلوهم بالاذى اشارة الى ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك قد يكون بالشر وقد يكون بالاذى والمراد بها في الآية
الابتلاء بالاذى بقرينة المقام فان اولئك الكفار امتحنوا المؤمنين بعرضهم على النار واحراقهم بها والى ان المراد بالذين فتنوا المؤمنين
كل من فعل ذلك من اصحاب الاخدود وغيرهم لان كل واحد من اللفظ والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل وقال بعض
المفسرين الفتنة هي الاحراق بالنار يفتنون قوله العذاب الزائد في الاحراق بمنزلة الفاتنين يعذبون في الآخرة بنوعين
من عذاب الاحراق الاول جزاء كفرهم والثاني جزاء فتنتهم وايذائهم المؤمنين والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق وفي الصحاح
تحرق الشيء بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق والنوع الثاني وان كان من قبيل عذاب الآخرة حراق بالنار الا انه خص باسم
الحريق للدلالة على انه عذاب زائد على النوع الاول من العذاب من حيث ان كل واحد منهما وان كان عذابا عظيما في نفسه
الا ان الثاني لما اجتمع مع الاول قوي واشتد وصار كانه هو عذاب الحريق وان الاول ليس بالنسبة اليه بعذاب الحريق وقيل
المراد عطف من حيث المعنى على قوله بلوهم بالاذى فانه قد فهم منه ان قوله الذين فتنوا يتناول اصحاب الاخدود وغيرهم
وان المراد بالمؤمنين المؤمنون المسمون مطلقا وان المراد بفتنة المؤمنين ايذاؤهم مطلقا وان المراد بعذاب الحريق
عذاب الآخرة وعطف عليه ما قيل من ان المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود والمعنى فلهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب
الحريق بنار الاخدود في الدنيا فانه روي انهم لما القوا المؤمنين في النار ارتفعت من الاخدود وذي الملك واتباعه نار فاحترقتهم
فاهلكوا بنفس ما فعلوه بايديهم لاجل اهلاك غيرهم ونجى الله المؤمنين الذين القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم
النار فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود الاعلى انهم كانوا ملعونين في تلك الحالة وانهم خسروا الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ذكر
ما اعده للمؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي قوله تعالى
ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات لهم وقوله تعالى تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه

راضيا عنهم والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لا حصول الجنة ثم انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اكد كل واحد منهما
فقال لتاكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف عنفه ثم استدل
على شدة بطشه بذكر اقتداره على الابداء والاعادة بحيث لا يقدر عليهما غيره فقال انه هو يبدئ ويعيد ويجوز ان يكون
المقصود المبالغة في الوعيد لبيان ان بطشه لا يختص بالدنيا ولا بالآخرة بل ان شاء بطش فيهما وان شاء يمهل العاصي ويؤخر
امر المجازاة الى يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان اهل جهنم تاكلهم النار حتى يصيروا حمما ثم يعيدهم
خلقا جديدا فذلك هو المراد بقوله تعالى هو يبدئ ويعيد ثم قال لتاكيد الوعد وهو الغفور الودود وذكر من
صفات جلاله وكبريائه خمس صفات اولها الغفور قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا الغفور لمن تاب وقال
اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ولان الآية مذكورة في بعض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم واكمل فالحمل عليها اولى انتهى كلامه ولان
الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق قال الامام الغزالي رحمه الله الفعال ينبئ عن كثرة الفعل والفعول
ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى
كلامه ولا شك ان الفارقية اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليها اولى لا سيما في مقام التمدح فقول المص
الغفور لمن تاب ينبغي ان يكون المراد به لمن تاب عن الكفر المحب لمن اطاع على ان الودود فعول بمعنى فاعل
والمحبة في حقه تعالى يراد بها ارادة الكرامة والاحسان والانعام لمن اطاعه وهي صفة مدح له تعالى لانه لا يجب
عليه شيء وانما هي مجرد فضل منه واحسان وقيل يجوز ان يكون الودود فعولا بمعنى مفعول نحو ركوب وحلوب ومعناه
ان عباده الصالحين يودونه لما عرفوه من فضله وجلال ذاته ولما اتسع عليهم من فنون بره واحسانه والودود
بهذا المعنى ايضا صفة مدح له تعالى لانهم انما يحبونه لفضله وافضاله قوله وقيل المراد بالعرش الملك فانهم يكنون
بالعرش عن الملك لكونه من لوازم الملك يقال استوى فلان على العرش وان لم يجلس عليه وثل عرش فلان اذا ذهب
سلطانه قوله لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره فهذه الآية من جملة ما استقل به الاشاعرة في مسئلة خلق
الافعال قالوا للمعتزلة انكم تقولون انه تعالى يريد الايمان والطاعة من كل مكلف فيجب ان يكون فاعلا لهما بمقتضى
هذه الآية واذا كان فاعلا لهما وجب ان يكون فاعلا للكفر والمعصية ايضا اذ لا قائل بالفصل روي انه دخل على ابي بكر
قوم يعودونه فقالوا يا خليفة رسول الله الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي قالوا فاي شيء قال لك قال اني فعال
لما اريد ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود واوعد بذكرها كفار قريش تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولمن تاذى من المؤمنين من قبل المشركين زاد في التسلية والابعاد بقوله هل اتاك حديث الجنود اي قد اتاك يا محمد
خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم ثم بينهم بقوله فرعون وثمود قوله ابدلهما من الجموع جواب عما يقال كيف ابدل
فرعون من الجنود والبدل يجب ان يطابق المبدل منه في الجمعية فاجاب عنه بان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره
عن ذكر قومه لكونهم اتباعه فيكون ذكره كذكر الجميع قوله لا يرعوون اي لا يمتنعون عن التكذيب يقال ارعوى عن
اي كف ومنع وارعوى عن القبيح اي امتنع قوله وكذبوا اشد من تكذيبهم على ان تنكير قوله في تكذيب للتهويل والتعظيم
ثم انه تعالى سلاهم بوجه آخر حيث بين اقتداره على المكذبين وانهم في قبضته وحوزته كالشيء الذي احيط به من ورائه

فشتعليه مسلكه فلا يجد مهربا فقوله والله محيط بهم من باب التشبيه البليغ اى كانه محيط بهم في انهم لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط المحيط ثم زاد في التعجب من حالهم فقال بل هو قرآن مجيد ومعنى الاضراب منه ان ما كذبوا به ليس مثل ما كذب به الجنود
بل هو الذى كذبوا به قرآن معجز بنظمه مجيد شريف عالى الطبقة من بين الكتب وحيد فى نظمه واعجازه وقرأ نافع
محفوظٌ بالرفع على انه صفة للقرآن فالتقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ فى لوح واللوح بالفتح الذى يكتب فيه
وبالضم الهواء بين السماء والارض كذا فى الصحاح ومن قرأ بالضم فسره بما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح قال تعالى
ههنا فى لوح محفوظ وقال فى آية اخرى انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح
المحفوظ واحدا وهو محفوظ عند الله تعالى وهو ام الكتاب منه نسخ القرآن وسائر الكتب ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون
المراد به كونه محفوظا عن التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون المراد به محفوظا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين
روى انه تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وطوله ما بين السماء
والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وفى صدر اللوح لا اله الا الله محمد رسول الله فمن آمن بالله عز وجل
وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الله الجنة وقيل اللوح المحفوظ هو صدر العبد المؤمن وقيل اللوح شئ
يلوح للملائكة فيقرؤنه ولما كانت الاخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به وعلم كيفيته عند الله تعالى

سورة الطارق بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه تعالى اكثر فى كتابه الكريم ذكر السماء
والشمس والقمر لان احوالها فى اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم انه تعالى لما عطف
الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادراك ما الطارق توطئة لبيان المراد منه
وتفخيما لشأنه واعلاء لقدره ثم بينه بالنجم المضئ الذى يطرق اى يبدو بالليل ويخفى بالنهار فان ذكر الشئ مجملا
ثم تفصيله وتعيينه ينبئ عن فخامة شأنه واختلفوا فى ان تعريف النجم للاستغراق او للعهد الخارجى فقال بعضهم انه
للاستغراق كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر وقال آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابن زيد انه الثريا وقال الفراء
انه زحل لانه يثقب بنوره سمك السموات السبع وقال آخرون انها الشهب التى ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فاتبعه
شهاب ثاقب اى نافذ ومضئ يقال ثقبه يثقبه ثقبا اى جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار
تثقب ثقوبا اى اتقدت واشتعلت ويقال لصاحب النار اثقب نارك اى اشعلها حتى تضئ وثقب النجم اى اضاء وثقب
ثاقب اى مضئ فلعل المعنى الاصلى للثاقب الذى يفتح المنفذ واطلاقه على المضئ لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث
انه يثقب الظلام او الافلاك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب قوله وقرأ ابن عامر
وحمزة لما بالتشديد وعنى والباقون بتخفيفها واختار المص قراءة التخفيف فكلمة ان على هذه القراءة مخففة من
الثقيلة واسمها ضمير الشان المفهوم الكلام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كما فى قوله تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم وان المخففة مع ما فى حيزها جواب القسم اى اقسم ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ
لما بالتشديد جعل ان نافية وجعل لما فى معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اى اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ
عملها ورزقها واجلها واذا استوفت جميع ذلك قبضها الى ربها فعلى هذا الحافظ هو الملك الموكل بالانسان كما قال تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى عنه عليه السلام وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون

عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين الظاهر ان المراد
بالحافظ هو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما يحتاج الى الواجب لذاته فى مرجح وجودها
على عدمها تحتاج اليه فى بقائها ايضا فهو تعالى هو القيوم الذى بحفظه وابقائه يبقى الكائنات كما قال ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا فكانه تعالى اقسم على ان كل ما سواه ممكن محدث يحتاج فى اصل وجوده وبقائه الى حافظ
يوجده ويبقيه ويوصله الى الكمال اللائق به وتربيته بان يخلق له ما ينتفع به ويدفع عنه ما يضره وعدى الحفيظ
بعلى فى قوله تعالى عليها حافظ لتضمنه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم واستيلائه وقدرته
عليها وتصرفه فيها حسب ما يشاء قوله لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اشار الى ترتيب هذه الآية على ما قبلها وذلك لان اجمال
ما قبلها متضمن لمعنى قولنا ان الانسان ما ترك سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا استوفى جميع ما
قدر له من ذلك يقبضه اليه ويجعله فى البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته
واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال ينبئ عن ذلك ولما كان ما قبلها متضمنا لهذه المعانى وكانت هذه المعانى
سببا للتوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة
البعث والجزاء ويجتهد فى ان لا يكتب عليه حافظ اعماله سوى ما يفرح به يوم العرض والجزاء فظهر بهذا التقرير ما ذهب
اليه شرف الدين الطيبى من ان الفاء فى قوله تعالى فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن ابتناء الكلام على الحذف والتقدير
غير موجه اذ لا حاجة فى ارتباط الكلام واستقامته الى ارتكاب الحذف لكفاية المذكور قبله فى كونه سببا للتوصية
من غير ارتكاب الحذف قوله بمعنى ذى دفق فان الدافق عند البصريين بمعنى ذو دفق كلابن وتامر وعند الكوفيين بمعنى مدفوق
كسر تام وعيشة راضية بمعنى مكتوم ومرضية قوله والمراد الممتزج فى الماءين بمعنى قيل خلق من ماء بتنوين الوحدة
مع ان الولد انما يخلق من ماءين ماء الرجل الذى يخرج من صلبه وماء المرأة التى يخرج من ترائبها ومن صدرها حيث
يكون القلادة وكل عظم منهم تربيه بناء على ان الولد انما يتكون بعد اجتماع ذينك الماءين فى الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما
شيئا واحدا ولم يقل من ماءين وذلك المجموع الممتزج يصدق انه خارج من بينهما قوله ولو صح ان النطفة تتولد الخ جواب عما
طعن به بعض الملاحدة فى هذه الآية فقال ان كان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب ان المنى انما ينفصل عن ذينك
الموضعين فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة
وخاصية فيصير مستعدا لان يتولد منه تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط فى الجماع يتولى الضعف على جميع اعضائه
وان كان المراد ان معظم اجزاء المنى يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يتربى ويتولد فى الدماغ والدليل
عليه ان المنى يشبه الدماغ فى صورته ولان المكثر الجماع يظهر الضعف اولا فى عينيه وان كان المراد ان مستقر المنى
هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المنى وهو عروق يلتف بعضها بالبعض عند البيضتين وان كان
المراد ان مخرج المنى هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله
لا شك ان معظم الاعضاء معونة فى توليد المنى هو الدماغ وللدماغ خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وله شعب كثيرة نازلة
الى مقدم البدن وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم فى كيفية تولد
الاعضاء من المنى كلام لمحض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول انتهى كلامه والحاصل ان الملاحدة

خفي عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المني ينفصل عن جميع اجزاء البدن فياخذ من
طبعه وخاصيته فيستعد لان يتولد له مثل الاعضاء فاشار المص اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى
اصدق القائلين واعلم باحوال ما خلقه على اى وجه يتولد ومن اى موضع يخرج فكلامه المجيد هو المعول عليه واجاب ثانيا
بانا لو سلمنا صحة ما زعموه نقول وجه تخصيص الصلب والترائب الذين يتصل بهما معظم ما يتولد منه المني المستقذ
في الاوعية اقرب الى تلك الاوعية خصا بالذكر وجعلا مخرجا له دان معظم المخرج هو الدماغ والنخاع ولا ضرورة الى تخصيص
الترائب بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من بين الصلب والترائب للرجل واحتج
على ما ذهب اليه لان الله تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق وان الموصوف بذلك الوصف هو ماء الرجل
ثم انه تعالى وصف ذلك الماء الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على ان الترائب ترائب الرجل وعدم التعرض
بالماء للمرأة لا ينافي لان يكون لمائها مدخل في تكون الولد واجاب القائلون بان الترائب ترائب المرأة عند هذا
الاحتجاج بان توصيف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه قوله والضمير
اى ضمير انه للخالق اى ان الله الذي خلقه من مثل ذلك الشيء الحقير لقادر على رجعه واعادته حيا بعد موته وقوله على رجعه متعلق
بقادر فان قيل وجه الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور الذي هو قوله على رجعه عامله الذي هو لقادر مع انه تعالى
قادر على كل شيء قلنا التقديم قد يكون للحصر بل قد يكون لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ ونحو ذلك وقدمه ههنا
للاهتمام بالعدم فان الكلام فيه بخصوصه بناء على ان الامر بالنظر في مبدا خلقه انما هو لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم
بصحة الرجع والاعادة والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهو ما يكتم ويخفى والمراد بها في الآية ما اسر في القلوب من
العقائد والنيات وما اخفي في الاعمال والابلاء الابتداء والاختبار الجوهرى بلوته بلوى حربته واختبرته وبلاه
الله بلاء وابتلاه ابلاه وابتلاه اى اختبره واطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق السبب على المسبب
لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهي يكون للكشف ما علم منهم في الازل قوله
وهو ظرف لرجعه قيل عليه لا يجوز ان ينتصب به للفصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو خبر ان اعني لقادر ولا ينتصب
ايضا بقوله لقادر لانه تعالى قادر في كل الاوقات لا يختص قدرته بوقت دون وقت الآن المراد انه منتصب بمضمر دل عليه
رجعه اى يبعثه يوم تبلى السرائر واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه موخر تقديرا وانما قدم
مراعاة للفاصلة على ان الظرف يتسع فيه ما لم يتسع في غيره قوله في نفسه مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل
على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقا والا لما بقي للعطف فائدة لان القوة المستفادة
من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الانسان في ذلك اليوم فحي لا يكون له شيء من القوة يدفع بها عن نفسه
ما حل بها من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه ولا شك انه يرجع بتبليغ وتحذير عما يودي اليه قوله سمي به كما سمي اولا
بان الله يرجعه اى يرجع نوعه بانزال مثل الاول سمي المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذي رجوع واوب او لانه لكثرة
رجوعه واوبه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة او لان الرجع بمعنى الراجع فان المطر النازل من السماء هو الذي
صعد من البخار فانه حمله السحاب منها ثم رجع الى جانب الارض ورجع يستعمل لازما ومتعديا يقال رجع هو بنفسه
ورجع غيره قال تعالى فرجعناك الى امك وهذيل يقول ارجعه غيره قوله من النبات بيان لما في قوله ما يتصدع عنه

الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمي به لكونه صادعا للارض والارض يتصدع به ولما لم يتات خروجه
من الارض الا بصدعه اياها جعل كانه نفس الصدع فسمي به قوله او الشق عطف على قوله ما يتصدع فان الصدع في اللغة الشق
والارض ذات الشق بالنبات والعيون فعلى هذا يكون الصدع على اصل معناه الا ان الصدع بهذا المعنى لما لم يكن نعمة في نفسه
بل وسيلة في خروج ما هو نعمة في نفسه بل وسيلة الى خروج ما هو نعمة في نفسه وهو النبات والعيون اخره في الذكر
لفوات الملايمة بين هذه القرينة وبين قوله والسماء ذات الرجع حينئذ لان الرجع باى معنى كان نعمة في نفسه ثم انه
تعالى لما اقسم في اول هذه السورة الكريمة على ان من اذى المؤمنين ملعونون وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وثبتهم على اذى المشركين وصبرهم عليه وبين عقاب الكافرين وثواب المؤمنين اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع
على ان القرآن الذي بين هذه الامور لقول فصل يفصل بين الحق والباطل واشار الى كيفية خلقه النبات في هذا القسم كما
اشار فيما قبل الى كيفية خلقه الحيوان فان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام يتولد من اجتماعهما انواع
النباتات ثم انه تعالى بعد ما اخبر به القرآن كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقولهم من يحيي العظام وهي رميم وقولهم اجعل
الآلهة الها واحدا وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين وقولهم فهي تملى عليه بكرة واصيلا
وبالطعن في مبلغه بقولهم ساحر وشاعر ومجنون ويعضد قلبه عليه السلام كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وتسمية ما كان من قبله تعالى في حق المشركين من استدراجهم والانتقام منهم من حيث لا
يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم وجزاء له كما اشار اليه المص بقوله واقابلهم بكيدي وذلك
لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقي وتسمية جزاء ذلك الشيء باسم
ذلك الشيء على سبيل المشاكلة تكثر في القرآن كقوله نسوا الله فنسيهم ويخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ
بهم بعد ما حكى عنهم قولهم انما نحن مستهزئون قوله امهالا يسيرا اشارة الى ان رويدا ههنا صفة مصدر محذوف لا اسم فعل
لانه لو كان كذلك لكان المعنى فمهل الكافرين امهلهم اردوهم فيكون الامر بالامهال تكرير ثلث مرات فان مهل وامهل
وارود بمعنى واحد وفائدة التاكيد قد حصل بالثاني فبقي الثالث بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه
يكون تصغير رود بضم الراء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل قوله والتكرير اى تكرير الامر بالامهال حيث قيل
امهلهم بعد قوله مهل لزيادة التسكين والتعبير وكذا تغيير البنية حيث بني احد لفظي الامر من باب التفعيل و
الآخر من باب الافعال فانه ايضا لزيادة التسكين لان الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كانهما
معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة واعلم ان رويدا في كلام العرب يستعمل على ثلاثة اوجه احدها
ان يكون اسم الفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويد زيدا واهله ولا يتصرف فيه على هذا الوجه لانه حينئذ يكون
من الاسماء الغير المتمكنة والثاني ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما تضاف المصادر تقول رويد
زيد وقال تعالى فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا ويقولون ايضا ساروا
رويدا بحذف المنعوت ويقيمون رويدا مقامه وما في الآية من هذا القبيل والله اعلم تمت سورة الطارق بحمد الله وعونه
سورة الاعلى بسم الله الرحمن الرحيم قوله نزه اسمه يعني ان الامر الآتي وارد بتسبيح
اسمه تعالى الذي هو اللفظ الدال على ذاته المقدس عن الالحاد فيه اى عن الميل عن الحق والصواب في تفسيره

بان يفسر الاعلى مثلا بالعلو في المكان ويعتبر الاستواء على العرش بالاستقرار عليه فان الاعلى من العلو بمعنى الاقتدار
والقهر والاستواء بمعنى الاستيلاء والتسلط وقيل الامر الالهى وارد بتنزيه ذاته تعالى لان الاسم لكونه من قبيل الالفاظ
المؤلفة من الحروف المقطعة لا يجب تنزيهه لكن المسمى اذا كان في غاية العظمة والجلالة يعبر عنه بشيء مما يلابسه
كما يقال سلام على المجلس العالي والمعروض الى الحضرة السامية فيكون لفظ الاسم صلة مقحمة لتعظيم المسمى وقد وقع
اقحامه مع قطع النظر عن قصد التعظيم في قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما والحامه لقصد التعظيم يكون اولى
ومن الناس من تمسك بهذه الآية على ان الاسم والمسمى واحد وقال لان احدا لا يقول سبحان اسم الله سبحان
اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير المسمى لكان المامور به تسبيح غيره تعالى
وهو استدلال ضعيف لانه اذا وجب تسبيح اسمه تعالى يوجب تسبيح ذاته يكون اولى ويجوز ان يكون لفظ الاسم
جملة على ما قبل وعلى كل واحد من التقديرين لا دلالة في الآية على اتحاد الاسم والمسمى قال الامام ههنا دقيقة وهي ان قولنا اسم لفظ
جعلناها الكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه فههنا الاسم
نفس المسمى فلعل العلماء الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتاخرين وظنوا ان الاسم في جميع المواضع نفس المسمى
انتهى كلامه فقول الاسم ههنا نفس المسمى محل بحث وتحقيق المقام ان الاشياء وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان
هو الوجود في اللسان اما وجودها في الاعيان فهو الوجود الاصلي الحقيقي والوجود في الاذهان هو الوجود العلمي
الصوري والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدال على ما في الذهن من الصورة العلمية وتلك الصورة هي
المنطبقة في النفس من الوجود العيني الخارجي فلو لم يكن وجودا في الاعيان لم ينطبع الصورة في الاذهان ولو لم
ينطبع الصورة في الاذهان لما عبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلثة امور متناهية لكنها متطابقة
متوازنة وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى ما ذكره علماء الكلام في مباحث الكيف وبحث الوجود الذهني وظهر
بهذا ان الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الاعيان بالوجود الاصلي كما انه غير الصورة الذهنية التي عبر عنها بالعلم وكذا لفظ
الاسم الذي عبر به عن المفهوم الكلي الذي هو من انواع الكلمة منتزع من الافراد الخارجية لذلك المفهوم وكذا كل لفظ وضع
بازاء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم به نفسه كما اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم او الفعل او الحرف كما تقول
في قولنا خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف فتجعل كل واحد من الثلاثة محكوما عليه مع استحالة
كون الفعل والحرف مخبرا عنه ومحكوما عليه فلفظ زيد في المثال المذكور وان كان اسما لنفسه بحسب الظاهر الا ان بينهما
تغايرا اعتباريا فان الشخص الخارجي مسمى زيد باعتبار وضعه بازائه وهذا الاسم الموضوع بازاء الشخص مسمى بلفظ زيد
باعتبار دلالته على ذلك الاسم الموضوع فالاسم ههنا ايضا غير المسمى قوله وقرئ سبحان ربي الاعلى قيل ان ابنا علي بن ابي طالب
وابن عمر رضي الله عنهما قرآها كذلك والظاهر انما قرآها امتثالا للامر على انها من القران لما روي انه عليه السلام
اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وروي ايضا ان علي بن ابي طالب قرأ في الصلوة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي
الاعلى فلما انقضت الصلوة قيل يا امير المؤمنين اتزيد هذا في القران قال ما هو قيل سبحان ربي الاعلى قال لا انما
امرنا بشيء فقلته امتثالا للامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من قرأ سبح اسم ربك الاعلى وهذه الآثار
والاخبار تؤيد قول من يجعل المامور به تنزه ذاته تعالى وان لفظ الاسم صلة ذكر كناية عن الذات لكون الاسم

من لوازمها

من لوازمها كما يقال سلام على المجلس العالي قيل اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل وروي انه عليه السلام قال لجبرئيل يا جبرئيل
اخبرني عن ثواب من قالها في صلاته او في غير صلوته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير
سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى فوق كل
شيء وليس فوقي شيء واشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة
حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله عز وجل فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة قوله
خلق كل شيء فسوى خلقه اشارة الى ان حذف مفعول كل واحد من خلق فسوى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات
عبارة عن خلقها موضوعة على وجه الاحكام والاتقان سالمة عن الخلل والنقصان فاعرا الجميع ما يتوقف عليه
انواعها كما لها في ذاته وينتظم به اسباب معاشه قوله اي قدر اجناس الاشياء بمقدار معلوم وكذا جعل انواع كل جنس
واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص في جسمه واشكاله واوصافه من الحسن والقبح والسعادة
والشقاوة والهداية والضلالة والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم قال صاحب الكشاف قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به فيحكى
قال يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها
فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تلتطم في بعض تلك البساتين
على شجرة الرازيانج فتحك به عينها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للانسان الى ما لا يحد من مصالحه
وحوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع
لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى قوله انبت ما ترعاه الدواب روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال المرعى
الكلاء الاخضر وفي الصحاح الرعي بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى الرعي والموضع والمصدر والظاهر ان المرعى اسم
مشتق اطلق على الكلاء تشبيها بمكان الرعي قوله يابسا اسود الاول تفسير قوله تعالى غثاء والثاني تفسير احوى فان الغثاء
ما يبس من النبات وصار هشيما يقذفه السيل على جوانب الوادي واحوى افعل من الحوة وهي السواد والاحوى
الاسود وهي صفة لغثاء وسبب كونه اسود اما احتراقه لشدة الحر او ان السيل يحمله فتعلق به اجزاء الكدرة فيسود
لذلك او ان الريح يحمله فيلصق به الغبار فيسود بذلك قوله وقيل احوى حال من المرعى وصف المرعى بكونه احوى اي
اسود لشدة خضرته كما قيل في وصف الجنتين مدهامتان اي سوداوان من شدة خضرتهما فعلى هذا يكون في الآية
تقديما وتاخيرا والتقدير الذي اخرج المرعى احوى فجعله غثاء قوله سنقرئك على لسان جبرئيل اي سنعلمك بان
يقرأ عليك جبرئيل القرآن مرات الى ان تحفظه حفظا لا تنساه بعد ذلك وسيعلمك قاريا بالهام القرآن بان نشرح
صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه فيكون حفظه عليه السلام لهذا الكتاب من غير
دراسة ولا تكرار ولا كتبه امر خارق للعادة ولا سيما هو امي فيكون معجزا وايضا ان هذه السورة من اوائل ما
نزل بمكة وقد اخبر الله عنه انه سيظهر على يده امرا عجيبا غريبا مخالفا للعادة وهو انه تعالى سيقرئه وهو امي
لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله ان ينسيه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كما قال
تعالى ما ننسخ من آية او ننسها فان الانساء نوع من النسخ وهذا اخبار عن الغيب قد وقع كما اخبر فيكون معجزا قيل

كان عليه السلام اذا نزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة أن ينسى وكان جبريل عليه السلام لا يفرغ من آخر الوحي
حتى يتكلم هو عليه السلام باوله مخافة النسيان فانزل الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلا تنسى فلم تنس بعد ذلك شيئا
لانه تعالى لا يخلف وعده ولا في قوله تعالى فلا تنسى نافية وعليه الجمهور لا للنهي لان الانسان لا ينتهي عن النسيان لانه
لا مدخل فيه للاختيار فلا ينتهي عنه فلذلك ثبت الالف في فلا تنسى في الخط والتلفظ ومن جعله نهيا عن النسيان احتاج الى
التكلف في توجيه ورود النهي عما ليس باختياري فقال ان النهي وان كان عن النسيان صورة لكنه في الحقيقة نهي عن سببه
وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكانه قيل لا تغفل عن قراءته وتكريره فتنساه واحتاج في توجيه ثبوت الالف
الى ان يقول انها مزيدة رعاية لفواصل الآي كالتي في الظنونا والسبيلا وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى التكلف
قوله فلا تنسى اصلا لا بطريق النسخ ولا بغيره ذكره ليظهر كون الاستثناء متصلا قوله المراد به القلة اي قلة المنسي الذي
يعقبه التذكر عطف من حيث المعنى على قوله بان نسخ تلاوته فان المراد بنسيان ما شاء الله نسيانه نحو النسيان المستمر
بحيث لا يعقبه التذكر بعده فان النسيان الذي هو احد طريقي النسخ لا بد ان يكون مستمرا واما ان حمل الاستثناء على القلة
في يكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف الذي يعقبه التذكر بعده ويكون المقصود من الاستثناء تقليل المنسي
بهذا المعنى فانه عليه السلام قد عرض له النسيان بهذا الوجه كما ذكره المص ووجه الابهام معنى القلة من هذا الاستثناء
ان المستثنى هو المنسي الذي تعلقت المشية بنسيانه ولا شك ان تعلق المشية بنسيان شيء منه غير معلوم اذ يجوز ان لا
يتعلق بشيء منه اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شيء منه فلا شك ان ما تعلقت المشية بنسيانه اقل من الباقي بعد الاستثناء
فدار امر المستثنى بين ان ينتفي راسا وبين القلة والندرة وما كان كذلك يكون في غاية القلة والندرة فهذا وجه من حمل
الاستثناء على القلة قوله او نفي النسيان مرفوع معطوف على قوله والندرة والنسيان المنفي على القولين الاخرين هو النسيان
الذي تعقبه التذكر الا انه على القول الاول يقصد استثناء القليل بعد الا قليلا منه وعلى القول الثاني يقصد استثناء
شيء منه ويكون قوله الا ما شاء الله لنفي النسيان المتعارف راسا وكل واحد من القسمين قسيم لقوله فلا تنسى شيئا [illegible]
اصلا الا ما شاء الله نسيانه بان ينسخ تلاوته ولما كان قوله الا ما شاء الله مما يدل على القلة جاز ان يراد منه نفي النسيان
راسا فان استعمال القلة بمعنى النفي راسا وارد في كلامهم كما في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فان قضاء الشكور
بكماله غير مقدور للبشر قوله فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء او انساء تفريع على التفسيرين واشار الى ان قوله تعالى انه
يعلم الجهر وما يخفى تعليل للحكم السابق المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بما ظهر من احوال عباده وبما يخفى منها
او علمه بجهره عليه السلام بالقرآن مع جبريل وبما يخفى في نفسه مما يدعوه اليه من مخافة النسيان مجازا
عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا تنسى ما انساه من الوحي ولا يبقى ما ابقاه الا لمصلحة تعود اليهم قوله بعدك
للطريقة اليسرى ضمن قوله ونيسرك معنى الاعداد والتوفيق بيانا لوجه تعديته قوله يفر بدون اللام فان
العبارة السابقة ان يقال جعل الفعل الفلاني ميسرا لفلان ولا يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلاني فالظاهر
ان يقال نيسر اليسرى لك الا انه جعل الفاعل ميسرا للفعل في هذا الموضع وكذا في سورة الليل ايضا وفي قوله عليه السلام
اعملوا فكل ميسر لما خلق له باعتبار التضمين اي معد وموفق له والمراد بالطريقة اليسرى اعمال الخير سميت
يسرى لكونه مودية الى اليسر والراحة تعالى ونيسرك معطوف على سنقرئك قوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض

والتقدير

والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل واليسر في حفظ القرآن او في باب الدين والطاعة
ونون العظمة في قوله تعالى نيسرك ليستدل بعظمة المعطي على عظمة المعطى وكيف لا وقد قال عليه السلام صبيا
لا اب له ولا ام نشأ في قوم جهال ثم انه تعالى جعله في افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلائق اجمعين
الى شريعة لم يهد الى مثلها احد من الاولين فكان بذلك سيد المرسلين وخاتم النبيين واي عطاء اجل واعظم
من هذا قوله بعد ان استتب لك الامر بيان لمعنى فاء التعقيب في قوله فذكر يقال استتب له الامر اذا تهيأ واستقام
فانه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسير حفظه بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما شاء الله نسيانه او تيسير سبيل الرشد
والتدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصبي الهدى والهداية ودولتي الكمال والتكميل
قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت الى الجواب عما يقال انه عليه السلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء
عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم ثواب الطاعة والايمان فعليه أن ينذر الكل ويذكرهم سواء قبلوا منه التذكير
وسعوا به او لا فان نفعهم الذكرى فيها والا فلا اقل من تزايد مثوباته عليه السلام بتكرار الانذار والتذكير
وانقطاع حجة المعاندين بحيث لا يمكنهم ان يقولوا بعد الانذار والتذكير انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع آياتك ونكون من المهتدين فلما وجب عليه ان يذكر الخلائق اجمعين نفعتهم الذكرى والمص اجاب
عنه بثلاثة اوجه تقرير الاول ان ما ذكره من كون التذكير واجبا عليه مطلقا انما هو قبل الزام الحجة عليهم
واتمام دعوتهم بتكرير التذكير باوضح البيان وابلغ التعبير الى ان يتضح الحق ويتبين الرشد من الغي بحيث
يظهر ان من اصر على الكفر والضلال بعده انما يصر عليه لمحض العناد وايثار الهوى على الهدى واما بعد ذلك
فلا يجب اذ لا فائدة له بعد ذلك سوى اتعاب النفس الطيبة من اثر الشقاوة الابدية على السعادة الدائمة وتقرير
الجواب الثاني ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان تقييدا للايجاب بحسب الظاهر الا انه لم يؤت به في هذا الموضع
لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما للمذكرين وتنبيها له عليه السلام يعني ان هؤلاء لا ينفعهم الذكرى كما يقال في حق رجل
ادع فلانا ان اجابك والمعنى ما اراه يجيبك فكانه قيل فذكرهم وما يظن انتفاعهم [illegible] واذا لم يكن التعليق
والتقييد مرادا بقي الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه وتقرير الثالث ان التقييد والتعليق
بالنسبة الى طائفة معينة علم النبي صلى الله عليه وسلم ان الذكرى لا تنفعهم لشدة تمكنهم وكمال اعراضهم عن الهدى ونظيره
قوله تعالى [illegible] من يخاف وعيد ويلزم من هذا الجواب انه عليه السلام اذا علم بنور النبوة او الوحي
الا [illegible] لا يؤمن ولا ينفعه الذكرى لا يجب عليه التذكير قوله وهو يتناول العارف والمتردد فان
الانسان في امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوزه ولكن لم يقطع فيه لا بالنفي
ولا بالاثبات ومنهم من قطع بانكاره والقسمان الاولان يعني اولهما منهما من يخشى الله دون الثالث فان من كان
عارفا بالله تعالى وبكمال قدرته وعلمه وحكمته يقطع لذلك بصحة المعاد ويخشى الله تعالى وينتفع بالذكر
وكذا من تردد ويتوقف الى ان يتبين الحق له ولا يكون من اهل العناد والاصرار فانه اذا سمع آية التخويف
تحرك ان يكون ممن كفر وتولى فانه يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى فينكسر قلبه فيحمله ذلك على الاستماع
للحق وقبوله بخلاف من غلب عليه هواه وحمله ذلك على العناد والاصرار فان قلبه مقفل عليه فلا يصل اليه خوف الله تعالى

وخشيته فلا ينتفع بالذكرى لذكرى لان الانتفاع بها مبنى على خشية القلب لم يحصل فلا جرم يجنب الذكرى ولا يقبلها
ولا ينتفع بها وهو المراد بالاشقى الذى هو القسم الثالث من اقسام الناس قوله الاشقى الكافر يعنى ان المراد
بالاشقى اما جنس الاشقى وهو الكافر او فرد معين منه كوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة والمفضل عليه على
الاول جنس الفاسق وعلى الثانى ساير الكفرة وثم فى قوله تعالى ثم لا يموت للتراخى الرتبى لان هذه الحالة افظع
واعظم من نفس الصلى فهى متراخية عنه فى مراتب الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تانيث الاكبر فيقتضى التفضل
عليه وهو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بها ما فى اسفل دركات جهنم من النار
يكون المفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان فى جهنم نيرانا ودركات متفرقة كما فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاوتة
فالكافر اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران ثم انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن الذكرى ولم يتامل
فى دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك بان قال لا اله الا الله محمد رسول الله على ان يكون
التزكى من الزكا بمعنى الطهارة وقيل من الزكا بمعنى النما اى لمن صار زاكيا ناميا من جهة الاعمال الصالحة يقال زكى
الزرع يزكو زكا اى نما ونكر والزاكى النامى الكثير ويقال ايضا تزكى بمعنى تصدق وادى الزكاة قوله ويجوز ان يراد
بالذكر تكبيرة الاحرام عطف على قوله ما يفهم من قوله ذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فدعاه ذلك الى ان يصلى تعظيما له تعالى
واجلالا ومن استدل على ذلك بقوله تعالى اقم الصلاة لذكرى فان ذكر الله تعالى بكمال عظمته وكبريائه وبانواع
فضله واحسانه دعاه ذلك الى الاشتغال بخدمته وطاعته وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان المراد بذكر اسم ربه
تكبيرة الاحرام فيكون المعنى وذكر اسم ربه لافتتاح الصلاة وصلى عقيبه واحتج بهذا الآية على وجوب تكبيرة الاحرام
حيث عدت فى جملة ما علق به الفلاح وانها ليست من اركان الصلاة من حيث ان الصلاة عطفت عليها بفاء التعقيب
والملابسة بالكل انما يكون بملابسة ركن من اركانه لا عقيبها وعلى ان افتتاح الصلوة والشروع فيها مختص بلفظ
التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل التزكى على التطهير للصلاة لتكون الآية
مسوقة لكل من حصل هذين الشرطين الطهارة وتكبيرة الاحرام وصلى عقيبهما والايمة الشافعية قالوا هذه
الآية وان دلت على مدح كل من ذكر اسم الله تعالى وصلى عقيبه لكن ليس فيها ما يدل على ان ذلك الذكر هو تكبيرة
الافتتاح لجواز ان يكون بمعنى ان ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه وعقابه ودعاه ذلك الى فعل الصلاة
فحينئذ ياتى بالصلاة التى احد اركانها واجزائها تكبيرة الافتتاح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
فى تفسير هذه الآية ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له قال الامام واقول هنا التفسير متعين
وذلك لان مراتب اعمال المكلفين ثلاث اولها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب ثانيها استحضار
معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وثالثها الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هى المرادة بقوله
قد افلح من تزكى وثانيها هى المرادة بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب المعرفة وثالثها وهى الخدمة هى المرادة
بقوله فصلى فان الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لا بد وان يظهر فى
جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع انتهى كلامه واذا حمل التزكى على اداء الزكوة المفروضة تكون الآية نظير
قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكوة قيل هذا التفسير بعيد من حيث انه تعالى ان عادة الله تعالى جارية تقديم الصلوة

على الزكاة

على الزكوة ايهاذ كرا مغا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها قوله فلا تفعلونه ما بعدكم اشارة الى ان المضروب عنه
قوله تعالى قد افلح من تزكى اى لا تفعلونه بل تؤثرون فان بل موضوع لنفى ما تقدم وتحقيق غيره قوله والخطاب للاشقيين
اشارة الى ان المراد بالاشقى جنس الكافر فهو بمعنى الجمع ونكتة الالتفات المبالغة فى الذم فان المذموم مواجهة ابلغ فى الذم
مما يكون فى الغيبة وفى اضمار قل تحقير لشانهم بالاشارة الى انهم لا يستحقون الخطاب به تعالى قوله وقرا ابو عمرو بالياء على
الاخبار عن الاشقين وهم غيب قوله فان نعيمها ملذ بالذات اى يتناول التناذ لا يتناول الا لاجل الالتذاذ والتفكه
لا يقصد بها التعدى ودفع الم الجوع والعطش يقال لذذت الشئ اى وجدته لذيذا وانت تلتذ به وفى
بعض النسخ ملتذ اى كانها محض التلذذ بخلاف نعيم الدنيا فانها تقصد لا لذاتها لما يترتب عليها من التقوى ونحوها
والغوايل جمع الغايلة وهى الشر والمضرة قوله والاشارة الى ما من قد افلح والمعنى ما ذكر من قوله قد افلح الى آخر اربع
آيات لمذكور فى صحف الانبياء المتقدمين بمعناه وان لم يكن مذكورا باللفظ المذكور هاهنا قوله فانه جامع
امور الديانة فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغى من العقائد الفاسدة والاخلاق
الذميمة وقوله وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله فصلى اشارة الى تكميل الله تعالى
الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا اشارة الى الزجر عن ايثار الحظوظ العاجلة
عن السعادة الابدية وقوله والآخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب فى طلب الآخرة وما فيها من الروح
والثواب الجزيل وهذه امور لا تختلف باختلاف الشرايع فلهذا قال ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم
وموسى تمت سورة الاعلى بحمد الله وعونه

سورة الغاشية بسم الله الرحمن الرحيم

الغطا هو الغشا والغشا هو الغطا يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ما احاط بالشئ من جميع جهاته فهو غاش له
وسميت القيامة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين ولانها تغشى الناس بالاهوال
والشدائد ويجوز ان تكون الغاشية صفة بقرينة قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وهل بمعنى قد اى قد اتاك خبر
القيامة فتنبه لهولها وما فيها من معنى الاستفهام للتقرير والتعظيم للمستفهم عنه لانه تعالى عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احوال الغاشية وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا قومه عالمين به على التفصيل قوله تعالى وجوه مبتدا وخاشعة خبره
ويومئذ ظرف للخبر اى ذليلة يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس لعل وجه صحة الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب
وجوه بالاضافة الا ان اثر الخشوع والذلة لما كان فى الوجه او لا حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قال الامام المراد بالوجوه
اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكن الخشوع انما يظهر
فى الوجه فاسند الى ضميره قوله شعب فيه اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من الاسمين على انه خبر بعد خبر لوجوه وان ناصبة
وان كان خبر وجوه من حيث الاعراب الا انه من حيث المعنى تقييد للعمل بانه من قبيل ما تعبت فيه الوجوه فان ناصبة بمعنى
تعبة قال نصب الرجل ينصب نصبا من عمل وعلم اذا تعب فى العمل واذا كان لكل واحد منها خبر الوجوه يكون قوله يومئذ ظرف لكل
واحد من الاخبار الثلاثة وتكون الاخبار باسرها حاصلة فى الآخرة فان الكفار لما تكبروا فى الدنيا عن عبادة الله تعالى
وطاعته كانوا يوم القيامة خاشعين اى ذليلين وعاملين فى النار اعمالا يتعبون فيها والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير
والوهاد جمع وهدة المكان المطمين والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة ردية قوله او عملت ونصبت اشارة

بلفظ الماضي الى ان المراد بالعمل والنصب ما صدر عنها في الدنيا والمعنى انها خاشعة في الاخرة وقد كانت في الدنيا عاملة ناصبة
ولم تنتفع بشئ من عملها ونصبها الصادرين عنها في الدنيا لكونهما في غير طاعة الله تعالى فالظاهر على هذا الاحتمال ان يكون قوله
عاملة ناصبة خبر مبتدا محذوف وتكون الجملة موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهي عاملة بنفسه في الدنيا فيما
لم ينتفع به يوم اذ غشيته الداهية الكبرى قوله وقرا ابو عمرو تصلى بضم التاء وسكون الصاد على بناء ما لم يسم فاعله
والباقون بفتح التاء على بناء الفاعل والمنوى فيه على تينك القراءتين للوجوه وقرئ بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام
قوله بلغت اناها اى فاعلها غايتها في الحر يقال آن الحميم يانى آنا اى انتهى حره والانا نهاية الحر قوله ولعله طعام هو لا جواب عما
يقال قوله تعالى وهذه السورة ليس لهم طعام الا من ضريع ينافي قوله تعالى في سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام
الا من غسلين فان احد الحصرين ينافي الآخر لان الضريع غير الغسلين وايضا كل واحد منهما ينافي قوله تعالى ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم وتقرير الجواب ان الدركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصي واهلها عن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم
من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم
ثم اشار الى الجواب الآخر بقوله او المراد بهذه الآية حصر طعامهم المقيد بكونه مما يتحاماه الابل وتكرهه ولا يتناول المرارية
في الضريع وذلك لا ينافي ان يكون لهم نوع آخر من الطعام كالزقوم والغسلين قوله ذات بهجة وحسن على ان ناعمة من نعم الشئ
بالضم نعومة اى صار ناعما لينا ويكون نعومة الوجوه اى غضاضها ونضارتها كناية عن التنعم وطيب الحال او على ان بناء ناعمة
للنسبة بمعنى ذات نعمة والنعمة في حق الوجه هو الحسن والبهجة قوله رضيت بعملها اشارة الى ان السعي بمعنى العمل يقال
سعى يسعى سعيا اذا عمل وكذا اذا عمل وكسب الى ان اللام في قوله لسعيها راضية متعلقة براضية والتقدير
راضية بسعيها فلما تقدم المعمول ضعف العامل فجئ باللام في قوله لعملها ويجوز ان يكون لام التعليل اى لاجل سعيها
للغير وطاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه قوله والتانيث للتانيث لفظ لاغية وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء لان
التانيث غير حقيقي ولان اللاغية بمعنى اللغو على انها مصدر كالعاقبة قوله او كلمة ذات لغو على ان تكون لاغية بمعنى النسبة مثل
تامر صفة لمونث من الكلمة او النفس فاللاغية حينئذ للحدث لا للنسبة قوله والتنكير للتعظيم ومن رفعة شانها انها تجري على الارض
من غير اخدود جريا لا ينقطع وتجري بهم حيث ارادوا اجراءها وماؤها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل قوله
رفيعة السمك اى عالية الجهة الفوق فان السمك هو الامتداد الاخذ من اسفل الشئ الى اعلاه اذ جلس المؤمن عليها يرى
جميع ما اعطى له في الجنة من الملك والنعيم ورفعة قدرها من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال في ذواتها واوصافها
لما قرر الله تعالى امر الغاشية وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون اشد العذاب وبعضهم سعداء منعمون وعلم
ان ذلك يتوقف على ثبوت الصانع القادر على ما يشاء اتبع ذلك ذكر ما يدل على ثبوته وكمال قدرته فقال افلا ينظرون الى
الابل انكارا على تركهم النظر الى عجائب المخلوقات وحثا لهم على النظر والاعتبار لتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه
وحكمته فلا ينكروا اقتداره تعالى على البعث والفاء في قوله تعالى افلا ينظرون للعطف على مقدر بعد همزة الاستفهام اى
يعرضون عن النظر فيما يدل على صحة البعث وقدرته تعالى عليه ما اتاك حديث الغاشية فلا ينظرون الى الابل الخ قوله
باركة للحمل اى باركة لان يحمل عليها ناهضة بالحمل وهو بالكسر ما كان على الظهر والباء فيه للتعدية اى رافعة اياه ونهض بمعنى قام
وناء ينوء نوءا اى نهض بجهد ومشقة وناء بالحمل اذا نهض به والوقر بالكسر الحمل ويجمع على اوقار كحمل واحمال يعني ان الحكمة في طول

لعناقها

اعناقها امران احدهما اقتدارها للقيام بالاحمال الثقيلة فانها اذا مالت عنقها الى جانب خلفها يسهل عليها دفع قدمها
قوله الى عشر هو بكسر العين وسكون الشين ما بين الوردين وهو ثمانية ايام لانها ترد اليوم العاشر كذا في الصحاح
وقيل المراد بها السحاب تشبيها للسحاب بالابل في كثرة ما ينتفع به من حاجة الناس كالابل واطلاق الاسم المشبه به
مجازا وقرينة المجاز ذكره في جنب ذكر السماء والجبال قوله كيف خلقت منصوب بخلقت على حد نصبها في قوله تعالى كيف تكفرون
والجملة بدل من الابل بدل اشتمال ليكونه في محل الجر وقد دخلت الى على كيف في قولهم انظر الى كيف تصنع فيجوز ابدالها مما
دخلت عليه كلمة الى وقرا العامة خلقت ونصبت ورفعت وسطحت بضم فاء الفعل وكسر عين الفعل وتاء التانيث الساكنة
مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل في كل واحد منها مستتر فيه عائد الى ما قبله وقرا كل واحد بفتح الحاء والعين على بناء
الفاعل وهو ضمير المتكلم وحده وحذف ضمير المفعول الراجع الى ما قبلها للعلم به والتقدير خلقتها ورفعتها ونصبتها
وسطحتها قوله ولذلك اى ولكون المقصود من حثهم على النظر الى انواع المخلوقات ان يتحقق عندهم اقتداره تعالى على البعث
اورده عقيب ذكر المعاد ورتب على الامر بالتذكير فانه عليه السلام انما يذكرهم بحثهم على النظر فيما يدل على كمال قدرة الله
تعالى وعلمه وحكمته ثم انه تعالى امره عليه السلام في التذكير لانه عليه السلام لم يؤمر حينئذ الا بالتذكير يؤيده قوله لست
عليهم بمسيطر فيقتلهم وتكرههم على الايمان ثم نسخها آية القتال ويحتمل ان يكون المراد بالتسلط المنفي التسلط على قلوبهم
بان يدخل الايمان في قلوبهم كرها فلا نسخ قوله وعن الكسائي بالسين هذا في بعض النسخ وهو خطا لان الكسائي وحمزة يقرءان
بالصاد الخالصة والصواب وعن هشام وهو من يروى عن ابن عامر الشامي فانه قرا بمسيطر بالسين على الاصل لانه
من السطر قال الجوهري سطر يسطر سطرا اى كتب والمسيطر المسلط على الشئ يشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب
عليه واصله من السطر لان الكتاب مسيطر والذي يفعله مسطر ومسيطر انتهى وقرا حمزة بخلاف عن خلاد بالصاد
والزاء اى يخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي والخلط المذكور اى خلط
حرف بحرف احد معاني الاشمام في عرف القراء والباقون بالصاد خالصة قوله والاستثناء منقطع لان المقصود منه
اثبات ولاية الله عز وجل واقتداره على تعذيب من تولى واعرض عن اجابة دعوته عليه السلام بعد ما نفى تسلطه عليه السلام
وليس فيه اخراج بعض من دخل في المستثنى منه عن حكمه فعلى هذا تكون كلمة من شرطية جزاؤها قوله فيعذبه اى فهو
يعذبه الله ولو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزوما قوله وقيل متصل على انه استثناء من الضمير في عليهم
اى لست عليهم بمسيطر الا على من تولى عن الايمان وكفر فانك مسلط عليهم بما يؤذن لك من قتله وسبيه ولما استشعر
ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فتسلط عليه عليهم باكراههم على الايمان تسلط على القلب لان يقلب الايمان وذلك
ليس في وسع البشر اذ لا يتولى على القلب احد غير الله تعالى اجاب عنه بان الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم بمنزلة الاستيلاء
عليهم ليقبلوا الايمان لكونه من اسباب المؤدية الى الايمان قوله وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا جواب عما يقال من ان
السورة مكية وانه عليه السلام ما كان ماذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم
لان يكون المعنى انت متسلط على من تولى عن الايمان ومحصول الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه السلام باذنه
للقتال والوعيد للكفار المعاندين لا على طريق الاخبار بانه عليه السلام للقتال متسلط عليهم في الحال قوله فتكون الا من تولى
واصر فاستحق العذاب الاكبر الظاهر ان من تولى هذا موصولة وتولى صلتها وكفر عطف عليه والفاء في فيعذبه سببية

دالة على مزيد التعذيب غير مرتب على التولي والكفر فسر قوله تعالى فيعذبه بقوله فاستحق العذاب الاكبر وهذا التولي عن الاجابة
لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليه السلام بتذكيره قوله ويؤيد الاول وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله
هو المسيطر عليهم فيعذبهم ووجه التاييد ظاهر لتوافق المعنيين وهو بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا قوله وقرئ بالتشديد الجمهور
على تخفيف يا ايابهم على انه مصدر آب يؤب اذا رجع وقرئ بتشديد اليا وذكر لها وجهين الاول كونه مصدرا على وزن فعال
من آب على وزن فيعل نحو هو قيل حيقال اوبيطر بيطارا اصله ايواب فلما اجتمعت الواو واليا وسبقت احداهما بالسكون قلبت
الواو يا وادغمت اليا في اليا فصار ايابا والثاني كونه مصدرا على وزن فيعال نحو كلم كلاما اصله اوواب قلبت الواو الاولى
يا لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديوان اصله دووان فصار ايواب ثم فعل ما مر فصار اياب وقوله تارة من الاياب وتارة من
الاوب لمجرد التفنن لان كل واحد من الاوب مصدر آب بمعنى رجع يقال آب يؤوب اوبا وايابا تمت سورة الغاشية بحمد الله

سورة والفجر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله اقسم بالصبح او فلقه الاول على ان يكون
الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق ويطلق الفجر ايضا على نفس ذلك الضوء ايضا وهو قول
الجوهري الفجر في آخر الليل كالشفق في اوله والثاني على ان يكون الفجر مصدرا بمعنى انفجار الظلمة عن النهار وانشقاقها عنه بان
يشقها ضوء المذكور يقال فلقت الشيء فلقا اي شققته اقسم الله تعالى بما يحصل به من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار
الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تامل فيه فان الشيء انما يقسم به
اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه باهرا على التوحيد وعلى صحة البعث والجزاء ونحوهما او فائدة دنياوية تحمل المكلف على
شكر نعمة الله تعالى او مجموعهما كالفجر فانه مشتمل على مجموع الفائدتين المذكورتين شبه قوله والفجر بقوله والصبح اذا
تنفس من حيث ان الصبح جعل مقسما به في كل واحد منهما واشار به الى ان المختار عنده كون الفجر بمعنى الصبح لا بمعنى الفلق والشق
قوله او بصلوته اما بتقدير المضاف او بان يراد بالفجر ما وقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل وارادة الحال اقسم بصلاة الفجر
لكونها عين ما وقع في اليوم من اعمال المكلفين بادروا اليها ولا يقدمها اول يومهم ولان ملائكة الليل يجتمعون لاستماع
ما فيها من القراءة كما قال تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اي تشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القراءة فيه واقسم
بعشر ذي الحجة لانها ايام الاشتغال بمناسك الحج واعماله والحج المبرور من افضل الاعمال ولانها كفارة لذنوب العمر وفي الخبر ما من ايام
العمل الصالح فيه افضل من ايام التشريق قوله ولذلك اي ولاجل ان يفسر الليالي العشر بعشر ذي الحجة لم يفسر الفجر بفجر كل
يوم بل فسر بفجر يوم معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر لان الحاج يقفون بعرفات يوم عرفة متوجهين الى الرب
الكريم راجين عفوه وغفرانه وان يتفضل عليهم بانواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم لا يخيب فيه الاملون وفي الحديث
الحج عرفة وكذا يوم النحر يوم عظيم يريق الحاج فيه الدماء فدا لانفسهم ويطوفون فيه طواف الزيارة الذي هو باقي ركني الحج بعد
الحلق ورمي الجمار ويروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فاستحق كل واحد من اليومين لان يقسم به وكان ذكر الحج بجنب الليالي العشر
لتخصيصه باحد اليومين قوله او عشر رمضان عطف على عشر ذي الحجة فانها ايضا ليال شريفة لما فيها من ليلة القدر التي هي خير من
الف شهر فانه قد ورد في الخبر انه طلبوها في العشر الاخير من رمضان وكان عليه السلام اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد
المئزر وايقظ اهله وكف عن قربانهن وامرهن بالتهجد قوله وتنكيرها للتعظيم جواب عما يقال ما بال الليالي العشر جاءت منكرة
من بين ما اقسم به وتحصيل الجواب انها لو وقعت بلام العهد لكونها معلومة معهودة في نفسها لما افهمت الفضيلة التي تستفاد

من التكر

من التنكير قوله على ان المراد بالعشر ايام الا ان الظاهر على هذا ان يقال عشرة ايام لان ايام مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام
قوله والاشيا كلها عبر عنها بالشفع والوتر لا اجناس الاشيا وانواعها واشخاصها اما شفع او وتر ولا يتصور خلوها عنهما
معا فصح ان يعبر بمجموع الشفع والوتر عن الاشيا كلها ولذا صح ان يعبر به عن مخلوقات باسرها ومن خلقها الا انه تعالى خلقها
زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا كافرا ومؤمنا قادرا وعاجزا باردا وحارا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك
وخالقها فرد واحد لا تعدد فيه بوجه ما قوله ومن فسرها الى قوله او اكثرها منفعة موجبة للشكر لما فسر مجموع الاشيا
بالشفع والوتر فسر الشفع بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ما ذكره المفسرون في تفسير الشفع والوتر
تخصيصا بلا مخصص اشار الى انهم لا يدعون بما ذكروه انحصار مدلولها ذلك وانما خصوا بالذكر من انواع مدلولهما بما راوه
اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والافلاك والسيارات اذ لا مدخل فيها لغيره تعالى او مدخلا في الدين كالصلوات شفعها
ووترها او مناسبة لما قبلها كيومي النحر وعرفة او اكثر منفعة موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين واللسان وكالافلاك والبروج والسيارات فان منافعها اكثر من ان تحصى الا ترى ان انتظام احوال الحيوانات باسرها منوطة بالفصول
الاربعة وان ثبت من الشارع تفسير الشفع والوتر ببعض ما ذكره المفسرون فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ به
بل انه وارد على طريق التمثيل بما اي في تخصيصه بالذكر فائدة معتدا بها فلنذكر بعض ما ذكره المفسرون في تفسيرها فان منهم من فسر
الشفع بالعناصر الاربع والافلاك السبع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثني عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر
الشفع بما كان شفعا من الصلوات وهو ما عدا صلاة المغرب والوتر ما كان وترا منها وهو صلاة المغرب والوتر على قول ومنهم
من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام الليالي العشر والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روي انه عليه السلام انه
فسرها بذلك حيث قال العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وقال عليه السلام بعضها شفع وبعضها وتر
ومنهم من فسرها بغير ما ذكر ثم اختلفوا في ذلك الغير فقال بعضهم الشفع اليومان اللذان بعد يوم النحر والوتر هو يوم
الثالث بعدهما ثم قال جمع الشفع والوتر على ما قلنا اولى من حملها على يومي النحر وعرفة لان يومي النحر وعرفة قد اقسم عليها
بقوله وليال عشر اذا فسرت بعشر ذي الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار في القسم بهما ولان بعض الحج انما تحصل
في هذه الايام التي بعد يوم النحر فعلى تقدير ان يفسر الشفع والوتر بالحج وقال البعض الآخر الشفع آدم وحوى والوتر هو
وقال آخرون الشفع العيون الاثني عشر التي فجرها الله تعالى من حجر موسى للاسباط والوتر الآيات التسع المذكورة بقوله
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقيل ايام عاد والوتر لياليهم كما قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما وقيل الشفع الشفتان والوتر اللسان قال ولسانا وشفتين وقيل الشفع السجدتان والوتر الركوع وقيل
في تفسيرهما غير ذلك ولا وجه لتطويل الكلام بذكرها وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل الفتح
لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم قوله والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة فان
الدلالة عليهما تحصل بمجرد ذكر الليل بدون التعرض لانقضائه بظهور ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار وادخال الخلق
تحت لباس الظلام بعد بالشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة حيث يستترون بظلمة الليل ويستريحون
بالنوم وبالتعرض بانقضاء الليل وتعاقب الليل عليه تتقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا محيت مع كونها محيطة بجميع
اقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على كمال القدرة والاحسان الشامل بجميع الحيوانات

لانهم يصيرون بذلك كانهم اعيد لهم الحياة بعد الموت ويسعون بذلك لطلب الارزاق المحدثة للحياة الفانية التي يتوسل بها
الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله والليل اذا يسر هو الليل
باعتبار مسيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغني احدهما عن الاخر
قوله اويسرى فيه فيكون من الكلام من قبيل ما اسند الفعل الى زمانه مثل صام نهاره اي صام هو فيه وقام ليله اي قام فيه
وتقييد الليل بالسرى بهذا المعنى لان السير فيه حافظ للسائر عن حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر الشمس اشق على النفس
وعن سير قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم في الليل غالبا وقيل المراد بالليل اذا يسر فيه ليلة النحر فان الحاج يسرى فيها
الى المزدلفة بعدما افاضتهم من عرفات حين غروب الشمس وهم فيها والعامل في اذا معنى القسم اي اقسم اذا امضى او يسرى فيه قوله
وحفصه نافع ههنا ثلاثة قرآت الاولى حذف الياء وصلا ووقفا وهي قراءة الكوفيين وابن عامر الشامي والثانية حذفها
وقفا لا وصلا وهي قراءة نافع وابو عمرو والثالث عدم حذفها في الحالين وهي قراءة ابن كثير ويعقوب وجه الحذف مطلق التخفيف
ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء بدلالة كسرة الراء عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل لا تحذف في الفعل حال الوقف
فضلا عن حال الوصل فيقال هو يقضي ويقرا وانا اقضي ووجه الحذف في الوقف مراعاة الفواصل مع التخفيف والاكتفاء بالكسرة
دون الوصل لانه لام الفعل والاصل فيه ان لا يحذف قوله وقرئ يسر بالتنوين المبدل فان تنوين الترنم يلحق القوافي في الاسم
والحرف والفعل بدلا عن حرف الاطلاق اي عن حرفي المد واللين لترك الترنم فان الالف واللام والياء الواقعة في القوافي يترنم
بها لما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قطع الترنم لخلو التنوين من المد فاضافة هذا التنوين الى الترنم لادنى الملابسة
لانها ليست لاجل الترنم بل لقطعه فان قيل فما فائدة قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة قلنا
نعم هي زيادة التاكيد والتحقيق للمقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة قوله يدل عليه قوله الم تر الى ان الله
يعلم فانه لما اقسم الله تعالى لامور عظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريري ما يدل
على تعذيب المعاندين المفسدين بانواع الحظوظ العاجلة دل ذلك على ان المقسم عليه المحذوف هو مثل قول التقدير ليعذبن الكافرين
وقيل جواب القسم هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قوله الم تر ليس من رؤية البصر لانه عليه السلام لم يبصره ما فعل بهم بل هو بمعنى
الم تعلم وعبر عن العلم بالرؤية لان اخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذي يفيد العلم الضروري بالخبر عنه نزل ذلك العلم منزلة
العلم الحاصل بالمشاهدة قوله على تقدير مضاف لان القبيلة المسماة بعاد انما يصح تسميتها بارم اذا كانت اولاد ارم جد هذه
فلا بد من كون التقدير بسبط ارم فان السبط اولاد الاولاد فعلى هذا يكون عاد وارم عبارتين عن طائفة واحدة هي سبط قوم
هود عليه السلام غاية ما في الباب انهم سموه تارة باسم ابيهم وتارة باسم جدهم وعطف عليه قوله وقيل سمي اوايلهم يعني
قيل للاولين من اولاد عاد بن عوض عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وقيل لمن بعدهم العاد الاخيرة فارم
في قوله تعالى بعاد ارم عطف لبيان عاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة لقوله وانه اهلك عادا الاولى قوله ذات البناء
الرفيع وهو بناء شداد بن عاد زاعما انه على مثال الجنة بناه في ثلثمائة سنة وكان عمره سبعمائة سنة وهي مدينة عظيمة
رفيعة لم يخلق مثلها في البلاد قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار وجاز وصفهم بذات القدود الطوال ايضا لما روي ان قد احدهم اثني عشر ذراعا واكثر من ذلك وفي تفسير الكواشي
قالوا كان طول الطويل اربعمائة ذراع وكان احدهم ياخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحي فيهلكهم وجاز وصفها ايضا بذات

الرفعة والثبات لسيادتهم وكونهم عماد القوم يقال فلان عماد القوم وعمودهم اي سيدهم والثبات اعمادهم وسعة ارزاقهم
قوله بعث الله تعالى عليهم صيحة فهلكوا جميعا ولم يدخل ارم احد منهم ولا من غيرهم حتى الساعة عن عبد الله بن
قلابة فانه خرج في طلب ابل له فوصل الى جنة شداد فدخلها فحمل ما قدر على حمله مما هناك من الجواهر وغيرها وبلغ
خبره معاوية فاستحضره فقص عليه ما رآه فبعث معاوية الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن
قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة فالمعنى على الاول لم يخلق مثل تلك
القبيلة في القوة وطول العمر وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وعلى الثاني لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد
الدنيا قوله ومضاربهم جمع خيمة مضروبة كما هو في جمع منصور ومن كثرت خيامه كثرت اوتاده قوله او لتعذيبه
بالاوتاد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان خازن فرعون كان رجلا مؤمنا يكتم ايمانه وكذا امراته فبينما هي ذات يوم
تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير
ابي فقالت الهي واله ابيك اله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت البنت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما
يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك والهها واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت
صدقت فقال ويحك اكفري بالهك واقري باني الهك فقالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات
والعقارب وقال اكفري بالله عز وجل والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت
برب العالمين وكانت لها بنتين فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على صدرها وقال لها اكفري بالهك والا ذبحت الصغرى
على قلبك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من على الارض على فمي ما كفرت بالله تعالى فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها
واراد ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في
الجنة وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون
بالماشطة فقالت في نفسها كيف يسعني ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما تؤامر نفسها اذ
دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال
فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السموات والارض وما
بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهون لها
ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قوله صفة للمذكورين فيكون مجرور المحل لكونه
بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا عليه وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان
الوجه الثاني يحتاج الى حذف العامل وهو اعني والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدا فما اختاره المصنف احسن
بحسب اللفظ واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعني لكونه صريحا في الذم والمقام مقام الذم
فهو احسن من حيث المعنى قوله ما خلط لهم من انواع العذاب فسر سوط العذاب بانواع العذاب المختلف بعضها ببعض
طاقات السوط الذي يضرب به فسوط عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى ما يعذب به والاضافة
بمعنى من نصب عليهم ما هو كالسوط من العذاب قوله وقيل شبهه بالسوط ما احل بهم فالاضافة السوط الى العذاب

من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كلجين الماء والصب مستعار للانزال والمعنى انزل عليهم عذابا في الدنيا بالنسبة
الى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة الى السيف ق يترقب فيه الرصد وهو بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد
الراقب المرتصد المترقب وصيغة المفعال قد يكون اسم مكان كالمضمار فانه اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم
للمكان الذي ينهج فيه وقد يكون للمبالغة كالمعطار والمعطان لمن يكثر من هذه الافعال والمرصاد ههنا يتعين ان يكون اسما
للمكان الذي يترقب فيه الرصد للباء الدالة على الظرفية قيل لبعض العرب اين ربك قال بالمرصاد ق وهو تمثيل لارصاده
العصاة بالعقاب اي لاعداده للعصاة العقاب على ان الارصاد بمعنى الاعداد وهو يتعدى الى مفعولين احدهما بنفسه والى الآخر
باللام يقال اعد العقاب للعصاة وههنا ما عدى الارصاد الى العصاة بنفسه حيث قيل لارصاده العصاة بنصب العصاة عدى
الى العقاب بالباء الجوهري رصدته ارصده اي رقبته ارقبه وارصدت له اي اعددت له والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد
استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى في كونه حفيظا لاعمال العباد ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولا نجد للعباد عن سوقف
حسابه الا اليه بحال من قعد على طريق السالكة يترصدهم ليظفر بالجاني اولا فذ المكس ونحو ذلك لا يخلص لهم عن المرور عليه
فاطلق على الحالة المشبه ما يعبر به عن الحالة المشبهة بها ق كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة اي من اجل الآخرة وجزائها فيجب
ان يهتم الانسان بامر الآخرة ويسعى لها لكنه لا يهتم الا بامر الدنيا ولا يخطر بباله امر الآخرة بالكلية مع انه تعالى تكفل برزقه
واعد للعصاة عذابا اليما وكل واحد من الغنى والفقر ابتلاء منه تعالى اما الاول هل يشكر ام يكفر واما الثاني فانه هل يصبر او يجزع
ويقول الانسان اذا اغناه ربي اكرمني بما اعطاني يظن ان ما اعطاه ربه من الدنيا لكرامته عليه ويقول اذا افقره اهانني ربي وهذا
من صفة الكافرين فانه يظن ان الكرامة والهوان بكثرة الحظوظ من الدنيا وقلته بخلاف المؤمن فان الاكرام عنده هو توفيق الله
له لطاعته والخير والهوان حرمانه منه والعياذ بالله تعالى والانسان مبتدا وقوله فيقول خبره واذا لمجرد الظرفية معمول الخبر
لكونه موخرا عنه تقديرا ق والانهماك في حب الدنيا فان كثرة الممارسة بالشيء تورث تأكد المحبة به من احب شيئا اشتغل
به واعرض عما يقطعه عنه فان التوسعة تؤدي الى الاعراض عن اكتساب ما يؤدي الى سعادة الآخرة فكان كل واحد من توليه
وهما التقتير اهانة وقوله التوسعة اكرام مذموما مع ان قوله التوسعة اكرام صادق في نفسه لانه تعالى صدقه حيث قال
فاكرمه ق ولم يقل فاهانه عطف على قوله ذمه على توليه يعني انه تعالى لما قال في الجملة الاولى فاكرمه ونعمه كان الظاهر
ان يقول في قسيمه فاهانه وقدر عليه ولم يقل كذلك لما ذكره من ان التقتير والتضييق ليس باهانة بل قد يؤدي الى كرامة
الدارين بخلاف التوسعة والتفضيل بالمال والجاه فانه اكرام في نفسه وهو صادق في قوله ربي اكرمني ولكنه ذمه على قوله ذلك
لا لكونه كاذبا فيه بل لسوء فكرته حيث ظن انه تعالى انما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم انه تعالى كثيرا ما يتوسع على
العصاة والكفرة لانه يفعل ما يشاء ويكون ذلك استدراجا ومكرا والهيانة في حقهم ق ولان التوسعة فضل عطف على قوله
ولذلك ذمه على قوله وحاصله ان الانكار والذم لا يتوجه الى قوله ربي اكرمني وانما يتوجه الى قوله ربي اهانني كانه قيل الانسان
اذا اكرمه وتفضل عليه اعترف بالاكرام واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ق قرا ابن عامر فقدر
بالتشديد وتقدير الرزق ترك التوسع فيه بجعله على مقدار البلاغة ق اي بل فعلهم اسوء من قولهم يعني ان ههنا للاضراب
عن ذمهم على قولهم الى ما هو ادخل في الذم كانه قيل دع ذكر قولهم فان عندهم ما هو شر منه وهو انه تعالى يكرمهم بتكثير المال
وهم لا يتفقدون احوال الايتام وعبر عن النزول والافعال بقولهم بل فعلهم اسوء تغليبا للافعال على النزول ق وقرا الكوفيون

ولا يحاضون

ولا يحاضون اصله يتحاضون فحذف احدى التائين اي لا يحض ولا يحث بعضهم بعضا على اطعام جنس المسكين ومن
لا يحض غيره على اطعام المسكين فان لا يطعمه بنفسه اولى قوله اي اجمع بين الحلال والحرام فان من جمع في الاكل بين نصيبه
ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام في الاكل قوله وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب الافعال الاربعة على الغيبة
على اسنادها الى ضمير الانسان المتقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع انه افرد في قوله اذا ما ابتلاه ربه من حيث انه
مفرد لفظا وهو ظاهر وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الثاني جمع وقرا الباقون بتاء الخطاب للانسان على
طريق الالتفات للمبالغة في الذم فان الذم مواجهة ابلغ من الذم في الغيبة ويحتمل ان يكون المراد بهذه القراءة بتاء
الخطاب تقديره قل لهم اي قل لهم يا محمد كذا وكذا تحقيرا لهم وتنزيلا عن مقام الخطاب ثم انه تعالى ردعهم عن هذه الافعال
الذميمة بقوله كلا ثم اوعدهم عليها بقوله اذا دكت الارض الى قوله يا ايتها النفس فانه اذا جاء يوم موصوف بصفات
ثلاثة فانه يحصل لهم الندامة على ما صدر منه ويتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة
والمواساة بالمال الجوهري الدك الدق ويقال دككت الشيء دكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض واندك
سنام البعير اذا انفرش في ظهره فمعنى الآية اذا كسر ما على الارض من جبل وبناء وشجر حين زلزلت فاستوت جبالها
وما كان مرفوعا عليها دكا بعد دك قوله مثل ذلك لما تعذرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بان مثل حاله تعالى في ظهور
آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان اذا حضر بنفسه فانه يظهر من آثار هيبة رياسته ما لم يظهر
بحضور وزرائه وسائر خواصه فاستعمل في الحال الاول ما استعمل في الثانية قوله يجرونها والظاهر انها لا تنفك عن
مكانها فالمراد وبرزت واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة
الملائكة الموكلين عليها قوله وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله كما زعمه المعتزلة من ان افعاله لو لم تكن
بقصدهم واختيارهم بل كانت واقعة بخلق الله تعالى وقدرته وارادته لما كان لهذا التمني وجه قوله الهاء لما ورد ان يقال
كيف يصح ان يرجع ضمير عذابه ووثاقه الى الله تعالى مع انه يوهم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله تعالى لكنه لا يعذب
مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح اشار المص الى دفعه بان المعنى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه
يوم القيامة سواه اذ الامر كله يومئذ لله ولا امر فيه لغيره اصلا والعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب
والايثاق في ذلك اليوم الا الله تعالى وحده قوله او للانسان اي الكافر المتوغل في عناده المنهمك في شهواته فتكون اضافة
عذابه ووثاقه من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله ويكون المعنى لا يعذب احد من الزبانية [illegible] العصاة مثل ما
يعذبون ذلك الانسان ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه ثم انه تعالى لما وصف حال من اطمان الى الدنيا وصف بعده
حال من اطمان الى الحق بحيث سكنها بلج اليقين فلا يخالطها الشك والاضطراب فاستقر على الطاعة ومقتضى العبودية فقال
يا ايتها النفس على اضمار القول اي يقال لها عند الموت او عند البعث او عند دخول الجنة فاما ان يكلمه الله بنفسه اكراما
للمؤمن المطمئن كما كان موسى عليه السلام في الدنيا او على لسان ملك والاطمينان عبارة عن الثبات والاستقرار
وذكر المص في بيان كيفيته ثلاثة اوجه الاول استقرار النفس عند معرفته والاستغنا بمعرفته عن طلب غيره كما قال تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب وذكر ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصل
الى سبب يكون هو ممكنا لذاته محتاجا الى علة توجده وتبعثه طلب الفعل له سببا آخر ثم اذا ترقى الى ممكن آخر اعلى منه لا يقف

ولكون الحاصل نفي نوع العذاب عن سواه لا نفي عاطفة تلك عذاب الغير بعذاب الله تعالى فافهم

بر المعنى لا يمكن احد التعذيب

ومر عام

ان م

عنده ايضا بل لا يزال ينتقل عن كل ما عليه الى ما هو اعلى الى ان ينتهي الى واجب الوجود لذاته مستغن عن جميع ما سواه في يقل الفقر
ويطمئن اليه لا ينتقل عنه الى غيره لعلمه بان الامر كله يرجع الى ارادته وقدرته وانه رب العالمين قوله فتستقر دون سوفته
اي عندها ويستغني به عن غيره اي لا يطلب لنا سببا آخر والوجه الثاني ما اشار اليه بقوله او الى الحق وهو عطف على قوله بذكر الله
اي او سمي التي اطمأنت الى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك والوجه الثالث ما ذكره بقوله والامنة التي لا يستفزها اي
لا يحركها خوف وهذا الوجه يؤيده قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة فعلى هذا يكون الاطمينان
عبارة عن سكون الامن في مقابلة قلق الخوف والحزن وعلى الثاني يكون عبارة عن سكون اليقين في مقابلة قلق الشك
والريبة قوله الى امره او موعده لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى ارجعي الى ربك على ما زعموا في حقه تعالى بناء على ان كلمة الى لانتهاء
الغاية ومنتهى الحركة الاينية هو المكان ومن التمكن فيه رد المص تمسكهم بان معنى الآية ارجعي الى حكم ربك او ثوابه بالموت
او بالبعث وهذا الخطاب يخاطب به النفس عند الموت او عند البعث يكون المعنى ارجعي الى ثوابه بالبعث قوله ويشعر ذلك اي
قوله تعالى ارجعي الى ربك يشعر بكون النفوس موجودة قبل الابدان لان هذا القول انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن
ووجودها قبل الابدان لا يستلزم كونها ازلية كما ذهب اليه بعض القدماء وقوله راضية مرضية حالان من فاعل
ارجعي اي راضية من الله تعالى بما اعطيت مرضية عنده بما عملت قوله في جملة عبادي الصالحين يعني يجوز ان يكون المراد
بالمشرفين باضافة التشريف الى عبادي الصلحاء المتحلون بحلية الايمان والطاعة والذين هم اخص اشرف منهم وهم
المقربون والفريقان هما اللذان ذكرا في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان
كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والخطاب على التقديرين للروح المحض المجرد روحه والمعبر عنه
بالنفس قبل ارجعي وادخلي وقوله فيستضيء بانوارهم متفرع على كل واحد من التفسيرين جواب للامر وان الميت سواء انضم
الى اصحاب اليمين او المقربين يكون في حالة شريفة ومن انعكاس انوار علومهم وكمالاتهم اليه فان الارواح الشريفة كالمرايا
المصقولة المجلوة فاذا انضم بعضها الى بعض ينعكس الى كل واحدة ما في مقابلها من الفضائل والكمالات فيكون ذلك الانضمام
سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلي جنتي اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت السعادة الروحانية
غير متراخية عن الموت في حق السعداء قال فادخلي في عبادي بالفاء الدالة على التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل
الفوز بها الا بعد القيمة الكبرى قال وادخلي جنتي بالواو لا بالفاء كذا في التفسير الكبير وفيه بحث لان المعطوف على مدخول
الفاء فيجر اليه معنى الفاء قوله او ادخلي في اجساد عبادي على ان تكون الخطاب للروح

سورة الغاشية

اجمع المفسرون على ان المراد بالبلد الحرام مكة وان السورة نزلت بها اقسم بها لشرفها بانه تعالى جعله حرما آمنا وفيها البيت
العظيم الذي هو قبلة اهل الشرق والغرب ونزل في حقه واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وجعل البيت المعمور
بازائه ودحيت الارض من تحته ومقام ابرهيم نزل في حقه واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقال عليه السلام في حق مكة
ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهو حرام الى ان تقوم الساعة لم يحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم يحل لي الا ساعة من نهار الحديث وفضائلها لا تحصى فلذلك اقسم الله تعالى بها على ان الانسان لا يخلو عن كبد ومقاساة
مشقة فالظاهر ان كلمة لا في لا اقسم صلة كما في قوله ما منعك الا تسجد اي ما منعك ان تسجد وقال الشاعر تذكرت
ليلى فاعترتني صبابة وكاد ضمير القلب لا ينقطع اي ينقطع ولا صلة وقيل انها نافية والمعنى لا اقسم به وانت حل اي

حال مقيم

حال مقيم به نازل فيه بل اقسم بك قوله وتقيده لحلوله عليه السلام فيه على ان تكون الواو حالية لا اعتراضية وتكون
الجملة الاسمية حالا من المقسم به في الحال قيد لعاملها اقسم الله تعالى بالبلد مقيدا بانه عليه السلام حال فيه اظهارا لمزيد
فضل له فعلى هذا قوله تعالى حل بمعنى الحال نعت كالسقط بمعنى الساقط والحرم بمعنى الحرام وتدقره وحرم على قرية اهلكناها
اي وحرام فقال حل بالمكان يحل من باب نصر حلا وحلولا اي نزل وقيل حل مستحل تعرضك فيه فعلى هذا يكون الحل بمعنى
الحلال من قولهم حل الشيء يحل حلالا وهو حل بل اي حلال طلق والجملة على هذا معترضة بين المقسم والمقسم عليه بقوله وانت
حل بهذا البلد اي حلال يستحلون ابدال ولو تمكنوا من اخراجك منه لاخرجوك بل قتلوك مع انهم لا ينتهكون فيه الحرمات فلا
يقتلون فيه صيدا ولا يقصدونه بها شجرة واي مكابدة لشدتك مع عظم حرمته من ان يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد
في غيره وفيه تنبيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصبير لما كان يكابده من اهل مكة وتعجيب من جرأتهم وشدة عداوتهم لديه
قوله او حلال لك على ان الحل بمعنى المتحلل له اي ذو حل وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وتقاتل من قاتلك فالجملة على هذا ايضا
اعتراض اقسم ببلده عليه السلام على ان الانسان لا يخلو عن مقاساة شدة واعترض بينهما بان وعد له فتح مكة باتى طريق
لكن فتحها تتميما للتسلية وتنفيسا له عما لحقه من اذاهم كانه تعالى فتح عليك واحلها لك وجعل في حل مما يصنع فيه من
القتل والاسر فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وهدم دار ابي سفيان فقوله تعالى
وانت حل بهذا البلد معناه وانت حل به فيما يستقبل ونظيره في كونه بمعنى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وذلك لان
السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع في سنة ثمان بعد الهجرة فاين فتحها من الهجرة فضلا من وقت نزول الآية قوله وما ولد
ذريته اي ذرية آدم عليه السلام ان كان هو المراد بالوالد وذريته ابرهيم عليه السلام ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول
يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم لكونهم اشرف ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من النطق والبيان
وحسن الصورة والتدابير القريبة واخراج العلوم البديعة وفيهم الانبياء والصلحاء الداعون الى الله تعالى والناصرون
لدينه وكل ما في الارض خلق لاجلهم وقد قال تعالى في حقهم ولقد كرمنا بني آدم وقيل المراد بقوله وما ولد الصالحون من اولاد
آدم بناء على ان الصالحين كانهم ليسوا من اولاده بل هم بهايم في صورة البشر وعلى الثاني يكون القسم بابرهيم وبجميع اولاده
من العرب والعجم ويحتمل ان يكون المراد بابرهيم اولاده المؤمنون لا مطلق اولاده في التشهد كما صليت على ابرهيم وعلى آل
ابرهيم ومعلوم ان المراد باله المؤمنون لا مطلق اولاده قوله ومحمد صلى الله عليه وسلم عطف على قوله ذريته اي سواء اريد بالولد
آدم او ابرهيم عليهما السلام ويجوز ان يراد بما ولد محمد صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام آخر اولاد كل واحد
منهما من الانبياء اقسم ببلده وبأول ابائه وبنفسه واقسم بمكة وابرهيم باني البيت الذي فيها وبولده الذي هو
خاتم النبيين والمرسلين ومطهر ذلك البيت من الاصنام والمشركين قوله وايثارها على من جواب عما يقال لو كان المراد
بما ولد العقلاء لكان الظاهر ان يقال ومن ولد فكيف اوثر على من وتقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما وهو ان
ان من لا تستعمل الا في ذات من يعقل بخلاف ما فانها قد تستعمل في صفة من يعقل وتصحبها بانها مما لا يكتنه كنهها و
والبلوغ الى اقصى مراتب الفضل والشرف بحيث يكون الموصوف بها عجيب الشان بديع الاوصاف فكذا قوله تعالى وما ولد اي
مولود عجيب الشان وفي شرح الرضي ويستعمل ما في الغالب في صفات العالم نحو زيد ما هو وما هذا الرجل فهو سؤال عن
صفته والجواب عالم او زاهد ونحوها وقول فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه السلام

ولهذا قال موسى عليه [السلام]
عن الوصف ويجوز ان يكو[ن]
رب السموات الآية

ببيان الاوصاف تنبيها الفرعون على انه تعالى لا يعرف الا بالاوصاف وان ماهيته غير معلومة للبشر انتهى وقال المفسرون
قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة في صفة من يعقل ومن
لا تستعمل هكذا ثم ان كلمة ما للشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذي دل بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال فتفيد في مقام المدح
تفخيم شان الموصوف بانه مما لا يكتنه كنهه في اتصافه بذلك قوله تعالى في كبد منصوب المحل على انه حال من الانسان اي
مكابدا مهيئا لا تعتريه انواع الشدائد والمصائب وهو جواب القسم قال الامام حرف في واللام مشعر بان الشدة
الملابسة في الفناء وانما انت للفناء والصبي فيه وجه آخر وهو ان قوله في كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة
الظرف بالمظروف والكبد في الاصل مصدر بمعنى يوجع الكبد وتالمه يقال كبد الرجل يكبد كبدا فهو كبد اذا وجعته
كبده وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه المكابدة والآية تسلية له عليه السلام مما كان مكابدة
من قريش فالمراد من الكبد اما شدائد الدنيا فقط او شدائد الآخرة فقط او الكل والظاهر من كلام المصنف انه حمله
على القبر ثم البعث والعرض على رب العالمين مالك يوم الدين الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما في الجنة واما في
النار ولا شك ان ما بينهما كما يتناول شدائد الدنيا يتناول شدائد التكاليف ايضا وهي الشكر على السراء
بقضاء حقها والصبر على الضراء بالانقياد لمن ساقها ثم انه تعالى لما سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمله على ان
الصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان في كبد اخذ في وعيد من كان عليه السلام يكابد منه
اكثر المكابدة او يعتزهو بقوته اشد الاعتزاز وفي وعيد كل واحد من الفريقين فان قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد لما كان تسلية له عليه السلام مما كان يكابده من اشقياء قريش باعتبار كونه عليه السلام
من جملة افراد الجنس المذكور كان هؤلاء الاشقياء في حكم المذكور فصح ان يرجع اليهم ضمير قوله ايحسب ويحتمل ان يرجع
ايحسب الى جنس الانسان المذكور سابقا اي يظن ان لن يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بان يبعثه ويجازيه على اسوء
اعماله مع علمه بانه خلق في كبد لا يمكنه دفع ضيق الحال وتعب العيش وما اصابه من انواع المحن والآفات عن نفسه
فذلك ظن فاسد وخيال باطل والمقصود من وعيد الجنس تهديد الاشقياء المغترين بكثرة اعوانهم وشدة
قوتهم وان في قوله تعالى ان لن نقدر وان لم يره مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر اي الشان
لن يقدر وانه لم يره وهي بجملتها تسد مسد مفعولي الحسبان والوقف على قوله احد لازم لئلا يتوهم كونه موصوفا
بقوله يقول اهلكت مالا لبدا فان الظاهر انه مستانف لبيان ما يقوله في موقف الحساب والانتقام فانه يقول فيه
انفقت مالا كثيرا في وجوه المكارم والمبرات او في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعني شيء من ذلك
سمى الانفاق اهلاكا من حيث انه لما لم ينتفع به كان ما انفقه هالكا ضائعا ثم قال تعالى ايحسب الانسان ان لم
يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة ومفاخرة او معاداة له صلى الله عليه وسلم بل انه تعالى قد رآه وعلمه
وكان رقيبا عليه ويعلم مقصده ونيته في الانفاق او بعد ذلك فيساله عنه من اين كسبه واين انفقه اشار بعالي
جواز ان يكون لم يره بمعنى احد حين كان ينفق ولم يقل ان الله يراه فيجازيه على انه هو الظاهر للدلالة على الدوام والاستمرار
وقوله او يجده فيحاسبه بيان لمعنى انكار حسبانه ان لم يره ذكر منه احد بعد ذلك ولم يوجد ذكره في كتابه الذي
كتبه حفظة اعماله اي بل يره ذكر منه ويجده في كتابه يوم العرض والحساب فيجازيه فيحاسبه عليه قوله ثم بين ذلك
قرزم

اي بين

اي بين انه يبعثهم ويجازيهم بما عملوا ببيان انه تعالى انعم عليهم نعما جليلة وهم لم يشكروا تلك النعم قوله واصل النجد المكان المرتفع وسمى
طريق الخير والشر نجدين لانه لما نصب الدلالة على كونهما طريقي الخير والشر صارتا كالمكانين الظاهرين للابصار من مكان
بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بنصب الدلائل قوله لما فيهما من مجاهدة النفس بيان لوجه مشابهتهما بالعقبة فان
مخالفة النفس وترك مقتضاها اشبه العقبة في صعوبة اقتحامها والدخول فيها وفك الرقبة عبارة عن تخليصها
من اسر الرق قوله ولتعدد المراد بها الى آخره تقرر في النحو ان كلمة لا اذا دخلت على الماضي لا بد من التكرير كقوله تعالى فلا صدق ولا
صلى وفي الآية لم يتكرر حيث قيل فلا اقتحم العقبة اجاب عنه بانها وان لم تتكرر لفظا فهي متكررة معنى لان معنى فلا اقتحم
العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا لان الاقتحام العقبة بها قوله مفعلات اي كل واحد منها مصدر ميمي على وزن مفعلة
من سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة فقوله تعالى ذي مسغبة بمعنى
ذي مجاعة وقرب في النسب قرابة ومقربة وترب الرجل اي افتقر بحيث لصق بالتراب تربا ومتربة اي مسكنة
وفاقة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت اثقل على الناس واوجب للاجر
وقيد اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه يجتمع في الاطعام حينئذ جهتا الصلة والصدقة وقرى
فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما ونصب رقبة على انها مفعول فك والفعل في هذه القراءة بدل من قوله اقتحم
على سبيل البيان والتفسير كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض بين البدل والمبدل منه
الكلم تدرك كنه صعوبتها وثوابها وفي قراءة فك رقبة برفع الاسم المضاف الى رقبة يكون الاسم خبر مبتدا محذوف
اي هو فك رقبة اي اقتحام الرقبة فك رقبة لان قوله ما العقبة تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فيكون المبتدا راجعا
الى المضاف المقدر وانما احتيج الى تقدير مضاف لانه لو لم يقدر وجعل فك رقبة تفسير النفس للعقبة للزم تفسير احد المتباينين
بالآخر لان الفك مصدر والعقبة ليست كذلك وبتقدير المضاف يندفع المحذور قال الامام نقلا عن الفراء ان قراءة فك واطعم
على لفظ الفعل ايضا كان عطف الفعل على الفعل واذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير هي فك رقبة او اطعام كان عطف الفعل
على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث لان القراءة على لفظ المصدر لا يستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز
ان يكون قوله ثم كان في تلك القراءة معطوفا على اقتحم لا على الفك كما اشار اليه المص بقوله على اقتحم او على فك قوله
لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه من الطاعات وقيل هي للتراخي
في الزمان بناء على ان المعنى ثم كان في غاية امره من الذين آمنوا بان يموت على الايمان فان موافاة الموت على الايمان شرط للانتفاع بالطاعة
وفي عدم التواصي بالصبر وبالرحمة من وجوه كفرانه وسياتي ضلاله دليل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على الطريق الحق
كالصبر على الانتهاء عن المعاصي والمنكرات وعلى الامتثال بالاوامر وملازمة الطاعات فقوله تعالى وتواصوا بالصبر
اشارة الى تعظيم امر الله تعالى وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى ومدار امر الطاعة ليس الا
على هذين الاصلين وهو الذي قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وصدق مع الخلق قوله
او موجبات رحمة الله تعالى يعني ان المرحمة مصدر بمعنى الرحمة والشفقة الا انه يجوز ان يكون المراد بالمرحمة نفس
على عباد الله تعالى باي طريق امكن وان يراد بها ما يوجب رحمته تعالى بمقتضى وعده على طريق اسم المسبب على السبب
تنبيها على كماله في السبب والرحمة بهذا المعنى اعم من الرحمة بالمعنى الاول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد وهو

اليتيم ظ

فيعبا في يكونه مقيدا باعليها ومستقلا في الاتيان
لكونه معتبرا في نفسه غير موقوف على شيء

مطلب

ظاهر واعم ايضا من الطاعة التي اوجب التواصي بالصبر عليها بقوله وتواصوا بالصبر على طاعة الله تعالى لان الطاعة كونها
مبنية عن العناد لتكليف الشارع انما يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ومايوجب رحمة الله تعالى كما يتناول السنن
والمستحبات والآداب فلذلك لم يكتف بذكر التواصي بالصبر على طاعة الله بل ذكره بعد التواصي بما يوجب رحمة الله تعالى
ايضا تكميلا للترغيب في جميع ما هو من معالم الدين ثم انه تعالى بين ان اصحاب هذه الاوصاف المذكورة هم اصحاب
الميمنة في القيامة وقد بين الله تعالى ثوابهم في سورة الواقعة بقوله في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء
مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة والميمنة اما بمعنى اليمين واصحاب اليمين هم الذين
يعطون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم على طريق اليمين الى الجنة واما بمعنى اليمن والخير والسعادة فان السعداء ميامين
على انفسهم بطاعتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمالهم ويسلك بهم عن جانب
الشمال الى النار او بمعنى اصحاب الشوم او الشر الذين مشائيم على انفسهم قوله والتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة
الموضوعة للاشارة الى الحاضر المشاهد والكفار بضمير الغائب شان لا يخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم
لهم بانهم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته وذكرهم بما يشار به الى البعيد تعظيم لهم بالاشارة الى علو درجاتهم
وارتفاعها عن درجة اضدادهم فان درجة من حضر عنده تعالى كيف لا تعلو على درجة من غاب عنه وذكر الكافرين
بضمير الغائب اشارة الى انهم غيب عن مقام كرامته تعالى وشرف الحضور عنده قوله من اوصدت الباب اذا اطبقته
اوصد افعل من المعتل الفاء الواوي مثل اوصد يوصد ايصادا ويجوز ان يكون من المهموز الفاء مثل آمن يؤمن
وهما لغتان بمعنى اطبق واغلق يقال اوصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرا مؤصدة بالهمز جعلها اسم
مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة بضم ما قبلها على لغة من يقول مؤسى ويقرا
بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر يكره الهمز في هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا
سمعته فكانه لم يحفظ شيخه وهو عاصم الا ترك الهمز وقد حفظه حفص عنه بالهمز وهو اضبط لحرفه من ابي بكر على ما
نقله القراء وكان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز اخذها من اوصدت قيل ان قوله تعالى
نار موصدة ان نار مبتدا وموصدة خبره وعليهم متعلق بالخبر والوجه ان يكون موصدة صفة لها والخبر عليهم
والجملة اما مستانفة لا محل لها او خبر ثان والمعنى عليهم نار ابوابها موصدة مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج عنها غم ولا يدخل
فيها روح ابد الآبادين نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها بمنه وفضله سورة الشمس وضحاها
بسم الله الرحمن الرحيم اقسم الله تعالى بما ذكره من انواع المخلوقات المتضمنة للمنافع
العظيمة على فلاح من زكى نفسه اي اصلحها وانماها بالعلم والعمل وجنبها من نقصان الجهل والمعصية ترغيبا في الطاعات
وتحذيرا عن المعاصي قوله وضحيها اذا اشرقت اي ارتفعت وانبسط نورها لان الاشراق يكون بعد الشروق الذي هو
الطلوع يقال شرقت الشمس شرقت شروقا اي طلعت واشرقت اشراقا اي اضاءت بان ارتفعت وانبسط نورها
والضحوة بعد الاشراق قال مجاهد والكلبي ضحى الشمس ضوؤها اي نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الظل
والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعد الطلوع والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد فوق ذلك
وهو وقت امتداد النهار وقرب ان ينتصف واختار المبرد الاول حيث قال ان الضحى والضحوة مشتقان من الضحى

وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد لليل وفي الحديث لا يقعدن احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان
فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق لا الوقت ويدل عليه اضافة الوقت اليه حيث يقال وقت الضحى اي وقت اشراق
الضوء قوله تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر الظاهر ان يقال يدل هذه العبارة تلا غروبه غروب الشمس وذلك
في ليلة الهلال فان تبعية القمر للشمس في الطلوع لا تظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته
لها في الغروب فانها ظاهرة محسوسة قوله او غروبها منصوب معطوف على قوله طلوع الشمس فان القمر يبقى
طالعا عند غروب الشمس ليلة القدر قوله او في الاستدارة عطف على قبله في المعنى فكانه قيل اذا تلاها
في الطلوع او في الغروب او في الاستدارة قوله فانها تتجلى اذا انبسط النهار اشارة الى ان اسناد جلى الى
ضمير النهار من قبيل اسناد الفعل الى زمانه كما في نحو صام نهاره لان انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار
وليس انبساطه مجليا لها قوله اي الظلمة منصوب في قوله جلى الشمس ويجوز ان يكون ضمير جلاها راجعا
الى الظلمة واضمرها للعلم كما جاز رجوعه الى الشمس لذكرها آنفا واسناد يغشى الى ضمير الليل من قبيل
الاسناد في صام نهاره لان الذي يغطي ضوء الشمس في الليل هو حيلولة الارض بين الشمس وبين ما وقع عليه
ضوؤها لا نفس الليل الذي هو زمان تلك الحيلولة قوله ولما كانت واوات العطف جواب عما يقال من ان
الواوات الواقعة بعد قوله تعالى والشمس وضحيها الظاهر انها عاطفة لان كونها قسمية يستلزم
تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه وقال الاستقراء
استقرانا ما استقرانا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الا وقد كان كل واحد من
القسم الواقع فيه على مقسم عليه على حدة فتعين كونها عاطفة وذلك يستلزم ان يعطف معمولان على معمول عاملين
مختلفين وذلك لا يجوز لان الحرف الواحد لا ينوب على عاملين مختلفين وبيان الملازمة ان النهار المجرور في قوله تعالى
والنهار اذا جلاها معطوف على معمول واو القسم الجارة وهو الشمس وقوله اذا جلاها معطوف على قوله اذا تلاها
وهو معمول فعل القسم فظهر انه من قبيل العطف على معمول عامل واحد كما في قولك ضرب زيد عمرا وبكرا وخالدا
فان الواو فيه لعطف بكر وخالد على معمول ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا وذلك لان الواو الاولى القسمية
كما تعمل الجر لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك تعمل النصب في الظرف الذي بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل
الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجر واثبت الواو مثابهما فسد مسدهما معا في عامل واحد عمل عملين
مختلفين الجر والنصب فكان المجرور والظرف الذين بعدها معمولي عامل واحد واذا عطف على هذين المعمولين
بالواو لم يلزم العطف على معمولي عاملين وهذا الجواب لا يجري فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما في قوله تعالى
والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو هنا عاطفة عطف
بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج فيه الى جواب آخر نحو
ان يقال لا نسلم ان الظرف المنصوب معمول فعل القسم او للواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان
غير مناسب سواء كان الزمان حالا او مستقبلا بل هو معمول المضاف مقدر مدلول عليه بالقسم نحو العظمة فان الاقسام
بالشيء تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحاها وبعظمة القمر اذا تلاها فالقمر المجرور كذا الظرف بعده

معمولان لذلكما لمقدر فيكون المجرور والظرف في قوله تعالى والصبح اذا تنفس معمولين لمعمول عامل واحد فان قيل ما ذكرته
في تقرير جواب الحسن الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم ينصب الظرف بعدها محل البحث لان فعل القسم المضمر بمعنى
الحال لانشاء القسم في الحال فلا يعمل في اذا لانه ظرف لما يستقبل والفعل الحالي لا يعمل في الظرف المستقبل لان الفعل الحالي
لا يصير استقباليا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا للظرف الزمان المستقبل فكيف يصلح الواو النائبة منابه ناصبا
له قلنا فرق بين القسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرقت غدا والذي لا يجوز هو الاول لا الثاني فانه يجوز ان يقسم الآن
باشراق الشمس وسائر ما يترقب وجوده بعد زمان القسم قوله وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية لم يرد ان كلمة ما
يوصف بها نعتا نحويا كما يوصف بالذي فان ما ومن الموصولتين لا يوصف بهما بخلاف الذي بل المراد ان ما قد تستعمل
في الصفات فيقال اذا اريد ان يسئل عن صفة زيد ما زيد فيجاب عنه بانه فقيه او طبيب واذا اريد ان يسئل عن ذاته
فيقال من زيد والجواب عنه ان يقال هذا زيد قوله ولذلكما فرد ذكره اي ولكون المقصود من ايثار ما على من الدلالة على معنى
الوصفية والقدرة الكاملة افرد ذكر البناء الدال على القادرية جعل صلته ما يدل عليها لان شان الصلة ان تميز
الموصول وتصفه قوله وما طحاها الطحو كالدحو وهو البسط وابدال من الدال جائز قال عطا والكلبي بسطها على الماء وقيل
طحاها من تحت الكعبة والنفس ان حملت على الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها ببعض على ما يشهد به
علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى ما يتم به جميع احوالها وبعض
وبعض تلك القوى محركة وهي اثنتان شهوانية وغضبية وبعضها مدركة وهي عشرة الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة
وبعضها لا محركة ولا مدركة وهي سبع الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة
وجعل الماآت مصدرية يتربج د الفعل عن الفاعل اي تجرد المنوي في الهمها الهمها عما يرجع هو اليه فان الماآت التي في قوله وما بناها
وما طحاها وما سويها ان كانت مصدرية لا يكون مذكور الا السماء والارض والنفس وما يتعلق بها من المعاني المصدرية
وهي البناء والطحو والتسوية والشيء منها لا يصلح لان يرجع اليه المنوي في الهمها وقوله الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به استثناء من
قوله تجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس شرطا لارجاع الضمير اذا كان المرجع اليه لنباهة شانه مما لا يغيب
عن العقل كقوله انا انزلناه وقوله لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة قوله ويخل بنظم قوله فالهمها
بقوله وما سويها وذلك انه على تقدير ان يكون ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لانه يكون بتقدير الكلام حينئذ
ونفس وتسويتها فالهمها ولا خلاف في ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لا بعد في ان يجعل ما مصدرية فيكون فالهمها عطف
على سواها بان يكون هو ايضا في تاويل المصدر على معنى وتسويتها فالهامها فجورها غاية ما في الباب ان يكون فالهمها كالآت
السابقة وهي بناها وطحاها وسواها في تجردها عن الفاعل ويلتزم ان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به فان قيل الفا تدل
على الترتيب من غير مهلة والتسوية تكون قبل نفخ الروح والالهام يكون بعد البلوغ فتحل انتظام الالهام المستند
بالفاء بما قبله على تقدير ان تكون ما مصدرية قلنا التسوية عبارة عن تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما
يكون بعد البلوغ ويدل على كون الصبي محجورا عليه غير مقبول الشهادة وغير مكلف بالاحكام الشرعية والهام الفجور
والتقوى عبارة عن افهامها واعقالها وتوقيف حالهما من ان احدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى
المذكور من غير مهلة قوله وحذف اللام لطول الكلام بين القسم وجوابه قيل لما طال الكلام صار طوله عوضا من

١٤٧

من اللام وقيل لما كان اللام للتاكيد وقد ايضا تفيد التاكيد واستغنى بها عن اللام قوله فكانه لما اراد به اي بقوله قد افلح
من زكها وهو بيان لوجه الاقسام عليه فانه تعالى اقسم بالشمس التي هي اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها
الاربعة التي هي ضوؤها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومتخفية مطغية بالليل ثم اقسم بالسماء
التي هي مسير الشمس في اعظم منها ومن المعلوم انها لحركاتها الوضعية والابنية وتغير احوالها من الاجسام الممكنة
المحتاجة الى صانع واجب الوجود لذاته دفعا للدور والتسلسل موصوف بصفات الجمال والجلال قوله ويذكرهم
عطف على قوله يذلهم ولا شك ان هذه الامور المقسم بها من عظائم الآلاء قوله وقيل استطراد عطف على قوله جواب
القسم والدمدمة اهلاك باستيصال وقيل هو التعذيب على اتم الوجوه ولم يجعل قوله تعالى كذبت ثمود جوابا لان
اقسام الله تعالى انما يؤكد به الوعد او الوعيد وليس منهما بل ذكر استطرادا في قوله وقد خاب من دسيها بخلاف
قوله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثاني وعيد لاضدادهم
بالخيبة والخسران قوله بسبب طغيانها يعني ان الطغوى لاهل التزكية بالظفر مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان
الطغوى لما كانت اشبه برؤوس الآيات اختير على لفظ الطغيان وان كان هو المشهور من الطغوى وان الباء فيه سببية
ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب طغيانها وقوله او بما اوعدت به اي
ويجوز ان يكون الطغوى اسما لعذابهم الذي اهلكوا به فتكون الباء للتعدية ومتعلقة بكذبت كما في قوله تعالى كذبت ثمود
وعاد بالقارعة اي بالعذاب الذي جعل بها ثم قال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمها فسمي ما اهلكوا به من العذاب
طاغية لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان في اللغة عبارة عن مجاوزة الحد قوله تفرقة بين الاسم والصفة
وذلك لان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسما قلبت ياؤه واوا وان كانت صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما
بقولك في الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى مستحي من خزي الرجل اذا استحى وريا من روي يصدى صدى
عطش فهو صديان وهي صديا مثل عطشان وعطشى وريا ومعنى وبقولك في الاسم تقوى وبقوى في اسمي الاتقاء والانتظار
من تقى الله تقيا اي خافه وبقيته اي انتظرته وابقاء الباء على حالها في الصفة اولى من ابقائها في الاسم لان الصفة اثقل
من الاسم والباء اخف من الواو وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا ان قلب ياؤه
واوا يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا قوله حين قام ظرف لكذبت اي كذبوا نبيهم حين
انتدب لعقر الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال انبعث فلان على الامر فانبعث له واشتغل
وان كان ظرفا للطغوى يكون بمعنى كذبوا نبيهم بسبب طغيانهم حين انبعث او كذبوا بعذابهم ذي الطغوى حين انبعث واختلفوا
في الاشقى الذي هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن سالف وهو اشقى الاولين
ويؤيده قوله تعالى في سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ومن ذهب الى الثاني انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان
افعل التفضيل اذا اضيف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويؤيده قوله تعالى فكذبوه فعقروها قوله ومن بلاه
اي صاحبه وعاشره بلاوة من الدهر اي حينا وبرهة وفي بعض النسخ ومن والاه اي صادقه وهو من الولي بمعنى الصديق
قوله فقال لهم عطف على قوله انبعث فان ثمود لما اخترعوا الناقة واخرجها لهم صالح من الصخرة على الوجه الذي وضعوها
له عليه السلام جعل لهم شرب يوم من شربهم ولها شرب يوم من شربهم ولها شرب يوم معلوم فقال ذروها وشربها اي

نصيبها من الماء فاستمروا على ما امرهم به صالح عليه السلام الى ان استنصروا بذلك فى امرهم اشقاهم فهموا بعقرها
فلما علم صالح ما عزموا عليه اعاد لهم الوصية فقال لهم هذه ناقة الله دائمة الدلالة على وحدانية الله تعالى وكمال
قدرته وعلى نبوتى واحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها الى شربها ونصيبها من الماء
فانكم ان تفعلوا ذلك تعذبوا فكذبوه فى انكم يكذبون اى فعلوا ذلك فعقروا الناقة فاطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق
منهم احد الا اهلكه قوله اى ذروا ناقة الله اشارة الى ان ناقة الله منصوب بعامل مضمر على التحذير واضمار الناصب
هنا واجب لامكان العطف فان اضمار الناصب يجب فى ثلاثة مواضع احدها ان يكون المحذر نفس اياك وايا به الثانى
ان يوجد فيه عطف والثالث ان يوجد فيه تكرير نحو الاسد الاسد والطريق الطريق قوله وهو تكرير قولهم ناقة
مدمدمة يقال دمت الناقة بالشحم اى طلى به بحيث لم يبق منها شئ لم يمسها الشحم ثم كرر الدال بين عين الفعل
ولام الفعل للمبالغة فى الاحاطة وهى قاعدة مطردة فى كل مضاف من الثلاثى كرر عينه بين العين واللام نحو
زلزل فى زل قوله او ثمود بالاهلاك على ان ضمير سواها راجعا الى ثمود باعتبارنا ويلحه بالقبيلة كما عاد اليه ضمير
بطغواها بذلك الاعتبار وعلى الاول راجعا الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب
فانهم قد اهلكوا بصيحة واحدة جبرئيل عليه السلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا بحيث لم يبق منهم احد لا صغير ولا
كبير قوله اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود يعنى ان ضمير سواها ان رجع الى الدمدمة يرجع ضمير عقباها
الا انه لا بد من تقرير ما يضاف اليه العقبى قوله فيبقى بعض الابقاء اى فيترحم بعض الترحم وفى الصحاح ابقيت
على فلان اذا ارغبت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت على والاسم منه البقاء وكذلك التقوى بفتح
التاء قوله والواو للحال فقوله ولا يخاف عقباها فى محل النصب على انه حال من المنوى فى فسواها الراجع الى الله تعالى
اى فسواها غير خائف عقبى ما صنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة لانه تعالى فعل بهم
ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فانه لا يخاف فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء
يكون معطوفا على قوله فسواها ومتفرعا عليها تمت سورة الشمس بحمد الله وعونه سورة الليل
بسم الله الرحمن الرحيم قوله اى يغشى الشمس والنهار يدل على الاول قوله تعالى فى السورة السابقة
والليل اذا يغشاها وعلى الثانى قوله تعالى يغشى الليل النهار فالمفعول المقدر على التقديرين ليس بعام الا انه اعتمادا
على ما يدل عليه وان كان بتقدير الكلام اذا يغشى كل ما يواريه ويستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم قوله ظهر بزوال ظلمة
الليل هذا المعنى يناسب لكون المفعول المقدر ليغشى النهار وقوله او تبين بطلوع الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدر ليغشى النهار قوله
او تبين بطلوع الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدر الشمس اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما فى تعاقبهما من مصالح لا تحصى فانه
لو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش لو كان كله نهارا لاختل امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فتقتضى الحكمة ليس
الا تعاقبهما فلذلك امتن سبحانه وتعالى بذلك وقال هو الذى جعل الليل والنهار خلفة قوله صنفى الذكر والانثى على ان التعريف الذكر
والانثى للجنس وعلى الثانى للعهد قوله ان ما عليكم لشتى اشارة الى وجه الاخبار على السعى بهو مفرد شتى وهو جمع شتيت وجرحى
جريح وبيانه ان السعى مصدر قولك سعى الرجل يسعى اذا عمل وكسب والمصدر جنس يشمل جميع افراده لا سيما وقد اضيف الى
الجمع فهو جمع فى المعنى الا ان المقصود بالاخبار عنه ليس هو السعى والعمل بالمعنى المصدرى بل المقصود الاخبار عن العمل الصالحة

بالسعى

١٤٨

بالسعى فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعى والاعمال المكتسبة والشت للتبا المتفرق يقال تشتت الامر
تشتتا وشتاتا اى تفرق واو ترشت وشت اى تفرق وحكم على الاعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هو سبب بعضها
ضلالة بانها شتى لتباعد ما بين بعضها وبعضها فان بعضها يؤدى الى الجنان وبعضها الى عذاب النيران وقد روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير الآية ان اعمالكم مختلفة عمل للجنة وعمل للنار قوله تفسير مبين لشتت
المساعى اى مبين لاختلاف الاعمال من حيث اختلاف اجزيتها فان اختلاف النفس المساعى والاعمال فى انفسها معلوم
لا فائدة فى الاخبار عنه قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية اشارة الى عدم ذكر متعلقا بهذه الافعال للتعميم
ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فمتعلق الاعطى جميع ما يتقرب بفعله واتيانه من العبادات
القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها صرف القوى والآلات فى تحصيلها وكذا متعلق الاتقاء جميع ما كان
ملابسة معصية وكل واحد منها لم ينفع بدون التصديق عقبه بقوله وصدق بالحسنى اى بالكلمة الحسنى ونظيره
قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما الى قوله ثم كان من الذين آمنوا والجملة بالفتح الخصلة اليسرى بلعمال الجزئيات
على ان الاعمال بالعواقب فكل ما ادى الى يسر وراحة فهو خصلة يسرى ومعنى تيسر المكلف لها ان يوفقه لاتيانها ويسهلها له من غير
ان يعتريه من التثاقل والكسل ما يعترى المرائين والمنافقين وكذا المراد بالعسرى اعمال الشر المؤدية الى العسر والعذاب
وتيسير المكلف لها ان تخذله وتخليه وشانه لعلمه باختيار المكلف ذلك قوله نفى او استفهام انكارى اذا كانت كلمة نافية يكون
مفعول يغنى محذوف اى ليس يغنى عنه ماله شيئا فان كانت استفهامية تكون فى محل النصب على انه مفعول يغنى اى اى شئ يغنى عنه
ماله اى لا يغنى شيئا قوله تعالى تردى يحتمل ان يكون من التردى بمعنى الهلاك وتردى تفعل منه للمبالغة ويجوز ان يكون من
ردى فى البئر تردى فيه اى سقط فيه او تهور من جبل ومنه المتردية والمعنى اذا يسرناه للعسرى المؤدية الى دخولها
النار وتردى فيها فما يغنى عنه ماله الذى بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شئ منه الى آخرته التى هى موضع
مقره وحاجته يعنى ان الذى ينتفع به الانسان هو ما قدمه من اعمال البر واعطاء المال فى حقوقها دون المال الذى
يخلفه على ورثته ثم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم لشتى بحسب الجزاء وبين من آثر الهدى يهون عليه طريق الهدى
ومن آثر الضلال واستغنى بشهوات الدنيا يهون عليه ما يؤدى الى العسر والعنا اخبر انه قد قضى ما عليه من الهدى
والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب عما يضرهم فقال ان علينا للهدى اى للارشاد الى الحق بنصب الدلائل
وبيان الشرائع بمقتضى حكمتنا او بموجب قضائنا ويجوز ان تكون الآية من قبيل قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها
جائر اى علينا طريقة الهدى اى تؤدى سالكها الينا والهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثانى بمعنى الطريقة
المثبتة لهداية الله تعالى وارشاده سميت باسم ما هو تبعها مجازا فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء فيكون قوله
ان لنا للآخرة والاولى فى معرض التاكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى ولما يلزمه من الضمان لثواب الاهتداء
فى الآخرة فان من تفرد بمالكية الدارين يمكنه ارشاد الانام الى الحق فى الدنيا ويمكنه اثابتهم على الاهتداء فى العقبى قوله
او ثواب الهداية للمهتدين فيكون ذكره تتميما لقوله ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه فى الاولى الى الحق وان
نثيبه على الاهتداء فى الآخرة قوله او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فيكون استئنافا لبيان انه تعالى انما يهديهم ويرشدهم
الى الحق رحمة لهم لا لمنفعة تعود اليه كانه قيل علينا ان نهديكم الى طريق مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه

ومن اسا فعليها لا تعود منفعة اهتدائه ولا مضرة عدم اهتدائه الينا وان اهتداكم لا يزيد في ملكنا شيئا لان
لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه ارتباط الآية بما قبلها لا لبيان معناه لانه معلوم **قوله** لا يلزمها مقاسيا
شدتها المادل ظاهر قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا الحصر
ترده النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق حمل صلي النار على لزومها والخلود فيها مقاسيا شدتها وحرها
لكون الصلي بهذا الوجه كمال الصلي فيحمل عليه عند الاطلاق ولا شك ان الصلي بهذا المعنى منحصر في الكافر وامر الفاسق مفوض
الى مشية الله تعالى واما ان لا يدخلها راسا او يدخلها ولكن لا يلزمها وجعل حمل صلي النار على لزومها وسيلة الى دفع ما
يتوهم من ان منطوق قوله تعالى لا يصليها الا الاشقى بخلاف مفهوم قولها وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان غير
الاتقى لا يجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما حمل صلي النار بمعنى لزومها
كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا يخالف انحصار الخلود في الكافر لان دخول العصاة
لا يستلزم خلودهم **قوله** لقوله يتزكى استدل به على ان الاتيان المراد به صرف المال مطلقا بل المراد به صرف المال في مصارف
الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتي لا يكون له محل من الاعراب لانه كان بدلا من صلة الذي كان داخلا في حكم الصلة والصلات
لا محل لها من الاعراب لان ما في الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لا محل له وان كان حالا من المستتر في يؤتي المعنى يؤتيه متزكيا اي
متطهرا من الذنوب او متزائدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله تعالى لا للرياء والسمعة **قوله** استثناء منقطع لان ابتغاء
المرضات ليس من جنس النعمة اي يجازى عليها فيكون منصوبا على الاستثناء المنقطع وتكون الا بمعنى لكن اي لكن فعل ذلك ابتغاء
وجه ربه اي لابتغاء التوجيه الى ربه **قوله** او متصل بمحذوف يدل عليه قوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فانه يدل
على ان المراد لا يؤتي ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فعلى هذا يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه ويكون الاستثناء
متصلا **قوله** والآيات نزلت في ابي بكر رضي الله عنه هذا ما ذهب اليه جمهور المفسرين والشيعة ينكرون ذلك فيقولون انها نزلت في
علي بن ابي طالب ويستدلون عليه بان قوله تعالى ويؤتون الزكوة وهم راكعون نزلت في حقه فقوله الاتقى الذي يؤتي اشارة
اليها في تلك الآية ونحن نقول لا يمكن حمل الاتقى المذكور في هذه الآية على علي رضي الله عنه لانه تعالى قال في صفة هذا الاتقى
وما لاحد عنده من نعمة تجزى وهذا الوصف لا يصدق على علي رضي الله عنه لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم
اخذه من ابيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه فكان عليه السلام منعما عليه بنعمة تجزى عليها بخلاف ابي بكر
فانه لو لم يكن لاحد عنده من نعمة الدنياوية نعم كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنده نعمة الهداية والارشاد الى الدين
الا ان هذه النعمة لا يجزى عليها لقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام ما اسئلكم عليه من اجر والمذكور ههنا ليس مطلق
النعمة بل نعمة تجزى فظهر ان هذه الآية لا تصلح ان تكون نازلة في حق علي رضي الله عنه فتعين انها نزلت في ابي بكر لان
الامة اجمعوا على ان افضل الخلق واكرمهم واتقاهم ابو بكر رضي الله عنه روي ان بلالا كان عبدا لعبد الله بن جدعان فسلح
ان تغوط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون عليه فشكوا الى العبد مولاهم فوهبهم لهم ومائة
من الابل ينحرونها لآلهتهم فاخذوا يعذبونه في الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينجيك احد احد ثم اخبر عليه السلام ان بلالا يعذب في الله فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به
فاعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر الا ليد عنده فنزل قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء
وجه

149 وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له يا بني لو كنت تبتاع
من يمنع ظهرك فقال منع ظهري اريد ربه فنزلت هذه الآية ثم وعده الله بان يراضيه في الآخرة بثوابه فقال ولسوف
يرضى تمت سورة الليل والحمد لله رب العالمين حمدا دائما ابدا **سورة والضحى** بسم الله الرحمن الرحيم
فسر الضحى اولا بصدر النهار حين ترتفع الشمس بقرينة عطف الوقت عليه بقوله والليل وفسره بقوله تعالى والشمس وضحاها
بضوء الشمس ونورها الكائن وقت ارتفاع الشمس واشراقها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة صدر النهار
اليها لا معنى له بخلاف اضافة النور اليها وفسره ثانيا بالنهار كله وقد اريد بالضحى النهار كله في قوله تعالى أفأمن اهل
القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا بقرينة وقوعه
في مقابلة قوله بياتا اي بائتين داخلين المساء **قوله** سكن اهله يعني ان الاسناد مجاز من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام
نهاره وكذا الحال اذا فسر بقوله ركد ظلامه وثبت بحيث لا يزداد بعد ذلك وكلما ثبت في مكان فهو راكد فيه **قوله** وتقديم
الليل في سورة المتقدمة يعني ان لكل واحد منهما له تاثير عظيم في صلاح العالم فلذلك اقسم بهما الا ان الليل له فضيلة السبق
والاصالة بالنسبة الى النهار لان النهار يتحدث بطلوع النير وبغروبه يعود الهواء الى الحالة الاصلية ولذلك قدم الظلمة في لان النهار اغا
قوله وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة الى الليل فلذلك قدم هنا تارة
وذاك اخرى فان قيل ما السبب انه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب بانه وان كان
ساعة منه الا يكونه اشرف ساعاته نازل منزلة الكل **قوله** لتركه الاستثناء روي ان مشركوا قريش ارسلوا الى
يهود المدينة وسالوهم عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اليهود تسالوه عن قصة اصحاب الكهف
وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم من قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين ولم يخبركم
عن الروح فاعلموا انه صادق فجاء المشركون وسالوه فقال عليه السلام لهم ارجعوا ساخبركم غدا ولم يقل
ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه اثني عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقيل اربعين يوما حتى نزل جبريل عليه السلام
بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله ما ودعك ربك وما
قلى فان قيل ما ذكر من كون سبب احتباس الوحي ترك الاستثناء يدل على انه كان عن قلى فما وجه قوله تعالى وما قلى اجيب
بان اقصى ما في الباب انه عليه الصلاة والسلام وقع منه ما هو الا فضل والاولى فلا يصير عليه السلام ممقوتا ولا
مغضوبا روي انه عليه السلام قال لجبريل ما جئتني حتى اشتقت اليك فقال جبريل كنت اليك اشوق ولكني عبد مامور
وتلى وما نتنزل الا بامر ربك والتوديع اصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك
عند الرحيل مفارقا فقد بالغ في تركك وقرئ ما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضي يذر
فلا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو في اول الكلمة واستغنوا عنهما بتركهما واستعملوا مضارعهما لعدم
الثقل **قوله** او لزجره سائلا ملحا روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقود عنب
فجاء سائل فاعطاه ذلك ثلاثا فقال عليه السلام ملاطفا للسائل لا غضبان عليه اسائل انت يا فلان ام تاجر فتاخر
عنه الوحي اياما لذلك فنزلت واما السائل فلا تنهر وروي ايضا ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات هناك فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة

ما صدث في بيتي حتى ان جبرئيل لا ياتيني قالت خولة فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت
فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا انزل الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني
فانزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل عليه السلام سأله عن تاخره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة قوله
اولنهاية امرك خير من بدايته على ان يراد بالآخرة ما يقابل الدنيا بل يراد بها الحالة الآتية فالمعنى لا تظن ان ربك ودعك
وقلاك فلذلك قطع عنك وحيه ايا ما بل كل حال ياتي عليك فما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية
من جملة احوالك انه احتبس عنك الوحي احيانا بعد تتابعه وتعاقبه عليك فقال الاعداء فيك ما قالوا وقلنا في ردهم سوكدا
بالقسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر
الوحي وتتابعه قوله واللام للابتداء الا انها لا تدخل الا على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ اي ولانت سوف
يعطيك ربك بلام جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد نحو والله لاضربن قوله وجمعها
مع سوف فان لام الابتداء لما تجردت للتاكيد وكانت السين تدل على التاخر والتنفس حصل من اجتماعهما ان العطاء
المتاخر لحكمة كائن لا محالة قوله من الوجود بمعنى العلم اي الم يعلمك يتيما فآوى اي فجعل لك ماوى تاوي اليه يقال اوى فلان
الى منزله ياوي اويا على فعول واويته انا ايواء وكان يتمه عليه السلام ان اباه عبد الله بن عبد المطلب توفي وامه
عليه السلام حامل به ثم ولد عليه السلام فكان جده عبد المطلب مع امه آمنة فماتت امه آمنة وهو ابن ست سنين
ثم مات جده بعد امه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين ولما اشرف عبد المطلب وصى به عليه السلام ابا طالب
لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة وكان ابو طالب هو الذي يكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه
الله تعالى فقام بنصره مدة مديدة ثم توفي ابو طالب بعد ذلك فما يرى عليه السلام من اثر اليتيم شيئا فذكره الله تعالى
هذه النعمة بقوله الم يجدك يتيما فآوى قوله عن العلم بالحكم والاحكام اي وجدك غافلا عن علوم النبوة والاحكام
الشرعية فهداك اليها كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل وجدك ضالا في الطريق فهداك روي انه عليه السلام
خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة مظلمة وهو نائم فجاء ابليس
فاخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة وقيل
الى ارض الهند ثم رده الى القافلة وقيل انه عليه السلام ضل عن مرضعته حليمة حين فطمته وارادت ان
ترده الى جده حتى دخلت الى هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبي
وفيه حكاية طويلة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال انه عليه السلام ضل في شعاب مكة وهو صغير وما زال
ضالا حتى كاد الجوع يقتله فراه ابو جهل وهو منصرف عن اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وهو متعلق باستار
الكعبة يتضرع الى الله تعالى ان يرد اليه محمدا ويقول يا رب اردد الي محمدا اردده الي ربي واصطنع بذلك ابدا فما
زال يردد هذا الكلام حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه فقال له لا ندري ماذا ترى
من ابنك فقال عبد المطلب ما رايت فقال اني انخت الناقة واركبته من خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته
امامي قامت الناقة كان الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف من وجب عليه ان يقتدي به قوله
ذا عيال صفة كاشفة لقوله فقيرا يقال عال يعيل عيلة وعيولا اي افتقر واعال الرجل اذا كثر عياله اي يشق

عليه وقيل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد بالعائل في الآية الفقير

سورة الم نشرح بسم الله الرحمن الرحيم والشرح التوسعة والفسحة
السعة ومكان فسيح اي واسع وفسح له في المجلس وسع له وقد شرح الله تعالى صدره عليه السلام بحيث
وسع مناجات الحق ودعوة الخلق بعد ما ضاق عنهما جميعا فان مقام حضور الحق ومناجاته مقام شهود الحق
والغيبة عن الخلق ومن كان غائبا عن الخلق كيف يتاتى له دعوة الخلق ومعاملتهم فان دعوتهم تستلزم الحضور
معهم والحضور مع المخلوق ينافي الحضور مع الخالق ظاهرا فيضيق الصدر عن الجمع بينهما فكان حاضرا مع
الحق مستغرقا في مقام مناجاته دائما وهو غائب عنه مشتغل بدعوة الخلق ظاهرا فكان غائبا حاضرا
قوله او الم نفسحه بما اودعنا فيه الخ فانه تعالى ما فسح صدر احد من بني آدم كفسحه لصدره عليه
الصلاة والسلام حتى وسع علم الاولين والآخرين وقال اوتيت جوامع الكلم قوله وقيل انه اي ان قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه اي حين
كان عند حليمة في السنة التي اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما كان فيه
من الدم الاسود ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه في صدره قوله او يوم الميثاق الظاهر
ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج ويؤيده ما ذكره الامام النسفي ناقلا عن الكلبي ان جبريل عليه السلام اتاه
فشق صدره وابدى عن قلبه ثم جاء بدلو من زمزم فغسله وانقاه مما فيه ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما
وايمانا فوضعه فيه ثم قال يذكر هذا حين جاء البراق ليلة المعراج ويذكر حين كان عند حليمة في السنة التي
اعادته فيها الى عبد المطلب والقاضي عبد الجبار طعن في هذه الرواية من وجوه احدها ان الواقعة قد وقعت في
حال صغره عليه السلام وهي من المعجزات فلا يجوز ان تقدم نبوته وثانيها ان تاثير الغسل في ازالة الاجسام
ولا شك ان الاخلاق والمعاصي ليسا من قبيل الاجسام فلا يؤثر فيها الغسل وثالثها ان القلب لا يصح ان يملأ علما وايمانا
بل الله تعالى يخلقهما في القلب واجيب عن الاول بان تقديم المعجزة على البعثة عندنا وهذا هو المسمى بالارهاص ومثله
كثير في حقه عليه الصلاة والسلام وعن الثاني في قوله ان الغسل له تاثير في ازالة الاجسام ما في القلب من الدم الاسود ولا
يبعد ان يكون حصول ذلك الدم فيه علامة مودية للقلب الى ميله الى المعاصي وابعاده عن الطاعات وتكون ازالته سببا
لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوة الطبيعية اليها فتكون ازالته عنه
مستلزما لامتلائه بالعلم والايمان واشار المص الى الجواب عن طعن القاضي في هذه الرواية بما حاصله ان المراد بها ليس
ظاهره بل هو رمز الى توسيع الصدر فقال ولعله اي ولعل ما روي اشارة الى نحو ما سبق من تفسيح الصدر قوله مبالغة
في اثباته وجه المبالغة ان الانكار في معنى النفي ونفي النفي اثبات فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفي انتفاء
اثبات له فكان ابلغ في اثباته ابتداء قوله ولذلك اي ولاجل ان معنى الم نشرح قد شرحنا عطف عليه وضعنا لانه بهذا
الاعتبار يكون العطف من قبيل عطف الجملة الخبرية على مثلها العب بالكسر الحمل والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك
ونقيض الرحل صوته عند تداعي اجزائه الى الانفكاك وحط من تركه الافضل والاولى بالبعث الثقيل فاطلق عليه اسم
المشبه به وهو الوزر ثم قرره بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط فالوزر استعارة والوضع ترشيح قوله

فحجان يعتبر عن تطهر قلبه عليه السلام
عن ذلك الدم باستلائه بالعلم والايمان

اوجعله بالحكم والاحكام لعله اراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها
عن الرذائل الدنية وفي التلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات التي تتوقف عليها حسن
المعاشرة بين الناس ويدور عليه انتظام احوالهم قوله اوحيرته اي او المراد من الحمل الثقيل الحيرة التي كانت له عليه السلام
قبل البعثة وذلك انه عليه السلام كان ينظر بكمال عقله الى عظم نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه
الحياة والعقل وساير ما يتبعهما من النعم فيثقل عليه تلك النعم ولا يدري كيف يشكرها فيغلب عليه الحياء والحيرة فلما
جائته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف يعبد ربه ويشكر نعمته زال حيرته فان اللئيم لا يبالي بما اسبغ عليه من النعم
المتظاهرة ولا يستحي عدم مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف الانسان الكريم النفس فانه اذا تواترت النعم عليه وهو عاجز
عن مقابلتها بنوع من انواع الخدمة فان ذلك يثقل عليه جدا بحيث يكاد ان يموت من الحياء فاذا الطفه المنعم بنوع من الخدمة
سهل ذلك عليه فطاب قلبه قوله او ثقل الوحي اي او المراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقاة جبرئيل
عليه السلام حتى تاخذه الرعدة ويستولي عليه العرق عند نزول الوحي ويقول زملوني ودثروني ثم انه تعالى وضع
عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى الفه وصار يرقى بنفسه على شاهق الجبل لشدة اشتياقه اليه قوله لك جواب
عما يقال ما الفائدة في زيادة قوله لك ورفعنا لك وفي زيادة عنك في قوله ووضعنا عنك مع ان المعنى يتم بدونها وبعد زيادتهما
فاي فائدة في تقديمهما على مفعول عاملهما وتقرير الجواب ان زيادتهما مقدمين على المفعول يفيد ابهام المشروح والموضوع والمرفوع
ثم يبينه ويوضحه ومن المعلوم ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال اوقع في الذهن وابلغ في الشان وذلك
يدل على تعظيم المشروح والموضع والرفع قوله فلا تيأس من روح الله اي اذا عراك ما يغمك يعني ان قوله تعالى فان مع العسر
يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي كانه قيل اذا وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع
والرفع مع عسر الضيق والثقل والحول فتحقق ان مطلق العسر يسرا اي يسرا وتيقن ان العسر الذي انت فيه لا ينفك عن يسر
عظيم وقس ما سياتي عليك فيما بعد من وجوه العسر على ما مضى من احوالك فاي زمهرير لا يعقبه ربيع قوله والمعنى باني ان مع
من المصاحبة المبالغة قوله في تعاقب اليسر للعسر يعني انهما متضادان لا يتصور معيتهما فلا بد من توجيه ذكر كلمة مع في
هذا المقام قوله تكرير للتاكيد اي لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها في القلوب فكما يكرر المفرد في مثل جاءني زيد زيد
كذلك كررت الجملة هنا ايضا ويحتمل ان تكون الجملة الثانية مستانفة بان العسر المذكور اولا متبوع بيسر اخر فان الاسم
اذا ذكر معرفا كان الثاني عين الاول فيكون العسر واحدا مع كونه مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر المعهود الذي كانوا فيه
او جنس العسر الذي يعلمه كل واحد والنكرة اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا كما في قوله تعالى كما ارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت نكرة لا يلزم ان يكون الثاني عين الاول ويسرا الثاني ههنا منكر
فيحتمل ان يكون عين الاول والحال ان العسر الثاني ايضا هو العسر الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا تكريرا للاول وتاكيدا
له وان يكون غيره فيكون الثاني كلاما مستانفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسرين وهذا الاحتمال ارجح لما
علم من فضل التاسيس على التاكيد وكلام الله تعالى ينبغي ان يحمل على ابلغ الاحتمالين واوفاهما والمقام مقام التسلية
والتنفيس فالحمل عليه اولى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت

في معاقبة ...

١٨١

يسرين فلن يغلب عسر يسرين وكل هذا يؤكد الجملة الثانية كلاما مستانفا قوله تعالى فاذا فرغت فانصب جواب
شرط محذوف اي اذا تقرر عندك ما عددناه عليك وما وعدناه لك من النعم فاتعب في العبادة فاذا فرغت من التبليغ
شكرا لذلك فان الشكر يربط البعيد ويجلب المزيد والنصب التعب يقال نصب في الشيء ينصب من باب علم اي
تعب وروي ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال الفارغ ما امر بهذا انما قال فاذا فرغت فانصب يعني انه تعالى
امر ان يواصل بين بعض العبادات وبعضها وان لا يخلي وقتا من اوقاتها فاذا فرغت من عبادة اتبعها باخرى
قوله ولا يسال غيره الحصر مستفاد من تقديم الظرف سورة التين والزيتون بسم الله الرحمن الرحيم
قوله وقيل المراد بهما جبلان روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما
بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون قوله او مسجد دمشق وبيت المقدس قال ابن زيد التين مسجد
دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس عبر عنهما بما كثر فيهما من التين الكوفة والزيتون الشام وسينين وسينا
اسمان للبقعة وهو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام اضيف ذلك الجبل الى البقعة التي حصل هو فيها
والمعنى وجبل الموضع المسمى بسينين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة
وعن مجاهد سينين المبارك وقال الكلبي هو الجبل ذو الشجر وعن مقاتل كل جبل ذي شجر مثمر سينين وسيناء بلغة النبط
قوله من امن الرجل بضم الميم فيهما فهو امين اي امن بمعنى ذو امن وهو الامانة يقال امنت فانا امن حال الامن
فعيل بمعنى فاعل وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه قوله او المامون فيه عطف على قوله اي
الامن فالامين فعيل بمعنى المفعول فيه كالمشترك بمعنى المشترك فيه اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لانه شرفها
وبركها ولانها مساكن الانبياء والصالحين ومهاجر ابرهيم ومولد عيسى عليه السلام ومنشاه بمكة موضع البيت
العتيق ومولد خير الانبياء ومبعثه وجواب القسم قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي تعديل لشكله
وصورته وتسويته لاعضائه فان التقويم تيسير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه في تاليف الاخر وتعديل الاعضاء
والهيات والاشكال وتكميله بالقوى الباطنة التي يتوسل بها الى الفضائل العلمية والآداب والاخلاق المرضية
يقال قومه تقويما فاستقام وتقوم روي ان ملكا من الملوك خلا بزوجته في ليلة قمراء فقال لها ان لم تكوني
احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى قال لا يحنث فقال الملك خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم
لا بكبر السن ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض
الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الآخرة احسن الفعال وهو العفو عن
الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها
يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما
اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم
فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه فانه كان ساكتا فقال المنصور
ما لك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم قال يا امير المؤمنين ان الانسان احسن المخلوقات ولا شيء احسن منه فلم تطلق امراة الرجل فقال المنصور

مطلب

لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعي زوجك ولا تعصيه فيما امرك
قوله ونظائر سائر الممكنات اى وبان خص باستجماعه شمائل كل ممكن قال الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل
ما في المخلوقات حاصل فيه بان جعلناه من اهل النار على ان يكون اسفل حال الاين مفعول رددناه ويكون المراد بكونه
اسفل كونه في غاية الانحطاط والقباحة من حيث الصورة والتقويم كناية عن كونه من اهل النار والمعنى ثم كان
عاقبة امره حين لم يشكر تلك النعمة وهي نعمة الخلقة الحسنة ان رددناه اى صرفناه عن طريقه في احسن الصور
حال كونه اسفل من السافلين خلقا وتركيبا واقبح من قبيح صورة وخلقة وهم اصحاب النار قوله او الى اسفل سافلين مكان ظ
وهو النار على ان يكون اسفل صفة زمان محذوف اى الى مكان هذا اسفل امكنة السافلين عن مجاهد ثم رددناه
الى النار التي هي اسفل السافلين وعلى الوجهين يكون الاستثناء في قوله الا الذين آمنوا متصلا والمستثنى منه الضمير
المنصوب في قوله ثم رددناه لانه في معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد منه الجنس تكون الفاء في قوله فلهم
لتعليل كون المستثنى خارجا عن حكم المستثنى منه كانه قيل لا يحولون في كونهم في احسن تقويم الى ان يكون من
اسفل السافلين من حيث الصورة لانهم مثابون في الجنة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما اذا اريد باسفل
السافلين ارذل العمر بناء على ان من رد الى ارذل العمر يحولهم من احسن التقويم الى اسفل السافلين من حيث الشكل
والصور حيث ينقوس ظهره ويضعف سمعه وبصره يتداعى جميع قواه واعضاه الى الانحلال والاضمحلال فح
يكون الاستثناء منقطعا لان اهل الايمان والطاعة يخرجون عن كونهم مردودين الى ارذل العمر بل اثبت
لهم حكم توهم عدم ثبوته لهم بسبب بلوغهم الى ارذل العمر وعجزهم عما فعلوه زمان الاقتدار عليه فيكون الا
بمعنى لكن وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره ودخول الفاء لتضمن
اسمه معنى الشرط والمعنى ولكن الصالحين من الهرمى فلهم اجر وثواب دايم غير ممنون اى غير منقطع بسبب
طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة والهرم فان المؤمن اذا عمل في حال شبابه وقوته وصحته
فاذا مرض وهرم او مات فانه يكتب له حسناته بتمامها كما كان يعمل في حياته وقوته الى يوم القيامة روي عنه عليه السلام
انه قال ان المؤمن اذا مات صعد ملكاه الى السماء فيقولان يا رب ان عبدك فلان قد مات فاذن لنا حتى نعبدك
على السماء فيقول الله تعالى سمواتي مملوة بملائكتي ولكن اذهبا الى قبره واكتبا له حسناته الى يوم القيامة كذا في
تفسير الامام ابو الليث وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المولود حتى يبلغ الحلم
ما عمل من حسنة كتبت لوالديه فان عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه واذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم
امر الله تعالى الملكين اللذين يحفظانه ويسددانه فاذا بلغ ستين في الاسلام امنه الله تعالى من البلايا الثلاث
من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة اضعف الله تعالى حسناته فاذا بلغ ستين رزقه الله تعالى
الانابة اليه فيما يحب واذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله تعالى حسناته وتجاوز عن
سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وشفعه في اهل بيته وكان اسمه اسير الله
تعالى في ارضه فاذا بلغ ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله له مثل ما كان يعمل في يوم صحته من الخير
وان عمل سيئة لم تكتب عليه كذا وجدته في بعض التفاسير ووجدته ايضا معلقا على ظاهر التفسير الكبير نقلا

عن تفسير

١٥٣ ١٨٧

عن تفسير العلي من غير تفاوت بين عبارتهما انتهى فاي شيء يكذبك يا محمد صلى الله عليه وسلم يعني ان ما استفهامية
مرفوعة المحل على الابتداء ويكذبك خبرها والخطاب له عليه السلام والمعنى اى شيء ينسبك الى التكذيب فيما اخبرت به من البعث
والجزاء بعد هذا البيان والباء في قوله تعالى بالدين ليست صلة للتكذيب بل هي مثلها في قوله تعالى والذين هم به مشركون
فان تقديره والذين هم بسبب الشيطان مشركون بالله فحذف بالله فكذا تقدير هذه الآية فما يكذبك بعد بسبب تكذيب
الجزاء والحساب فان من كذبك بالجزاء وانكره فهو مكذب لمن اخبر به لا محالة ووجه كون ما ذكر في هذه السورة بيانا
لحقية الدين حتى يصح ان يفرع عليه قوله فما يكذبك بعد بالدين انه تعالى اقسم بالامور كلها المذكورة على انه
خلق الانسان المسوى من الماء المهين وحسن ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه في مراتب الازدياد والتمام الى
ان استكمل واستوى ثم نكسه ورده الى ارذل العمر وبين به كمال قدرته ليستدل به على ان من قدر على الابداء على الوجه اقرا الثاني م
المذكور فهو قادر على الاعادة والجزاء ثم حقق انه عليه السلام غير مكذب بسبب الدين فقال على سبيل الاستفهام الانكاري
أليس الله باحكم الحاكمين وانكار عدم كونه تعالى احكم الحاكمين اثبات له بما ذكره من الخلق والرد كونه احكم الحاكمين صنعا
وتدبيرا واذا ثبت القدرة والحكمة بما ذكره من البيان صح القول بامكان البعث والجزاء وبوقوع ذلك اما الامكان فبالنظر
الى قدرة الله واما الوقوع فبالحكمة فان عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض باطلا ذلك
ظن الذين كفروا وذلك انه تعالى لو كان خلقهما لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لا يجوز على الحكيم وان خلقهما لحكمة عائدة عليه تعالى
يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا فتعين انه تعالى خلق ما خلق لحكمة عائدة الى الانسان وهي اثابة
المطيع وعقاب العاصي وتلك الحكمة لا تظهر في الدنيا لانها دار ابتلاء وامتحان فثبت انه لا بد من دار اخرى غير هذه
الدار ليثاب فيها الانسان ويستريح فالقول بوجود الاله القادر الحكيم يستلزم القطع بالقيمة والجزاء كما مر غير مرة
وان الحكيم هو المتقن للامور ويلزم بذلك كونه تاما لقدرته كامل العلم ومن هذا شانه كيف يستبعد عنه البعث
والجزاء والمعنى أليس من فعل ذلك بالغ اتقانا للامور وقيل معناه أليس الله تعالى باقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك
بالحق والعدل من قولهم حكم بينهم اذا قضى فالآية ح وعيد للمكذبين سورة اقرا بسم الله الرحمن الرحيم
قال اكثر المفسرين هذه الآية اول ما نزل من القران نزل بها جبرئيل على النبي عليه افضل الصلاة والسلام وهو قائم
على حرا فعلمه خمس آيات من اول هذه السورة الى قوله ما لم يعلم عن الزهري انه قال اخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤية الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه
الخلا يعني العزلة فكان ياتي حراء فيمكث هناك ثم يرجع الى خديجة فجاءه الملك وهو على حراء فقال له اقرا فقال له صلى الله عليه وسلم
ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها
يرجف بوادره اخذته الرعدة حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب منه الروع فذلك قوله اقرا
باسم ربك يعني اقرا بعون ربك وحيه اليك كذا في تفسير الامام ابي الليث رحمه الله انه عليه السلام لما بلغ اربعين سنة كان يسمع
صوتا ينادي يا محمد ولا يرى شخصه وكان يخشى على نفسه الجنون حتى راى جبرئيل عليه السلام يوما في صورته فغشي عليه
فحمل الى بيت خديجة فقالوا انها تزوجت مجنونا فلما افاق اخبر بذلك خديجة فجاءت الى ورقة بن نوفل وكان يقرا الانجيل

ويفسره ثم جاءت الى عداس كان راهبا فقال يا خديجة ان له نبا وشان يظهر امره فخرج عليه السلام يوما الى الوادي فجاء جبرئيل
عليه السلام بهذه السورة وامره بان يتوضا ويصلي ركعتين فلما رجع اليهم بدا بذلك خديجة وعلمها الصلاة وقال جابر بن عبد الله
اول ما نزل يا ايها المدثر وقيل ما اول ما نزل فاتحة الكتاب وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما نزل من القرآن قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم قوله اي اقرا الكتاب مفتتحا باسمه يعني ان مفعول اقرا محذوف وهو القران حذف للعلم به اذ القراءة في
عرف الشرع لا تستعمل الا في قراءة القران وان محل باسم ربك النصب على انه حال من فاعل اقرا والتقدير اقرا القران مفتتحا باسم ربك
او مبتديا به اي قل باسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا فالآية على وجه التوحيد تدل على انه تجب قراءة التسمية في ابتداء كل سورة
مكان
وهي حجة للشافعي رحمه الله تعالى في جهره بالتسمية في اول كل سورة مع ما جاء من الاحاديث المروية في هذا الباب قوله
او مستعينا به على ان الباء للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم فانه عليه السلام لما امر بالقراءة وتعسرت عليه فقال لست
بقاري قيل له اقرا باسم ربك اي استعن باسم ربك واجعله بمنزلة الآلة في تحصيل الذي عسر عليك فان ربك يعينك عليها
بان يوحي اليك ويعلمك ما لم تعلم والباء على الاول للالصاق والملابسة قوله اي الذي له الخلق على ان ينزل خلق منزلة اللازم
فلا يقدر له مفعول بناء على ان المقصود بيان تفرده بالخلق وانه لا خالق سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق
الخلق فالمعنى الذي خلق حصل منه الخلق وتفرد به لا خالق سواه ووصفه تعالى بكونه متفردا بالخالقية تعليل لامره عليه السلام
بالقراءة التي هي من اصل العبادات بان من تفرد بالخالقية يجب على المخلوق ان يعبده ويتذلل له قوله او الذي خلق كل شيء
وجه ثان لعدم ذكر مفعول الاول اي يجوز ان يقدر له مفعول يكون تعلقه به مرادا الا انه حذف قصدا للتعميم ولما ورد
ان يقال لما حكم بانه تعالى خلق كل شيء فقد علم ان خلق الانسان في جملة ما خلق فلم افرد بالذكر بعد ذلك التعميم اجاب عنه
بقوله ثم افرد ما هو اشرف يعني انه كثيرا ما يفرد ذكر الخاص بعد التعميم اظهارا لشرفه كما يخص جبرئيل بالذكر بعد ذكر الملائكة
للدلالة على انه لغاية شرفه صار كانه حقيقة منفردة خارجة عن عداد ما سبق ولان المقصود من توصيفه تعالى
بالخالقية تعليل الامر بالقراءة التي في معنى الامر بالعبادة فقوله تعالى الذي خلق كل شيء وان كان فيه بيان كونه تعالى مستحقا
للعبادة لان خالق الاشياء كلها يجب ان يعبد ويعظم الا ان التعرض لكونه تعالى خالقا للانسان بخصوصه ادل على وجوب
العبادة المقصودة من القراءة قوله او الذي خلق الانسان وجه ثالث لعدم ذكر مفعول خلق الاول اي ويجوز ان يقدر له
مفعول خاص ابتداء الا انه ابهم اولا ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان فان هذا الاسلوب انما يكون فيما يقصد
تفخيم شانه قوله جمعه فانه جمع علقة كتمر وتمرة والعلقة الدم الجامد وما لا يكون جامدا فهو مسفوح ومقابلة الجمع
بالجمع تقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد فافاد انه تعالى خلق كل فرد من افراد الانسان من علق على حدة نزل اولا ما يدل
على وجوده فانه تعالى لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين كان الظاهر ان يقال اقرا باسم ربك الذي لا شريك له الا انه قيل
ذلك لابوا ان يقبلوا ذلك لاستحكام اعتقاد الشرك عندهم فدبر سبحانه وتعالى لاجل ان سمعوا كلامه بان قدم لهم ما
يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته حيث وصف نفسه بما لا سبيل لهم الى انكاره فانه لا يمكنهم ان ينكروا كونهم مخلوقين
من علق ولا ينكروا ان ذلك الخلق لا بد له من خالق ولا ان يدعوا ان ذلك الخالق هو الصنم لعلمهم بان الصنم لا يخلق
شيئا ومن المعلوم بداهة ان ما لا يخلق شيئا لا يصلح الها فهذا الاسلوب يستلزم اعترافهم بوجود اله قادر حكيم فهو اسلوب
لطيف في الزام المشركين ودعوتهم الى التوحيد ونظيره ما يحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل

اليهم

اليهم وذكر ابا حنيفة ومنعوه من ذكر اكتفاء باتمهم واستغنائهم عنه ولما لم يلتفتوا اليه ولم يسمعوا به رجع الى
ابي حنيفة واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر في المسئلة اقاويل
ابي حنيفة فانهم حتى يستجيبون فلا يردونه تكرير للمبالغة يعني ان اقرا الثاني تكرير للامر بالقراءة تاكيدا ومبالغة
في الامر بها فيتم الكلام عند اقرا الثاني ويكون ما بعده كلاما مستانفا بان يكون وربك مبتدا والاكرم صفته
والذي مع صلته خبره وقوله علم الانسان ما لم يعلم بدلا من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له قوله او الاول مطلقا
اي امر بمطلق القراءة سواء كان على طريق التعلم من جبرئيل عليه السلام او على طريق تكرارها لنفسه طلبا للثواب
او على طريق التعليم والتبليغ للامة واقرا الثاني امر بان يقرا للتبليغ وتعليم الامة او بان يقرا في الصلاة
اقرا الثاني م
قوله ولعله لما قيل لما اشارة الى جواز ان يكون جوابا لقوله عليه الصلاة والسلام ما انا بقاري فان ربك الاكرم يعلمك
القراءة وان لم تكن قاريا الا انه على هذا ينبغي ان تكون العبارة قيل له اقرا وربك الذي بدون الفاء لان قوله قيل له على هذا
التوجيه جواب لما ولا تدخل الفاء على جواب لما وليس في الكلام ما يصلح ان يكون جوابا لها غيره قوله بل هو الكريم وحده على الحقيقة
فان افادة ما ينبغي لا لعوض فان من اعطى ما لا ينبغي لا يكون كريما وما اعطى ما ينبغي توقعا للعوض لا يكون كريما ايضا فظهر
ان الكرم مختص به تعالى فانه لا ينعم بما انعم به الا بمحض الكرم بخلاف غيره تعالى فانه لا يعطي طلبا للعوض فان العوض لا يجب
ان يكون من قبيل الاعيان بل المدح والثواب والتخلص من المذمة ونحوها كله عوض قوله اي الخط بالقلم يعني مفعول علم محذوف
يتعلق به قوله بالقلم والتقدير الكلام علم الخط بالقلم قوله لتقيد به العلوم ويعلم به القيد بيان توجيه كون الزائد في تعليم
الكتاب بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام بيان كرميته تعالى والاشعار بان اشرف النعم واجلها العلم لان الاكرمية
انما تكون بافاضة اجل الاشياء وهو العلم بحقائق الاشياء فانه اشرف المواهب في العلم الخط والكتابة والقلم وسيلة يتوسل
بها الى حفظ العلوم المهمة وتقييده فلذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد روي ان سليمان عليه السلام سئل عفريتا عن الكلام
فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة والقلم وان كان لا ينطق الا انه يسمع اهل المشرق والمغرب فانه ما دونت العلوم
ولا قيدت الحكم ولا اضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين
والدنيا وصف الله تعالى نفسه اولا بوصف الربوبية ورتب عليه كونه خالقا للانسان من علق تنبيها على ان الخالقية لا سيما
خالقية اشرف المخلوقات من دلايل الربوبية ولوازمها ثم وصف بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليمه للانسان الخط بالقلم
وتعليم غير ذلك مما لا يعلمه الانسان تنبيها على ان اجل المواهب في اعز المطالب هو افادة الفوائد العلمية وما يودي الى
تقييدها وضبطها لان الاكرمية انما تكون باعطاء اعز العطايا وفيه تشريف بليغ لشان العلم فانه لو كان في جملة المطالب
ما هو اشرف منه لكان ذكره اولى في مقام كرميته قوله وقد عدد سبحانه الخ يعني انه لا مناسبة بحسب الظاهر بين ان وصف
الله تعالى نفسه بانه الذي خلق الانسان من علق وبانه الذي علم بالقلم لكنه في التحقيق في غاية الحسن وذلك لان الله تعالى
بين اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهي اخس الاشياء وبين ايضا آخر امره وهو صيرورته عالما بحقائق الاشياء
وقادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله
من اخس الاحوال الى اعز المراتب واشرفها دليل باهر الى جود الآله الكريم وفرط قدرته وكمال حكمته وهو قوله وما كان
اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده الخ واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا فان قوله تعالى الم يعلم ربك

الذي خلق خلق الانسان من علق يدل دلالة عقلية على معرفته تعالى بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه
وحكمته وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم تنبيه على ما يدل على معرفته تعالى سمعا فان ما حصل بنظر العقل من
المعرفة عقلية وما حصل بالتعليم سمعية فان الاحكام التي لا سبيل الى معرفتها الا السمع هي الحاصلة بالتعليم قوله ردع لمن
كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه فان الآية لما كانت مشتملة على اصول النعم ومباديها
وهو خلق الانسان من علق وعلى كمالها وغايتها وهو قوله علم الانسان ما لم يعلم تضمنت جميع النعم واستلزمت
معرفة المنعم وشكر نعمته ولا شك ان الرسول الذي بلغ هذه الآية لا بد له من الموسل اليهم وانهم جهال لا يعرفون
النعمة ولا المنعم فضلا من القيام بشكرها ردعهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والجهل فقال كلا وبين ان سبب ذلك
انما هو الطغيان وقال مقاتل حتى طغيانه انه اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك وقال الكلبي
يرتفع من منزلة الى منزلة في اللباس والطعام قوله ولذلك اي ولكونه بمعنى علم جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لشيء
واحد فان ذلك من خصائص افعال القلوب يقال رايتني وعلمتني فلو كانت الرؤية ههنا بمعنى الابصار لامتنع في فعلها
الجمع بين الضميرين قوله ان رآه اصله لان رآه اي لان راى نفسه استغنى اي مستغنيا فكان فاعله ومفعوله ضميرين
لشيء واحد فحذفت اللام كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم فمحله النصب على انه مفعول له واول السورة يدل على مدح
العلم وشرفه وآخرها يدل على مذمة المال وكفى ذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا وهم عن الآخرة غافلون
بخلاف اولي البصائر واصحاب العرفان فان عرض الدنيا لا يلهيهم عن ذكر المولى عن ذكر المولى وطاعته كسليمان عليه السلام
فانه قد نال من الملك ما لم ينله احد من العالمين مع انه لا يزود بذلك الا تواضعا واستكانة وكان يجالس المساكين ويقول
مسكين جالس مسكينا وكعبد الرحمن بن عوف فانه رضي الله عنه ما طغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه عند الغنا يكون
اكثر حاجة اليه تعالى منه حال فقره لانه في حال فقره لا يتمنى سلامة نفسه واما في حال الغنا فانه يتمنى سلامته وماله ومماليكه
قوله نزلت في ابي جهل مبني على ما روي عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم انهم قالوا هذه السورة اول ما نزلت الى قوله تعالى ان
الى ربك الرجعى وما بعده نزلت في ابي جهل الى آخر السورة فيكون المراد من الانسان في قوله تعالى ان الانسان ليطغى جنس الانسان
وجملته ووجه ارتباط بعضها ببعض انه تعالى بين انه خلق الانسان من علق ثم بين انه رفعه من اخس المراتب الى اعز
مفاخر الموجودات وهو التحلي بفضيلة العلم والعرفان ثم اشار بقوله كلا الى انه لم يشكر تلك النعمة الجليلة بل كفر وطغى اذا
اغناه ربه وزاده جاها ومالا فردعه عنه وقبح حاله ثم بين سبب كفرانه وطغيانه فقال ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى ثم اكد الردع والزجر فقال ان الى ربك الرجعى على الالتفات للمبالغة في التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان
وذهب اكثر المفسرين الى ان اول ما نزل قد انتهى عند قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم ثم نزل باقي السورة بعد زمان مديد
في حق ابي جهل لعنه الله ثم انه عليه السلام امر بان يوضع في هذا الموضع ويضم الى آخر الايات الخمس التي هي اول ما نزل من القرآن
لان تاليف الآيات انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو
مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وما ذكره صاحب الكشاف يؤيد هذا القول وهو قوله روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل
عليه السلام ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء

والمال والظاهر ان كون الغنا سببا
للطغيان انما هو في حق المحجوبين الذين
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا

ابقا،

بنعزلان محمدا وجبهه ظم

ابقاء عليهم وترحما وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبالذي
تحلفون به لئن رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته قال فقيل له ها هو ذاك فانطلق ليطا على رقبته فما فجيهم الا
وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فاتوه فقالوا ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار فنزل
قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى قال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته
الملائكة عضوا عضوا والهول للخوف والاجنحة الملائكة ابصر للعين اجنحتهم ولم يبصروا اصحابها
ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي فانه لو قيل ينهاك بضمير الخطاب بدل لفظ العبد لدل الكلام
على تقبيح النهي الا ان ايراد لفظ العبد ابلغ في تقبيح النهي لان نهي العبد عن تعظيم مولاه اقبح من نهي فرد
من افراد الانسان عنه وتنكير لفظ العبد يدل على تعظيمه وكماله في العبودية عن عبادة ربه قوله والشرطية
مفعوله الثاني ان جعل رايت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين فجعل قوله الذي ينهى مفعوله الاول وجعل الشرطية الاولى
مفعوله الثاني وهي قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى مع جوابه المحذوف وهو قوله الم يعلم بان الله يرى ويطلع
على احواله من كونه على هدى في نهيه عن طاعة الله تعالى وعبادته او كونه آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان
على زعمه الباطل وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني فان الشرط الثاني وهو قوله ان كذب وتولى مقابل
للشرط الاول فان كون ذلك الناهي عن التكذيب للحق والتولي عن الصواب مقابل لكونه على هدى في امره او امر بالتقوى فيما يامر به
فلما اجيب الشرط الثاني بقوله الم يعلم بان الله يرى احواله علم ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان تكون جملة
الاستفهامية وهي قوله تعالى الم يعلم الخ جوابا للشرط كما جاز في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك فلان هل تحسن
اليه وجعل كل واحد من رايت الثاني والثالث تكريرا للاول لاجل التاكيد فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب في قوله تعالى
ارايت لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن له روية وعقل سليم او للاتيان على الالتفات كما في قوله ان الى ربك الرجعى وهذا هو
الاظهر لا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لابي جهل لان كل واحد منهما متوسط بين المتكلم والمخاطب عبر عنه المص بلفظ الغيبة حيث
قال عمن نهى بعض عباد الله وان من عباده الكافر الناهي والبعض عبارة عنه عليه السلام كانه تعالى جعل الثالث حاكما
بين الناهي وبينه عليه السلام فقال اخبرني الحكم عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته ويزعم انه على الحق في ذلك النهي وفي امره
بعبادة الاوثان واخبرني ايضا عمن يقول في حقه انه على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح فاعلمكم في حقه الم يعلم
بان الله يراه ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فهو وعيد بليغ قوله وقيل المعنى يعني ان الضمائر
كلها للكافر الناهي الا انه قيل ضمير نهى وكذب وتولى عبارتان عن الكافر الناهي وضمير كان وامر للعبد المنهي وان قوله تعالى
ارايت كلمة تعجيب الله تعالى عباده من ابي جهل في منعه العبد اذ صلى على ثلاثة اوجه الاول انه ينهى عبدا عن طاعة ربه والثاني
ان المنهي عن الصلوة مهتد بصلاته وتعظيمه ربه آمر غيره بتقوى الله تعالى بفعله والثالث ان الناهي عن الصلاة مكذب
للحق متول عنه غير قابل به والفرق بين القول الثاني والثالث مع ان ضمير نهى وكذب وتولى فيهما للكافر وضمير كان
على الهدى او امر للعبد المنهي هو ان المخاطب في المواضع الثلاث على القول الثاني للانسان على الالتفات وارايت للتعجيب وعلى القول
الثالث يكون الخطاب الاول له عليه السلام والخطاب الثاني للكافر الناهي خاطبه توبيخا له على قبح فعله ولما ورد على
القولين الاخيرين ان يقال لم ذكر الامر بالتقوى بعد ارايت الثاني على تقدير ان لا يكون تكريرا للاول بل يكون للتعجيب

كما فى القول الثانى اوللتوبيخ كما فى القول الثالث ولم يتعرض له فى النهى اجاب عنه اولا بانه الذى يشق على ابى جهل فى افعاله عليه السلام وان كانت فى حق نفسه عبادة الا انها فى حق غيره امر بالتقوى والطاعة لان صلاته عليه السلام كما قالوا فى كل من يراه وهو فى الصلوة يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة فكان صلاته عليه السلام امر بالتقوى بلسان الحال والفعل فكان النهى عن الصلاة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة فى مقام حكاية نهيه عن الامرين جميعا لحصول المقصود به ولم يقتصر على ذكر الصلاة فى مقام التعجب عن حال الناهى وفى مقام توبيخه لان التعجب عن جميع قبائحه والتوبيخ على كل واحد منها ابلغ وادخل فى الذم ثم اجاب عنه بان ما ذكر من انه كما ينهى عن الصلوة ينهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على الصلاة انما يتوجه ان لو قيل ينهى عبدا عن الصلاة فقط ولم يقل كذلك بل قيل ينهى عبدا اذا صلى وليس فيه تصريح بان المنهى عنه وقت الصلوة صلاته الصلاة او غيرها فهو يتناول نهيه عن الامرين جميعا فليس فى الكلام اقتصار على ذكر النهى عن الصلاة فقط بل عدم ذكر المفعول به الغير الصريح ليشتمل يدل على ارادة العموم اى ينهى عن عامة افعاله المستحسنة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من ينهى عن طاعة الله تعالى يشاركه فيما تعلق به من الذم والوعيد حتى روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه راى فى المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل فى وعيد قوله تعالى ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل حين قال ابو يوسف رحمهما الله ايقول المصلى اذا حين يرفع راسه من الركوع اللهم اغفر لى حيث قال يقول ربنا لك الحمد والسجد ولم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا ان يقول ذلك قوله ولنسحبه بها الى النار وذلك فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر ويكون الآية بشارة بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجرونه على وجهه اذا عاد الى النهى فلما عاد اليهم مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر روى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال عليه السلام من يقرؤها على رؤس قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضى الله عنه وقال انا فاجلسه عليه السلام ثم قال ذلك ثانيا فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فانشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم رق قلبه واطرق راسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام يجئ ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل تضحك ويبكى ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ فى الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح فى منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال يا رويع الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الى منه فى حال مماتى فروى انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعونى اشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهذا قد زاد عتوا ثم قال اللعين لابن مسعود اقطع بسيفى هذا لانه احد واقطع فلما قطع راسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد

اذنه باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن واللام فى قوله تعالى لئن لم ينته لام موطئة القسم والقسم بعدها مضمر اى ان لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون والوقف عليها بالالف لانفتاح ما قبلها تشبيها لها بالمنون المنصوب وقد كتبت فى مصحف عثمان رضى الله عنه بالالف على حكم الوقف اللام فى قوله بالناصية بدل من الاضافة اى لنسفعا والجمهور على تخفيف بناصية اكتفاء بلام العهد عنها للعلم بان المراد ناصية المذكورة ثم وصفها بانها ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازى لانهما فى الحقيقة لصاحبها وقوله ناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة والنكرة الغير الموصوفة لا تبدل من المعرفة لئلا يلزم كون المقصود بالنسبة انقص دلالة على الذات المرادة بالنسبة الى الغير المقصودة وكل واحد من قراءتى ناصية ونصبها مبنية على الشتم والذم قال ابن الحاجب سئلت لم جمع بين الناصية وناصية كاذبة خاطئة وهلا اقتصر على احدهما فاجبت ان الاولى ذكرت للتنصيص على ان ناصية الثانى بناء على ان اللام فيها للعهد والثانية ذكرت للتنبيه على علة السفع بناصيتها كل ناصية صفتها قوله اى اهل نادية قدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لا يدعى قوله ينتدى فيه القوم اى يجتمع ومنه دار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والشرط جمع شرطة بالسكون والحركة وهم خيار الجند واول كتيبة تحضر الحرب من الشرط وهو العلامة وسموا شرطا لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها قوله او زبنى على النسب على انه بتاء النسبة اى الزبن وهو الرفع وجمع على زبانى ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت تاء التانيث من احدى الياءين بعد حذفها كالاشاعثة فى جمع اشعثى وبالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم ارجلهم فى الارض ورؤسهم فى السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اى يدفعهم فيقذفونهم فى جهنم وحذف الواو من سندع فى الامام اتباعا للخط باللفظ فان الواو لما سقطت فى اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت فى الخط ايضا اتباعا والمعنى ليفعل ما خطر بباله من دعوة اهل ناديه واستغاثته بهم فى مناصبه عليه السلام فانه لو فعل ذلك فنحن ندعوا الزبانية الذين لا طاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لو دعا اهل ناديه لاخذته الزبانية يجرونه فى الآخرة الى النار وكلمة ما فى قوله عليه السلام اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون من كان التامة اى اقرب وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه اذا تقرر فى علم النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى المصدر المذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربى السويق ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما او الظرف فى معنى الحال

سورة ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم قيل انها اول سورة نزلت فى المدينة وقيل انها مكية والنباهة الشهرة فى رفعة القدر وكمال الشرف وكونها كذلك قائم مقام سبق ذكرها صريحا فصح ارجاع الضمير اليها يقال شئ نبه ونبه اى مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة اى شرف واشتهر قوله وانزاله فيها جواب عما يقال القرآن لم ينزل جملة واحدة فى وقت واحد بل نزل منجما مفرقا فى ثلث وعشرين سنة فما وجه قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول ان المراد ابتداء انزالنا له على طريق التنجيم والتعريف فى ليلة القدر بناء على ان البعثة كانت فى رمضان والثانى انما يرد ان لو كان المراد انزلناه الى الارض والى الرسول عليه الصلاة والسلام فانه الذى كان منجما فى ثلث وعشرين سنة

وليس المراد ذلك بل المراد والله اعلم ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان جبرئيل عليه السلام نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ على السفرة عليهم السلام وهم الملائكة في السماء الدنيا ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم منجما مفرقا على حسب المصالح في ثلث وعشرين سنة والثالث ان السوال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا للنفس الانزال على معنى ان الانزال وقع في ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه في حق فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لا ينافي كون الانزال مفرقا في ثلث وعشرين سنة واختلف في تعيين ليلة القدر بعد اختلافهم هل هي باقية تتكرر في كل سنة او انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وانقطعت فمن قال ان فضلها كان لنزول القران فيه يقول انها كانت مرة ثم انقطعت قال الامام النسفي رحمه الله قول من قال انها رفعت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قول مردود والجمهور على انها باقية ثم اختلفوا هل هي مختصة برمضان او لا فعن ابي حنيفة رحمه الله انها غير مختصة برمضان بل هي تدور في كل سنة وبه قال بعضهم حتى روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال من يقم الحول يصبها وقال عكرمة المراد بليلة القدر ليلة البركة المذكورة في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة وهي ليلة النصف من شعبان والجمهور على انها مختصة برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران مع قوله انا انزلناه في ليلة القدر فوجب ان يكون ليلة القدر في رمضان لئلا يلزم التناقض ثم قيل انها تدور في ليالي شهر رمضان مرة تكون في العشر الاول وتارة تكون في العشر الاوسط واخرى في العشر الاواخر وهي اشهر الروايتين عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى وذهب صاحباه انه تدور في العشر الاواخر من شهر رمضان استدلالا بما روى ابو سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سئل اي ليلة القدر هي فقال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها في كل وتر احدى وعشرين او ثلث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وذهب اكثر العلماء الى انها ليلة السابع والعشرين وذكروا فيه كرامات منها ان هذه السورة ثلاثون كلمة وشهر رمضان ثلاثون يوما والكلمة السابعة والعشرين منها هي لفظة هي وتلك اشارة اليها ومنها ان ليلة القدر تسعة احرف وذكرها الله تعالى في هذه السورة ثلث مرات فتبلغ عدد حروفها سبعا وعشرين ففيه اشارة الى ان البحر يعذب ماؤه ليلة القدر واحدة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرين من رمضان وقال عبيد بن عمير كنت في السابع والعشرين من رمضان في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسبيلا وقيل انها هي الليلة الاخيرة من رمضان استدلالا بقوله عليه السلام ان الله تعالى في كل ليلة من رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان اخر ليلة من رمضان اعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى اخره وقيل انها الليلة الاولى من رمضان لما روى ان صحف ابرهيم عليه السلام انزلت في الليلة الاولى من رمضان والتوراة انزلت لست ليال مضين من رمضان بعد صحف ابرهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود لثنتي عشرة ليلة من رمضان بعد التورية بخمسماية عام وانزل الانجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان من بيت العزة الى السماء السابعة قدر ما ينزل به جبرئيل على النبي صلى الله عليه السلام في السنة كلها الى مثلها

من القايل

من القايل حتى نزل القران كله في ليلة القدر **قوله** وتسميتها بذلك لشرفها على ساير الليالي على ان القدر بمعنى العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان اي منزلة وشرف ثم ان شرفها يحتمل ان يكون راجعا الى الفاعل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فيها لها قدر وشرف زائد على شرف ما وقع في سائر الليالي **قوله** او لتقدير الامور فيها عن الواحدي ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشيء على مقدار غيره من غير زيادة ولا نقصان وقيل سميت به لانها ليلة تقدير الامور والاحكام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الله تعالى قدر فيها ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة في السنة الاتية وسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام ونظيره قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لا يحدث تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض في الازل بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء ايضا **قوله** وذكر الالف اما للتكثير فان العرب تذكر الالف ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة واما ما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل لبس السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فعجب لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر الذي حمل الاسرائيلي فيها السلاح في سبيل الله لك ولامتك من بعده ذلك الى يوم القيامة في كل رمضان وقيل ان الرجل فيما مضى لا يقال عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا احق بان يسموا عبادا من اولئك العباد **قوله** تعالى وما ادراك ما ليلة القدر اي ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر قال مجاهد قيامها والعمل فيها خير من قيام الف شهر ليس فيه ليلة القدر وذلك لان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع فلما جعل الله تعالى الخير الكثير في ليلة القدر كانت خيرا من الف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون في هذه الليلة **قوله** بيان لما له فضلت على الف شهر يعني ان قوله تنزل الملائكة جملة مستانفة لبيان كونها خيرا من الف شهر كانه قيل لما ارتقى فضلها الى هذه الغاية فاجيب بان ذلك لما يوجد فيها من تنزل الملائكة فيها ومعهم جبرائيل عليه السلام بالرحمة من الله والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وهذا غير ما ذكره مجاهد في بيان كونها خيرا من الف شهر الا ان يقال انهم انما ينزلون الى الارض رافة ورحمة للمؤمنين والمؤمنات وظاهر انه لا تبقى بقعة من الارض الا عليها ملك ساجدا وقائم يدعوا ويستغفروا للمؤمنين والمؤمنات وظاهر ان من يشفع له الملائكة بالدعاء والاستغفار ينال من الخير ما لا يناله بعبادته في الف شهر فيؤول الى ما ذكره مجاهد روى عنه عليه السلام انهم ينزلون يسلموا علينا ويستغفروا لنا فما اصابته السلمة غفر له ذنبه وعن كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددها الا الله يعبدون الله ومقام جبرائيل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد

اعطى الرافة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع احدا من الناس ممن يقوم فيها الا ويصافحه وعلامة
ذلك انه يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه فاذا ذلك من علامة مصافحة جبريل عليه السلام فان نظر الملائكة
الى الارواح ونظر البشر الى الاشباح فكما ان البشر اذا راوا صورة حسنة تبلوه ومالوا اليه فكذلك الملائكة اذا
راوا في ارواح المؤمنين صورة حسنة وهي معرفة الله تعالى وطاعته احبوهم ورغبوا في زيارتهم وتمنوا القاءهم
لكنهم كانوا ينتظرون الاذن كما قال الله تعالى عنهم وما نتنزل الا بامر ربك وقال تعالى في هذه الآية باذن
ربهم فانه يدل على انهم استاذنوا اولا فاذنوا وذكر في الروح اقوال احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات
والارض كانت تلك كل القمة واحدة له وفي التيسير ينزل الروح في تلك الليلة وهو ملك من تحت ورجلاه في تخوم
الثرى السابعة وراسه تحت عرش الرحمن الملك الجبار وله الف راس كل راس اعظم من الدنيا وفي كل راس
الف وجه وفي كل وجه الف فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد
بكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة سبع سموات سجدا مخافة ان يحرقهم
نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فتنزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد
صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انه طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر
كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم العيد وقيل انه خلق من خلق الله تعالى ياكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة
ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل يحتمل انه هو عيسى عليه السلام لانه اسمه ثم انه ينزل في موافقة
الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه القران لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وقيل انه الرحمة لما قرئ ولا تيأسوا من رُوح الله بالضم كانه تعالى يقول الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل
في اثرهم فيجدون سعادة الدارين الدنيا والآخرة والاصح ان الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة
شرفه قوله تعالى والروح فيها يجوز ان تكون جملة اسمية في محل النصب على انه حال من فاعل تنزل وضمير فيها للملائكة ويجوز ان
يكون الروح مرفوعا بالعطف على الملائكة ويكون فيها متعلقا بقوله تنزل وضمير فيها لليلة قوله وتنزلهم الى الارض وهو
الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون في سائر الايام الى مجالس الذكر والدين فلان يحصل ذلك في هذه الليلة مع
علو شانها اولى ولان مطلق النزول لا يفهم منه الا النزول من السماء الى الارض وقيل ان الملائكة باسرهم ينزلون الى
السماء الدنيا في ليلة القدر فان قيل كل واحدة من السموات مملوة بما فيها من الملائكة بحيث لا يوجد في واحدة منها موضع
قدم يخلو من ملك فكيف يسع جميع ملائكة السموات والارض او السماء الدنيا قلنا انما يرد ما ذكرته لو كان نزولهم على سبيل
الاجتماع وليس كذلك اذ روي انهم ينزلون فوجا فوجا ينزل بعضهم ويصعد آخرون كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة
ومواضع النسك باسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزل
يفيد التدريج مدة بعد مدة قوله ما هي الا سلامة اشارة الى انه قوله هي مبتدا وسلام خبره ومعناه السلامة وقدم الخبر
ليفيد الحصر كما في قوله تميمي انا اي لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف
منه بل كل ما ينزل فيها انما هو سلامة وخير وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها والليلة ليست
نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ثم اشار الى جواز ان يكون

سلام اسما بمعنى التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اي تسلم فيها الملائكة على اهل الطاعة
قوله من اجل كل امر قدر في تلك السنة من خير وشر ومما فيه صلاح المكلف في دينه ودنياه والظاهر ان هذا الاحتمال
مبني على ان يكون المراد بالليل الليلة المباركة في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ليلة القدر وسميت مباركة لما فيها
من البركة والمغفرة للمؤمنين لانه ان كان المراد بها ليلة النصف من شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فلا يظهر ان يكون
وجه تسميتها بليلة القدر تقدير الامور لانه يستلزم ان يكون تقدير الاعمال والارزاق والآجال والمصائب وغيرها
واقعا في ليلة القدر وفي ليلة النصف من شعبان اما الاول فلقوله وتسميتها بذلك لتقدير الامور فيها واما الثاني
فلقوله تعالى يُفرَق كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف وكون كل واحدة من
الليلتين ليلة التقدير لا يخلو عن بعد الا ان يقال ههنا ثلاثة امور الاول نفس تقدير الامور والاحكام اي تعيين مقاديرها
واوقاتها وذلك في الازل قبل ان يخلق الله السموات والارض والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة بان يكتب في اللوح
المحفوظ وذلك يكون في ليلة النصف والثالث اثبات تلك المقادير في النسخ وتسليمها الى اربابها من المدبرات فتدفع
نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف
الى جبريل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يقدر في ليلة البراة
الآجال والارزاق وفي ليلة القدر تقدير الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به
اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين واما ليلة البراة فكتب فيها اسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت قوله على انه
كالمرجع على انه مصدر ميمي على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمي من الثلاثي ان يجيء على مفعل بفتح العين وكذلك
اذا كان اسم زمان فان كسر عينه مخالف للقياس لان قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها ان يكون على
مفعل بفتح العين وما يكون سواء حمل على المصدر او اسم الزمان ولا معنى لكون مطلع الفجر اسم مكان وهو ظاهر ويفهم من تقرير
المصنف ان قوله تعالى من كل امر متعلق بقوله تنزل اي تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل ووزر وحياة
وموت او من اجل كل امر من الخير والبركة وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتداء فقيل من كل امر سلام هي اي
من كل امر يحدث سلامة هي حتى مطلع الفجر اي الى وقت الفجر

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى بيان لوجه توصيفه تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك ان طريق الكفر غير منحصر في انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قد يكون به مثل كفر اليهود وتكذيب عيسى
عليه السلام وانكار دينه وقد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول فيه عن الحق مثل كفر النصارى قبل بعثة
سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالالحاد في صفات الله والعدول فيها عن الحق والصواب كما قالوا في صفة العلم انها اقنوم
من الاقانيم الثلاثة انقلبت الى بدن عيسى عليه السلام ونحو المسيح بن الله واشترك الجميع في تحريف كتاب الله تعالى ودينه
وسائر ما يوجب الكفر قبل بعثة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقيل المراد من الكفر ههنا هو الكفر بنبينا والمعنى لم يكن الذين
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب لم يكن المشركون من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم
كتاب منفكين اي منفصلين زائلين وفيه انه يبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين عما هم عليه
حتى ياتيهم محمد ولا وجه للكفر بمن لم يبعث بعد ولم يعلم خبر بعثته قوله ومن للتبيين لان كونها للتبعيض يستلزم ان يكون

البعض من المشركين كافرا والبعض الآخر غير كافر لان تقدير الآية يكون ح لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ومن
المشركين فينبغي ان يكون للتبيين بان يكون جنسا الكفار بقوله تعالى الذين كفروا على الاجمال ثم يفصل ذلك المجمل بقوله من
اهل الكتاب والمشركين اخبر الله تعالى انهم قد اتفقوا على ما كانوا عليه من دينهم او ضبروا الوعد باتباع الحق اذا جاءهم
الرسول الى ان تاتيهم البينة وكلمة حتى تقتضي ان ينتهي الاتفاق المذكور عند اتيان البينة بان يحدث منهم الاختلاف
والتفرق عند اتيانها لان حكم ما بعد كلمة الغاية يكون مخالف الحكم ما قبلها لوجوب انتهاء المذكور قبلها عند تحقق
الغاية فذلك قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة جعل كل واحد من الرسول
والقران بينة اما لكونه حجة بينة لنبوته عليه السلام باعتبار كونه معجزة فانه عليه السلام معجز باخلاقه الزاكية
حيث بلغ فيها الى اقصى درجات الكمال واعجز الحكماء المهديين عن ان يتشبهوا به في شيء من مكارم اخلاقه وكذا القرآن
اعجز فصحاء العرب عن ان ياتوا بسورة من سوره فقوله او معجز الرسول من اضافة الصفة الى موصوفه اي الرسول
المعجز باخلاقه العظام والقران المعجز بافحامه من تحدى به اي باسكاته من طلب منه ان ياتي بمثله لا يقال فحم الصبي ما اتى به من شواهد نبوته صح صح
يفحم بفتح الحاء فيهما فحوما وفحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمته حتى افحمته اي بكيته في خصومه او غيرها ويقال
تحديته اذا باريته اي عارضته في فعله ونازعته الغلبة قوله يدل من البينة بنفسه على ان يكون المراد بالبينة فلانام
الرسول باعتبار كونه مبينا للحق او كونه معجزا باخلاقه قوله او بتقدير مضاف على ان تقدير ان يكون المراد بالبينة
القران المبين للحق او المبين لنبوته عليه السلام باعتبار اعجازه والتقدير وحي رسول او كتاب رسول قوله
صفته او خبره نشر على ترتيب قوله بدل من البينة او مبتدا قوله والرسول وان كان اميا جواب عما يقال كيف
نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه عليه السلام وهو امي لا يكتب ولا يقرا عن كتاب وانما يقراها بوحي اليه عن ظهر القلب
وتقرير الجواب انه عليه السلام وان كان اميا يتلوا ما اوحي اليه عن ظهر القلب الا ان متلوه الذي هو القران
لما كان مصدقا مطابقا للصحف الاولين في اصول الشرايع والاحكام صار متلوه كانه هو صحف الاولين فعبر عن
متلوه بها بطريق الاستعارة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فرع الزمخشري بقوله قراطيس
والمراد ما رسم فيها وقيل المراد بقوله يتلوا صحفا جبريل عليه السلام فلا اشكال في نسبة التلاوة اليه ولم يرض به
لان من اتى الكفار والمشركين هو الرسول لا جبريل عليهما السلام قوله تعالى فيها كتب قيمة اسمية منصوبة المحل
على انها صفة لقوله تعالى صحفا وتلك المكتوبات التي تضمنتها الصحف هو المتلوه دون نفس الصحف قوله عما كانوا
عليه او عن وعدهم نشر على ترتيب قوله عما كانوا عليه من دينهم او الوعد وقوله بالاصرار على الكفر متعلق بالتفرق
عن الوعد والمعنى وما تفرقوا عن الوعد بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على تصديقه واتباع دينه بان
اخلفوا الوعد وتصمموا على الكفر القديم وقوله فيكون كقوله وكانوا من قبل الاية تفريع على الوجه الثاني ووجه
المشابهة بين الآيتين ح اشتراكهما في كونهما للتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره صلى فان من استفتح به
عليه السلام اي طلب الفتح والظفر على اعدائه بحرمة النبي الموعود ومكانته عند ربه بان قال اللهم انصرنا
عليهم بحرمة النبي الموعود ثم كفر به بعد بعثته عليه السلام فانه كفر بمن صدقه قبل قوله للدلالة على شناعة
حالهم فان افراد احدى الطايفتين المتفقتين على الضلالة بالذكر في مقام الذم يدل على كونها اشنع حالا

من الاخرى

من الاخرى مع ان بيان تفرق اهل الكتاب يدل على تفرق المشركين بطريق الاولى لان اهل الكتاب عالمون
بحقية امره عليه السلام من حيث ان نعوته وبعثته عليه السلام مذكورة في كتبهم فاذا تفرقوا مع علمهم
بحقية امره كان غير العالم بامره اولى بالتفرق قوله اي في كتبهم بما فيها على كل واحد من حرفي الجر متعلق
بامروا قدر المفعول الاول للدلالة على ان المراد بالامر الوارد عليهم بالسنة انبيائهم وانه ليس المعنى وما امر
اهل الكتاب على سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الا بهذه الاشياء وقدر المفعول الثاني لان تعدية
فعل الامر الى مفعوله الثاني بالباء دون اللام والمعنى ما امر اهل الكتاب بما امروا به في الكتابين بشيء من الاشياء
الا لاجل ان يعبدوا الله واهل السنة واه احالوا ان يكون شيء من افعاله تعالى معللا بالغرض بناء على ان الفاعل
لغرض ان يكون ناقصا في ذاته مستكملا بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك الا انهم قالوا ان افعاله تعالى لا بد
ان يكون فيها الحكم والمصالح وكثيرا ما يستعمل لام الغرض في الحكمة المترتبة على الفعل تشبيها لها به في ترتبها
على الفعل في الوجود ووبخ الله تعالى اهل الكتاب على ما تعكيل الامر ببيان الحكمة بالاصلية في جميع ما امروا به
في كتابهم من العبادة المقرونة بالاخلاص ثم انهم تركوا ذلك وخالفوا حكمه واوامره بان قال بعضهم عزير
ابن الله وقال بعضهم عيسى بن الله وقال بعضهم عيسى هو الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وعامة
اليهود مشبهة وكل ذلك شرك مخالف للتوحيد واخلاص العبادة له تعالى فجاز ان يكون المشرك من اوصاف
اهل الكتاب ايضا ويكون عطف قوله تعالى والمشركين في اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة
مع اتحاد الذات وقيل ليست اللام هنا لام الغرض بل هي صلة وان الناصبة مضمرة بعدها والتقدير وما
امروا الا ان يعبدوا اي بان يعبدوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قرا كذلك بناء على ما نقل عن الفراء
فانه قال العرب تجعل اللام في موضع ان بعد فعل الامر والارادة كثيرا كما في قوله تعالى يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم اي ان يطفئوا ويريد الله ليبين لكم اي ان يبين وقال وامرنا لنسلم اي ان نسلم بمعنى بان
نسلم ولم يلتفت اليه المص لانه جعل اللام صلة واضمار ان بعدها واضمار الباء الجارة قبلها خلاف الظاهر
قوله تعالى مخلصين حال من الفاعل في يعبدوا وحنفاء حال ثانية منه او من المنوي في مخلصين وفي انتصاب مخلصين
على الحالية من فاعل يعبدوا اشارة الى انه يجب تحصيل الاخلاص من ابتداء العبادة الى انتهائها والاخلاص ان
ياتي بها بفعله حالة الداعية واحدة وهي قضاء حق الربوبية وامتثال العبودية ولا يكون لغيرها من الدواعي
تاثير في الحمل على ذلك الفعل وجعل ضمير جميع ما ياتي به من الافعال خالصا لربه فان يستثني شيئا منها لنفسه
كان يطلب الجنة والنجاة او النجاة من النار فضلا عن ان يستثني شيئا منها لغيره كان يطلب مثل ان يفعله
رياء وسمعة واستدل بهذه الآية على انه لا يجوز دفع الزكوة الى الوالدين والمولودين والعبيد والاماء
لانتفاء الاخلاص في دفعها اليهم واذا كان انضمام صلة الوالدين والاولاد الى نية اصل القربة منافيا للاخلاص
فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفسك وقضاء شهواتك ولهذا ذهب اهل السنة الى ان العبادة ما وجبت
لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى النجاة من عذاب النار وانما وجبت لكون العابد عبدا والمعبود ربا فلو لم يحصل
في الدين لا ثواب ولا عقاب البتة ثم امرنا ربنا بالعبادة توجيه لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والعبادة

عبارة عن الاتيان بالفعل المامور به على سبيل التعظيم والتذلل له ولذلك قيل صلاة الصبي ليست بعبادة لانه لايعرف عظمة الله
فلا يكون فعله تعظيما له تعالى وقيل ايضا فعل اليهود ليست بعبادة وان فعله قصدا لتعظيم ربه يكون مافعله غير
مامور به قوله مايلين عن العقائد الزايغة قال الجوهرى اصل الحنف الميل والانقلاب الاحنف هو الذى انقلبت احدى
ابهامى رجليه على الاخرى وعن ابن زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه
من شقها الذى يلى خنصرها وقيل الحنف الاستقامة فقوله تعالى حنفاء اى مستقيمين وانما سمى مايل القدم احنف
على سبيل التفاءل كقولك للمريض مطبوب وللمهلكة مفازة والمص راعى القولين حيث اعتبر فى مفهوم الحنف كل واحد من
معنى الميل والاستقامة لان الميل عن العقائد الزايغة انما يكون بالاستقامة قوله دين الملة القيمة جعل القيمة
نعتا لموصوف محذوف لئلا يلزم اضافة الموصوف الى صفته التى بمنزلة اضافة الشئ الى نفسه فان دين القيمة مثل
صلوة الاولى ومسجد الجامع فكما انهما فى تاويل صلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع فكذلك الآية فى تاويل دين القيمة
او دين الشريعة القيمة او الكتب القيمة والدين والملة متحداه بالذات ومتغيران فان الشريعة التى يبلغها الرسول
الى الامة تسمى ملة باعتبار انها تكتب وعلى دسا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه والدين ايضا
العادة والشان كما فى قوله هذا دينه ابدا ودينى وكل واحد منهما اعم من الاسلام لانه يستعمل فى الحق والباطل والاسلام
لا يستعمل الا فى الحق ولما كان بينهما مغايرة اعتبارية جازت اضافة احدهما الى الآخر وايضا من قبيل اضافة العام الى الخاص
لان الملة المستقيمة اخص من الدين لما مر من ان الدين يستعمل فى الباطل ايضا والقيمة بمعنى المستقيمة فان قام الامر بمعنى
استقام يقال قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام قوله تعالى وذلك اشارة الى ما امروا به وهى الاعمال الصالحة التى معظمها
اقام الصلاة وايتاء الزكاة المقرونة بالاخلاص المستلزم للعلم والاعتقاد المطابق فان بعض اهل الاديان كاليهود والنصارى
يتعبون انفسهم بالطاعة من غير ان يخلصوا الاعتقاد المطابق وبعضهم يخلصوا الاعتقاد الحق ويهملون الاعمال
وهم المرجية الذين يقولون لا تضر المعصية مع الايمان فهو تعالى خطا كلا من الفريقين فى هذه الآية وبين انه
لابد من كل واحد من العلم والعمل فقال وما امروا الخ ثم قال وذلك دين القيمة ثم ذكر مآل كل واحد من اهل
الكتاب والمشركين ثم بين مآل اهل الحق والتوحيد الى آخر السورة قوله او فى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك فيكون من
باب الاسناد المجازى حيث اسند اليهم كونهم فى النار وليسوا فيها فى الحال باعتبار كونهم فيها يوجبها قوله واشتراك
الفريقين من جنس العذاب الخ جواب عما يقال لا شك ان شرك المشركين اشد واغلظ بالنسبة الى كفر اهل الكتاب لان المشركين
ينكرون التوحيد والرسالة والكتاب والبعث وما يتفرع عليه واهل الكتاب يؤمنون باكثرها واذا كان كذلك
كيف يجوز تسويتهما فى العذاب والجواب ان الفريقين لما اشتركا فى اعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات
وهو الخلود فى نار جهنم واشتراكهما فى جنس عذابها لا يستلزم اشتراكهما فى جميع انواعه قوله وقرا نافع البريئة
بالهمز على الاصل لانها فعيلة من برا الله الخلق اى ابتداه واخترعه وقرا الباقون مشددة بدل الهمزة كالنبى والذرية
فان اصلهما الهمز والقراة بالهمزة وان كانت موافقة للقياس والاصل الا ان القراة بدون الهمزة اجود من حيث ان
جمهور العرب قد استمروا على ترك الهمز فيه وفى النبى والذرية فكانت القراة بالهمزة كالشئ المفروض المخالف للاستعمال
وتوسيط ضمير الفصل فى قوله اولئك هم شر البرية لافادة الحصر اى شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر السراق

لانهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق
الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد وهو اقبح من كفر الجهال فيظهر منه ان
وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد الجهال قوله جزاؤهم مبتدا وجنات عدن خبره وفى الكلام حذف مضاف اى دخول
جنات وعند ظرف للجزاء وخالدين حال وذو الحال وعامله وكلاهما محذوفان لدلالة قوله جزاؤهم عليها والتقدير يجزون
بها خالدين ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور فى قوله جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى وهو
الخبر قوله فيه مبالغات اى فى الكلام المسوق لبيان مآل المؤمنين الموصوفين مبالغات فى اعلاء قدرهم واجلال شانهم
منها تقديم مدحهم على بيان مآلهم فان الكلام لما كان مسوقا لبيان مآل الفريقين كان الظاهر ان يقدم بيان مصيرهم على قوله اولئك
هم خير البرية لما قدم بيان مصير الكفار على قوله اولئك هم شر البرية فلما عكس هذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة
فى ذلك فكانت المبالغة المذكورة صالحة لان يكون نكتة فحكمنا بانها هى النكتة فيه ومنها جعل المثوبة الموصوفة جزاء فانه
يتضمن الاعتبار وبيان ما وصفوا به من الايمان والاعمال الصالحة ومنها الحكم على ذلك الجزاء بانه من عند ربهم فانه يدل على
علو قدر الجزاء وذلك يدل على قدر صاحبه عند ربه ومنها جمع جنات فانه يدل على كل واحد منهم جنات كما يدل على قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله
جزاؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد فيكون لكل واحد منهم جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنان
مثل الدنيا بما فيها عشر اكذا روى مرفوعا ومنها تقييدها اضافة فانه يدل على لا يخرجون من تلك الجنات فان العدن بمعنى
الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنها تقييدها وصفا مما يزداد بها نعيمها من جرى الانهار المذكورة فى القرآن من تحتها وهى
نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ولعل المص اراد بالوصف فى قوله وصفا مما يزداد لها نعيمها الوصف المعنوى الذى هو
اعم من الوصف النحوى لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة وان الخلود فى الجنة خير
من دخولها كما ان رضى الله تعالى فيها خير من الخلود فيها سورة الزلزلة بسم الله الرحمن الرحيم
قوله اضطرابها المقدر بها لما دلت اضافة الزلزال الى الارض على اختصاصه بها وسرفة سبيلها بين معنى تعريف الاضافة
بثلاثة اوجه وسمى على الوجه الاول والثانى للعهد وعلى الثالث للعموم والاستغراق فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به العهد
يحمل على العموم والمعنى اذا زلزلت جميع ما يمكن فى حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب والمعهود على الاول
الاضطراب الذى قدره الله تعالى للارض عند احدى النفختين فانه قد سبق فى علم الله تعالى وقضائه ان تتحرك الارض تحريكا
شديدا عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض كما يخرج الولد من بطن امه
والمعهود على الوجه الثالث هو القدر اللايق بها فى الحكمة ومقتضى مشية الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده زلزال
تكون الارض به تشبه قاعا صفصفا بانكسار ما عليها من الابنية والاشجار والجبال والتلال وتطير جميع ذلك تطير كالعهن
المنفوش حتى عند الارض وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة فان الارض لا تصير كذلك الا بزلزال شديد
ونظيره قولك اكرم التقى اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة
والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد الا بالمضاعف كالصلصال والعلعال الا
نادرا نحو فسطال وهو الغبار قوله من الدفاين او الاموات فان اريد بزلزال الارض اضطرابها عند النفخة الاولى

يكون المراد بالاثقال الدفاين والكنوز فان الارض تخرج جميع ما فيها من الكنوز فيمتلي ظهر الارض ذهبا ولا يلتفت احد وان
اريد بالزلزلة الواقعة عند النفخة الثانية يفسر الاثقال بالاموات وعلى التقديرين تكون الاثقال استعارة بان شبه
ما في جوف الارض من الدفاين والاموات بامتعة البيت فعبر عنه بالاثقال مجازا قوله لما ينبهرهم من الامر الفظيع اى لما
يظلهم من الامر الهايل اشار به الى ان الاستفهام في قوله ما لها للتقطيع والتهويل فان كل من راى تلك الزلزلة بغتة سواء
كان ممن آمن بالبعث او كفر به يجوز ان يقول هذا القول لما يغلبه من الهول وفرط التحير الا ان المومن يقول بعد ما تداركه
الامور رجع اليه عقله وفكره هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فانه يخر اعمى كما عاش اعمى فيستمر
على السكرة والحيرة قوله ما لها جملة اسمية معناها التعجب اى اى شي حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت هذه الزلزلة
الشديدة فان التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للانسان عند ادراك ما خفي سببه صح ان يكون السوال
عن السبب طريق لانشاء التعجب واظهاره وكلمة اذا في قوله تعالى اذا زلزلت الارض شرطية وجوابها تحدث وهو
الناصب لها عند الجمهور ويومئذ اى يوم اذ زلزلت بدل من اذا قوله تحدث الخلق اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث
محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله الثاني حذف اولها لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق بناء على ان السورة
نازلة لبيان هول القيامة فنزل قوله تعالى تحدث في حق تعلقه بمفعوله الاول منزلة اللازم ولم يقصد الاتيان لتعلقه
بمفعوله الثاني فانه لا مدخل لذكر الخلق في بيان هوله وانما يستحق التهويل بذكر ما تحدث به الا ان الارض لكونها جمادا لا يمكن
لها ان تحدث بلسان المقال وانما تحدث بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما عليها بسبب الزلزلة
دل على ان الدنيا قد انقضت مدتها وان الآخرة قد اقبلت بما فيها من البعث والحساب والجزاء فلذلك وقعت هذه الزلزلة
والاخراج وهذه الدلالة قد اقيمت مقام التحديث فعبر بها عنها قوله وقيل ينطقها الله تعالى فتشهد على كل عبد وامة
بما عمل على ظهرها روى انه عليه السلام انه قال حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلوة وتحفظوا من الارض فانها
امكم وليس فيها احد يعمل خيرا ولا شرا الا وهي تخبر به قوله او اصل عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب اذ وجهين
الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل منها والعامل فيه هو العامل فيها والثاني انها منصوبة بمضمر نحو اذكر اذ
زلزلت واذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بما يستحقه في يومئذ اصلا معمولا لتحدث ظرفا له
قوله اذ يقال حدثته كذا او بكذا جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث عدى اليه الفعل
بلا واسطة حرف الجر وقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو المقصود بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة
الحرف كانه قيل تحدث ان ربك اوحى لها بان احدث عليها احوالا دالة على انه لاتي شي زلزالها واخراجها واللام قد
تستعمل بمعنى الى كما في قوله وشدها بالراسيات الست اوحى لها القرار فاستقرت ويجوز ان يكون اللام على اصل معناها
اى فعلنا ذلك لاجلها فما لها يتوسل بها الى التشفي من العصاة قوله ولعل حسنة الكافر جواب عما يقال ان حسنات
الكافر محيطة بكفره وسيئات المومن مغفورة اما ابتداء واما بسبب اجتنابه الكبائر فما معنى الجزاء بالمثاقيل الذر
لاينافي ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المومن وان كانت مغفورة
بان لا يعذب بسببها الا ان تلك لا ينافي ان يرى جزاؤها بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات وحاصل

الجوابين

وحاصل الجوابين الاخيرين ظاهر قوله او من الاولى وهي التي في قوله فمن يعمل مختصة بالسعداء وهم الذين لم يعملوا سيئة قط
والاشقياء هم الذين لم يعملوا حسنة اصلا وقرا هشام باسكان هاء يره في الموضعين وصلا ووقفا وباقي القراء السبعة
يقرونها باشباع ضمة الهاء اى موصولة بالواو وصلا وسكونها وقفا كساير هاء الكناية وهذه الآية نزلت ترغيبا
في الخير ولو قليلا وتحذيرا من الشر والذنب وان قل فلا ينبغي للمرء ان يتهاون في الذنب اليسير بزعم ان المرء
لا يؤاخذ بمثله كما لا ينبغي له ان يجتنب عن اعطاء شي قليل نحو تمرة وكسرة استقلالا به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام
اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة قوله والذرة النملة الصغيرة او الهباء قال الكلبي الذرة اصغر النمل
وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا وضعت راحتك على الارض اى كفيك ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى
الوجهين مثقال ذرة زنة ذرة فان مثقال الشي ميزانه من مثله سورة العاديات بسم الله الرحمن الرحيم
والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو كالغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الفرس
وصدورها اذا عدت وهو غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلاثة الاول انه مصدر موكد لفعله المحذوف
اى تضبح ضبحا على تاويل العاديات بالجماعة او يضبحن ضبحا على وفق لفظ العاديات وهذا الفعل المقدر في موضع النصب
على انه حال من العاديات والثاني انه مصدر موكد للعاديات لان الشرط في عامل المفعول المطلق ان يوافقه معنى لا لفظا والتوافق
المعنوي متحقق هنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا التزاميا له فكان ذكر العاديات بمنزلة ذكر الضابحات
فصح انتصاب ضبحا بها على انه مفعول مطلق لها والثالث انه مصدر في معنى الحال من المنوي في قوله والعاديات اى ضابحات
او ذوات ضبح او على ادعاء انها في انفسها ضبح للمبالغة كما في رجل عدل وكذا الكلام في انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون
مصدرا موكدا الفعل المحذوف اى فالتي تورى النار حال كونها تقدح قدحا والقدح ضرب الحجر بالمقدحة فان الخيل تضرب
بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لان الايراء لكونه من لوازم القدح
وتوابعه دلت الموريات على القادحات التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوي في الموريات على معنى فالتي تورى النار
قادحة او ذات قدح قوله تغير اهلها يعني اسناد المغيرات الى ضمير العاديات التي هي خيل الغزاة اسناد مجازي فان الاغارة
في اللغة هي الاسراع على العدو للظفر عليهم وهو فعل اصحاب الخيل قوله اى في وقته يريد ان صبحا منصوب على انه ظرف للمغيرات
وكانوا يغيرون على العدو صباحا لانهم يكونون في الليل في ظلمة لا يبصرون شيئا وفي النهار يكون الاعداء متهيئين للواقعة
والمحاربة واما وقت الصباح فالناس يكونون فيه على الغفلة وعدم الاستعداد فلذلك اختاروه للاغارة قوله تعالى فاثرن
معطوف على اسم الفاعل قبله حملا على المعنى فان المعنى والخيل اللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن اصله فاثورن نقلت حركة
الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها الآن فصار اثارن فحذفت الالف لالتقاء الساكنين
فبقي اثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار اذا هاج وارتفع واثرته انا هيجته والنقع يطلق على الغبار وعلى الصياح وهو
رفع الصوت واستنقع اى ارتفع وضمير به يرجع الى الزمان التي وقعت الاغارة فيه وهو الصبح والباء بمعنى في اى فهيجن فيه
صياح النوايح وارتفاع اصواتهن ويجوز ان يكون ضميرا للمكان المدلول عليه بلفظ المغيرات لان الاغارة لا بد لها من مكان
والباء للظرفية ايضا وان يكون للعدو المدلول عليه بلفظ العاديات فاثرن بسبب عدوهن نقعا فالباء سببية وما
اختاره المصنف اظهر الا انه جاز ان يكون ضميرا وسطن به للعدو فتكون الباء سببية وان يكون للنقع لقربه ذكرا فتكون الباء

متعلقة بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى في قوله فوسطن روى عن مقاتل انه عليه السلام بعث سرية الى حي من كنانة
وامر عليهم المنذر ابن عمرو واخذ النقبا فتكث ما شاء الله ان يمكث ولم ياته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر
الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا الى آخرها ويبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا في وقت الصبح جماعة الاعداء فاغاروهم
وظفروهم وظفروا عليهم سالمين غانمين وان المنافقين كاذبون في اقوالهم انهم قتلوا جميعا فعلى هذ تكون السورة مدنية
لانه عليه السلام لم يؤذن للقتال وهو بمكة وايضا الظاهر حينئذ ان تكون تعرف العاديات للعهد ويكون القسم به خيل
تلك السرية ويجوز ان يكون التعريف للجنس يكون المقسم به كل خيل غزت في سبيل الله بالصفات المذكورة فانها تستحق
ان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة قوله العادية اثر كما لهن اى الساعية المسارعة في طريق الارتقاء الى
درجات الكمالات الروحانية وضبحهن ما طرا عليهن اثار بعثهن بالسعي في مباشرة اسباب تلك الارتقاء قوله اذا ظهر لهن ظرف
لقوله المغيرات على الهوى والماحيات للرسوم البشرية والعاديات الطبيعية وقت ان طلع عليهم صبح العرفان وتجلى
لهم انوار القدس قوله تعالى لربه متعلق بكنود وقدم عليه رعاية للفواصل اى انه لكنود لنعمة ربه قيل اصل الكنود
منع الحق والخير والكنود الذي يمنع ما عليه والارض الكنود هي التي لا تنبت شيا روي عنه عليه السلام انه قال الكنود
الكفور الذي يمنع رفده وياكل وحده ويضرب عبده والمراد بالانسان الجنس والمعنى ان طبع الانسان مجبول على ذلك الا اذا عصمه
الله تعالى من ذلك بلطفه ورحمته وقيل المراد به الكافر قوله لظهور اثره عليه يعني ليس المراد شهادة الانسان على نفسه
بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فان اثر الكنود تظهر عليه بحيث لا يمكنه ان ينسلخ كلها عن
نفسه فصار بذلك كانه شهد بذلك على نفسه ويجوز ان يكون ضميرو انه للباري تعالى لكونه اقرب المذكورين فتكون الآية
وعيدا وزجرا عليه له عن المعصية من حيث انه تعالى يحصي عليه اعماله وعلى الاول ليكون تاكيدا وكفرانه ويويد الاول تعبير
قوله وانه لحب الخير لشديد اى الانسان اى وان الانسان من اجل حبه للمال لبخيل ممسك وانه لقوي مطيق لحب المال مبالغ
في ايثار الدنيا وطلبها وهو في حب الله وشكر نعمته ضعيف على ان اللام معدية لقوله لشديد يقال هو شديد لهذا الامر
اى مطيق له قوي عليه قوله جمع محصلا في الصحف يعني ان تحصيل الشيء جعله حاصلا مجموعا في غيره او جعله متميزا في غيره فيحصل
ما في الصدور اما جمعه واثباته في الصحف او تمييزه عما لم يثبت في الصدور قوله وتخصيصه لانه هو الاصل جواب عما يقال
لم خص اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح واجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة
لاعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات في القلوب لما حصلت افعال الجوارح وذكر مبدا الشيء بمنزلة ذكر نفسه
قوله اذا بعثر يجوز ان يكون ظرفا ليعلم لان الانسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك وهو في الدنيا فلابد
ان يؤول النظر بوجه يفيد معنى قولنا افلا يعلم الانسان الا انه تعالى عالم بجميع ما عمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه
على حسب ذلك ولا يجوز ايضا ان يكون ظرفا لبعثر لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه بمنزلة ان يعمل بعض الكلمة
في بعضها ولا لقوله لخبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها فتعين ان يكون العامل فيه ما دل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ
لخبير اي فلا يعلم الانسان في الدنيا انه تعالى يجازيه اذا بعثر ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير
اعمالهم وكسران في قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير مع انه في حيز مفعول يعلم لوجود اللام في خبرها كقوله والله يعلم انك لرسوله
ومن فتح همزة ان قرا خبير بلا لام قوله وانما قال بما ثم قال بهم اه اشارة الى جواب ما يقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما

لا يجوز ظ

وهي في الاغلب لا تطلق الا على غير اولي العلم ولا يطلق على اولي العلم الا نادرا كما حكى ابو زيد سبحان ما سخركن لنا سبحان ما
يسبح الرعد بحمده وما ملكت ايمانكم ثم انه تعالى عبر عن ضمير اهل القبور بضمير العقلاء حيث قال ان ربهم بهم
يومئذ ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة في ذلك فاجاب عنه بان ذلك لاختلاف شانهم في الحالين فانهم ما داموا في
القبر اموات وجمادات فعبر في تلك الحال بما يعبر به عن غير العقلاء ثم انهم يوم القيامة احياء عقلاء فلذلك عبر عنهم
عند حكاية حالهم بضمير العقلاء توفية للحالين حقهما ونظير الآية قوله عليه السلام ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن
او اعتق من اعتقن الحديث فانه عليه السلام عبر عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من لحاق
للرقيق الذي يتعلق به العتق بالبهايم فانه يستخدم ويحجر عن التصرف ويباع في الاسواق كالبهايم بخلاف المعتق بكسر
التاء فانه بحريته عاد الى الحالة الاصلية التي هي الانسانية فعبر عنه بمن

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة بما صفوا
قارعة الدهر قارعة قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة من
اسماء يوم القيامة سمي بها اما لان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم
فبسبب تلك الاصطكاك سمي يوم القيامة بالقارعة اى الساعة القارعة اسند الفعل اليها وهو لاهلها اسنادا
مجازيا قال المصنف في تفسير سورة الحاقة في تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التي
تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار يعني انه سمي زمان الحالة القارعة باسم القارعة قوله
تعالى القارعة مبتدا وما مبتدا ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدا الاول ووضعت القارعة موضع الضمير
العائد الى المبتدا الاول تفخيما لشانها وافادة لزيادة التهويل وتقدير الكلام اى شيء هي ثم زادها تفخيما فقال
وما ادراك ما القارعة يعني انك لا علم بكنهها لانها من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وما في قوله
وما ادراك مبتدا وما الثاني مبتدا ثان لادرى ومفعوله الثاني الاول الكاف وادراك لا يعمل في مفعوله الثاني وهو قوله
ما القارعة لتضمنه معنى الاستفهام وادراك مع ما في حيزه في محل الرفع على انه خبر المبتدا الاول والفراش جمع فراشة
وهو ما يتهافت في النار ليلا والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه قوله في كثرتهم لانه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالكثير
من الفراشية لانه فراش جمع فراش ويوم منصوب بما يدل عليه القارعة تقرع يوم يكون الناس كالفراش ولا يجوز
ان يكون ظرفا للفظ القارعة المذكورة اولا لاستلزامه تخلل الفاصل بين الفاعل الذي هو صلة لام التعريف وبين
معموله باجنبي وهو الخبر هذا على تقدير ان تكون القارعة اسم فاعل وان جعل علما للقيامة فلا يعمل ايضا ولا المذكور
ثانيا وثالثا اذ لا وجه لكونه ظرفا لشيء منهما ويحتمل ان يكون معمولا لاذكر او قيل القارعة مرفوعا على انه فاعل فعل
مضمر ويوم منصوب به تقديره سيقوم القارعة يوم يكون قوله كالصوف ذو الالوان فان الجبال مع كونها مختلفة
الالوان كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها اذا تفرقت اجزاؤها وانحل تركيبها يصير مشابها
بالعهن وهو الصوف الملون بالوان مختلفة اذا جعل منقوشا متبددا الاجزاء قوله بان ترجحت مقادير انواع حسناته
على ان الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وحظ عند الله وان ثقله عبارة عن رجحان مقداره على مقدار ما يقابله
من العمل القبيح واختيار موازينه على موزونه مع ان اضافة جنس الموزون ايضا تفيد العموم للدلالة على ان المراد احاطة

انواع ذلك الجنس لا احاطة نوع واحد من انواعه فان انواع الاعمال الموزونة اما تكون ثقيلة اى راجحة على الاعمال التى لا وزن لها ولا قدر اذ تكون حقيقة مرجوحة اذ لا يوجد لها عمل صالح او يوجد ولكن تكون سيئاته راجحة عليه فمسكن المكلف على الاول الجنة وعلى الثانى هو الهاوية وقيل الموازين جمع ميزان وهو ميزان واحد له لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين وذكره بلفظ الجمع مع انه ميزان واحد تعظيما له الا انه لا وجه لان يراد بثقل الميزان وخفته ثقل احد كفتيه بالنسبة الى الاخرى وخفتها بالنسبة اليها وغير مستقيم لها الا ان يكون المراد بثقل الميزان وخفته ثقل كفة الحسنة بما فيها من الحسنات وخفتها عنها بان لا يكون فيها عمل صالح ولا يخفى ان جعل ثقل الميزان وخفته عبارة عن رجحان الحسنات على السيئات فلذلك لم يلتفت المصنف الى ان يكون جمع ميزان ذكر الامام فى الكبير ان المتكلمين قالوا ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوبة فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن بالظلمة النور فمن ازداد نوره فهو فى عيشة راضية ومن ازدادت ظلمته فهو من اهل النار وتصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفائدة فى ذلك ظهور حال صاحب الحسنات فى الجمع العظيم فيزداد سرورا وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق الى هنا كلامهم وقال بعض العلماء لا توزن اعمال الكافر وانما توزن الاعمال التى بازائها الحسنات وليس للكافر حسنات لان حسناته محبطة بكفره وقيل قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته وقيل قد ذكر الله تعالى من ترجحت حسناته على سيئاته ومن ترجحت سيئاته على حسناته ولم يذكر حسناته مع سيئاته فلعله من اصحاب الاعراف قوله ذات رضا بان يرضاها صاحبها او مرضية الاول على ان اليا للنسب والثانى يكون الاسناد مجازيا فان حق الرضا ان يسند الى صاحب العيشة وقد اسند الى نفس العيشة المرضية قوله فمأواه النار على ان الهاوية من اسماء النار فان قوله تعالى فامه هاوية من قبيل زيد اسد شبهت النار بالام للعصاة لكونها تهوى بهم تضمهم الى نفسها كما تضم الام الاولاد اليها وانهم يلجئون اليها قوله تعالى ما هيه جملة اسمية سادة مسد مفعولى ادراك علقت هى عنها لتضمنها معنى الاستفهام وهيه ضمير الهاوية والاصل هى دخلت الهاء عليه للسكت وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ماهى بغيرها فى الاصل ووقفوا بالهاء فقوله نار خبر مبتدا محذوف اى نار شديدة الحرارة فان بناء حامية للنسبة كبناء تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمى التنور بكسر الميم اى اشتد حره وتوصيف النار بها فى مقام المبالغة فى بيان هولها يدل على ان سائر النيران بالنسبة اليها ليس فيها شئ من الحرارة

سورة الهاكم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله واصله الصرف الى اللهو اراد الذى يدعو اليه اللهو والصرف الى اللهو واللعب لما كان مستلزما للشغل والاغفال عن المهم اطلق الالهاء الذى هو الصرف الى اللهو على الاغفال عن المهم كقول امرئ القيس فالهيتها عن ذى تمائم محول فان جعلها معرضة عنه من لوازم كونها منصرفة الى اللهو قوله اذا استوعبتم عدد الاحياء انتقلتم الى ذكر الاموات والتكاثر بهم يعنى ان قوله تعالى حتى زرتم المقابر غاية لقوله الهاكم وانه عطف عليه اى شغلكم التباهى والتفاخر بكثرة الاعوان حتى انتقلتم الى ذكر الاموات بعد ان استقصيتم فى ذكر الاحياء شبه الانتقال الى ذكر الموتى بزيارة المقابر والانتقال فعبر بها عنه تهكما بهم فان من التفاخر بالمواضع التى يدفن فيها الاموات غاية الجهالة لان من فنى وصار بحيث يعبر عنه بالمقبرة كيف يصلح لان يفتخر به وفى هذا التعبير ايضا تعريض لهم بانهم عكسوا الامر من حيث المقصود من زيارة المقابر تذكر الاموات

والاموات

والاعراض عن الدنيا والمباهات بها فمن توسل من زيارتها الى المباهات بالدنيا فقد عكس الامر وتردى فى وادى الجهالة والضلالة قوله فكثرهم بنو عبد مناف اى غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اى غلبناهم بالكثرة على ما ذكر فى باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة فى فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر ويذكرون بعده فاعلا مسندا الى الغالب فيه نحو كارمنى فكرمته اى غالبنى فى الكرم فغلبته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم فلما بلغ بنو عبد مناف على بنو سهم بالكثرة قال بنو سهم ان البغى اهلكنا اى ان بغى الاعداء والقتال معهم اهلكنا فعدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم واموتكم ففعلوا فكثرهم بنو سهم فنزلت الآية والمقابر جمع مقبرة بضم الباء وفتحها والقبور جمع قبر وهو مصدر قبرت الميت اقبره واقبره قبرا اى دفنته فى المقبرة واقبره اى امرت بان يقبر وانما حذف الملهى الملهى عنه ضمير عنه راجع الى الالف واللام فى الملهى والمعنى وانما حذف الذى الهى عنه وعلل الحذف بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان حذف الشئ قد يجعل ذريعة الى تعظيمه فان الحذف بمنزلة التنكير من حيث ان كل واحد منهما يفيد الابهام فكما ان التنكير يفيد التعظيم فكذا ما هو بمنزلته فكانه قيل الهاكم التكاثر عن امر عظيم وهو ما يعنيكم من امر الدين والعلة الثانية المبالغة فى التعرض لكل ما حقه ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يناسب المقام مثل الهاكم التكاثر عن الايمان بالله تعالى وبرسوله وبجميع ما جاء به من عند ربه وعن الطاعة التى تقتضيها الايمان قوله وقيل معناه اى قيل ليس المراد بالتكاثر التكاثر بالقبائل والاعوان ولا بزيارة القبور الانتقال عن ذكر الاحياء الى ذكر الاموات بل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم فانه كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة القبر فيقال لمن مات زار قبره فكانه قيل شغلكم التفاخر بكثرة الاموال والاولاد حتى ادرككم الموت وانتم على ذلك والقائلون بهذا يقولون انها نزلت فى اليهود حتى قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنو فلان اكثر من فلان شغلهم ذلك عن الايمان حتى ماتوا على الضلال وقرأ ابن عامر ءالهاكم التكاثر ويجوز ان يكون الاستفهام للتقرير وان يكون للتقريع قوله تعالى كلا ردع عما اشتغلوا به من التكاثر اى ليس الامر كما تتوهمون من ان السعادة الحقيقية منوطة بكثرة العدد والاموال والاولاد فانه من مات وحده وبعث وحده وحوسب وحده يكون سعيه للدنيا وبالا وحسرة عليه قوله تكرير للتاكيد اى لتكرير الردع والانذار المذكور بين ضمور ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثانى لما كان اشد من الاول وابلغ جئ بينهما بكلمة ثم قوله والاول عند الموت فى وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار او فى القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما من ربك وما دينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون والظروف المذكورة فى هذا الاحتمال متعلقة بقوله سوف تعلمون كما ان قوله اذا عاينتم فى الاحتمال الاول متعلق به فيكون واحد منهما تاسيسا على حدة لا تكريرا للتاكيد لان كل واحد من العلمين مغاير للآخر باختلاف الزمان ثم انه تعالى كرر الردع كلا لو تعلمون وتعلمون فى المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون اشار اليه المصنف بان قدر له مفعولا واحدا وهو قوله خطابكم وقوله ما بين ايديكم قوله علم اليقين اى يعنى ان علم منصوب بنزع الخافض وان اليقين بمعنى الامر المتيقن به وصف الامر المذكور بانه اليقين للمبالغة فى كونه متيقنا به وقيل علم منصوب على المصدرية والاصل لو تعلمون علما يقينا فاضيف الموصوف الى صفته كما فى قوله تعالى والدار الآخرة ومسجد الجامع وعلم اليقين ادراك الامر على ما هو عليه وعين اليقين مشاهدته كما هو وحق اليقين الفناء فى الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لا علما فقط واتفقوا على ان جواب لو محذوف اى لو تعلمون

مابين ايديكم من الامر كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره كالتفاخر بكثرة العدد والاموال والاولاد لكنكم لا تعلمون
ذلك فلذلك غفلتم عن الاستعداد والتهيؤ له بالطاعة وحذف الجواب للتفخيم فان الوهم ح يذهب كل مذهب فيكون
اعظم كانه قيل لو علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة قوله لانه محقق الوقوع فان قوله
لترون الجحيم لو كان جوابا له لوجب ان لا يحصل لهم روية الجحيم وذلك باطل وذلك لان جواب لو اذا كان مثبتا يكون معنى
الكلام انتفاؤه لانتفاء الاول بناء على ما اشتهر من ان لو تفيد امتناع الثاني لامتناع الاول وقوله لترون الجحيم ثبت فلو
جعل جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح لا يصح ان يكون جواب لو ان قوله تعالى لتسألن يومئذ عن
النعيم عطف على قوله لترون وهو اخبار عن امر كائن لا محالة ولا يخفى ان عطف ما هو كائن لا محالة على ما لا يقع ولا يوجد
قبيح في النظم ولما لم يجز كونه جواب لو تعين كونه جواب قسم محذوف اوعدهم بذلك بعد توصيفهم بالجهل بما بين
ايديهم من الامور فاللام في لترون لام جواب القسم والقسم لتاكيد الوعيد المدلول عليه بقوله سوف تعلمون ابهم
الوعيد اولا ثم فصل بقوله والله لترون الجحيم مبالغة في ايضاح الشيء بعد ابهامه من التفخيم والتعظيم قوله تكرير للتاكيد اي لتاكيد
الوعيد بعد توكيده بالقسم ونون التاكيد للدلالة على ان تلك الروية واقعة لا محالة شاؤا او ابوا ويجوز ان يكون
تكريرا للاولى بل تكون كل واحدة منهما للتاسيس غير الاخرى بان يراد بالاولى رؤيتها من مكان بعيد فان الغاوين يرونها
وهم في الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى قيل انهم يرونها من مسيرة خمسمائة عام والروية الثانية اذا وردوها
وشاهدوا ما فيها من الاهوال التي كانت من البعيد رؤيتها ببعض خواصها واحوالها مثل روية لهبها ودخانها ولما
كانت الثانية اجلى واكشف من الاولى قيل ثم لترونها عين اليقين وهو الادراك بمشاهدة الشيء كما هو وجاز ان يكون
مغايرا الرويتين بان يكون المراد بالاولى روية القلب هي المعرفة وبالثانية الابصار وهذه المعرفة لا تحصل لمن
الهاه التكاثر عن النظر في امر دينه واحوال معاده الا عند الموت وفي القبر وعند البعث قبل ان يبصروها ويشاهدوها
قوله اي الروية التي هي نفس اليقين اشارة الى ان انتصاب عين اليقين على انه صفة مصدر لترونها اي لترونها
روية هي عين اليقين ووصفت الروية التي هي سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة قوله الذي الهاكم اشارة الى
ان تعريف النعيم للعهد لا للاستغراق وخص الخطاب بكل من الهاه دنياه عن دينه من الكفار والفساق وخص النعيم
بما يشغل صاحبه عن اداء شكره وطاعته ثم انعم به بشهادة القرينة فان ما سبق من الخطاب كله لمن الهاه دنياه
عن دينه وذلك يدل على كون هذا الخطاب ايضا مخصوصا به وذلك يقتضي ان يكون النعيم الذي يسال عنه انه اهل
اذى شكره بان يتقوى به على طاعة المنعم امر كفر به بان قصرهم على ان ياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته
باللهو والطرب ولا يلتفت الى تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية مخصوصا بالنعيم الذي ضيع شكره
وانتفع به كما تنتفع الانعام وبشهادة النصوص الدالة على ارادة الخصوص منها ما روي ان ابا بكر قال لما نزلت هذه
الآية يا رسول الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم الانصاري من خبز شعير ولحم ضان وبسر قد ذنب ماء قد
عذب ان يكون من النعيم الذي يسال عنه فقال عليه السلام انما ذلك للكفار ثم قرا وهل يجازى الا الكفور وقال
الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار فان الحكمة الالهية تقتضي ان يسال من الهاه دنياه عن دينه عن شكر ما
كان فيه من الخير والنعمة ثم يعذب على ترك الشكر ليظهر له ان الذي ظنه سببا لسعادته هو الذي كان من اعظم

اسباب

اسباب الشقاوة له في الآخرة ووجه الاستدلال على التخصيص نحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق انه لا يليق بكرم الله تعالى ان ينعم على عبده الشاكر ثم يسئله اذ لا وجه لسؤاله التوبيخ من حيث ان العبد اطاع
ربه فيما انعم عليه لا لسؤال الامتنان لان من ادخل احدا بيته واطعمه وسقاه لا يمن عليه بذلك فكيف يليق بكرمه تعالى
ان يطعم عبده الشاكر ويسقيه ثم يمن عليه ويسئل عن شكر نعمته قوله وقيل نعمان اي يعم واحد من الخطاب النعيم
فيسال كل واحد عن كل ما انعم الله تعالى به عليه انه هل يشكر ام يكفر لقوله عليه السلام اول ما يسال العبد يوم القيمة
عن النعيم ان يقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد وقوله عليه السلام لا تزل قدما العبد يوم القيامة
حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن عمله ماذا
عمل به وكل ما وصل منه تعالى الى العبد من النعم داخل فيما ذكره عليه السلام روي انه عليه السلام خرج ذات ليلة
الى المسجد في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها احد فلم يلبث ان جاء ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقال عليه السلام ما
اخرجك يا ابا بكر قال الجوع قال والله ما اخرجني الا الذي اخرجك ثم دخل عمر رضي الله عنه فانطلقوا الى منزل ابي الهيثم
الانصاري فدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب احد فانصرف عليه السلام فخرجت امراته
تصيح كنا نسمع صوتك يا رسول الله لكن اردنا ان تزيد من سلامك فقال لها خيرا ثم قال بابي انت وامي ان ابا الهيثم
خرج تستعذب لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع ابو الهيثم بقربة من ماء فوضعها ثم جاء
يلوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفديه بابيه وامه ثم انطلق بهم الى حديقة فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى النخلة
فجاء بقنو فقال عليه السلام افلا نقيت لنا من رطبه فقال يا رسول الله اني اردت ان تخيروا من رطبه وبسره فاكلوا وشربوا من
ذلك الماء فقال عليه السلام هذا والذي نفسي بيده انه من النعيم الذي تسالون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب
طيب وماء بارد وقال الامام واعلم ان الاولى ان يقال السوال يعم المؤمن والكافر لكن سوال الكافر سوال توبيخ
لانه ترك الشكر وسوال المؤمن سوال تشريف لانه سال واطاع واختلفوا في ان السوال عن النعيم اين يكون والمختار
انه يكون في موقف الحساب فان قيل كيف يستقيم ان يكون في موقف الحساب وقد اخبر الله تعالى ان السوال متاخر
عن مشاهدة جهنم حيث قال ثم لتسألن وظاهر ان موقف الحساب متاخر عن مشاهدة جهنم قلنا كلمة ثم
فيه ليست لتراخي زمان السوال عن سوال مشاهدة الجحيم بل هي للترتيب في الاخبار كانه قيل ثم اخبركم انكم تسالون
يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا
وقيل ان السوال عن النعيم يكون اذا دخلوا النار فانهم حينئذ يسالون عن النعيم توبيخا لهم ليضطروا الى الاعتراف
بالتقصير في شكرها فيقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لانكم اشتغلتم في ذلك بالتنعم عن العمل الذي ينجيكم من النار
ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والفائزون بالدرجات فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
هذا انا نسيناكم فبقيتم في العذاب المهون سورة والعصر بسم الله الرحمن الرحيم
اقسم بصلاة العصر لشرفها اطلق العصر واراد ما يقع فيه من الصلاة وهو كثير فانه يقال اذن للعصر اي لصلاة
العصر وصليت العصر اي صلاته ودليل فضلها على غيرها قوله عليه الصلاة والسلام الوسطى صلاة العصر
فثبت انها افضل الصلوات لان تخصيص الصلاة الوسطى بعد قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى

يدل على فضلها لانه المقصود من التخصيص بعد التعميم وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكانما
وتر اهله وماله اى فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله واصيب ماله فلم يدرك لعدم قتله وضمان ماله قال الجوهري
الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه قال الخطابى وتر اى نقص وسلب فبقى وترا فردا بلا اهل ومال والمراد
فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب اهله وماله ويروى بنصب الاهل ورفعه فمن نصبه جعله مفعولا ثانيا
لوتر واضمر فيها مفعولا لم يسم فاعله لانهم المصابون المواخذون فمن رد النقص الى الرجل نصبهما ومن رده الى الاهل والمال
رفعه وروى ان امراة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها
ماذا حدث فقالت يا رسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فولدت ولدا من الزنا فالقيت الولد فى دن من خل حتى مات
ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه السلام اما الزنا فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل
فقد ارتكبت كبيرة لكن ظننت انك تركت صلوة العصر وفيه تفخيم بليغ لشان هذه الصلاة ومما يدل على فضلها ان
اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لكونه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فلما كان ذلك
وقت تجارتهم واشتغال بتحصيل اسباب معاشهم كان اداء صلاة العصر اشق عليهم وقد ثبت ان افضل الاعمال
اشقها وفى الحديث من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه قوله او بعد عصر النبوة وهو من
زمان بعثته عليه السلام الى انقراض امته فى آخر الزمان ومن ذهب الى هذا القول احتج عليه بقوله عليه السلام
انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استاجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود
ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم
انتم فغضبت اليهود والنصارى قالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصت من اجوركم شيا قالوا
فقال هذا فضلى اوتيه من اشاء فكنتم اقل مالا واعظم فهذا الخبر كله دل على ان العصر هو الزمان المختص به عليه السلام
وبامته فلا جرم اقسم الله تعالى به ايذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذى هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بهذه
المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف قوله او بالدهر واطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان وهو الدهر
كثير شايع ويجوز ان يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على انواع العجايب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله
ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به لنظام احوال المخلوقات ومن جملة ما فيه من العجايب ان
بقية عمر المرء لا قيمة له فانه لو ضيع الف سنة ثم تاب واناب اليه ثم توفى فى اللحمة الاخيرة من العمر يبقى فى الجنة ابد الآباد
فالدهر بسبب اشتماله على تلك اللمحة بالنسبة الى كل احد من اشرف الاشياء واجل النعم فجاز ان يقسم به لشرفه
نقلست كه پيش شقيق بلخى رحمه الله پيرى آمده وگفت بسيار معصيتها كردم اكنون آمده ام كه توبه كنم شقيق گفت
كه دير آمدى پير گفت زود آمدم زود آمدم شقيق گفت چگونه پير گفت هر كه پيش از مرگ آيد زود آمده
باشد شقيق گفت زود آمدى ونيكو گفتى فقد ثبت بهذه الرواية ايضا ان اللمحة الباقية من عمر المرء اجل النعم لمن تاب
فيها والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران اى وللتعريض بنفى ما ينسبون اليه من الآفات مثل قولهم وما يهلكنا الا الدهر
ووجه التعريض بالنفى المذكور ان الاقسام بالشئ اعظام له وما يضاف اليه الخسران ويكون ذلك من شانه ذلك لا يعظم عادة
ولانه لو نسب اليه شئ من الحوادث كما تزعم الدهرية لكان شريكا له تعالى ومبغوضا عنده فلا يقسم به ولا يلزم الخسران

بمعنى واحد

مطلب

اجراط

اللمحة

134

بمعنى واحد كالكفر والكفران ومعناها النقصان وذهاب راس مال الانسان هو نفسه وعمره فهو فى جميع سعيه وصرف
عمره فى اشغاله مهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل بطاعة ربه فانه غير مضيع نفسه التى هى راس ماله بل اكتسب
به سعادة الابد وربح فى تجارته حيث ظفر بالشرف الباقى بمقابلة الخسيس الفانى قوله والتعريف الجنس بشهادة الاستثناء
فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم والاستغراق قوله والتنكير للتعظيم اى لفى خسر عظيم لا يعلم كنهه
الا الله عز وجل وعظم الذنب اما لعظم من حقه الذنب او لانه فى مقابلة النعم العظيمة وكل واحد من الوجهين حاصل
فى ذنب العبد ومعصيته ربه فلا جرم كان ذلك الذنب فى غاية العظم قوله وهذا من عطف الخاص على العام اى عطف
التواصى بالامرين على العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا ما يتعلق بتكميل
غيره من قبيل عطف الخاص على العام للمبالغة فى بيان فضله وشرفه من حيث ان عطفه عليه يوذن بكونه امرا مغايرا
له غير مندرج تحته كما عطف جبرئيل على الملائكة عليهم السلام كذلك قوله ولعله سبحانه الخ جواب عما يقال ما الحكمة فى
انه تعالى ذكر الحكم فى جانب الخسر ولم يذكر السبب وذكر فى جانب الربح السبب الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح
والتواصى بالامرين ولم يذكر الربح واجاب عنه بان المقصود من انزال القرآن بيان اسباب سعادة الانسان وما يؤدى به
الى مرضات الرحمن فاقتصر على بيان المقصود وساق بيانه على وجه علم منه اسباب الخسران حيث سجل على ان من لم
يباشر هذه الامور الاربعة فهو فى خسران وايضا تعداد مثالب القاصرين ليس من داب الكريم فلذلك لم يفصل اسباب
الخسران سورة الهمزة بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ويل كلمة تهديد ووعيد
وقيل هو اسم واد فى جهنم اللمز العيب واصله الاشارة بالعين وغيرها يقال من يلمزه بضم العين وكسرها من المضارع
وقرى بهما قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات ورجل لماز ولمزة اى عياب والهمز مثل اللمز والهامز والهماز العياب
والهمزة مثل والهمز الطعن يقال همزه بالرمح طعنه فى صدره وهمز الفصيل امه اذا ضربه براسه عند الرضاع والهمز الكسر
يقال تهمز السقاء اذا يبس وهمزت الجيش همزا وهزيمة فانهزموا كذا فى الصحاح وللمفسرين الفاظ فى تفسير اللفظين قال ابن عباس
رضى الله عنه الهمزة المغتاب واللمزة العياب وقيل الهمز الطعن باليد واللمز باللسان وقيل الهمز المواجهة واللمز بظهر الغيب وقيل
الهمز ما يكون جهرا واللمز ما يكون سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس رضى الله عنه من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله تعالى
بالويل فقال هم المشاؤن بالغيبة والنميمة المفرقون بين الاحبة الناعتون للناس بالعيب جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة
الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب فما ذكره المص خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل من همزة والتاء فيهما للمبالغة فى
الوصف كالتى فى علامة وراويه ولذلك يقال رجل لمزة همزة كما يقال امراة همزة ولمزة وقد اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين
للمبالغة الفاعل اى للمكثر المتعود لماخذ الاشتقاق وان اسكنت العين تكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر
لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه ويقال ضحكة بالسكون اذا كان الناس يضحكون منه بان يكون
مسخرة لهم فمفتوح العين وهو الذى يفعل لغيره وساكن العين هو الذى يفعل به غيره قوله بدل من كل اى ويل للذى جمع او نصب
باضمار يعنى او مرفوع بتقدير هو الذى جمع وعلى التقادير هو وصف معنوى لكل وصفه الله تعالى بهذا الوصف لانه يجرى مجرى
السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب بنفسه بما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره
ولم يجعله وصفا نحويا لكل لانه نكرة والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لا يصح توصيفها بالموصولات قوله وجعله عدة

وهو الذخيرة للعدة لحوادث الدهر كالمال والسلاح يقال اعددت الشئ لكذا وعددته له اذا جعلته عدة وذخيرة قوله
اوعدده مرة بعد اخرى على ان يكون عدده من العدد بمعنى الاحصاء الا انه نقل بناء فعل لتكثير الفعل كما في جمع على قراءة التشديد
فانه يدل على كثرة الجمع وتكرره فانه جمع من ههنا وههنا من ازمنة متعددة متطاولة ويؤيد كون عدده بالتشديد ماخوذا
من العد بمعنى الاحصاء قراءة من قرا وعدده بالتخفيف باضافة لفظ العدد الى ضمير المال ونصبه بالعطف على قوله مالا
فالمعنى الذي جمع مالا وضبط عدده واحصاءه على ان يكون جمع عدد المال عن ضبط عدده وكناية عن كثرته وقيل
قوله وعدده بفك الادغام فعل افصل به الضمير المنصوب بمعنى وعده فيكون معطوفا على جمع وعلى التقديرين يؤيد هذه
القراءة كون عدده بالتشديد ماخوذا من العد لا من العدة قوله تركه خالدا في الدنيا يعني ان قوله اخلده ليس بمعنى يخلده
كما قيل من انه من قبيل قولهم دخل فلان النار اذا اتى معصية والمعنى سيدخلها وهلك فلان اذا احدث به سبب الهلاك من غير ان
يقع هلاكه بل لفظ اخلده ههنا على اصل معناه ويحتمل ان يكون حالا من المنوي في جمع وان يكون مستانفا لبيان سبب اهتمامه
بجمع المال وعدده كانه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به ويترك سبيلا استعدادا لما بعد الموت فقيل انه لرؤيته ان بقاء الحياة
والسلامة من الامراض والآفات تدور على مراعات الاسباب الظاهرة والتشبث بها يحسب حقيقة ان المال سبب خلوده
في الدنيا وانه الذي تركه خالدا فيها زاعما انه كلما تاتيه حادثة من حوادث الدنيا قابلها بما يدفعها فاحبه كما يحب سببه
الذي هو الخلود في الدنيا فالحسبان على هذا حقيقة ثم اشار الى جواز ان يكون قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده من قبيل الاستعارة
التمثيلية ان لا يكون الكلام فيمن يحسب حقيقة ان المال يخلد بل يكون فيمن يكون حاله شبيهة بحال من يحسب كونه مخلدا فعلا او
حب المال اغفله الخ وتلك الشبهة اما الغفلة عن الموت وعما بعده من قوارع الآخرة او طول الامل المسببين عن حب المال والاشتغال
بجمعه وضبط عدده فان كل واحدة من تينك الحالين شبيه بحال من حسب ان المال يخلده فيعمل عمل من لا يظن الموت قوله
وفيه تعريض اي وفي قوله يحسب ان ماله اخلده وترتيب الوعيد بالويل والهلاك عليه تعريض بان المخلد في النعيم المقيم
هو المسمى للآخرة لانه قد تقرر انه ليس للانسان الا ما سعى واذا كان حب الدنيا والاهتمام بها موديا الى الويل والهلاك تعين
ان المخلد في الحياة الدنيا الابدية والنعيم المقيم هو الساعي للآخرة قوله التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها اي يكسره
وتاكله ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وفي الحديث شر الرعاء الحطمة وهو الذي من عادته ان يضرب ويكسر وقد مر
ان صيغة فعلة بفتح العين لمبالغة الفاعل جوزي الهمزة اللمزة بان يلقى في الحطمة جزاء وفاقا لما ان شان المطروح وعادته
الطعن في الاعراض فكذا من شان المطروح فيه ان يحطم ويكسر كل ما يطرح فيه قوله وما اوقده الله لا يمكن ان يطفيه غيره
يعني ان اضافة النار اليه لتفخيمها والدلالة على انها تتقد ابدا وليست كساير النار تتقد تارة وتخمد اخرى قوله من اصدت
الباب قد مر في سورة البلد ان اصدت واوصدت لغتان بمعنى اطبقتها واغلقتها وان الاول افعل من مهموز الفاء
مثل امن والثاني افعل من معتل الفاء مثل اوصد يوصد وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة فيها حتى تخلص اليهم منها روح
ويخفف عنهم كرب قوله نحن اي تشتاق والاصال جمع حبل وموصدة اي مطبقة مغلقة قوله اي موثقين في اعمدة يعني ان قوله تم
في عمد في محل النصب على انه حال من الضمير المجرور في عليهم اي ان الحطمة مطبقة عليهم حال كونهم موثقين في اعمدة والعمد
بفتحتين جمع كثرة كعمود البيت وكذا عمد بضمتين فانه ايضا جمع عمود كرسول ورسل ويجوز ان يكون جمع عماد مثل كتاب وكتب
وجمع القلة اعمدة والمقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين يقال لها بالفارسية كنده وبالتركي

طرق

طرق قوله تقطر فيها اللصوق اي يجعلون فيها قطارا كقطار الابل سورة الفيل بسم الله الرحمن الرحيم
اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل ولد
عليه السلام بعد يوم الفيل بخمسين يوما والاكثرون على ان عام الفيل هو عام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله وهو عليه الصلاة والسلام وان لم يشهد تلك الواقعة جواب عما يقال ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان الاصل في الرؤية
ان تكون بصرية وان يكون الاستفهام للتقرير فيكون المعنى قد رايت وشاهدت مع انه عليه السلام لم يشاهده وتقرير
جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهي العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء
للمشاهدة والعيان وانما قلنا انه علم ضروري لان طريق العلم بها الى الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لا سيما
قد تايدت الاخبار الضرورية المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه راى من الحجارة
التي اهلكت بها اصحاب الفيل عند ام هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري وعن عايشة رضي الله عنها قالت رايت قائد الفيل
وسايسه اعميين مقعدين يستطعمان وكان عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو مسعود الثقفي يشاهدان من
فوق الجبل عسكر ابرهة الاشرم حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع ذكر
فانحطا من الجبل فدخلا العسكر واذا هم موتى فجمعا من الذهب الجواهر وحفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وملاها من المال
وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله من آثار تلك الواقعة قد شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل له بذلك علم ضروري
بما يؤدي الى العيان فكانه تعالى قال الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواترة الخ المتايدة بمشاهدة الآثار علما يوازي العيان
في الايقان قوله لان المراد تذكر ما فيها من وجوه الدلالة الخ يعني لا يشك الذوات والماهيات والكيفيات باعتبار ما تدل
على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الاولى وكيف على الثانية والمقصود على هذا المقام ليس نفس تذكر ما فعل بهم من الاهلاك لانه باعتبار
نفسه لا يدل على كمال علمه تعالى وقدرته وعزته وشرف رسوله وانما يدل عليه باعتبار ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات
الاهلاك فلذلك اختير ما يدل على الكيفيات على ما يدل على نفس الذوات قوله فانها من الارهاصات بيان لوجه دلالتها على شرف نبيه
عليه الصلاة والسلام والارهاصات هي الخارقة للعادة الجارية على يدي نبي قبل بعثته وقيل التحدي ماخوذ من الرهص بكسر
الراء وهو الصف الاسفل من احجار الحائط فانه يجوز عندنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تاسيسا للنبوة وتقدمه
عليها كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودعوى النبوة ومن هذا القبيل اهلاك من قصد تخريب
الكعبة للعظمة حال كونها موضع الشرك وعبادة الاوثان اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره عن الرجس والاوثان
ويدعو الناس الى عبادة الرحمن لان تعظيم البيت ليس لكونه موضع الشرك والعصيان بل لكونه بناء خليل الرحمن بناه لتاتي اليه الناس
افواجا من كل فج عميق طائفين وعاكفين وراكعين وساجدين ومكبرين ومهللين مخلصين له الدين وقد جعله الله تعالى في علمه
الازلي مولد سيد المرسلين ومسكنه الى ان هاجر عنه بامر رب العالمين ومهبط يوحى اليه وقبلة امته الى يوم القيامة فكان لذلك
عتيقا عن استعلاء الظلمة عليه وتخريبهم اياه فكان اهلاك اصحاب الفيل من جملة الارهاصات الدالة على شرفه ونبوته عليه السلام
فان ابرهة لو سلط على مكة وسبى اهلها وخرب فيها من البيت لاضل ما قدره الله تعالى من الامور المتعلقة بها والشرم الشق يقال شرمه
اي شقه وسمي ابرهة بن الصباح اشرم لانه كان مشقوق الانف والشفة لما سببه ان اباه ضربه بحربة فشرم انفه وجبينه او بسبب
ان ارباطا ضربه بالسيف فشرم انفه وشفته فجاء غلام ابرهة من خلفه فقتله واضحمة اسم النجاشي ملك الحبشة وكان اضحمة قد

ثم نازعه رجل من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا ١٢

بعث فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت كل فرقة مع ارباط وفرقة مع ابرهة
فكان الامر على ذلك الى ان ابرهة ارباط واجتمعت الحبشة من اعوان ارباط لابرهة وغلب على اليمن كلها واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى
الناس يتجهزون اوان الموسم الى مكة لحج البيت الحرام فبنى كعبة بصنعاء يبني المكر مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف حج العرب
اليها وجوههم فسمع به رجل من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها الى ان يقضي حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتها فبلغ ذلك
ابرهة فقال من اجترى على فقيل لعل ذلك فعل رجل من اهل مكة سمع بالذي قلت في حق البيت الذي يعظمونه فحلف ابرهة
عند ذلك ليهدمن الكعبة وقيل اجت اي اشعلت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج
بالحبشة فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخر وقيل اثنا عشر وقيل الف فلما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة
وبينه وبين مكة ميل خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا اي هيا جيشه وقدم الفيل
فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى سائر الجهات هرول اي اسرع في المشي ثم ان ابرهة
كان اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في حق تلك المائتين من العير فعظم في عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما
وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال له ابرهة سقطت من عيني جئت لاهدم البيت
الذي هو دينك ودين آبائك فالهاك عنه ذود اخذ منك فقال انا رب الابل وللبيت رب يمنعه وامر قريش ان يتفرقوا
في الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا ثم خرج من عنده واتى البيت واخذ بحلقته وجعل يقول
لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع عنهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا امنعهم ان يخربوا قراكا فالتفت وهو
يدعو واذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا بتهامية وكان مع كل طير حجر في
منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره
وعلى كل حجر اسم من عليه يقع فهلكوا في كل طريق وسهل وودي ابرهة اي اصابه داء ومرض فتساقطت انامله وما
مات حتى انصدع صدره عن قلبه اي انشق صدره وخرج قلبه منه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق
خلفه فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ارى الله تعالى النجاشي
كيف كان هلاك قومه عيانا كما بينه اخبارا قوله وقرئ الم تر اي بسكون الراء جدا في اظهار اثر الجازم فان سقوط
الالف يكفي في ظهور اثره واسكان الراء بعد سقوط الالف جد في اظهار اثر الجازم وهذا الجد انما يليق بالشعر وكلام
من احوجته الضرورة الى العدول عن العبارة الفصيحة ولا يليق بفصاحة القرآن وكيف منصوب بقوله فعل لا
بقوله تر لان كيف فيه معنى الاستفهام وله صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله والكيد ارادة المضرة بالغير على سبيل الخفية
فانهم كادوا البيت اولا ببناء القليس ارادة صرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة
هدمه بارسال الطير عليهم فان قيل انما سماه كيدا وهو لا يخفى ما اراده من المضرة بالبيت بل كان يصرح انه انما
يريد هو هدم البيت وتخريبه فالجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واضراره انتقاما
من تعدي كنيسته الا ان الذي كان يضمر في قلبه هو الحسد للعرب فان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف
عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة الى نفسه والى كنيسته وبلدته فكان هدمه كيدا في حق العرب قوله تعالى
وارسل عطف على قوله الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل وابابيل صفة

لطير

لطيرا اي جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج يتبع بعضها بعضا قيل ابابيل جمع لا واحد له يقال جاءت
ابلك ابابيل اي فرقا وترميهم صفة اخرى لطيرا او حال منها لانها قد تخصصت بالصفة والطير اسم جنس اطلق ههنا
على آحاد الجنس وجماعته فمن قرا ترميهم بالتاء نظرا الى كونه بمعنى الجماعة ومن قرا بالياء نظرا الى كونه اسم جمع مذكر
وانما يؤنث لكونه في تاويل الجماعة او اعتبر كون الفعل مسندا الى ضمير الله تعالى اي يرميهم الله قوله معرب سنككل
ذكر في بيان ماخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وعربتهما وجيل
فالسنج الحجر والجيل الطين اي ترميهم بحجارة متخذة من هذين الجنسين والثاني انه من السجل وهو الدلو الكبير الذي فيه
ما يقال سجلت الماء سجلا فانسل اي صببته بالدلو فانصب وقوله تعالى بحجارة من سجيل اي بحجارة كائنة مما صببه
الله تعالى من خزائنه تهرة والثالث انه من الاسجال من الارسال يقال سجلت البهيمة مع امها اذا ارسلتها معها وهذا
جيل سجيل اي مطلق مرسل والمعنى ان تلك الحجارة مما ارسله الله تعالى عليهم والعذاب يوصف بالارسال كما في قوله تعالى وارسل
عليهم طيرا ابابيل وقوله تعالى وارسلنا عليهم الطوفان والرابع انه ماخوذ من السجل الذي هو الكتاب اخذ منه لفظ سجيل
وجعل علما للديوان الذي يكتب فيه اعمالهم فكانه قيل بحجارة كائنة من جملة العذاب المكتوب في الكتاب المسمى بسجيل قوله
كورق زرع كما نقل عن الفراء انه قال بقل الزرع وكونه ماكولا عبارة ان يقع فيه الاكال فيفنيه ويخرجه عن ان ينتفع به شبه
به اصحاب الفيل من حيث انهم فسدوا وضاعوا او من حيث ان الحجارة التي ارسلت عليهم خرقتهم واحدثت فيهم منافذ وشقوقا
كالزرع الذي اكلته الدود او عبارة عن ان يوكل حبه ويبقى تبنه والمعنى جعلهم كعصف ماكول الحب كما تقول زيد حسن
بمعنى حسن الوجه اجرى الحسن على زيد مع انه حال بوجهه واعتمادا على ظهور المراد شبهوا بزرع اكل حبه في ذهاب
ارواحهم وبقاء اجسادهم قوله او كتبن عطف على قوله كورق زرع اي ويجوز ان يراد بالعصف التبن من حيث انه تعصفه
الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب من قولهم الحرب تعصف بالقوم اي تذهب بالقوم وتهلكهم وناقة عصوف اي سريعة
السير تعصف براكبها فتمضي به ويكون المراد بالتبن الماكول حينئذ التبن الذي اكلته الدواب ثم القته روثا فيبس وتفرقت
اجزاؤه شبه به القوم في تقطع اوصالهم وتفرق اجزائهم وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكتف بجعلهم اهون شيء في الزرع
وهو التبن الذي لا يجدي بما يلائم جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالماكول على طريق اطلاق الملزوم وارادة
اللازم رعاية للادب واستهجانا لذكر الروث كما عبر بقوله تعالى لمادة الجبنة عن مكة بهذه الكيفية عظمت قريش
في اعين الناس وقالوا هم اهل الله تعالى قاتل وكفاهم مؤنة دفع عدوهم فكان ذكر نعمة عظيمة من الله تعالى

سورة قريش بسم الله الرحمن الرحيم قريش قبيلة وابوهم النضر بن كنانة
ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكل من كان من ولد النضر فهو قريشي دون ولد كنانة ومن فوقه وربما قالوا
قرشي والقرش دابة تكون في البحر من اعظم دوابه لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته ويطلق القرش
ايضا على الكسب وعلى الجمع يقال فلان يقرش لعياله اي يكسب فهو قارش وقرشهم اي جمعهم وتقرش القوم
اذا اجتمعوا واختلفوا في سبب تسمية القبيلة المذكورة قريشا فقيل سموا بتصغير القرش الذي هو دابة عظيمة في البحر روى ان
معاوية سال ابن عباس رضي الله عنهم لم سميت قريشا فقال سموا باسم دابة في البحر تاكل ولا توكل وتعلو ولا يعلى
عليها اي تشبيههم بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات

ثم نازعه رجل من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا

قال الشاعر: وقريش هي التي تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا * تأكل الغث والسمين ولا تترك * فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا * ولهم في آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
فتصغير قريش للتعظيم كما في قول حباب بن المنذر أنا جذيلها المحكك وعذيقها يصف نفسه بالحذاقة في الامور بحيث يرجع اليه
في معضلات الامور والجذيل تصغير جذل وهو اصل حطب عظيم ينصب في المعاطن لتحتك به الابل الجربا والعذيق تصغير العذق
بالفتح وهو النخلة ذات الحمل والترجيب اي يدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا ينكسر اغصانها وربما بني بها جدار يعتمد عليه بعضها
وقيل سميت قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا اهل زرع والضرع فهو مأخوذ من القرش بمعنى الكسب
تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غير انه رخم وصغر كقولهم حريث في تصغير حارث وقيل انه مأخوذ من القرش
بمعنى الجمع فانهم كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوها مسكنا لهم فسموا قريشا لذلك اي فتقرشهم
وتجمعهم في الحرم وسمي قصي مجمعا قوله بيت ابيكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر وقرا ابن عامر لالف قريش بغير ياء بعد اللام
الثانية والباقون لايلاف بياء قبلها واجمع الكل على اثبات الباقي الثاني وهو ايلافهم واختلاف القراءة في سقوط الياء وثبوتها
في الاصل مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا دليل على انهم انما يتبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط والرسم اما قراءة ابن عامر
ففيها وجهان الاول انه مصدر الف الثلاثي يقال الفته الفا نحو كتبته كتابا يقال الفت الشيء الافا والفا وقد جمع الشاعر
بينهما في قوله زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف والثاني انه مصدر الف باعتبار نحو قاتل قتالا فمعنى لالاف قريش هو
الفت قريش رحلة الشتاء واما على قراءة الباقين فهو مصدر الف الرباعي ثم قيل الايلاف هو الالف بناء على ان اهل اللغة
قالوا الفت الشيء والفته الفا وايلافا بمعنى واحد اي لزمته ودمت عليه فمعنى الآية لالف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم
اياها وثباتهم عليها بحيث اذا فرغوا من احدهما اخذوا في الاخرى وبالعكس والظاهر على هذا المعنى ان يكون اللام في قوله تعالى
ليلاف متعلقة بما قبلها والتقدير فعل ربك باصحاب الفيل ما فعل من تضليل كيدهم وتضييعه وارسال الطير الابابيل
عليهم وجعلهم كعصف مأكول لالف قريش بالرحلتين وبقائهم عليها فانه لو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة
وتخريبها لما امكن لهم ان يثبتوا على ما الفوه من الرحلتين اللتين يتوقف عليهما انتظام امر معاشهم فان اهل مكة ليس لهم زرع
ولا ضرع فليس لهم طريق المعاش سوى التجارة وانها انما تتاتى لهم بسبب ان ملوك تلك النواحي كانوا يعظمونه ويقولون هؤلاء
جيران بيت الله وسكان حرمه فكانوا بذلك آمنين في اسفارهم لا يتخطفون ولا يتعرض لهم في نفوسهم ولا في اموالهم فلو لم
يفعل الله تعالى باصحاب الفيل ما فعل بهم ومكنهم من هدم الكعبة لزال عن اهل مكة هذا العز والشرف وانقطع تعظيم الملوك
واحترامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر البلاد يتخطفون من كل جانب يسلب اموالهم وقتل نفوسهم فلما اهلك الله تعالى
اصحاب الفيل ازداد رفع اهل مكة وهيبتهم في القلوب واستمروا وداموا على ما الفوا به من رحلتهم في الشتاء الى اليمن
وفي الصيف في الشام والظاهر ان الايلاف ليس بمعنى الالف بل همزة الف انما زيدت لتعدية الفعل الى المفعولين والاصل الفت
الشيء والفته بمعنى لزمته والزمته الله تعالى اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل لنولف قريشا رحلتها لتبعتهم ما الفوه روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال السبب في الفهم بالرحلتين ان قريشا كانوا اذا اصاب واحد منهم مخمصة خرج هو
وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاءهم عمرو بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا
في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقتلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله تعالى واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا

نحن

نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة
وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغني منهم قسمه بينه وبين فقرائهم حتى كان
فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش حتى قيل فيهم الخالطين
فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي قوله تعالى ايلافهم نقل من الاول وانتصاب رحلة على انه مفعول به للمصدر
كما نصب يتيما بقوله او اطعام فيكون الايلاف مصدرا من المبني للمفعول مضافا الى مفعوله الاول واطلق عن مفعوله الثاني
حيث لم يقيد بتعلقه به ثم جعل المقيد به بدلا من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه لكونه نعمة
عظيمة كما يقول عجبت من احسانك احسانك الى زيد قوله والفاء في الكلام من معنى الشرط جواب عما يقال كون اللام متعلقة بقوله
فليعبدوا يستلزم ان يتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له وتقرير الجواب ان قوله فليعبدوا واقعا
في حيزه جواب شرط محذوف غاية ما في الباب انه قدم عليه معموله لافادة الحصر ولزم منه توسط الفاء بينهما صورة
ولفظا والرحلة بكسر الراء الارتحال وبالضم الجهة التي يرتحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهي الناقة القوية
ثم استعمل في كل سير وارتحال قوله فيما رزقوا اي يجلبون الميرة وهي الطعام قوله او بمحذوف اي يجوز ان لا تكون اللام
متعلقة بقوله فليعبدوا بان تكون متعلقة بمحذوف مثل اعجبوا قال الامام محيي السنة في تفسيره حاكيا عن الكسائي والاخفش
اللام في قوله تعالى لايلاف لام التعجب كانه قيل اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت
ثم امرهم بعبادته فقال فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اي اعجبوا لذلك والعرب اذا جاءت
بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب الى هنا كلامه ووجه التعجب انه تعالى سهل لهم طريق
معاشهم وحفظهم في اسفارهم الى مواضع تجاراتهم عن ان يتعرض لهم قطاع الطريق كما يتعرضون لسائر المسافرين
مع اصرارهم على الشرك وعبادة الاوثان والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى فليعبدوا معطوفا على مقدر
اي فلينتهوا عن هذا الكفر فليعبدوا قوله كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بما قبله تعلقا لا يصح
المعنى الا به وكون هذه اللام متعلقة بما قبلها كذلك لان المجرور يتوقف في تمام معناه على عامله وعلى تعلقه به فان قيل
تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين فان حق كل سورة ان يكون مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما في احدى السورتين بما في الاخرى
فكيف جاز ان يتعلق هذه اللام بما في السورة المتقدمة قلنا السؤال ساقط على مذهب من يقول انهما سورة واحدة
احتجاجا بما روي ان أبي بن كعب جعلهما سورة واحدة في مصحفه وبما روي ان عمر رضي الله عنه قرا في الركعة الاولى
من صلاة المغرب بسورة والتين وفي الثانية الم تر ولايلاف قريش من غير ان يفصل بينهما بقوله بسم الله الرحمن الرحيم
واما على ما ذهب اليه الاكثرون وهو ان تكون كل واحدة منها سورة مستقلة منفصلة عن الاخرى فوجه سقوطه
على مذهبهم ان تعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافي استقلالها عن الاولى لان القران كله كالسورة الواحدة او
كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها بعضا وقولهم ان ابيا رضي الله عنه لم يفصل بينهما معارض باطباق
الكل على الفصل بينهما قوله وقرئ ليالف قريش الفهم على لفظ اسم الغائب باللام قوله او بالرحلتين اشارة الى ان
المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حملهم هاشم على الرحلتين لسدها لا المجاعة التي اصابتهم بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وهي قوله اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها كسني يوسف فاشتد عليهم القحط حتى اكلوا الجيف
والعظام المحترقة فقالوا يا محمد ادع لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فاخصبت البلاد واخصب

اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل ببعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على انه اى
اطعمهم من اجل جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اى اطعمهم بعد الجوع الذي اصابهم عن سيبويه
قال الفرق بين عن ومن ان عن تقتضي حصول جوع قد زال بالاطعام ومن تقتضي المنع من مخافة الجوع والمعنى على هذا
اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فتكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم من بدء جوعهم قبل الحاقه
اياهم وامنهم من بدء خوفهم قبل اللحاق سورة الماعون بسم الله الرحمن الرحيم
قوله استفهام معناه التعجب يعني انه وان كان في صورة الاستفهام الا انه يقصد به المبالغة في التعجب يقال ارايت
فلانا ماذا قال ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل عاقل ورايت
هنا يجوز ان يكون من رؤية البصر وان يكون بمعنى عرفت كانه قيل ابصرت المكذب او عرفته وان يكون بمعنى
العلم فيكون بمعنى اخبرني فيتعدى الى اثنين الاول الموصول والثاني محذوف قدره الزمخشري من هو وقدره القرطبي
امصيب هو او مخطئ والمعنى ارايت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح براهينه ايفعل
ذلك لا لغرض فكيف يجترئ العاقل على ان يلقي نفسه في العقوبة الابدية من غير غرض او لاجل الدنيا فكيف يجترئ
العاقل على قبول العذاب المؤبد طمعا في اللذة اليسيرة الفانية قوله سهل امرها امر هذه القراءة يعني ان وقوع
حرف الاستفهام في اول الكلمة جعل امر حذف الهمزة سهلا يسيرا مع كونه مخالفا للقياس والاستعمال فان رايت
في ارايت لم يسمع من العرب وجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لان
في الطلب معنى الاستقبال فاخذ حكم المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة اول الكلمة اوجب ثقل وقوع همزة اخرى
بعدها فسهل الامر حذفها لذلك ايضا وحذفها في الآية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو قوله صاح
هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن تلك الحرف ليست
همزة فلو لم تحذف همزة رايت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية قوله صاح اصله يا صاحب فحذف
حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله ما قرى اى ما جمع يقال قريت الماء في الحوض اى جمعت والعلبة ما يحلب فيه
من جلد او خشب وجمعه علب وعلاب قوله بزيادة الكاف في الضمير المرفوع في ارايتك هو التاء والكاف انما زيدت لتدل على
احوال المخاطب تقول ارايتك زيدا وارايتكما زيدا وارايتكم زيدا بمعنى اخبر زيدا واخبرا واخبروا قوله بالجزاء او الاسلام
قال الدين يستعمل بمعنى الجزاء كما في قوله تعالى مالك يوم الدين وبمعنى الاسلام كما في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وتكذيب
الاسلام كما تقول بتكذيب الصانع والنبوة والمعاد يكون ايضا بانكار شيء من الشرايع قوله والذي يحتمل الجنس اى جنس من
كان مكذبا بالدين اى شخص كان ويحتمل العهد ايضا حتى قيل انها نزلت في ابي سفيان كان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه
يتيم فساله لحما فقرعه بعصاه وقيل نزلت في العاص بن وايل وكان يجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال
القبيحة جعل علم تكذيبه بالجزاء منعه الواجب والمعروف وتركه التحريض على اطعام ايتام الجوع عن المحتاجين وقيل نزلت
في الوليد بن المغيرة وقيل نزلت في ابي جهل روي انه كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به
فايس الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد صلى الله عليه وسلم يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
والتمس منه ذلك وكان هو عليه السلام ما كان يرد محتاجا فذهب الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم
فعيره قريش وقالوا اصبوت قال لا والله ما صبوت ولكن رايت عن يمينه وعن شماله حربة خفت ان لم اجبه يطعنها

في والدع الدفع بعنف وجفوة واذى قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا قوله ولا يحض اهله وغيرهم يعني ان مفعول
يحض محذوف والمعنى انه لا يحض نفسه ولا يامر به غيره ولا بد ايضا من تقدير المضاف الى طعام اى لا يحث غيره على
ايتاء طعام المسكين لتكذيبه بالدين فانه لو اعتقد بالبعث والجزاء لسارع الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة بمباشرته
بنفسه ودلالة غيره عليه واضيف الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وبانه لم يمنع من المسكين الا
من هو حقه وذلك نهاية البخل وخساسة الطبع فان عدم مواساة الايتام والمساكين وترك حوايجهم الضرورية
وكذا عدم حث غيره على مواساتهم واعانتهم وان لم يكن في نفسه اثما وحراما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده
بالجزاء وتكذيبه من حيث ان السبب في ذلك كله هو التكذيب بالجزاء فلذلك رتب قوله فذلك الذي يدع اليتيم وعدم
حث غيره على قضاء حاجة المضطرين سببه التكذيب بالجزاء وجعل الزمخشري قوله تعالى فذلك جواب شرط محذوف والتقدير
ان لم تعلم ذلك الذي يكذب بالدين واردت ان تعرفه فاعلم انه ذلك الذي يكذب بالجزاء وهو الذي يدع اليتيم
قوله يرون الناس اعمالهم بيان بمعنى المفاعلة في قوله يراؤن فانه مفاعلة في الاراءة والمراءاة يرى الناس عمله وهم
يرونه الثناء عليه والاعجاب به فان قيل ما الفرق بين ان يقال عن صلاتهم وبين ان يقال في صلاتهم وما الحكمة
في اختيار العبارة الاولى على الثانية فالجواب ان العبارة الثانية انما يقال اذا كان الانسان شارعا في الصلاة خالصا
لوجه تعالى ومتذللا بين يديه بالتضرع والابتهال ولكنه يعتريه عن السهو والغفلة في اثنائها بوسوسة الشيطان
او بحديث النفس ذلك لا يخلو عنه البشر ومعنى السهو عن الصلاة والغفلة عن ان الصلاة ما هي ولا يبالي بمباشرتها فيؤدي
ذلك الى عدم المبالاة بها والاعتناء بشانها بمراعاة شروطها واركانها واوقاتها وسننها وادابها فيقوم وينحط ولا يدري
ما يفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلاة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو في الصلاة من افعال المؤمنين
لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من افعال الكافر فانه وان باشرها صورة لكنه ساه
غافل عن حقيقتها لانعدام قصده ونيته عن انس رضي الله عنه قال الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم لان السهو فيها
قد يعتري بوسوسة الشيطان وحديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه مسلم وكان عليه السلام يقع له السهو في صلاته
فضلا عن غيره قوله والسيئة اى الدالة على معاملتهم مع الخالق والخلق وذهب كثير من الصحابة والتابعين الى ان
المراد من الماعون في الآية الزكاة ويؤيده انه تعالى ذكره عقيب ذكر الصلاة وما روي عنه عليه السلام انه قال
من قرا سورة الماعون غفر له ان كان للزكاة مؤديا فان كل واحد منهما يدل على ان المراد بالماعون الزكاة وذهب
اكثر المفسرين الى المراد بالماعون اسم لما لا يمتنع في العادة ويساله الغني والفقير وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة
كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الملح فعلى هذا القول الماعون فاعول من المعن
وهو الشيء القليل وسميت الزكاة ماعونا لانها ربع العشر وهي قليل والمقصود من الآية على هذا القول الزجر عن البخل
بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها في غاية الدناءة ونهاية الخساسة والخباثة ومن اوصاف المنافقين كما قال الله
تعالى في حقهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم قالت العلماء ومن الفضائل ان يستكثر
الرجل في منزله ما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على اتخاذ ما يهمه فقط سورة الكوثر
بسم الله الرحمن الرحيم قوله انا اصله اننا فحذفت احدى النونات كراهة اجتماع الامثال

الانطا، الاعطا، بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمي كل شي كثير العدد
او كثير القدر والخطر كوثرا فوبنا يفيد المبالغة في الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجعت ابنها من السفر ثم آب ابنك بم — بما
قالت آب بكوثر اي بالعدد الكثير من الخير وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال هو الخير الكثير قوله قيل يعني ان المفسرين
ذكروا في تفسير الكوثر اقوالا كثيرة منها ان المراد بالكوثر اولاده عليه السلام ويدل عليه ان هذه السورة نزلت ردا
على من قال في حقه عليه الصلاة والسلام انه ابتر ليس له من يقوم مقامه قال ذلك لما مات ابنه القاسم وعبد الله رضي الله
عنهما بمكة وهما ابناه عليه السلام من خديجة رضي الله عنها ومات ابراهيم بالمدينة فوعده الله تعالى في اول السورة
ان يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم ان العالم ممتلي منهم والحمد لله ثم قال في اخر السورة
ان شانئك هو الابتر وقيل الكوثر انساله واشياعه الى يوم القيامة ولا شك ان له من الاتباع ما لا يحصيهم
الا الله عز وجل وقيل الكوثر علماء امته وهو لعمري الخير الكثير لانهم انبياء بني اسرائيل فانهم يدعون عباد الله الى اتباع
ما شرع لهم من اتيان ما يسعدهم والاجتناب عما يرديهم وذلك وظيفة الانبياء عليهم السلام وقد روي ان اتباع
علماء هذه الامة تكثر على اتباع كثير من الانبياء وقيل انه يجاء يوم القيامة بالرسل والانبياء ويتبعهم اممهم
فربما يجي الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجاء بكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند
الرسول صلى الله عليه وسلم فربما يزيد عدد متبع بعض العلماء على متبع الف من الانبياء عليهم السلام وذكر في الطبقات
الحنفية روي عن ابي حنيفة رحمه الله ونقل مذهبه من الشيوخ واكابر العلوم نحو من اربعة آلاف نفر فضلا عمن اقتدى
واهتدى باتباعه وقس عليه ساير الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين فكل ذلك خير كثير له صلى الله عليه وسلم
وقيل الكوثر القرآن وفضائله لا تحصى لعل المصنف لم يرض بهذه الاقوال لان الكوثر الذي هو الخير الكثير يتناول
جميع ما انعم الله تعالى به عليه السلام وليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقي فيجب ابقاؤه على ما يعم خير الدنيا والآخرة
لان حمله على البعض تخصيص من غير مخصص ثم انه تعالى لما ذكر رسوله وما انعم به عليه من الخير الكثير امره بشكر
تلك النعمة العظيمة فقال فصل لربك وانحر بفاء التعقيب المؤذنة بالسببية اي اذا تقرر عندك ما فضلك به من
الكوثر فدم على الصلاة الجامعة لانواع العبادة قوله شكرا لانعامه عليه بقوله دم على الصلاة فان كثرة الانعام توجب
مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فكانه قيل انا اعطيناك الكوثر فدم على الشكر فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر
وهي ثلاثة الاول الشكر بالقلب وهو ان يعتقد ان تلك المنعم به تعالى انعم بها عليه تفضلا وكرما والثاني الشكر
باللسان وهو ان يمدح المنعم ويثني عليه بما هو اهل والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له بالطرق
التي بينها الشارع والصلاة الجامعة لهذه الاقسام كلها قوله خلاف الساهي عنها المرائي فيها اشارة الى ان قوله تعالى
فصل مقابل لقوله في السورة المتقدمة الذين هم عن صلاتهم ساهون وقوله لربك مقابل فيها الذين هم يراؤون وقوله خلافا لمن
يدعهم يعني ان قوله تعالى وانحر مقابل لما ذكر من اوصاف المنافقين بقوله الذي يدع اليتيم ويمنعون الماعون فان ذبح البدن
التي هي خيار الاموال والتصدق بلحومها على المحتاجين مقابل لدعهم ومنع الماعون عنهم قوله ان من ابغضك يعني ان الشانئ بمعنى المبغض
الذي هو ضد المحب يقال شنئته شنأ وشنآنا بفتح النون وسكونها اي ابغضته فالمعنى ان من ابغضك لا يحبك بل يعاديك لحالفتك
لم هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكونه هو الثاني فانه يفيد كون بغضه علة لكونه ابتر اي مقطوع العقب روي

ان عاص

ان عاص بن وايل كان يمر بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقول اني لاشنؤك وانك لابتر من الرجال سورة الكافرون
بسم الله الرحمن الرحيم ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق
قوله يعني كفرة مخصوصين روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سبب نزول هذه السورة ان الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد
ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن واياك في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك
واخذنا بحظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا من الذي بيدك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فانزل
الله تعالى قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك فالالف
واللام في قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاي الآن ما فيه من التعريف — الكفرة
للاشارة المعهودة بقرينة سبب النزول ولان قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون لا يجوز ان يكون خطابا مع كل كفرة
لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ان يكون قوله ولا — أنتم
عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله تعالى فعلمنا بهذه القرينة
ان الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق في علمه تعالى سيموت او سيقتل على كفره قوله فان لا لا تدخل الا على
مضارع بمعنى الاستقبال يعني انها اذا دخلت على المضارع يجب ان تكون ذلك المضارع بمعنى الاستقبال لا انها لا تدخل
ابدا الا على المضارع الموصوف فانها قد تدخل على الماضي بشرط التكرير نحو قوله تعالى فلا صدق ولا صلى وقد تدخل
على الاسم كقوله تعالى ولا انتم عابدون وكذا قوله كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال فان معناه اذا دخلت على
المضارع يكون المضارع بمعنى الحال فمعنى القرينة الاولى لا افعل في المستقبل ما يطلبونه مني من عبادة آلهتكم لما ذكره
من ان المضارع المصدر بكلمة لا تكون للاستقبال ومعنى القرينة الثانية ولا انتم عابدون والمستقبل ما اطلب منكم
من عبادة الهي لان اسم الفاعل وان كان صالحا للحال والاستقبال الا انه ههنا للاستقبال لوقوعه في مقابلة لا اعبد
ثم انهم اختلفوا في ان القرينة الثالثة هل هي تاكيد للاولى ام لا وكذا الرابعة هل هي تاكيد للثالثة ام لا واختار
المصنف ان كل قرينة من القرينتين الاخيرتين لافادة معنى على حدة بان جعل كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان
القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى الاستقبال بشهادة كلمة لا وحمل القرينة الثالثة على الحال او الماضي فكان
المعنى لا افعل في المستقبل ما يطلبونه من عبادة الاصنام ولست في الحال والماضي بعابد لما عبدتم من الاصنام
وحمل القرينة الثانية وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال لوقوعها في مقابلة الاولى وحمل القرينة
الرابعة على استغراق النفي وشموله لجميع الازمنة بناء على الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخل عليها حرف
النفي يفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان يكون تاكيدا على طريقة ابلغ ويجوز ان تكون القرينة الثالثة تاكيدا
للاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى على طريقة لنفي الاستقبال والثالثة تفيد دوام النفي في جميع الازمنة
كما عرفته فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت تاكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان
تكون تاكيدا للثانية على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة

علی عموم النفی فیکون ابلغ منها والفایدة علی تقدیر ان تحمل القراتین علی التاکید قطع اطماع الکفار وتحقیق الاخبار
بانهم یموتون علی الکفر ولا یسلمون ابدا ویرد علی تجویزه ان یکون قوله تعالی ولا انا عابد محمولا علی الحال کما اشار الیه بقوله
او فیما سلف ان عابدا اسم فاعل وهو لا یعمل الا اذا کان بمعنی الحال او الاستقبال فکیف یصح ان یعمل فی قوله ما عبدتم وهو
بمعنی الماضی الا ان یقال اعماله مبنی علی کونه بمعنی حکایة الحال الماضیة کما فی قوله تعالی وکلبهم باسط ذراعیه والله مخرج ما کنتم تکتمون ونحوها وهو لا ینافی کون مدلوله واقعا فی الماضی فی نفس الامر قوله وهو علیه السلام لم یکن موسوما
قبل البعثة بعبادة الله تعالی لان العبادة عبارة عن اعمال الجوارح الواقعة امتثالا لامر الله تعالی وقصد العظمته
وما وقع منه علیه السلام قبل البعثة من توحید الله تعالی وتنزیهه عن کل ما لا یلیق بجلال ذاته ومن مناسک الحج وافعال
علی حسب ما تواتر من شارع ابرهیم علیه السلام وان کان عبادة بمعنی المعرفة والایقان بالحق الا انه لیس بعبادة بالمعنی المذکور
لانه یجب کونها مسبوقة بامر الشارع وماموریها من قبله ولا امر قبل البعثة ولان الشرایع السابقة علی شریعة عیسی علیه السلام
صارت منسوخة بشریعة عیسی واما شریعة عیسی علیه السلام فصارت منقطعة لسبب ان الناقلین عنه هم النصاری وهم کفار
قبل بعثة رسولنا صلی الله علیه وسلم لسب قولهم بالتثلیث والذین بقوا علی التوحید قلوا غایة القلة وتفرقوا فی البلدان
فلم یکن قولهم حجة شرعیة فثبت انقطاع شریعة عیسی علیه السلام فما وقع بعد انقطاعها لا یکون علی طریق الامتثال الشرعی
فلم یکن علیه السلام قبل البعثة موسوما بعبادة الله تعالی فلذلک لم یکن نظم الآیة ولا انتم عابدون ما عبدت وان کان
هو المطابق لقوله ما عبدتم قوله وانما قال ما دون من جواب عما یقال المراد بقوله ما اعبد فی القرینة الثانیة والرابعة هو الله تعالی
فکیف عبر عنه بکلمة ما والاصل فیها ان لا تطلق علی اولی العلم اذا ارید بهم نفس ذواتهم واما اذا ارید ان یعبر عنهم بما یدل علی غایة
التعظیم والتحقیر فحینئذ یعبر عنهم بکلمة ما فان ما الموصولة لا تستعمل فی ذوی العلم الا باعتبار الوصفیة فیه وتعظیم شانه
کقوله سبحان ما سخرکن لنا ای سبحان العظیم الشان الذی سخرا شاکن فکذا معنی الآیة ولا انتم عابدون الاله العظیم الشان
الذی لا یستحق العبادة غیره ولتماصل ما فی ما اعبد علی المعبود بالحق حمل قوله تعالی ما عبدتم وما تعبدون علی الباطل تحقیقا
للتقابل والثانی انه لما عبر عن المعبودات الباطلة جاء علی الاصل عبر بالمعبود بالحق بها للمقابلة والمشاکلة فان رعایة المقابلة
تحسن ما لا یحسن حال الانفراد ثم اشار الی جواب ثالث وقیل انها مصدریة ومحصوله انه انما یحتاج الی الاعتذار باحد الوجهین
انه لو کانت ما موصولة ولیست کذلک بل هی مصدریة والمعنی لا اعبد عبادتکم ای مثل عبادتکم ولا بد من هذا التقدیر لان الشخص
لا یفعل نفس فعل غیره ولکن یفعل مثل فعله فکذا الکلام اخواتها قوله وقیل الاولیان بمعنی الذی فالمعنی لا اعبد الاصنام التی
تعبدونها ولا انتم تعبدون الله الذی اعبده والاخریان مصدریتان والمعنی ولا انا عابد مثل عبادتکم المبنیة علی الشک
والتقلید ولا انتم عابدون مثل عبادتی المبنیة علی الیقین والبرهان والظاهر ان مقصود القائل حمل القراین الاربع
علی التاسیس ببیان التغایر بینها بهذا الوجه ولا دخل له فی الجواب اذ لا تعرض له لوجه التعبیر عنه تعالی بکلمة ما فی القرینة
الثانیة وانما اخره الی هنا من حیث ان له تعلقا بهذا المقام ایضا قوله فلیس فیه اذن فی الکفر ولا منع عن الجهاد جواب عما یقال
کیف امر علیه السلام ان یقول لهم لکم دینکم وهو اذن لهم فی الکفر وقد بعث علیه السلام للمنع عن الکفر وایضا انه علیه السلام
لما امر بان یاذن لهم فی الکفر والثبات علیه لزم ان یکون ممنوعا عن الجهاد وهو علیه مامور به وتقریر الجواب ان قوله تعالی
لکم دینکم لما کان معناه انکم لا تترکونه ابدا فلا یفارق ذلک عنکم کان ذلک فذلکة لقوله تعالی ولا انتم عابدون ما اعبد

وبیانا المحصل معناه فلیس فیه اذن فی الکفر بل هو تقریع وذم لهم بالاصرار علی الکفر والضلال ولا منع من الجهاد ایضا وقیل
هذه السورة قبل الامر بالجهاد فهی منسوخة بآیة القتال وان فسر الدین بالدعاء یکون معنی قوله لکم دینکم ان دعاءکم
لا یسمع ولا یقبل وما دعاء الکافرین الا فی ضلال ای عن طریق قبول قول الله تعالی ایاه ولا یقبله والاصنام ایضا
لقوله تعالی وان تدعوهم لا یسمعوا دعاءکم وانما یقبل ویستجاب دعاء من آمن بالله تعالی واتبع سبیله کما قال
ویستجیب الذین آمنوا ادعونی استجب لکم قوله والعبادة لعله تصحیف من الناسخین والعبارة الصحیحة
العادة ای ان الدین قد یستعمل بمعنی العادة والشان لکم عادتکم الماخوذة من اسلافکم ومن الشیاطین ولی
عادتی الماخوذة من الملائکة ومن الوحی ثم یجری کل واحد منی ومنکم علی حسب عادته فالقی الملائکة والجنة ویلقون
الشیاطین والنار اذ لا وجه لاطلاق لفظ العبادة علی اعمال المشرکین الا ان یقال اطلق علیها الدین والطاعة لوقوعها
فی صحبة قوله ولی دین والمشاکلة من صنایع اهل البلاغة سورة النصر مدنیة بسم الله الرحمن الرحیم
وقیل مکیة فانه روی انه علیه السلام عاش نزولها قوله اظهاره ایاک یعنی ان نصر الله مصدر مضاف الی
ومفعوله محذوف للعلم به ای نصر الله ایاک وان المراد بنصره تعالی ایاه علیه السلام اظهاره وجعله غالبا علی
اعدائه من قریش وسایر العرب یقال ظهرت فلان اذا غلبت علیه وکذا الفتح فانه مصدر ایضا وما فیه
من حرف التعریف عوض عن الاضافة ومفعوله محذوف وهو مکة فان فتحها هو الذی یقال له فتح الفتوح والتقدیر
فتح مکة وجواب اذا وعامله هو قوله تعالی فسبح وقد اشتهر ان الجواب هو العامل فیه ای اذا جاءک النصر
والفتح وکثرت الاتباع والامر فاشتغل انت بالتسبیح والحمد والاستغفار وقیل اذا منصوب بجاء وقیل
جوابه محذوف والتقدیر اذا جاءت هذه الاشیاء فقد عظمت نعمة الله علیک وقیل حضر اجلک وعطف الفتح
علی النصر من قبیل عطف المسبب علی السبب لان النصر الالهی سبب للفتح وتقییده النصر بالاضافة الیه تعالی مع ان النصر
لا یکون الا من الله تعالی کما قال الله تعالی وما النصر الا من عند الله لتعظیم المضاف ای اذا جاءک نصر الله لا یلیق
الا بالله ولا یفعله الا هو فسبح وقیل المفعول المقدر لکل واحد من النصر والفتح لیس امرا مخصوصا هو ایاک ومکة
بل الآیة من قبیل ما حذف فیه المفعول للتعمیم والمعنی اذا جاء نصر الله لمن آمن به وفتحه دیار الکفر علیه قوله
وانما عبر عن الحصول بالمجی جواب عما یقال من ان المجی من خواص ما یصح علیه الانتقال من الجواهر والنصر والفتح
لیسا من قبیل الجواهر فکیف اسند المجی الیهما والظاهر ان یقال اذا وقع نصر الله عز وجل وتقریر الجواب انه
عبر عن حصولها بالمجی تشبیها لها بما یصح الانتقال فی حقه من حیث ان الحوادث التی قدر وجودها فی الازل
فالله سبحانه قدر لحدوث کل واحد منها اسبابا معینة واوقاتا مقدرة لا یحدث شی منها الا اذا تحقق اسبابها
وحضر اوقاتها فشبه کونها مربوطة معلقة بتلک الاسباب والاوقات بکونها متوجهة الیها بحیث یقرب منها
شیا فشیا وشبهه وقوعها عند حضور اوقاتها بمجیها الیها فاطلق اسم المجی علی ذلک الوقوع ثم اشتق منه لفظ
جاء فکان استعارة تبعیة وکلمة اذا ظرف لما یستقبل فالآیة بظاهرها تدل علی ان هذه السورة نزلت
قبل نصر الله تعالی نصرا تسبب عنه فتح مکة ودخول الناس فی دین الله افواجا ولهذا قیل انها مکیة وعده الله

وهو فيها انه سيبقيها جوعنا ثم انه تعالى بفتحها له ويدخل الناس في دين الله افواجا بنصره له واظهاره على اعدائه
وقيل كلمة اذا هنا بمجرد الوقت وان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروى انه عليه السلام
عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا
والتوجه الى دار البقاء وروى انه عليه السلام عاش بعد نزولها ستين يوما مستمرا على التسبيح والاستغفار وعن
عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان بعد نزول هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي
وقال مقاتل انه عليه السلام عاش بعد نزولها حولا واعلم ان صفات الحق تعالى منحصرة في قسمين سلبية وثبوتية
والسلوب متقدمة على الايجابات والتسبيح اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهي صفات الجلال
والتحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له تعالى وهي صفات الاكرام ولما امر الله تعالى بالاشتغال بذكره بصفاته السلبية والثبوتية
امره بعده بالاستغفار لان الاستغفار فيه رؤية قصور النفس عن كمال وجود الحق وفيه ايضا طلبها ما هو الاصلح والاكمل للنفس
من حضرة وهاب العطايا وهذا الطريق اعني النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السائرين فان لهم طريقين في سيرهم
منهم من يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله بعده ومنهم من يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله ولا شك ان النزول من المؤثر
الى الاثر اجل من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل وتكون
هذه الطريقة اشرف الطريقين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق وهو النفس قد ذكر في حق الاشتغال بالخالق
امرين التسبيح والتحميد وفي حق الاشتغال بالنفس الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق والى الخلق
قوله تعالى يدخلون في موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت الرؤية بصرية او بمعنى المعرفة وان جعلت بمعنى
العلم كان مفعولا ثانيا لها وافواجا حال من الضمير في يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة روى انه عليه السلام لما فتح
مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس لنا احد طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب
الفيل ومن كل من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقصد فتح مكة انه لما وقع صلح
الحديبية وانصرف عليه السلام اغار بعض من كان في عهد قريش على خزاعة وكانوا في عهده عليه السلام فجاء
سفير ذلك القوم واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه عليه السلام ثم قال اما ان هذا العارض ليخبرني ان
الظفر يجي من عند الله تعالى ثم قال لاصحابه انظروا فان ابا سفيان يجي ويلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة
الا جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا احد من اكابر الصحابة رضي الله عنهم ورجع الى مكة ايسا
فتجهز عليه السلام للمسير الى مكة فخرج اليها وفتحها ووقف على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده وصدق وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء
فاعتقهم ثم انهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام والسمع والطاعة ثم صار الناس يدخلون في دين الاسلام فوجا
بعد فوج كثيفة اي كثيرة قوله فتعجب اي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه عليك وهو الغلبة على اهل الحرم
فان هذه الكلمة يقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب بذلك ولا سيما المقام مقام التعجب ولعل
الوجه في ذكر هذه الكلمة عند التعجب هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب يستبعد وقوعه كانه يستقص

تقدره الله تعالى عليه ويخطر بباله ان يقول من يقدر بوحده ثم يتدارك انه في هذا الزعم مخطي فيقول سبحان الله تعالى تنزيها
لله تعالى عن العجز عن خلق مثله من الغرايب واعتقادا بانه تعالى على كل شي قدير قوله او فصل له يعني ان يكون المراد بالتسبيح
الصلاة تسمية للمحل باسم ما حل فيه لان الصلوة لا تخلو عنه فكانه جزء منها وقد عبر بلفظ التسبيح عن الصلاة في مواضع
من القرآن قال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وحمل اللفظ على المجاز
لا وجب ان يستند الى قرينة تعين المعنى المجازي ايد هذا الاحتمال بما روى انه عليه السلام صلى ثمان ركعات يوم فتح مكة
داخل البيت ثم قيل انه عليه السلام صلاها شكرا لله تعالى وقال آخرون هي صلاة الضحى وقيل اربعة للشكر واربعة
قوله او فنزهه لما روى انه عليه السلام سئل ما المراد بالتسبيح في قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيه الله تعالى من
كل سوء فانه تعالى منزه في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه الاعلى قوله او فاثن على الله تعالى اي ويجوز ان لا يكون
التسبيح بمعنى التنزيه بل يكون بمعنى الثناء عليه تعالى بصفات الجلال ويكون التحميد بمعنى الثناء عليه بصفات الاكرام
وصفات الجلال صفات دالة على عظمة الذات وكماله من غير كونها متعلقة بالمخلوق بالافضال والانعام عليهم كالعظمة
والكبرياء والملك والتقديس والعزة والجبروت والعلم والسمع والبصر ونحوها وصفات الاكرام صفات لها آثار في
الخلق كالرحمن والرحيم والغفار والرزاق والوهاب والباسط والمغني وقوله بحمد ربك حال من المنوي في فسبح اي
سبحه حامدا له اي مقدرا ان تحمده بعد التسبيح قوله هضما لنفسك اشارة الى ان الحكمة الداعية الى امر النبي المعصوم من الذنب
بالاستغفار وهضم النفس كسرها بان يعدها قاصرا عن البلوغ الى درجة الكمال في المعرفة والعبادة ويقول ما عرفناك حق
معرفتك وما عبدناك حق عبادتك ولما كانت مراتب السير الى الله تعالى غير متناهية كان كل مرتبة من مراتب العرفان فوقه مراتب
اخرى على حسب تفاوت مراتب العرفان يتفاوت مراتب العبادة المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا وصل العبد الى مرتبته
في العبودية ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله تعالى منه وهذا القدر انما يحتاج اليه
على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر لذنبك اما اذا كان معناه واستغفره لذنب امتك فالامر ظاهر قوله
كان توابا اي استغفره منذ خلق المكلفين ومن كان شانه هذا فليقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال وكونه تعالى توابا في الماضي
الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فلفظ كان في الآية يدل على ان ذلك الثبوت في الماضي فكيف يكون علة للاستغفار
في الحال او في المستقبل ووجه سقوط هذا الوهم على توجيهه ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة الكثيرة
التوابين والكثرة ما تابوا منه من الذنوب قوله ولعل ذلك اي ولعل الوجه في كون نزول هذه السورة نعت اله عليه السلام
ان كونه عليه السلام منصورا غالبا على اعدائه وحصول الفتح ودخول الناس في الدين افواجا يدل على تمام الدعوة والتبليغ
وتمامه يدل على ارتحاله عليه من هذه الرسالة وانه غير جايز لان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الليل كانه قيل
قرب الوقت ودنا الرحيل فتاهب للامر ففيه تنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يكثر التوبة والاستغفار اذا اقترب
اجله ولهذا سميت السورة سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا تمت سورة النصر بحمد الله وعونه
سورة ابو لهب بسم الله الرحمن الرحيم قوله هلكت او خسرت فان التباب يكون بمعنى الهلاك كما
في قولهم شابة او تابة اي امرها لكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ويكون بمعنى الخسران
ايضا كما في قوله وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير بدليل انه تعالى تبت لفلان كذا اي استمرت وتبت يدا ابي لهب

اى استمرتا فى الخسران والمراد بقوله تعالى يدا ابى لهب نفسه كما فى قوله تعالى يدا ابى لهب نفسه ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وما قدمت يداك اى نفسك فعلى هذا يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب دعا عليه بهلاك نفسه **قوله** وقيل انهما خصتا الخ يعنى قيل
المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما
لقصده بهما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انذره بعذاب الآخرة كانه قيل شلت يداه كيف قصد ان يرمى بهما سيد
الكونين وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الابد الى سعادة الدارين وابولهب هو ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان
شديد المعاداة له روى انه عليه السلام خرج الى سوق ذى المجاز يدعو الناس الى التوحيد ويقول يا ايها الناس قولوا
لا اله الا الله تفلحوا وابولهب خلفه يرميه بما تيسر وكان قد ادمى ساقه وعرقوبه ويقول ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه
ويروى انه اخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لا يستطيع ان يرميه وهو
قوله تعالى وتب **قوله** وقيل المراد بهما دنياه وآخرته تشبيها باليدين من حيث انه يتسبب بهما لما اصابه من الحوادث
كما يتسبب الانسان بيديه بما يكسبه **قوله** لاشتهاره بكنيته دون اسمه فان الرجل قد يكون مشهورا باحدهما دون
الآخر ولهذا جعل اللقب عطف بيان للاسم اذا اشتهر الرجل بلقبه وقد يعكس الامر اذا اشتهر باسمه ويؤيد هذا
الوجه انه قرا عليه السلام تبت يدا ابولهب بالواو مع ان القياس ان يقرا ابى لهب بالياء لكونه مضافا اليه
ووجه التاييد ان الشخص كان مشهورا بهذه الكنية ومسمى ابولهب بالواو وصار بمنزلة اسم العلم فلم تتغير
فى شىء من الاحوال لان الاعلام لا تتغير بخلاف المضاف فى التركيب الاضافى فان اعرابه يتغير على حسب اختلاف
العوامل فيقال هذا ابولهب ورايت ابا لهب كما يقال على بن ابى طالب ومعاوية بن ابى سفيان بالواو فيهما لان كل
واحد من الكنيتين لما كان بمنزلة العلم لم يتغير شيئا لئلا يشكل فيها المراد على السامع **قوله** ولانه لما كان من اصحاب النار
كانت الكنية اوفق بحاله فان مرجعه لما كان نارا ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بابى لهب كما يقال
ابو الشر وابو الخير **قوله** وتب اخبار بعد دعاء يعنى ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره والمقصود
بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شان العاجز وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والجملة
الثانية اخبار عن تحقق المدعو ووقوع المطلوب على نهج قول الشاعر وقد فعل على سبيل التفاؤل والعاديات فى البيت
يروى فى البيت بالواو من عوى الكلب يعوى اذا صاح وبالدال من عدا فى السير اى اسرع فلعل المراد بها الكلاب الكلبة
وهى التى ياخذها شبه الجنون يسرى فى مرضه الى من يعضه ووجه قراءة وقد تب على كون الجملة الثانية اخبارا بعد
دعاء ان قد لا يدخل على الدعاء وانما تدخل على جملة خبرية مضمونها متوقع الحصول مثل قد خرج الامير لمن ينتظر خروجه فهذه
دلت على ان ما بعدها ليس بدعاء كما قبلها **قوله** او الاول اخبار عما كسبت يداه اى اخبار بهلاك عمله وانه محروم مما يترتب
عليه من المنافع والثانى اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضائع فى الدنيا والآخرة وانما اعتبر عمله باليدين لان اكثر
الاعمال انما تحصل بمباشرة اليدين **قوله** نفى لاغناء المال عنه اى ويجوز ان يكون كلمة ما حرف نفى لا محل لها من الاعراب
فعلى هذا يكون مفعول اغنى محذوف اى لم يغن عنه ماله شيا وهو استيناف جوابا عما كان يقال اللعين ان كان ما يقوله
ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى الانكار فيكون فى موضع النصب ما اغنى
اى اى شىء اغنى عنه ماله حين نزل به التباب والعذاب **قوله** وكسبه على ان كلمة ما فى قوله وما كسب مصدرية وقوله او مكسوبه

على ان تكون

والموصوف وكذا الموصوف عبارة عن ... فرعها به والكسب ايضا بمعنى المكسوب

على ان تكون ما موصولة او موصوفة اى والذى كسبه او شىء كسبه ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله راس المال اى من اى نوع
كان او بمكسوبه ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح ويحتمل ان يكون بماله ما له فيه من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه
من الاعمال والاولاد والوجاهة والاتباع روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ما كسب ولده وقد ورد فى الحديث تسمية
الولد كسبا حيث قال عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه **قوله** وقد افترسه اسد اى اهلكه
وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه لشدة عداوته اياه عليه السلام روى عن عروة بن الزبير ان عتبة
بن ابى لهب كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد ان يسافر الى الشام قال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد
انى كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم تفل على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اى اشتد حزنه لاجل تلك الدعوة حتى امسك عن
الكلام لاجل حزنه وقال ما اغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره بما وقع ثم سافر الى الشام فنزلوا
منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه الارض مسبعة فقال ابولهب لاصحابه اغيثونا يا معاشر قريش هذه الليلة
فانى اخاف على ابنى من دعوة محمد فجمعوا اجمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فسلط الله تعالى الاسد والقى السكينة
على الابل فجعل الاسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت رضى الله عنه، من يرجع
العام الى اهله، فما اكيل السبع بالراجع، قد كان لكم هذه عبرة للسيد المتبوع والتابع، فعلى هذا الرواية احتمل ان
يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب اخبارا عن اهلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة
متقدما على هلاكهما لا ينافيه كون الاخبار بلفظ الماضى لان وروده بلفظ الماضى مبنى على انه محقق الوقوع فى علمه تعالى **قوله** ومات
ابولهب بالعدسة وهى بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت وروى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت
غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم
اسلامه وكان ابولهب تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا آخر فلما
جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا فى انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها فى حجرة زمزم فكنت جالسا
وعندى ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل ابولهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة فكان ظهرى الى ظهره
فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابولهب كيف الخبر يا ابن اخى فقال لقينا اليوم
ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا وايم الله مع ذلك قالت الناس لقينا رجالا بيضا بلق بين السماء والارض قال
ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فاخذنى وضربنى على الارض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا
ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على راسه شجته وقالت تستضعفه ان غاب سيده والله نحن مؤمنون
منذ كنا وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتلته
ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلثا فلم يدفناه حتى انتن فى بيته وكان القريش تتقى العدسة وعدواها كما تتقى الناس
الطاعون ويقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه هذا معنى قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب والله اعلم فهو من جملة
معجزاته عليه السلام حيث اخبر عن الغيب طابقه وقوعه لان السورة مكية وكان هلاكه بعد الهجرة بزمان **قوله** وليس فيها
ما يدل على انه لا يؤمن حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لا يطاق بناء على انه لا اشكال ان ابا لهب كلف بان يؤمن بجميع ما جاء به

عليه السلام من عند الله تعالى ومن جملة ما جاء به هذا التكليف بالجمع بين النقيضين مما لا يطاق فالآية دليل على وقوع
التكليف به مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فانه يدل على عدم
وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء للتعجيز لا للتكليف وقوله تعالى حكاية
عن المؤمنين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ليس المراد بالتحميل التكليف بما لا طاقة لهم به بل ايصال ما لا يطاق به من العوارض
واذ قد تبين ان التكليف بما لا يطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا في الجواز فمنعه الحنفية والغزالي
من الشافعية والمعتزلة وجوزه الاشعري ومن تابعه والمراد بما لا يطاق اعم مما يكون ممتنعا في نفسه كالجمع بين
الضدين او ممكنا في نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع بناء على انه تعالى علم خلافه واراد خلافه
كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في جواز التكليف به ووقوعه لكونه مقدورا للمكلف في نفسه قوله عطفا على
المستكن في سيصلى وصفته وام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان عمة معاوية كانت شديدة العداوة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قرأ عاصم حمالة بالنصب على الشتم والذم وقد اتى بجميل من سب ام جميل وقرأ الباقون بالرفع اما على ان قوله
وامرأته حمالة الحطب جملة اسمية سيقت للاخبار عنها بذلك واما على ان وامرأته عطف على المستكن في سيصلى وحمالة صفة لامرأته
وجاز ذلك لكون اضافتها معنوية لكونها بمعنى الماضي او بدل او عطف بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي حمالة او مبتدأ خبره
في جيدها قوله يعني حطب جهنم جواب عما يقال انها كانت من بيت العزة اخت ابي سفيان فكيف يصح لها ان تكون حمالة الحطب
واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من الآثام والاوزار بسبب معاداتها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وترغيبها زوجها عن ايذائه عليه السلام استعير الحطب لتلك الآثام تشبيها لها بالحطب في ان
كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها توقدها نار جهنم كما ان الحطب توقد به نار الدنيا والثاني ان الحطب مستعار للنميمة
فانه توقد بها نار الفتنة والخصومة كما ان الحطب توقد به النار فان النمام يعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر وعلى التقديرين
يكون قوله في جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما اقترن بها ما يلائم المستعار منه وهو هاهنا
الحطب الحقيقي ويلائمه ان يلقى حامله الحبل على جيده بان يجعل حزمه ويحمله بالحبل على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان
الحطب على حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة بيتها حتى يقال انها من بيت الشرف والسعة فكيف يحتطب بنفسها بل المراد انها لشدة
عداوتها الرسول صلى الله عليه وسلم تحمل بنفسها حزمة من الشوك والحسك والحطب السعدان فتنثرها بالليل في طريقه صلى الله عليه وسلم
ليتأذى به عند خروجه للصلاة فكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير قيل كانت ام جميل تاتي كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها
في طريق المسلمين فبينما حاملة حزمة حطب ذات ليلة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها
بان خنقها بذلك الحبل فقوله تعالى في جيدها حبل من مسد تصوير لها بصورة الحالة التي تحتطب لنفسها تحقيرا لشانها
لان الحطب لما حمل على الحقيقة لم يكن في الكلام استعارة حتى يكون قوله في جيدها ترشيحا لها قوله او بيانا لحالها عطف على قوله
تحقيرا لشانها اي ويجوز ان يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطابة بيان ان حالها في نار جهنم يكون على نحو ما كانت
عليه في الدنيا جزاء وفاقا بعملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم ونحوه وفي جيدها سلسلة من
النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة قوله والظرف وهو قوله في جيدها في موضع الحال من قوله وامرأته وقد مر انه مستكن
في سيصلى فيكون في معنى الفاعل وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال وقوله او الخبر اي وهو في موضع الخبر لقوله وامرأته

على ان يكون

على ان يكون مرفوعا بالابتداء وحبل فاعل بالظرف ايضا لاعتماده على المبتدأ روي عن اسماء رضي الله عنها انها قالت لما
نزلت سورة تبت يدا ابي لهب جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
ومعه ابو بكر رضي الله عنه وهي تقول مذمما قلينا ودينه ابينا وحكمه عصينا فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
اقبلت اليك وانا اخاف ان تراك فقال عليه السلام انها لن تراني وقرأ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون حجابا مستورا فلما انتهت الى ابي بكر رضي الله عنه قالت له قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب
الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها وانما حلف ابو بكر بانه عليه السلام ما هجاك بناء
على انه من باب المعاريض لان القرآن لا يسمى هجوا ولانه كلام الله تعالى لا كلام الرسول ففيها دليل على جواز المعاريض

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم قوله الضمير للشان او لما سئل عنه يعني ان ضمير هو
فيه وجهان الاول ان ضمير الشان لانه في موضع التفخيم وتفسير الشيء بعد ذكره مبهما يفيده ذلك فيكون مبتدأ والجملة
الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثاني انه عائد
الى المسئول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول هذه السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر
بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك
فان كنت فقيرا اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال عليه السلام لست بفقير
ولا بمجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادة الله فارسلوه ثانيا وقالوا بين
جنس معبودك امن ذهب او فضة فانزل الله تعالى هذه السورة فقالوا له ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا
فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد قوله او بدل او خبر ثان يعني ان هو
اذا لم يكن ضمير الشان بل كان ضمير ما سئل عنه وكان لفظ الجلالة خبره يحتمل ان يكون لفظة احد بدلا من الخبر وان يكون
خبرا ثانيا والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا تكون بدلا من المعرفة لئلا يكون ما هو انقص من الدلالة
على الذات المرادة مقصودا بالنسبة وما هو اتم فيها توطئة لذكره واحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ
الجلالة مخالف لهذه القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان ابا علي جوز ابدال النكرة الغير
الموصوفة من المعرفة جوز المص ابدال احد من لفظ الجلالة بناء على مذهب من جوز ذلك قوله يدل على مجامع صفات الجلال
مجامع بفتح الميم الاولى جمع مجموعة انثت لتانيث ما هي عبارة عنه وهو صفات الجلال اي الصفات السلبية وسميت
صفات الجلال لكونها من الفضائل اللازمة قوله اذ الواحد اشارة الى ان الاحد بمعنى الواحد وان اصله وحد قلبت
همزته واوا للتخفيف واكثر ما يفعلون هذا في الواو المضمومة والمكسورة الواقعتين اول الكلمة في اجوه والشاح في
وجوه ووشاح وقيل بينهما فرق بان الاحدية عبارة عن تفرد الذات وعدم تركبها بشيء من الجائز التركيب تركيبا
خارجيا ولا عقليا والواحدية عبارة عن انتفاء المشاركة في الصفات وكون لفظة دالة على جميع صفات الكمال ظاهر لانه اسم
جميع الذات الواجب بجميع الصفات الذاتية والعقلية وجميع الفضائل الذاتية والفواضل المتعدية واما كون احد دالا على صفات
الجلال فلان احدية الشيء عبارة عن كونه واحدا حقيقيا لا تعدد فيه لا في ذاته ولا في صفاته وافعاله ومعنى كونه واحدا في
ذاته ان لا يكون منقسما الى ابعاض واجزاء خارجية ولا عقلية والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا في الخارج لكان

مفتقر الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فى نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع كونه ممكنا فى نفسه ولو كان مركبا فى العقل لكان مشاركا لغيره فى ماهية ذلك الغير فيحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم الامكان الواجب ايضا لان كل ماهية لما سواه يقتضى الامكان فلو كانت الماهية ماهية للواجب لزم امكانه ومعنى كونه واحدا فى صفاته ان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وليس له تعالى نظير يضاهيه فى شئ من صفاته اذ لو كان له نظير كذلك لاشتركا فى ذلك الوصف ولتميز الواجب عنه بحسب اليقين العارض له ولو كان كذلك لكان مركبا مما به المشاركة والممايزة وقد مر ان التركيب يستلزم الامكان وينافى الوجوب الذاتى فوجب كونه تعالى واحدا فى صفاته ومعنى كونه واحدا فى افعاله ان لا يكون له شريك فى افعاله فلا يخلو اما ان يحتاج اليه فى فاعليته او كان كل واحد منهما مستقلا فى الفاعلية والتاثير والاول يستلزم الامكان والثانى يبطله برهان التمانع فقد ثبت ان الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن التركيب الخارجى والعقلى وعن التعدد ايضا بان يكون له من يشاركه فى صفاته وافعاله وذلك يستلزم ان لا يكون جسما لان الجسمية يستلزم التركيب الخارجى فان كل متحيز يمينه مغاير لشماله فيكون منقسما وان لا يشاركه احد فى نفس حقيقته ولا فى خواص تلك الحقيقة لان المشاركة فى شئ منها اى فى الحقيقة الواجبية او خواصها المقتضية الالوهية تستلزم كونه تعالى مميزا عما يشاركه بحسب اليقين العارض الماهية وذلك يستلزم كونه تعالى مركبا مما به المشاركة وما به الامتياز وقد مر ان التركيب مناف للوجوب الذاتى فثبت ان الاحدية دالة على جميع صفات الجلال كما ان لفظ الله دال على جميع صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد صحيح وحاز لفظه اخر بيان واكمل تعريف له بالنسبة الى البشر اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذى فى وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وبهذا الاخبار كافل لمعرفته تعالى بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قوله الى ولعل ذلك اى ولعل وجه الفرق بين السور الثلاث بان وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بكلمة قل وعلى عدم التصدير لها فى الاخرى وجواز القراءة بها وبدونها فى الثالثة ان سورة الكافرين مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفته لقومه فى امر العبادة بان ينفرد كل واحد منها بعبادة معبود غير معبود الآخر ومن المعلوم ان المشاقة لا تناسب ان تقع منه عليه السلام من عند نفسه من غير ان يكون مامورا بها من قبله تعالى لانه عليه السلام ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه وطاعته فى جميع ما جاء به من عند الله تعالى فكيف يليق به ان يقول لقومه من عند نفسه لا يجمعنا دين واحد ولا نتفق على عبادة معبود بل لكل واحد منى ومنكم معبود على حدة او ان تواعد دعهم وتركهم وما يدينون ولانه كيف يليق بالممكن ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا يؤمن ابدا ولا يعبد الله لحظة وانما يتاتى له ذلك اذا ابنى الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك وان سورة تبت معاتبة عمه عليه السلام ومن المعلوم ايضا ان معاتبة العم ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لا يناسب ان يقع منه عليه السلام لا من عند نفسه ولا بان يكون مامورا بها من قبله تعالى لان للعم حرمة كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه سيان من اصل واحد كما قال عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وكل من كان فى منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب ان يكون معاملته مع اعمامه باللطف واليه كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا وقال لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجب مراعاة النبية مع عامة القوم فكيف بالعم الذى هو كالاب فى استحقاق التعظيم والتكريم لا سيما ممن هو على خلق عظيم

ومبعوث

ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا لم يصدر سورة تبت يدا بكلمة قل صونا له عليه السلام من ان يشافه عمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه الخبيث بقوله تبا لك الهذا دعوتنا فكانه يقول اسكت انت وتخلق بما نزل عليك من قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اجيبه عنك واشتمه فانزل الله تعالى تبت يدا ابى لهب تنبيها على ان من لم يشافه السفيه كان الله تعالى دافعا عنه وناصرا له ومعينا فقد روى ان ابا بكر رضى الله عنه كان اذا آذاه احد يبقى ساكتا ولم يكافيه بسوء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر فى الجواب سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر ما السبب فى ذلك قال لانك ما دمت ساكتا فالملك يجيب عنك فلما شرعت فى الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان واما سورة الاخلاص فانها توصيف له تعالى بالوحدة والصمدية وتنزيه له تعالى عن الاولاد والاكفاء فصح ان يصدر عنه عليه السلام من تلقاء نفسه وان يؤمر بان يدعو اليه فجاز لذلك كونها مصدرة بقل وكونها غير مصدرة به وهذا ما فهمته من قول المصنف ولعل ذلك الى آخره الا انه محل التامل لان قوله وتب معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه يدل من انه عليه السلام لا مدخل له فى هذا الكلام على تقدير عدم تصدير السورة بقل سوى كونه قائلا لكلام الله المنزل اليه وقوله يقوى به يدل من انه عليه السلام يتكلم به من قبل نفسه على تقدير عدم تصديرها بقل فبينهما تدافع ولان تعليل وجوب تصدير احدى السورتين بقل وعدم جواز التصدير به فى الاخرى بقوله فلا يناسب ان يكون منه تعليل للحكمين المختلفين بعلة واحدة بحسب الظاهر وقوله ومواعدتهم معطوف على المشاقة بالواو وفيهما من النسخ والظاهر ان يعطف عليها بكلمة او ويكون المعنى لان السورة من اولها الى آخرها اما مشاقة معهم بان قوله تعالى لكم دينكم ولى دين فلذلك سيق وتقريرا له وتكون اللام فى قوله تعالى لكم ولى متعلقة بالثبات والدوام المقدر كما اختاره المص واما ان آخر السورة مواعدتهم ومتاركتهم وان ما قبله تمهيد لها كما اشار اليه بقوله اللهم اذا حمل على المتاركة وعلى التقديرين لا يناسب ان يكون منه عليه السلام وعطفه بالواو يشعر ان تكون السورة مشاقة ومواعدة ووجه اخر فى تفسيرها والجمهور كسروا تنوين احد الله الصمد حال الوصل لالتقاء الساكنين للتنوين ولام التعريف وعن ابن عمر انه قرأ احد الله بضم الدال من غير التنوين بناء على ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين فى انها من حروف الزيادة فلما شابهتها حذفت عند اتصالها بالساكن كما يحذف حرف اللين عنده فى نحو يغزو القوم ويرمى القوم ولهذا الوجه ايضا حذفت النون الساكنة فى الفعل المجزوم فقيل فلم يك ينفعهم ايمانهم ولا تك فى مرية وعن ابى عمرو ايضا احد الله الصمد باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته فى السنتهم وفرارا عن نقل الحركة والتنوين وقال ادركت القراء تقرؤها كذلك وصلا على السكون قوله السيد المصمود اليه على ان الصمد فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمده اذا قصده وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزل الله الصمد قالوا وما الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمد الذى يصمد الناس اليه فى الحوائج اى يقصد والصمد بالسكون القصد ولا شك ان من لم يقصد اليه فى جميع المهمات ويرجع اليه جميع الحاجات يكون مستغنيا عن كل ما عداه وكاملا فى جميع صفاته وافعاله فهو فى غاية السيادة ونهاية رفعة الشان وعلو القدر قوله وهو الموصوف به على الاطلاق قال حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده ومن جعله الله تعالى مقصد العباد فى مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذى يقصد اليه فى جميع الحوائج والله تعالى

جل جلاله قوله وتعريفه بصمديته فان العرب بل اكثر الخلق تعرف انه تعالى هو الذى يقصد اليه فى الحوايج وان جميع ماسواه
مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد معرفا بخلاف احديته
فانه لا يخطر ببال اكثر الخلق ان فى الوجود ذات لا تركيب ولا انقسام فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا فى صفاته بان
لا يكون له نظير وشبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وواحدا فى افعاله بان لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات
غير المحسوسات وكل لذلك قوله للاشعار وجه الاشعار قوله تعالى الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فتدل على اختصاص
الصمدية فيمن اتصف بالالوهية وعدم تحققها فيمن سواه وكونها من توابع الالوهية تشعر بان من لا يكون صمدا لا يستحق
ان يكون الها لان انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع وهذا الاشعار يكون بتكرير اسم الله تعالى وجعل الصمد خبرا عنه اذ لو قيل
هو الله احد الصمد من غير تكرير اسم الله لكان بمعنى ان الشان الله احد الصمد وان المسئول عنه هو الله وما بعده بدل
من الجلالة او خبر ثان وعلى تقدير ان يكون الكلام حالا عن الاشعار المذكور واذا كرر مع عدم الاحتياج اليه لا بد ان يكون
ذكره لنكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة فحمل عليه قوله لانه كالنتيجة الاولى او الدليل عليها وجه كون الجملة
الثانية كالنتيجة الاولى ان من كان واحدا حقيقيا منزها عن اتحاد التركيب والتعدد فى ذاته وصفاته وافعاله يكون
مبدا للكائنات باسرها فاعلا لها ومدبرا فلا جرم لا يصمد فى الحوايج الا اليه فظهر ان كونه تعالى صمدا نتيجة متفرعة
على احديته ووجه كونها كالدليل على الاولى ان من كان صمدا وملجا لارباب الحاجات لا بد وان يكون فى اعلى درجات الكمال
منزها عن جميع وجوه النقصان قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك يستلزم الاحدية قوله لانه لم يجانس
حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتولد منهما من يجانسهما والجماد وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه وان القوة المولدة
تكون وسيلة الى توليد المماثل والمجانس ولا يكون وسيلة الى توليد المباين ونفى المجانسة يستلزم نفى المماثلة لان انتفاء
العام يستلزم انتفاء الخاص علل المص نفى كونه تعالى ولدا بعلتين الاولى ان الولد لا بد ان يكون من جنس والده بصاحبة
من يجانسه ولا مجانسة فلا ولادة والثانية ان الولادة مبنية على الاحتياج الى ما ينصبه فى حياته او يخلفه عنه بعد
وفاته ولا احتياج ولا فناء ولا ولادة يتفرع عليهما فكلمة او فى قوله او يخلف بعد وفاته لتقسيم احوال الولد وقدم
نفى كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ويدعوا ان الولد له والد فان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فبدا بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا
لقوله لم يلد ولانه لما وقع الاتفاق على انه تعالى لم يكن ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضى
وعدم التعرض بانه لا يلد فى المستقبل بنى على ان المقصود من الآية تكذيبهم فى قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله وان
المسيح ابن الله وكذا عزير ومرجع الجميع انه تعالى ولد فى الزمان الماضى ولو كان المقصود بيان زعمهم انه لا يلد فى شئ
من الازمنة الثلاثة لما صح الاقتصار على لفظ الماضى قوله وذلك اى وبيان وجه كونه تعالى منزها عن كونه مولودا الغيره
ان المولودية تقتضى النقصان من وجهين الاول كونه معلولا لوالديه والثانى كونه حادثا مسبوقا بالعدم تعالى شانه عن
كل واحد من الامرين قوله اى ولم يكن احد يكافيه اى يماثله اشارة الى ان احدا اسم يكن وكفوا خبره وله متعلق بكفوا
لما فيه من الفعل وهو المماثلة والكفو المثل والشبيه والمعنى لم يكن احد كفوا له اى مثلا له ولما ورد على هذا التوجيه ان
يقال على تقدير ان يكون قوله ظرفا لغوا متعلقا بكفوا كان من حقه ان يؤخر عن اسم كان وخبره لان الظرف اللغو فضلة يتم الكلام
بدونه والاصل فى الكلام الفصيح ان يؤخر طرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله مقصودان بالنسبة وتقديم المقصود اولى

واضح فيكون تقديم اللغو قبيحا مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل فكيف تعمله فى الآية مع انه ظرف لغو تم الكلام بدونه باسم
كان وخبره اشارة الى جوابه فقال وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة اى لغو وفضلة لا يفتقر اليه الكلام فى تمامه والظرف
المستقر يفتقر تمام الكلام اليه لكونه خبرا فيه كما فى قولك لم يكن فيها احد خير منك فان الظرف فيه مستقر يفتقر تمام الكلام اليه
لكونه خبرا فيه وتقرير الجواب ان الظرف اللغو وان كان الاصل فيه ان يؤخر الا ان هذا الاصل قد يترك اذا عرض للظرف اللغو
ما يجعله مهما بالنسبة الى عامله فيقدم عليه لكونه اهم بالنسبة اليه كما تقدم المفعول على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما بالنسبة
الى الفاعل والمقصود فى الآية لما نفى ان يكون احد كفوا الشئ سلط القابل المقصود نفى كونه كفوا بالتقديم واحرى قوله ويجوز ان
يكون حالا عطف من حيث المعنى على قوله اى ولم يكن احد يكافيه فانه يفهم منه ان له ظرف لغو متعلق بكفوا اى ويجوز ان لا يكون
الظرف لغوا بان يكون حالا من المستكن فى كفوا على انه صفة له فى الاصل فلما قدم عليه انتصب حالا فاحد اسم يكن وكفوا خبره
وله حال او بان يكون الظرف خبرا ويكون كفوا منصوبا على انه حال من احد لانه كان صفة له فى الاصل فلما قدم عليه انتصب حالا
قال ابو البقا قوله احد اسم كان وفى خبرها وجهان احدهما ان الخبر كفوا فعلى هذا يجوز ان يكون له حالا من كفوا لان التقدير ولم
يكن احد كفوا له وان يتعلق بيكن والوجه الثانى ان يكون الخبر له وكفوا حالا من احد اى ولم يكن له احد كفوا فلما قدم على النكرة
انتصب حالا منها قوله ولعل ربط الجمل كانه جواب عما يتوهم من ان الجمل الثلاث فى الآية من قولك زيد شاعر وعمرو طويل فان عطف
الجملة الثانية على الجملة الاولى فيه لا يصح مطلقا اى سواء كان بين زيد وعمرو مناسبة كالاخوة والصداقة ونحوهما او لم يكن
لعدم المناسبة بين المسندين اعنى الشعر وطول القامة فينبغى ان لا يصح ربط الجمل الثلث فى الآية بالعطف لعدم المناسبة بين ما وقع
مسندا فيها وهى الوالدية والمولودية والكفاءة فانها امور متباينة وتقرير الجواب مع انتفاء المناسبة بينها فانها امور متناسبة
من حيث انكل واحد منها قسم من اقسام المثل فان المقصود من قوله لم يلد ان ينفى عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو
الولد ومن قوله لم يولد ان ينفى عنه تعالى القسم الآخر منها وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوا احد ان ينفى عنه باقى اقسامه
كالصاحبة والشركاء ونحوها فتحقق الجامع بين تلك الجمل الثلاث باعتبار اتحاد المسند اليه وتناسب المسند عطف بعضها على بعض لذلك
قوله قرا حمزة ونافع فى رواية كفوا بالتخفيف اى بسكون الفاء مهموزا وقرا حفص كفوا بضم الكاف والفاء غير مهموز وقرا الباقون بضمتين
مهموزا وفى تفسير القراة قرا حفص بضم الكاف وفتح الفاء منونة من غير وحمزة باسكان الفاء مع الهمزة منونة فى الاصل فاذا
وقف ابدل الهمزة واوا مفتوحة اتباعا للخط والباقون بضم الفاء مع الهمزة منونة وقد تقرر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم
فانه يجوز فى عينه الضم والاسكان الا فى ولكنا وجعلوا له من عباده جزءا قوله فان مقاصده محصورة فى ثلث وهذه السورة الكريمة
كافلة بواحد منها وهو بيان العقائد فلما كان كافلة بثلث مقاصد القرآن كانت معادلة لثلثه روى عن سهل ابن سعد جاء رجل الى
النبى صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرا قل هو الله
احد مرة واحدة ففعل ذلك فادر الله تعالى عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وروى انه عليه السلام دخل المسجد فسمع رجلا
يدعو ويقول اسئلك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد غفرت لك غفرت لك غفرت لك ثلث مرات فقال
عليه السلام غفر له غفر له غفر له ثلث مرات **سورة الفلق مكية وقيل مدنية** بسم الله الرحمن الرحيم
وكذلك الاختلاف فى سورة الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشئ فلقا فانفلق وتفلق اى شققته فانشق وتشقق والفرق

والتمييز والتبيين قال الله تعالى وقرآنا فرقناه اي بيناه والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل واحد منهما فرقة
متميزة عن الاخرى والمصنف حكم بان كل من لفظي الفلق والفرق بفتح العين فيهما فعل بمعنى مفعول اي بمعنى المفروق عنه والمفلوق عنه وذلك
انما يكون بان يكون الشئ مستورا محجوبا فينشق الحجاب الساتر عن وجه ذلك الشئ المستور فيظهر ذلك المستور وينكشف بانشقاق ما ستره
من الحجاب وزواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بانشقاقه مفلوق عنه والظاهر ان يبقى الفلق المفلوق عنه على عمومه
فيتناول كل ما يفعله الله تعالى من الممكنات وان شاع تفسيره بالصبح يقال انفلق وانفرق الصبح يقال للشئ الجلي انه ابين
من فلق الصبح ومن فرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق عنه فان الممكنات باسرها اعيان ثابتة في علم الله تعالى مستورة
تحت ظلمة العدم فان ظلمة العدم غير متناهية لعدم تناهي المعدومات الممكنة وساترة لجميع الممكنات والله تعالى فالق تلك
الظلمات بنور التكوين والايجاد ومظهر ما في علمه من المكنونات فكانت باسرها مفلوقا عنها كالصبح صار مفلوقا عنه بفلق ظلمة
الليل عنه فظهر ان مفهوم المفلوق عنه يعم جميع الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فان اظهر واولى فيما يخرج من اصل لغيره كما
من الارض والامطار من السحاب والنبات من الحب والنوى والارض والاولاد من الارحام فان معنى المفلوق عنه اظهر فيها
بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع قوله ويخص عرفا بالصبح فيستره تارة وينفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة اصل بنشأتها هو النهار عند طلوع الشمس فيصير كزنجي
لبس شيئا باشفاقا ونسلخ عنها عند غروبها ويؤيده تقديم الظلمات على النور في قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل
ايضا ولا ضير ان يكون لكل وجهة قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضي
تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق بجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى
على الاول قل يا محمد اعوذ واعتصم برب جميع الممكنات البارزة من تحت ظلمة العدم ولا يخفى ان الصبح من جملة الامور الداخلة في
هذا المقام فيكون التعظيم في حمل الفلق على جميع الممكنات اتم واعظم فما وجه تخصيصه بالصبح وتقرير الجواب ان التعميم وان
كان فيه مناسبة للمقام الا ان التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه آخر من حيث ان مقصود العائذ من الاستعاذة
ان يتغير حاله بان يخرج من حال الضيق والخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص عن وحشة الهم والحزن بنيل الفرح
والسرور وتخصيص الصبح ادل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق انوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة
الليل وثقله بسرور الصبح وخفته فان الليل اثقل يكون الانسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع القصاب عليه اللحم
فاذا طلع الصبح يتبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا تجد المريض خفة في وقت السحر روي ان يوسف عليه السلام لما القي في الجب وجعته
ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه السلام باذن الله تعالى يسليه ويامره بان يدعو
ربه فقال يا جبريل ادع انت وآمن انا فدعا جبريل وامن يوسف عليه السلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت
يوسف قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وانت تؤمن فسأل الله ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض
الا ويجد نوع خفة في آخر الليل روي انه دعاه في الجب كان هذا يا عدتي في شدتي ويا مونسي في وحشتي ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي
ويا مجيب دعوتي ويا الهي واله آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ارحم صغري وضعف ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام في
وقت السحر اضاحكات لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة حيث ان الخلق في الليل كالاموات ودورهم كالقبور ثم منهم

من نجح من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فيتقدم اليه المركب ويقوم
الناس بين يديه فكذا الحال يوم القيامة بعضهم مفلس على الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه حقوق الله تعالى وحقوق
عباده ما لا يطاق تحمله فيجر الى الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه في الدنيا فكان ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق
ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغيير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة وكان تخصيص
الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من يقدر على التغييرات المدلول عليها بالصبح يقدر ايضا على ان يدفع عن العائذ
كلما يخافه ويحترز منه قوله ولفظ الرب ههنا اوقع اي اليق وانسب وقوعا يقال السبب في انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند
افتتاح قراءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال هنا قل اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب ولم يقل قل
اعوذ باسم الله مع ان اسم الله اشرف الاسماء واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه في هذه السورة الكريمة هو الشر المضاف
الى عالم الخلق وهو المطلع المحسوسات والاجسام والجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق
هو التقدير المقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية والاعادة من المضار البدنية مترتبة فناسب ذلك
ان يعبر عمن يفيد عن تلك المضار باسم الرب فكانه امر بان يقول يا رب كما ربيتني من اول زمان تكويني الى هذا الوقت
بانواع التربية فادم تلك التربية بان تحفظني فيما بقي من عمري ولا تقطعها عني بالتقصير في شكر نعمك وكلمة ما في قوله
تعالى من شر ما خلق يجوز ان تكون موصولة وعائدها محذوف اي من شر الذي خلقه مما يكون له شر وضرر وان تكون
مصدرية اي من شر خلقه بمعنى مخلوقه على ان يكون المصدر بمعنى المفعول قوله وشره اختياري الخ قسم الشرور المضافة الى عالم
الخلق الى الاختياري والطبيعي وقسم الاختياري الى اللازم والمتعدي الى ما لا يتعدى اثره الى غير فاعله بل يلزمه كالكفر والآثام اللازمة
والى ما يتعدى اثره الى فاعله كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها والكلاب ولدغ
الحيات والعقارب قوله ليل عظيم ظلامه يعني الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل كانه لشدة ظلامه ونكاثفه
ظرف امتلاء ظلمة قال ابن عباس رضي الله عنهما الغاسق الليل اذا اقبلت ظلمته واجتمعت وتكاثفت من قولهم غسقت العين اذا امتلأت
دمعا وغسق الجرح اذا امتلأ قيحا واسند الشر الى الليل الغاسق وان لم يكن من فعله لملابسته له واشتماله عليه من
حيث وقوعه فيه قوله وقيل السيلان عطف على قوله الامتلاء يقال غسق الجرح غسقا اي سال منه الصديد وسمي الليل
غاسقا لانصباب ظلامه على الارض قوله وتخصيصه جواب عما يقال قوله تعالى من شر ما خلق يتناول جميع الشرور المتعلقة
بعالم الخلق سواء كانت طبيعية او اختيارية وشر الليل الغاسق مندرج فيه فما معنى تخصيصه بالذكر والاستعاذة
منه بخصوصه وتقرير الجواب ان تخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما ذكر قبله للاشارة الى تفخيم شره لكثرة وقوعه منه
وعسر دفعه اما كثرته فلان السباع تخرج في الليل من آجامها والهوام من مساكنها وكذا السراق وسائر مترصدي
الفرصة يخرجون فيه لقصد الاضرار وعن عكرمة ان عفاريت الجن ترسل في تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع فيه
من الشر فلان ظلمة الليل ستر القاصد بالسوء فيظفر بمن قصده على غرة وغفلة فلا يتمكن من دفعه بنفسه ولا بالاستغاثة
بغيره لان الغوث يقل فيه ولذلك يقال الليل اخفى للويل بمعنى انه استر لما يؤدي الى الويل والهلاك فيعسر الاضرار فيه بما
يؤدي عنه قوله وقيل المراد به اي بالغاسق اذا وقب هو القمر سمي به لانه يكسف فيغسق اي يذهب ضوءه ويسود ووقوبه
دخوله في الكسوف واسوداده ودليله ما روي انه عليه السلام اخذ بيد عائشة رضي الله عنها فاشار الى القمر وقال

استعيذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندي فيه انه في تسميته القمر غاسقا وجه آخر وهو
انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو الحاقه وانمحاق نوره في
آخر الشهر والمنجمون يقولون انه في آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه لا يزال ينقص نوره ويزداد بسبب ذلك نحوسته
ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر الذي يورث التمريض الا في ذلك الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها نزلت
لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم لاجل التمريض واذا في قوله تعالى اذا وقب منصوب باعوذ اي اعوذ بالله من كذا في
وقت كذا والنفث النفخ مع ريق وقيل انه النفخ فقط اي بلا ريق ومنه قوله عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي ان
نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها الجوهري النفث شبيه بالبزق وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفث قوله
وتخصيصه اي تخصيص النفث بالذكر والاستعاذة من شره بخصوصه مع اندراجه تحت شر ما خلق وقد استعيذ منه
مطلقا فلم يبق حاجة الى الاستعاذة من شره بخصوصه الا انه خفي بالفكر لما ان السورة نزلت للاستعاذة من شر السواحر
النفاثات فاقتضت الحكمة ان تذكر النفاثات بخصوصهن ويستعاذ من شرهن لتكمل آيات السورتين احدى عشرة آية بعد
العقد التي عقدها لبيد بن اعصم اليهودي روي ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فاقرت اليهود منه فلم يزالوا
به حتى اخذ لهم مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه اعطاها لليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى
ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بير لبني زريق يقال لها ذروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر راسه
واستمر عليه ذلك ثلاث ليال فجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر
عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه ما للرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم
اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بير ذروان والجف قشر الطلع
وقشره والراعوفة حجر في اسفل البير يترك هناك اذا احتفرت البير ليجلس عليه من ينقي البير عند الاحتياج الى تنقيتها فانتبه
النبي صلى الله عليه وسلم مذعورا يا عايشة اما شعرت ان الله تعالى اخبرني بدائي ثم بعث عليه السلام الزبير وعمار بن ياسر
فنزحوا ماء تلك البير كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فاخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه عليه السلام واسنان من مشطه
واذا وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابرة فانزل الله تعالى هاتين السورتين فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
حل عقدة واقرأ آية ففعل فجعل عليه السلام كلما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه بعض خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة
قام صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وجعل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك والمعتزلة
انكروا صحة هذه الرواية وتاثير السحر فيه عليه السلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها وهو تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال
ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور ولو وقعت هذه الواقعة
لكان الكفار صادقين في ذلك التعيير ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها
لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه عليه السلام مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه عليه السلام مسحورا انه زيل عقله بسبب السحر
فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بالم يجده في بدنه فلذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه
لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له
من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتاثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي وانما اثر في بدنه من حيث انه انسان

وبشر

وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر الا ترى انه مرض وكسرت رباعيته يوم احد ولم يقدح فيما ضمن الله تعالى له من عصمته بقوله
والله يعصمك من الناس لان المراد من العصمة حمايته من العصمة من امر نبوته قوله وقيل المراد بالنفث في العقد الخ عطف على قوله من شر النفوس
السواحر والنساء السواحر فيكون معنى الآية من شر جنس النساء اللاتي شانهن ان ينفثن في عزائم الرجال المعقودة على امور بكلمات
لطيفة او بمحاولات خفية فيغلبن عليهم ويحولنهم عن ارائهم وعزائمهم التي تصمموا على امضائها بانواع المكر والحيلة فان كيدكن
عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عليه السلام يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يا رسول الله
قال عليه السلام تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رايت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احدكن
والحازم الضابط لامره المتبصر في سيره شبهت عزائم الرجال وارائهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال
تلك العزائم بانواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل حلها فان النساء تميل طباع الرجال اليهن
يتصرفن فيهم ويحولنهم من راي الى راي ومن عزيمة الى اخرى فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من شرهن و
قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى ان النساء خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين وقال بعض الظرفاء في جوابه ان النساء
رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين قوله وافرادها بالتعريف جواب عما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق
وحاسد مع اشتراك الجميع في كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد
الاستعاذة من جميع احادها وليس كل حاسد وغاسق شريرا فنكرا تنكير النوعية قوله للاهتمام بدره تعليل لاختصاص
ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى حسده اي للاهتمام لحاسد وعقوبته بسرور المحسود بما فيه من النعمة روي عن علي
رضي الله عنه قال لله در الحاسد ما اعدله يقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود قوله وتخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان
بل الحيوان وغيره ذكر المصنف لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة اليها مندرجة
تحت شر ما خلق لانها اما من قبيل الاجسام والجسمانيات وجهان استقلالا سنا سباله وتقرير الوجه المذكور لتخصيص الحسد
بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه انما يفرح غيره غالبا طمعا فيما عنده واستكراها
لرؤية غيره كان الحسد كانه كل السبب لشر الحيوان واضراره غيره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت ما خلق بل خص بالذكر
واستعيذ من شره بخصوصه قوله ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى فسر الغاسق اولا بالليل
العظيم الظلمة وفرهه وقوبه بدخول ظلامه في كل شيء وفسره ثانيا بجنس النساء اللاتي ينفثن عزائم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان
المتصف بالحسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضى حسده واشار هاهنا الى تفسير كل واحد من الاوصاف الثلاثة بتفسير
آخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها تشبه النور في كونها سببا
لظهور الاشياء كالنور فان القوة الغاذية النباتية تريدها النبات في الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهي
الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور ما يختص بها من الآثار من الحيوان فشابهت
النور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيه من القوى فهي المرادة بالغاسق وشرورها ما يترتب
عليها بحسب طبايعها من المضرات وفسر الحاسد بالحيوان بان جعله كناية عنه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد وبنى هذه التفاسير
ان الانسان لا يتضرر عن الاجسام الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية وهي اما جمادات او نباتات او حيوانات

فامر الله تعالى بالاستعاذة من كل واحدة منها بكلام على حدة قوله فانها انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان من ان التعبير بلفظ الحاسد من الحيوان في مقام الامر بالاستعاذة من شر الحيوان يدل على ان منشا شر الحيوان منحصر في وصف حسده وليس كذلك وتقرير الجواب ان باقي الاوصاف الذميمة والاخلاق الردية وان جاز ان يكون منشا شر الحيوان وحاملا له على اضرار غيره الا ان غالب ما يحمله على الاضرار وهو الحسد فصار الحسد بذلك كانه محل الحامل عليه فالتنبيه على هذا المعنى اضيف الشر الى اللفظ المشتق المشعر بعلية الماخذ له قوله ولعل افرادها اى انفراد الاجسام العنصرية التي هي الجمادات والنبات والحيوان مع اندراجها في عالم الخلق للتنبيه على ان لها مزية مدخل في الاضرار من حيث كونها اسبابا قريبة للمضرة والله اعلم بالصواب سورة الناس مدنية وقيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم وقيل

مدنية الناس عند صاحب الكشاف اصلها اناس بشهادة قوله تعالى إنهم أناس يتطهرون فحذفت منه الهمزة التي هي فاؤه فبقي ناس فهو من قولهم انست الشيء اي ابصرته والقياس يقتضي ان يجوز اطلاقه على كل جسم الا انه خص بالبشر عرفا وعند غيره لم يحذف منه شيء واصله نوس لقولهم في تصغيره نويس فهو من النوس بمعنى الحركة فكان القياس ان يطلق على كل متحرك الا انه خص بالبشر عرفا وقال آخرون هو من الانس الذي هو ضد الوحشة لانه يونس به وقيل هو من النسيان واصله الناسي بياء في آخر الكلمة على انه اسم فاعل من نسي ينسى فحذفت الياء من آخره اكتفاء بالكسرة قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير وقد افلح واجمع القراء على ترك الامالة في الناس وروي عن الكسائي الامالة فيه وان كان في موضع الجر قوله لما كانت الاستعاذة الى قوله عليه الصلاة والسلام الاضافة ثم خص بالناس هنا جواب عما يقال ما الفرق بين السورتين حتى اضيف لفظ الرب في السورة المتقدمة الى الفلق بمعنى جميع الممكنات المخلوق عنها واضيف هنا الى الناس وهو رب العالمين وملكهم والههم وليست الربوبية بالنسبة الى الناس خاصة وتقرير الجواب ان ما وقع مضافا اليه في السورتين مظهر واقع موقع المضمر لانه عليه السلام هو المامور بالاستعاذة وحق المستعيذ ان يستعيذ بسيد نفسه ومالكه ومربيه امره فمقتضى الظاهر ان يقال في السورتين اعوذ بربي الا انه لما كان الشر المستعاذ منه في السورة المتقدمة شر عالم العنصريات من الاجسام والجسمانيات فان الغاسق والنفاثات والحاسد كلها من عالم العنصريات وشر هؤلاء اضرار بدنية متعلقة بالاجسام والشر المستعاذ منه في هذه السورة وهو الوسوسة يختص بالنفوس الانسانية ناسب المستعيذ في السورة الاولى ان يدرج نفسه في جملة من يتضرر بشر عالم الخلق ويعبر عمن يستعيذ منه بربوبية من يتضرر بالشر المستعاذ منه فلذلك قيل في تلك السورة برب الفلق بدل ان يقول بربي فان الفلق يعم جميع الممكنات فضلا عن العنصريات ولذا ناسب في السورة ان يدرج المستعيذ نفسه في جملة من يتضرر بالوسوسة ويعبر عمن يستعيذ به بربوبية يتضرر بها وهو نوع البشر ويقول اعوذ برب الناس في موضع ان يقول بربي فلذا اضيف الرب ثمة الى ما يعم الناس وغيرهم واضيف هنا الى الناس خاصة الا ان هذا التوجيه مبني على ان يفسر الفلق بما يعم جميع الممكنات كما اشاره المص فينبغي ان يكون تقرير السؤال الجواب هكذا شرعه عن ضمير المتكلم الى الاسم الظاهر ثم لم اوثر لفظ رب في احدى السورتين ولفظ رب الناس في الاخرى ويكون تقرير الجواب ان المستعيذ لما ادام امته وصحابهم كان اللائق بمنصبه وخلقه العظيم ان يدرج نفسه في الاستعاذة من شر عالم الخلق من جملة من يتضرر من جهتهم انسانا كان او غيره وعند الاستعاذة من شر الموسوس الى الناس في جملة من يتضرر منه وهو الناس خاصة اشعارا بان الاستعاذة في السورة الاولى لاجل نفسه خاصة بل لكل ما يدخل تحت مفهوم الفلق من الممكنات المادية كانه قيل اعوذ

برب من

برب من يتضرر بشر عالم الخلق من شر من يتضرر بشر الموسوس الى الناس واما على قول من فسره بالصبح فوجه اضافته اليه في تلك السورة ان الشر المستعاذ منه شرور خفية بناء على ان معظم المستعاذ منه فيها هو شر الغاسق والنفاثات ولا يخفى ان شرورها خفية فكان انسب ان يعبر عن المستعاذ به فيها برب النور والظهور لان شان المستعيذ من يخرجه عما هو فيه الى ما يضاده ربه وعبر عنه في هذه السورة برب الناس لكون المستعاذ منه شرا مختصا بالانسانية قوله فان الرب قد لا يكون ملكا يعني ان المقصود من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بتعيينه او بتقليل اشتراكه ومفهوم رب الناس اعم من مفهوم ملك الناس لان المرتبة بمعنى السياسة والفوقية وهي لا تستلزم الملك وقد تطلق على التربية والارشاد وقال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الجوهري ربيت القوم اي سستهم اي كنت فوقهم ومنه قول صفوان بن امية لان يربيني رجل من قريش احب الي من ان يربيني رجل من هوازن فلما كان ملك الناس قد يطلق على غير ربهم كان من رب الناس صح ان يكون موضحا له وبقي اشتراكه الا انه لم يصح ان يكون معينا له لان الملك قد يطلق على من يدبر امر الناس مع كونه بمعزل عن الالوهية فسر بقوله اله الناس وهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتعيين لان لفظ اله مفردا كان او مضافا لا يطلق على غيره تعالى لان الالهية مختصة به تعالى قوله وفي هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعادة وجه الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس ان يكون مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب عليهم والقادر على التصرف فيهم فان الملك هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون غنيا عن غيره والههم الذي يستحق العبادة لذاته لكونه خالق العالمين ورازقهم ومدبر امورهم حسبما شاء كيف لا يكون حقيقا بالعبادة قادرا عليها قوله واشعار على مراتب الناظر في المعارف ضمن الاشعار معنى الاطلاع فعدي بعلى فان الاشعار لا يتعدى بعلى يقال شعرت بالشيء اشعر به شعرا اي فطنت له ومنه قولهم ليت شعري اي ليتني علمت واشعرته فشعر اي ادريته فدرى واطلعته على سري فان المستعاذ به اولا بين بلفظ الرب ثم توضيحه بلفظ الملك ثم بلفظ الاله يطلع السامع اولا لما يعرفه الناظر بنظره انه له ربا ثم يترقى في باب المعرفة فيتحقق انه ملكه ثم ينتهي الى معرفة انه اله فان الناظر في المعارف يعرف اولا بسبب ما يرى عليه من النعم ان له ربا يربيه بانواع النعم ثم يتغلغل اي يتعمق في النظر حتى يتحقق اي يتيقن انه غني عن الكل وان جميع ما سواه يفتقر اليه وهو المعني بالملك فانه اذا علم ان جميع ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة انما يفاض عليه من ربه يترقى الى معرفة ان وجود كل موجود وما يتفرع على اصل وجوده من انواع الفضل ووجوه الاحسان انما يفاض عليه من خزائن رحمتي التي وسعت كل شيء ويتحقق عنده انه غني عن الكل وانه ملكهم قوله ويدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة اي يمشي من قولهم درج الرجل والضب يدرج درجا اي مشى فان عادة المستعيذ ان يلتجئ اولا الى ما يتيسر مما يظنه مانعا ثم يترقى منه الى ما هو اكمل واقوى من كونه مانعا ثم يترقى الى منتهى المطالب والماوى الحقيقي ولما كان صفة الالوهية منتهى معارف الناظر وصفة المالكية دونها كانت صفة الربوبية مبدا معارفه ذكر من اوصاف المستعاذ به اولا صفة الربوبية ثم صفة المالكية ثم صفة الالوهية تنزيلا لهذه الصفات منزلة الذوات المتفاوتة في الجاه فقوله ويدرج عطف على قوله ويستدل اي يستدل الناظر ويمشي في طريق نظره شيئا من شيء في وجوه الاستعاذة المعتادة والظاهر ان العبادة تدرج بالعطف على قوله اشعار والمعنى وفي هذا النظم دلالة على كذا واطلاع على مراتب الناظر في المعارف وتدرج اي ترق على سبيل التدريج الى منتهى معارف الناظر على وجوه تدرج المستعيذ على ان تكون كلمة في في قوله وتدرج في وجوه الاستعاذة بمعنى على ويكون قوله تنزيلا علة

يذ ويكون قوله اشعارا بعظم الآفة على ريح المذكور بعد تعليله بقوله
يذ لما امر بان يندرج في الاستعاذة بمن لا يكنه ذاته بل انما يدرك بحسب
ما يحصل للناظر في اوصافه وتذكيرا بذلك الى ثم تذكره بما يحصل له ثانيا ثم
لاف الصفات منزلة اختلاف الذات دل ذكرها على شرف المستعاذ منه لا محالة قوله وتكرير
م لم يكتف باظهار المضاف اليه الذي هو [illegible] مرة واحدة بان يقال برب الناس ملكهم الههم
ين الاول ان عطف البيان انما يؤتى به لايضاح المتبوع وانه واظهار الاسم ادخل في الايضاح
لها اضماره والثاني ان في اظهار المضاف اليه في كل واحد من هذه التراكيب الاضافية اشعارا بشرفه
ه تعالى لم يكتف في مقام كونه حقيقا لان يستعاذ به باضافة كلمة الاله الى ضمير الناس
ذا انه يكون ربا للناس وملكا للناس الها للناس ولولا ان الناس اشرف مخلوقاته واعز مظاهر
لكيته والهيته لما ذكر الاسم الظاهر في كل مرة قوله اي الوسوسة يعني ان الوسواس بالفتح اسم بمعنى الوسوسة
كما ان الزلزال بمعنى الزلزلة والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال واطلاق الوسوسة على الشيطان من قبيل
توصيف العين بالمصدر للمبالغة في الاتصاف كما يقال رجل عدل للمبالغة للدلالة على بلوغه في الاتصاف
بالعدالة الى حيث صار كانه نفس العدالة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اي من شر ذي الوسواس
والخناس صيغة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتاخر وهو مجرور على انه صفة للوسواس
بمعنى الموسوس وصف به لان شانه وصفته وشغله الذي هو عاكف عليه ان يخنس اذا ذكر العبد
ربه والوسوسة والتخنس صفتان للشيطان على حسب حالتي الانسان كما روي في الخبر ان الشيطان جاثم
على قلب ابن آدم فان غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اي تاخر ووقف والوسوسة الدعوة الى الشر
عن خفية واصل الوسوسة الصوت الخفي وسميت دعوة شياطين الجن والانس الى الشر بالوسوسة
لان شياطين الجن تدعوا الى المعصية وتزينها باخفاء ضررها اما بان يغر العبد بسعة رحمة الله تعالى
وعفوه او بان يخيل اليه في العمر سعة فستتوب بعدها قضيت شهوتك منها او لانهم يدعون الى المعصية
بكلام خفي يفهم منه القلب من غير ان يسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعوا اليها باخفاء ضررها وارادة
المنافع والمصالح في مباشرتها واظهارا انه ناصح له في ذلك وليس مراده الا المكر والخيانة او يغله بغروره
بان يذكر له سعة رحمة الله تعالى وعفوه او امكان التوبة بعد مباشرتها قوله وذكر كالقوة الوهمية
شبه الشياطين بها من حيث انه يساعد الانسان في اتباع المعاصي والمنكرات واذا آل امره الى طاعة الله تعالى
خنس واعرض عنه واخذ في المكر والحيلة ليصرفه عنها كما ان القوة الوهمية تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة
خنس واخذ يوسوسه ويشككه قوله ومحل الذي يوسوس الجر على انه صفة الوسواس او النصب والرفع على الشتم
وعلى الوجهين الاخيرين يحسن للقارئ ان يقف على الخناس ويبتدئ بقوله الذي يوسوس لطول الكلام عليه قوله
من الجنة والناس بيان للوسوسة او الذي يوسوس على معنى ان الشيطان الموسوس ضربان جني وانسي كما قال تعالى
شياطين الجن والانس وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت من شر شياطين الانس فقيل له هل للانس من

شيطان